بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدِّمَةُ

إن الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مضل له، ومن يضلل؛ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]. أما بعد؛

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إن القرآن العظيم هو مأدبة الله ﷻ[١]، فيه نبأ ما قبلنا، وخبر ما بعدنا، وهو حبل الله المتين، والذكر الحكيم، وهو الفصل ليس بالهزل، مَنْ تَرَكَه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو الصراط المستقيم الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يَخْلَقُ على كثرة الردّ، ولا تنقضي عجائبه، من قال به صدق، ومن عمل به أُجِر، ومن حكم به عَدَل، ومن دعا إليه هُدِي إلى صراط مستقيم.[٢]

---

(١) اقتباس من حديث ابن مسعود ﷺ مرفوعا وموقوفا، والصحيح وقفه، وقد أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن: (١/٢٤٠)، وابن أبي شيبة في المصنف: (١٠/٤٨٢)، والحاكم: (١/٥٥٥)، والطبراني في الكبير: (٩/١٣٨) وغيرهم.

(٢) مقتبس من حديث رُوي مرفوعا وموقوفا، ولا يصح رفعه، أخرجه الإمام أحمد في مسنده: (١/٩١)، والترمذي في سننه (٥/١٧٢)، برقم: (٢٠٠٦)، كتاب فضائل القرآن / باب ما جاء في

وفهم معاني القرآن الكريم وتدبر ألفاظه ومعانيه، والتفكر فيها واجب على المسلمين، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]، وقال ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[محمد ﷺ ٢٤]، وقال ﷻ: ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾[ص:٢٩].

وهذا الفهم يتيسر بتطلب تفسير كتاب الله من كلام العلماء الراسخين في هذا العلم الشريف، الشارحين لآياته، والمبيِّنين لمدلولاتها وأحكامها، والكاشفين لأسرارها وحِكَمها فعلْم التفسير هو مفتاح الكنوز والذخائر التي احتواها القرآن الكريم لإصلاح البشر، وإنقاذ الأمم، وإعلاء كلمة الله في الأرض. والمفسرون هم رواد هذا العلم ورجاله الذين يعوّل عليهم في تبيان الحق ونشره بين الناس.

لقد اهتم المفسرون بالقرآن الكريم على مر العصور اهتمامًا كبيرًا لا يدانيه اهتمام، وعناية فائقة لا تعادلها عناية، فمنهم من ألَّف في قراءاته، ومنهم من ألَّف في ناسخه ومنسوخه، ومنهم من ألَّف في أحكامه، ومنهم من ألَّف في بيان إعجازه وبلاغته، ومنهم من ألَّف في تفسير معانيه وبيان ألفاظه، ومن هؤلاء العلماء الذين سخروا أنفسهم لخدمة كتاب ربهم: **أحمد بن محمود النعماني** رحمه الله وأسكنه فسيح الجنة، من علماء القرن السابع (المتوفى سنة:٦٧٥هـ)، صاحب تفسير:(**الموجز من موجز التفسير**).

فرغبة منِّي في إخراج هذا التراث العلمي، أحببت أن يكون مشروع رسالتي التي تقدمت بها إلى قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية لنيل الدرجة العالمية العالية (الدكتوراه) بعنوان: (**الموجز من موجز التفسير) للعلامة أحمد بن محمود النعماني رحمه الله (ت ٦٧٥هـ)**

– من أول الكتاب إلى آخر تفسير سورة الأعراف – تحقيق ودراسة.

فضل القرآن، والطبراني في المعجم الكبير: (٨٤/٢٠)، والبيهقي في الشعب: (٣٢٦/٢). قال ابن كثير رحمه الله:"وقصارى هذا الحديث أنما يكون من كلام أمير المؤمنين علي ﷺ، وقد وهم بعضهم فى رفعه". فضائل القرآن (ص١٦).

أهمية الموضوع:

تتضح أهمية تحقيق تفسير:(الموجز من موجز التفسير) بأمور يمكن إجمالها بما يلي:

١- أهمية علم التفسير الكبرى، لاتصاله المباشر بكلام الله تعالى، وشرفه على بقية العلوم لشرف موضوعه وغايته وشدة الحاجة إليه، فكان حرياً بصرف الأوقات وإنفاق اللحظات في خدمته وتحريره .

٢- أن هذا التفسير قد وُجِدَ بخط مؤلفه، ولا شك أن النسخة إذا كانت بخط مؤلفها فإن لها قيمة لا تخفى على أهل الشأن.

٣- أهمية العناية لكتب العلماء المتقدمين، وضرورة العكوف على تصانيفهم لاستخراج ما أودعوها من العلوم النافعة، وذلك بالدراسة والتحقيق والتدقيق والتعلم والتعليم، لاسيما وأن في إخراج هذا المخطوط وتحقيقه، خدمة لهذا التفسير (الموجز من موجز التفسير)، وجعله في متناول أيدي طلاب العلم؛ مساهمة في نشر المعرفة، و إثراءً للمكتبة القرآنية، حيث لا يوجد حسب علمي واطلاعي تحقيق لهذا الكتاب فأحببت أن أضيف جديداً ينتفع الناس به.

٤- قيمة تفسير (الموجز من موجز التفسير) العظيمة، وذلك لما في هذا التفسير من فوائد علمية قلّ ما توجد في كتب التفسير الأخرى المطبوعة.

٥- في إخراج هذا الكتاب خدمة لأصله الذي هو مفقود؛ وذلك لأن هذا التفسير مختصر من تفسير: الموجز في التفسير للإمام الزاهد: أبي الفتوح العجلي رحمه الله المتوفى سنة: (٦٠٠ هـ)،[1] كما بين ذلك المؤلف النعماني رحمه الله حيث قال في

---

(١) هو أسعد بن محمود بن خلف بن أحمد بن محمد، الملقب بـ منتخب الدين، أبو الفتوح العجلي الأصبهاني، فقيه الشافعية، ومصنِّف التعليق على الوسيط والوجيز، ولد بأصبهان سنة: ٥١٥ هـ، وكان فقيهاً مكثراً من الرواية، يأكل من كسب يده، وعليه المعتمد بأصبهان في الفتوى، توفي رحمه الله

مقدمة تفسيره:" استخرجته – يعني تفسيره – من كتاب الموجز في التفسير للإمام العلامة حجة الإسلام أبي الفتوح العجلي؛ الذي نقحه وخلصه من جميع كتب التفاسير ...". وتشير فهارس المخطوطات إلى أن تفسير العِجْلي مفقود، ففي إخراج هذا الكتاب تعويض عما هو مفقود.

▪ أسباب اختيار الموضوع

من أهم الأسباب التي دعتني إلى اختيار هذا الموضوع ما يأتي:

١- أهمية الموضوع من الناحية العلمية وأحقيته بالتحقيق والبحث والدراسة، وقد بيَّنْتُ ذلك من خلال ما سبق في أهمية الموضوع .

٢- خدمة كتاب الله تعالى، لأن هذا التفسير يساهم في بيان وفهم معاني القرآن الكريم وأحكامه.

٣- تحقيق كتاب الموجز من موجز التفسير، وجعله في متناول أيدي طلاب العلم؛ إسهاماً في نشر المعرفة، و إثراءً للمكتبة القرآنية، حيث لا يوجد – حسب علمي واطلاعي– تحقيقٌ لهذا الكتاب فأَحْبَبْتُ أن أُضيف جديداً ينتفع الناس به.

٤- إبراز شخصية الإمام المفسر أحمد بن محمود بن محمد النعماني، وكشف جهوده في التفسير من خلال كتابه، وفاءً بحقه إزاء ما قام به من خدمة كتاب الله تعالى.

٥- التعرف على منهج الإمام أحمد بن محمود النعماني، وما تميَّز به تفسيره من فوائد علمية نفيسة.

بأصبهان في صفر سنة: ٦٠٠ هـ. ينظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعي (٣/٤٩٨)، وطبقات الشافعية لابن قاضي (٢/٢٥)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب للعكبري (٤/٣٤٤).

٦-اكتساب الخبرة في خدمة كتب التراث وتحقيقها، والاستفادة ممن سبقني في هذا المجال وكان لهم فيه إسهامٌ وإتقان، مع ما في التحقيق من فوائد متنوعة في فروع المعرفة المختلفة.

الدراسات السابقة:

بعد مراجعة فهارس الرسائل العلمية، وسؤال أهل الخبرة والمؤسسات العلمية، والمراكز التي تعنى برصد الرسائل والبحوث العلمية مثل:

- مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.
- مكتبة الملك فهد الوطنية.
- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- جامعة الملك سعود بالرياض.
- الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية.
- جامعة أم القرى في مكة المكرمة.
- جامعة الملك عبد العزيز في جدة

وبعد البحث في المواقع المهتمة بالقرآن وعلومه؛ لم يظهر لي وجود دراسة قرآنية سابقة في هذا الموضوع.

▪ خطـــة البحث:

يتكون هذا البحثُ: مُقدمةً وتمهيداً، وقسمين، وفَهَارس؛ كما يلي:

المقدمة والتمهيد:

وتشتمل على ما يلي :

١-أهمية الموضوع.

٢-أسباب اختياره.

٣-الدراسات السابقة.

٤-خطة البحث.

٥-منهج التحقيق.

القسم الأول :

ترجمة المؤلف، ودراسة الكتاب، وفيه فصلان:

الفصل الأول: ترجمة المؤلف

وفيه مباحث:

المبحث الأول: عصر المؤلف.

المبحث الثاني: اسمه ونسبه ولقبه وكنيته.

المبحث الثالث: مولده.

المبحث الرابع: عقيدته .

المبحث الخامس: مذهبه الفقهي.

المبحث السادس: شيوخه وتلاميذه.

المبحث السابع: مؤلفاته.

المبحث الثامن: وفاته.

الفصل الثاني:

دراسة الكتاب، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: تحقيق اسم الكتاب.

المبحث الثاني: توثيق نسبته لمؤلفه.

المبحث الثالث: منهج المؤلف في الكتاب.

المبحث الرابع: مصادر المؤلف في الكتاب .

المبحث الخامس: قيمة الكتاب العلمية وأهم المآخذ عليه.

المبحث السادس: وصف النسخة المعتمدة في التحقيق، ونماذج منها.

القسم الثاني:

قسم التحقيق، من أول الكتاب (بداية اللوح ٢/أ) حتى نهاية كلامه عن تفسير سورة الأعراف (اللوح ٥٩/ب)

وهو عبارةٌ عن:

١-تحقيق نصِّ المؤلف، وإخراجِه بصورة أقرب ما تكون إلى ما أراده المؤلف، في الجزء الخاص بي.

٢-خدمة النصِّ؛ بحسب المنهج العلمي العام في كتابة البحوث والرسائل. والذي سأوضحه بالمنهج العلمي الذي سأتبعه في تحقيق هذا الكتاب.

الفهارس

وتشتمل على :

١- **فهرس الآيات القرآنية التي استشهد بها المؤلف.**

٢- **فهرس الأحاديث والآثار.**

٣- فهرس المصطلحات العلمية، والكلمات الغريبة.
٤- فهرس الأعلام المترجم لهم.
٥- فهرس الأماكن والبلدان.
٦- فهرس القبائل والفِرق.
٧- فهرس المصادر والمراجع.
٨- فهرس الموضوعات.

منهج التحقيق:

سَلَكْتُ في منهج تحقيق الكتاب المنهجَ المتبعَ في تحقيق كُتبِ التراث، وكان على النحو التالي:

١- نسخت النصّ المخطوطِ من النسخةِ الأصل وَفْقَ قواعد الرسم الإملائي الحديث، وضَبْطِ ما يحتاج إلى ضبطٍ بالشَّكْلِ.

٢- كتبت الآيات القرآنية بالرسم القرآني، مُعْتمداً مُصحفَ المدينةِ النبوية للنشر الحاسوبي الصَّادرَ عن مجمَّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، مع عَزْوِ الآياتِ إلى مُوضِعها في المصحف بذكر اسم السورة ورقم الآية في الآيات المستشهَد بها، أما الآيات المفسَّرة فهي مرتبةٌ على حسب ترتيب المصحف.

٣- خرجت الأحاديثِ والآثارِ وعَزْوُها إلى مصادرها، فإن كانت في الصحيحين أو أَحدِهما أكتفي بتخريجها منهما، وإلا خرجتُه من أحد مظانه؛ وبيَّنْتُ درجتَه عند أهل العلم.

٤- وثقت الأقوال والنصوص المنسوبة إلى قائليها من مصادرها الأصيلة،

وعَزْوها إلى مواضعها ما أمكن، فإن تعذَّر ذلك وثَّقْتُها من أقرب المصادر إلى مصادرها الأصيلة.

٥- وثقت المسائل العلمية الواردِ ذكرُها في الكتاب من مصادرها الأصلية.

٦- عرفت بالمصطلحاتِ الواردة في الكتاب.

٧- بينت الغريب وشرحته، بالرجوع إلى كتب المعاجم والغريب، ووثقته بذكر المادَّة، ومصدَرها.

٨- ترجمت الأعلام غير المشتهرين الوارد ذكرُهم في النَّصِّ المحقق، وذلك في أول موضعٍ يَرِدُ فيه ذكر العَلَمِ، وذلك من كتب التَّراجم المعتمدة.

٩- عرفت بالفِرَق بإيجازٍ في أول مَوْطنٍ تَرِدُ فيه.

١٠- عرفت بالأماكن والبلدان من المعاجم والمصادر القديمة والحديثة.

١١- علقت على ما تدعو الحاجةُ للتعليق عليه من المسائل العلمية والعقدية مُراعياً الاختصار وعدم التطويل.

١٢- ذيَّلت الرسالة بالفهارس اللازمة كما سبق في خطة البحث.

هذا هو مَنْهجي في كتابة هذا البحث مع ملاحظة المنهج العلمي العام في كتابة البحوث والرسائل.

ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ ثمةَ صعوباتٍ -لا يخلوا منها كثير من البحوث- واجهتْني أثناء كتابة البحث، فمنها:-

١- عدم توفر المصادر في ترجمة المصنف.

٢- أن هذا المصنَّف يصح أن يُطلق عليه أنه مُصنَّفٌ موسوعيٌّ، فهو يخوض في جميع الفنون كعادة المصنفين في ذلك العصر، وهو كذلك مختصرٌ لتفسيرٍ أوسع

منه، وهذا يستلزم الرجوع إلى كُتبِ كل فنٍّ من هذه الفنون، وتوثيقَ هذه المعلومات من تلك المصادر المعتمدة في ذلك الفنِّ.

٣- عدم توافر نُسخٍ أخرى لهذا التفسير يمكن أنْ تُساعد في حل كثير من الإشكال والغموض الذي قد يحصل في قراءة بعض الكلمات، فلا يوجد سوى هذه النسخة اليتيمة، مما حداني إلى الرجوع إلى المصادر التي اسْتقى منها المؤلف(١).

٤- أن العمل في التحقيق، ودراسة المخطوطات ليس بالأمر الهيِّن، ولا بالخطب السهل كما يتبادر إلى أذهان البعض، كلا! فليس الأمر كذلك، بل التحقيق: نقلٌ ونقدٌ وبيانٌ وتمحيص، وفوق ذلك كله أمانة عظيمة سيسأل عنها الباحث أمام الله لما فيها من نسبة القول لصاحبه في أعظم كلام وهو كلام الله ﷻ، وهذا من الواجبات التي يجب أن يلتزم بها المحقق مراعاةً لحرمة النص المنسوب إلى المؤلف.

هذه بعض الصعوبات، والحمد لله الذي ذلَّلها لي.

شكر وتقدير

وفي خَتْمِ هذه المقدمة، فإنني أشكر الله العلي القدير على ما منَّ به ويسر، من إتمام

---

(١) قد يظن البعض أن الاكتفاء بنسخة واحدة لا يُوجد غيرها، يعتبر عيباً وخللاً، مما يستدعي صرف النظر عن خدمة الكتاب، وهذا ظنٌ خاطئ، إذ لو كانت هذه الدعوى صحيحةً لتُرِكَتْ كثيرٌ من كتب التراث الفريدة، وظلت حبيسة الخزائن والمكتبات، وكم من سِفْرٍ عظيم، انتفع به الناس، وسد حاجةً في المكتبة العلمية، ليس له إلا نسخة يتيمة، ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك: ١- كتاب معاني القرآن للنحاس، الذي حققه الشيخ/ محمد علي الصابوني، وقد طبعه مركز البحث العلمي وإحياء التراث في جامعة أم القرى. ٢- كتاب رَصْف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي، الذي حققه د/ أحمد الخرَّاط، وقد طبعه مجمع اللغة العربية بدمشق، وناهيك بهذين السفرين نفاسةً وقيمةً علمية، مع استفادة طلاب العلم منهما. وهذان مثالان، وغيرهما كثيرٌ جداً.

هذا العمل على الوجه المناسب، كما أشكره سبحانه أن استعملني في خدمة كتابه الكريم[١]، وهيأ لي من أسباب البحث والكتابة والفهم مالا ينبغي الشكر إلا له. كما أُثنِّي بالشكر الجزيل لوالديَّ الكريمين وأخص الوالدة الكريمةَ، على حسن رعايتها، ودعائها المستمر، فجزاها الله خير الجزاء.

كما أشكر جامعتنا الغراء محضن العلماء، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ذلك الطود المنيف على مساهمتها في فتح مجالات الدراسات العليا لطالبيه وقاصديه، وما يَسَّرَتْه من سُبلٍ من أجل ذلك.

وأخصُّ من هذه الجامعة كليةَ القرآن الكريم والدراساتِ الإسلامية وقسم التفسير وعلوم القرآن على ما منحوني من إرشادٍ وتوجيه.

كما أشكر شريكة حياتي، وأولادي على ما وفروه لي من أجواء معينة وتحملهم انقطاعي المتكرر عنهم من أجل كتابة البحث.

ولا يفوتني أن أُزجي الشكر والتقدير والدعاء لفضيلة شيخي ومشرفي: أ.د/ عبد العزيز بن صالح العبيد حفظه الله على تفضله بقبول الإشراف على هذه الرسالة، وفتح صدره وبذل وقته لي لأستقي من علمه، وأتعلم منه طرائق البحث وتواضع العلماء؛ فلله الفضل ثم له في إخراج هذا البحث على هذه الشاكلة، فجزاه الله خيرًا.

والشكر موصولٌ لصاحبي الفضيلة المناقشَين لهذه الرسالة على تفضلهما بالقراءة والمناقشة، وإبداء الملاحظات. وأَعِدُهما أني سأَتَقبَّل كلَّ ما يلاحظانه بقبولٍ حسن؛ فالعلم رَحِمٌ بين أهله، ودَأْبُ اللَّاحقِ أن يستفيد من السابق. كما أشكر كلَّ من ساهم معي أو بذل لي من نصحٍ أو علم أو مشورةٍ، أو تقريب مسألةٍ. فجزى الله الجميع خير الجزاء، والله يتولاهم بحفظه، ويُسبغ عليهم فضلَه، والله أسأل أن ينفع بهذا البحث، ويجعل عملي فيه

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإن كتابة القرآن، والأحاديث الصحيحة، والتفاسير الموجودة الثابتة من أعظم القربات والطاعات". مجموع الفتاوى (١٣/٣٨٥).

خالصًا لوجهه الكريم وموجبًا لرضوانه العظيم، كما أسأله سبحانه أن يجعل هذا الكتاب لمؤلفه صدقةً جارية وعلمًا ينتفع به إلى يوم القيمة، وأن يتغمده بواسع رحمته ويسكنه فسيح جناته وجمعنا به في دار كرامته. **وأخيراً**: فإنه لا عاصم من الزلل والخلل إلا الله سبحانه، فهو الموفِّق والهادي إلى سواء السبيل، فاللهم إني أضرع إليك، وألوذ بحولك وقوتك، وأبرأ من حولي وقوتي، وأسألك أن تُتِمَّ عليَّ نعمتك، وتختم لي بفضلك، إنك سميع مجيب.

القسم الأول

ترجمة المؤلف، ودراسة الكتاب

وفيه فصلان:

الفصل الأول: ترجمة المؤلف:

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: عصر المؤلف.

المبحث الثاني: اسمه ونسبه ولقبه وكنيته.

المبحث الثالث: مولده.

المبحث الرابع: عقيدته .

المبحث الخامس: مذهبه الفقهي.

المبحث السادس: شيوخه وتلاميذه

المبحث السابع: مؤلفاته.

المبحث الثامن: وفاته.

الفصل الثاني: دراسة الكتاب:

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: تحقيق اسم الكتاب.

المبحث الثاني: توثيق نسبته لمؤلفه.

المبحث الثالث: منهج المؤلف في الكتاب.

المبحث الرابع: مصادر المؤلف في الكتاب.

المبحث الخامس: قيمة الكتاب العلمية وأهم المآخذ عليه.

المبحث السادس: وصف النسخة المعتمدة في التحقيق، ونماذج منها.

الفصل الأول
ترجمة المؤلف

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: عصر المؤلف.

المبحث الثاني: اسمه ونسبه ولقبه.

المبحث الثالث: مولده.

المبحث الرابع: عقيدته .

المبحث الخامس: مذهبه الفقهي.

المبحث السادس: شيوخه وتلاميذه.

المبحث السابع: مؤلفاته.

المبحث الثامن: وفاته.

بعد بذل الجهد في البحث – فيما توفَّر من المصادر – عن ترجمة المؤلف لم أظفر له بترجمة إلا باللغة الفارسية.(١)

المبحث الأول: عصر المؤلف:

يعتبر عصر المؤلف من العصور الذهبية في التدوين في سائر العلوم ومن بينها علم التفسير، وكانت بلاد المسمين عمومًا والشام والعراق ومصر خصوصًا آنذاك حافلة بمدارس العلم المختلفة في الحديث والفقه واللغة والأدب، والتي كانت تمثِّل مركز إشعاعٍ ثقافيٍّ وحضاريٍّ في العالم الإسلامي الواسع الأرجاء. فازدهر العلم وكثر التأليف وانتعشت الحياة العلمية.(٢)

وأهم ما يُميز هذا العصر من ناحية التأليف والاشتغال بالعلوم ما يلي:

١- الاهتمام باختصار الكتب المبسوطة التي وضعها أسلافهم فيها، فكثر في هذا العصر التأليف في المختصرات والحواشي، ومن بينها: هذا المصنف الذي لخصه من مصنَّف شيخه العجلي وهما في عصر واحد. ولعل الدافع إلى ذلك قصور الهمم عن الإكثار وميلها إلى الإيجاز والاختصار.(٣)

٢- التنوع في تلقي العلوم، وعدم الاقتصار على علم معين، فكان على طالب العلم أن يلم بجميع فروع العلوم، فالفقيه مؤرخ وأُصولي ومفسر ولغوي وهكذا.(٤)

٣- انصراف كثير من العلماء عن الاشتغال بالفلسفة وغيرها من العلوم الكونية إلى العلوم الدينية.(٥)

---

(١) ينظر: لغت نامه دهخدا (٧١/١٣) وهو كتاب باللغة الفارسة عبارة عن موسوعة ضخمة في اللغة والأعلام؛ واسم مؤلفه: (دهخدا) ، ألفه في مدة طويلة تزيد عن أربعين عاماً.

(٢) ينظر: الوافي بالوفيات للصفدي (٨٢/١٨)، وآثار البلاد وأخبار العباد للقزويني (ص٤٦٩)، والبداية والنهاية لابن كثير (٤٠/١٣).

(٣) ينظر: الفتح المبين في طبقات الأصوليين للمراغي (٢٤٦/٢)، وتطور التعليم في ظل الحضارة الإسلامية للدكتور عمر التومي (ص٢٢١)، والبيضاوي مفسرا للدكتور عبد العزيز حاجي (ص٣١).

(٤) ينظر: معجم المؤلفين لعمر رضا (٢٩٩/٢)، والتفسير ورجاله لمحمد الفاضل بن عاشور (ص١٣٣).

(٥) ينظر: دائرة المعارف الإسلامية (٣٢/٩)، والمجددون في الإسلام للصعيدي (ص٢٤٤).

هذا وقد لمع في هذا القرن عدد من العلماء الكبار في مختلف الفروع العلمية منهم:

* أبو عمرو عثمان بن أبي بكر المعروف بابن الحاجب (ت٦٤٦هـ).
* وابن خلكان (ت٦٤٨هـ).
* ومجد الدين بن تيمية (ت٦٥٢هـ).
* وسلطان العلماء العز بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ).
* وابن مالك النحوي ((ت٦٧٢هـ).
* والقاضي البيضاوي (ت٦٨٥هـ).
* وابن النفيس (ت٦٨٧هـ)، وغيرهم.[١]

المبحث الثاني: اسمه ونسبه ولقبه، ومكانته العلمية[٢]:

هو تاج الدين أحمد بن محمود بن محمد النُّعْمَاني،- بضم النون وسكون العين وفتح الميم وبعد الألف نون -، المعروف بـ(الحُر)؛ من الأكابر؛ أبوه وجَدُّهُ من العلماء، ويصل نسبه إلى الإمام أبي حنيفة رحمه الله.

---

(١) ينظر: المجددون في الإسلام للصعيدي (ص٢٤٤).

(٢) لم أجد له إلا ترجمة واحدة باللغة الفارسية في كتاب (لغة نامة)، وما ذكر ترجمة لها، وقد بحثت عن ترجمة وافية في كُتب التراجم وطبقات المفسرين، والأنسابِ، وتواريخ أصبهان، وبحثتُ في تراجم مشايخه المذكورين لعلّي أجد له ذِكراً ضمن طلابهم، فلم أعثر له على ذِكر، ثم بحثت عن طريق الشبكة العنكبوتية فلم أظفر بشيء. وعزائي في ذلك أن بعض علماء الإسلام ماتوا وخَلَّفُوا علماً جماً، ولكنَّ تراجمهم طيَّ النسيان، ومن هؤلاء الإمام ابن زنجلة صاحب كتاب: (حجة القراءات)، والأمر كما قال محقق الكتاب: سعيد الأفغاني الذي بذل جهوداً مضنية من أجل الحصول على ترجمة لابن زنجلة وهو إمام ألف في التفسير والقراءات، حيث يقول: ".. أن كتب الطبقات في تراثنا على وفْرتها وتراكمها وتنوعها، والافتتان في التأليف فيها افْتتاناً لم تبلغه أمة حتى اليوم سعة وعُمقاً، أغفلت أضعاف مَنْ ذَكَرَتْ من علمائنا الأكفياء الجديرين بالتنويه في حضارتنا العلمية الواسعة المتباعدة الأطراف. ومهما يكن فكتاب المؤلف هو أصدق مُترجميه". مقدمة حجة لقراءات (ص٢٥). وصدق فيما قال: فكتاب العالم خير مُتَرْجِمٍ.

ونسبته إلى النُّعْمَانية، هي: بلدة على نهر دجلة بين بغداد وواسط،(١) وإلى جدِّه النُّعْمَان بن المنذر.(٢)

والنُّعْمَاني عالمٌ بالحديث، والتفسير، والقراءات؛ حفظ القرآن في مدة وجيزة، وكان يتقن القراءات السبع، وتلقى علم الحديث والتفسير،

فحفظ اثني عشر ألف حديثًا ما بين صحيح وحسن؛ وثلاثة آلاف حديث من الأحاديث الموضوعة.

وعندما نضج وُكل إليه الوعظ في المحافل والمناسبات.

ثم سافر إلى مدينة (شيراز)(٣) وتولى خطابة الجمعة في الجامع العتيق.

كما تولى خطابة الجمعة في رمضان في الجامع الجديد.

المبحث الثالث: مولده:

ولد تاج الدين أحمد بن محمود بن محمد النُّعْمَاني رحمه الله بأصبهان.(٤)

---

(١) ينظر: الأنساب للسمعاني (٥/٥٠٩)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (٥/٢٩٤)، ولب اللباب في تحرير الأنساب للسيوطي (٢/٢٩٩).

(٢) هو النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر، أبو قابوس، آخر ملوك الحَيْرَة من اللخميين، قتله كسرى ابرويز.

ينظر: المعارف لابن قتيبة (ص٦٤٩)، وتاريخ الطبري (١/٤٧٢)، ومروج الذهب للمسعودي (١/٢٦٩).

(٣) شِيرَاز: وسط بلاد فارس. نسبة إلى شيرازُ بن طَهْمُورَثَ: ملك الفرس، بنى قصبةَ بلاد فارس، فسمِّيت به، وهي الآن تقع في الجنوب الغربي من بلاد إيران.

ينظر: مروج الذهب للمسعودي (١/٢٦٩)، معجم البلدان لياقوت الحموي (٣/٣٨٠)، وتاج العروس للزبيدي (١٥/١٧٧)"شرز".

(٤) أصبهان: مدينة معروفة بـ"جي"، من أرض إيران، على بعد ٣٤٠ كم من جنوب العاصمة طهران، ينتسب إليها كثير من المحدثين، وتعرف بشهرستان، وهي الآن أكثر البلاد يهوداً

وقصةُ مولده: كان جَدُّه شمسُ الدين محمد النُّعْمَانيُّ(١) يُدَرِّسُ بالرَّيِّ(٢) في مدرسة سلطان محمد شاه،(٣) وعندما توفي السلطانُ دَبَّ الخلافُ بين الناس، وأَدَّى ذلك إلى خُروجِه منها إلى بغداد، واتفق أنْ حَمَلَ والد المصنف محمودُ بن محمد النُّعْمَاني رسالةً من الخليفة في بغداد إلى الملكِ بأصبهان، ولما الْتَقَى بالملك: (دَوْلَتْ شَاه)(٤) وأَنِسَ به؛ طلبَ منه المَلِكُ الإقامةَ بأَصْبَهان، فَلَبَّى محمودٌ طلبَ المَلِك، وَوَعَدَه بالعودةِ إليه بعد أنْ يأذن الخليفةُ بذلك.

وعندما عاد إلى بغداد استأذن الخليفةَ بأن يستوطن أصبهان فأذن له؛ فاستوطنها هو وأسرتُه؛ فوهبه الله ابناً في أصبهان فسمَّاه أحمد؛ وهو صاحب الترجمة هنا.

وجاء في ترجمته أنَّ عُمُره (٨٨) سنة ؛ ووفاتَه كانت سنة:(٦٧٥هـ) ومن هذا يُسْتَنتجُ أن ولادته كانت في حدود: (٥٨٧هـ).

المبحث الرابع: عقيدته:

لقد تتبعت تفسيرات المصنف رحمه الله لآيات الاعتقاد والصفاتِ فوجدته ليس على جادَّةٍ واحدةٍ، وليس له في ذلك منهج مطرد، فتارة ينهج منهج أهل السنة والجماعة في جملة

ينظر: تاريخ أصبهان لأبي نعيم الأصبهاني (٣٢/١)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (٢٠٦/١)، ومعجم ماستعجم للبكري (١٦٣/١).

(١) لم أعثر على ترجمته حسب اطلاعي في ما بين يدي من المصادر.

(٢) الرَّيّ: مدينة من بلاد فارس، أقرب إلى خراسان.

ينظر: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيدة (٢٧٤/١٠)، ومعجم ماستعجم للبكري (٦٩٠/٢)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (١١٦/٣).

(٣) هو محمد شاه بن محمود بن محمد بن ملكشاه، المعروف بالأتابكي، وكان موصوفاً بالعقل والكرم والتأني في أموره، توفي بعلة السِّل في ذي الحجة بقرب همذان سنة: ٥٥٤ هـ، وله ٣٣ سنة.

ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، (١٨٣/٥)، والعبر في خبر من غبر للذهبي (١٤٥/٤)، والوافي بالوفيات للصفدي (٧/٥).

(٤) لم أعثر على ترجمته حسب اطلاعي في ما بين يدي من المصادر.

من أبواب الاعتقاد ويُثبتُ الصفات على ما يليق بالله ﷻ، ومن أمثلة ذلك:

- إثباته لصفة الكلام، حيث قال عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[النساء:١٦٤]، قال:" أي: بلا واسطة ملَك، وكلّم غيره بواسطة ملائكته، فخصّ بأنه كليمه على هذا المعنى، وأكده بالمصدر، تحقيقًا لوقوع المذكور عليه، دون شيء ينوب منابه".

- إثباته لصفة الرؤية لله ﷻ، عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي ﴾[الأعراف:١٤٣]، حيث قال رحمه الله:" ﴿قَالَ﴾ الله تعالى:﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ ولم يقل: لا أُرى؛ حتى يكون نفيًا للرؤية مطلقًا؛ بل معناه: في الدنيا، لأن كلمة:﴿لَن﴾ لا تقتضي التأبيد، كما قال تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدٗا﴾[البقرة:٩٥] يعني: الموت، والمراد به في الدنيا، مع تأكيده بقوله:﴿أَبَدٗا﴾".

- تقريره لصفة الاستواء على العرش، عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف:٥٤]، حيث قال رحمه الله:" ذكر الله تعالى هذه الكلمة في وصفه ﷻ في عدة آيات ولم يبدلها بغيرها، وكأنه أشار إلى أن الاقتصار عليها منّا متعين، فنؤمن به على ما أراده، وفي صحيح البخاري عن مجاهد أنه قال: استوى: علا. أورده في كتاب التوحيد في باب وكان عرشه على الماء".

- ردوده على الفرق المنحرفة وأهل الأهواء أثناء تفسيره للآيات حيث قال عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾[الأعراف:١٤٣]. قال رحمه الله رداً على منكري الرؤية يوم القيامة:" ولم يقل: لا أُرى؛ حتى يكون نفيًا للرؤية مطلقا؛ بل معناه: لن تراني في الدنيا، لأن كلمة: ﴿لَن﴾ لا تقتضي التأبيد، كما قال تعالى:﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدٗا﴾[البقرة:٩٥]، يعني: الموت، والمراد

به في الدنيا، مع تأكيده بقوله: ﴿أَبَدًا﴾".

هذه بعض الأمثلة الدالة على سلوكه المعتقد الصحيح في العقيدة وإثباته للصفات.

بينما نراه في مواضع أخرى يخالف أهل السنة ومعتقد السلف في بعض مسائل العقيدة ويقع في التأويل، ويصرف النصوص عن ظاهرها الذي تدل عليه من الإثبات، وقد تعقبته فيما تأوله ونبهت عليه في مواضعه، - وهي ليست بكثيرة -، وأذكر هنا بعض الأمثلة التي توضح ذلك دون مناقشتها، مكتفياً بمناقشة ذلك بمواضعها من التفسير:

- تفسيره الخاطئ لكلمة التوحيد عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[البقرة:١٦٣]، حيث قال رحمه الله:" أي: لا إله في الوجود إلا هو". وهذا التفسير لكلمة التوحيد منه رحمه الله لا شك أنه مخالف لتفسير أئمة السلف من أهل السنة والجماعة.

- تأويله صفة اليدين لله تعالى كما يليق بجلاله، في تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤] حيث قال رحمه الله:" عبارة عن الجود".

  وهذا مذهب المعتزلة والجهمية وطائفة من الأشاعرة الذين يحرفون صفة اليدين لله سبحانه، ويقررون أنها من باب المجاز، وأن معنى غلها، وبسطها إنما هو مجاز عن البخل والجود.

- تأويله صفة العلو بذاته ﷻ، وذلك عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾[الأنعام:١٨]، قال رحمه الله:" أي: مستَعْلٍ عليهم بالقدرة على تصريفهم كيف شاء". وهذا مذهب الأشاعرة الذين يقولون بأن الفوقية هنا: فوقية استعلاء وقهر، لا فوقية مكان.

- تأويله صفة الإتيان لله تعالى يوم القيامة بإتيان أمره وقضائه، كما في تفسير قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾[الأنعام:١٥٨]،

حيث قال رحمه الله: " ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ أي: أمره وقضاؤه". فعفى الله عنه وغفر له ورحمه.(١)

المبحث الخامس: مذهبه الفقهي:

المتتبع لكلام المؤلف، يجزم بأنه شافعي المذهب، ومما يدل على ذلك أنه: نَسَبَ للإمام الشافعي رحمه الله القول ببعض المسائل، وتصريحه باسمه، ونقله لمذهبه، أو مذهب أصحابه، حيث لم يذكر قول أحد من الأئمة ولا مذهب من المذاهب الأربعة المتبوعة سواه، ومن الأمثلة على ذلك:

- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[البقرة:١٩٦]، قال رحمه الله: "والأمر بالحج محمول على الوجوب إجماعًا، وكذا بالعمرة في القول الجديد للشافعي ﷺ".
- وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة:٢٣٨]: "وهي الصبح على مذهب الشافعي ﷺ، لأنها متوسطة بين صلاتي الليل وصلاتي النهار".
- وقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾ [المائدة:٨٩]: " عند الشافعي ﷺ لكل مسكين رطل وثلث".
- وعند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾[البقرة:٢٣٣]، قال رحمه الله: " هو الصبي على مذهب الشافعي ﷺ".

---

(١) ما وقع فيه المصنف قد وقع فيه غيره، وهو الإمام البغوي في: معالم التنزيل، فقد وقع في تأويل بعض الصفات، فاعتُذر عنه أنه لما كان كتابه تلخيصاً للكشف والبيان للثعلبي فلم يسلم من لوثة التأويل.
ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/٣٥٤).

- وقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ [البقرة:٢٨٢]" ومذهب أصحاب الشافعي أنه يجب الأداء على كل متعين الشهادة إذا دُعي من دون مسافة العدوى".
- ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٦]، حيث قال رحمه الله:" وذلك قبل يوم النحر، ولا يجوز في أيام التشريق على القول الجديد للشافعي ﷺ".

فهذه بعض الأمثلة، ويقاس عليها غيرها من أحكام الآيات التي ذكرها.

المبحث السادس: شيوخه وتلاميذه:

أمَّا مَشايخه فمنهم:

- أبو الفتوح العجلي.[١]
- والشيخ شهاب الدين السُّهْرَوَرْدِي،[٢] وغيرهما.

أما تلاميذه فلم أعثر في ترجمته على اسم واحد منهم.

المبحث السابع: مؤلفاته:

أمَّا مؤلفاته فلم أعثر في ترجمته إلا على مؤلَّفَين:

---

(١) تقدم ترجمته ص٧.

(٢) هو أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد، الملقب شهاب الدين السُّهْرَوَرْدِي، بضم السين المهملة وسكون الهاء وفتح الراء والواو وسكون الراء الأخرى وفي آخرها الدال المهملة. هذه النسبة إلى سُهْرَوَرْد، وهي: بلدة قريبة من زَنْجَان بالجبال على حد أذربيجان، من سلالة أبي بكر الصديق ﷺ، كان فقيها شافعي المذهب، شيخًا صالحًا ورعًا كثير الاجتهاد في العبادة. قال ابن تيمية رحمه الله:" الشيخ شهاب الدين السُّهْرَوَرْدِي، من أجلاء المشايخ، وأكثرهم حرصًا على متابعة السنة في أعمالهم". جامع المسائل لابن تيمية (٣٩٤/٤).

ينظر: الأنساب للسمعاني (٣٤٠/٣)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٣٣٨/٨)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٣٨/١٣).

١- سبعة أبحر - في الحديث.[١]

٢- الموجز من موجز التفسير.- وهو الكتاب الذي أقوم بتحقيق جزء منه، وسيأتي الكلام عنه إن شاء الله-)

المبحث الثامن: وفاته:

عاش تاج الدين أحمد بن محمود بن محمد النُّعْماني: (٨٨) سنة.

وذكروا قصة عجيبة في وفاته، ذلك أنه عندما توفي عمر بن محمد بن علي البيضاوي[٢] -والد القاضي عبد الله بن عمر البيضاوي،[٣] صاحب التفسير- خَطَبَ تاج الدين أحمد بن محمود النُّعماني خطبةً بهذه المناسبة، وختم خطبته بأبيات أنشدها بهذه المناسبة، وأخبر أنه هو نفسه ضيف لديهم، وأنه قريب ارتحاله.

فلما كان عصر يوم الخميس أصابته الحُمّى، وعندما أذن المؤذن لصلاة

---

(١) لم أجد حسب اطلاعي مَنْ ذَكَره في كتب المصادر والمصنفات.

(٢) هو أبو القاسم إمام الدين عمر بن محمد بن علي البيضاوي، كان فقيهاً عالماً وقاضياً، ومن المقربين من الأتابك أبي بكر سعد، حاكم شيراز آنذاك، فولاه قضاء القضاة في شيراز، وقد أخذ على عاتقه تلقين ابنه ناصر الدين علوم الفقه وغيرها من العلوم، فكان بحق شيخ ابنه الأول، توفي سنة: (٦٧٥هـ).
ينظر: الغاية القصوى في دراية الفتوى للبيضاوي (٦٢/١)، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٣١٤/٧)، والبيضاوي مفسراً (ص٤٢).

(٣) هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي، ناصر الدين، البيضاوي مولداً - والبيضاء: بلدة مشهورة في بلاد فارس- الشيرازي نشأة، الشافعي مذهبًا، فقيه، مفسر، أصولي، محدث، ولي قضاء القضاة بشيراز، أخذ الفقه عن والده، ومن أشهر تصانيفه: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، وهو المشهور بتفسير البيضاوي. توفي رحمه الله سنة: (٦٨٥ هـ).
ينظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٥٧/٨)، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي (٥٠/٢)، وطبقات المفسرين للداودي (ص٢٥٤).

العصر؛ توضأ تاج الدين، وصلى بالناس، ثم توفي - رحمه الله-

ومن هذا يعرف أن وفاته حدثت بعد أيام من وفاة إمام الدين عمر البيضاوي في سنة (٦٧٥هـ)

وغالب هذه الترجمة مأخوذة ومترجمة من كتاب: لغت نامه دهخدا.[١]

---

(١) لغت نامه دهخدا (٧١/١٣) وهو كتاب باللغة الفارسة عبارة عن موسوعة ضخمة في اللغة والأعلام؛ واسم مؤلفه: (دهخدا) ، ألفه في مدة طويلة تزيد عن أربعين عاماً.

الفصل الثاني
دراسة الكتاب

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: تحقيق اسم الكتاب.

المبحث الثاني: توثيق نسبته لمؤلفه.

المبحث الثالث: منهج المؤلف في الكتاب.

المبحث الرابع: مصادر المؤلف في الكتاب.

المبحث الخامس: قيمة الكتاب العلمية وأهم المآخذ عليه.

المبحث السادس: وصف النسخة المعتمدة في التحقيق، ونماذج منها.

المبحث الأول: تحقيق اسم الكتاب:

جاء على طرة الأصل اسم الكتاب: (**الموجز من موجز التفسير**) بخط المصنف رحمه الله، كما أن المصنف رحمه الله ذكر هذه التسميةَ في المقدمة. وهذان دليلان على أن هذه التسمية صحيحة.

المبحث الثاني: توثيق نسبة الكتاب للمؤلف:

مما يبين صحة نسبة الكتاب إلى مؤلفه ما يلي:

١- أن المؤلف رحمه الله أثبت بنفسه نسبة المخطوط إليه؛ فقال في بداية الكتاب:" وبعد، فهذا مختصر في التفسير، أورد فيه من محض المعاني المتفق عليه الجمهور؛ ومما فيه من الأقاويل أذكر قول بعضهم روماً للإيجاز والاختصار، وحذراً من التطويل والإكثار؛ ليصغر حجمه ....إلى أن قال:" واستخرجته من كتاب الموجز في التفسير للإمام العلامة حجة الإسلام: أبي الفتوح العجلي".[(١)]

وقال في نهاية الكتاب:"كتبه بحمد الله ومنّه عليّ ... أصغر عباد الله – أحمد بن محمود بن محمد النعماني؛ جعله الله علماً نافعاً، وعملاً كاملاً؛ يوم الاثنين، السادس – من الشهر المبارك – رجب، سنة ست وعشرين وستمائة.

٢- لم أجد من نسب الكتابَ إلى غير المؤلف، ولم يدَّعيه أحدٌ.

٣- أن المفهرسين للمخطوطات نسبوه إلى المؤلف رحمه الله، ومن ذلك:

أ-مُفهْرسو مكتبات تشستربيتي، ومكتبة جامعة الإمام، ومكتبة الإسكندرية، وغيرها.

ب- مُفهرسو مركز الدِّراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف[(٢)].

---

(١) تقدم ترجمته ص٧.

(٢) فهرست مصنفات تفسير القرآن الكريم؛ مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (١٢٧٩/٣).

المبحث الثالث: منهج المؤلف في كتابه:

ألف الإمامُ أحمد بن محمود بن محمد النُّعْماني كتابه: (**الموجز من موجز التفسير**)، ونهج فيه منهجاً مختصراً مفيداً للقارئ، لا يظهر لمن قرأه خَلَلٌ بسبب إيجازه، بل إنه يجمع له معانٍ قَيِّمةً ربما تفوتُ عليه عند قراءته للمطولات لأنها قد لا تُعرضُ بطريقةٍ لافتة للانتباه. ومَن اطَّلع في هذا التفسير فسيرى ذلك واضحاً جليّاً من أول وهْله.

وهذا التفسير يصدق أنْ يُوصف بالمتوسط، فلا هو بالمختصر الموجز، ولا هو بالمطول المبسوط، ولكنه إلى الاختصار أقرب. ومن الأدلة التي تدل على أن مؤلفه سلك مسلك الإيجاز لا التطويل، ما يلي:

١- عدم ذِكْره الخلافَ، وبُعْدِه عن الاستطراد في المسائل، أو نسبتها إلى قائليها؛ بل يكتفي بذكر قولٍ واحد هو الراجح لديه.

٢- أن هذا التفسير على كِبرِ حَجْمِه، فقد كان خِلواً من ذِكرِ أسماءِ الكتب ومُصَنِّفيها إلا ما ندر.

٣- عدم تعرض المصنف للخلافات اللغوية، وعلل النحو، وعدم تعرضه للقراءات، واختلافها.

٤- لا يكاد يوجد في هذا التفسير بيتٌ واحد من الشعر. وهذه دلائل على أن مصنفه قد سلك في تفسيره مسلك الاختصار.

وقد نهج المؤلف رحمه الله في تفسيره منهجاً مؤصلاً ومناسباً، يفهمه المبتدئُ ويستفيد منه المتقدم، يتلخص ذلك فيما يأتي:

١- رتَّب النعمانيُّ رحمه الله تفسيره على حسب ترتيب سُورِ المصحف الشريف، ابتداءً بسورة الفاتحة، وانتهاءً بسورة الناس.

٢- سلك النعمانيُّ رحمه الله في تفسيره مسلك التقطيع والاجتزاء؛ فكان يفسر القرآن جملةً جملةً، فيفسر أهم الجُمل فيها، ويترك الواضح منها دون تفسير. بل إنه

أحياناً كثيرة لا يورد الآية كلها، بل يورد بعضها، ثم يُفسر ما يحتاج إلى تفسير — في نظره – من جُملها ومُفرداتها.

٣- يشرح الآية شرحاً مبسطاً ومُحرَّراً في الوقت نفسه، يبين فيه معنى الآية جامعاً بين الإيجاز والبيان.

٤- يوضِّح ما في الآية من الغريب، مبيناً أصل الكلمة، واستخدامها في لغة العرب.

والنعمانيّ رحمه الله لم يكن مجرد ناقل، وليس عملُه في الكتاب النقل فقط، نعم! هو نَقَل عن غيره، ولكنه كان مُمحِّصاً، يميِّز بين الأقاويل، لا يذكر إلا ما تدعو الحاجة إليه، مُعرضاً عن الضعيف والشاذ.

هذا وقد اعتمد المصنف رحمه الله في تفسيره على عدة أمور من أهمها:

أولاً: التفسيرَ بالمأثور: جمع النُّعماني في تفسيره بين المأثور والرأي، ولم يتخلّف عن تطبيق القواعد العامة التي قررها العلماء في تفسير القرآن الكريم،[1] وإنما سار عليها وفق منهجية علمية اختارها لنفسه. ويتضحُ ذلك بجلاءٍ من خلال ما يلي:

١- **تفسير القرآن بالقرآن:**

لقد اعتمد النعماني على القرآن نفسه في تبيين مبهمه، وتفصيل مجمله، وتفسير غامضه، والاستدلال على ما يذهب إليه من وجوه التفسير.

وللتدليل على ذلك لا بد من إيراد نماذج من تفسيره.

فمن الأمثلة على اعتماده على القرآن الكريم في تفسير ما غمض، وتفصيل ما أجمل، وتبسيط ما اختصر:

– ما قاله في تفسير قوله تعالى:﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [الفاتحة:٧]، قال رحمه الله:" يعني: طريق الذين مننت عليهم بالتوفيق والهداية بقولك:﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم ﴾[النساء:٦٩] الآية.

(١) ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٦٣/١٤)، ومقدمة تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/١).

- وفي تفسير العهد الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾[البقرة:٢٧] الآية. قال رحمه الله:" أي: عهد الله إليهم يوم الميثاق بقوله:﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف:١٧٢].

- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ [آل عمران:٥٠]. قال رحمه الله:" وذلك كتحليل العمل في السبت، وأكل الشحوم، وغير ذلك مما أحل الله ﷻ لهم على لسان عيسى عليه السلام كما قال: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾[الأنعام:١٤٦] الآية".

- وعند تفسير قوله تعالى:﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا ﴾[النساء:١٤٠]. قال رحمه الله:" يعني بذلك قوله تعالى في سورة الأنعام:﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾[الأنعام:٦٨]. الآية".

- ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ﴾[الأعراف:٤٦] حيث قال رحمه الله:"يعني: بين الجنة والنار حجاب، أي: حاجز، وهو السُّور الذي ذكره الله تعالى في قوله:﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ ﴾[الحديد:١٣]، والله أعلم".

٢- **تفسير القرآن بالسنة:**

ولما كانت السنة مبينةً للقرآن وشارحةً له لقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٤٤]، فإن النعماني رحمه الله، يعتمد على السنة ويستمد منها تفسيره لكثير من الآيات القرآنية، ويستدل بها على قضايا تفسيرية عديدة غير أن طريقة عرضه للنصوص الحديثية تختلف من مكان إلى مكان، فقد يذكر النص بكامله، وقد يقتصر على ما به يتم الاستدلال، وأحيانًا يذكر في تفسيره للآيات معاني أحاديث وردت عن رسول الله

ﷺ من غير أن يشير إلى ذلك. ويتبين لنا ذلك من خلال الأمثلة التي أسوقها في هذا المجال.

فمن الأمثلة على ما يقوم به النُّعماني رحمه الله في تفسير القرآن بما ورد عن النبي ﷺ أنه:

* عند تفسير قوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٤٣]، قال رحمه الله: " روي: أنهم مرُّوا بجنازة فأثنوا عليها خيرًا فقال النبي ﷺ:« وجبت »، ثم مرُّوا بأخرى فأثنوا عليها شرًّا فقال النبي ﷺ: « وجبت »، فقال عمر رضي الله عنه: ما وجبت؟ قال: « هذا أثنيتم عليه خيرًا فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شرًّا فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض ».(١)

* وعند تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾[البقرة:١٨٩]، قال رحمه الله:" سئل النبي ﷺ عن الهلال في بدئه دقيقًا، وعن عظمه بعده، وعن رجوعه دقيقًا كالعرجون القديم".(٢)

* وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[آل عمران:٧٩]،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٦٠/١)، برقم: (١٣٠١) كتاب الجنائز/باب ثناء الناس على الميت. ومسلم في صحيحه (٦٥٥/٢)، برقم: (٩٤٩) كتاب الجنائز/باب فيمن يثنى عليه خير أو شر من الناس، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرج أبو نعيم الأصبهاني في معرفة الصحابة (٣٩٣/١)، برقم (١٤٠٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٥/١) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ونقله الواحدي في أسباب النزول (ص١٦٢) عن الكلبي رحمه الله، بلفظ:" نزلت في معاذ بن جبل، وثعلبة بن غنمة، الأنصاريين رضي الله عنهما قالا: يا رسول الله! ما بال الهلال يبدوا دقيقاً مثل الخيط ثم يزيد حتّى يمتلىء ويستوي؛ ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ؛ لا يكون على حالة واحدة، فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾". وضعفه ابن حجر رحمه الله في العجاب (٤٥٥/١)، وقال السيوطي في الدر المنثور (٤٩٠/١):" أخرج ابن عساكر بسند ضعيف".

يقول رحمه‌الله:" قال أبو رافع القُرظي من اليهود: يا محمد! أتريد أن نتخذك ربًّا؟ فقال: معاذ الله أن نعبد غير الله، فأنزل الله هذه الآية".(١)

* وقال عند تفسير قوله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام:٨٢]الآية." أي: بشرك". إشارة إلى حديثٍ ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله! أينا لا يظلم نفسه؟ قال: « ليس ذلك؛ إنما هو: الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان:١٣] ».(٢)

* وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾[الأنفال:٦٠] قال رحمه الله:" أي: مِنْ رمي". وهو يشير بهذا إلى حديث عقبة بنِ عامر ﷺ أنه قال:" سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول:﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾، « ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي».(٣)

* وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ﴾[الأنعام:١٤١]. قال رحمه الله:" أي: العُشر أو نصف العُشر". ويشير بذلك إلى حديث النبي ﷺ: « فيما سقت السماء والعيون، أو كان عثَريًّا العُشر، وما سُقي بالنَّضح نصف

---

(١)رواه ابن هشام في السيرة النبوية (٩١/٣) عن ابن إسحاق، والطبري في جامع البيان (٣٢٥/٣)، وابن المنذر في تفسيره (٢٦٦/١)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٦٩٣/٢)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٠١/٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣٨٤/٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وحسن إسناده الدكتور حكمت في التفسير الصحيح (٤٣/٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٦٢/٣)، برقم: (٣٢٤٦) كتاب الأنبياء/ باب قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ﴾، ومسلم (١١٤/١)، برقم: (١٢٤) كتاب الإيمان/باب صدق الإيمان وإخلاصه.

(٣) أخرجه مسلم (١٥٢٢/٣)، برقم: (١٩١٧)، كتاب الإمارة/باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه.

العُشر».[1]

* وأحيانا يورد النُّعماني رحمه الله الحديثَ الذي يتضمن تفسيرَ الآية كاملاً، كما فعل ذلك في حادثة الإفك، في تفسير قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ﴾[النور:١١].

* أو يُورد جزءً منه مما يدلُّ على المعنى، كما في تفسير قوله تعالى:﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾[الأنعام:٧٣]. قال رحمه الله:" والصور: قرن يُنْفَخ فيه".

ويشير بذلك إلى جزء من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما[2] قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور؟ قال: «قرنٌ يُنْفَخ فيه».[3]

---

(١) أخرجه البخاري (٢/٥٤٠)، برقم: (١٤١٢) كتاب الزكاة/باب العُشر فيما يسقى من ماء السماء وبالماء الجاري، ومسلم (٢/٦٧٥)، برقم: (٩٨١) كتاب الزكاة/باب ما فيه العُشر أو نصف العُشر، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) هو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي أبو محمد، كان من خيار الصحابة وعلمائهم وعبادهم، وكتب عن النبي ﷺ كثيرا، أسلم قبل أبيه ولم يكن أصغر من أبيه إلا باثني عشرة سنة، وكان واسع العلم مجتهدًا في العبادة عاقلا، وكان يقوم الليل، ويصوم يوما ويفطر يوما، توفي بمصر سنة: (٦٣هـ).

ينظر: الطبقات كبرى لابن سعد (٧/٤٩٤)، والبداية والنهاية لابن كثير (٨/٢٦٣)، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤/١٩٢).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢/١٦٢)، برقم: (٦٥٠٧)، وأبو داود في سننه (٤/٢٢٣٦)، برقم: (٤٧٤٢) كتاب السنة/باب في ذكر البعث والصور، والترمذي في سننه (٤/٦٢٠)، برقم: (٢٤٣٠) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع / باب ما جاء في شأن الصور، وقال: "هذا حديث حسن"، والنسائي في الكبرى (٦/٣٩٢)، برقم: (١١٣١٢)، كتاب التفسير/ سورة الكهف، قوله تعالى:﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾[الكهف:٩٩]، والحاكم في المستدرك (٢/٤٧٣)، برقم: (٣٦٣١)، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". وصححه ابن كثير في تفسيره (٣/١٦٦)، وابن حجر في الفتح (٨/٢٨٩).

٣- **تفسيره بالمأثور عن السلف:**

تقدم أن النُّعماني رحمه الله جمع في كتابه " **الموجز من موجز التفسير**" بين التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، حينما احتوى عليه تفسيره من أقوال عظماء الصحابة، وعلماء التابعين، واهتم بنقل تفسيراتهم في مختلف الأمور كمعاني الكلمات، وأسباب النزول، والقصص، وغير ذلك مما يتعلق بتفسير الآية.

ومن الأمثلة على ما ذكرت:

* أنه عند تفسير قوله تعالى:﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾ [البقرة:٢٦٧]. قال رحمه الله:" قال البراء ﷺ[1]:" لو أن أحدكم أُهدي إليه مثل ما أعطى لم يأخذه إلا على إغماضٍ وحياء، قال:"وكنا بعد ذلك يأتي أحدنا بصالح ما عنده".

* وعند تفسير قوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾[آل عمران:١٦١]. قال رحمه الله:" تفسيره في أثر ابن مسعود ﷺ[2] أنه قال: القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الدَّين يؤتى به يوم القيامة".[3]

---

(١) هو: البراء بن عازب بن الحارث بن عدي، أبو عمارة، الخزرجي الأنصاري، من أصحاب الفتوح، أسلم صغيراً، وغزا مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوة، ولما ولي عثمان الخلافة جعله أميراً على الريّ، مات ﷺ في ولاية مصعب بن الزبير على العراق سنة: ٧٢ هـ.

ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣٦٤/٤)، وأسد الغابة لابن الأثير (٢٥٨/١)، وتهذيب الأسماء للنووي (١٤٠/١).

(٢) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي ﷺ، أبو عبد الرحمن، من أكابر الصحابة فضلاً وعقلا، ومن السابقين إلى الإسلام، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، كان ملازما لرسول الله ﷺ، وكان من أقرب الناس إليه هديًا ودلاً وسمتًا، أخذ من فيه سبعين سورة، توفي بالمدينة سنة: ٣٢ هـ.

ينظر: أسد الغابة لابن الأثير (٣٩٤/٣)، وتهذيب الكمال للمزي (١٢١/١٦)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٤٦١/١).

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبيﷺ

* وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ قال رحمه الله:" وفي صحيح البخاري عن مجاهد[(١)] أنه قال: استوى: علا ".

والنُّعماني رحمه الله كثيرًا ما يذكر أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المفسرين إلا أنها غير مسندة إليهم، رومًا للاختصار، وهذا هو الغالب والمطرد في تفسيره، ومن خلال عملي في تحقيق هذا التفسير، ودراسة مسائله ومقارنتها بما ورد عن السلف، فما رأيته رحمه الله خرج عن أقوالهم، سوى ما وقع فيه من تأويل لبعض الصفات، والله يعفو عنه.
ومن الأمثلة على ذلك:

* أنه عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ﴾ [البقرة:١٢٥]، قال رحمه الله:" أي: من الأوثان والمعاصي، ومما لا يحبه الله".

وما ذكره النُّعماني رحمه الله هو قول ابن عباس رضي الله عنهما، وعبيد بن عمير، ومجاهد، وقتادة، وسعيد بن جبير، رحمهم الله تعالى.[(٢)]

* وقال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ﴾[البقرة:٢٤٩].
قال:" هو نهر فلسطين". وهذا هو المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، والسدي رحمه الله.[(٣)]

* وعند تفسير قوله تعالى: ﴿يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ﴾ [آل عمران:٧٨]. قال رحمه

قال: «القتل في سبيل الله يكفِّر كلَّ شيء إلا الدَّين». (صحيح مسلم (٣/١٥٠٢)، برقم: (١٨٨٦) كتاب الإمارة/باب من قُتل في سبيل الله كفِّرت خطاياه إلا الدين).

(١) هو مجاهد بن جبر بن السائب المخزومي، أبو الحجاج، شيخ القراء والمفسرين، روى عن ابن عباس رضي الله عنهما فأكثر وأطاب، توفي سنة: ١٠٤ هـ.
ينظر: تهذيب الأسماء للنووي (٢/٣٩٠)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٤٤٩)،

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (١/٥٣٨)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١/٢٢٧)، والكشف والبيان للثعلبي (١/٢٧٢).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٦١٩)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٢/٤٧٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٢/٢١٦).

الله:" أي: يحرفون الكتاب". وما ذكره رحمه الله هو قول جماهير المفسرين، وهو مروي عن مجاهد، والشعبي، والحسن، وقتادة، والربيع بن أنس، وغيرهم.(١)

* وعند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء:١٠٣]. قال رحمه الله:" أي فرضًا مؤقتًا". وهذا التفسير قال به الجمهور، وهو مروي عن: ابن مسعود، وابن عباس ﷺ، ومجاهد، والسدي، وقتادة، وزيد بن أسلم.(٢)

* وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨]. " أي: سبيلًا وسنّة". وما قاله رحمه الله هو قول أكثر المفسرين: وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة، والضحاك، والحسن، ومجاهد.(٣)

* وعند تفسير قوله تعالى:﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ [الأنعام: ١٥٧]. قال النُّعماني رحمه الله:" أي: أعرض". وهذا التفسير مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، وقتادة، وعطاء.(٤)

* وعند تفسير قوله تعالى:﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف:٢٩]. قال رحمه الله:" أي: من ابتدأ الله خلقه على الشِّقوة صار إلى ذلك، وإن عمل بأعمال السعداء، ومن ابتدأ خلقه على السعادة صار إلى ما ابتدأ عليه خلقه، وإن عمل بأعمال أهل الأشقياء".

وما قاله النُّعماني رحمه الله في تفسير هذه الآية هو قول محمد بن كعب وروي عن ابن

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٢٣/٣)، وتفسير ابن المنذر (٢٦٥/١)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٦٨٩/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١٠٠/٣).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٦١/٥)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٠٥٧/٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٧٤/٥).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٧٠/٦)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١١٥٢/٤)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١٧٧١/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٣/٢).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٩٥/٨)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٤٢٦/٥)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٥٨/٤).

عباس رضي الله عنهما، وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما، ومجاهد، والسدي نحو ذلك.(١)

هذا والأمثلة على موافقة المؤلف رحمه الله لتفسير السلف من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان كثيرة جدًا، وحسب القلادة ما أحاط بالعنق.

ثانيًا: أسباب النزول:

يُعنى النُّعماني رحمه الله بأسباب النزول؛ لأنها توضِّح القصة أو الحادثة التي نزلت بشأنها الآية، وهي طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز، وكشف الغموض التي يكتنف بعض الآيات والسور.

يقول الواحدي:"لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها، وبيان نزولها".(٢)

ويقول ابن تيمية:" معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب".(٣)

وطريقته في عرضها: أنه يوردها بعبارات مختلفة، وصيغ عديدة. قد تكون صريحة مثل: سبب نزول الآية كذا، أو روي كذا فنزلت، وقد تكون غير ذلك، مثل: نزلت الآية في كذا. وغالبًا ما يختصرها ويذكر مضامينها بعباراته، من غير ذكر للراوي، وأحيانًا يذكر الراوي الذي روي سبب النزول عن طريقه.

ومن الأمثلة على ما ذكرت:

* أنه عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام:٩١]. قال رحمه الله:"سبب نزولها: أن رجلًا من اليهود يقال له: مالك بن

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١٥٦/٨)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٤٦٢/٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٢٦/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٥٦/٢).

(٢) أسباب النزول (ص٩٦).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٣٩/١٣).

الصيف[1] جاء يخاصم النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: «أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى، أما تجد في التوراة: أن الله يُبغض الحبر السمين»، وكان حبرًا سمينًا، فغضب فقال: والله ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾، فأنزل الله تعالى:﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾".[2]

* وعند تفسير قوله تعالى: قوله: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:١٠٨]. قال رحمه الله في سبب نزوله:"سبب نزولها: أن المشركين قالوا: يا

---

(١) هو مالك بن الصيف اليهودي، كان من قريظة ومن أحبار اليهود ورؤسائهم، وكان رجلاً سميناً، مفتخراً بكونه يهودياً متظاهراً بذلك، شديد الخصومة لرسول الله ﷺ.

ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (٨٤/٣)، وجامع البيان للطبري (٢٦٧/٧)، وهداية الحيارى لابن القيم (١٨٥/١).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٦٧/٧)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١٣٤٢/٤)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (١٦٨/٤)، ومكي بن أبي طالب في تفسير الهداية (٢٠٩٩/٣)، والواحدي في أسباب النزول (ص٣٧٥) عن سعيد بن جبير مرسلًا.قال الشنقيطي رحمه الله:" فيه نظر؛ لأنه لم يصح مرفوعاً". أضواء البيان (٣٥٤/٣). وقال الألوسي رحمه الله:" أن هذه السورة مكية، والمناظرات التي وقعت بين رسول الله ﷺ وبين اليهود كلها مدنية، فلا يتأتى القول بأن الآية نزلت في اليهود". روح المعاني (٢١٩/٧). وعند النظر فيما سبق يتبين ترجيح ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما في رواية، ومجاهد، وعبد الله بن كثير، وهو اختيار الطبري، وابن كثير: من أن الآية نزلت في قريش، لأن السورة مكية والمخاطبون في ذلك الوقت هم المشركون في مكة، ولأن اليهود لا ينكرون إنزال الكتب من السماء؛ وقريش والعرب وطائفة قاطبة كانوا ينكرون إرسال محمد ﷺ لأنه من البشر، وكذلك السياق القرآني، فإن الحديث من أول السورة إلى هذا الموضع خبرًا عن المشركين من عبدة الأوثان، وإدخال الكلام في معاني ما قبله أولى من الخروج عنه.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٦٦/٧)، والكشف والبيان للثعلبي (١٦٨/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (١١٤/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٥٧/٢)، وقواعد الترجيح عند المفسرين للحربي (١٢٥/١).

محمد! لتَنْتهينَّ عن سبّ آلهتنا، أو لنهجُونَّ ربك، فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم".[١]

* وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ [البقرة:١٧٤]. قال رحمه الله:" نزلت: في رؤساء اليهود وعلمائهم، كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا، فخافوا إن آمنوا بمحمد ﷺ أن يذهب مآكلهم، وتبطل رئاستهم، فغيَّروا صفة رسول الله ﷺ، ثم أخرجوها إليهم وقالوا: هذا نعت النبي الذي يخرج في آخر الزمان، فنزلت هذه الآية في ذمِّهم".[٢]

* وفي تفسير قوله تعالى:﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةً ﴾[آل عمران:٢٨].

قال رحمه الله:"نزلت في جماعة من المؤمنين، بطن بهم الكفار ليفتنوهم عن دينهم، فقيل لهؤلاء المؤمنين: اجتنبوا لزومهم ومباطنتهم،[٣] لا يفتنوكم عن دينكم، فأبوا إلا

---

(١) روى ذلك الطبري في جامع البيان (٣٠٩/٧)، وابن أبي حاتم في تفسير القران (١٣٦٦/٤)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان(١٧٨/٤)، ومكي بن أبي طالب في تفسير الهدية (٢١٤٢/٣)، والواحدي في أسباب النزول (ص٣٧٧)، والبغوي في معالم التنزيل (١٢١/٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وحسن سنده الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٤٠٦/٢).

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤٧/٢)، والواحدي في أسباب النزول (ص١٥٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وضعفه السيوطي في الدر المنثور (٤٠٩/١). وروى ابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٢٨٥/١) عن أبي العالية قال: "هم أهل الكتاب، كتموا ما أنزل الله عليهم في كتابهم من الحق والهدى والإسلام وشأن محمد ﷺ ونعته". وروى الطبري في جامع البيان (٨٩/٢) عن عكرمة، وقتادة، والسدي، والربيع بن أنس، نحو ذلك.

(٣) المباطنة: مأخوذ من البطانة، والبطانة في الثوب بإزاء الظهارة، ويستعار لمن يختصه الإنسان كالشعار والدثار، وبطانة الرجل: خاصته، والذين يستنبطون أمره ، ومنه: البطانة في الثوب؛ لأنه يلي البطن والباطن.

ينظر: العين للخليل (٤٤٠/٧)، ومقاييس اللغة لابن فارس (٢٥٨/١)"بطن"، والبحر المحيط لأبي حيان (٣٥/٣)،

ملازمتهم، فنزلت هذه الآية.(١)

* وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة:٨١]. قال رحمه الله:" وذلك أن نعمان بن أضاء، وبحر بن عمرو، وشاس بن عدي،(٢) أتوا النبي ﷺ فكلموه، فكلمهم رسول الله ﷺ، ودعاهم إلى الله وحذرهم نقمته، فقالوا: ما تخوفنا يا محمد، نحن والله أبناء الله وأحباؤه، فنزلت الآية.(٣)

ثالثًا: عنايته باللغة العربية من حيث: الإعراب، والاشتقاق، والبلاغة، وغير ذلك.

القارئ لتفسير النُّعماني رحمه الله يجد أنَّ مؤلفه لم يتخلف قط في اهتمامه بالمسائل اللغوية والأساليب العربية عن غيره من المفسرين، لهذا كان اهتمام المؤلف رحمه الله بالجانب اللغوي بارزاً في تفسيره فعرض للمفردات الغريبة، واشتقاق الكلمات وتركيبها، والمسائل

---

(١) روى هذا السبب الطبري في جامع البيان (٢٢٨/٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وابن المنذر في تفسيره (١٦٥/١)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٦٢٩/٢)، والواحدي في أسباب النزول (ص٢٢٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومحمد بن إسحاق رحمه الله، بلفظ:"كان الحجاج بن عمرو حليف كعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق، وقيس بن زيد، قد بطنوا بنفر من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم، فقال رفاعة بن المنذر بن زبير، وعبد الله بن جبير، وسعد بن خيثمة لأولئك النفر: اجتنبوا هؤلاء اليهود واحذروا لزومهم ومباطنتهم، لا يفتنوكم عن دينكم، فأبى أولئك النفر إلا مباطنتهم ولزومهم، فأنزل الله ﷻ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾".

(٢) نعمان بن أضاء، وبحري بن عمرو، وشاس بن عدي، هؤلاء من يهود بني قينقاع، وكانوا أشد اليهود عداء للنبي ﷺ .

ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (١٠١/٣)، ونهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري (٢٧٠/١٦)، والسيرة النبوية لابن كثير (٣٤٣/٢).

(٣) ذكره ابن هشام في السيرة النبوية (١٠١/٣)، والطبري في جامع البيان (١٦٤/٦)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥٣٥/٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وحسن إسناده الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٢٩٦/٢).

النحوية، والنكات البلاغية، وإليك أمثلة توضح منهجه في ذلك:

١- عنايته بالمفردات الغريبة:

اعتنى النُّعماني رحمه الله ببيان معاني مفردات الآية، وذكر ما قد يكون من فروق بين الكلمات. فمن الأمثلة على ذلك:

* عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ [الأنعام:٩٨]. قال رحمه الله:" المعنى: فلكم مستقر، أي: استقرار وموضع قرار. ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ أي: حيث يموت".

* وذكر عند تفسير قوله تعالى:"﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾[الأعراف:٥٤]. حيث قال:" أي: مُسرعا، أي: يجيء عقيبه مسرعًا".

* وعند تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ﴾[النساء:٧١]. قال:" أي: أخرجوا إلى الجهاد جماعات، ﴿أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا﴾ أي: مجتمعين كلُّكم، أي: أخرجوا سرايا أو مجتمعين".

٢- ذكره لاشتقاق الكلمات وتصريفها:

اهتم النُّعماني ببيان أصول الكلمات اللغوية التي اشتقت منها، وبيان أثر ذلك في معنى الآية. ومن الأمثلة على ذلك:

* أنه عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة:١٨٣]. قال رحمه الله:"أصل الصوم في اللغة: الإمساك، ويقال للرجل إذا أمسك عن الكلام وصمت: صام، فالصوم هو: الإمساك عن المعتاد من الطعام

والشراب والجماع".

* وقال رحمه الله: "ومعنى قوله: ﴿عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران:٤]: أنه إذا عذب الكافرين انتقامًا منهم لم يمنعه من ذلك مانع؛ لأنَّه عزيز. ونقم: أنكر، وانتقم: كافأ عقوبة".

* وعند تفسير قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ [المائدة:٦]. قال رحمه الله: "كناية عن مكان الحدث، والغِيطَانُ: ما انخفض من الأرض".

* وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة:٧٥]. قال: "يصرفون عن وجه الحق. وأصل الإفك: القلب من وجه إلى وجه، ومن حالة إلى حالة".

٢- وجوه الإعراب:

عرض النعماني رحمه الله لإعراب بعض الآيات وتوجيهها، فمن ذلك:

* ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [آل عمران:١١١]. حيث قال رحمه الله: " تقديره: ثم هم لا ينصرون".

* وعند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ﴾ [النساء:١٧٣]. قال رحمه الله: "تقديره: إن هلك امرؤ".

* وعند ما فسر قوله تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ [النساء:١٢٢]. قال رحمه الله: "كأنه ذكر الفعل مؤكدًا بالمصدر، ووصف بكونه حقًا زيادةً في التوكيد والتحقيق".

* وعند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [المائدة:٧٦]. قال رحمه الله: "إنما ذكر بكلمة: ﴿مَا لَا﴾ بـ﴿مِن﴾ لأنه الجنس، كأنه قال: الجنس الذي منه عيسى عليه السلام لا يستحق الإلهية، لعجزه عن الضر والنفع".

٣- إيراده للنكات البلاغية:

يشير النُّعماني رحمه الله أثناء تفسيره لبعض الآيات إلى بعض النكات البلاغية، ومن ذلك:

* أنه عند تفسير قوله تعالى:﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [المائدة:٩٢]. قال رحمه الله:"إيجاز فيه بلاغة حسنة، والتقدير:﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ وجبت عليكم كلمة العذاب؛ لأن رسولنا قد أبلغكم كل ما وجبت به الحجة عليكم، وأمركم ووعدكم وأوعدكم، وعلى رسوله أن يبلِّغ عن الله تعالى ذلك، وقد فعل، فإن توليتم بعد ذلك لم يكن لكم عذر، واستحققتم العذاب".

* وعند تفسيره لقوله تعالى:

رابعاً: موقِفُه من الإسرائيليات:

قبل أنْ أذكر موقفَ المصنِّف من الإسرائيليات أُنبِّه هنا إلى الموقف الصحيح في التعامل مع الإسرائيليات، ذلك أن الناظر في مناهج المفسرين والمؤلفين من عصر السلف إلى هذا العصر يرى أن الموقفَ يتجاذبُه فريقانِ بينهما وسط؛ حيث يرى البعضُ ضرورة البعد عنها، وتنقية كتب التفسير منها جُملةً وتفصيلاً.

وفريقٌ آخر يعتمدون عليها ويُفسرون كثيراً من الآيات بموجبها، بل ويعدونها مصدراً من مصادر التفسير.

والرأي الصواب هو القول الوسط، وأن هذه القَصَص والأخبار الإسرائيلية لا مانع من ذكرها، والاستئناس بإيرادها -لا الاعتمادَ عليها- ما دَامَتْ لا تُخالفُ الكتابَ والسنّة ومقاصدهما، ولا تُعَارض العقل السليم. يقول ابن تيمية رحمه الله: "ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، فإنها على ثلاثة أقسام:

أحدُها: ما عَلِمْنَا صِحَّتَه مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح.

والثاني: ما عَلِمْنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مُسْكوتٌ عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا

نكذبه وتجوز حكايته؛ لما تقدم. وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تَعُود إلى أَمْرٍ دِينِي؛ ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيرا. ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك"(١).

وقال ابن العربي في حديثه عن الإسرائيليات وما داخلها من زيادة أو نقصان: "انظروا إليه فما وافق منه ظاهر القرآن فهو صحيح، وما خالفه فهو باطل، وما لم يَرِدْ له فيه ذِكْرٌ فهو مُحْتَمَلٌ، ربك أعلم به"(٢).

وهذا هو المنهج الذي سار عليه المصنف حيث يذكر بعض الأخبار الإسرائيلية أحياناً، وفي الوقت نفسه نراه يعرض عن كثير منها. وقد نبهت على هذه الإسرائيليات في مواضعها من التفسير، وأكتفي هنا بذكر بعض الأمثلة، ومن ذلك أنه:

* عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة:١٠٢]. قال رحمه الله:" وذلك أنَّ آصف(٣) كاتب سليمان عليه السلام، كان يعلم الاسم الأعظم، وكان كلُّ شيءٍ يأمر به سليمانُ عليه السلام أنْ يكتبه فيدفنُه تحت كرسيه، فلما مات سليمان عليه السلام أخرجته الشياطين، وكتبوا بين كلّ سطرين سحرًا وكفرًا وكذبًا، وقالوا: هذه التي كان سليمان يعمل بها. فأكفره جهّال الناس وسفهاؤهم وسبُّوه، ووقف علماؤهم، فلم يزل جهَّالهم

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/٣٦٦).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي (٣/٢٦٥).

(٣) هو آصف بن برخيا بن شمعيا، واسمه: ناطورا، كاتب سليمان عليه السلام، وابن خالته، وكان صدِّيقا عالماً في بني إسرائيل، وكان لا يُرَدّ من باب سليمان عليه السلام متى أراد دخوله من ليل أو نهار، وغالب ما ورد في أخباره منقولٌ عن بني إسرائيل.

ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري (١٤/١٠٢)، والبداية والنهاية لابن كثير (٢/٢٣)، والروض المعطار في خبر الأقطار للحميري (ص٣٧٤).

يسبُّونه حتى أنزل الله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾".

* وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة:١١٥]. قال رحمه الله:"ورد في التفسير: أنهم شكُّوا وشكَّكوا الناس فيها، فمسخ الله منهم ثلاثة وثلاثين ألفًا خنازير، أعاذنا الله من أسباب الشقاوة. ثم لما سأل الحواريُّون عيسى عليه السلام أن يُنزل الله تعالى لهم المائدة، قام عيسى عليه السلام فألقى الصوف عنه، ولبس الشعر والتَحَفَه، ووضع يمينه على شماله، ووضعهما على صدره، وصفّ بين قدميه، وألزق الكعب بالكعب، والإبهام بالإبهام، وخفض برأسه خاشعًا، ثم أرسل عينيه بالبكاء حتى سالت الدموع على لحيته، فجعلت تقطر على صدره، فقال: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ﴾[المائدة:١١٤]".

* وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ [الأعراف:١٧٥]. قال رحمه الله:" هو: بلعم بن باعوراء من بني إسرائيل، وكان قصته: أن موسى لما قصد حرب الجبّارين، ونزل أرض بني كَنْعَان من أرض الشام، أتى قوم بلعم إلى بلعم، وكان عنده اسم الله الأعظم، فقالوا: إن موسى رجل حديد، ومعه جنود كثيرة، وإنه قد جاء يخرجنا عن بلادنا ويقتلنا، ويحلّها بني إسرائيل، وإنا قومك وبنو عمك، وليس لنا منزل، وأنت رجلٌ مجاب الدعوة، فاخرج وادع الله أن يردّ عنا موسى وقومه....". ألخ القصة الإسرائيلية.

خامساً: عنايته بالناسخ والمنسوخ:

لهذا الموضوع أهمية عظيمة، لذلك قال الزركشي:" والعلم به عظيم الشأن".[1]

وقرر الأئمة أنه لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله تعالى إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ.[2] واعتنى النُّعماني رحمه الله في تفسيره بالناسخ والمنسوخ حيث بيَّن ما في الآيات من نَسخٍ إن وُجد، إلا أنه يُلحظ عليه أنه قد حَكَمَ على بعض الآيات أنها منسوخة بآية السيف، وهي غير منسوخة – على الصحيح–، وقد بيَّنت ذلك في مواضعه من التفسير، وأكتفي هنا بذكر المثال فقط، ومن أمثلة ذلك:

- ما ذكره عند قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ [البقرة:٢٤٠]. قال رحمه الله:" والآية منسوخة بآية العدة وآية الميراث".

- وقال عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ ﴾[المائدة:١٣]. قال رحمه الله:" منسوخ بآية القتال".

- وعند تفسيره لقوله تعالى:﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام:١٠٦]. قال رحمه الله:"أي: فلا تعاقبهم، وهذا منسوخ بآية السيف".

سادسًا: الاسْتِنْبَاطاتُ:

مما امتاز به النعُّماني رحمه الله أنه عندما يجد آية قرآنية فيها دليل على مسألة ما، فإنه يستدل بتلك الآية على تلك المسألة، ويستنبط منها حكمًا ما، وهي سِمَةٌ ظاهرة في هذا التفسير؛ وإليك نماذج من هذا النوع:

- أنه عند تفسير قوله تعالى:﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٢/٢٨).

(٢) ينظر: الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام (ص٤)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (١/٤٠).

وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾[البقرة:٩٨]. قال رحمه الله تعالى: " وقوله: ﴿ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ دليل على أنهم بهذه العداوة كافرون". .

- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾[آل عمران:٤٤]. قال رحمه الله:" وهذا دليل ثبوت نبوة النبي ﷺ، لأنه أنبأ بما لا يُعلم إلا من كتاب أو وحي، والنبي ﷺ كان أُمّيًّا، فإنباؤه إياهم بالأخبار التي في كتبهم على حقيقتها من غير قراءة الكتب دليل على أنه نبي، وأن الله أوحى إليه بها".

- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ﴾[النساء:٧٠]. حيث قال: "هذا دليل على أنهم نالوا الدرجات بفضل الله، وإن كان لهم أعمال حسنة قبلت، إنه لا يجب على الله إثابة المطيع، كما يقوله بعض الناس".

- وعند تفسيره لقوله تعالى:﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا ﴾[المائدة:٩٥]. قال رحمه الله: إنما قيده بالعمد مع أن قاتل الصيد خطأ ضامن أيضا؛ لأن الآية سيقت لبيان الإثم واستحقاق العقوبة، بدليل قوله في آخرها:﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ﴾ والإثم واستحقاق العقوبة في العمد لا في الخطأ، والله أعلم".

- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ [الأنعام:١٥١]. قال رحمه الله:"وفي هذا دليل أن التحريم من المحرّمات لا يتلقى من العقل، بل من النقل عن الرب تعالى".

- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ [الأعراف:١٢]. قال رحمه الله:" دليل أن مطلق الأمر للوجوب؛ لأنه لامه لمخالفة مطلق الأمر، والله أعلم".

- ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾[الأعراف:١٢]. قال رحمه الله:" بيانٌ أن عدو الله خالف أمر الله تعالى عنادًا لا جهالة فلعن".

هذا: والكتابُ فيه من الفوائدِ والتنبيهاتِ والاستنباطات أشياء عظيمة النفع غير ما ذكر؛ وما سبق من الأمثلة تعتبر نماذج من تلك الفوائد، لعلها تكفي في الدلالة على أهمية الكتاب وقيمته العلمية.

المبحث الرابع: مصادرُ المؤلف في الكتاب:

مما لاشك فيه أن التعرف على مصادر المفسر يمثل الركيزة الأساسية والمنطلق الحقيقي لدراسة منهجه في التفسير، إذ لا يمكن استكشاف جهد المفسر وإضافته الحقيقية في التفسير دون الوقوف على المنابع التي استمد منها. ففي هذا المضمار يأتي دور المفسر الحقيقي في الإفادة بما يستعين به من مصادر، فيتوقف ذلك على توفر ملكته الفطرية، واستكمال أدواته لاستيعاب معطيات ما يتناوله من المصادر، ثم لإضافة عطائه هو للتفسير.

لقد اعتمد النُّعماني رحمه الله في تفسيره على مصادر كثيرة من كتب التفسير ومعاني القرآن، وعلى أئمة هذا الفن. أشار إلى بعضها، ولم يشر لكثير منها، ومن أهم تلك المصادر ما يلي: **١– موجز التفسير**: وهو كتاب شيخه العجلي[(١)] الذي لخَّصه من كتاب الثعلبي،[(٢)] والقشيري،[(٣)] وقد أشار المؤلف إلى ذلك في مقدمة الكتاب.

---

(١) تقدم ترجمته: ص٣.

(٢) هو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، يقال له: الثعلبي والثعالبي، لقبٌ له وليس بنسب، المفسِّر المشهور النيسابوري، وصنّف تفسيره: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، فيها فوائد جليلة، وفيها غثٌّ كثيرٌ من المنقولات الباطلة وغيرها، وفيها من الغريب الموضوع في الفضائل والتفسير ما لم يجز معه الاعتماد عليه وإن كان الغالب فيها الصحيح، توفي رحمه الله في المحرم سنة: ٤٢٧ هـ.

(٣) هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة أبو القاسم القشيري النيسابوري، الزاهد، أشعري المعتقد، شافعي المذهب، صنف تفسيره المعروف بتفسير القشيري؛ وهو تفسير صوفي يعتمد في أكثر الأحيان على تأويلات بعيدة تخالف ظاهر الآية، توفي أبو القاسم رحمه الله سنة:٤٦٥ هـ.
ينظر: الوافي بالوفيات للصفدي (٦٤/١٩)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٥٣/٥)، وطبقات المفسرين للسيوطي (٧٣/١).

٢- جامع البيان عن تأويل القرآن للإمام محمد بن جرير الطبري: فقد نقل منه عبارات كثيرة بنصها، دون الإشارة إلى نقله منها، وهي غير منصوصة في كتاب الثعلبي: الكشف والبيان، مما يدل على أنه قد نقل من الطبري مباشرة. ومعروفٌ عند أولي العلم منزلة الإمام محمد بن جرير الطبري رحمه الله، وتميزه وسَبْقِهِ على غيره من المفسرين؛ فهو إمامهم بلا منازع، ويكفي في ذلك ثناء العلماء على تفسيره قديماً وحديثاً، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث يقول: "فإنه من أجلِّ التفاسير المأثورة، وأعظمها قدراً ".[١] فكون هذا التفسير مصدراً من مصادر: (الموجز) فهذه قيمة علمية لا يستهان بها. وإليك نماذج من هذه النقولات:

- عند تفسير قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ﴾[البقرة:٥]. فقد نقل عنه ما نصه:" أي: على نور من ربهم واستقامة على ما جاءهم".[٢]
- وعند تفسير قوله تعالى:﴿ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[الأعراف:١٠]
قال رحمه الله بنص عبارة الطبري:"وطأنا لكم، وجعلناها لكم قرارًا ومهاداً.
﴿وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ﴾ أي: ما تعيشون بها أيام حياتكم".[٣]
- وقال عند تفسيره قوله تعالى:﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ﴾[الأعراف:١٧٦]. قال رحمه الله:" إن تحمل عليه الحكمة لم يحملها،وإن تُرِك لم يهتد لخير، كالكلب إن كان رابضًا لهث وإن طرد لهث".[٤]

٣- معاني القرآن وإعرابه للزجاج أبي إسحاق إبراهيم السَّري:

لقد أكثر النُّعماني رحمه الله في تفسيره الإفادة من الزجاج بدون نسبة لمعاني القرآن، وإليك

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٧/٣٨٥).

(٢) جامع البيان للطبري (١/١٠٧).

(٣) جامع البيان (٨/١٢٥).

(٤) جامع البيان (٩/١٢٩).

نماذج من هذه النقولات.

* عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾[البقرة:٢٨٢]. حيث نقل عبارة الزجاج بقوله:" فأمر الله ﷻ بكتب الدَّين حفظًا منه للأموال، وكذلك الإشهاد فيه، وللناس من الظلم؛ لأنَّ صاحب الدَّين إذا كانت عليه الشهود والبينة، قلَّ تحديثُه نفسَه بالطمع".(١)

*وعند تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ [آل عمران:٢٦٤]. نقل رحمه الله عبارة الزجاج بنصها حيث قال:" بعث فيهم محمدًا ﷺ، وهو رجل من الأميين، لا يتلو كتابًا ولا يخطّه بيمينه، وبعثه بين قوم يَخْبُرونه ويعرفونه بالصدق والأمانة، وأنه لم يقرأ كتابًا ولا لُقِّنَه، فتلا عليهم أقاصيص الأمم السالفة، والأنباء الماضية، لا يدفع أخباره كتاب من كتبِ مخالفيه، فأعلم الله ﷻ أنَّه منَّ على المؤمنين بإرساله مَن قد عُرِف أمرُه، فكان تناول الحجة والبرهان وقبول الأخبار والأقاصيص سهلا من قِبَلِه، وفي ذلك أعظم المنّة".(٢)

* وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِ﴾[النساء:٢٤]. قال رحمه الله مستعملاً عبارة الزجاج بقوله:" أي: لا إثم عليكم في أن تهب المرأة للرجل مهرها، أو يهب الرجل للمرأة التي لم يدخل بها نصف المهر الذي لا يجب تسليمه إلا لمن دخل بها".(٣)

* وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ [الأنعام:٥١]. قال رحمه الله بنص عبارة الزجاج:" أي: أنذر بالقرآن وخُصّ بالإنذار الذين يخافون أن يحشروا؛ لأن الذين يخافون الحشر فالحجة عليهم أوجب لاعترافهم بالمعاد، فهم

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣٦١/١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤٨٧/١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣٩/٢).

أحد رجلين: إما رجل مسلم فيُنْذَر ليؤدي حق الله تعالى في إسلامه، وإما رجل من أهل الكتاب وهم أجمعون معترفون بأن الله خالقهم، وأنهم مبعوثون".(١)

* وعند تفسير قوله تعالى:﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف:٥]. قال رحمه الله بنص عبارة الزجاج :" المعنى-والله أعلم-: أنهم لم يحصلوا مما كانوا ينتحلونه من المذهب والدّين ويدعونه إلا على اعتراف بأنهم كانوا ظالمين، والدعوى هاهنا في معنى الدعاء".(٢)

٤- الكشف والبيان لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري:

وهو من الكتب الهامة في التفسير بالمأثور ، فقد ذكر أسانيده إلى الصحابة والتابعين في مقدمة كتابه، وفيه جوانب مشرقة، ولكن بالرغم من ذلك فقد كان مولعاً بالقَصَص والأخبار، فحشد في تفسيره الغث والسمين بالرغم من جلالته وحفظه. قال ابن تيمية رحمه الله:"والثعلبي هو في نفسه كان فيه خيرٌ ودين، وكان حاطب ليل ينقل ما وجده في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوعٍ".(٣)

ونَقْلُ النعمانيِّ من الكشف والبيان واضحٌ لا يحتاج إلى تدليل، وقد يكون نَقْلُه منه مباشرة، أو بواسطة تفسير شيخه: (موجز التفسير). ومن المسائل التي ذكرها المؤلف وهي موجودة بنصها عن الثعلبي ما يلي:

* عند تفسير قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾ [البقرة:٢٢]
قال رحمه الله:"بساطاً ومقاماً ومناماً".(٤)

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٥١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٢/٣١٨).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/٣٥٤). وقد تأثر بالثعلبي كثيرٌ ممن جاء بعده كالواحدي، والبغوي، والخازن، بالإضافة إلى المصنِّف (النعماني) رحمة الله على الجميع.

(٤) الكشف والبيان (١/١٦٧).

* وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة:٤١]. قال رحمه الله:" شيئًا يسيرًا، وذلك أن رؤساء اليهود كانت لهم مآكل يصيبونها من سفلتهم وعوامّهم يأخذون منهم شيئاً معلوماً كلّ عام من زروعهم فخافوا أن تبينوا صفة محمد ﷺ وبايعوه أن تفوتهم تلك المآكل والرّياسة ، فاختاروا الدنيا على الآخرة".

* وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾[آل عمران:٣٦]. قال رحمه الله:" في خدمة الكنيسة والعُبّاد الذين فيها؛ لعورتها وضعفها وما يعتريها من الحيض والنفاس والأذى. ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾: وهي بلغتهم: الخادمة والعابدة، وكانت أجمل النساء في وقتها وأفضلها".

إضافة إلى أنه قد استفاد من تفاسير أخرى، ممن سبقه في هذا المضمار. والمصادر التي ذكرتها ليست على سبيل الاستقصاء والحصر، وإنما هي نماذج فقط، وإلا فإن الحصر الدقيق يصعب ويحتاج لوقت طويل.

المبحث الخامس: قيمة الكتاب العلمية وأهم المآخذ عليه:

قد ذكرت في المبحث الثالث منهج النُّعماني في تفسيره، وقد تضمن شيئاً من قيمة الكتاب العلمية، ومما يَجْدرُ أنْ يُذكرَ ولا يُطْوى أن المصنف قد بَذَلَ في كتابه جهداً واضحاً، وعملاً جبَّاراً لا يُستهان به، ويتضح قيمة كتابه هذا من خلال النقاط التالية:

١- الاستفادة من المصادر الأخرى. وجمعُ الأقوال في مكان واحد وسبكها وتأليفها مع بعضها دون خلل، ومن غير أنْ يَشْعرَ القارئُ بذلك.

٢- أن المصنف رحمه الله قد ضمَّن كتابه نقولاتٍ وافرةً من مصادر متنوعةٍ في التفسير والحديث واللغة والفقه، والتاريخ، فتعامل معها بدقة متناهية لا خلل بينها، وأسلوبٍ جاذب بديع، لا يُشعرك بالملل والسآمة، من غير حشوٍ أو تطويل أو تعقيد.

٣- عناية المصنف رحمه الله في هذا التفسير بجانب التأصيل، واختيار العبارات المناسبة.

٤- كما تكمن قيمة الكتاب بعناية المؤلف رحمه الله لتفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة وتفسيره بأقوال السلف من الصحابة والتابعين.

٥- كما تتجلى لنا قيمة الكتاب بإشاراته اللطيفة لأسباب النزول، فقد أكثر من ذلك حتى أنه يمكننا أن نجمع كلَّ ما ذكره في هذا الكتاب من أسباب النزول لتخرج في كتاب مستقلٌ لا يقل عن مجلد.

٦- كما يحمل الكتاب في طياته جملة من المسائل اللغوية، فكثيرا ما يعلل ويدلل ويستشهد باللغة العربية ويحتج بها في بيان معاني القرآن الكريم.

والمطّلع على تفسير النُّعماني رحمه الله يجد أن هذا التفسير جدير بالاهتمام من قبل العلماء وطلاب العلم. ولا غرابة في ذلك؛ فإنه قد بلغ من الدرجة في المنهج العلمي الذي خطه المؤلف بنفسه، حيث استطاع أن يضمن مصنفه ما استحسنه المفسرون مَنْ قبله، والتزم رحمه الله في تفسيره نفس المنهج المتبع في القرن السابع الهجري من حيث الاختصار ودقة التعبير والتزام المصطلح العلمي في التفسير. وما سبق من الأمثلة المستفيضة في مبحث: منهج المصنف في كتابه، دلالة واضحة على قيمة الكتاب العلمية.

أهم المآخذ على الكتاب:

إن النعماني رحمه الله وُفِّق إلى حدٍّ كبير في هذا الموجز، لولا وجود بعض المآخذ والهفوات التي لم يسلم منها كثير من المفسرين قبله وبعده، ومن أهم تلك المآخذ:

أولاً: تأويله لبعض الصفات، ومخالفته لمعتقد السلف في بعض مسائل العقيدة، وصرفه لبعض النصوص عن ظاهرها الذي تدل عليه من الإثبات، وقد تقدم بيان الأمثلة في ذلك عند الحديث عن عقيدة المؤلف رحمه الله.

ثانيًا: أنه ضمَّن تفسيره أحاديث ضعيفة، وخاصة ما يذكره في أسباب النزول، ومن

الأمثلة على ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾[البقرة:١٨٩]، قال رحمه الله:"سئل النبي ﷺ عن الهلال في بدئه دقيقًا، وعن عِظَمِه بَعْدَه، وعن رجوعه دقيقًا كالعرجون القديم؟....". (١)

٢- وعند تفسير قوله تعالى:﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾[المائدة:٥٥]الآية، قال رحمه الله:"نزلت في عبد الله بن سلام ﷺ، قال: يا رسول الله: إن قومنا من قريظة والنضير هجرونا وفارقونا، وأقسموا أن لا يجالسونا، ولا نستطيع مجالسة أصحابك لبعد المنازل، وشكا ما يلقى من اليهود من الأذى، فنزلت هذه الآية، فقرأها عليه رسول الله ﷺ، فقال: رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين أولياء.(٢)

٣- وعند تفسير قوله تعالى: قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام:٩١]. قال رحمه الله:"سبب نزولها: أن رجلًا من اليهود يقال له: مالك بن الصيف جاء يخاصم النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: «أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى، أما تجد في التوراة: أن الله يُبغض الحبر السمين»، وكان حبرًا سمينًا، فغضب فقال: والله ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ

---

(١) أخرج أبو نعيم الأصبهاني في معرفة الصحابة (١/٣٩٣)، برقم (١٤٠٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١/٢٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ونقله الواحدي في أسباب النزول (ص١٦٢) عن الكلبي رحمه الله، بلفظ:" نزلت في معاذ بن جبل، وثعلبة بن غنمة، الأنصاريين رضي الله عنهما قالا: يا رسول الله! ما بال الهلال يبدوا دقيقاً مثل الخيط ثم يزيد حتّى يمتلىء ويستوي؛ ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ؛ لا يكون على حالة واحدة، فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾". والحديث ضعفه ابن حجر رحمه الله في العجاب (١/٤٥٥)، وقال السيوطي في الدر المنثور (١/٤٩٠):" أخرج ابن عساكر بسند ضعيف".

(٢) أورده مقاتل بن سليمان في تفسيره (١/٣٠٧)، والثعلبي في الكشف والبيان (٤/٨٠)، والواحدي في أسباب النزول (ص٣٤٧)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/٤٧)، والرازي في التفسير الكبير (١٢/٢٢)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٦/٢٢١) بدون سند.

بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾". (١)

ثالثًا: النقل من كتب المفسرين دون الإشارة إلى ذلك مما قد يوهم أنه من كلامه ومن أشهرها: جامع البيان للطبري، ومعاني القرآن للزجاج، والكشف والبيان للثعلبي. وتقدمت الأمثلة على ذلك في مبحث مصادر المؤلف في الكتاب.

رابعًا: إيراده بعض الإسرائيليات، فإن النُّعماني يطنب في بعض المواضع ويذكر حكايات وتفصيلات مبناها على الإسرائيليات وقد كان في غنى عنها، كما أطال في قصة هاروت وماروت في سورة البقرة، وقصة الحواريين مع عيسى ﷺ في آخر سورة المائدة، وقصة موسى ﷺ مع بلعم بن باعوراء في آخر سورة الأعراف، ولم يتعقب ذلك.

وكل هذا لا ينقص من قيمة الكتاب وقدره، وأبى الله أن تكون العصمة لغير كتابه، وأسأله سبحانه أن يكتب لنا وله عفوه ورحمته ويتجاوز عنا وعنه.

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧/٢٦٧)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٤/١٣٤٢)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (٤/١٦٨)، ومكي بن أبي طالب في تفسير الهداية (٣/٢٠٩٩)، والواحدي في أسباب النزول (ص٣٧٥) عن سعيد بن جبير مرسلًا.قال الشنقيطي رحمه الله:" فيه نظر؛ لأنه لم يصح مرفوعاً". أضواء البيان (٣/٣٥٤). قال الألوسي رحمه الله:" أن هذه السورة مكية، والمناظرات التي وقعت بين رسول الله ﷺ وبين اليهود كلها مدنية، فلا يتأتى القول بأن الآية نزلت في اليهود". روح المعاني (٧/٢١٩). وعند النظر فيما سبق يتبين ترجيح ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما في رواية، ومجاهد، وعبد الله بن كثير، وهو اختيار الطبري، وابن كثير: من أن الآية نزلت في قريش، لأن السورة مكية والمخاطبون في ذلك الوقت هم المشركون في مكة، ولأن اليهود لا ينكرون إنزال الكتب من السماء؛ وقريش والعرب وطائفة قاطبة كانوا ينكرون إرسال محمد ﷺ لأنه من البشر، وكذلك السياق القرآني، فإن الحديث من أول السورة إلى هذا الموضع خبرًا عن المشركين من عبدة الأوثان، وإدخال الكلام في معاني ما قبله أولى من الخروج عنه.ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٢٦٦)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/١٦٨)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١١٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/١٥٧)، وقواعد الترجيح عند المفسرين للحربي (١/١٢٥).

المبحث السادس: وصْف النُّسخة المعتمدة في التحقيق:

لهذا الكتاب: (الموجز من موجز التفسير) لأحمد بن محمود بن محمد النعماني نُسْخَةٌ واحدةٌ موجودةٌ بخط مؤلفها في مكتبة شستربيتي بدبلن بإيرلندا.

وهذه النسخة مُصَورة بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وقَدْ تمَّ الحصول على صُورةٍ من هذه المصورة.

لكن في التصوير خلل يسير، وقد حرصت كلَّ الحرص على التَّواصل مع مكتبة شستربيتي بإيرلندا عن طريق مركز الملك فيصل للبحوث، وتمت مخاطبة المكتبة هناك أكثر من مرَّة، ولكنهم اعتذروا عن إرسال أي شيء!. ويمكن وَصْفُ المخطوطة، بما يلي:

المخطوطة المصورة من جامعة الإمام، ويوجد فيها نقص في اللوح رقم: (٤٠/أ،ب) وقد بينت ذلك أثناء الدراسة

١) نوع الخط: كتبت بخطٍ مشرقي جيد.

٢) كتبها: المؤلف: أحمد بن محمود بن محمد النعماني رحمه الله.

٣) تاريخ كتابتها؛ أَثْبَتَ مؤلفُها في نهاية المخطوط أن فراغه من تأليفها كان في السادس،من شهر رجب، سنة ست وعشرين وستمائة (٦/٧/٦٢٦هـ).

٤) عدد ألواح المخطوط: (١٧٨) لوحاً، ويقع المخطوط في جزئين: الجزء الأول: (٩٧) لوحاً، من بداية الكتاب إلى نهاية تفسير سورة الكهف، والجزء الثاني: (٨١) لوحاً، من تفسير سورة مريم إلى نهاية الكتاب .

٥) عدد الأسطر في كل وجه من كل لوح: ٣١سطراً، ويَنْدُر أنْ يكون ٣٠سطراً؛ وعلى هذا ففي كل لوحٍ ٦٢سطراً.

وكان نصيبي من هذه الألواح: (٥٩) تسع وخمسون لوحاً، من بداية الكتاب إلى نهاية تفسير سورة الأعراف.

٦) قد يلحظُ القارئُ وجودَ اختلافٍ يسير في الخط، في قليل من الصفحات، مما يبعث سؤالاً: هل تولَّى نَسْخَ المخطوط أكثرُ من ناسخ؟ والحقيقة أنه بعد التمحيص وَجَدْتُ أنه ليس هناك تفاوت يُذكر، إنما هو اختلاف طبيعي يكون في كثير من المخطوطات، ويكون مرجعه تغيُّر المداد، أو تغيُّر القلم. ومما جعلني أجزم بذلك هي

طريقة كتابة الحروف وشكل الكلمات، حيث أنها لم تتغير، ولا يلحظ هذا التغيير إلا من دقق في المخطوط.

٧) وقد امتازت هذه النسخة الفريدة بميزتين:

١) وجود ما يسمى باللِّحاق[1]، أو الإحالة، وهذا يدل على أن المصنف قد أعاد قراءة النسخة. قال الشافعي رحمه الله: "إذا رأيت الكتاب فيه إلحاقٌ وإصلاحٌ فاشهد له بالصحة[2]. وقد أَضَفْتُ هذه الإلحاقاتِ وَوَضَعْتُها في مكانها.

٢) مراجعةُ المصنف لها مراراً، ويدل لذلك وجود ما يُسمى (بالدَّارة)[3] بين بعض الجمل، ووجودها في نهاية كل سورة.

---

(١) عُرف اللِّحاق بأنه: ما يُلحق بالكتاب بعد الفراغ منه، فتلحق به ما سقط عنه. تهذيب اللغة للأزهري (٤/٣٧)"لحق".

(٢) توثيق النصوص وضبطها لموفق عبد القادر، (ص: ١١٩).

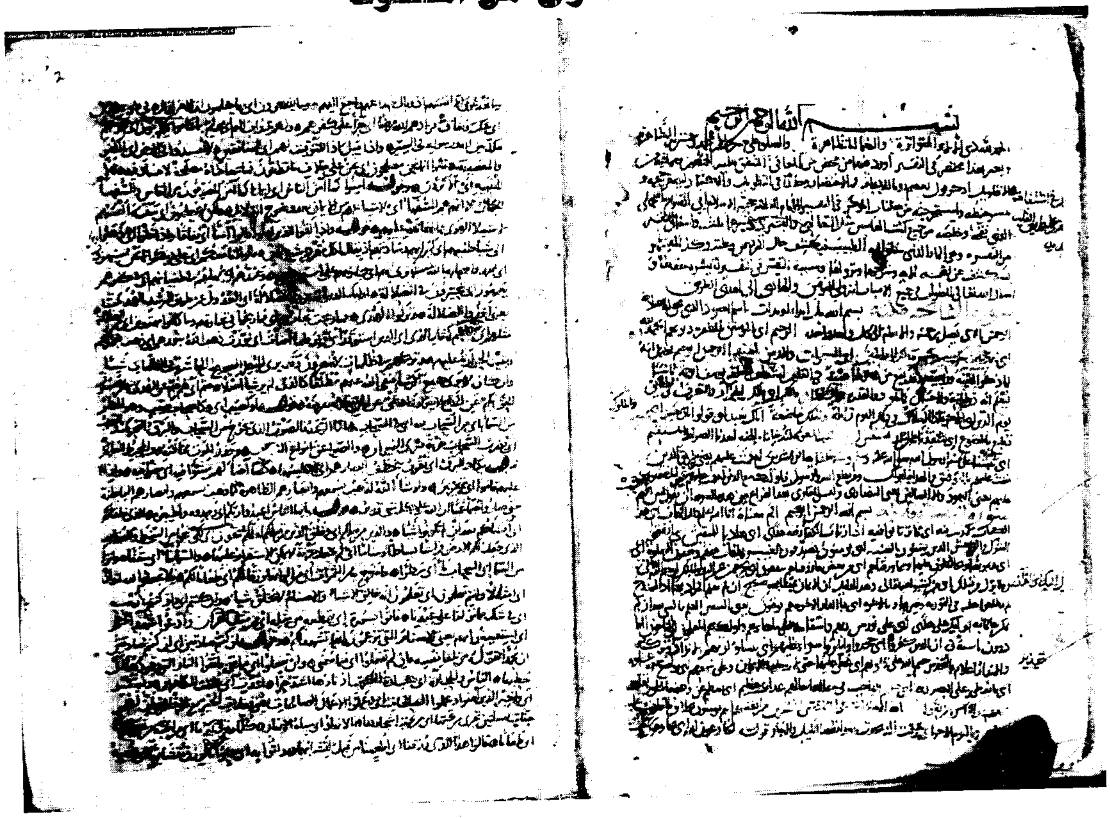
(٣) الدَّارة: هي دائرةٌ في وسطها نقطة أو خط. توثيق النصوص وضبطها لموفق عبد القادر، (ص: ٢٢).

نماذج من المخطوط

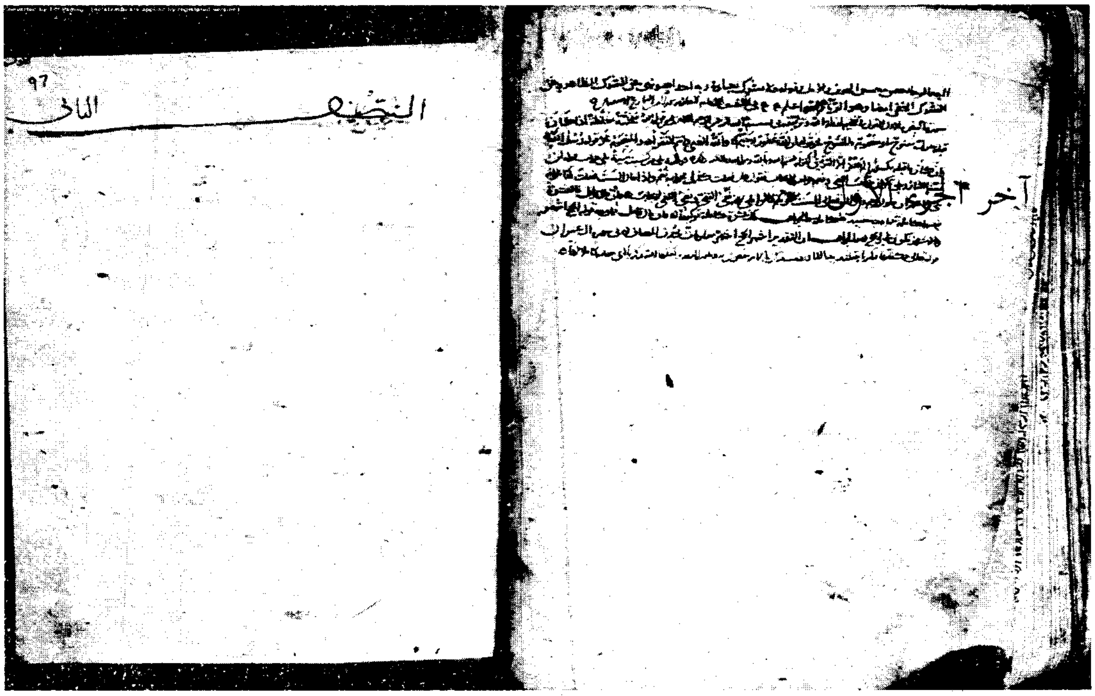
عنوان المخطوط



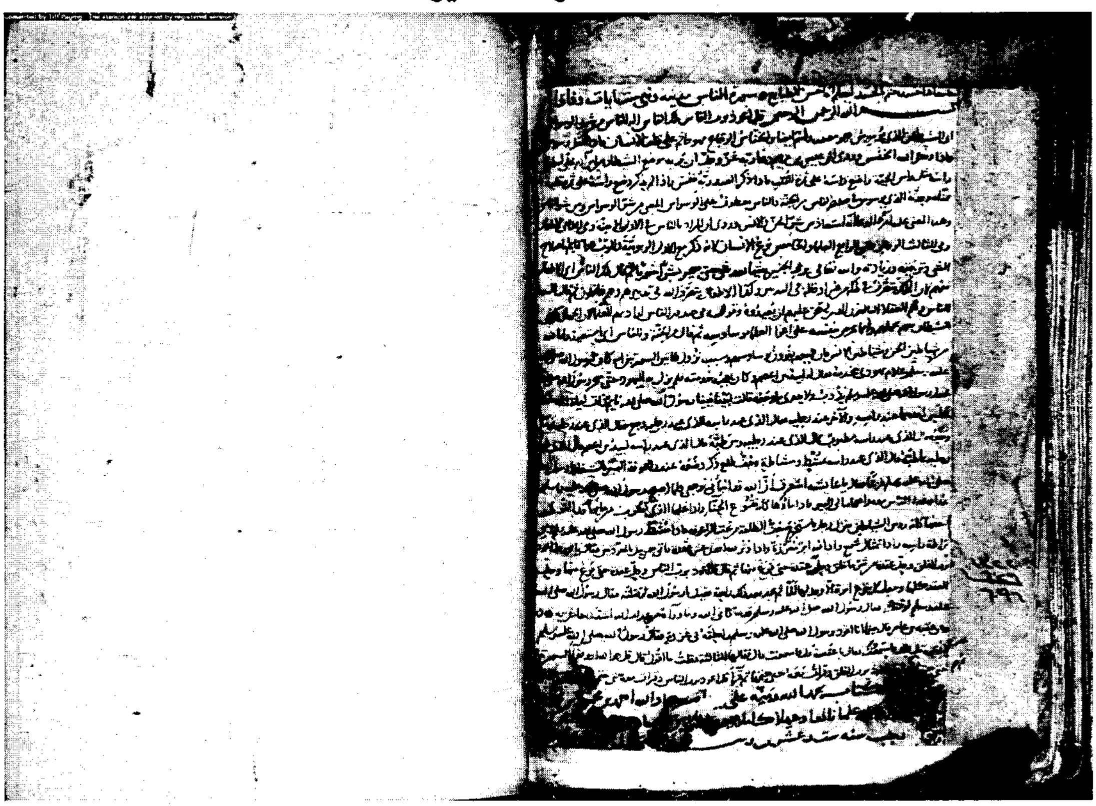
الصفحة الأولى من المخطوط


بسم الله الرحمن الرحيم

آخر الجزء الأول



آخر التفسير



القسم الثاني

قسم التحقيق

من أول الكتاب إلى نهاية كلامه على تفسير الأعراف

مقدمة المؤلف

[٢/أ] بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الآلاء المتواترة، والنعماء المتظاهرة، والصلاة على خير خلقه محمد، وعترته[١] الطاهرة.

وبعد: فهذا مختصرٌ في التفسير، أوردُ فيها من مَحْض[٢] المعاني المتفق عليه الجمهور؛ ومما فيه من الأقاويل أذكر قول بعضهم روماً للإيجاز والاختصار، وحذراً في التطويل والإكثار؛ ليصغر حجمه، ويتيسر حفظه، واستخرجته من كتاب الموجز في التفسير للإمام العلامة حجة الإسلام: أبي الفتوح العجلي؛[٣] الذي نقحه، وخلصه من جميع كتب التفاسير: مثل الثعلبي،[٤]

---

(١) عترة الرجل: أصله وأخص أقاربه، من ولده وولد ولده وبني عمه دنيا، وعترة النبي ﷺ أهل بيته الذين حرمت عليهم الزكاة، وهم: بنو هاشم وبنو المطلب. والله أعلم.

ينظر: العين للخليل (٢/ ٦٦)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (١٧٧/٣)، ولسان العرب لابن منظور (٥٣٨/٤) (عتر).

(٢) الْمَحْض: اللبن الخالص بلا رغوة، ولبن محض: خالص لم يخالطه ماء، وكل شيء خَلُصَ حتى لا يشوبه شيء فهو محض. والمراد: أن المؤلف رحمه الله تعالى سيورد في تفسيره خلاصة معاني الآيات المتفق عليها بين جمهور المفسرين، ويدع ما سواها من الأقوال الضعيفة والشاذة.

ينظر: العين للخليل (١١١/٣)، ومقاييس اللغة لابن فارس (٣٠٠/٥)، ولسان العرب لابن منظور (٢٢٧/٧)" محض".

(٣) هو أسعد بن محمود بن خلف بن أحمد بن محمد، الملقب بـ منتخب الدين، أبو الفتوح العجلي الأصبهاني، فقيه الشافعية، ومصنِّف التعليق على الوسيط والوجيز، ولد بأصبهان سنة: ٥١٥ هـ، وكان فقيهاً مكثراً من الرواية، يأكل من كسب يده، وعليه المعتمد بأصبهان في الفتوى، توفي رحمه الله بأصبهان في صفر سنة: ٦٠٠ هـ.

ينظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعي (٤٩٨/٣)، وطبقات الشافعية لابن قاضي (٢٥/٢)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب للعكري (٣٤٤/٤).

(٤) هو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، يقال له: الثعلبي والثعالبي، لَقَبٌ له وليس بنسب، المفسِّر المشهور النيسابوري، وصنّف تفسيره: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، فيها فوائد جليلة، وفيها غثٌّ كثيرٌ من المنقولات الباطلة وغيرها، وفيها من الغريب الموضوع في الفضائل والتفسير ما

والقشيري،[(١)] وغيرهما من الكتب.

واستعمال التفسير من التَّفْسِرَة، وهي: الماء الذي ينظر إليه الطبيب، فيكشف حال المريض وعلته،[(٢)] وكذا المفسِّر يستكشف عن لغة الآية وشرحها ونزولها.[(٣)]

وسببه: التيسُّر في التفسير لتيسّره حفظاً، وأسأل الله تعالى الصواب في جميع الأسباب، إنه ولي التوفيق والهادي إلى أهدى الطريق.

لم يجز معه الاعتماد عليه وإن كان الغالب فيها الصحيح، توفي رحمه الله في المحرم سنة: ٤٢٧ هـ.ينظر: المختصر في أخبار البشر لعماد الدين (١٦٠/٢)، واللباب في تهذيب الأنساب لابن أبي الكرم (٢٣٨/١)، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان (٨٠/١)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٨٦/١٣).

(١) هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة أبو القاسم القشيري النيسابوري، الزاهد، أشعري المعتقد، شافعي المذهب، صنف تفسيره المعروف بتفسير القشيري، وهو تفسير صوفي يعتمد في أكثر الأحيان على تأويلات بعيدة تخالف ظاهر الآية، توفي أبو القاسم رحمه الله سنة:٤٦٥ هـ.

ينظر: الوافي بالوفيات للصفدي (٦٤/١٩)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٥٣/٥)، وطبقات المفسرين للسيوطي (٧٣/١).

(٢) التَّفْسِرَة: اسم للبول الذي ينظر فيه الأطباء ويستدلون بلونه على مرض البدن، وكل شيء يعرف به تفسير الشيء فهو: التَّفْسِرَة.

ينظر: العين للخليل (٢٤٨/٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٨٣/١٢)، ولسان العرب لابن منظور (٥٥/٥)"فسر".

(٣) التفسير: تفعيل من الفَسْر، وأصل مادته اللغوية تدل على بيان شيء وإيضاحه، ولذا قيل: الفَسْر: كشف المغطى . واختلفت عبارات المعرفين لمصطلح التفسير فمن أحسن من عرّفه الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن (١٣/١) بقوله: " علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكَمه " .

ينظر: العين للخليل (٢٤٧/٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٨٢/١٢) "فسر"، والتيسير في قواعد التفسير للكافيجي (ص١٢٤)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٦/١).

تفسير سورة الفاتحة

سورة الفاتحة، مكية(١)

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ باسمه ابدأ، أو بدأت باسم المعبود الذي يحق له الصلاة.(٢)

﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي يصل رحمته الأعم إلى كل واحد وأحد ﴿الرَّحِيمِ﴾ أي: المؤمنين بالمغفرة ذنوبهم.(٣) ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: غاية الحمد.(٤)

---

(١) وبه قال جمهور المفسرين، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة، وأبي العالية، وغيرهم رحمهم الله.

وقال أبو هريرة ﷺ، ومجاهد، وعطاء بن يسار، والزهري، وغيرهم رحمهم الله: هي مدنية . وقال الحسين بن الفضل: نزلت مرتين، مرة بمكة، ومرة بالمدينة . والأقرب أنها نزلت بمكة لقوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر:٨٧]. وسورة الحجر مكية بإجماع. ولا خلاف أن فرض الصلاة كان بمكة، وما حُفظ أنه كان في الإسلام قط صلاة بغير الفاتحة؛ ومحال أن تفرض الصلاة ولا ينزل ما هو تمامها وبه قوامها. ينظر بسط المسألة في: جامع البيان للطبري (١/٥٠)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٤٦)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١/٧٧)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣/٥٧)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/١١٥)، والمكي والمدني في القرآن الكريم لعبد الرزاق حسين أحمد (١/٤٤٨).

(٢) اختلف علماء اللغة في دخول الباء هل هو على معنى الأمر ؟ والتقدير : أبدأ باسم الله، أو على معنى الخبر؟ والتقدير: ابتدأت باسم الله؛ قولان: أحدهما للفراء، والثاني للزجاج، "فبسم" في موضع نصب على التأويلين.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (١/٥١)، ومعاني القرآن للزجاج (١/٤٥)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١/٩١).

(٣) يريد أن لفظ "الرحمن" يشمل جميع الخلق، لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، وأن "الرحيم"خاصٌ بالمؤمنين، ففي الآية عموم وخصوص من وجه، وهذا ما رجحه الطبري في تفسيره .

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٥٦)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٥٣)، والكشف والبيان للثعلبي (١/٩٩).

(٤) أي: الثناء الكامل ثابت لله ﷻ. والحمد أعم من الشكر، لأن الحمد يقع على الثناء، وعلى التحميد، وعلى الشكر، فهو ثناء على الممدوح بصفاته من غير سبق إحسان، وأما الشكر فهو

﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ مالك للعالمين، أو السماوات والأرض وما بينهما.(١)

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ يحتمل أنه لما ذكر إلهيته وربوبيته وقد يقع من ذكرها هيبة في القلوب استعطف خلقه بوصف الرحمة.

ثانيا: لِيُعلم أنه ذو المنة والإحسان كما أنه ذو القدرة والسلطان.

﴿مَٰلِكِ﴾ أي: مالك الجزاء والتصرف في الخلائق.﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ أي: الآخرة، إذ الأملاك في ذلك اليوم زائلة، وللمَلِكِ خاضعة. ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ أي: قولوا:﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ أي:نطيع بالخضوع، أي: لتنقذنا من النار. ﴿نَسۡتَعِينُ﴾ أي: نطلب المعونة لتدخلنا الجنة.(٢)

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ أي: ثبتنا على سنة رسول الله ﷺ، وسنة خلفائه الراشدين.(٣)

ثناء على المشكور بما أولى من الفضل والإحسان، فالحمد مطلق الثناء والمدح، سواء قدم المحمود إحساناً أو لا، والشكر إنما يكون مقابل النعمة، فصار الحمد أثبت في الآية، لأنه يزيد على الشكر.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٥٩)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٥٧)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٦٦)، ومدارج السالكين لابن القيم (١/٧).

(١) الرَّب: يكون بمعنى التربية والإصلاح، ويكون بمعنى المالك، ويكون بمعنى الخالق، ويكون بمعنى المدبِّر، فله أربعة معاني في اللغة، والرّبّ في الآية يشملها كلها.

ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/٣٨٢)"ربّ"، وتفسير القرآن للسمعاني (١/٣٦)، والمفردات للراغب (ص١٨٤)"ربّ"، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٢١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/١٣٧).

(٢) قدم المفعول وهو:﴿إِيَّاكَ﴾ وكرّر للإهتمام والحصر، كأنه قال: نخصُّك بالعبادة، ونخصُّك بطلب الإعانة، فقدِّم اهتماماً وحصرًا، ولئلا يتقدم ذكر العبادة على المعبود، أي: لا نعبد إلا إياك ولا نتوكل إلا عليك، وهذا هو كمال الطاعة، والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (١/٦٤)، ومدارج السالكين لابن القيم (١/٧٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٢٦)، ومسائل لخصها الإمام محمد بن عبد الوهاب (ص١٦٢).

(٣) قاله الحسن، وأبو العالية.

﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: طريق الذين مننت عليهم بالتوفيق والهداية بقولك: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ الآية،[النساء:٦٩].

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: اليهود ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ يعني: النصارى.(١)

وفُسِّر ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ بأنه الإسلام، وهو صريح بهذا اللفظ في حديث النواس بن سمعان ﷺ مرفوعاً: " ضرب قبالله مثلاً صراطاً مستقيماً ..." الحديث، وفيه: " فالصراط الإسلام ". أخرجه أحمد في مسنده (١٨٢/٤) برقم: (١٧٦٧١)، والحاكم في مستدركه (١٤٤/١) برقم: (٢٤٥) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وفُسِّر الصراط بأنه: دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره. قاله محمد بن الحنفية. وفُسِّر بأنه: كتاب الله، وهو قول علي وابن عباس رضي الله عنهما. وفُسِّر بأنه: الحق. قاله سعيد بن جبير، ومجاهد. رحمة الله على الجميع. وكل هذه الأقوال صحيحة، وهي متلازمة، فإن من اتبع النبي ﷺ واقتدى باللذين من بعده أبي بكر وعمر فقد اتبع الحق، ومن اتبع الحق فقد اتبع الإسلام، ومن اتبع الإسلام فقد اتبع القرآن، وهو كتاب الله وحبله المتين، وصراطه المستقيم، فكلها صحيحة يصدّق بعضها بعضًا، واختلافها اختلاف التنوع.

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (١٢٠/١)،وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١١٠/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٧٤/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٩/١).

(١) جاء ذلك من حديث عدي بن حاتم ﷺ عن النبي ﷺ قال: " إن المغضوب عليهم: اليهود، وإن الضالين: النصارى". أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٧٨/٤) برقم: (١٩٤٠٠)، والترمذي (٢٠٢/٥) في كتاب تفسير القرآن، بابٌ: ومن سورة فاتحة الكتاب برقم: (٢٩٥٣)، وابن حبان في صحيحه (١٨٣/١٦) برقم: (٧٣٠٦) بنحوه مختصراً. والطبراني في الكبير (٩٨/١٧) برقم (٢٣٦-٢٣٧). وصححه ابن تيمية في منهاج السنة (١١/٢). فالمغضوب عليهم: كل من عرف الحق ولم يعمل به كاليهود، والضالون: من عبد الله بلا علم كالنصارى.

ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤٩/١)، والجواب الصحيح لابن تيمية (١٦٨/٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٠/١)، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص٣٩).

ويسنّ للقاري بعد الفراغ من هذه السورة أن يقول: (آمين): اللهم استجب.[(١)]

---

(١) أي: أن معنى: "آمين": اللهم استجب، وبه قال الحسن رحمه الله ، وذهب إليه أكثر المفسرين.

ويشهد لاستحباب التأمين حديث وائل بن حجر ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ قرأ :﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فقال: "آمين" مدَّ بها صوته. رواه الإمام أحمد (٣١٥/٤) برقم: (١٨٨٩٥)، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب التأمين وراء الإمام (٢٤٦/١) برقم: (٩٣٢)، والترمذي في سننه، أبواب الصلاة،باب ما جاء في التأمين (٢٧/٢) برقم: (٢٤٨) وحسنه. ولأبي داود في رواية: "رفع بها صوته". وصحَّح الحديث الحافظ ابن حجر رحمه الله في التلخيص (٢٣٦/١).

و" آمين" فيها لغتان المد والقصر. وهي ليست من كتاب الله بالإجماع.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٣٦٨/١٥)"أمن"، والكشف والبيان للثعلبي (١٢٤/١)، وتفسير القرآن للسمعاني (٣٩/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣٣/١).

تفسير سورة البقرة

سورة البقرة مدنية [(١)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ﴾ معناه: أنا الله أعلم.[(٢)]

---

(١) أجمع المفسرون على أن سورة البقرة مدنية، قال ابن كثير رحمه الله:"والبقرة جميعها مدنية بلا خلاف، وهي من أوائل ما نزل بها ". تفسير القرآن العظيم (٣٦/١). ولكن هذا لا يعني أن كل آياتها من أوائل ما نزل بالمدينة؛ فقد دلت الأدلة أن آيات كثيرة بالسورة نزلت متأخرة، كآيات تحريم الربا، فإنها نزلت متأخرة، وقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٦]، نزلت عام الحديبية سنة ست باتفاق العلماء، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] من آخر ما نزل.
ينظر: فضائل القرآن لابن الضريس (ص٢٥)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (ص٤١٦)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (١٩٣/١٧)، وفتح الباري لابن حجر (١٦٠/٨)، والمكي والمدني في القرآن الكريم لعبد الرزاق حسين أحمد (٣٧٠/١).

(٢) هذا القول مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، كما أخرجه الطبري في جامع البيان (٨٨/١)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٣٢/١)، وذكره النحاس في معاني القرآن (٧٣/١)، ومكي بن أبي طالب في الهداية (١١٩/١). وللعلماء في توجيه الحروف المقطعة في بداية السور قولان: أحدهما: هي سرّ الله في القرآن، ولا تفسَّر لأنها من المتشابه الذي انفرد الله بعلمه، يؤمن بها وتمرّ كما جاءت، وبه قال الشعبي، وسفيان الثوري، وجماعة من المحدثين. والثاني: قول الجمهور أنها تفسَّر، وأنها معاني يمكن معرفتها، ثم اختلفوا في تفسيرها على أقوال. والأظهر: أنها أدوات تنبيه على غير ما ألف العرب، جاءت بهذه الكيفية للتحدي والإعجاز، لقرع أسماعهم، ولفت انتباههم إلى القرآن الذي يهربون عند سماعه، وليعلموا أنه من جنس كلامهم لكنهم لا يستطيعون أن يأتوا بمثله . قال الرازي في تفسيره (١٢٦/٢٨):" الحروف تنبيهات قدمت على القرآن، ليبقى السامع مقبلاً على استماع ما يرد عليه، فلا يفوته شيء من الكلام الرائق والمعنى الفائق". وهذا قول مجاهد، واختاره النحاس، وارتضاه القرطبي، ورجحه ابن كثير، وعليه جمهور أهل اللغة والتفسير والحديث رحمهم الله. ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (١٣٦/١)، والنكت والعيون للماوردي (٦٣/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٤/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٨١/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥٤/١)، ولسان العرب لابن منظور (١٢/٩)، والدر المصون للسمين الحلبي (٧٩/١).

﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ أي: هذا الكتاب.(١) ﴿ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ ﴾ أي: لا ترتابوا فيه إذ ارتاب الكفار فيه.(٢) ﴿ هُدٗى ﴾ أي: هادياً. ﴿ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ أي: اتقوا الشرك والفواحش.

﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ ﴾ أي: يصدِّقون.(٣) ﴿ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ بما غاب عنهم(٤) ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي:

---

(١) أكثر أهل التفسير على أن ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ بمعنى "هذا". كما تقول للرجل وهو يحدثك:" ذلك والله الحق"، أي: هذا والله الحق. ومنه قول الله جل ذكره: ﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ﴾[ق: ١٩]، أي: هذا ماكنت منه تحيد. وهو كثير في كلام العرب والقرآن.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٩٦)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٨٠)، وتفسير الهداية لمكي (١/١٢٤)، ولطائف الإشارات للقشيري (١/١٧)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٢٣) .

(٢) أي: أنه خبر معناه النهي، بمعنى: لا ترتابوا فيه. وهذا قول الزجاج. وقال أكثر المفسرين: معناه: لا شك فيه أنه من عند الله، وأنه الحق والصدق.وكلا القولين صحيح، فالقرآن حمال وجوه.

ينظر: التفسير الكبير للرازي (٢/١٨)، والتسهيل لابن جزي (١/٣٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٤٠)، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١/٢٦٩)، وروح المعاني للألوسي (١/١٥٣).

(٣) الإيمان في اللغة: يطلق على التصديق المحض، وقد يستعمل في القرآن والمراد به ذلك، كما قال تعالى عن إخوة يوسف لأبيهم: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾[يوسف:١٧].وكذلك إذا استعمل مقروناً مع الأعمال كقوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [الانشقاق:٢٥]. فأما إذا استعمل مطلقاً فالإيمان الشرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقاداً وقولاًوعملاً يزيد وينقص، هكذا ذهب إليه أئمة أهل السنة والجماعة، ونقل اللالكائي إجماع أهل السنة: أن الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

ينظر: السنة لعبد الله بن الإمام أحمد (١/١٧٤)، والشريعة للآجري (٢/٦٠٦)، واعتقاد أهل السنة للالكائي (٥/٩٥٨)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٧/٣٠٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٤٢).

(٤) اختلفت عبارات المفسرين في تمثيل الغيب، وأجمع الأقوال ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما بأن الغيب: "كل ما أمرت بالإيمان به مما غاب عن بصرك، كالملائكة والجنة والنار ....إلخ.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/١٠١)، ومعالم التنزيل البغوي (١/٤٧)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٨٤)، والجامع لأحكام القرآن القرطبي (١/١٦٣)، والدر المنثور للسيوطي (١/٦٤).

يديمونها ويحافظون عليها. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ أي: من بعض ما رزقناهم. ﴿يُنفِقُونَ﴾ أي: يُخرِجون عن اليد والمِلْك لوجه الله تعالى. ﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن. ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ أي: من كتب الله تعالى.

وهذا دليل أن الإيمان بمتشابهه صحيح، إن لم يعلم المراد بها. أو: الروح، لم يطلعوا عليه في التوراة وغيرها.(١) ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: بالدار الآخرة ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يعني اليقين: العلم بالشيء بعد أن لم يكن عالمًا به.(٢) ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى﴾ أي: على نور من ربهم واستقامة على ما جاءهم.(٣)

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي: الناجون [ ].(٤) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: جحدوا

---

(١) والأولى أن الإيمان بالمتشابه يشمل جميع ما أنزله الله تعالى على الأنبياء عليهم السلام وجاءهم الخبر به. قال ابن تيمية رحمه الله:" في الكتب المتقدمة من التشابه أعظم مما في القرآن؛ وهل ضلت النصارى إلا باتباع المتشابه من كلام الأنبياء وترك المحكم !". الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١٢٩/٥).
ينظر: جامع البيان للطبري (١٠٥/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٤٠٠/١)، وكشف المشكل لابن الجوزي (٢٥٧/٤)

(٢) أصل اليقين: إتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه. واليقين آكد مراتب الإيمان والتصديق، وهو ثلاث مراتب: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين،فعلم اليقين: ما علمه بالسماع والخبر والقياس والنظر. وعين اليقين: ما شاهده وعاينه بالبصر. وحق اليقين: ما شاهده ووجده وذاقه وعرفه.
ينظر: تفسير القرآن للسمعاني (٤٥/١)، ومعالم التنزيل البغوي (٤٨/١)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٦٤٥/١٠)، والبحر المحيط لأبي حيان (١٦٧/١).

(٣) هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، وعكرمة، وسعيد بن جبير رحمهم الله، ذكره عنهم الطبري في جامع البيان (١٠٧/١)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٣٩/١)، والنحاس في معاني القرآن (٨٥/١)، وابن أبي طالب في تفسير الهداية (١٣٧/١) من رواية محمد بن إسحاق رحمه الله.

(٤) ما بين المعكوفتين كلمة ساقطة وأخرى غير واضحة.

وأنكروا.[١] ﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ﴾ أي: متساو لديهم الإنذار وتركه.[٢] والإنذار: إعلام بالتحذير.[٣]

﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾ أي: غطّى عليها حتى لا يدخلها الإيمان.[٤]

﴿ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡ ﴾ أي: مواضع سمعهم .﴿ غِشَٰوَةٞ ﴾ أي: ما يغطى على البصر ختم الواجب في أعمالهم. ﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾أي: يعظم عن وصف الخلق وتقدير العِظَم.

---

(١) أصل الكفر في اللغة: الستر والتغطية، ومنه يقال لليل: كافر؛ لأنه يستر الأشياء بظلمته. وسمي الكافر كافراً؛ لأنه يستر نعم الله تعالى بكفره ويصير في غطاء من دلائل الإسلام وبراهينه . والكفر في الشرع: إنكار ما يجب الإيمان به.

ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٩١/٥)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (١٨٥/٤)" كفر"، وتفسير القرآن للسمعاني (٤٥/١)، ولسان العرب لابن منظور (١٤٤/٥) "كفر ".

(٢) وردت هذه الآية في قومٍ علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون، وهو لفظ عامٌّ يراد به الخاص، لأنها أخبرت بأن الكافر حين إنذاره لا يؤمن وقد آمن كثير من الكفار عند إنذارهم، ولو كانت على ظاهرها في العموم لكان خبرُ الله تعالى على خلاف مخبره، فوجب نقلها إلى الخصوص.ينظر: معاني القرآن للنحاس (٨٧/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٧/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١٥٢/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨٤/١).

(٣) ينظر: معالم التنزيل للبغوي (٤٨/١)، وتفسير القرآن للسمعاني (٤٦/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨٤/١)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤١٤/٥)، ولسان العرب لابن منظور (٣٠٠/٥) "نذر".

(٤) الختْمُ: مصدر خَتَمْتُ الشيء خَتْماً فهو مختوم ومختَّم، ومعناه: التغطية على الشيء والاستيثاق منه حتى لا يدخله شيء. والختم على القلوب: عدم الوعي عن الحق، وعلى السمع: عدم فهمهم للحق، وعلى الأبصار: عدم هدايتها للحق. هذا معنى قول ابن عباس، وابن مسعود ﷺ، وقتادة وغيرهم رحمهم الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (١١٢/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٣٧/٧)"ختم"، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨٦/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (١٧٥/١).

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ الآية . نزلت في المنافقين المظهرين من أنفسهم أنهم يؤمنون بخلاف مانطوت عليه قلوبهم.(١) ﴿وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ أي: بالوقت الذي يحدث بعد انقضاء الليل والنهار. قوله:﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ أي: يخادعون رسول الله.(٢)[٢/ب].

﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ إذ وبال خداعهم راجع إليهم.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ أي: وما يعلمون أن الأمر كذلك. ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ أي: شك ونفاق.(٣)﴿ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ أي: جزاءً على كفرهم.﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي:

---

(١) أجمع المفسرون على أن هذه الآيات نزلت في وصف المنافقين، وممن نقل الإجماع على ذلك الطبري في جامع البيان (١١٦/١)، والرازي في التفسير الكبير (٥٣/٢).

(٢) هذا التفسير ورد عن الحسن البصري رحمه الله نقل ذلك عنه السمعاني في تفسير القرآن (٤٨/١)، والبغوي في معالم التنزيل (٥٠/١)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٩٥/١). والأظهر ما قاله الطبري في جامع البيان (١١٨/١): "وخداع المنافق ربه والمؤمنين، إظهاره بلسانه من القول والتصديق خلاف الذي في قلبه من الشك والتكذيب، ليدرأ عن نفسه بما أظهر بلسانه حكم الله ﷻ اللازم من كان بمثل حاله من التكذيب، لو لم يظهر بلسانه ما أظهر من التصديق والإقرار من القتل والسباء، فذلك خداعه ربه وأهل الإيمان ". والمخادعة: هي الاحتيال، والمراوغة بإظهار الخير مع إبطان خلافة، ليحصل مقصود المخادع، وهذا موافق لاشتقاق اللفظ في اللغة، فإنهم يقولون: طريق خَيْدَع، إذا كان مخالفاً للقصد لا يُشعَر به، ولا يفطن له، ويقال للسراب: الخَيْدَع، لأنه يغر من يراه، وضب خَدع، أي: مراوغ، ومنه قول النبي ﷺ: " الحرب خدعة ". أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير/ باب الحرب خدعة (١١٠٢/٣) برقم: (٢٨٦٦)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير/ باب جواز الخداع في الحرب (١٣٦٢/٣) برقم: (١٧٤٠) من حديث أبي هريرة ﷺ.

ينظر: العين للخليل (١١٥/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (١١٠/١)"خدع"، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١٥٠/١)، وإغاثة اللهفان لابن القيم (٣٤٠/١).

(٣) المرض الذي في قلوب المنافقين هو: شكهم في أمر نبينا محمد ﷺ وما جاء به من الحق. وهذا الذي عليه عامة المفسرين أن المرض هو الشك، وبه قال حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما، وابن مسعود ﷺ، وقتادة والربيع بن أنس وغيرهم رحمهم الله تعالى.

مؤلم. ﴿ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾ أي: لكونهم مكذِّبين لله ورسوله في السِّرّ.

﴿ وَإِذَا قِيلَ ﴾ إذا: للتوقيت.(١) ﴿ لَهُمْ ﴾ أي: للمنافقين ﴿ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: بالكفر والمعصية. ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ أي: نحن على خلاف ما تظنون، فيما نتعاطاه مصلحة لا فساد فيه. ﴿ أَلَآ ﴾: للتنبيه، أي: ألا ترون؛(٢)

وقوله: ﴿ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ ﴾ أي: إيماناً كما آمن المصدِّقون من الناس.

والسفهاء: الجهال.(٣)

﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ أي: لامتناعهم من الإيمان بعد وضوح الدلائل.

﴿ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: سفه أنفسهم، لاستيلاء الهوى والمعاندة عليهم.

قوله: ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ أي: نفاقاً ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ ﴾ أي: ذهبوا.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/١٢٠)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٩١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٦/١٢) "مرض"، وشفاء العليل لابن القيم (ص٩٨).

(١) (إذا): حرف توقيت بمعنى حينئذ، وهي تؤذن بوقوع الفعل المنتظر وفيها معنى الجزاء، وهو ظرف زمن مستقبل، ويلزمها معنى الشرط غالباً، ولا تكون إلا في الأمرِ المحقق أو المرجح وقوعه.

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (١/١٥٤)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١/١٥٥)، والبحر المحيط لأبي حيان (١/١٩٠)، والدر المصون للسمين (١/١٣٢).

(٢) (ألا): حرف تنبيه واستفتاح، وذهب السمين الحلبي إلى أن (ألا) ليست مركبة من همزة الاستفهام و(لا) النافية النافية، ولكنها لفظ مشترك بين التنبيه والاستفتاح.

ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (١/٩٣)، ودرج الدرر للجرجاني (١/١٠٧)، والبحر المحيط لأبي حيان (١/١٩١)، والدر المصون للسمين (١/١٣٩).

(٣) هذا ما ذهب إليه عامة علماء التفسير. وأصل السفيه: خفيف العقل، رقيق الحلم؛ ضعيف الرأي، قليل المعرفة بمواضع المصالح والمضار.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/١٢٨)، ومعاني القرآن للزجاج (١/٨٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/٥٠)، والبحر المحيط لأبي حيان (١/١٩٣).

﴿إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ أي: كبرائهم وسادتهم، إذ يقال: لكل متمرد شيطان.(١)

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ أي: على دينكم ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: بمحمد وأصحابه.

﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ أي: يجازيهم على استهزائهم.(٢)

﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ أي: يمهلهم ﴿فِي طُغْيَٰنِهِمْ﴾ أي: في كفرهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ أي: يتحيرون في الضلالة.(٣) ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ أي: العدول عن طريق الرشد.

---

(١) ذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن (٣٢/١)، والطبري في جامع البيان (٤٩/١)، وابن فارس في معجم مقاييس اللغة (١٨٤/٣)، والسمعاني في تفسير القرآن (٥٠/١). وسمي الشيطان شيطاناً لامتداده في الشر وبعده عن الخير، والمنقول عن عامة المفسرين أن المراد بالشياطين هنا: رؤساؤهم وعتاتهم في الكفر من شياطين الإنس.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٣٠/١)، ومعاني القرآن للنحاس (٩٥/١)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١٦٣/١)، والنكت والعيون للماوردي (٧٦/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٩٦/١)، ومنهاج السنة لابن تيمية (١٨٨/٥).

(٢) تفسير المؤلف رحمه الله استهزاء الله ﷻ بهم بمجازاته إياهم هو تفسير الأشاعرة لصفة استهزاء الله جل وعلا بالكافرين والمنافقين، والذي رجحه الطبري رحمه الله أن معنى الاستهزاء في كلام العرب إظهار المستهزئ للمُسْتَهْزَأ به من القول والفعل ما يرضيه ويوافقه ظاهراً، وهو بذلك من قيله وفعله به مُوَرِّطُهُ مساءَتَه باطنا. وقد اتفق السلف أنه لا ينسب الخداع، والمكر، والاستهزاء، والكيد، إلى الله تعالى على سبيل الإطلاق، ولا يجوز أن يشتق له منه اسم، وإنما يطلق في مقابل فعل العباد، لأنه في غير المقابلة لا يليق بالله تعالى، وفي معرض المقابلة فهو في غاية العلم والحكمة والقدرة. قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾[النساء:١٤٢]،وقال جل وعلا:﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[آل عمران:٥٤].

ينظر: جامع البيان للطبري (١٣٣/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٣/١)، وإغاثة اللهفان لابن القيم (١١٤/٢)، وفتح القدير للشوكاني (٤٥/١)، وأضواء البيان للشنقيطي (٤٩٦/٨).

(٣) قاله جمهور المفسرين.

﴿ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾ يعني: أخذوا الضلالة وتركوا الهدى.(١) ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ ﴾ أي: فما ربحوا في تجارتهم ﴿ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾ أي: من الضلالة. ﴿ مَثَلُهُمۡ ﴾ أي: شبههم. ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ ﴾ أي: أوقد.(٢) ﴿ فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ ﴾ أي: نوّرت. ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ ﴾ أي: ذهب بنورهم وبقيت الحرارة عليهم.(٣) ﴿ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴾

ينظر: جامع البيان للطبري (١/١٣٦)، وغريب القرآن لابن عزيز السجستاني (ص٣٢١)، وتهذيب اللغة للأزهري (١/١٠٦)"همع"، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٣٦).

(١) كيف قيل: ﴿ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾ وهم ما كانوا على هدى؟ والجواب أنهم لما تركوا الإيمان مع تمكنهم منه، واستحبوا الضلالة، صاروا كأنهم استبدلوا شيئاً بشيء، فصحَّ إطلاق الشراء عليه. وبهذا قال ابن عباس وابن مسعود ، ومجاهد رحمه الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/١٣٨)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٩٨)، والكشف والبيان للثعلبي (١/١٥٩)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١/١٦٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/٥١).

(٢) هذا رأي الأخفش، وابن كيسان، كما يقال: أجاب واستجاب. واستفعل في كلام العرب يأتي على وجهين: ١) يكون بمعنى استدعى الفعل من غيره نحو قوله: ﴿ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ ﴾ [البقرة: ٦٠]. أي: استدعى أن يسقوا.

٢) ويكون بمعنى فعل، نحو قوله: ﴿ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُ ﴾ [التغابن: ٦] فلم يستدع غني من واحد، وبعده: ﴿ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ ﴾ يدل على ذلك. والأظهر هنا: الوجه الأول، بمعنى: استوقدها من غيره.

ينظر: معاني القرآن للأخفش (١/٥٣)، وتفسير الطبري (١/١٤٠)، ومعاني القرآن للنحاس (١/١٠١)، ودرج الدرر لعبد القاهر الجرجاني (١/١١٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١/١٦٠)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١/١٧٠).

(٣) أخبر الله ﷻ عن حال المنافقينَ بالنسبة إلى حظهم من الوحي: أنهم بمنزلة من استوقد نارًا لتضيء له وينتفع بها، وهذا لأنهم دخلوا في الإسلام ظاهراً فاستضاؤوا به وانتفعوا به وخالطوا المسلمين، ولكن لما لم يكن لصحبتهم أثرًا في قلوبهم من نورِ الإسلام طفئ عنهم، وذهب اللّه بنورهم، ولم يقل بنارهم فإن النار فيها الإضاءة والإحراق، فذهب الله بما فيها من الإضاءة وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق.

وقد يرى المبصرُ الصحيحُ الحاشية في الظلمات شيئاً وإن كان لا يرى جميع الأشياء، فنفى الله عنهم مطلقاً كالذي لم ير شيئاً أصلاً . ﴿ صُمٌّ ﴾ أي: هم صمٌّ عن الهدى، فلا يسمعون الحق. ﴿ بُكْمٌ ﴾ عن الحق لا يقولونه ﴿ عُمْىٌ ﴾ عن الحق فلا يبصرونه.

قوله:﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾ أي: وكأصحاب صيِّبٍ،(١) وهو: المطر.

﴿ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي: من السحاب ﴿ فِيهِ ﴾ أي: في السحاب.

أما الرعد: فالصوت الذي يخرج من السحاب.(٢) والبرق: التحريك والضرب، أي: يُضرَب

ينظر: جامع البيان للطبري (١/١٤٥)، والأمثال من الكتاب والسنة للحكيم الترمذي (١/١٧)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١/١٧٠)، وإعلام الموقعين لابن القيم (١/١٥١).

(١) اختار المصنف رحمه الله بأن (أو) ها هنا بمعنى الواو، أي: أن المثل الناري والمثل المائي كلاهما مضروب لصنف واحد من المنافقين، وهو اختيار الطبري، والمعنى الثاني وهو الأظهر أنها: للتفصيل، بمعنى أن الناظرين في حال هؤلاء؛ منهم من يشبههم بحال المستوقد الذي هذه صفته، ومنهم من يشبههم بأصحاب صيِّب هذه صفته، فإن المنافقين أصناف، ولهم أحوال كما ذكر الله ذلك في سورة براءة: ومنهم ، ومنهم، ومنهم، يذكر أحوالهم وأوصافهم، فجعل هذين المثلين لصنفين منهم أشدّ مطابقة لأحوالهم وصفاتهم، وهذا هو اختيار ابن عطية، وأبي حيان.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/١٤٩)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/١٠١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/٢١٥)، والبحر المحيط لأبي حيان (١/٢٢١)، وبدائع الفوائد لابن القيم (١/٢٠٥).

(٢) هذا قول ابن الأنباري ونسبه إلى اللغويين. يقال: رعَد يرعَد رَعْداً وأرْعَد إذا تهدّد وأوعد، ومنه الرِّعْدة والارتعاد، وكل شيء اضطرب فقد ارتعد. وقال علي، وابن عباس ﷺ، وأكثر المفسرين بأن الرعد: ملك يسوق السحاب بالتسبيح كما يسوق الحادي الإبل بحدائه.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/١٥٠)، والدعاء للطبراني (ص٣٠٦)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢/١٢٢)"رعد"، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٥٣)، ولسان العرب لابن منظور (٣/١٧٩)"رعد".

السحاب ضربة فترى النيران.[(١)] والصواعق: أنواع اللهب.[(٢)] و﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ : مخافته. والمحيط: العالِم.[(٣)]

قوله: ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ ﴾ أي: يقرب ﴿ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴾ أي: يطمسها ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ ﴾ أي: مضوا فيه ﴿ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ ﴾ أي: متحيّرين.[(٤)]

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ الظاهرة، كما ذهب بسمعهم وأبصارهم

---

(١) البرق: النار الذي يلمع من السحاب، من بَرِقَ الشيء بريقاً إذا لمع، وأصل البرق من البريق والضوء. ينظر: العين للخليل (٥/١٥٥)، وتاج العروس للزبيدي (٢٥/٣٧)، ولسان العرب لابن منظور (١٠/١٤)"برق".

(٢) الصواعق: جمع صاعقة، وهو: الشديد من صوت الرعد تقع معه قطعة نار تحرق ما أتت عليه. والصواعق أيضاً: المهالك، والصاعقة والصاقعة والصّعقة: المهلكة، ومنه قيل: صُعِقَ الإنسان، إذا غُشيَ عليه، وصَعِقَ، إذا مات.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١/١٢٢)، ولسان العرب لابن منظور (١٠/١٩٨)"صعق"، والبحر المحيط لأبي حيان (١/٢٢٠).

(٣) يعني عالم بأعمالهم، والإحاطة هي: إدراك الشيء بكماله، ومنه قوله تعالى:﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾[الطلاق:١٢]. والإحاطة من الله تعالى تجمع معاني القهر والاقتدار والعلم، يقال: أحاط السلطان بفلان، إذا أخذه أخذاً حاصراً من كل جهة، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ ﴾[الكهف:٤٢].

ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١/٥٩)، والكشف والبيان للثعلبي (١/١٦٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/٥٤)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/١٠٣).

(٤) يعني: أنّ المنافقين إذا أظهروا كلمة الإيمان أمِنوا وصارت لهم نوراً، فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة. قال قتادة: "والمنافق إذا كثر ماله وحسُن حاله، وأصاب في الإسلام رخاءً وعافية ثبت عليه، فقال: أنا معكم، وإذ ذهب ماله وأصابته شدّة، قام متحيراً وخفق عندها، فلم يصبر على بلائها،ولم يحتسب أجرها ".

ينظر: جامع البيان للطبري (١/١٥٤)، والكشف والبيان للثعلبي (١/١٦٦)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/١٠٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/٢٢٣).

الباطنة؛ حتى صاروا صُمًّا عُميًا. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ أي: وحِّدوه وأطيعوه. ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ﴾ أي: أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئًا. ﴿ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ أي: وخلق الذين من قبلكم.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ أي: لكي تنجوا من السخط والعذاب ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾ بساطا ومناماً، أي: لم يجعل حَزْنَةً[1] لا يمكن الاستقرار عليها.

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾ أي: سقفاً ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي: السحاب.

﴿ مَآءً ﴾ أي: مطراً ﴿ فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ أي: من ألوانها ﴿ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ أي: طعاماً لكم. ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ أي: أمثالاً.[2] ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أي: تعلمون أنه خالقُ الأشياء، والأصنام لا تخلق شيئاً. ﴿ وَإِن كُنتُمْ ﴾ أي: وإذ كنتم.[3]

---

(١) الحَزْنُ: ما غلظ من الأرض، ويقال: في خلق فلان حَزُونَة : أي غلظة وقساوة. قال ابن شميل:"أول حزون الأرض قفافها وجبالها وقواقيها وخشنها ورضمها، ولا تعدّ أرض طيبة".

ينظر: غريب القرآن لابن عزيز السجستاني (ص٣٧٠)، وتهذيب اللغة للأزهري (١١٢/٤)"حزن"، والتبيان لابن الهائم (ص٦٦)، ولسان العرب لابن منظور (١١١/١٣)"حزن".

(٢)الأنداد جمع ندّ، والندّ: العِدْل والمِثْل.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٣٤/١)، وجامع البيان للطبري (١٦٣/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٥٠/١٤)"ند"، ولسان العرب لابن منظور (٤١٩/٣)"ندد".

(٣)﴿ وَإِن ﴾: لفظة جزاء وشرط، ومعناه: إذ؛ لأنّ الله تعالى علم إنهم شاكّون، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[آل عمران:١٣٩].

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (١٦٧/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٤٢/١)، والدر المصون للسمين (١٩٦/١).

﴿ فِي رَيْبٍ ﴾ أي: في شك ﴿ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ ﴾ أي: بقطعةٍ.(١)

﴿ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ أي: من مثل القرآن ﴿ وَٱدْعُوا شُهَدَآءَكُم ﴾ أي: استعينوا بهم، يعني الأصنام التي تزعمون أنها تشهد لكم .

وقوله: ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أي: إن كنتم صادقين أن محمداً تقوَّله من تلقاء نفسه.

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا ﴾ أي: فيما مضى ﴿ وَلَن تَفْعَلُوا ﴾ أي: فيما بقي ﴿ فَٱتَّقُوا ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ﴾ أي: حطبها: ﴿ ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ أي: حجارة الكبريت، إذ نارها أشدّ حرًّا. (٢) ﴿ أُعِدَّتْ ﴾ أي: خُلقت ﴿ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾(٣) ﴿ وَبَشِّرِ ﴾ أي: وأخبر ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ أي: وعملوا الأعمال الصالحات، يعني: فعلات الخير مع الإخلاص. ﴿ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ ﴾ بساتين ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ﴾ أي: من تحت أشجارها.

---

(١) قاله ابن الأنباري. وسميت سورة لأنها بقية من القرآن وقطعة منه. وقال أبو عبيدة: سميت سورة لأنها يرتفع بها من منزلة إلى منزلة، كإشرافه على سور البناء. ولا مانع من اعتبار المعنيين. والسورة في الاصطلاح: اسم لقطعة من القرآن تشتمل على آيات وَفِقَ عليها بتوقيف من النبي ﷺ.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٣/١)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١٩٢/١)، وديوان النابغة (ص٢٢١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٥٠/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٤٥/١).

(٢) قاله ابن عباس، وابن مسعود ﷺ، وابن جريج، وأكثر المفسرين رحمهم الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٦٨/١)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١٩٥/١)، والمفردات للراغب (ص١٠٨)"حجر"، ومعالم التنزيل للبغوي (٥٦/١).

(٣) في هذه الآية الكريمة دليل لمذهب أهل السنة على أن النار موجودة الآن وأنها مخلوقة، لأن المعَدّ لا يكون إلا موجوداً، خلافاً للمعتزلة والخوارج الذين ذهبوا إلى أن النار لم تخلق حتى الآن! قال ابن أبي العزّ:"اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل أهل السنة على ذلك، حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية، فأنكرت ذلك". شرح العقيدة الطحاوية (ص٤٧٦).

ينظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة (٨٨١/٢)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١٦٤/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦٢/١)، وتيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبد الله (ص٦٤).

﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ أي: مياه الأنهار ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا﴾ أي: من الجنة.

﴿مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا﴾ أي: طعاماً ﴿قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا﴾ أي: أُطعمنا من قبل، لتشابههما.﴿وَأُتُواْ بِهِۦ﴾ أي: جيئوا بالرزق.

﴿مُتَشَٰبِهٗا﴾ أي: يشبه [٣/أ] بعضه بعضاً في الألوان مع الاختلاف في الطعوم.

﴿وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ﴾ أي: زوجات ﴿مُّطَهَّرَةٞ﴾ أي: من الغائط والبول والحيض وغيرها من الأقذار.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ﴾ أي: لا يمنعه الحياء.[١]﴿أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا﴾ أي: شيئاً من الأشياء. ﴿بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا﴾ أي: أكبر منها.[٢]وذلك خرج على قول الكفار حيث قالوا: ما يستحي إله محمد ﷺ أن يضرب المثل بالعنكبوت والذباب.[٣]

---

(١) قاله مقاتل بن سليمان، والبغوي. وهو الأقرب، لظاهر الآية الكريمة.وقال أكثر المفسرين: لا يترك.
ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٣٨)، وجامع البيان للطبري (١/١٧٩)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١/١٩٩)، والكشف والبيان للثعلبي (١/١٧٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٥٨).

(٢) رجح هذا المعنى الطبري، وأبو حيان، وعللوا لهذا الاختيار: لجريان "فوق" على مشهور ما استقر في لغة العرب. وذهب السمعاني، والسمين الحلبي، بأن المراد بـ "فوقها" يعني: في الصغر، وأصغر من ذلك، وقالوا في تعليلهم لهذا الاختيار: لأن الغرض بيان أن الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشيء الصغير الحقير، وقد ضرب النبي ﷺ مثلاً للدنيا بجناح البعوضة، وهو أصغر منها. وجمع ابن عطية الأندلسي بين القولين معللاً ذلك بأن الكل محتمل. وهذا هو الأظهر والله تعالى أعلم، فإن هذا اللفظ من الأضداد يحتمل كلا المعنيين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/١٨٠)، والبحر المحيط لأبي -حيان (١/٢٦٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/٦١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/١١١)، والدر المصون للسمين الحلبي (١/٢٢٦).

(٣) لم أجده بهذا اللفظ؛ وإنما ورد بمعناه عند الطبري في جامع البيان (١/١٧٧)، وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص٢٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما: "لما ضرب الله سبحانه هذين المثلين للمنافقين، يعني قوله: ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا﴾[البقرة:١٧]، وقوله: ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ

وقوله: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ أي: أيّ شيء أراد الله بهذا المثل. وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ ﴾ أي: يتركون.

﴿ عَهْدَ ٱللَّهِ ﴾ أي: عهد الله إليهم يوم الميثاق بقوله: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف:١٧٢].(١) ﴿ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾ أي: توكيده.

﴿ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ يعني: الأرحام.

﴿ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: بالمعاصي وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ .

ٱلسَّمَآءِ ﴾[البقرة:١٩] قالوا: الله أجلُّ وأعلى من أن يضرب الأمثال، فأنزل الله هذه الآية". وأخرج الطبري في جامع البيان (١/١٧٧)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١/٢٧٣)، وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص٢٣) عن قتادة رحمه الله:" لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه، وضرب للمشركين به المثل، ضحكت اليهود وقالوا: ما يشبه هذا كلام الله، فأنزل الله هذه الآية". وروى ابن أبي حاتم في تفسيرالقرآن (١/٦٩) عن قتادة رحمه الله قال:"لما ذكر الله تبارك وتعالى العنكبوت والذباب قال المشركون: ما بال العنكبوت والذباب يذكران ؟ فأنزل الله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [البقرة:٢٦]". وأشار ابن حجر رحمه الله في العجاب في بيان الأسباب (١/٢٤٥) إلى ضعف هذه الروايات، ثم ذكر عن الربيع بن أنس رحمه الله:"إن الآية نزلت من غير سبب، وإنما هو مثل ضربه الله تعالى للدنيا وأهلها، فإن البعوضة تحيا ما جاعت، فإذا امتلأت هلكت، وكذلك حال أهل الدنيا إذا امتلئوا منها كان سبباً لهلاكهم غالباً.

(١) هذا قول الزجاج رحمه الله.وقال ابن عباس رضي الله عنهما، ومقاتل: ما أخذه الله على اليهود في التوراة أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويبينوا نعته وصفته. وقال السدي بالعموم في كل ناقضٍ للعهد الذي أبرمه الله تعالى وأحكمه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ من الإيمان بالله والتزام الشرائع. والقول بالعموم هو الظاهر من الآية الكريمة، فكل من نقض عهد الله من مسلم وكافر ومنافق أو مشرك أو كتابي، تناوله هذا الذم، وبه قال ابن عطية، واستحسنه ابن كثير رحمهم الله تعالى.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/١٨٣)، ومعاني القرآن للزجاج (١/١٠٥)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/١١٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٥٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٦٧).

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أي: المغبونون بالعقوبة.

قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ تعجيب من كفرهم. ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ أي: وكنتم نطفاً في أصلاب آبائكم. ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ أي: في الأرحام في الدنيا.

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ أي: عند انقضاء آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ أي: للبعث.(١)

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: تُرَدُّون في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أي: جميع ما في الأرض مما ينتفعون به.(٢)

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي: صعد أمره إلى السماء.(٣)

---

(١) روي هذا القول عن ابن عباس، وابن مسعود رضي الله عنهما، وقتادة، ومجاهد، وأبي العالية، وقرره ابن جرير الطبري، وابن عطية، وابن كثير، رحمهم الله تعالى، وخلاصته: أنهم كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم، فأحياهم الله وخلقهم، ثم أماتهم الموتة التي لا بدّ منها، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة، فهما حياتان وموتتان، بدليل قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١].

ينظر: جامع البيان للطبري (١/١٨٦)، والنكت والعيون للماوردي (١/٩١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/١١٤)، وروح المعاني للألوسي (١/٢١٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٦٧).

(٢) في هذه الآية دليل على أن الأصل في الأشياء الإباحة، إلا ما قام عليه دليل بالحظر والمنع، وهو مذهب الشافعية، بدليل حديث أبي الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال: " ما أحلّ الله فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئاً". أخرجه الترمذي في سننه (٤/٢٢٠)، برقم: (١٧٢٦) كتاب اللباس/باب ما جاء في لبس الفراء. قال الهيثمي في المجمع (١/١٧١): "رواه البزار والطبراني في الكبير وإسناده حسن ورجاله موثقون ".

ينظر: التبصرة في أصول الفقه للفيروز آبادي (ص٥٣٤)، وقواطع الأدلة للسمعاني (٢/٦٣)، وشرح مختصر الروضة للطوفي (١/٤٠٠)، والتحبير شرح التحرير للمرداوي (٥/٢٢٤٨).

(٣) الصحيح أن الاستواء هنا بمعنى: قصد وعمد إلى خلقها. فالاستواء في اللغة: يطلق على معان تدور على الكمال والانتهاء، وقد ورد في القرآن الكريم على ثلاثة وجوه: ١) مطلق، كقوله ﷻ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ

﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ﴾ أي: جعلهن سبع سموات مستويات بلا فُطُورٍ[1] ولا أَمْتٍ.[2]

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾.

﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن

أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾[القصص:١٤]، أي كمل.

٢) ومقيد بـ (إلى)، كقوله ﷻ هنا:﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾[البقرة:٢٩]، أي قصد وعمد إلى خلقها.

٣) ومقيد بـ (على)، كقوله ﷻ:﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾[الحديد:٤]، ومعناه حينئذ العلو والاستقرار. فاستواء الله على عرشه معناه: علوه واستقراره عليه، علواً واستقراراً يليق بجلاله وعظمته. قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: " الاستواء ههنا تضمَّن معنى القصد والإقبال لأنه عدي بـ (إلى) ". وما ذكره المؤلف رحمه الله فيه تأويل لصفة الاستواء .

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٣٨١/٤)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧٨/٣٣)، واجتمـــاع الجيوش الإسلامية لابن القيم (ص٥٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦٧/١)، والعلو للعلي الغفار للذهبي (ص٦٣).

(١) الفُطُور: جمع فَطَر: فَطَرَ الشَّيء يَفْطُره: إذا شقّه، وتفطَّر الشيء: تشقق. ومنه قوله:﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾[الملك:٣]، أي: شقوق وفروج واختلال. ومعنى التسوية هاهنا هو: أن السماوات ليس بعضها أرفع من بعض، ولا أخفض من بعض.

ينظر: تفسير القرآن للسمعاني (١٥١/٦)، والمفردات للراغب (ص٣٨٢)"فطر"، ولسان العرب لابن منظور (٥٥/٥) "فطر".

(٢) الأَمْت: الارتفاع اليسير، ومنه قوله تعالى:﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا﴾[طه:١٠٧] أي: ليس فيها اعوجاج ولا ارتفاع بعضها على بعض، بل هي مستوية. والعرب تقول: قد ملأ القربة ملأً لا أمت فيه"، أي: ليس فيه استرخاءٌ من شدة امتلائها.

ينظر: معاني القرآن للفراء (٥١٧/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٤٣/١٤)"أمت"، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٣٧/١)" أمت"، ولسان العرب لابن منظور (٥/٢) " أمت "، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٥٩/٦).

يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة: ٣٠].

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ إذ: معناها: الوقت،(١) فكأنه قال: ابتدأ خلقكم إذ ﴿ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ أي: للرسل.(٢) ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ ﴾ إني خالق.

﴿ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ أي: بدلاً من الذين كانوا قبلك في الأرض.(٣)

---

(١) كأنه قال: ابتداء خلقكم إذ قال ربك للملائكة. و(إِذْ) و (إِذَا): حرفا توقيت، إلا أنّ (إِذْ) للماضي، و (إِذَا) للمستقبل، وقد يوضع أحدهما موضع الآخر، قال المبرد: إذا جاء (إِذْ) مع المستقبل كان معناه ماضياً كقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾[الأنفال: ٣٠]، يريد: وإذ مَكَر، وإذا جاء (إِذَا) مع الماضي كانت معناه مستقبلاً كقوله: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ﴾ [النازعات: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ ﴾[النصر: ١]، أي: يجيء.

ينظر: المقتضب للمبرد (٣٤٧/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٦٠/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٨٦/١)، والدر المصون للسمين (٢٤٧/١)، ومغني اللبيب لابن هشام (ص١١١).

(٢) الملائكة: جمع مَلَك، بغير همز، وإنما قيل ذلك لأنه في الأصل كان مَأْلَك بالهمز، فأُسقط الهمزة للتخفيف، وأصله من لأَكَ يألُكُ والمَلأَك، والأَلُوكَة، بمعنى: الرسالة، وإنما سميت الملائكة ملائكة: لأنهم رسل الله تعالى. قال تعالى في وصف جبريل عليه السلام: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾[التكوير: ١٩-٢٠].

ينظر: العين للخليل (٣٨٠/٥)"ملك"، وجامع البيان للطبري (١٩٨/١)، ولسان العرب لابن منظور (٤٨٠/١٠)"لأك".

(٣) اتفق المفسرون على أن المراد بهذا الخليفة: آدم صلوات الله وسلامه عليه. والخليفة، والخليف بمعنى واحد، وجمع الخليف خلفاء. وجمع الخليفة خلائف. واختلفوا في أنه لم سمي خليفة ؟

فمنهم من قال: لأنه خليفة الجن؛ الذين كانوا يسكنون الأرض قبله، ولأنه أول رسول في الأرض. وهو منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما، والربيع بن أنس رحمه الله. وقيل: إنما سماه خليفة؛ لأنه يخلف غيره ويخلفه غيره، فهو مفرد أريد به الجمع، أي: خلائف، والمراد: قوماً يخلف بعضهم بعضاً، قرناً بعد

وقوله:﴿مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾ أي: بالمعصية ﴿وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ أي: يُريقها.

﴿وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ﴾أي: نقول: سبحان الله وبحمده.(١)

﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ أي: نذكر تقديسك خالصاً لك. ومعنى سبحان الله: أي: أذكر براءة

قرن، وجيلاً بعد جيل، وهذا محكي عن الحسن البصري رحمه الله. لقوله تعالى:﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ﴾ [الزخرف:٦٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾[الأنعام:١٦٥]. وقيل: إنما سمي خليفة لأنه خليفة الله في الأرض؛ يحكم بشرعه، ويقوم على تنفيذ أوامره، وعمارة أرضه، وهذا القول منسوب إلى ابن عباس، وابن مسعود ﷺ، والسدي رحمه الله، بل نسبه القرطبي إلى جميع أهل التأويل. بدليل قوله تعالى:﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ ﴾[ص:٢٦]. ولا مانع من اعتبار هذه الأقوال كلها، إذ لا منافاة بينهما، وقد دل على كل واحد منها دليل معتبر. والله تعالى أعلم.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/١٩٩)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٢٢٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/٢٦٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٧٠)، ولسان العرب لابن منظور (٩/٨٢)، "خلف".

(١) ورد هذا عن الحسن رحمه الله، ذكر عنه الثعلبي في الكشف والبيان (١/١٧٦)، والسمعاني في تفسير القرآن (١/٦٤)، والبغوي في معالم التنزيل (١/٦٠). ويدل عليه الحديث الذي رواه مسلم عن أبي ذر ﷺ أنّ رسول الله ﷺ سئل: أيّ الكلام أفضل ؟ قال: «ما اصطفاه الله تعالى لملائكته أو لعباده: سبحان الله وبحمده». (صحيح مسلم (٤/٢٠٩٣)، برقم (٢٧٣١)، كتاب الذكر/باب فضل سبحان الله وبحمده).

الله من السوء.[١] ومعنى التقديس: التطهير.[٢] ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ أي: ما يتعلق بسرّ القدر في أمر خلق آدم من اصطفائه، ولَعْنِ إبليس بسبب الامتناع من السجود له، والله أعلم.[٣]

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ أي: عـرض أصـــحـاب الأسماء.[٤]

---

(١) قرّر هذا المعنى غير واحد من أئمة اللغة والتفسير ومنهم: سيبويه في كتابه (١/٣٢٤)، والمبرد في المقتضب (٣/٢١٧)، والنحاس في معاني القرآن (٤/١١٦)، والأزهري في تهذيب اللغة (٤/١٩٦)" سبح "، ومكي بن أبي طالب في تفسير الهداية (٦/٤١٢٣).

(٢) التقديس بمعنى التطهير معروف في كلام العرب ومنه قولهم: أرض مقدسة – أي: مطهرة – ومنه حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: «سبوح قدوس رب الملائكة والروح». أخرجه مسلم (١/٣٥٣)، برقم (٤٨٧) كتاب الصلاة/ باب ما يقال في الركوع. أي: تنزيهاً لله وطهارة له. وقيل: التقديس هنا المراد به الصلاة، وتقديس الملائكة لربها صلاتها له، وهو مروي عن قتادة رحمه الله، ولا منافاة بين المعنيين، بين من قال: إن التقديس التطهير، أو الصلاة، لأن الصلاة تطهير من أدران الكفر .

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٢١٠)، وتفسير القرآن لابن حاتم (١/٧٩)، والمفردات للراغب (ص٣٩٦)"قدس"، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٧٢).

(٣) أي: أن الله ﷻ يعلم من بواطن الأمور وحقائقها مالا يعلمونه وهو العليم الحكيم، فظهر من هذا الخليفة من خيار خلقه ورسله وأنبيائه، وصالحي عباده والشهداء والصديقين، والعلماء وطبقات أهل العلم والإيمان، من هو خير من الملائكة، وظهر إبليس من هو شر العالمين، فحصل من خلق آدم واصطفائه، وإسكانه الأرض، ولعن إبليس وطرده من رحمته، من الحكم الباهرة.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٢١٢)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١/٢٢٢)، والبدء والتاريخ لابن طاهر المقدسي (٢/٨٨)، ومفتاح دار السعادة لابن القيم (١/٥٢).

(٤) اختلف المفسرون في الذي عرضه الله تعالى على الملائكة على قولين: الأول: المراد أصحاب الأسماء ممن يعقل، لقوله تعالى:﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمۡ ﴾قالوا: وهذا الضمير لا يكون إلا لمن يعقل، وما لا يعقل يقال فيها: عرضها. قاله أبو العالية، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهذا اختيار الطبري. والقول الثاني: أن الله

وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ أي: في قولكم:"إني لا أخلق خلقاً أعلم منكم"؛ لأنهم قالوا:"لن يخلق ربُّنا خلقاً أعلم منا".(١) ﴿قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ﴾ أي: تنزيهاً لك.(٢)

﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ أقرُّوا بالعجز واعتذروا. ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ﴾ أي: بخلقك. ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ أي: في أمرك. ﴿قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم﴾ أي: أخبرهم.

قوله: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: أعلم غيبهما. ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ أي: من الخضوع والطاعة ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ أي: من قولكم:

تعالى علمه أسماء كل شيء، وهو المروي عن ابن عباس وأصحابه رضي الله عنهم، وهذا قول الجمهور، وهو الأصح والله أعلم، لقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ لفظ مؤكد: فلا يصح تخصيصه بالدعوى. وقوله: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾؛ ولم يقل:" عرضها " لأن المسميات إذا جمعت من يعقل ومن لا يعقل يكنى عنها بلفظ من يعقل، كما يكنى عن الذكور والإناث بلفظ الذكور. ومما يؤكد ذلك ما ثبت في صحيح البخاري من حديث أنس ﷺ عن النبي ﷺ، في حديث الشفاعة وفيه: "يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كلّ شيء"

صحيح البخاري (١٦٢٤/٤)، برقم (٤٢٠٦) كتاب التفسير/باب قول الله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢١٥/١)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٨٠/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٦١/١)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٩٤/٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧٤/١).

(١) روى ذلك الطبري في جامع البيان (٢٢٣/١)، عن الربيع بن أنس، وابن أبي حاتم (٨٣/١) في تفسير القرآن عن أبي العالية بلفظ:" فكان الذي كتموا قولهم: لن يخلق ربنا خلقاً إلا كنا نحن أعلم منه وأكرم ". ثم قال ابن أبي حاتم: " وروي عن الحسن نحو ذلك، وتابع ابن عباس على تفسيره مجاهد، وسعيد ابن جبير، والسدي، والضحاك وتابع أبا العالية: قتادة، والحسن ". وجوّد إسناده عن أبي العالية الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (١٢٦/١).

(٢) ينظر: العين للخليل (١٥١/٣)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٢٠٣/٢)، ومختار الصحاح للرازي (١١٩/١)"سبح".

"لن يخلق ربُّنا إلا كنا أعلم منه وأكرم ".[١]

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ ﴾ أي: سجود تعظيمٍ وتحية.[٢]

وقوله: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أي: كان بسبب الاستكبار والإباء كافراً ؛ لأنه ما اقتصر على الذنب بل اعترض على الله بقوله: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾[الأعراف:١٢] ، فكأنه قال: لم يكن هذا الأمر حقاً لأني خير منه، فلا ينبغي أن أومر بالسجود لمن هو دوني. بسبب ذلك؛ كَفر بالله العظيم. قوله: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ وذلك أن آدم نام فخُلقت حوّاء من قُصَيرٍ له فاستيقظ فرآها.[٣]

---

(١) تقدّم تخريجه ص :٨٨.

(٢) أجمع المسلمون على أن سجود الملائكة لآدم عليه السلام ليس سجود عبادة؛ لأن عبادة غير الله تعالى كُفر. وهذا السجود من الملائكة لآدم عليه السلام إنما كان تحيةً وإكراماً له، وهو طاعة لله عز وجل، لأنه امتثال لأمره تبارك تعالى، وقد كان هذا مشروعاً في الأمم الماضية، كسجود إخوة يوسف عليه السلام ليوسف عليه السلام ولكنه نُسخ في ملتنا.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٢٢٨)، والتفسير الكبير للرازي (٢/١٩٤)، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١/٨٢٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٧٨).

(٣) روي ذلك عن مجاهد رحمه الله عند الطبري في جامع البيان (٤/٢٢٤)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٥/١٦٣٠)، وذكره النحاس في معاني القرآن (٢/٧)، ومكي بن أبي طالب في تفسير الهداية (٢/١٢١٢) أنه قال: " خلقت حواء من قُصَيرى آدم وهو نائم ". ومعنى "قُصَيرى" أي: ضلعه اليسرى عليه السلام، وهي أسفل الأضلاع. ويؤيّد ذلك ما ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضِلَع، وإن أعوج شيء في الضِّلَع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء ". أخرجه البخاري في صحيحه (٣/١٢١٢) برقم: (٣١٥٣) في كتاب الأنبياء/باب قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾، ومسلم في صحيحه (٢/١٠٩١) برقم: (١٤٨٦) كتاب الرضاع/باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة.

﴿وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا﴾ أي: هنيئاً.[(١)] قوله:﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ أي: شجرة السنبلة التي جعلها رزقاً لولده في الأرض.[(٢)]

قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ يعني: زَلاًّ وبُعِدا عن الجنة بإغواء الشيطان إياهما فصار كأنه أزلّهما. ﴿فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ ما سكن آدمُ الجنة إلا مقدار صلاة العصر إلى صلاة

ينظر: العين للخليل (٢٧٩/١) " ضلع "، والمحرر الوجيز لابن عطية (١٢٦/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/٥)، ولسان العرب لابن منظور (٩٥/٥)"قصر".

(١) وبه قال ابن مسعود ﷺ. وقال ابن عباس رضي الله عنهما:" الرغد: سعة المعيشة ". وقال مجاهد رحمه الله:" ﴿رَغَدًا﴾ أي: لا حساب عليهم ". ولا مانع من اعتبار هذه المعاني كلها فإنها من قبيل اختلاف التنوع، فإنّ الرغد في اللغة: "الواسع من العيش، الذي لا يعنِّي صاحبه ولا يتعبه، يقال: أرغد فلان، إذا أصاب واسعاً من العيش الهنيء". قال السمعاني رحمه الله: "الرغد: الواسع من العيش، وهو: أن يأكل ما شاء إذا شاء كيف شاء".

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٣٨/١)، وجامع البيان للطبري (٢٣٠/١)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤١٧/٢)"رغد"، وتفسير القرآن للسمعاني (٦٨/١)، والمفردات للراغب (ص١٦٨) "رغد"، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣١٠/١).

(٢) روى هذا القول ابن جرير الطبري رحمه الله ، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٨٦/١)، وذكره مكي بن أبي طالب في تفسير الهداية (٢٣٥/١) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأبي مالك الأشجعي، وعطية بن سعد، وقتادة رحمهم الله تعالى. وقال الطبري رحمه الله: "ولا علم عندنا أيّ شجرة كانت على التعيين، لأن الله لم يضع لعباده دليلاً على ذلك في القرآن، ولا في السنة الصحيحة". جامع البيان (٢٣١/١). ورجح الرازي رحمه الله في التفسير الكبير (٦/٣) الإبهام، وصوبه ابن كثير رحمه الله في تفسير القرآن العظيم (٧٩/١).

المغرب،[١] وذلك مائة وثلاثون سنة من سني هذا الزمان،[٢] وكان يوم الجمعة، فيه خُلِق، وفيه أُدخِل الجنة، وفيه أُخرِج منها.[٣] وكان رجلاً طوالاً كأنه نخلة سحوق،[٤] كثير شعر الرأس، فلما ركب الخطيئة بدت عورته، وكان لا يراها قبل ذلك، فانطلق هارباً في الجنة فتعلقت به شجرة فقال لها: أرسليني ؟[٥] قالت: لستُ بمرسلتُكَ ، وناده ربه: يا آدم ! أمنّي تفرّ ؟ قال:

---

(١) أخرج ذلك الحاكم في المستدرك (٥٩١/٢) برقم: (٣٩٩٣) كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين/ ذكر آدم عليه السلام، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " ما سكن آدم الجنة إلا ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس". ثم قال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

(٢) روى ذلك الإمام أحمد رحمه الله في الزهد (ص٤٧)، والمروزي رحمه الله في تعظيم قدر الصلاة (٤٧٨/١)، وأبو نعيم في الحلية (٢٧٢/٦) عن الحسن البصري رحمه الله قوله:" لبث آدم في الجنة ساعة من نهار، تلك الساعة ثلاثون ومائة سنة من أيام الدنيا ".

(٣) يؤيد ذلك ما ثبت في صحيح مسلم (٥٨٥/٢)، برقم: (٨٥٤) كتاب الجمعة/باب فضل يوم الجمعة، من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: " خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة ".

(٤) نخلة سحوق: أي: طويلة التي بعد ثمرها على المجتني، وجمعه: سُحُقٌ، ومكان سحيق، أي: بعيد، والسُّوحق: الطويل من الرجال. وقد حُدّد طول آدم عليه السلام في الحديث الذي رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "خلق الله آدم وطوله ستون ذراعًا ..." الحديث. أخرجه البخاري (١٢١٠/٣)، برقم: (٣١٤٨) كتاب الأنبياء/ باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته.

ينظر: لسان العرب لابن منظور (١٥٢/١٠)"سحق"، والدر المصون للسمين (٥٤١/٨)، وتاج العروس للزبيدي (٤٣٣/٢٥)" س ح ق ".

(٥) الإرسال هنا بمعنى: الإطلاق والتخلية. يقال: أَرْسَلَ، أي: أطلق، والأملاك المرسلة: المطلقة، والإرسال خلاف التقييد، والرَّسَل: الإبل ترسل إلى الماء، ومنه الحديث الذي في صحيح البخاري (١١٤٤/٣)، برقم: (٢٩٧٣) كتاب الجهاد والسير/باب من لم يُخَمِّس الأسلاب، عن أبي قتادة ﷺ مرفوعاً وفيه قوله:" فضمني ضمة وجدت منها ريح الموت ثم أدركه الموت فأرسلني ". أي: خلاني وأطلقني. وسُمي الرسول رسولاً من التتابع، لتتابع الوحي ورسالة الله تعالى إليه.

ينظر: العين للخليل (٢٤٠/٧)، ومشارق الأنوار للقاضي أبي الفضل (٢٩٩/١)، ومختار الصحاح لابن أبي بكر الرازي (٢٠٢/١) "ر س ل" .

يا رب أستحييك.[1]

﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ وذلك أنه لعن الحية وقطع قوائمها وتركها تمشي على بطنها، وأهبطهم إلى الأرض، آدم بسَرَنْدِيْب[2] من أرض الهند، وحوّاء بجدة: بلدٍ من أرض

---

(١) روى ذلك الطبري في جامع البيان (١٤٢/٨)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٨٧/١)، والحاكم في المستدرك وصححه (٢٨٨/٢) كتاب التفسير/ تفسير سورة البقرة، والبيهقي في البعث والنشور (ص١٣٩) من حديث أبي بن كعب ﷺ مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال: "كان آدم رجلاً طوالاً كأنه نخلة سحوق، كثير شعر الرأس، فلما وقع فيما وقع فيه من الخطيئة بدت له عورته عند ذلك، وكان لا يراها، فانطلق هارباً في الجنة، فتعلقت برأسه شجرة من شجر الجنة، فقال لها: أرسليني ؟ فقالت: إني غير مرسلتك، فناداه ربه ﷻ: يا آدم ! أمني تفر ؟ قال: يا رب إني استحييتك". وحسن الحافظ ابن حجر رحمه الله إسناده في الفتح (٣٦٧/٦)، وقال ابن كثير رحمه الله في تفسير القرآن العظيم (٢٠٧/٢): "والموقوف أصح إسناداً " .

(٢) سَرَنْدِيْب: بفتح أوله وثانيه، وسكون النون، ودال مهملة مكسورة، وياء مثناة من تحت، وباء موحدة ديب بلغة الهنود، وهي جزيرة بأقصى بلاد الهند مما يلي المشرق، طولها ثلاثمائة وعشرون ميلاً، واسمها الآن (سيري لانكا)، وفي سرنديب الجبل الذي يُذكر – والله أعلم– أن آدم عليه السلام هبط عليه، يقال له الرَّهون.

ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٢١٦/٣)، والروض المعطار في أخبار الأقطار للحميري (ص٩٥)، والموسوعة العربية (٨٣٩/١٠).

الحجاز، وإبليس بالأُبُلَّة من أرض العراق،(١) والحيَّة بأصبهان.(٢) (٣)

﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ أي: موضع قرار.[٣/ب]﴿وَمَتَٰعٌ﴾ أي: ما ينتفع به الإنسان ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: انقضاء الأجل. وقد بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مئتي سنة، ولم يأكلا ولم يشربا أربعين سنة، ولم يقرب آدم حواء مائة سنة،(٤) فلما أراد الله أن يرحم

---

(١) الأُبُلَّة: بضم الهمزة والباء وتشديد اللام: بلدة قديمة بجوار البصرة، تبعد عنها من جانبها البحري ستة عشر ميلاً من أرض العراق.

ينظر: النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (١٦/١) " أبيل "، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (١٨٣/٣)، ولسان العرب لابن منظور (٨/١١) " أبل ".

(٢) تقدم تعريف أصبهان ص : ١٧.

ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٧٨/٥)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (٢٧٤/٤)، ولسان العرب لابن منظور (١٦٠/١٤) " جيا "، والموسوعة العربية (٦٢٢/٢).

(٣) روى هذه الأخبار الطبري في جامع البيان (٢٣٤/١) وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٨٨/١)، وذكرها مكي بن أبي طالب في تفسير الهداية (٢٣١٧/٤)، والبغوي في معالم التنزيل (٦٤/١)، والرازي في التفسير الكبير (١٤٨/٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد وعطاء والحسن رحمهم الله. وهذه الآثار غير ثابتة، وهي من علم الغيب الذي يحتاج إلى نقل ثابت بشأنه، والقول بأن الحية أهبطت مع آدم من الجنة، وكذلك القول بأن إبليس دخل الجنة بواسطتها – كما ذكر ذلك بعض المفسرين – يحتاج إلى ثبوت الخبر بذلك، والخبر الوارد فيها إنما هو من أخبار أهل الكتاب التي لا نستطيع الجزم بتصديقها ولا تكذيبها لعدم قيام الدليل على شيء من ذلك. قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره:"وقد ذكر المفسرون الأماكن التي هبط فيها كل منهم، ويرجع حاصل تلك الأخبار إلى الإسرائيليات، والله أعلم بصحتها؛ ولو كان في تعيين تلك البقاع فائدة تعود إلى المكلفين في أمر دينهم أو دنياهم لذكرها الله تعالى في كتابه أو رسوله ﷺ ". تفسير القرآن العظيم (٢٠٧/٢).

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٣٤/١)، والتفسير الكبير للرازي (١٥/٣)، ومفتاح دار السعادة لابن القيم (١٥/١).

(٤) ذكر ذلك ابن سعد في الطبقات (٣٦/١)، والطبري في تاريخه (٨٥/١)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٨٥/١)، والبغوي في معالم التنزيل (٦٥/١)، وابن الجوزي في المنتظم (٢١٢/١) عن ابن عباس رضي

عبده آدم، لقّنه بكلماتٍ كانت سبب قبول توبته، كما قال عز من قائل: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ وهي قوله خبراً عنهما: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف:٢٣] الآية.(١)

قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ أي: رجع به من المعصية إلى الطاعة .

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ الفائدة في هذا التكرار أنه عز وجل: أعلمهم أنه يبتليهم بالطاعة، وأنه يجازيهم بالجنة عليها، وبالنار على تركها، وأنّ هذا الابتلاء وقع على هبوط آدم إلى الأرض.(٢) ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ أي: يا ذرية آدم. ﴿مِّنِّى هُدًى﴾ أي: كتابٌ وسولٌ. ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: فيما يستقبلهم ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي: على ما خلّفوا.

الله عنهما. وهذه الأخبار من علم الغيب الذي يحتاج إلى نقل ثابت بشأنه؛ وما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى لا يخلو من مقال أو هو من الإسرائيليات التي لا يعول عليها، والله أعلم بصحتها.

(١) وبه قال مجاهد، وقتادة، وابن زيد، وسعيد بن جبير، والحسن رحمهم الله تعالى. وهذا من قبيل تفسير القرآن بالقرآن، وهو أصح أنواع التفسير، وأولى التفاسير ما وجد إليه السبيل.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٢٤٢)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١/٩٠)، والكشف والبيان للثعلبي (١/١٨٤)، والنكت والعيون للماوردي (١/١٠٩)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٦٥).

(٢) ذكر المفسرون من تكرير الأمر بالهبوط عدة فوائد منها: أنه كرر للتأكيد، فالفصل لكمال الاتصال. أو ليتعلق عليه معنى آخر غير الأول، إذ الهبوط الأول: للتعادي وعدم الخلود، والثاني: ليهتدي من يهتدي ويضل من يضل .إن الهبوط الأول: من الجنة إلى السماء، والثاني: من السماء إلى الأرض. وهذا الأخير ضعفه الخازن رحمه الله إذ قال: "وفيه ضعف لأنه قال في الهبوط الأول: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ فدل على أنه كان من الجنة إلى الأرض ".

ينظر: الوجيز للواحدي (١/١٠١)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/٧٠)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/١٣١)، ولباب التأويل للخازن (١/٥١).

وقوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ أي: يا أولاد يعقوب.[(١)] ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: أحفظوا واشكروا.

﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ﴾ هو قوله عز وجل: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾[آل عمران:١٨٧]. يعني أمر محمد ﷺ.

﴿أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ أي: أدخلكم الجنة، وأنجز لكم ما وعدتكم.[(٢)]

قوله: ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي﴾ أي: ببيان صفة محمد ﷺ. ﴿ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ أي: عرَضاً يسيراً من الدنيا. وذلك: أن رؤساء اليهود كانت لهم مآكل يصيبونها من عوامهم، يأخذون منهم شيئاً معلوماً كل عام، فخافوا إن هم بينوا صفة محمد ﷺ وتابعوه أن تفوتهم تلك المآكل والرياسة، فاختاروا الدنيا على الآخرة.[(٣)] ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾ أي: فاخشونِ في أمر محمد ﷺ.

---

(١) معنى إسرائيل: عبد الله، فـ"إسرا " بالعبرانية هو: عبد، و"إيل": الله تعالى، وهو نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم أفضل صلاة وأزكى سلام، بدليل ما رواه أبو داود الطيالسي في مسنده (ص٣٥٦) برقم: (٢٧٣١)، والإمام أحمد في المسند (٢٧٣/١) برقم: (٢٤٧١) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما من حديثٍ طويل، وفيه قال: حضَرتْ عصابةٌ من اليهود نبي الله ﷺ فقال لهم: " هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب ؟ قالوا: اللهم؛ نعم، فقال النبي ﷺ : اللهم اشهد ". وأسباط بني إسرائيل: هم أولاد يعقوب عليه السلام، وعددهم اثنا عشر نفساً، وهم من بني إسرائيل كالشعوب من العجم والقبائل من العرب، وجميع بني إسرائيل من أولاد يعقوب عليه السلام .

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٤٨/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٣٩/١٢) "سبط"، والفصل في الملل لابن حزم (٩٩/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٦٦/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨٣/١).

(٢) وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما، والحسن ،وقتادة رحمهم الله، واختاره الطبري في تفسيره.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٥٠/١)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢٤٨/١)، وتفسير القرآن للسمعاني (٧١/١).

(٣) ذكر ذلك الثعلبي في الكشف والبيان (١٨٧/١)، ومكي في تفسير الهداية (٢٥١/١)، والسمعاني في تفسير القرآن (٧٢/١)، والبغوي في معالم التنزيل (٦٧/١).

﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ ﴾ أي: لا تخلطوا الحقّ الذي أنزلتُ عليكم من صفة محمد ﷺ.

﴿بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ أي: بالذي تكتبونه بأيديكم من تغيير صفته.(١)

﴿وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ ﴾ أي: ولا تكتموا الحق.(٢)

وقوله:﴿ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ أي: صلُّوا مع المصلِّين، فعبَّر بالركوع عن الصلاة لأنه

وروى الطبري في جامع البيان (١/٣٥٣) عن أبي العالية ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ قال: " لا تأخذوا عليه أجراً، قال: وهو مكتوب عندهم في الكتاب الأوَّل: يا بن آدم علِّم مجانا كما عُلِّمت مجاناً" وقال القرطبي في تفسيره:"وهذه الآية وإن كانت خاصة ببني إسرائيل، فهي تتناول من فعل فعلهم، فمن أخذ رشوة على تغيير حق أو إبطاله، أو امتنع من تعليم ما وجب عليه، أو أداء ما عَلِمَه وقد تعيَّن عليه حتى يأخذ عليه أجراً فقد دخل في مقتضى الآية، والله أعلم". الجامع لأحكام القرآن (١/٣٣٤).

(١) قاله جمهور المفسرين، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما. اللّبس: الخلط والمزج، يقال: لبست عليه الأمر ألبسه إذا خلطت بينه بمشكله وحقه بباطله، وفي الأمر لبس، إذا لم يكن واضحا، واللبس: اختلاط الظلام.

ينظر: معاني القرآن للفراء (١/٣٩)، وجامع البيان للطبري (١/٢٥٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٢/٣٠٧)"لبس"، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/٣٤٢).

(٢)﴿وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ ﴾ فيه وجهان: أحدهما وهو الأظهر: أنه مجزوم بالعطفِ على الفعلِ قبله، فيكون نهاهم عن كل فعلٍ على حدته، أي: لا تفعلوا لا هذا ولا هذا. وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما . والثاني: أنه منصوب بإضمار (أن) في جواب النهي بعد الواو التي تقتضي المعية، أي: لا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وكتمانه، وهذا مذهب مجاهد، وأبو العالية رحمهما الله. والوجه الأول أحسن، لأنه نهي عن كل فعل على حدته. وأما الوجه الثاني فإنه نهي عن الجمع، ولا يلزم مِن النهي عن الجمع بين الشيئين النهي عن كل واحد على حدته إلا بدليل خارجي.

ينظر: معاني القرآن للفراء (١/٣٩)، وجامع البيان للطبري (١/٢٥٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٢/٣٠٧)"لبس"، والدر المصون للسمين (١/٣٢٢).

بعضها.[١] ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ كانوا يأمرون أتباعهم بالتمسّك بكتابهم ويتركون التمسّك به؛ لأن جحدهم نبوة النبي ﷺ ترك التمسك به.[٢]

قوله: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟﴾ أي: واستعينوا على اكتساب الخيرات ودفع الشرور .

﴿بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا﴾ أي: وإن الاستعانة[٣] ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ أي: يكبر الصلاةُ مع

---

(١) في الآية الكريمة: أمرٌ بصلاة الجماعة ووجوبها، وعلى هذا يزول التكرار؛ لأن في الأول أمر تعالى بإقامتها، وأمر في الثاني بفعلها مع الجماعة. وفيه: أن الركوع ركن من أركان الصلاة لأنه عبّر عن الصلاة بالركوع، والتعبير عن العبادة بجزئها يدل على فرضيته فيها. وخصّ الله تعالى الركوع بالذكر تحريضاً لليهود على الإتيان بصلاة المسلمين، فإن اليهود لا ركوع في صلاتهم. قال ابن تيمية يرحمه الله: "خص الركوع بالذكر لأنه تدرك به الصلاة، فمن أدرك الركعة فقد أدرك السجدة، فأمر بما يدرك به الركعة ". مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٢٨/٢٣).

ينظر: تفسير القرآن للسمعاني (٧٣/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٦٧/١)، والتفسير الكبير للرازي (٤٢/٣)، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص٥١).

(٢) ورد ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، ذكر عنه الماوردي في النكت والعيون (١١٤/١)، وابن عطية في المحرر الوجيز (١٣٦/١)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٣٦٥/١) بدون سند. والاستفهام هنا بمعنى التوبيخ موجّه إلى أحبار اليهود.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٥٨/١)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٠١/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٦٥/١).

(٣) قاله عبد القاهر الجرجاني، والواحدي، وتبعهما المؤلف رحمهم الله.وقال الجمهور: المراد بـ"﴿وَإِنَّهَا﴾ الصلاة. أي: الصلاة ثقيلة إلا على الخاشعين. والأظهر أن الضمير عائد إلى الصلاة، لأنها أقرب مذكور، والقاعدة في علم العربية: أن ضمير الغائب لا يعود على غير الأقرب إلا بدليل، ولأن الصلاة أهم وأغلب، وهذا هو اختيار الطبري.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٦١/١)، والكشاف للزمخشري (١٦١/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٧٦/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣٤١/١).

الإيمان بمحمدٍ ﷺ على الكفار. والخاشع: المتواضع المطيع.(١)﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ ﴾ أي: يستيقنون.(٢) ﴿ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ أي: معاينوه في الآخرة.(٣)

﴿ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ يجزيهم بأعمالهم. وقوله: ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أي: عالمي زمانكم.(٤)﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا ﴾ أي: عذاب يوم. ﴿لَّا تَجْزِى ﴾ أي: لا تكفي.(٥)

---

(١) قرّر هذا المعنى الطبري في جامع البيان (٢٦١/١)، ومكي بن أبي طالب في تفسير الهداية (٢٥٥/١)، والماوردي في النكت والعيون (١١٦/١)، والسمعاني في تفسير القرآن (٧٥/١)، وابن منظور في لسان العرب (٧١/٨) "خشع"، وأبو حيان في البحر المحيط (٣٤١/١)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٨٩/١).

(٢) جمهور المفسرين على أن (الظنّ) هنا بمعنى اليقين والعلم. والظنّ من الأضداد، يطلق على معنى اليقين وحقيقة العلم، ويطلق على معنى الحسبان والشك.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٦٢/١)، والتفسير الكبير للرازي (١٩٠/٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣٣٨/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٧٥/١).

(٣) هذا قول أكثر المفسرين، وقدمه البغوي، وقرره ابن تيمية رحمهم الله، من إثبات اللقاء على ظاهر الآية الكريمة، وأنه يراد به المعاينة والنظر إلى وجه الله تعالى، ونفي تفسيره بلقاء ثوابه أو جزائه. وهذا ما دل عليه القرآن الكريم والسنة النبوية واللغة العربية، ولا يعارضه العقل السليم.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٦٣/١)، والكشف والبيان للثعلبي (١٩٠/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٦٩/١)، والتفسير الكبير للرازي (٤٨/٣)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٤٦١/٤).

(٤) أي: زمان آبائهم، وأهل كل زمانٍ عَالَم، إذ في تفضيل الآباء شرف الأبناء. وما ذكره المؤلف رحمه الله، قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وأبو العالية ومجاهد وابن زيد رحمهم الله، وهو من العام الذي أريد به الخاص.

ينظر: إيجاز البيان عن معاني القرآن للنيسابوري (٩٧/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٧٦/١)،والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٧٦/١).

(٥) أي: لا تؤخذ نفسٌ بذنب أخرى ولا تدفع عنها شيئاً؛ تقول: جزى عني هذا الأمر يجزي؛ كما تقول: قضى عني، واجتزأت بالشيء اجتزاءً إذا اكتفيت به.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٩٨/١١)"جز"، والكشف والبيان للثعلبي (١٩٠/١)، والمحرر الوجيز لابن

﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ وذلك أن اليهود كانت تزعم أن آباءها الأنبياء تشفع لهم عند الله فآيسهم الله من ذلك.[١] ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ أي: فداءٌ.[٢]

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي: لا يُمنعون من عذاب الله . ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم﴾ أي: واذكروا إذ نجينا آباءكم؛ لأنهم نجوا بنجاتهم، يعني ذكر الواقع في ذلك الزمان.﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ أي: أتباعه.[٣]

﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ أي: يكلّفونكم.[٤] ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: شدته، لأنّ فرعون صنّفهم،

عطية (١/١٣٩).

(١) ذكره الزجاج في معاني القرآن (١/١٢٨)، والطبري في جامع البيان (١/٢٦٨) بدون نسبة.

(٢) ورد ذلك عن أبي العالية، والحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة، والربيع بن أنس، والسدي، رحمهم الله، واختاره الزجاج، والسمعاني، وابن كثير رحمهما الله.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (١/١٢٨)، وجامع البيان للطبري (١/٢٦٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/٧٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٩٠).

(٣) قاله الزجاج، والطبري، والبغوي، وهو قول أكثر المفسرين رحمة الله على الجميع، بدليل قوله تعالى: ﴿أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[غافر:٤٦]، أي: أتباعه على دينه. وثبت عن النبي ﷺ أن قال: " ألا إن آل أبي – يعني فلاناً – ليسوا لي بأولياء إنما وليي الله وصالح المؤمنين". رواه مسلم (١/١٩٧)، برقم: (٢١٥)، كتاب الإيمان، باب موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم والبراءة منهم، من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ.

ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (١/٧٧)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/٣٨١)، والبحر المحيط لأبي حيان (١/٣٥٠)، وجلاء الأفهام لابن القيم (ص٢٢٠).

(٤) قاله الواحدي، والبغوي. وقال مقاتل: يعذبونكم. وقال الطبري: يوردونكم ويذيقونكم، قاله الطبري. وجميع الأقوال محتملة وصحيحة ومتلازمة.

ينظر: تفسير مقاتل (١/٤٦)، وجامع البيان المطبري (١/٢٧١)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٦٩)، ولسان العرب، لابن منظور (١٢/٣١٠)"سوم".

فصنفٌ يبنون، وصنفٌ يحرثون، وصنفٌ يخدمون، وصنفٌ يؤدّون الجزية.(١)

قوله: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ كان فرعون قد رأى في منامه كأنّ ناراً أقبلت من بيت المقدس، فأحرقت مصر والقبط وتركت بني إسرائيل، فعُبرت الرؤيا بأنه يولد من بني إسرائيل مولود يكون على يده زوال ملكه؛ فأمر بقتل كل غلامٍ يولد في بني إسرائيل فكانوا يفعلون ذلك.(٢)

﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾أي: يتركونهن في الأحياء، والنساء يقع على الصغار والكبار، وهم كانوا يستبقون البنات.(٣)

﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ أي: وفي سومكم سوء العذاب محنة عظيمة.(٤)

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ أي: فَلَقْنَا بسببكم، وذلك أنه انفلق البحر فظهر اثنا عشر

---

(١) رواه الطبري في جامع البيان (٣٧١/١)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٢٩٣٩/٩) عن ابن إسحاق.

(٢) روى ذلك الطبري في جامع البيان (٢٧٣/١) عن ابن إسحاق، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١٠٦/١) عن السدي، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٩١/١)، والسمعاني في تفسير القرآن (٧٧/١) بدون نسبة.

(٣) قال ابن عطية رحمه الله:" الأبناء هم الأطفال الذكور، والنساء هم الأطفال الإناث، وعبَّر عنهن باسم النساء بالمآل". المحرر الوجيز لابن عطية (١٤٠/١). وإنما استبقوا نساءهم للاستذلال والخدمة.
ينظر: جامع البيان للطبري (٣٧٤/١)، والكشف والبيان للثعلبي (١٩١/١)، والنكت والعيون للماوردي (١١٨/١).

(٤) البلاء: الاختبار في الخير والشر، فيكون بلاء محنةٍ في ذبح الأبناء وبلاء نعمةٍ في ترك النساء. كما قال ﷻ: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الأعراف:١٦٨]. والله ﷻ يبلو عبده بالصنع الجميل ليمتحن شكره، ويبلوه بالبلوى التي يكرهها ليمتحن صبره.
ينظر: معاني القرآن للنحاس (٥١٧/٣)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢٦١/١)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض السبتي (٨٩/١)"ب ل و"، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٨٧/١).

طريقاً لكل سبطٍ طريق.[١] وقوله: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ أي: إلى مصارعهم.

وقوله: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ أي: انقضاء أربعين ليلة،[٢] وذلك أنّ الله حين أهلك فرعونَ وقومَه، وأنجى موسى عليه السلام وبني إسرائيل، وَعَدَه أن يؤتيه الكتاب، وأَمَره أن يصوم ثلاثين يوماً، فصامه وِصالاً ولم يطعم شيئاً، فتغيرت رائحة فمه، فعمد إلى لِحَاء شجرةٍ[٣] فمضغها، فأوحى الله إليه: أما علمت أنّ خلوف فم الصائم أطيب [٤/أ] عندي من ريح المسك! وأمره أن يَصِلَ بها عشراً.[٤]

---

(١) السّبط في اللغة: شجرة ملتفة، كثيرة الأغصان، فُسمّي الأسباط بها لكثرتهم. فكما أنّ الأغصان من شجرة واحدة كذلك الأسباط كانوا من يعقوب عليه السلام، وهم في بني إسرائيل كالقبائل في بني إسماعيل، والسبط: ولد الولد، كأنه امتداد الفروع.

ينظر: العين للخليل (٢١٩/٧)، والمفردات للراغب (ص٢٢٢) "سبط"، والبحر المحيط لأبي حيان (٥٦٩/١).

(٢) خصّ الليالي بالذكر دون الأيام! لأن الليلة أسبق من اليوم، فهي قبله في الرتبة، ولذلك وقع بها التاريخ، فأول الشهور تبدأ من الليالي، والأيام تبع لها. والأربعون في قول أكثر المفسرين: ذو القعدة وعشر من ذي الحجة.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٨٠/١)، والنكت والعيون للماوردي (١٢٠/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٩٥/١).

(٣) اللِّحاء: بكسر اللام بعدها حاء مهملة : قشر الشّجر .

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٥٤/٥)"لحى"، والمحيط في اللغة للطالقاني (٢٣٢/٥)"قشر"، ولسان العرب لابن منظور (٢٤١/١٥)"لحا".

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢٧٥/٤)، والبغوي في معالم التنزيل (١٩٥/٢) عن أبي العالية، وذكره ابن كثير رحمه الله بمعناه في أثر طويل عن ابن عباس رضي الله عنهما ثم قال:" وهو موقوف من كلام ابن عباس .. وكأنه تلقاه ابن عباس –رضي الله عنهما– مما أبيح نقله من الإسرائيليات عن كعب الأحبار أو غيره والله أعلم، وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزّي يقول ذلك أيضاً ". تفسير القرآن العظيم (١٥٤/٣).

وقوله ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ أي: اتخذتموه إلهاً، إنما قال:﴿ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ لأنّ هذا العجل كان صورةً صوَّرها من الحُلي، وكأنه قال: ثم صنعتم تمثال العجل وجعلتموه معبوداً.[١]﴿وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ أي: ضارُّون أنفسكم بوضع العبادة في غير موضعها.

﴿ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم﴾ أي: محونا ذنوبكم ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ لكي تشكروا عفوي عنكم. ﴿وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ﴾ أي: الكتاب الفارق بين الحق والباطل.[٢]

﴿لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ أي: بالكتاب. قوله: ﴿فَتُوبُوٓاْ﴾ أي: ارجعوا ﴿إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ﴾ أي: إلى خالقكم.[٣]وقوله: ﴿فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ أي: ليقتل البريءُ المجرمَ، فجعل توبة عَبَدَة العِجْلِ

(١) العِجْل: ولد البقرة، وكونه عجلاً ظاهرٌ في أنه صار لحما ودما، فيكون عجلاً حقيقة ويكون نسبة الخوار إليه حقيقة، وظاهر قوله ﷻ: ﴿عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ﴾[طه:٨٨]، يدلّ على أنه فيه روح لأنه لا يخور إلا ما فيه روح. ولا وجه لما ذهب إليه المؤلف رحمه الله من حمله على تمثال العجل إذ الأصل فيه الحقيقة، فتسميته عجلاً هو حقيقة بحدّ ذاته . وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما، والحسن، وقتادة، واختاره السمعاني رحمة الله على الجميع.

ينظر: النكت والعيون للماوردي (١٢١/١)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢١٦/٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣٩٠/٤).

(٢) قاله مجاهد، وعبد الرحمن ابن زيد، وأبو العالية، وقواه الطبري رحمهم الله، من أن الفرقان هنا نعت للتوراة وصفة لها.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٨٤/١)، وتفسير الهداية لمكي (٢٦٩/١)، وتفسير القرآن للسمعاني (٨٠/١).

(٣)روى ذلك الطبري في جامع البيان (٢٨٨/١) وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١١٠/١) عن أبي العالية. وهو من: البَرِي: التراب، والبريَّة: الخلق، ويجمع على: البرايا والبريات، هذا إذا لم يهمز، ومن ذهب إلى أن أصله الهمز، أخذه من: بَرَأَ الله الخلق يَبْرَؤُهم أي: خلقهم. ثم ترك فيها الهمز تخفيفاً ولم تستعمل مهموزة . والبارئ من أسماء الله تبارك وتعالى. والبارئ: الذي خلق الخلق لا عن مثال. ينظر:

القتل، لأنهم ارتدُّوا؛ والكفرُ يبيحُ الدَّم.(١)

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ هم السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلام لميقات ربه، وقال لهم موسى عليه السلام: صوموا وتطهروا وطهِّروا ثيابكم ؟ ففعلوا ذلك، فخرج بهم موسى عليه السلام إلى طور سيناء لميقات ربه، فلما بلغوا ذلك الموضع قالوا لموسى عليه السلام: اطلب لنا نسمع كلام ربنا؟ فقال: افعلُ، فلما دنا موسى عليه السلام من الجبل وقع عليه عمود الغمام، وتغشَّى الجبلُ كلَّه، فدخل في الغمام وقال للقوم: ادنوا ؟ وكان موسى عليه السلام إذا كلَّمه ربه عز وجل وقَعَ على وجهه نورٌ ساطعٌ لا يستطيع أحدٌ من بني آدم أن ينظر إليه؛ فضُرب دونه بالحجاب فماتوا، ثم قام موسى عليه السلام يناشد ربه، فلم يزل يناشده ويسأله ويطلب الله حتى ردّ إليهم أرواحهم، وذلك قوله:﴿ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم ﴾".(٢) أي: أحييناكم.

﴿ مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾: لتستوفوا بقية آجالكم وأرزاقكم.

العين للخليل (٢٨٩/٨)"برا"، والنكت والعيون للماوردي (١٢٢/١)، ودرج الدرر للجرجاني (١٧٤/١)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (١٢٢/١)"برا".

(١) وهو قول قتادة رحمه الله، نقل عنه الثعلبي في الكشف والبيان (١٩٨/١). وقال الخازن:" فإن قلتَ: التائب من الردة لا يُقتل! فكيف استحقوا القتل وقد تابوا من الردّة؟ قلتُ: ذلك مما تختلف فيه الشرائع، فلعلّ شرع موسى عليه السلام كان يقتضي أن يُقتل التائب من الردة؛ إما عاماً في حق الكلّ أو خاصاً في حق الذين عبدوا العجل". لباب التأويل (٦١/١).

(٢) روى ذلك الطبري في جامع البيان (٢٩١/١) عن ابن إسحاق، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٩٩/١)، ومكي بن أبي طالب في تفسير الهداية (٢٧٣/١) بدون نسبة . وهي أخبار مأخوذة عن بني إسرائيل غير موثوق بها؛ إذ ليس فيه شيء مرفوع ثابت إلى النبي ﷺ.

ينظر: معالم التنزيل للبغوي (٧٤/١)، والمنتظم لابن الجوزي (٣٥١/١)، وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا (١٨٧/٩).

﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ ﴾ أي: سترناكم عن الشمس بالغمام، أي: السحاب.[١]

وذلك أنه لما سار بهم موسى عليه السلام إلى الأرض المقدّسة بأمر الله، حتى نزل التّيه[٢] بين الشام ومصر، وهي بلاد ليس بها غيمٌ ولا ظلّ، ودعا اللهَ موسى عليه السلام حين آذاهم الحرّ، فظُلِّل عليهم بالغمام، ودعا لهم بالرِّزق، فأُنزل عليهم المنّ والسلوى، فقالوا: يا موسى هذا الطعام! فأين الشراب؟ فضرَبَ بعصاه الحجر ﴿ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾[البقرة: ٦٠].[٣]

المنّ: شيء كالصَّمْغ كان يقع على الأشجار،[٤]

---

(١) الغمام: من الغمّ، وأصله: التغطية والستر، ومنه يقال للقلب الحزين: مغموم، لأن الحزن غطى قلبه، والغمام هنا: ما غمَّ السماء فألبسها من سحاب وقتام وغير ذلك مما يسترها عن أعين الناظرين، وكل مغطى فإن العرب تسميه مغموماً.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٢٩٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/٨٢)، ولسان العرب لابن منظور (١٢/٤٤١)"غمم".

(٢) التيه في اللغة: الحَيْرَة، يقال: تاه، يتيه، ويتوه، والأرض التوهاء: التي لا يهتدى فيها. والمراد هنا: أرض التيه التي تاه فيها بنو إسرائيل، بين الشام ومصر، عقوبة لهم على امتناعهم من دخول مدينة الجبارين وقتالهم، وكانوا كلما أمسوا من موضعٍ للمسير فإذا أصبحوا أصبحوا على ذلك الموضع، وكلما أصبحوا من موضع للمسير فإذا أمسوا أمسوا على ذلك الموضع، وهكذا كلّ يوم.

ينظر: العين للخليل (٤/٨٠)" تيه "، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/٢٨)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/٤٥٩).

(٣) روى الطبري بمعناه في جامع البيان (١/٢٩٦) عن ابن إسحاق، وذكره مكي بن أبي طالب في تفسير الهداية (١/٢٦٩) بدون نسبة.

(٤) قاله مجاهد رحمه الله. وقيل غير ذلك. وعبارات المفسرين متقاربة في شرح ﴿ٱلْمَنَّ﴾ فمنهم من فسره بالطعام، ومنهم من فسره بالشراب، والأقرب والله أعلم ما رجحه الزجاج والقرطبي وابن كثير رحمهم الله: بأن جميع ما منّ الله تعالى به على بني إسرائيل في التيه من طعامٍ وشرابٍ وغير ذلك مما جاءهم عفواً من غير تعب، فهو من المنّ، بدليل قول رسول الله ﷺ: " الكَمْأةُ من المنِّ الذي أنزل الله تبارك وتعالى على بني إسرائيلَ وماؤها شفاء للعين ". أخرجه مسلم (٣/١٥٦٨) برقم:(٢٠٤٩) كتاب الأشربة/باب

وطَعْمُه كالشَّهَد.[(١)] والسلوى: طير كانت تأتيهم مثل السماني.[(٢)]

قوله:﴿ وَمَا ظَلَمُونَا ﴾ أي: وما ضرُّونا بالمعصية. ﴿ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ باستيجابهم عذابي وقطع مادة الرِّزق الذي كان ينزل عليهم بلا مشقة في الدنيا ولا تبعة في العقبى، فقطع الله ذلك عنهم، لأنهم خبّئوا للغد فدُوِّد وفَسَد.[(٣)]

فضل الكمأة ومداواة العين، من حديث سعيد بن زيد ﷺ. وفي رواية له أيضًا:" الكَمْأة من المنّ الذي أنزل الله على موسى".

ينظر: معاني القرآن للزجاج (١/١٣٨)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٨٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/٤٠٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٩٦).

(١) الشَّهد: العسل ما لم يُعصر من شمعه، ويجمع على الشّهاد، والواحدة: شَهْدَة وشُهْدَة.

ينظر: العين للخليل (٣/٣٩٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (٦/٤٨)، ولسان العرب لابن منظور (٣/٢٤٣) "شهد".

(٢) رواه الطبري في جامع البيان (١/٢٩٥)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١/١١٥) عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم، والسدي وقتادة وغيرهم رحمهم الله، وبه قال أكثر المفسرين. والسماني: طائر صغير من رتبة الدجاجات، جسمه منضغط ممتلئ .ونقل ابن عطية رحمه الله إجماع المفسرين على أن السلوى طير من الطيور، وقد رد القرطبي رحمه الله هذا الإجماع بحجة أن من المفسرين من قال إنه العسل.

ينظر: النكت والعيون للماوردي (١/١٢٤)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/١٤٩)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/٤٠٧).

(٣) يؤيد ذلك ما رواه أبو هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال:" لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام، ولم يخنز اللحم ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر ". رواه البخاري (٣/١٢٠٩)، برقم: (٣١٥٢) كتاب الأنبياء/باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، ومسلم (٢/١٠٩٢) برقم: (١٤٧٠) كتاب الرضاع/باب لولا حوّاءُ لم تخن أنثى زوجها الدّهر. وقوله: (ولم يخنز اللحم)، بفتح الياء والنون وبكسر النون، والماضي منه (خَنَزَ) بكسر النون وفتحها ومصدره: الخنز والخنوز، وهو إذا تغيَّر وأنتن. ومعنى الحديث: أن بني إسرائيل لما أنزل الله عليهم المنّ والسلوى نهوا عن ادخارهما، فادخروا ففسد وأنتن، واستمر من ذلك الوقت. وخيانة حواء لآدم عليهما السلام هي: ترك النصيحة له في أمر الشجرة، لا في غيرها.

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ أي: بيت المقدس.[١] وقوله: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾ أي: باب القرية. ﴿سُجَّدًا﴾ أي: متواضعين.[٢]

﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ أي: حُطَّ عنا ذنوبنا.[٣]

ينظر: كشف المشكل لابن الجوزي (٥٠٤/٣)، وشرح النووي على صحيح مسلم (٥٩/١٠)،وفتح الباري لابن حجر (٣٦٧/٦).

(١) قاله ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والسدي والربيع بن أنس رحمهم الله، وهو قول جمهور المفسرين، ورجحه الطبري وابن كثير رحمهما الله تعالى. سميت القرية قرية: لأنها تجمع أهلها، ومنه المقراة للحوض لأنها تجمع الماء.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٩٩/١)، والنكت والعيون للماوردي (١٩٥/١)، والمفردات للراغب (ص٤٠٣) "قرى"، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٩٩/١).

(٢) اختلف المفسرون في المراد بالسجود في الآية على أقوال:

القول الأول: المراد به نفس السجود المعروف، وبه قال الحسن رحمه الله، وهو الأقرب لظاهر الآية الكريمة.

القول الثاني: من حمله على غير السجود، وهؤلاء ذكروا وجهين:

الأول: قول ابن عباس رضي الله عنهما: أن المراد هو الركوع، لأن الباب كان صغيراً ضيقاً يحتاج الداخل فيه إلى الانحناء، وهذا بعيد؛ لأنه لو كان ضيقاً لكانوا مضطرين إلى دخوله ركعاً فما كان يحتاج فيه إلى الأمر.

الوجه الثاني: أراد به الخضوع والتواضع، لا على هيئة معينة، لأنه لما تعذر حمله على حقيقة السجود والركوع وجب حمله على التواضع، لأنهم إذا أخذوا في التوبة فالتائب عن الذنب لا بدّ أن يكون خاضعاً مستكيناً، فعُلِم أن السجود هنا اسم جنس، وهو كمال الخضوع والتواضع لله تبارك وتعالى. وهذا اختيار الثعلبي والرازي.

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (١٩٨/١)، والتفسير الكبير للرازي (٨٣/٣)، ولسان العرب لابن منظور (٢٠٦/٣)" سجد "، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٢٨٤/٢١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣٨٣/١).

(٣) هذا قول الحسن، وقتادة، وابن زيد، وعطاء، وأكثر المفسرين رحمهم الله، وهو أمر بالاستغفار أشبهُ بظاهر اللفظ.

وقوله: ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: سنزيدهم إحساناً وثواباً.

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: فبدّلوا بهذه الكلمةِ كلمةً غير الذي قيل لهم؛ وذلك أنهم قالوا: هِطّا سمقاثا يعنون: حنطة حمراء.(١)

﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: عذاباً.(٢)

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (١/١٩٨)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١/٢٨٠)، والنكت والعيون للماوردي.

(١) يؤيد ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: قيل لبني إسرائيل﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾ فبدلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا: حبة في شعرة ". كتاب التفسير (٤/١٧٠١)، برقم: (٤٣٦٥)، باب ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾. وأخرجه مسلمٌ أيضاً في كتاب التفسير (٤/٢٣١٢)، برقم: (٣٠١٥).وروى الحاكم في المستدرك (٢/٣٥٢) برقم: (٣٢٥٢) وصححه على شرط مسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال:" إن أصحاب العِجْل قالوا: هطا سقماثا أزبة مزبا، وهي بالعربية: "حنطة حمراء قوية، فيها شعرة سوداء"، فذلك قوله عز وجل:﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ ".وحاصل ما ذكره المفسرون وما دل عليه السياق: أنهم بدلوا أمر الله لهم من الخضوع بالقول والفعل، فأمروا أن يدخلوا سجداً، فدخلوا يزحفون على أستاههم، وأمروا أن يقولوا: حطة، أي: أحطط عنا ذنوبنا. فاستهزؤوا فقالوا: حنطة في شعرة. وهذا في غاية ما يكون من المخالفة والمعاندة، ولهذا أنزل الله بهم بأسه وعذابه بفسقهم وخروجهم عن طاعته.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٣٠٣)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١/٢٨١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/١٠٠).

(٢) هذا تفسير ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وابن زيد رحمهما الله رواه الطبري في جامع البيان (١/٣٠٣)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٩/٣٠٥٨) حيث قال ابن عباس رضي الله عنهما: "كلّ شيء في كتاب الله جل ثناؤه من الرِّجْز يعني به العذاب ". أهـ.

﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ أي: بفسقهم، وهو: الخروج عن طاعة.(١)

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ أي: طلب السُّقيا. كان ذلك في التيه، احتاجوا إلى الماء فاستسقى لهم موسى عليه السلام فأُمِرَ أن يضرِبَ بعصاه الحجر فضربَ ﴿فَانفَجَرَتْ﴾ أي: سالَتْ ﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ لكلِّ سِبْطٍ عينٌ يشربون منها قد عرفوها.

"وكان حَجَراً طورا نيّاً يحملونه معهم حتى إذا نزلوا ضربه موسى بعصاه".(٢)

وقوله: ﴿مَشْرَبَهُمْ﴾ أي: موضع شربهم ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ تفسدوا في الأرض بالمعاصي.(٣) ﴿مُفْسِدِينَ﴾ حالكم باستيجاب العقوبة.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ يعني: المنَّ والسلوى؛ لأنهم كانوا يأكلونها معاً فعدُّوهما طعاماً واحداً، وذلك أنهم كانوا أهل كرَّاثٍ وأعداسٍ فاشتاقت طباعُهم إلى ما جرت عليه عادتهم.

﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ أي: فادعُ من أطايب ربّك وسلْه، وقل له: ﴿يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ

---

(١) الفسق: الترك لأمر الله، يقال: فسَق يفسُق فسقاً وفُسُوقاً. والفُسُوق: الخروج عن الطاعةِ إلى المعصية، كما فسق إبليس عن أمر ربه.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٨/٣١٥)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/٥٠٢)، والمفردات للراغب (ص٣٨٠)"فسق".

(٢) رواه الطبري في جامع البيان (١/٣٠٧)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١/١٢١) عن قتادة رحمه الله.

(٣) العيث: أشد الفساد. من عثِيتَ تَعثَى عُثُوّاً، وعَثَا يَعثوا عُثُواً وهو أشدّ الفساد.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٤١)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/٢٣٠)"عثى"، والدّر المصون للسمين الحلبي (١/٣٨٨).

﴿ٱلْأَرْضُ﴾: أخرج لنا.والفُوم: الثوم.[١] ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ﴾ أقلّ قيمة. ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْرًا﴾ أي: أنزلوا مصراً من الأمصار.[٢]

قوله: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ أي: أُلزِمُوا الذُّلّ ﴿وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ أي: الخضوع.[٣]

---

(١) وهو مروي عن مجاهد والربيع بن أنس رحمهما الله رواه عنهما الطبري في جامع البيان(١/٣١٢)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١/١٢٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن رحمه الله. وقال السدي رحمه الله: الفوم: الحنطة. وقال عطاء رحمه الله: الخبز. والأظهر –والعلم عند الله– ما اختاره المؤلف رحمه الله وهو أشبه المعاني بالصواب؛ لأنه مع ما يشاكله من العدس والبصل وشبهه، والعرب تبدل الفاء بالثاء فيقولون: جدثٌ وجدفٌ. وعند أبي داود في كتاب المصاحف (ص١٦٨) من قراءة ابن مسعود ﷺ الشاذّة أنه قرأ: " وثومها ".

ينظر: معاني القرآن للفراء (١/٤٤)، وتفسير المشكل من غريب القرآن لمكي بن أبي طالب (ص٩٤)، والنكت والعيون للماوردي (١/١٢٨).

(٢) قرأ الجمهور ﴿مِصْرًا﴾ منوناً، وهو خط المصحف، بمعنى أنهم أُمروا بهبوط مصراً من الأمصار،فلذلك صرف، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة، والسدي، ومجاهد وابن زيد رحمة على الجميع. وهو الأقرب ولذلك نوّنه، ولو أراد مصر فرعون لما نوّن؛ لأن الاسم المؤنث في المعرفة لا يجري. وهذا اختيار الطبري، والبغوي، وابن كثير رحمهم الله. وقال أبو العالية والحسن والربيع رحمهم الله: "يعني به مصر فرعون". وإنما صرف لخفته وقلة حروفه مثل هِنْد ودَعْد. والمصر في أصل اللغة: هو الحد الفاصل بين الشيئين. وكان أهل هجر إذا كتبوا بيع دار قالوا: اشترى فلان الدار بمصورها، أي: بحدودها. ينظر: العين للخليل (٧/١٢٣) "مصر"، وجامع البيان للطبري (١/٣١٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٧٨)، وتفسير القرآن العظيم ابن كثير (١/١٠٣).

(٣) هذا قول الزجاج والسدي رحمهما الله، واشتقاقه: من السكون، والمراد: زي الفقر وخضوعه، ومنه سمي الفقير مسكيناً لسكونه وقلّة حركاته، فترى اليهود كأنّهم فقراء وإن كانوا مياسير؛ من المذلّة وفقر القلب، وإن وجد يهودي غني فلا يخلو من زي الفقر ومهانته، فلا يرى في أهل الملل أذل ولا أحرص على المال من اليهود.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (١/١٤٤)، والكشف والبيان للثعلبي (١/٢٠٦)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/١٥٤)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٢/٣٨٥)"سكن".

﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: رجعوا ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: بصفة محمدٍ ﷺ ، وآية الرجم في التوراة، وبالإنجيل والقرآن.

﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي: بلا جُرمٍ منهم. وقتلُ النبي لا يكون إلا بغير حقٍّ ولكن هذا تأكيدٌ،[٤/ب] وذلك أن اليهود قتلوا سبعين نبياً في أول النهار، وقامت سوق بَقْلِهِمْ من آخر النهار.[١] ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟﴾ أي: ذلك الكفر وقتل الأنبياء بشؤم معصيتهم واعتدائهم. أي: فجاوزوا أوامري وارتكاب محارمي.

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ أي: تابوا من عبادة العجل.[٢]

﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ أي: أتباع عيسى عليه السلام.﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ أي: الذين يقرون بالله،

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٧٣٦/٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:"كانت بنو إسرائيل تقتل في اليوم ثلاثمائة نبي ثم يقوم سوق بقلهم من آخر النهار". وذكره مكي بن أبي طالب في تفسير الهداية (٣٤٩/١) عن كعب الأحبار. وهذه الأخبار من علم الغيب الذي يحتاج إلى نقل ثابت بشأنه؛ وما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى لا يخلو من مقال؛ وهو من الإسرائيليات التي لا يعول عليها، والله أعلم بصحتها؛ ولو كان في ذكرها فائدة تعود إلى المكلَّفين لذكرها الله تعالى في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ.

والبَقْل: اسم شامل لأجناس الخضروات، واحدها بَقْلَة.وقيام سوق بَقْلِهِمْ من آخر النهار – إن صح الخبر– لأنهم كانوا أصحاب بقول وخضروات، وإقامتهم للسوق الذي تباع فيه أرذل الأشياء آخر النهار دلالة على قلّة مبالاتهم بما فعلوا من تقتيل الأنبياء، فكيف بالأسواق التي تُباع فيها النفائس.

ينظر: العين للخليل (١٦٩/٥)"بقل"، والمحرر الوجيز لابن عطية (١٧٧/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٩٠/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٦/٤).

(٢)وهم اليهود بالاتفاق. وسموا بذلك لتوبتهم من عبادة العجل، ومنه قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام:﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾[الأعراف:١٥٦]، أي: تبنا إليك، وبه قال ابن مسعود رضي الله عنه وابن جريج رحمه الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣١٨/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٠٦/٦)"هود"، وزاد المسير لابن الجوزي (٩١/١)، وتهذيب الأسماء للنووي (٣٥٧/٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٠٤/١).

ويعبدون الملائكة، ويقرؤون الزبور، ويصلون إلى الكعبة، أخذوا من كل دين شيئًا.(١)

﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ مِن هؤلاء المذكورين ﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾.

ومن الإيمان بالله: الإيمان بأنه أرسل محمداً ﷺ إلى النّاس.(٢)

قوله: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي: في الآخرة؛ لأنهم يصيرون إلى النعيم المقيم والأمن الدائم.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ أي: يا معشر اليهود. ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ وهو: الجبل بالسريانية.(٣) وذلك أن موسى ﷺ لما أتى بني إسرائيل بالتوراة قرؤوها وما فيها من التغليظ،

---

(١) وهذا قول قتادة رحمه الله روى عنه الطبري في جامع البيان (١/٣٢٠)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٤/١١٧٦). والصابئون: جمع صابئ، وهو المستحدث سوى دينه ديناً، كالمرتد من أهل الإسلام، وكل خارج من دينٍ كان عليه إلى آخر تسميه العرب صابئاً. والصابئة نوعان: صابئة حنفاء موحدون، وصابئة مشركون، فالأولون بمنزلة من كان متبعاً لشريعة التوراة والإنجيل قبل النسخ والتحريف، وهم الذين حمدهم الله تعالى وأثنى عليهم في هذه الآية الكريمة. والصابئة المشركون هم: قوم يقرون بالله، ويعبدون الملائكة، ويقرؤون الزبور، ويصلّون إلى الكعبة، أخذوا من كلّ دينٍ شيئًا.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٣١٨)، والرد على المنطقيين لابن تيمية (١/٢٨٨)، وأحكام أهل الذمة لابن القيم (١/٢٣٧).

(٢) هذه الآية تناولت من كان من أهل هذه الملل الأربع متمسكا بها قبل النسخ بغير تبديل، وأما بعد بعثة النبي ﷺ فالإيمان المعتبر هو الإيمان بما نزل على محمد ﷺ ؛ لأن ما عند أهل الأديان أكثره باطل؛ بسبب التبديل والتغيير، وما بقي منه صحيحاً فهو منسوخ بالإسلام، فمن دخل منهم في الإسلام فهو مؤمن، ومن أصر على دينه الباطل فهو كافر ليس بمؤمن. قرر هذا المعنى كثيرٌ من المفسرين، كالإمام الطبري، وابن عطية ونسبه لجمهور المفسرين، والقرطبي، وابن تيمية، رحمة الله على الجميع.

بسط هذه المسألة ينظر في: جامع البيان للطبري (١/٣٢٠)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/٢١٩)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/٤٣٢)، والردّ على المنطقيين لابن تيمية (١/٢٨٨).

(٣) قاله مجاهد وقتادة رحمهما الله، روى ذلك عنهما الطبري في جامع البيان (١/٣٢٥)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١/١٢٩).

كبُرَ ذلك عليهم وأبَوا أن يقبلوا ذلك؛ فأمرَ الله جبَلاً من جبال فلسطين، فانقلع من أصله حتى قام على رؤوسهم مثل الظُّلَّة، وأوحى الله إلى موسى ﷺ أن اقبلوا التوراة، وإلا رضَخْتُهم بهذا الجبل، فلما رأوا أن لا مهرَبَ لهم منها قبلوا ذلك وسجدوا خوفاً، وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجودٌ، فصارت سنَّةً في اليهود أن لا يسجدوا إلا على أنصاف وجوههم، فلما زال الجبل قالوا: يا موسى! سمعنا وأطعنا ولولا الجبلُ ما أطعناك.[١]

﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم ﴾ أي: أعطيناكم ﴿ بِقُوَّةٍ ﴾ أي: بجدّ.

قوله: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ أي: أعرضتم عن الطاعة وعصيتم، ومواظبتها.[٢]

﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾ أي: بتأخير العذاب عنكم.

﴿ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ أي: المغبونين بالعقوبة وذهاب الدنيا والآخرة.

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا ﴾ أي: ولقد عرفتم.[٣]

وذلك أن الله تعالى افترض على بني إسرائيل الجمعة فخالفوه إلى السبت فعظَّموه وتركوا ما أُمِروا به، فلما أبوا إلا لزوم السبت حرّم الله الحيتان يوم السبت ابتلاءً من الله ﷻ، ليُعلم،

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٢/٢٢٩)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٤/١٠)"طور"، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/١٠٥).

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١/٢١٢)، والبغوي في معالم التنزيل (١/٨٠) بغير نسبة. وروى بمعناه الطبري في جامع البيان (١/٣٢٥)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١/١٣٠) عن السدي رحمه الله.

(٢) تولِّي: تفعّل، وأصله: الإعراض والإدبار عن الشيء بالجسم، من قولهم: ولاني فلان دُبُره إذا استبر عنه وخلّفه خلف ظهره، ثم يستعمل ذلك في كل تارك طاعةٍ أمر بها ﷻ معرض بوجهه.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٣٢٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٥/٣٢٣)"الولي"، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/١٥٩).

(٣) رواه الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما في جامع البيان (١/٣٢٩) ثم قال:" وهذا تحذير لهم من المعصية يقول: احذروا أن يصيبكم ما أصاب أصحاب السبت إذ عصوني".

أي: ليُميّز من يطيعه ممن يعصيه، فصار القوم ثلاثة أصناف، فأمّا صنفٌ فأمسك ونهى عن المعصية، وأمّا صنفٌ فأمسك عن حرمات الله ﷻ، وأمّا صنفٌ فانتهك الحُرَم ومَرَدَ على المعصية، فلمّا أبوا إلا عُتوّا عما نهاهُم الله ﷻ قُلنا لهم: ﴿كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾.[١] أي: مطرودين.[٢] يعني: كونوا خاسئين قردةً. ﴿فَجَعَلْنَٰهَا﴾ أي: جعلنا تلك الفِعلة.[٣]

﴿نَكَٰلًا﴾ أي: قيوداً.[٤] ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ يعني: ما بين يديها من القُرى.

---

(١) روى ذلك الطبري في جامع البيان (٣٣٠/١) وذكره مكي بن أبي طالب في تفسير الهداية (٢٩٨/١) عن ابن عباس رضي الله عنهما، والثعلبي في الكشف والبيان (٢١٢/١)، والبغوي في معالم التنزيل (٨٠/١) بلا نسبة.

(٢) الخاسئ: المبعد المطرود، ومنه قولهم: خسأتَ الكلب، إذا باعدته وطردته. هذا قول أهل اللغة. وقال مجاهد وقتادة: ﴿خَٰسِـِٔينَ﴾: صاغرين. وكلاهما متقارب، لأن من أبعده الله فقد طرده من رحمته وكان ذليلاً صاغراً.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٣٢/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٠٢/٧) " خسأ "، والبحر المحيط لأبي حيان (٤٠٩/١).

(٣) أي: جعلنا عقوبتنا ومسخنا إياهم نكالاً. وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، والسدي، وأكثر أهل التفسير.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضًا بأن الضمير يعود إلى القرية. والمعنى: فجعلنا القرية التي اعتدى أهلها في السبت نكالاً. والصحيح أن الضمير عائد إلى القرية، أي: فجعل الله هذه القرية -والمراد أهلها- بسبب اعتدائهم في سبتهم نكالاً، أي: عاقبناهم عقوبةً فجعلناها عبرة. وهذا ما اختاره ابن كثير رحمه الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٣٣/١)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٣٠٢/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٠٨/١).

(٤) النَّكال: مصدر من نَكَّلَ فلانٌ بفلانٍ تنكيلا ونَكالاً، وأصل النَّكال: الزجر والعقوبة، والنِّكل والأنكال: القيود، وسُمِّيت القيود أنكالاً لأنها يُنْكل بها؛ أي: يمنع.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٣٤/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٣٨/١٠) " نكل "، والبحر المحيط لأبي حيان (٤٠٣/١).

﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ أي: منها، يعني: يعتبرون بهم فلا يعملون عملهم.(١)

﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي: لمؤمني هذه الأمة ليتعظوا بها.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾

" كان في بني إسرائيل رجلٌ عقيمٌ لا يولد له، وكان له مالٌ كثيرٌ، وكان ابن أخيه وارثه فقتله، ثم احتمله ليلاً وأتى به قوماً آخرين، فوضعه على باب رجلٍ منهم ثم أصبح يدَّعيه حتى تسلحوا وركب بعضهم على بعض، فقال ذوو الرأي منهم: على ما يقتل بعضكم بعضاً! هذا رسولُ الله فأْتوه ؟ قال: إن الله ﷻ ﴿يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ ".(٢)

---

(١) قاله ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير رحمه الله. وقال قتادة وعطية العوفي والربيع بن أنس رحمهم الله، المراد: الزمان، أي: لما بين يديها مَنْ يأتي من الأمم بعدها، وما خلفها: مَنْ بقي منهم ومن غيرهم لم تنلهم العقوبة. وهذا هو الأظهر، فإن الله تعالى جعلهم عبرةً ونكالاً لمن في زمانهم، وموعظة لمن يأتي بعدهم، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ .

ينظر: تفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٣٤/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤١٠/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٠٨/١).

(٢) رواه عبد الرزاق الصنعاني في تفسير القرآن (٤٨/١)، والطبري في جامع البيان (٣٣٧/١)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١٣٦/١)، والبيهقي في سننه (٢٢٠/٦) برقم: (١٢٠٢٨) عن عبيدة السلماني. وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢١٣/١)، ومكي بن أبي طالب في تفسير الهداية (٣٠٤/١) عن السدي وعطاء رحمهما الله تعالى. قال ابن كثير رحمه الله: "وهذه السياقات عن عبيدة وأبي العالية والسدي وغيرهم فيها اختلاف ما؛ والظاهر أنها مأخوذة من كتب بني إسرائيل، وهي مما يجوز نقلها ولكن لا تصدق ولا تكذب، فلهذا لا يعتمد عليها إلا ما وافق الحق عندنا والله أعلم". تفسير القرآن العظيم (١١١/١).

﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗا﴾ أي: مهْزُوًّا بنا؛[١]

والهزو بمعنى: الاســتهزاء.[٢] ﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ إذ الهازئ جاهل لاعبٌ. ولو اعترضوا بقرة لأجزأهم ولكن شدّدوا فشـدد الله عليهم.[٣] حتى انتهوا إلى البقرة التي أُمروا بها فوجدوها عند رجل ليست له بقرة غيرها، قال: والله لا أنقصها من ملء جلدها ذهبا، فذبحوها فضربوه بفخذها،[٤] فذلك قوله: ﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَا﴾ فيحيى، فقالوا: من قتلـك ؟ قـال: هـذا ! لابن أخيـه؛ ثم مـال ميتـاً، فلم يُعطَ من مـالـه شـيئـاً،

---

(١) ﴿هُزُوٗا﴾ هي مفعول ثانٍ لـ ﴿أَتَتَّخِذُنَا﴾، وفي وقوعها مفعولاً ثانياً ثلاثة أقوال: **الأول**: أنه على حذف مضاف، أي: ذوي هُزْء. **الثاني**: أنه مصدر واقع موقع المفعول به، أي مهزوءاً بنا. **الثالث**: أنهم جعلوا نفس الهزْء مبالغة، وهذا القول أقرب، وهو الذي رجحه السمين الحلبي رحمه الله في تفسيره.
ينظر: الكشاف للزمخشري (١/١٧٦)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/٧٤)، والبحر المحيط لأبي حيان (١/٤١٥)، والدر المصون للسمين الحلبي (١/٤١٨).

(٢) ينظر: العين للخليل (٤/٧٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (٦/١٩٦)، والمفردات للراغب (ص٥٤٢) "هزء".

(٣) رواه الطبري في جامع البيان (١/٣٣٩)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١/١٣٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً بلفظ:" فلو اعترضوا بقرةً فذبحوها لأجزأت عنهم، ولكنهم شددوا وتعنتوا فشدد الله عليهم". قال ابن كثير رحمه الله: "إسناد صحيح وقد رواه غير واحد عن ابن عباس رضي الله عنهما". تفسير القرآن العظيم (١/١١١).

(٤) اختلف المفسرون في تحديد البعض على أقوال، أظهرها وأقربها: أنهم ضربوه بعضو منها لا بعينه، وليس في القرآن الكريم ولا في السنة الصحيحة ما يدل على تحديد ذلك البعض، ولا يضر الجهل بأي ذلك ضربوا القتيل ولا ينفع العلم به، مع الإقرار بأن القوم قد ضربوا القتيل ببعض البقرة بعد ذبحها فأحياه الله تعالى. وهو اختيار الطبري والخازن رحمهما الله تعالى في تفسيريهما.
ينظر: جامع البيان للطبري (١/٣٦٠)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٨٤)، ولباب التأويل للخازن (١/٧٢).
ينظر: معاني القرآن للزجاج (١/١٥٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٤/١١١)، ولسان العرب لابن منظور (١/٧١)" درأ "، والبحر المحيط لأبي حيان (١/٤٢٤).

ولم يورِّث قاتلٌ بعده ". [١]

﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ ﴾ أي: لا كبيرة. [٢] ﴿ وَلَا بِكْرٌ ﴾ ولا فتيَّةٌ صغير لم تلد. [٣] ﴿ عَوَانٌۢ ﴾ أي: نصفٌ ﴿ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: بين الكبيرة والصغيرة. [٤] وقوله: ﴿ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا ﴾ أي: شديد الصُّفرة. [٥]

---

(١) روى القصة بمعناه عبد الرزاق الصنعاني في تفسير القرآن (١/٤٨)، والطبري في جامع البيان (١/٣٣٩)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١/١٣٦) والبيهقي في سننه (٦/٢٢٠) برقم: (١٢٠٢٨) عن عبيدة السلماني. والظاهر أنه مأخوذة من كتب بني إسرائيل، التي لا تصدق ولا تكذب، فلا يعتمد عليها إلا ما وافق الحقَّ عندنا، والله أعلم .قال ابن عبد البر رحمه الله:" أجمع العلماء على أن القاتل عمداً لا يرث من مقتوله إلا فرقة شذّت عن الجمهور كلهم أهل بدع ". الاستذكار (٨/١٣٩).

(٢) وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة ومجاهد وأبي العالية وجمهور المفسرين رحمهم الله.
ينظر: جامع البيان للطبري (١/٣٣٩)، والعين للخليل (٧/٢٨)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/٤٨٨)" فرض "، والنكت والعيون للماوردي (١/١٣٨).

(٣) وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والربيع بن أنس ومجاهد رحمهم الله تعالى. والبِكْر: الصغيرة التي لم تحمل، والبِكر من إناث البهائم، وبني آدم، ما لم يفتَحِلْه الفحل، وهي مكسورة الباء، فأما البَكر بفتح الباء، فهو الفتي من الإبل.
ينظر: جامع البيان للطبري (١/٣٤٢)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١/١٣٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٠/١٢٦) " بكر ".

(٤) العوان: النَّصَفُ التي قد ولدت بطنا أو بطنين، وهي أقوى ما تكون من البقر وأحسنه.
ينظر: العين للخليل (٣/٢٥٣)" عون "، وجامع البيان للطبري (١/٣٤٢)، والدّر المصون للسمين الحلبي (١/٤٢١).

(٥) أصفر فاقع: أنصعه وأخلصه، و﴿ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا ﴾ يعني: خالص لونها، والفقوع في الصفرة نظير النصوع في البياض وهو شدته وصفاؤه.
ينظر: العين للخليل (١/١٧٧)، وجامع البيان للطبري (١/٣٤٥)، والمفردات للراغب (ص٣٨٤) "فقع"، والبحر المحيط لأبي حيان (١/٤١٧).

﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ أي: يعجبهم من حُسنها وصفاء لونها، لأن العين تُسَرُّ وتولعُ بالنظر إلى الشيء الحسن. ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ أي أسائمةٌ أم عاملةٌ ؟

﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ أي: إلى وصفها.

قوله ﴿لَّا ذَلُولٌ﴾ أي: مذللة بالعمل. ﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ تُقلبُها للزراعة.(١) ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ أي: بريئة من العيوب.(٢)

قوله ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ لا بياض [٥/أ] فيها ولا سواد.(٣)

﴿قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالوصف التام الذي وقع به التميّز.

﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ أي: من غلاء ثمنها.

---

(١) ﴿لَّا ذَلُولٌ﴾ أي: ليست بذلول، والبقرة الذلول: التي أذلها العمل بإثارة الأرض. والإثارة: تفريق الشيء، أي: ليست مما يثير الأرض للزرع، ولا يسقى عليها الزرع .

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٣٣٨)، والنكت والعيون للماوردي (١/١٤١)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٥/٨٠)"باب الثاء والراء"، والمفردات للراغب (ص١٨٠)"ذل".

(٢) وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وأبي العالية والربيع بن أنس رحمهم الله، واختاره الطبري رحمه الله في تفسيره.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٣٥١)، والنكت والعيون للماوردي (١/١٤١)، والبحر المحيط لأبي حيان (١/٤٢٢).

(٣) الوَشْي في اللغة: خلط لونٍ بلون، وأصله من وشي الثوب، وهو تحسين عيوبه التي تكون فيه بضروب مختلفة من الألوان. يقال: وشيتُ الثوب فأنا أشِيَه شِيَةً ووشْياً. ومنه قيل للساعي بالرجل إلى السلطان أو غيره:"واشٍ"، لكذبه عليه عنده وتحسين كذبه بالأباطيل. يقال: وشَيتُ به إلى السلطان وشاية. و ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ على النفي، أي: ليس فيها لون يفارق سائر لونها.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٣٥٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (١١/٣٠٤)" وشى"، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٩٩).

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ أي: اختلفتم يعني: دفع كلّ واحدٍ عن نفسه.[١]

﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ أي: من أمر القتيل.

قوله: ﴿كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ أي: كما أحيى هذا القتيل.

﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ أي: دلالاته ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي: غلظت ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: من بعد إحياء القتيل لكم بعضوٍ من أعضاء بقرةٍ مذبوحة، إذ وجب على من شاهد هذه الآية من قدرة الله أن يلين قلبَه ويخشاه. ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ أي: بل أشدّ قسوةً،[٢] لأن الحجارة تصير إلى هذه الأحوال التي ذكرنا من خشية الله؛ وقلوب اليهود لا تخشى الله، فهي أقسى من الحجارة.

قوله: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ أفتعلمون.[٣] ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ خطابٌ للنبي ﷺ وأصحابِه، أي:

---

(١) الدّرء: الدفع، وتدارأ القوم: تدافعوا في الخصومة ونحوها واختلفوا، وأصله: فتدارأتم فيها، أي:تدافعتم، أي: ألقى بعضكم على بعض.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (١/١٥٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٤/١١١)، ولسان العرب لابن منظور (١/٧١)" درأ "، والبحر المحيط لأبي حيان (١/٤٢٤).

(٢)ومال الطبري رحمه الله إلى أن (أو) للتنويع، أي: أن قلوبهم لا تخرج عن أحد هذين المثلين، إما أن تكون مثل الحجارة في القسوة، وإما أن تكون أشد منها في القسوة. كما استحسن هذا القول أبو حيان رحمه الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٣٦٢)، والنكت والعيون للماوردي (١/١٤٥)، والتفسير الكبير للرازي (٣/١١٨)، والبحر المحيط لأبي حيان (١/٤٢٨).

(٣) الطَّمع: تعلق النفس بإدراك مطلوب، يقال: طَمِعتُ أطْمَعُ طمَعاً وطَمَاعيَّةً فهو طَمُعٌ وطامِع، وهو أشدّ من الرجاء، لأنه لا يحدث إلا عن قوة رغبة وشدّة إرادة، وإذا اشتدّ صار طمعاً، وإذا ضعف كان رغبةً ورجاءً.

ينظر: العين للخليل (٢/٢٧)، والمفردات للراغب (ص٣٠٧)" طمع "، والبحر المحيط أبي حيان (١/٤٣٥).

أن يصدّقوكم.

قوله:﴿ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ ﴾ أي: يغيّرونه، كما غيَّروا حدّ الزنا عن الرَّجم إلى غيره.(١)

قوله:﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ ورَدَ في منافقي اليهود؛ (٢) كانوا إذا رأوا المؤمنين قالوا: إنه نبيٌّ صادقُ عنده في كتابنا ﴿ وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: علّمَكم الله من شأنه.(٣)

---

(١) يؤيد ذلك ما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأةً زنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما تجدون في التوراة في شأن الرجم ؟ فقالوا: نفضحهم ويُجلَدُون، فقال عبد الله بن سلام ﷺ: كذبتم إنَّ فيها الرجم، فأتَوا بالتوراة فنَشَروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام ﷺ: ارفع يدك، فرفع يده فإذا فيها آية الرجم، فقالوا: صَدَقَ يا محمد، فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرُجما. قال عبد الله ﷺ: فرأيت الرجل يجنأ على المرأة يقيها الحجارة ". أخرجه البخاري (٣/١٣٣٠)، برقم: (٣٤٣٦) كتاب المناقب/ باب قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾[البقرة:١٤٦]، ومسلم (٣/١٣٢٦)، برقم: (١٦٩٩)،كتاب الحدود/ باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنا . قال ابن حجر رحمه الله:" وعند أكثر المفسرين نزلت الآية في الذين غيَّروا آية الرجم وصفة النبي ﷺ " العجاب (١/٢٦٢).

(٢) روى الطبري بسنده (١/٣٦٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما:﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ يعني المنافقين من اليهود، كانوا إذا لقوا أصحاب محمد ﷺ ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ ورواه بنحوه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/١٥٠) عن السدي رحمه الله .

(٣) وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما، والسدي وأبي العالية وقتادة رحمهم الله تعالى. فيكون الفتح على هذا القول بمعنى: الإعلام والإذكار، أي: أتحدثونهم بما أعلمكم الله من صفة نبيهم ﷺ ؟ وذهب مجاهد والسدي: أن الفتح هنا بمعنى: القضاء والحكم. والمعنى: بما قضى الله عليكم في كتابكم أنّ محمّداً ﷺ حقّ وقوله صدق. وكلا المعنيين صحيح لا تعارض بينهما فالقرآن حمّال.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٣٧٠)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/١٠٤)، ولسان العرب لابن منظور (٢/٥٣٦)" فتح ".

قوله: ﴿ وَمِنۡهُمۡ ﴾ أي: ومن اليهود جماعة . ﴿ أُمِّيُّونَ ﴾ أي: على ما ولدتهم أمّهم.[١] ﴿ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ أي: لا يحسنون قراءة الكتاب ﴿ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ أي: إلا الأكاذيب[٢] التي كتبها علماؤهم. وذلك أن أحبارهم خافوا ذهاب مآكلهم ورياستهم حين قدم النبي ﷺ المدينة، فسعوا في تعويق اليهود عن الإيمان به، فعَمِدوا إلى صفته، وكان فيها:

---

(١) ﴿ أُمِّيُّونَ ﴾ أي: الذين لا يكتبون، والواحد أميّ، منسوب إلى الأمّة الأمّيّة، التي هي على أصل ولادات أمهاتها، لم تتعلم الكتابة ولا قراءتها.

ينظر: غريب القرآن لابن عزيز (ص٨٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/٩٩)، والمفردات للراغب (ص٩٩)" أم ".

(٢) وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد رحمه الله تعالى. والأماني جمع تمني وهو هنا: تخلق الكذب وتخرصه وافتعاله، يقال: تمنيت كذا إذا افتعلته وتخرصته، ومنه الخبر الذي ورد عن عثمان بن عفان ﷺ : " ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت بها رسول الله ﷺ ". رواه ابن ماجه في سننه (١/١١٣) برقم: (٣١١)، وصححه ابن رجب رحمه الله في نزهة الأسماع (ص٥٤). وقوله: (ما تمنيت) أي: ما تخرصت الباطل ولا اختلقت الكذب والإفك. والاستثناء في هذه الآية منقطع، لأن الأماني ليست من جنس الكتاب ولا مندرجة تحت مدلوله.

ينظر: جامع البيان للطبري: (١/٣٧٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٥/٣٨٣)"منى"، والدر المصون للسمين الحلبي (١/٤٤٧).

حَسَنُ الوجه، حسَنُ الشعر، أكحَلُ العين،(١) رَبْعَة،(٢) فغيروها وكتبوا مكانها: طوالٌ، أزرقٌ، سَبطُ الشعر. وإذا سئلوا عن محمدٍ ﷺ قرؤوا عليهم ما كتبوه.(٣)

قوله: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم﴾ أي: وادٍ في جهنم.(٤) ﴿مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: من تغيير

---

(١) أي: يعلو جفون عينيه سوادٌ مثل الكُحْل من غير اكتحال. وقد وردت هذه الصفة عن النبي ﷺ من حديث جابر بن سمرة ﷺ قال: كان رسول اللّهِ ﷺ لا يضحك إلا تبسّمًا، وكنتُ إذا نظرتُ إليه قلتُ: أكحَلُ العينين وليس بأكحَل. أخرجه الترمذي في سننه (٦٠٣/٥)، برقم: (٣٦٤٥) كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ / بابٌ في صفة النبي ﷺ ، وصححه، كما صححه الحاكم في المستدرك (٦٦٢/٢) برقم: (٤١٩٦)، ذكر أخبار سيد المرسلين وخاتم النبيين ﷺ .ورواه الإمام أحمد في مسنده بنحوه (٣٦١/١) برقم: (٣٤١٠) عن يزيد الفارسي عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال الهيثمي في المجمع (٢٧٢/٨):" رجاله ثقات ".

ينظر: معجم اللغة لابن فارس (١٦٣/٥)" كحل "، ودلائل النبوة للبيهقي (٢١٢/١)، كشف المشكل لابن الجوزي (٣٠١/٣).

(٢) رجلٌ رَبْعَة ومربوع الخلق، أي: ليس بطويلٍ ولا قصير . وقد ثبت من حديث أنس بن مالك ﷺ في وصف النبي ﷺ أنه قال: كان ربعةً من القوم ليس بالطّويل ولا بالقصير، ليس بجَعْدٍ قطَطٍ ولا سَبْطٍ رجِلٍ. أخرجه البخاري (١٣٠٢/٣) برقم: (٣٣٥٤) كتاب المناقب/باب صفة النبي ﷺ. والشعرٌ السَبط: إذا كان سهلاً ممتداً غير متجعِّد. والجَعْد: المنثني، فإذا زادت جعودة الشعر فهو القطَط.

ينظر: العين للخليل (٢١٩/٧) " سبط "، وكشف المشكل لابن الجوزي (٣٢١/٢)، وتهذيب الأسماء للنووي (١٣٦/٣)" سبط ".

(٣) روى ذلك ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٤/١)، والبيهقي في دلائل النبوة (١٥٧/١) عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً بلفظ: " أحبارُ يهودَ وجدوا صفة النبي ﷺ محمّدٍ مكتوباً في التوراة: أكحل، أعْيَن، ربعةٌ، جعد الشعرة، حسَن الوجه، فلما وجدوه في التوراة محَوْه حسداً وبغيا، فأتاهم نفر من قريش من أهل مكة فقالوا: أتجدون في التوراة نبيًّا أميًّا ؟ فقالوا: نعم، نجدُه طويلاً أزرقَ سَبْطَ الشعر. فأنكرت قريشٌ وقالوا: ليس هذا منّا". وقواه ابن حجر رحمه الله في العجاب في بيان الأسباب (٢٧٢/١).

(٤) ورد ذلك عن أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعا: "الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر سبعين خريفاً قبل أن يبلغ قعرها". أخرجه الترمذي في سننه (٣٢٠/٥) برقم: (٣١٦٤)، كتاب التفسير/سورة الأنبياء، قال الترمذي:" هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من حديث ابن لهيعة". وأحمد في مسنده: (٧٥/٣)

صفته لابتغاء عرض الدنيا.

قوله: ﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ وذلك أن اليهود وجدُوا في التوراة مكتوباً: أن ما بين ظهري جهنم مسيرةُ أربعين سنة، إلى أن ينتهوا إلى شجرة الزقوم نابتاً في أصل الجحيم، فزعم أعداءُ الله أنه إذا خلا العددُ الذي وجدوا في كتابهم انقضى الأجل، فلا عذاب، وتذهب جهنم وتهلك. - يعنون ذلك الأجل -.[1]

﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا ﴾ أي: اتخذتم من الله بذلك وعداً أنه يفعل ذلك، فإن اتخذتم بذلك وعداً من الله فأتوا به فإنه لا يخلف الميعاد.

قوله: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ أي: شركاً.[2]

برقم: (١١٧٣٠)، وأخرجه ابن المبارك في الزهد (٩٥/٢) بإسناده عن عطاء بن يسار رحمه الله أنه قال: "الويل واد في جهنم" . والحديث ضعفه ابن كثير رحمه الله في تفسيره (١١٨/١)، كما ضعفه الألباني رحمه الله في ضعيف سنن الترمذي (٣٩٥/١).

(١) روى ذلك الطبري في جامع البيان(٣٨١/١)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١٥٦/١)، والواحدي في أسباب نزول القرآن (ص١٣٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ:" ذكر أن اليهود وجدوا في التوراة مكتوباً: إن ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة، إلى أن ينتهوا إلى شجرة الزقوم نابتة في أصل الجحيم. وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: إن الجحيم سقر، وفيه شجرة الزقوم، فزعم أعداء الله أنه إذا خلا العدد الذي وجدوا في كتابهم أياماً معدودة، وإنما يعني بذلك المسير الذي ينتهي إلى أصل الجحيم، فقالوا: إذا خلا العدد انتهى الأجل فلا عذاب وتذهب جهنم وتهلك. فذلك قوله:﴿ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ يعنون بذلك الأجل". وضعفه ابن حجر رحمه الله في العجاب في بيان الأسباب (٢٧٤/١).

(٢) وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، وأبي وائل، وأبي العالية، وعطاء، وقتادة، والحسن، والسدي، والربيع بن أنس، وعكرمة رحمهم الله. وهذه الآية الكريمة وإن كان ظاهرها في التلاوة عاماً إلا أنها في الكفار خاصة، لأن الله تعالى قضى على أهلها بالخلود في النار، والخلود في النار لأهل الكفر بالله دون أهل الإيمان به، لتظاهر الأخبار في كتاب الله تعالى وعن رسول الله ﷺ بأن الخلود في النار لأهل الكفر بالله دون أهل الإيمان به.

﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ أي: مات بذنبه.(١)

وقوله: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾أي: العهد المحكم.

﴿لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ أي: أن لا تعبدوا إلا الله.(٢)

وقوله: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا﴾ أي: وقلنا لهم أحسنوا بالوالدين ﴿إِحۡسَانٗا﴾ أي: براً بهما وعطفاً عليهما. ﴿وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ أي: القرابة في الرّحم ﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ أي: الطفل الذين مات آباؤهم. ﴿وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ أي: المحتاجين بسبب العدَم.

وقوله: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ أي: صدقاً في شأن محمد ﷺ، فمن سألكم عنه فاصدقوه وبينوا له صفته من غير كتمان.(٣)

ينظر: تفسير عبد الرزاق الصنعاني (٥١/١)، وجامع البيان للطبري (٣٨٥/١)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص٤٨٣).

(١) أصل الإحاطة بالشيء: الإحداق به، بمنزلة الحائط الذي تحاط به الدار فتحدق به. فمعنى الآية: من أشرك بالله واقترف ذنوباً جمة، فمات عليها قبل الإنابة والتوبة، فأولئك أصحاب النار هم فيها مخلدون أبداً. وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما، والضحاك، والربيع بن خثيم، ومجاهد رحمهم الله تعالى.

ينظر: العين للخليل (٢٧٦/٣)"حوط"، وجامع البيان للطبري (٣٨٦/١)، والمفردات للراغب (ص١٣٦)"حائط".

(٢) في هذه الجملة المنفيَّة من الإعراب أوجه، أظهرها: أنها مفسِّرةٌ لأخذ الميثاق، وذلك أنه لما ذكر تعالى أنه أخذ ميثاق بني إسرائيل كان في ذلك إيهامٌ للميثاق ما هو؟ فأتى بهذه الجملة مفسِّرةٌ له، ولا محل لها حينئذٍ من الإعراب.

ينظر: التبيان في إعراب القرآن للعكبري (٨٣/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤٥١/١)، والدّر المصون للسمين الحلبي (٤٥٨/١).

(٣) وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما، ومقاتل بن حيان، وسعيد بن جبير، وابن جريج رحمهم الله. وقال سفيان الثوري رحمه الله: القول الحسن هو: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقال أبو العالية رحمه الله: أنه اللين في القول، والمعاشرة بحسن الخلق. والأظهر أن القول الحسن يشمل ذلك كله، وتفسير

قوله: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ أي: أعرضتم عن العهد ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ ﴾ يعني: من كان ثابتاً على دينه ثم آمن بمحمد ﷺ.

﴿ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ كأوائلكم في الإعراض عما عَهِدَ إليكم في كتابكم.

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ﴾ أي: لا يُريق بعضكم دم بعض بغير حق.

﴿ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ﴾ أي: لا يُخرج بعضُكم بعضا من داره.

﴿ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ اليوم على ذلك يا معشر اليهود.

﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ ﴾ أي: يا هؤلاء.[١] قوله: ﴿ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم ﴾ أي: تتعاونون.[٢]

قوله: ﴿ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ﴾ أي: ﴿ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ ﴾ وهو محرَّمٌ عليكم.

قوله: ﴿ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ ﴾ أي: هوانٌ وفضيحةٌ في الحياة

السلف في ذلك تفسير بالمثال. والله تعالى أعلم.

ينظر: تفسير القرآن لابن أبي حاتم (١/١٦١)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/١٠٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٩٠)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/١١٠).

(١) في هذه الآية إشكال! لأنّ قوله تعالى: ﴿ أَنتُمْ ﴾ للحاضرين، و﴿ هَٰؤُلَاءِ ﴾ للغائبين، فكيف يكون الحاضر نفس الغائب؟ وجوابه: أنّ ﴿ هَٰؤُلَاءِ ﴾ للتنبيه، تقديره: ثم أنتم يا هؤلاء، فحذف النداء للاستغناء بدلالة الكلام عليه، قاله الفراء، والثعلبي، والسمعاني، والبغوي رحمهم الله تعالى.

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (١/٢٢٩)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٩١)، والتفسير الكبير للرازي (٣/١٥٦)، والدّر المصون للسمين الحلبي (١/٤٧٥).

(٢) مِنْ تظَاهَر بمعنى: المعاونة والتناصر، كأن كلَّ واحد منهم يسند ظهره للآخر ليتقوّى به فيكونَ له كالظهر، و ظاهر عليه: أعان، و استظهره عليه: استعانه، واستظهر عليه بالأمر: استعان.

ينظر: المفردات للراغب (ص٣١٧)، ولسان العرب لابن منظور (٤/٥٢٥)"ظهر"، والدّر المصون للسمين الحلبي (١/٤٧٩).

الدنيا. يعني: ما نال بني النضير، لأنهم أُجلُوا عن مساكنهم، وبني قريظة فإنهم أُبيدُوا بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم.(١)

ثم أعلم الله أنّ ذلك غيرُ مكفّر ذنوبهم فقال: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ﴾ أي: يُرجَعُون. ﴿إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِ﴾ أي: عذابٌ لا راحة فيه باتصال أجزائه.

قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي: استبدلوا الحياة في هذه الدار عن النعيم المقيم والعزّ الدائم في الآخرة.[٥/ب] ﴿فَلَا يُخَفَّفُ﴾ أي: لا يهُوَّن عنهم العذاب ﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ أي: لا يُمنعون من عذاب الله.

قوله: ﴿وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ أي: أتبعنا من بعده رسولاً بعد رسول.(٢) ﴿وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ أي: العلامات الواضحات ﴿وَأَيَّدۡنَٰهُ﴾ أي: قوّيناه ﴿بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ﴾ أي: بجبريل(٣) حيث صعد به إلى السماء.

---

(١) يؤيد ذلك ما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: " حاربت النضير، وقريظة، فأجلَى بني النضير، وأقرّ قريظة ومنَّ عليهم، حتى حاربت قريظة، فقَتَل رجالهم، وقسَم نساءَهم وأولادَهم وأموالهم بين المسلمين، إلا بعضَهم لحقوا بالنبي ﷺ فآمنهم وأسلموا، وأجلَى يهودَ المدينة كلّهم: بني قينقاع، وهم رهط عبد الله بن سلام، ويهود بني حارثة، وكل يهود المدينة ". أخرجه البخاري في صحيحه (١٤٧٨/٤) برقم: (٣٨٠٤)، كتاب المغازي/باب حديث بني النضير...، وصحيح مسلم (١٣٨٧/٣) برقم: (١٧٦٦) كتاب الجهاد والسير، باب إجلاء اليهود من الحجاز.

(٢) التَّقْفِيَة: الإتْباع، ومعناه: وأتْبعنا، يقال: استقْفيتُه إذا جئت من خلفه، وسميت قافية الشعر قافية: لأنها خلفه.

ينظر: تفسير الهداية لمكي (٣٤٠/١)، والمفردات للراغب (ص٤٠٩)" قفا "، والبحر المحيط لأبي حيان (٤٦٧/١).

(٣) وهو مروي عن كعب القرظي، وقتادة، والسدي، والربيع بن أنس، والضحاك، وعطية العوفي، رحمهم الله عند الطبري في جامع البيان (٤٠٤/١)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١٦٨/١). ويشهد له ما ثبت من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:" اللهم أيده بروح القدس". يعني حسان بن ثابت ﷺ

﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ﴾ أي: يا معشر اليهود ﴿رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ﴾ أي: بما لا يوافق هواكم ﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ أي: تعظّمتم عن الإيمان به، لأنهم كانت لهم الرياسة وكانوا متبوعين. ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾ مثل عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ مثل يحيى وزكريا عليهما السلام. ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ أي: عليها غشاوة فلا تعي ولا تفقه ما تقول يا محمد.(١)

قال الله تعالى: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ أي: أبعَدهم(٢) فلم يجعل لهم سبيلاً إلى فهم ما يقول محمد ﷺ ؛ وإن فهموا حُرموا الانتفاع به بسبب إقامتهم على كفرهم.

في منافحته عن الله ورسوله ﷺ. والحديث أخرجه البخاري (١٧٣/١) برقم: (٤٤٢) أبواب المساجد/باب الشعر في المسجد. ومسلم (١٩٣٢/٤) برقم: (٢٤٨٥) كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم/باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه.

وسمي روحا، لأنه كان سبباً لحياة القلوب، ولذلك سمي القرآن روحاً. وأصل القدس: الطهارة، والأرض المقدسة: المطهَّرة، وإنما وصف جبريل عليه السلام بالقدس لأنه كان طاهراً من الذنوب.

ينظر: تفسير القرآن للسمعاني (١٠٦/١)، والمفردات للراغب (ص٢٠٥)"روح"، والبحر المحيط لأبي حيان (٤٦٧/١).

(١) ﴿غُلْفٌ﴾: جمع أغلف، وهو الذي في غلاف وغطاء، كما يقال للرجل الذي لم يختتن: أغلف، والمرأة غلفاء، وكما يقال للسيف إذا كان في غلافه: سيفٌ أغلف وقوس غلفاء. قال قتادة رحمه الله: "معناه قلوبنا لا تفقه".

ينظر: جامع البيان للطبري (٤٠٦/١)، وتفسير الهداية لمكي (٣٤٣/١)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٩٠/٤)"غلف".

(٢) أصل اللعن: الطرد والإبعاد والإقصاء، يقال: لعن الله فلانا إذا باعده، يلعنه لعنا وهو ملعون، ثم يصرف مفعول فيقال: هو لعين. وكان العرب إذا تمرّد الرجل منهم وكثر شره أبعدوه وطردوه لئلا يلحقهم عاره وجرائره، وأشاعوا ذلك ويقال: هو لعين بني فلان.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤٠٨/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٤٠/٢)"، والمفردات للراغب (ص٤٥١)"لعن".

﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً، لأنهم لا يؤمنون إلا بقليلٍ مما في أيديهم ويكفرون بأكثره.(١) ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ يعني: القرآن.

﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ يعني: التوراة. ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ﴾ أي: كان اليهودُ من قبل بعث محمدٍ ﷺ ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ أي: يستنصرون.(٢) ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: أشركوا، وكانوا إذا نصَبَ الحربَ لهم عدوٌّ قالوا: اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان.(٣)

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ﴾ أي: أمرُ محمدٍ ﷺ كفروا به.

---

(١) قاله مَعْمَر، والطبري، ومكي بن أبي طالب

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٤٠٨)، وتفسير الهداية لمكي (١/٣٤٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/١٠٧)، والتفسير الكبير للرازي (٣/١٦٣).

(٢) معنى الاستفتاح هنا: الاستنصار، أي: يستنصرون الله به على مشركي العرب من قبل مبعثه ﷺ.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾[الأنفال:١٩]. أي: إن تستنصروا فقد جاءكم النّصر. وجاء في الحديث " أن النبي ﷺ كان يستفتح بصعاليك المهاجرين". أخرجه الطبراني في الكبير (١/٢٩٢)، برقم: (٨٥٧). وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٢٦٢):" رجاله رجال الصحيح ". أي: يستنصر بهم في الدعاء للغزوات.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٤١٠)، والمفردات للراغب (ص٣٧٠)" فتح "، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/١٧٨).

(٣) روى ابن أبي حاتم في تفسيره بسنده (١/١٧٢) عن أبي العالية رحمه الله أنه قال:" كانت اليهود تستنصر بمحمد ﷺ على مشركي العرب، يقولون: اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوبًا عندنا، حتى يعذِّب المشركين ونقتلَهم، فلما بعث الله محمداً، ورأوا أنه من غيرهم كفروا به؛ حسداً للعرب، وهم يعلمون أنه رسول الله فقال الله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾".

وبنحوه ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة، ومجاهد، والسدي، وعطاء رحمهم الله تعالى.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٤١٠)، والكشف والبيان للثعلبي (١/٢٣٤)، وتفسير الهداية لمكي (١/٣٤٦).

قوله: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: باعوا به حظّ أنفسهم في الآخرة.

وقوله: ﴿أَن يَكْفُرُوا﴾ أي: ذلك الشيء المذموم.

﴿أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا﴾ أي: حسداً.[١]

قوله: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي: للجاحدين نبوّة محمدٍ ﷺ عذابٌ يهانون فيه.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ يعني: القرآن ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ يعني: التوراة. ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ أي: بما سواه.[٢]

قوله: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ﴾ هذا تكذيبٌ لقولهم: ﴿نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾؛ إذ لم يُجوِّز قتلُ نبيٍّ في كتابٍ ودينٍ.

وأضاف القتل إلى المخاطبين وإن كانت آباؤهم هم الذين قَتَلوا؛ لأنهم كانوا يتولّونهم ويرضون بفعلهم فهم على مذهبهم، وإذا كانوا كذلك فقد شركوهم.[٣]

---

(١) وبه قال قتادة والسدي وأبي العالية رحم الله الجميع. والمعنى: بئسما باعوا أنفسهم بالكفر من أجل ما أنزل الله على عبده محمد ﷺ حسدا وبغيا إذ لم يكن من بني إسرائيل.والعرب تقول: شَرَيتُ واشْتَرَيتُ بمعنى: بعتُ. والأكثر: شريتُ بمعنى: بعتُ. واشتريتُ بمعنى: ابتعت، وربما استعمل كلّ واحد في موضع صاحبه.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤١٣/١)، وتفسير الهداية لمكي (٣٤٧/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٧/٢).

(٢) أي: بما سوى التوراة وبما بعده من كتب الله التي أنزلها إلى رسله. وهذا تفسير قتادة والربيع وأبي العالية واختاره ابن جرير والسمعاني رحمهم الله .

ينظر: جامع البيان للطبري (٣١٨/١)، وتفسير القرآن للسمعاني (١٠٩/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٩/٢).

(٣) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني (١٠٩/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١٧٩/١)، والتفسير الكبير للرازي (١٧٠/٣).

وقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: إن كنتم مؤمنين فلم تقتلون أنبياء الله ؟ لأنه ليس سبيل المؤمنين أن يقتلوا الأنبياء.

قوله: ﴿وَاسْمَعُوا﴾ أي: اقبلوا ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ أي: بألسنتهم ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أي: بقلوبهم ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ أي: أُدخِلَ قلوبَهم حبَّ العِجْلِ.

﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾ أي: أن تعبدوا العجْلَ.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بزعمكم، كقولهم: ﴿نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾.

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ الآية.

لما قالت اليهودُ: ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾[البقرة: ١١١]. ألزمهم الله الحجَّة بهذه الآية، فقال: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾ أي: استعْجِلوه بالتمني؟(١) ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ وهذا إفحامٌ عظيمٌ لهم. وفي قوله: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ إعجازٌ عظيمٌ، لأنه أخبر عنهم

---

(١) وبه قال قتادة وأبي العالية والربيع بن أنس، وهو قول أكثر المفسرين . لأنّ من اعتقد أنه من أهل الجنة، كان الموت أحبّ إليه من الحياة، لما يصير إليه من نعيم الجنة، ويزول عنه من أذى الدنيا.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٤٢٥)، والكشف والبيان للثعلبي (١/٢٣٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/١١٠).

أنهم لا يفعلون.[١] وقوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بما لابسوا الكفر وكتموا الحق.[٢] قوله: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ أي: والله لتجدنهم.[٣] ﴿أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ أي: أحرص من الناس ومن الذين أشركوا.[٤] وهذا لأنّ اليهودَ علموا واستيقنوا ما لم يستيقنْه المشركون من أمر البعث والآخرة. واختصّ اليهود من بينهم بمعرفة أخبار النبي ﷺ وكتمان الحق فيه، وما عمدوه حسداً وبغياً، فلهذا كان حرصهم على الحياة أكثر من حرص المشركين لأنهم بهذا الجحد مع اليقين استيقنوا استيجاب العذاب.

---

(١) أي : لا يتمنونه لما يعلمون من ظلمهم وكذبهم وإنكارهم لنبوة محمد ﷺ، وهو عندهم في التوراة، فلو تمنوا الموت لهلكوا، فهم لا يفعلون ذلك أبداً. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " لو تمنوا الموت لشَرَقَ أحدهم بريقه". رواه الطبري في جامع البيان (٤٢٤/١)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١٧٧/١) وصححه موقوفاً ابن كثير رحمه الله في تفسير القرآن العظيم (١٢٨/١)، وابن حجر رحمه الله في العجاب (٢٧٨/١).

(٢)﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: عملته أيديهم، وأضاف العمل إلى اليد لأن أكثر جنايات الإنسان تكون باليد، فأضيف إلى اليد أعماله وإن لم يكن لليد فيها عمل.

ينظر: تفسير الهداية لمكي (٣٥٥/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٩٥/١)، والنكت والعيون للماوردي (١٦٢/١).

(٣) اللام: لام القسم والنون تأكيد القسم، تقديره: والله لتجدنهم، يعني: اليهود. والمعنى: والله لتجدنّ اليهود في حال دعائهم إلى تمني الموت أحرص الناس على حياة، وأحرص من الذين أشركوا.

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢٣٨/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٩٥/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (١١٧).

(٤) أي: أن الواو في قوله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ واو عطف، والمعنى: أن اليهود أحرص الناس على حياةٍ وأحرص من الذين أشركوا. كقولك: هو أسخى الناس ومن حاتم. قاله: الفراء والأصمّ رحمهما الله تعالى.

ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (١٨٢/١)، والتفسير الكبير للرازي (١٧٦/٣)، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٣٠٣/٢).

﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ﴾ أي: أن يعمَّر، يعني: يودّ أحدهم تعمير ألف سنةٍ، وهو تحيةُ المجوس فيما بينهم عش ألف سنة.[١] ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: وما أحدهم ﴿بِمُزَحْزِحِهِۦ﴾ أي: بمبتعده من العذاب.

قوله: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ وهو بالسريانية: عبد الله. واسم ميكائيل: عبيد الله .[٢] وذلك أنّ اليهود قالوا: إن جبريل عدوُّنا أُمِرَ أن يجعل النبوّة فينا فجعلها في غيرنا.[٣]

---

(١) أي: بلغ من حبّ المجوس في الحياة أن جعلوا تحيتهم: " عش ألف سنة "، حرصاً على الحياة. وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما، والربيع وأبي العالية رحمهما الله .
ينظر: جامع البيان للطبري (٤٢٩/١)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٧٩/١)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٣٨/١).

(٢) ورد ذلك عن علي بن الحسين رحمه الله في مسند الإمام أحمد (١٥/٥)، وجامع البيان للطبري (٤٣٧/١)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٨٢/١) وصححه شعيب الأرناؤوط في تحقيقه على المسند. وأخرج البخاري في صحيحه عن عكرمة قال: " جبر وميك وسراف: عبدٌ، إيل: الله ". (صحيح البخاري (١٦٢٨/٤) كتاب التفسير/سورة البقرة، باب قوله:﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾). قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:" قوله: قال عكرمة: جبر وميك وسراف عبدٌ، إيل: الله. وصله الطبري من طريق عاصم عنه قال: جبريل عبد الله وميكائيل عبد الله، إيل: الله. ومن وجه آخر عن عكرمة: جبر عبد وميك عبد، وإيل: الله. ومن طريق يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس نحو الأول، وزاد: وكل اسم فيه إيل، فهو: الله. ومن طريق عبد الله بن الحارث البصري أحد التابعين قال: إيل: الله، بالعبرانية. ومن طريق علي بن الحسين قال: اسم جبريل: عبد الله، وميكائيل: عبيد الله، يعني بالتصغير، وإسرافيل: عبد الرحمن. وكل اسم فيه إيل فهو معبّد لله ". فتح الباري (١٦٥/٨).

(٣) ورد ذلك عن مقاتل بن سليمان رحمه الله في تفسيره (٦٦/١). وأجمع المفسرون على أن هذه الآية نزلت جوابا لليهود من بني إسرائيل، إذ زعموا أن جبريل عليه السلام عدو لهم، وأن ميكائيل ولي لهم، ثم اختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا ذلك، والأقرب أن يكون سبب عداوتهم له أنه كان ينزل القرآن على نبينا محمد ﷺ لأن قوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ مشعر بأن هذا التنزيل لا ينبغي أن يكون سبباً للعداوة، لأنه إنما فعل ذلك بأمر الله فلا ينبغي أن يكون سبباً للعداوة. ويؤيد ذلك ما ثبت عن أنس رضي الله عنه قال: سمع عبد الله بن سلام رضي الله عنه بقدوم رسول الله ﷺ وهو في أرضٍ

تقديره: من كان عدوّاً لجبريل فليمُت غيظاً.[١] ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ﴾ أي: القرآن.

﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: بأمره ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: موافقاً.[٢]

﴿وَهُدًى﴾ أي: من الضلالة ﴿وَبُشْرَىٰ﴾ أي: بالجنة للمؤمنين.

وقوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾[٦/أ] أي: أو: ملائكته.[٣]
وخصّ جبريل وميكائيل بالذكر تشريفاً وتفضيلاً.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: من كان عدواً لله أو ملائكته فإن الله يتولى عداوته

يخترف فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهنّ إلا نبيٌّ، فما أوّل أشراط الساعة ؟ وما أول طعام أهل الجنة ؟ وما ينزع الولد ؛ إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال: أخبرني بهن جبريل آنفاً. قال: جبريل ! قال: نعم. قال: ذاك عدوُّ اليهود من الملائكة. فقرأ هذه الآية: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ .. الحديث. (صحيح البخاري (١٦٢٨/٤) برقم: (٤٢١٠) كتاب التفسير/باب قوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾).

ينظر: جامع البيان للطبري (٤٣١/١)، وتفسير القرآن للسمعاني (١١١/١)، والتفسير الكبير للرازي (١٧٨/٣).

(١) ينظر: الوجيز للواحدي (١٢٠/١)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (٩٧/١)، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٣٠٩/٢).

(٢) يعني بذلك: مصدقاً لما سلف من كتب الله تعالى قبله، ونزلت على رسله عليهم الصلاة والسلام الذين كانوا قبل محمد ﷺ ، وتصديقه إياها موافقة معانيه معانيها في الأمر باتباع محمد ﷺ وما جاء به من عند الله ﷻ.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤٣٨/١)، وتفسير الهداية لمكي (٩٤٧/٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤٨٨/١).

(٣) الواو هنا بمعنى: أو، لأنّ من عادى واحداً من هؤلاء المذكورين من الملائكة فالحكمُ فيه كذلك.
ينظر: تفسير الهداية لمكي (٣٦٢/١)، وتفسير الماوردي (١٦٣/١)، والتفسير الكبير (١٤٩/٢).

ومجازاته. وقوله: ﴿عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ دليلٌ على أنهم بهذه العداوة كافرون.(١)

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ أي: واضحات، وذلك أنَّ ابن صُوريا(٢) قال: يا محمد ما جئتنا بشيءٍ نعرفه، وما أنزل الله عليك من آية بينة فنتبعك بها، فأنزل الله ذلك.(٣)

قوله: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

سبب نزول ذلك: أن مالك بن الصّيف(٤) قال حين بعث رسول الله ﷺ وذكر لهم ما أخذ

---

(١) أجمع المسلمون على أن من أبغض رسولاً أو مَلَكاً فقد كفر.

ينظر: البحر المحيط لأبي حيان (٤٩٠/١)، والصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ لابن تيمية (١٦/٢)، وجامع العلوم والحكم لابن رجب (ص١٢٧)، والحبائك في أخبار الملائكة للسيوطي (ص٢٤٥).

(٢) هو عبد الله بن صوريا، الأعور، ويقال: ابن صور الإسرائيلي، وكان من أحبار اليهود، لا يوجد بالحجاز أعلم منه بالتوراة، وذكر البيهقي في الدلائل بأنه أسلم ثم ارتدّ بعد إسلامه، وفيه نزلت قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾[المائدة: ٤١].

ينظر: روض الأنف للسهيلي (٢٨٩/٢)، ودلائل النبوة للبيهقي (٢٧٠/٦)، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١٣٣/٤).

(٣) رواه الطبري في جامع البيان (٤٤١/١)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١٨٣/١)، والواحدي في أسباب النزول (ص١٣٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ:" قال ابن صوريا الفطيوني لرسول الله ﷺ: يا محمد؛ ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل الله عليك من آية بينة فنتبعك بها. فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾" . وذكره الحافظ ابن حجر في العجاب (٣٠١/١) وسكت عنه، وزاد نسبته لابن المنذر.

(٤) هو مالك بن الصيف، ويقال فيه: ابن الضيف، من أحبار اليهود ورؤسائهم، وكان رجلاً سميناً، مفتخراً بكونه يهودياً متظاهراً بذلك، يخاصم النبي ﷺ ويطعن في نبوته، جلى مع قومه بنو قينقاع في السنة الثانية للهجرة.

ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (٨٤/٣)، وجامع البيان للطبري (٢٦٧/٧)، وأسماء المدلسين للسيوطي (١٨٦/١).

عليهم من الميثاق، وما عهد الله إليهم فيه: والله ما عهد إلينا في محمد عهدًا، ولا أخذ علينا ميثاقًا.(١)

وقوله: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ أي: القرآن، أو التوراة؛ لأنَّ الذين كفروا بالنبي ﷺ قد نبذوا التوراة ﴿كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.(٢)

﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ أي: تَبِعته.(٣)

---

(١) رواه الطبري في جامع البيان (١/٤٤٧)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١/١٨٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:" قال مالك بن الصيف حين بُعث رسول الله ﷺ وذكر ما أَخَذَ عليهم من الميثاق وما عهد الله إليهم فيه: والله ما عهد إلينا في محمدٍ ﷺ وما أَخَذَ له علينا ميثاقاً. فأنزل الله جل ثناؤه: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾".

وفي سنده محمد مولى زيد بن ثابت؛ فهو مجهول. كما قاله الرازي في الجرح والتعديل (٨/٨٨). وسكت عنه الحافظ ابن حجر في العجاب (١/٣٠١).

(٢) وبه قال السدي رحمه الله. ومعنى نبذهم له: اطراح أحكامه، أو اطراح ما فيه من صفة رسول الله ﷺ، إذ الكفر ببعض كفر بالجميع . وقال الشعبي رحمه الله: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾: القرآن، وهذا أظهر، إذ الكلام مع الرسول ﷺ. فصار المعنى: أن القرآن يصدق ما بين أيديهم من التوراة ، وهم بالعكس، يكذِّبون ما جاء به من القرآن ويطرحونه. وأضاف الكتاب إلى الله تعظيماً له، كما أضاف الرسول ﷺ إليه بالوصف السابق، فصار ذلك غايةً في ذمهم.

ينظر: معالم التنزيل للبغوي (١/٩٨)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/١٢٠)، و البحر المحيط لأبي حيان (١/٤٩٣).

(٣) وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما، يقال: جاء القوم يتلو بعضهم بعضاً، وفلان يتلو فلاناً أي: يتبع فعله. وهو يتلو بقية حاجته، أي: يقتضيها ويتعهدها. ومعنى واتّبعوا: أي اقتدوا به إماماً، أو فضّلوا، لأن من اتّبع شيئاً فضّله. وواو الضمير في ﴿وَٱتَّبَعُواْ﴾ لليهود. وقال عطاء:﴿مَا تَتۡلُواْ﴾ أي: ما تدّعي، أو تقرأ. وقال أبو مسلم: ما تعمل، أو تكذب. وهي أقوال متقاربة .

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٤٤٧)، ولسان العرب لابن منظور (١٤/١٠٤)" تلا "، والبحر المحيط لأبي حيان (١/٤٩٤).

﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ أي: في ملكه وعهده.(١)

وقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾.

وذلك أنَّ آصف(٢) كاتب سليمان ﷺ، كان يعلم الاسم الأعظم، وكان كلُّ شيءٍ يأمر به سليمانُ ﷺ أنْ يكتبه فيدفنُه تحت كرسيه، فلما مات سليمان ﷺ أخرجته الشياطين، وكتبوا بين كلّ سطرين سحرًا وكفرًا وكذبًا، وقالوا: هذه التي كان سليمان يعمل بها. فأكفره جهّال الناس وسفهاؤهم وسبُّوه، ووقف علماؤهم، فلم يزل جهّالهم يسبُّونه حتى أنزل الله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾.(٣)

---

(١) وبه قال ابن جريج، وابن إسحاق، والسدي وجمهور المفسرين رحمة الله على الجميع. وذلك أن العرب تضع " في " موضع " على " و " على " في موضع " في "، ومن ذلك قول الله جل ثناؤه: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[طه:٧١] يعني به: على جذوع النخل، وكما قال: فعلت كذا في عهد كذا وعلى عهد كذا بمعنى واحد.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤٤٨/١)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٨٦/١)، والتفسير الكبير للرازي (١٨٦/٣).

(٢) هو آصف بن برخيا بن شمعيا، واسمه: ناطورا، كاتب سليمان ﷺ، وابن خالته، وكان صدِّيقا عالماً في بني إسرائيل، وكان لا يُرَدّ من باب سليمان ﷺ متى أراد دخوله من ليل أو نهار، وغالب ما ورد في أخباره منقولٌ عن بني إسرائيل.

ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري (١٠٢/١٤)، والبداية والنهاية لابن كثير (٢٣/٢)، والروض المعطار في خبر الأقطار للحميري (ص٣٧٤).

(٣) رواه النسائي في السنن الكبرى (٢٨٨/٦)، برقم: (١٠٣٩٤) كتاب التفسير/باب قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه بنحوه عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره (٢٨١/١)، والطبري في جامع البيان (٣٢٦/٢)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١٨٥/١) عن قتادة رحمه الله تعالى. وذكره ابن حجر رحمه الله في العجاب (٣١٠/١) وسكت عنه. وهو من الآثار التي وردت عن بني إسرائيل، والموقف منها معروف.

ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (١٨٧/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤٩٩/١)، وتفسير القرآن العظيم

﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ﴾ أي: عُلِّما وأُلقي في قلوبهما،[١] وهما مَلَكان معذَّبان[٢] ببابل. أي: ببابل دُنْبَا وَنْد.[٣]

وقوله: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٌ﴾ أي: ابتلاء.[٤]

لابن كثير (١/١٣٩).

(١) تعليم الملكين للسحر ليس من أجل السحر، وإنما لأجل أن يكون المكلف محترزاً عنه مدركاً لضرره، ولله تعالى أن يبتلي عباده بما شاء، كما قال تعالى حكاية عنهما: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٌ فَلَا تَكۡفُرۡ﴾.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٤٦١)، وتفسير الهداية لمكي (١/٣٧٠)، وإيجاز البيان عن معاني القرآن لابن الحسين النيسابوري (١/١١٢).

(٢) قد رويت قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كمجاهد والسدي والحسن البصري وقتادة وأبي العالية والزهري والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان وغيرهم رحمهم الله، وقصّها كثير من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين، وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل؛ إذ ليس فيه حديث صحيحٌ مرفوعٌ إلى الصادق المصدوق ﷺ، بل كلها ضعيف لا يصح منه شيء، وظاهر سياق القرآن الكريم إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن الكريم على ما أراده الله تعالى والله أعلم بحقيقة الحال، ومن العجب أن الملكين يعذّبان على السحر فيعلّمان الناس في ذلك الحال؛ وقد ثبت عصمة الملائكة بالكتاب والسنة، وهم أمناء الله على وحيه، وسفراؤه إلى رسله، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (١/١٨٧)، والتفسير الكبير للرازي (٢/١٩٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/١٤٢).

(٣) بابل: اسم ناحية من العراق، منها الكوفة، وهو من أقدم أبنية العراق. تقع على بعد "٩٠ "كم جنوب بغداد على مجرى قديم للفرات. وما ذكره المؤلف رحمه الله قال به السدي رحمه الله، وبابل دُنْبَا وَنْد: جبلٌ مشهور بكِرْمَان إيران. والأول أصح وبه قال ابن مسعود ﷺ، واختاره جمهور المفسرين.

ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (١/١٢٥)، ومعجم ما استعجم للبكري (١/٢١٨)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (١/٣٠٩)، والموسوعة العربية (٤/٥١٨).

(٤) معنى الفتنة في كلام العرب: الابتلاء والامتحان، وأصلها مأخوذٌ من قولك: فتنتُ الفضة والذهب

وقوله: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ أي: إلا بقضاء الله.

﴿وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ﴾ يعني: الذين كانوا يتعاطون السحر، ويُقبلون عليه.[1] والخلاق: النصيب.[2] يعني: أنهم يعلمون أنْ لا نصيب لهم في ثواب الآخرة.

﴿وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ﴾ أي: باعوا به حظّ أنفسهم.[3]

قوله: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ﴾ أي: بمحمدٍ ﷺ ﴿وَٱتَّقَوۡاْ﴾ أي: السِّحر.

﴿لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أي: ثوابٌ من عند الله.[4]

إذا أذبتهما بالنار ليتميز الرديء من الجيّد، ومن هذا قيل للحجارة السّود التي كأنها أحرقت بالنار: الفتين. والمراد من قول الملكين: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡ﴾أي: إنما نحن ابتلاء واختبار لكم، فلا تتعلموا السحر فتعملوا به فتكفروا .

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٤/٢١١)"فتن"، والفصل في الملل لابن حزم (٣/١٤٦)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/١٠١).

(١) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (١/٢٥١)، والتفسير الكبير للرازي (٣/٢٠١)، والدّر المصون للسمين الحلبي (٥/٤٥).

(٢) وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، والسدي، وسفيان الثوري رحمهم الله، وقال به جمهور المفسرين وأهل اللغة.

ينظر: جامع البيان للطبري: (١/٤٦٥)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم: (١/١٩٥)، ومعاني القرآن للنحاس (١/١٤٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٧/١٦)" خلق ".

(٣) معنى ﴿شَرَوۡاْ﴾ هنا: باعوا. أي: ولبئس ما باعوا به أنفسهم. وللعرب في شروا واشتروا مذهبان: فالأكثر منهما: أن " شروا ": باعوا، و " اشتروا ": ابتاعوا؛ وربما جعلوهما بمعنى باعوا. والمعنى: ولبئس ما باع به نفسه من تعلّم السحر لو كان يعلم سوء عاقبته. وبه قال جمهور المفسرين، واختاره الطبري رحمه الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٤٦٦)، وتهذيب اللغة للأزهري (١١/٢٧٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/١٤٥).

(٤) وبه قال قتادة، وأبو العالية، والحسن، والربيع بن أنس، والسدي رحمهم الله تعالى. يعني: أن اليهود

قوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا ﴾ كان هذا شتمًا عند اليهود، اصطلحوا على الشتم بها، وعنُوا بها: اسمع لا سمعتَ. فنُهي المسلمون عن أنْ يقولوها، وأُمروا بأن يقولوا بدل ذلك: ﴿ٱنظُرْنَا ﴾.(١) أي: أنظر إلينا.(٢)﴿وَٱسْمَعُواْ ﴾ أي: أطيعوا ما

لو آمنوا بما يجب الإيمان به من الكتب والرسل واتقوا الشرك والكفر بسبب السحر وغيره من المعاصي لأثيبوا مثوبة من الله خيراً مما شروا به أنفسهم.

ينظر: تفسير عبد الرزاق الصنعاني (٥٤/١)، وجامع البيان للطبري (٤٦٨/١)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٩٦/١).

(١) وهو قول قتادة وابن زيد وابن جريج وعطاء رحمهم الله، كما رواه عنهم الطبري في جامع البيان (٤٦٩/١)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١٩٧/١). وذكر الواحدي في أسباب النزول (ص١٣٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " إن العرب كانوا يتكلمون بها، فلما سمعهم اليهود يقولونها للنبي ﷺ أعجبهم ذلك، وكان راعنا في كلام اليهود للسب القبيح، فقالوا: إنا نسب محمداً سراً، فالآن أعلنوا السب لمحمدٍ لأنه من كلامهم. فكانوا يأتون نبي الله ﷺ فيقواون: يا محمد، راعنا و يضحكون. ففطن لها رجلٌ من الأنصار، وهو سعد بن عبادة ﷺ، وكان عارفاً بلغة اليهود، فقال: يا أعداء الله، عليكم لعنة الله، والذي نفس محمد بيده، لئن سمعتها من رجل منكم لأضربن عنقه. فقالوا: ألستم تقولونها له ؟ فأنزل الله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا ﴾ الآية ". وضعف إسناده ابن حجر رحمه الله في العجاب (٢٤٤/١) إسناده، وانتقد الواحدي على حذفه للسند. وقال في فتح الباري (١٦٣/٨):" وروى أبو نعيم في الدلائل بسند ضعيف جداً". ورواه بنحوه مختصراً الطبراني في الكبير (١٢٣/١٢)، برقم: (١٢٦٥٩).

نهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مقالهم وفعالهم، وذلك أن اليهود كانوا يعنون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التنقص، فإذا أرادوا أن يقولوا: اسمع لنا، يقولون: راعنا، ويورون بالرعونة الحماقة، ومنها: الراعن وهو الأحمق، والأرعن عن مبالغة فيه، فنهى الله تعالى المؤمنين عن مشابهة الكفارة قولاً وفعلاً.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤٦٩/١)، وتفسير القرآن للسمعاني (١١٩/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٠٢/١).

(٢) حُذِف حرف (إلى) كما في قوله تعالى:﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ ﴾[الأعراف: ١٥٥]، والمعنى: من

تؤمرون به، وذلك أنَّ الطاعة تحت السَّمع.

قوله: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: والمشركين.(١)

قوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ وهو: أن يأتي في الكتاب نسخ آية بآية أخرى.(٢)

﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ وهو: أن تأتي الآية بضرب من العمل، فيؤمر المسلمون بترك ذلك بغير آية تنزل ناسخةٍ للتي قبلها.(٣)

قومه، والمقصود منه أن المعلم إذا نظر إلى المتعلم كان إيراده للكلام على نعت الإفهام والتعريف أظهر وأقوى.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (١/١٨٨)، والمفردات للراغب (ص٨١٢)"نظر"، والتفسير الكبير للرازي (٣/٢٠٤)، والبحر المحيط لأبي حيان (١/٥٠٨).

(١) أي: أن "المشركين" في موضع خفضٍ بالعطف على أهل الكتاب، ومعنى الآية: ما يحب الكافرون من أهل الكتاب ولا المشركين بالله من عبدة الأوثان، أن ينزل عليكم من الخير الذي كان عند الله ينزله عليكم. فتمنى المشركون وكفرة أهل الكتاب أن لا ينزل الله عليهم من حكمه وآياته، وإنما أحبت اليهود وأتباعهم من المشركين ذلك حسداً وبغياً منهم على المؤمنين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٤٧٤)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/١٠٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (١/٥٠٩).

(٢) النسخ في اللغة على معنيين:

الأول: بمعنى التغيير والتحويل. ومنه نسخ الكتاب، وهو أن يحول من كتاب إلى كتاب فينقل ما فيه إليه.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الجاثية:٢٩].أي: نأمر الملائكة بنسخها. وعلى هذا الوجه القرآن كلّه منسوخ؛ لأنّه نسخ من اللوح المحفوظ، فأُنزل على النبيّ ﷺ .والثاني: بمعنى رفع الشيء وإبطاله، يقال: نسخت الشمّس الظل: أي ذهبت به وأبطلته، وعلى هذا الوجه يكون بعض القرآن ناسخاً ومنسوخاً، وهي ما تعرفه الأمّة من ناسخ القرآن ومنسوخه.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٤٧٥)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (ص٥٨)، والإحكام للآمدي (٣/١١١).

(٣) اختلف المفسرون في قوله ﷻ:﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ على قولين:**الأول**: من النسيان؛ وهو ذهول القلب

﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ أي: بما هو أنفع لكم وأسهل عليكم وأكثر لأجركم، لا أنَّ آيةً خيرٌ من آيةٍ، إذ الكلُّ كلامُ الله. (١) ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾ أي: في المثوبة والمنفعة لكم.

قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: هو مالك الكلِّ، فهو أعلم بوجه الصلاح فيما يُتعبَّد به من ناسخٍ ومنسوخٍ ومتروكٍ وغيره.

﴿وَمَا لَكُم﴾ أي: يا معشر المسلمين.

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾يُخبَرون فيه أنَّ من خالفهم فهو عليهم، وأنَّ الله ﷻ

عن معلوم، بمعنى نجعل الرسول ﷺ ينساها، كما في قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعلى:٦-٧]، والمراد به هنا: رفع الآية وليس مجرد النسيان؛ فعلى هذا يكون الإنساء على القلب في معنى النسخ. وبه قال قتادة، والحسن، ومجاهد، والربيع بن أنس، رحمهم الله.

الثاني: المراد بالنسيان هنا: الترك، فمعنى:﴿أَوْ نُنسِهَا﴾: أو نتركها فلا ننسخ. مثل قوله ﷻ: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[التوبة:٦٧]، أي: تركوا عبادة الله فتركهم في العذاب. قال به ابن ابن عباس رضي الله عنهما، والسدي رحمه الله.والأظهر: **القول الأول**، من أن النسيان على بابه الذي هو عدم الذكر، على معنى: أو ننسكها يا نبي الله فلا تذكرها – صلوات الله وسلامه عليه – وقد جاءت الآثار بأن أحدهم كان يحفظ قرآناً ثم ينساه، ويذكرون ذلك للنبي ﷺ فيخبرهم بأنها نسخت، مثل ما ورد عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن رجلاً كان معه سورة فقام يقرأها من الليل فلم يقدر عليها، وقام آخر يقرأها فلم يقدر عليها، وقام آخر يقرأها فلم يقدر عليها، فأصبحوا فأتوا رسول الله ﷺ فأخبروه، فقال ﷺ: " إنها نسخت البارحة ". رواه الطحاوي في مشكل الآثار (٥/٢٧٠)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/١٥٧)، وصححه ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٧/١٨٣).

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٤٧٦)، والمفردات للراغب (ص٤٩١)" نسي"، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/١٩٠).

(١) وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة، رحمه الله تعالى، وهو قول أكثر المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٤٧٩)، والكشف والبيان للثعلبي (١/٢٥٦)، وتفسير الهداية لمكي (١/٣٩٠).

ناصرهم، وبنصره إياهم يَغلبون من سواهم.(١) ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ ﴾ أي: بل تريدون.(٢)

﴿أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ ﴾ الآية. سبب نزولها: أنَّ قريشا سألت محمداً ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا، ﴿ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾.(٣)

﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾ أي: يستبدل ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ أي: قصْد الطريق.(٤)

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم ﴾ أي: أنْ يردوكم ﴿مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا ﴾ أي: من أجل الحسد.

---

(١) الفرق بين النصير والولي: أن الولاية قد تكون بإخلاص المودة، والنصرة تكون بالمعونة والتقوية، وقد لا تمكن النصرة مع حصول الولاية.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٤٨٣)، ولباب التأويل للخازن (١/٩٥)، والكليات لأبي البقاء الكفوي (ص٩٤٠).

(٢) " أم " هنا منقطعة، وبه قال الفراء، والجرجاني، إذ ليس في الكلام همزة تقع موقعها فهي بمعنى " بل " والهمزة، والمعنى: بل أتريدون، فيكون أضراب انتقال من قصة إلى قصة.

ينظر: معاني القرآن للفراء (١/٦٦)، وجامع البيان للطبري (١/٤٨٤)، ودرج الدرر للجرجاني (١/٢٦٥).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١/٤٨٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/٢٠٣)، ولفظه عن مجاهدٍ رحمه الله في قول الله تعالى:﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾ فسألت قريش محمداً ﷺ أن يجعل الله له الصفا ذهباً"، قال: نعم، وهو لكم كمائدة بني إسرائيل إن كفرتم. فأبوا ورجعوا ". قال ابن حجر رحمه الله في العجاب (١/٣٥١):" فإن أثر مجاهد المذكور صريح في أن السائل في ذلك هم قريش، كذا أخرجه الفريابي، والطبري، و ابن أبي حاتم، صحيحاً إليه ".

(٤) يعني بالسواء: القصد والمنهج، وأصل السواء: الوسط. والسبيل: الطريق المسبول، صُرف من مسبول إلى سبيل. فمعنى الآية: ومن يستبدل بالإيمان بالله وبرسوله الكفر فيرتد عن دينه فقد حاد عن منهج الطريق ووسطه الواضح المسبول.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٤٨٦)، والمفردات للراغب (ص٢٥١)"سوا "، والبحر المحيط لأبي حيان (١/٥١٧).

﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ أي: ودُّوا من عند أنفسهم من غير أنْ ينزل عليهم وحيٌ بذلك.

﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ أي: ظهر لهم بالدلائل الواضحات أنَّ قول محمد ﷺ صدقٌ ودينه حقّ، فإنهم يجدونه مكتوباً في التوراة والإنجيل.

﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ أي: بعذابه في حقِّ الكفار، وكان ذلك في وقتٍ لم يكن المسلمون أُمِروا فيه بحرب.(١)

والعفو: محو الذنوب، والصفح: الإعراض،(٢) أي: تجاوزوا عما مضى، وأعرِضوا عن مثل ذلك في المستقبل إلى أن يأتي الأمر بالقتال.

قوله: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟﴾ أي: إنْ تقدِّموا ﴿لِأَنفُسِكُم﴾ خيرًا ﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

---

(١) وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة، والسدي، والربيع بن أنس رحمهم الله. رواه عنهم الطبري في جامع البيان (١/٤٩٠)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (ص١٠٦). وروى ابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١/٢٠٦) عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال:"كان رسول الله ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله، ويصبرون على الأذى. قال الله:﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ، وكان رسول الله ﷺ يتأول في العفو ما أمره الله به، حتى أذن الله فيهم بقتل. فقتل الله به من قتل من صناديد قريش".

قال ابن الجوزي رحمه الله في نواسخ القرآن (ص٤٦):" واعلم أن تحقيق الكلام دون التحريف فيه أن يقال: إن هذه الآية ليست بمنسوخة؛ لأنه لم يأمر بالعفو مطلقاً، وإنما أمر به إلى غاية، وبيَّن الغاية بقوله: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾، وما بعد الغاية يكون حكمه مخالفاً لما قبلها، وما هذا سبيله لا يكون أحدهما ناسخاً للآخر، بل يكون الأول قد انقضت مدته بغايته والآخر محتاجاً إلى حكم آخر. وقد ذهب إلى ما قلته جماعة من فقهاء المفسرين، وهو الصحيح؛ وهذا إذا قلن إن المراد: العفو عن قتالهم، وقد قال الحسن: هذا فيما بينكم وبينهم دون ترك حق الله تعالى حتى يأتي الله بالقيامة. فعلى هذا يكون الأمر بالعفو محكماً لا منسوخاً". أهـ.

(٢) ينظر: العين للخليل (١/١٢٢)" صفح "، وتهذيب اللغة للأزهري (٣/١٤١)" عفا "، والمفردات للراغب (ص٢٨٢-٣٣٩)" صفح، عفا ".

قوله: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾ أي: قالت اليهود:لن يدخل الجنة [٦/ب] إلا من كان هوداً، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى.(١) ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ أي: شهواتهم التي اشتهوها وتمنّوها على الله.

﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ أي: أحضروا حجّتكم وأتوا بها.

﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ هذا تكذيبٌ من الله لهم في دعواهم، لأنهم لا يكونوا قادرين على إحضار برهانٍ على دعواهم تلك أبداً، وقد أبان ذلك بقوله:﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ﴾ أي: سلّم نفسه ﴿لِلَّهِ﴾ يعني: خضع وخشع لله.(٢)

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: مخلصٌ، إذ لا إحسان بلا إخلاص.

قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ الآية. سبب نزولها: أنه لما قدم أهل نجران على رسول الله ﷺ أتتهم أحبار يهود؛ فتنازعوا عند رسول الله ﷺ، فقال رافع بن حُريملة(٣): ما أنتم على شيء، وكفر بعيسى عليه السلام وبالإنجيل، وقال رجلٌ من أهل نجران من

---

(١) روى ابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١/٢٠٧) عن ابن العالية رحمه الله قال: "قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا يهودي. وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا نصراني". وروي عن مجاهد، والربيع، والسدي نحو ذلك.

(٢) يعني بإسلام الوجه: التذلل لطاعة الله والإذعان لأمره سبحانه. وأصل الإسلام: الاستسلام، وهو: الخضوع لأمره سبحانه، وسمي المسلم مسلماً بخضوع جوارحه لطاعة ربه. وخصّ الله جل ثناؤه بإسلام وجهه له دون سائر جوارحه؛ لأن أكرم أعضاء بن آدم وجوارحه وجهه، وهو أعظمها عليه حرمة وحقاً، فإذا خضع لشيء وجهه الذي هو أكرم أجزاء جسده عليه، فغيره من أجزاء جسده أحرى أن يكون أخضع لله تبرك وتعالى.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٤٩٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/١٠٦)، والتفسير الكبير للرازي (٤/٤).

(٣) هو: من أحبار اليهود، ذكر ابن إسحاق أنه أسلم على سبيل التقية، فكان كافراً في الباطن، وهو من شر المنافقين، كان يحضر المسجد فيسمع أحاديث المسلمين ويسخر منهم ويستهزئ بدينهم. ينظر: سيرة ابن هشام (٣/٨٦)، ونهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري (١٦/٢٥٤)، والبداية

النصارى لليهود: ما أنتم على شيء، وجحد نبوّة موسى عليه السلام وكفر بالتوراة.[١]

وقوله: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: الكتاب المنزَّل عليهم، ويعلمون أنَّ الإيمان بجميع الأنبياء واجب، ثم إنهم يكفرون ببعضهم.

﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ هم العرب قالوا: ليس محمد على شيء.[٢]

﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ﴾ أي: يقضي ﴿بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ يعني: أنَّه يُريهم من يدخل الجنة عيانًا، ويدخل النار عيانًا.

لما اختلفوا فيما بينهم، علَّم الله أمة محمد ﷺ ما يقولون فقال:﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾[البقرة:١٣٦] الآية.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ الآية. أي: من أن يُذكر فيها اسمه.

﴿وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ﴾ وذلك أنَّ مشركي مكة سعوا في منع المسلمين من ذكر الله في المسجد

والنهاية لابن كثير (٣/٢٤٠).

(١) رواه الطبري في جامع البيان (١/٤٩٥)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١/٢٠٨)، وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص١٤٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفي سنده محمد بن أبي محمد؛ قال عنه أبو حاتم الرازي: " مجهول ". كما في الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (٣/٩٦).

(٢) وهو قول السدي رحمه الله. وقال ابن عباس رضي الله عنهما:" أراد به المشركين". وقال مجاهد رحمه الله:" أراد به عوام النصارى". وقال عطاء رحمه الله:" أمم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، عليهم السلام، قالوا لنبيهم إنه ليس على شيء". والأظهر ما اختاره ابن جرير رحمه الله من أن الآية عامة تصلح لكل من ينطبق فيه الوصف، وليس ثم دليل قاطع يعيّن واحداً من هذه الأقوال، والحمل على الجميع أولى. والله تعالى أعلم.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٤٩٦)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١/٢٠٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/١٥٦).

الحرام.(١) وكل موضع سجود لساجد فهو مسجد،(٢) فيحسن لذلك كلمة الجمع، وذلك خرابه، إذ العبادة فيه من عمارته.

﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ أي: القتل للحربيّ والجزية للذميّ.(٣)

﴿وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي: لا يتخلّله فرجة وهو عذاب النار الدائم.

قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ نزلت في صلاة التطوُّع في السفر.(٤)

﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟﴾ أي: تحوّلوا ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ أنْ تُصلي حيث ما توجّهتْ بك راحلتُك في التطوع.(٥)

---

(١) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وعبد الرحمن بن زيد رحمه الله. والأظهر أن الآية عامة في كل من منع من كل مسجدٍ إلى يوم القيامة. قال القرطبي رحمه الله: " وهو الصحيح! لأن اللفظ عام ورد بصيغة الجمع، فتخصيصها ببعض المساجد وبعض الأشخاص ضعيف. والله تعالى أعلم ". الجامع لأحكام القرآن (٧٧/٢).

ينظر: جامع البيان للطبري (٤٩٩/١)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٢١٠/١)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٦٠/١).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٤٩٨/١)، والمفردات للراغب (ص٢٢٣)" سجد "، واقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (ص٣٣٢).

(٣) وبه قال قتادة، والسدي رحمهما الله تعالى. وهو تفسير بالمثال وليس المراد به الحصر، قال ابن كثير رحمه الله:" والصحيح أن الخزي في الدنيا أعم من ذلك كنه ". تفسير القرآن العظيم (١٥٨/١).

ينظر: جامع البيان للطبري (٥٠١/١)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٢١١/١)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٦١/١).

(٤) روى ذلك مسلم في صحيحه (٤٨٦/١)، برقم (٧٠٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها/باب جواز صلاة النافلة على الدابة في السفر حيث توجهت. عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول اللهِ ﷺ يصلي وهو مقبل من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه. قال: وفيه نزلت: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ ".

(٥) وهو قول ابن عمر رضي الله عنهما، والحسن رحمه الله، واختاره الطبري، والرازي رحمهما الله.

قوله: ﴿وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ أي: قبلة الله.(١)

قوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ أي: سبّح الله سبحانه.(٢)

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٥٠٣)، والتفسير الكبير للرازي (٤/١٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/١٥٨).

(١) وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما عند ابن أبي حاتم في تفسيره (١/٢١٢)، وعن مجاهد رحمه الله، عند الترمذي في سننه (٥/٢٠٥)، كتاب التفسير/باب من سورة البقرة، والطبري في جامع البيان (١/٥٠٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/١٣). وصححه ابن تيمية يرحمه الله في مجموع الفتاوى (٣/١٩٣). وقال به الحسن وقتادة ومقاتل وجمهور السلف رحمهم الله تعالى. وليس هذا من التأويل المذموم، بدلالة السياق والحديث عن القبلة، وقد قرر ابن تيمية رحمه الله أن هذه الآية ليست من آيات الصفات؛ ولا تندرج في عموم قول من يقول: لا تؤول آيات الصفات، وأن الإضافة في قوله: ﴿وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ إضافة تخصيص وتشريف؛ كأنه قال: جهة الله وقبلة الله. والأظهر – والعلم عند الله – أنه لا مانع من اعتبار المعنيين، فيكون المراد: قبلة الله، مع إثبات الوجه الحقيقي لله تبارك وتعالى كما يليق بجلاله وعظمته، بدلالة ما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما " أن رسول الله ﷺ قال: إذا كان أحدكم يصلي فلا يبصق قبل وجهه فإن الله قِبَلَ وجهه إذا صلى". أخرجه البخاري في صحيحه (١/١٥٩)، برقم: (٣٩٨) أبواب المساجد/باب حك البزاق باليد من المسجد. ومسلم في صحيحه (١/٣٨٨)، برقم: (٥٤٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة/باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٥٠٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/١٠٨)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/١٩٣).

(٢) ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ أي: تنزيهاً وتبريئاً وتعظيماً من أن يكون له ولد، وعن كل ما لا ينبغي أن يوصف به. فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "قال الله تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي: فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي: فقوله: لي ولد؛ فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدا ". أخرجه البخاري في صحيحه (٤/١٦٢٩)، برقم: (٤٢١٢) كتاب التفسير/باب ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ﴾.

ينظر: العين للخليل (٣/١٥١)" سبح "، وجامع البيان للطبري (١/٥٠٦)، والنهاية في غريب الأثر لابن

﴿بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي مَلِكًا ومُلكًا.

﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ أي: خاشعون.(١) ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: منشؤهما على غير مثال.(٢) قوله: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا﴾ أي: قدَّره وأراد خلقه.(٣)

﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ﴾ أي: من أجل إرادته إياه.

﴿كُن﴾ أي: أحدِث. ﴿فَيَكُونُ﴾ أي: فيَحدُث.

الجزري (٢/٣٣١)" سبح ".

(١) القنوت: الخشوع والقيام بالطاعة، ويردُ بمعان متعددة، كالطاعة، والخشوع، والصلاة، والدعاء، والقيام، والسكوت، فيصرف لما يحتمله اللفظ. قال ابن تيمية يرحمه الله:" القنوت الذي يعم المخلوقات أنواع: طاعتهم لخلقه وحكمه وأمره قدراً، واعترافهم بربوبيته، واضطرارهم إلى مسألته والرغبة إليه، ودخولهم فيما يأمر به وإن كانوا كارهين، وجزاؤهم على أعمالهم، فالقنوت شامل داخل للجميع، لكن المؤمن يقنت له طوعاً وغيره يقنت له كرهاً قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾ [الرعد:١٥]". جامع الرسائل (١/٥-٢٧).

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٥٠٧)، والكشف والبيان للثعلبي (١/٣٦٤)، ولسان العرب لابن منظور (٢/٧٣) "قنت".

(٢) البديع: بمعنى المبدع، وهو: المنشئ والمحدث ما لم يسبقه إلى إنشاء مثله وإحداثه أحد، ولذلك سمي المبتدع في الدين مبتدعاً لإحداثه فيه ما لم يسبقه إليه غيره، وكذلك كل محدِث فعلاً أو قولاً لم يتقدمه فيه متقدم فإن العرب، تسميه: مبتدعاً.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٥٠٨)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢/١٤٢)" بدع "، وتفسير القرآن للسمعاني (١/١٣٠).

(٣) قضى: في اللغة على وجوه، مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه. وهو لفظ مشترك، يكون بمعان متعددة، ويتجه في هذه الآية المعنى الذي ذكره المؤلف رحمه الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٥٠٩)، والمفردات للراغب (ص٤٠٦)"قضى"، والتفسير الكبير للرازي (٤/٢٤).

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: كفارُ العرب.(١) ﴿لَوْلَا ﴾ أي: هلا ﴿يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ﴾ فأعلم الله أنَّ تعنُّتهم كتعنّت قوم موسى ﷺ حيث قالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾[النساء: ١٥٣]. وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم ﴾ أي: اليهود.

﴿مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي: في الضلالة والكفر بالله.

﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ ﴾ أي: آيات القرآن التي عجزوا عن معارضتها.

﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ أي: من أيقن في طلب الحق، فقد أتته الآيات البينات، وهم المسلمون ومن لم يعاند من علماء أهل الكتاب.

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ أي: تبشر المؤمنين بما لهم من الثواب، وتنذر المخالفين بما أعدّهم من العقاب.

﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ كأنَّه قيل: ولستَ تُسأل عن أصحاب الجحيم.(٢)

---

(١) وبه قال أكثر المفسرين رحمهم الله. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أنهم اليهود. وقال مجاهد رحمه الله: أنهم النصارى. والأقرب — والله أعلم – أن المراد بقوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴾ جميع هذه الطوائف؛ لأن كلهم قال هذه المقالة أو نحوها، ويكون المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم ﴾ قوم نوح، وعاد، وثمود، وغيرهم من الأمم السابقة. ومال إلى هذا القول ابن عطية رحمه الله في تفسيره ولم ينسبه لأحد. قال الرازي رحمه الله:" فإن قيل: الدليل على أن المراد مشركوا العرب أنه تعالى وصفهم بأنهم لا يعلمون؛ وأهل الكتاب أهل العلم! قلنا: المراد أنهم لا يعلمون التوحيد والنبوة كما ينبغي، وأهل الكتاب كانوا كذلك". أهـ
ينظر: النكت والعيون للماوردي (١/١٨٠)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٢٠٢)، والتفسير الكبير للرازي (٤/٢٧).

(٢) أي: أنك قد بلّغتَ ما أُرسلتَ به، وإنما عليك البلاغ والإنذار، ولست مسئولاً عمن كفر بما أتيته به من الحق وكان من أهل الجحيم، كما قال تعالى:﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾[الغاشية: ٢١-٢٢]، وقال تعالى: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾[الشورى:٤٨].
ينظر: جامع البيان للطبري (١/٥١٥)، ومعاني القرآن (١/٢٠٠)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/١٣٢).

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ أي: سُنَنهم وطريقتهم.(١)

﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ أي: الصراط الذي دعا الله إليه وهدى إليه هو الطريق، أي: طريق الحق. وقوله: ﴿بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ يعني: العلم بضلالتهم وكفرهم، وبعد الذي أقصصت عليك من نبئهم.

﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ أي: ليس لك من وليٍّ يلي أمرك ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ أي: نصير ينصرك من الله فيدفع عنك ما ينزل بك من عقوبة، وذلك تأكيدٌ في الموعظة.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ هم المؤمنون برسول الله ﷺ.(٢)

﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ أي: يتبعونه حق اتباعه.(٣)

---

(١) المِلَّة في الأصل: الطريقة. يقال طريق مُمِلٌّ: أي: أثر فيه المشي، ويعبر بها عن الشريعة تشبيهاً بالطريقة.قال الزجاج رحمه الله في معاني القرآن (٢٠٢/١):"ومعنى ملتهم في اللغة: سنتهم وطريقتهم".
ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢٦٦/١)، وتفسير القرآن للسمعاني (١٣٣/١)، ولسان العرب لابن منظور (٦٣١/١١)" ملل ".

(٢) وبه قال عكرمة، وقتادة رحمهما الله. وقال ابن عباس رضي الله عنهما، وابن زيد رحمه الله: هم المؤمنون من اليهود. والأقرب إلى الصواب - والعلم عند الله – القول الثاني، وهو اختيار الطبري رحمه الله، لأن سياق الآيات قبلها مضت بأخبار أهل الكتاب، وتبديل من بدل منهم كتاب الله، فلما ذم طريقتهم وحكى عنهم سوء أفعالهم، أتبع ذلك بمدح من ترك طريقتهم، بل تأمل التوراة وترك تحريفها وعرف منها صحة نبوة محمد ﷺ، ولم يجر للمؤمنين برسول الله ﷺ في الآية التي قبلها ذكر، ولا جاء في الخبر عنهم أثر يجب التسليم له.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥١٨/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٣٩/١)، والتفسير الكبير للرازي (٣٠/٤).

(٣) التلاوة لها معنيان: أحدهما: القراءة. بمعنى: يقرؤونه حق قراءته. ذكر هذا المعنى الطبري في تفسيره ولم ينسبه لأحد. والثاني: الإتباع فعلاً، بمعنى: يتبعونه حق اتباعه. وبه قال ابن عباس، وابن مسعود رضي الله عنهم، وعكرمة، وقتادة، ومجاهد رحمهم الله. لأن من اتبع غيره يقال تلاه فعلاً، ومنه قول الله تعالى:

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ أي: خسروا ما فاز به من آمن وصدّق.

قوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ﴾ أي: اختبر ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ أي: بأوامر أُمر بها.(١)

﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أي: أدّاهنّ تامّاتٍ ﴿قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ أي: يُقتدى بك.

﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ أي: ومن أولادي أيضًا فاجعل أئمة يُقتدى بهم.

﴿قَالَ﴾ الله ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: من كان من ذريتك ظالماً فلا يناله عهدي، يعني: عهد [٧/أ] الإمامة.(٢) ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ أي: مُعاذاً يعودون

﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾[الشمس:٢]، يعني: الشمس إذا تبعها القمر. فالظاهر هنا كما اختاره الرازي رحمه الله في تفسيره أن التلاوة يقع على المعنيين جميعاً، ويصح فيهما جميعاً المبالغة، لأن التابع لغيره قد يستوفي حق الاتباع فلا يخلّ بشيء منه، وكذلك التالي يستوفي حق قراءته فلا يخلّ بما يلزم فيه، ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه:" يقرؤونه كما أنزل، ولا يحرفونه، ويحلون حلاله ويحرمون حرامه".

ينظر: جامع البيان للطبري (٥١٩/١)، والتفسير الكبير للرازي (٣٠/٤)، ولسان العرب لابن منظور (١٠٢/١٤)" تلا ".

(١) اختلف المفسرون في صفة الكلمات التي ابتلى الله بها إبراهيم عليه السلام إلى أقوال كثيرة، أقربها ما ذكره المؤلف رحمه الله، واختاره الطبري رحمه الله في تفسيره بقوله:" كان اختبار الله – تعالى ذكره – إبراهيم اختباراً بفرائض فرضها عليه، وأمرٍ أمره به، وذلك هو الكلمات التي أوحاهن إليه وكلفه العمل بهن، امتحاناً منه له واختباراً ... وإذ كان ذلك كذلك؛ فغير جائز لأحدٍ أن يقول: عنى الله بالكلمات التي ابتلي بهن إبراهيم شيئاً من ذلك بعينه.... إلا بحجة يجب التسليم لها من خبرٍ عن الرسول ﷺ، أو إجماع من الحجة، ولم يصح فيه شيء من ذلك خبرٌ عن الرسول ﷺ بنقل الواحد، ولا بنقل الجماعة التي يجب التسليم له". جامع البيان (٥٢٣/١). يقول البغوي رحمه الله "وابتلاء الله العباد ليس ليعلم أحوالهم بالابتلاء؛ لأنه عالم بهم، ولكن ليعلم العباد أحوالهم حتى يعرف بعضهم بعضًا". معالم التنزيل (١١١/١).

(٢) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقرره ابن تيمية وأبو حيان. قال الرازي رحمه الله:" فهذا العهد إن كان هو النبوة؛ وجب أن تكون لا ينالها أحد من الظالمين، وإن كان هو الإمامة، فكذلك؛ لأن كل نبي لا بد وأن يكون إماماً يؤتم به، وكل فاسق ظالم لنفسه، فوجب أن لا تحصل النبوة لأحد من الفاسقين". التفسير الكبير (٤٠/٤).

إليه آمنين.(١) ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ لما قال عمر بن الخطاب ﷺ: يا رسول الله! لو صلَّينا خلف المقام، نزل ذلك.(٢) ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ أي: أوحينا إليهما: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ أي: من الأوثان والمعاصي، ومما لا يحبه الله.(٣)

﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ أي: الساجدين، فمن كان طائفًا فهو من

ينظر: جامع البيان للطبري (٥٢٩/١)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٠١/١٠)، والبحر المحيط لأبي حيان (٥٤٨/١).

(١) أصل الثوب: رجوع الشيء إلى حالته الأولى التي كان عليها، والمثاب: هو العود والرجوع، يقال: ثاب يثوب إذا رجع، والمثابة: المكان يثوب إليه الناس. و﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ أي: يعودون إليه لا يقضون منه وطراً أبداً.

ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٩٣/١)، والمفردات للراغب (ص٨٣)"ثوب".

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٦٢٩/٤)، برقم: (٤٢١٣) كتاب تفسير القرآن/باب ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ عن أنس رضي الله عنه قال: قال عمر ﷺ: "وافقت الله في ثلاث، أو وافقني ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله ! لو اتخذت مقام إبراهيم مصلى؛ وقلت يا رسول الله! يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آية الحجاب، قال: وبلغني معاتبة النبي ﷺ بعض نسائه، فدخلت عليهن، قلت: إن انتهيتن أو لَيُبَدِّلَنَّ الله رسوله ﷺ خيراً منكن، حتى أتيت إحدى نسائه، قالت: يا عمر؛ أما في رسول الله ﷺ ما يعظ نساءه حتى تَعظَهُنَّ أنت؛ فأنزل الله: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ﴾[التحريم: ٥]، الآية.

(٣) وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما، وعبيد بن عمير، ومجاهد، وقتادة، وسعيد بن جبير، رحمهم الله تعالى. قال أبو حيان رحمه الله:" والأولى حمله على التطهير مما لا يناسب بيوت الله، فيدخل فيه الأوثان، والإنجاس، وجميع الخبائث، وما يمنع منه شرعاً، كالحائض". البحر المحيط (٥٥٣/١).

ينظر: جامع البيان للطبري (٥٣٨/١)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٢٢٧/١)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٧٢/١).

الطائفين، ومن كان جالسًا فهو من العاكفين، ومن كان مصليًا فهو من الرُّكَّع السجود.(١)

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ أي: ذا أمنٍ ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وإنما ذكر إبراهيم عليه السلام من آمن من أهله دون غيرهم؛ لأنَّ الله تعالى قد أعْلمه أنَّ في ذريته غير المؤمنين، بقوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

﴿قَالَ﴾ الله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا﴾ أي: فسأرزقه إلى منتهى أجله، فرزق الدنيا يصل إلى المؤمن والكافر، إذ لا قدْرَ له، بخلاف عهد الإمامة، فإنه لا ينال الظالمين.

﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾ أي: أُلجئه ﴿إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أي: المرجع.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ لما أُمر إبراهيم عليه السلام أن يبني البيت هو وإسماعيل عليه السلام فقال: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ الآية. انطلق إبراهيم عليه السلام حتى أتى مكة فقام هو وإسماعيل عليه السلام وأخذ المعاول،(٢) لا يدريان أين أساس البيت، فأرسل الله ريحًا لها جناحان ورأسٌ في صورة حيَّة، فكنست لهما حول الكعبة عن أساس البيت الأول، واتَّبعاه بالمعاول يحفران، حتى وضعا الأساس، فذلك حين يقول: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾[الحج:٢٦].(٣)

---

(١) وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما، وعطاء، ومقاتل، وقتادة رحمهم الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٥٤١)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١/٢٢٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/١٧٣).

(٢) المعاول: جمع معول، وهي: الحديدة التي ينقر بها الجبال. قال الجوهري: المعول: الفأس العظيمة التي ينقر بها الصخر، وجمعها: معاول.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٣/١٢٦)، ولسان العرب لابن منظور (١١/٤٨٧)، ومختار الصحاح للرازي (١/١٩٤)"عول".

(٣) رواه الطبري في جامع البيان (١/٥٥٠)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١/٢٣٢) عن السدي رحمه الله، والأثر من الغيبيات التي لا تثبت بها حجة إلا بدلالة الكتاب والسنة، وغالب ما جاء في وصف

قوله: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ أي: يقولان ربَّنا.

قوله: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ أي: مخلِصَين لك.(١)

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ أي: وأمةً مسلمةً من ذريتنا ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ أي: عرِّفنا متعبداتنا والمواضع التي يتعلق النسك بها لنفعله فيها.(٢)

قوله: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ﴾ أي: في الأمة المسلمة.

﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ أي: مرسلاً. ﴿يَتْلُواْ﴾ أي: يقرأ ﴿عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ وهي كلّ كلمة وعظتْك أو زجرتْك أو دعتْك إلى مكرمة.(٣)

بناء البيت الحرام من الإسرائيليات، فينبغي الاقتصار في ذلك على الروايات الصحيحة.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٥٤٦)، والنكت والعيون للماوردي (١/١٩٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/١٧٦)، والإسرائيليات لأبي شهبة (ص١٦٨).

(١) قاله مقاتل بن سليمان، وعبد الكريم بن مالك الجزري رحمهما الله. وأصل الإسلام: الاستسلام، وهو: الخضوع لأمر الله تعالى. وإنما سُمي المسلم مسلماً بخضوع جوارحه لطاعة ربه، فحقيقة الإسلام: الطاعة والانقياد والإخلاص. والمعنى: واجعلنا مستسلمين لأمرك، خاضعين لطاعتك، مخلصين في عبادتك، لا نشرك معك في الطاعة أحداً سواك، ولا في العبادة غيرك.

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٧٨)، وجامع البيان للطبري (١/٥٥٣)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١/٢٣٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٢/٣١٣)"سلم".

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١/٢٠٩)، وتفسير الهداية لمكي (١/٤٤٤)، وتهذيب الأسماء للنووي (٣/٣٤١).

(٣) ما ذكره المؤلف رحمه الله في تعريف الحكمة هنا هو أحد التعاريف، وهو قول ابن دريد. وقال ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة، والشافعي رحمهما الله: الحكمة: " السنة ". والقول الثاني هو الأظهر، واختاره الطبري رحمه الله، بدليل أن الله تعالى ذكر تلاوة الكتاب أولاً وتعليمه ثانياً، ثم عطف عليه الحكمة، فوجب أن يكون المراد من الحكمة شيئاً خارجاً عن الكتاب، وليس ذلك إلا سنة الرسول ﷺ.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٥٥٧)، وتفسير الهداية لمكي (١/٤٤٩)، والتفسير الكبير للرازي (٤/٦١).

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي: يُطهِّرهم بدعوتهم إلى الحق من الشرك والذنوب.(١)

قوله: ﴿وَمَن يَرْغَبُ﴾ أي: وما يرغب.(٢) ﴿عَن مِّلَّةِ﴾ أي: سنةِ ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾.(٣)

﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ أي: جهل، يعني: لم يفكر فيها.(٤)

قوله: ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: الفائزين.(٥)

---

(١) وبه قال مقاتل، والحسن، وابن جريج، وجمهور المفسرين رحمهم الله.
ينظر: جامع البيان للطبري (١/٥٥٨)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/١٤٦)، والتفسير الكبير للرازي (٤/٦٢).

(٢) معنى " مَنْ " التقرير والتوبيخ، ولفظها لفظ الاستفهام، وموضعها رفع بالابتداء، والمعنى: ما يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه. فـ" مَن " الأولى استفهام بمعنى الإنكار، والثانية بمعنى الذي، أي: ومن يترك ويزهد في دين إبراهيم الحنيفية المسلمة إلا الذي سفه نفسه ورغب عن ملته
ينظر: معاني القرآن للزجاج (١/٢٠٩)، وجامع البيان للطبري (١/٥٥٩)، والكشف والبيان للثعلبي (١/٢٧٨)، والمفردات للراغب (ص١٩٨)" رغب ".

(٣) الملة في الأصل: السنة والطريقة، ويراد بها الدين والشريعة، وهي: اسم لما شرع الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء – عليهم الصلاة السلام -ليتوصلوا بها إلى رضوان الله. وملة إبراهيم عليه السلام هي: ملة الإسلام التي عليها رسول الله ﷺ والمؤمنون معه.
ينظر: معاني القرآن للزجاج (١/٢٠٩)، والمفردات للراغب (ص٤٧٢)"ملل"، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/٦).

(٤) قاله ابن كيسان والزجاج.والسفاهة في الأصل: الجهل وضعف الرأي، وكل سفيه جاهل، فإن من عرف نفسه فقد عرف ربه، ومن عبد غير الله تعالى فقد جهل نفسه؛ وضل سعيه، وأهلك نفسه وخسر الدنيا والآخرة.
ينظر: معاني القرآن للزجاج (١/٢٠٩)، والمفردات للراغب (ص٢٣٤)"سفه"، وزاد المسير لابن الجوزي (١/١٤٧).

(٥) لأن الصالح في الآخرة من الفائزين، ومع الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - في جنات النعيم. وهو من التفسير باللازم. والصالح من بني آدم هو: المؤدي حقوق الله تعالى وحقوق عباده عليه. فأخبر تبارك تعالى عن إبراهيم خليله عليه السلام أنه في الدنيا له صفي، وفي الآخرة ولي، وإنه واردٌ موارد أوليائه الموفين

﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ﴾ أي: أخلص،(١) يعني: ولقد اصطفيناه في الدنيا، إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين. ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ ﴾ أي: بكلمة الإخلاص، وهي: لا إله إلا الله.

وقوله: ﴿ بَنِيهِ ﴾ كان بنوه أربعة عشر: إسماعيل، وأمُّه هاجر، وإسحاق، وأمُّه سارة، ويَقْشان، وزُمران، وهَبن، ومَدين، ومَدائن، ويَشبق، وشَوَح، وأمُّهم قَنطورا بنت يَقْطن، تزوجها إبراهيم عليه السلام بعد موت هاجر وسارة، وتزوج أيضًا امرأة من العرب اسمها سحجون بنت أهيب، فولدت له كيسان، وشورخا، وأميما، ولوطان، وناقشا.(٢)

وقوله: ﴿ وَيَعْقُوبُ ﴾ أي: وصَّى بها أيضًا يعقوب بنيه، كانوا اثني عشر: روبيل، وكان أكبرهم، ويهوذا، وشمعون، ولاوي، وأمُّهم ليا بنت ليان، ويوسف، وبنيامين، أمُّهما راحيل بنت ليان، ودفع ليان إلى ابنتيه أَمَتين يقال لإحداهما: زلفة، والأخرى بلهة، فوَهبتا الأَمَتين

بعهده.

ينظر: تفسير الطبري (١/٥٥٩)، ومعاني القرآن للزجاج (١/٢١١)، وتفسير الثعلبي (١/٢٧٩).

(١) أي: استسلم وأخلص عبادتك لله، واخضع له بالطاعة. وبه قال الطبري، والأصم، والكلبي، وابن كيسان، وجمهور المفسرين رحمهم الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٥٦٠)، والمفردات للراغب (ص٢٣٩)"سلم"، والتفسير الكبير للرازي (٤/٦٥)، والبحر المحيط لأبي حيان (١/٥٦٦).

(٢) ذكر هذه الأسماء ابن سعد في الطبقات (١/٤٧) عن الكلبي رحمه الله، والطبري في تاريخه (١/١٨٥)، والثعلبي في الكشف والبيان (١/٢٨٠)، وعبد القاهر الجرجاني في درج الدرر (١/٢٩٩) من غير نسبة. وهي أسماء أعجمية منقولة عن بني إسرائيل، ولم يرد في أكثرها نصٌ صحيح يُثبت تعيينها؛ ولذا اختلف في عددهم، وأيضاً في أسمائهم، ولم أجد لهم تراجم فيما بين يدي من المصادر؛ وليس هناك كبير فائدة من معرفة أسمائهم، بل المقصود الأمر بالثبات على الإسلام، والنهي عن الموت على خلاف تلك الحالة. والله أعلم بالصواب.

ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/١٣٥)، والبداية والنهاية لابن كثير (١/١٧٥)، ومفحمات الإقران في مبهمات القرآن للسيوطي (ص٤٧).

ليعقوب، فولدت زلفة ليعقوب دانا، وتفتالي، وزيالون، وولدت بلهَة حاذا، ويشجر، وأشرا.[١]

قوله: ﴿يَٰبَنِيَّ﴾ أي: قال لهم: ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ أي: اثبتوا على الإسلام حتى يلحقكم الموت عليه.

﴿أَمۡ كُنتُمۡ﴾ أي: بل كنتم.[٢] ﴿شُهَدَآءَ﴾ أي: حضوراً.[٣]

﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ﴾ جعل العمَّ أباً، لأنَّه

---

(١) ذكر هذه الأسماء الطبري في جامع البيان (٥٦٨/١) من قول ابن إسحاق من طريق ابن حميد إليه، ثم قال: "فكان بنو يعقوب اثني عشر رجلاً، نشر الله منه اثني عشر سبطاً لا يحصى عددهم ولا يعلم أنسابهم إلا الله، يقول الله تعالى: ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗا﴾[الأعراف: ١٦٠]". وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٢٤٣/١)، والحاكم في المستدرك وصححه (٦٢٢/٢) من قول السدي رحمه الله، وذكره ابن حزم رحمه الله في جمهرة أنساب العرب (٥٠٣/٢) من غير نسبة، ولم أجد لهم تراجم فيما بين يدي من المصادر.

(٢) قاله الزجاج رحمه الله. ومعنى الاستفهام الإنكار والتوبيخ، فيؤول معناه إلى النفي، أي: بل أكنتم شهداء، يعني: لم تكونوا.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥٦٢/١)، ومعاني القرآن للزجاج (٢١٢/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢١٣/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٥٧٢/١).

(٣) الشهداء: جمع شهيد بمعنى الحاضر.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥٦٢/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٤٧/٦)"شهد"، والتفسير الكبير للرازي (٦٨/٤).

صِنو الأب.[١] ﴿إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ أي: في حال وحدانيته.[٢]

وقوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ أي: مضت. وقوله: ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: إنما تسألون عن أعمالكم. ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ أي: قالت اليهود: كونوا هوداً تهتدوا ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: بل نتبع ملة إبراهيم ﴿حَنِيفًا﴾ أي: مائلاً إلى دين الله وهو الإسلام [٧/ب] لحنيفيته.[٣]

قوله: ﴿وَالْأَسْبَاطِ﴾ هم من بني إسرائيل كالقبائل من العرب، وكان فيهم الأنبياء، لذلك ذكر الإيمان بما أُنزل إليهم.[٤]

---

(١) وقد دل على ذلك حديث أبي هريرة ﷺ، وفيه قال النبي ﷺ: " ... يا عمر أما شعرت أن عمّ الرجل صنو أبيه". أخرجه مسلم (٦٧٦/٢)، برقم: (٩٨٣) كتاب الزكاة/باب في تقديم الزكاة ومنعها. وصنو الأب: أصله وأصل أبيه واحد، فهو مثله تفضيلاً له وتشريفاً، يقال فلانٌ صنو فلان إذا كان أخاه وشقيقه لأمه وأبيه، والأصل في ذلك النخلتان تخرجان من أصل واحد، فكل واحدة منهما على حيالها صن، والجمع صنوان.

ينظر: العين للخليل (١٥٨/٧)"صنو"، وشرح السنة للبغوي (٣٤/٦)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٥٧/٣)"صنو".

(٢)ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢١٢/١)، وإعراب القرآن للنحاس (٢٦٦/١)، والدّر المصون للسمين الحلبي (١٣٢/٢).

(٣) معنى الحنيفية في اللغة: الميل، مأخوذ من قولهم: رجل أحنف، وهو: الذي تميل قدماه كلُّ واحدة إلى أختها بأصابعها. ويقال: هو يتحنّف، أي: يتحرى أقوم الطريق، والحنيف: المائل إلى الدين المستقيم. والمعنى: أن إبراهيم عليه السلام مال إلى دين الله ودين الإسلام.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٧٢/٥)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (١١٠/٢)، والمفردات للراغب (ص١٣٣)"حنف".

(٤) أصل السّبط في اللغة: شجرة ملتفة كثيرة الأغصان، فكما أن الأغصان من شجرة واحدة، كذلك الأسباط كانوا من يعقوب عليه السلام، فكان لكل واحد منهم جماعة من الناس، والأسباط: هو يوسف عليه السلام وأخوته بنو يعقوب اثنا عشر رجلا، ولد كل رجل منهم أمة من الناس فسموا الأسباط، وكان فيهم أنبياء

قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ أي: بأنْ نؤمن ببعضٍ ونكفر ببعضٍ كما فعلت اليهود والنصارى، وأريد بـ﴿أَحَدٍ﴾ هاهنا: معنى الكثرة والجنس، إذ يضاف (بَيْنَ) إلى اسمٍ يدل على أكثر من واحدة.(١)

قوله:﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ﴾ أي: بملَّة، يعني: بجميع ما آمنتم به.(٢)

قولـه: ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ أي: خلافٍ.(٣) ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ يعني: اليهود والنصارى.

- صلوات الله وسلامه عيهم أجمعين -.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥٦٦/١)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٨٣/١)، والمفردات للراغب (ص٣٩٤)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٣٣٤/٢)"سبط".

(١) (أحَدٌ) يكون للجماعة وللواحد في النفي، ومنه قول الله ﷻ:﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة:٤٧]، جعل أحداً في موضع جمع، وكذلك هنا في قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ فهذا جمع، فلذلك لم يفتقر " بين " إلى معطوف عليه، إذ هو اسم عام تحته أفراد.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٢٧/٥)، والكشاف للزمخشري (٢٢١/١)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (١٢١/١).

(٢) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وقرره الطبري، وابن عطية رحمهما الله. قال الطبري رحمه الله:" معناه: فإن صدّقوا مثل تصديقكم بما صدقتم به من جميع ما عددنا عليكم من كتب الله وأنبيائه فقد اهتدوا ". جامع البيان (٥٦٨/١)،

ينظر: معالم التنزيل للبغوي (١٢٠/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢١٥/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٥١/١).

(٣) وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما، وعطاء، والأخفش رحمهما الله. وأصل الشقاق: البعد، مأخوذ من: شاقّ يشاقّ مشاقّة إذا خالف، كأنّ كل واحد أخذ في شقٍّ غير شقّ صاحبه وتباعد، وكذلك قيل للخارج عن الجماعة، قد شقّ عصا المسلمين لبعده عنهم ومخالفته لهم.

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢٨٤/١)، والمفردات للراغب (ص٢٦٤)"شق"، والبحر المحيط لأبي حيان (٥٨٢/١).

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بأحوالهم. فكفاهم الله تعالى أمرهم بالقتل والسبي في بني قريظة، والجلاء والنفي في بني النضير، والجزية والذلة في نصارى نجران.(١)

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ أي: دين الله،(٢) يعني: اتبعوا دين الله.

قوله: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ﴾ أي: تجادلوننا وتخاصموننا.(٣)

إنَّ الله أمر المسلمين أنْ يقولوا لليهود الذين ظاهروا من لا يوحّد الله من النصارى وعبدة الأوثان: إنكم تزعمون أنكم موحِّدون، ونحن نوحِّد، فلِم ظاهرتم من لا يوحِّد الله ؟(٤)

﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾ ثم أعلموهم أنهم مخلصون، وإخلاصهم: إيمانهم بأن الله واحد، وتصديقهم جميع رسله.

وحقيقة الإخلاص: أن لا يشرك بالله في دينه، ولا يُرائي بعمله أحداً.(٥)

---

(١) قاله مقاتل بن سليمان، والثعلبي، ومكي بن أبي طالب، وغيره من المفسرين، رحمهم الله تعالى.

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٨١/١)، والكشف والبيان الثعلبي (٢٨٤/١)، وتفسير الهداية لمكي (٤٦٩/١).

(٢) وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة، وأبي العالية، ومجاهد، وعطية، والسدي، وابن زيد، رحمة الله على الجميع. وإنما سماه صبغة: لأنه يظهر أثر الدين على المتدين كما يظهر أثر الثوب على الصبغ. وقيل: لأن المتدين يلزمه ولا يفارقه كالصبغ يلزم الثوب.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥٧٠/١)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٢٤٥/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٢١/١).

(٣) وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، وابن زيد، رحمهما الله. والمحاجة: المجادلة لإظهار الحق. والاستفهام بمعنى الزجر والإنكار.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥٧٢/١)، ودرج الدرر للجرجاني (٣٠٨/١)، والمفردات للراغب (ص١٠٧)"حج".

(٤) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٦/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٢١/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٥٢/١).

(٥) قاله سعيد بن جبير رحمه الله. وقال الراغب رحمه الله: حقيقة الإخلاص: التبرئ عن كل ما دون الله

قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: لا تكتموا من شهادة، وقد عَلم أنكم كاذبون، أي لا تفعلوا فعل من يريد أن يكتم شيئاً وإلا فلا تخفى على الله خافية في الأرض ولا في السماء.(١)

قوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: اليهود والمشركون والمنافقون.(٢)

﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا﴾ أي: ما صرفهم وحوَّلهم.

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ أي: مِلكًا، والخلق عبيدُه يحوِّلهم كيف يشاء.

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي: وكما صرفناكم إلى أشرف قبلةٍ جعلناكم أشرف أمة. ﴿وَسَطًا﴾ أي: عدلا خياراً.(٣)

تعالى. وقال القرطبي رحمه الله: حقيقته: تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين. وكلها معانٍ متقاربة. وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما. وفيه معنى التوبيخ لليهود والنصارى، أي: ولم تخلصوا أنتم؛ فكيف تدّعون ما نحن أولى به منكم،

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٦/٢)، والمفردات للراغب (ص١٥٤)"خلص"، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤٦/٢).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٥٧٤/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢١٧/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٥٢/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤٧/٢).

(٢) قاله جمهور المفسرين، لأن لفظ السفهاء لفظ عموم دخل فيه الألف واللام، وهو صالح لليهود والمنافقين والمشركين. قال ابن كثير رحمه الله:" والآية عامة في هؤلاء كلهم، والله أعلم". تفسير القرآن العظيم (١٩٠/١).

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٢)، والتفسير الكبير للرازي (٨٣/٤)، ودرج الدرر للجرجاني (٣٠٩/١).

(٣) يؤيد هذا المعنى ما ثبت عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" يجاء بنوحٍ يوم القيامة فيقال له: هل بلغت ؟ فيقول: نعم يا رب، فتسأل أمته هل بلغكم ؟ فيقولون: ما جاءنا من نذير؛ فيقول: من شهودك ؟ فيقول: محمد وأمته، فيجاء بكم فتشهدون، ثم قرأ رسول الله ﷺ:

﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ روي: أنهم مرُّوا بجنازة فأثنوا عليها خيرًا فقال النبي ﷺ:«وجبت»، ثم مرُّوا بأخرى فأثنوا عليها شرًّا فقال:«وجبت»، فقال عمر ﷺ ما وجبت ؟ قال: «هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض».(١)

﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ يعني بإيمانهم به، وبما أنزل عليه.(٢)

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾، قال: عدلاً ". أخرجه البخاري في صحيحه (٢٦٧٥/٦)، برقم: (٦٩١٧) كتاب الاعتصـام بالكتاب والسـنة/باب قوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾.

والوسط في كلام العرب: الخيار يقال: فلانٌ وسط الحسب في قومه، أي: متوسط الحسب، إذا أرادوا بذلك: الرفع في حسبه، وهو وسط في قومه، أي: خيرهم، ومنه قوله تعالى:

﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾[القلم:٢٨]، أي: أعدلهم وخيرهم.

وإنما وصف الله ﷻ أمة محمد ﷺ بأنهم وسط، لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه كغلو النصارى الذين غلوا بالترهب، وقيلهم في عيسى ﷺ ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه كتقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها. والوسط هنا: العدل، وذلك معنى الخيار، لأن الخيار من الناس عدولهم.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢١/١٣)"وسط"، والكشف والبيان للثعلبي (٨/٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٦٠/١)، برقم: (١٣٠١) كتاب الجنائز/باب ثناء الناس على الميت. ومسلم في صحيحه (٦٥٥/٢)، برقم: (٩٤٩) كتاب الجنائز/باب فيمن يثنى عليه خير أو شر من الناس، من حديث أنس ﷺ.

(٢) وبه قال أبو العالية والطبري رحمهما الله.وقال ابن عباس، و أبو سعيد الخدري رضي الله عنهم، وابن زيد رحمه الله: يشهد عليهم بأعمالهم. وقال قتادة ومقاتل رحمهما الله: بتبليغهم الرسالة. ولا مانع من اعتبار هذه الأقوال، لعموم اللفظ، ويحمل اختلاف تفسير السلف لها على سبيل المثال – والله أعلم –. ينظر: جامع البيان للطبري (٨/٢)، وتفسير الهداية لمكي (٤٧٩/١)، وزاد المسير لابن الجوزي

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ أي: بيت المقدس، يعني: وما جعلناها منسوخة،[1] وكذلك ما جعلنا الكعبة قبلتك[2] ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ أي: لنرى ونميِّز.[3]

﴿مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ في القبلة ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ فيرتدُّ عن دينه.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ أي: صلاتكم؛[4]

(١/١٥٥).

(١) وبه قال قتادة، والسدي، وعطاء، وعامة المفسرين رحمة الله على الجميع.
ينظر: جامع البيان للطبري (٢/١١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٢١٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/١٩٢).

(٢) وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، بأن المراد بالقبلة في الآية: الكعبة؛ و﴿كُنتَ﴾ بمعنى: "أنت"، كقوله تعالى:﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[آل عمران:١١٠]، بمعنى: "أنتم"، أي: وما جعلناها وصرفناك إليها إلا فتنة. والقول الأول هو الأقرب، لظاهر الآية.
ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (١/٢٢٠)، والتفسير الكبير للرازي (٤/٩٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/١٥٦).

(٣) قاله جمهور المفسرين. وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، ونسبه القرطبي إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقرره ابن تيمية. قال البغوي رحمه الله:" أي: لنرى ونميز من يتبع الرسول في القبلة". معالم التنزيل (١/١٢٣).
ينظر: جامع البيان للطبري (٢/١٢)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١/٢٥٠)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/١٥٦)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/٤٩٦).

(٤) يعني: صلاتكم إلى القبلة المنسوخة، وهي الصلاة إلى البيت المقدس. وهذا قول عامة المفسرين رحمهم الله.

ينظر: صحيح البخاري (١/٢٣) كتاب الإيمان/باب الصلاة من الإيمان وقول الله تعالى:﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾، وسنن الترمذي (٥/٢٠٨) كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ/باب ومن سورة البقرة، وجامع البيان للطبري (٢/١٦)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١/٢٥١)، وتفسير الهداية لمكي (١/٤٨٤).

لأنَّها من أركان الإيمان.(١) سبب نزولها: أنَّه لما وُجِّه النبيُّ ﷺ إلى الكعبة، قالوا: يا رسول الله! كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يُصلون إلى بيت المقدس؟ (٢)

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ الرأفة: أشدُّ الرحمة.(٣)

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ كان النبي ﷺ ينظُر إلى السماء متوقعاً نزول جبريل عليه السلام بتحويل القبلة إلى الكعبة؛(٤) لأنها كانت قبلة إبراهيم صلوات الله عليه، ولأنَّ اليهود

---

(١) وبه قال الإمام أحمد رحمه الله كما في السنة للخلال (٥٨٩/٣)، وبوب الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه (٢٣/١) في كتاب الإيمان:" باب الصلاة من الإيمان" وقول الله تعالى:﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ يعني صلاتكم عند البيت". وفي ذلك دليل على مذهب أهل السنة والجماعة: من أن الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالقلب يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. وسمي الصلاة إيماناً لاشتمالها على نية وقول وعمل، ولأنها كانت، صادرة عن الإيمان والتصديق في وقت بيت المقدس وفي وقت التحويل، وأيضاً هي من شعب الإيمان.

ينظر: الإيمان لابن منده (٣٤١/١)، ولمعة الاعتقاد لابن قدامة (ص٢٣)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧٠/٧).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٢٢٠/٤)، برقم: (٤٦٨٠) كتاب السنة/باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، والترمذي في سننه (٢٠٨/٥)، برقم: (٢٩٦٤) كتاب التفسير/بابٌ ومن سورة البقرة، والإمام أحمد في المسند (٣٠٤/١)، برقم: (٢٧٧٦). وأخرجه البخاري في صحيحه (٢٣/١)، برقم: (٤٠) كتاب الإيمان/باب الصلاة من الإيمان، عن البراء بن عازب ﷺ بلفظ:" أنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا، فلم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله تعالى:﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾".

(٣) قاله جمهور المفسرين وأهل اللغة.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢٧٠)، وجامع البيان للطبري (١٨/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٧٢/١٥)" رأف ".

(٤) روى ذلك عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره (٦٢/١)، والطبري في جامع البيان (١٩/٢) مرسلاً عن قتادة رحمه الله، وذكره البغوي في معالم التنزيل (١٢٤/١)، والرازي في التفسير الكبير (٤٠٠/٤) بلا نسبة، ونسب القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٥٨/٢) إلى السدي. ويؤيد ذلك ما ثبت عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: " كان رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا،

كانوا يقولون: يخالفنا محمد في ديننا ويتبعنا في قبلتنا.[١]

﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةً تَرۡضَىٰهَا﴾ أي: تحبُّها،[٢] لا أنَّ النبي ﷺ لم يكن راضيًا بتلك القبلة.[٣]

﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ أي: نحو المسجد المحرم.[٤]

قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ﴾ أي: أمر الكعبة وأنها قبلة إبراهيم ؑ. ثم هدَّدهم فقال: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾.

وكان رسول الله ﷺ يحب أن يوجه إلى الكعبة فأنزلَ الله تعالى: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ فتوجه نحو الكعبة". أخرجه البخاري في صحيحه (١/١٥٥)، برقم: (٣٩٠) أبواب القبلة/باب التوجه نحو القبلة حيث كان. ومسلم في صحيحه (١/٣٧٥)، برقم: (٥٢٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة/باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة.

(١) اختلف المفسرون في السبب الذي كان ﷺ يكره من أجله قبلة بيت المقدس ويهوى قبلة الكعبة! على قولين:

القول الأول: لأنّها كانت قبلة إبراهيم ؑ. وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما.

والثاني: مخالفة اليهود وكراهة لموافقتهم، لأنهم قالوا: يخالفنا محمد في ديننا ويتّبع قبلتنا. وهو قول مجاهد وابن زيد رحمهما الله. وكلا القولين محتمل ولا دليل على التخصيص، وهو ظاهر اختيار المؤلف رحمه الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٢٠)، والكشف والبيان للثعلبي (٢/١١)، والنكت والعيون للماوردي (١/٢٠٢).

(٢) وهو تفسير قتادة والربيع والسدي، وقال به عامة المفسرين رحمهم الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/١٩)، وتفسير الهداية لمكي (١/٤٩٧)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/١٢٤).

(٣) ينظر: النكت والعيون للماوردي (١/٢٠٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/١٥١)، والتفسير الكبير للرازي (٤/١٠٢).

(٤) وهو تفسير جمهور المفسرين رحمهم الله أجمعين. والشطر: اسم مشترك يقع على معنيين: أحدهما: النصف، يقال: شطرت الشيء، أي: جعلته نصفين. والثاني: نحوه، وتلقاءه، وجهته، وهو المراد هنا.

ينظر: العين للخليل (٦/٢٣٣)"شطر"، وجامع البيان للطبري (٢/٢٠)، وتهذيب اللغة للأزهري (١١/٢١١)"شطر".

وقوله: ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ أي: لا يتبع اليهودَ النصارى في قبلتهم، ولا النصارى اليهودَ.

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾ أي: محمداً ﷺ[١] ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾.

وقوله: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: هذا الحق من ربك.[٢]

قوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ أي: لكل أهل ملّة قبلة.[٣]

﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ أي: مستقبلها ومقبل إليها.[٤] ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أي: ليستبق بعضكم بعضاً. ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ أي: يوم القيامة فيجزيكم بأعمالكم.

---

(١) قال به ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، وقرره الزجاج، والثعلبي رحمهم الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٢٥)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١/٢٥٥)، والكشف والبيان للثعلبي (٢/١٣)، والبحر المحيط لأبي حيان (١/٦٠٩).

(٢) أي: أن قوله: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ خبر مبتدأ محذوف، بمعنى: هذا الحق من ربك، والضمير يعود على الحقّ المكتوم، أي: ما كتموه هو الحق. قاله الزجاج رحمه الله. ويحتمل أنه مبتدأ والخبر محذوف تقديره: الحق من ربك يعرفونه، وبه قال ابن عطية رحمه الله. والجار والمجرور على القولين في محل نصب على الحال من "الحق"، ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر في الوجه الثاني.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (١/٢٢٥)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٢٢٤)، والتفسير الكبير للرازي (٤/١١٨)، والدر المصون للسمين الحلبي (٢/١٧٠).

(٣) وهو قول جمهور المفسرين رحمهم الله. وقال قتادة رحمه الله: هي صلاتهم إلى بيت المقدس وصلاتهم إلى الكعبة. والقول الأول أقرب لأنه أعم – والله أعلم –.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٢٨)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٢٢٤)، وتفسير القرآن العظيم ابن كثير (١/١٩٥).

(٤) التولية تستعمل لعدة معان، وهي هنا بمعنى: الإقبال، كما يقول القائل لغيره: ولّ إليّ، بمعنى: أقبل إلي، وولّى إلى الشيء، بمعنى: أقبل إليه منصرفاً عن غيره.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٢٩)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٥/٣٢٤)، ومختار الصحاح للرازي (ص٣٠٦)"ولي".

قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ أي: لئلا يكون لليهود حجّة عليكم في قولهم: إنَّ محمدًا يخالف ديننا، ويتبع قبلتنا.(١) ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ أي: لكن الذين ظلموا منهم يؤذونكم باحتجاجهم الباطل.(٢)

قوله: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ أي: عرَّفتكم أمر القبلة لئلا [٨/أ] يكون عليكم حجة.

﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي: ولكي تهتدوا من الضلالات.

قوله: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ﴾ يعني: ولأتم نعمتي عليكم كما أرسلت فيكم رسولاً.(٣)

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ في توحيدي وتصديقه ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ أي: برحمتي ومغفرتي والثناء عليكم.(٤)

---

(١) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وَ أبو العالية، وقتادة، و مقاتل، رحمهم الله. وقال السدي رحمه الله: مشركوا العرب. والأظهر أن الآية عامة في أهل الكتاب، والعرب، وغيرهم كالمنافقين، لعموم الآية، وما ذكر من الخلاف عن السلف -رحمهم الله- إنما هو من قبيل التمثيل لا التخصيص. والله تعالى أعلم.
ينظر: جامع البيان الطبري (٢/٣١)، وتفسير الهداية لمكي (١/٥٠٧)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/١٥٩)، والتفسير الكبير للرازي (٤/١٢٦).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٣١)، والكشاف للزمخشري (١/٢٣١)، والتفسير الكبير للرازي (٤/١٢٦)، والبحر المحيط لأبي حيان (١/٦١٥).

(٣) الكاف هنا: للتشبيه، وهي في موضع نصب على أنها نعت لمصدر محذوف. واختلف في تقديره، والأقرب أن التقدير: ولأتم نعمتي عليكم في استقبال الكعبة إتماماً مثل إرسال الرسول. وذكر الإرسال وإرادة الإتمام من إقامة السبب مقام المسبب. قاله الرازي، والألوسي رحمهما الله. لدلالة السياق عليه في أمر القبلة -- والله أعلم -.
ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٣٥)، ومعاني القرآن للزجاج (١/٢٢٧)، والتفسير الكبير للرازي (٤/١٢٩)، وروح المعاني للألوسي (٢/١٨).

(٤) هذا حصر لمعنى ذكر الله تعالى بالرحمة والمغفرة والثناء، فإن ذكر الله تعالى للعبد ذكر حقيقي، بدليل قول رسول الله ﷺ في الحديث القدسي:" يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ..." الحديث. أخرجه

قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾ أي: هم أموات.

﴿بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ أي: بل قولوا: هم أحياء ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾.

سبب النزول: أنَّ الناس كانوا يقولون للرجل يُقتل في سبيل الله: مات فلانٌ وذهب عنه نعيم الدنيا ولذَّها.(١) قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾ أي: لنختبرنَّكم.(٢)

﴿بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ﴾ أي: خوف العدوّ.(٣) ﴿وَالْجُوعِ﴾ أي: المجاعة والقحط.

البخاري (٦/٢٦٩٤)، برقم: (٦٩٧٠) كتـاب التوحيـد/باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾[آل عمران:٢٨]، وقوله جل ذكره: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة:١١٦]، ومسلم (٤/٢٠٦١)، برقم: (٢٦٧٥) كتـاب العلم/باب الحث على ذكر الله تعالى، من حديث أبي هريرة ﷺ.

قال الحسن البصري، وأبو العالية، والسدي، والربيع بن أنس رحمهم الله:" إن الله يذكر من ذكره، ويزيد من شكره، ويعذب من كفره".

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٣٧)، والكشف والبيان للثعلبي (٢/١٩)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/١٩٧).

(١) قاله مقاتل بن سليمان في تفسيره (١/٨٧)، والثعلبي في الكشف والبيان (٢/٢١)، والواحدي في أسباب النزول (ص١٥٢)، والبغوي في معالم التنزيل (١/١٢٩) بغير إسناد. وسكت عنه الحافظ ابن حجر رحمه الله في العجاب (١/٤٠٣).

(٢) أصل البلاء: الاختبار والامتحان، يقال: بلوت الرجل بلواً وبلاءً وابتليته، إذا اختبرته، والابتلاء يكون في الخير والشر، يقال: ابتليته بلاءً حسناً وبلاءً سيئاً، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[الأنبياء:٣٥].

ينظر: المفردات للراغب (ص٦١)، ولسان العرب لابن منظور (١٤/٨٣)"بلا"، والبحر المحيط لأبي حيان (١/٦٢٣).

(٣) وهو تفسير ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الإمام الشافعي رحمه الله:"يعني: خوف الله ﷻ". والآية عامة، وتفسيرهما على سبيل المثال لا التخصيص.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٤١)، والكشف والبيان للثعلبي (٢/٢٢)، والنكت والعيون للماوردي

﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ أي: النقصان في المال وهلاك المواشي.

﴿وَٱلْأَنفُسِ﴾ أي: الموت والقتل. ونقص الثمرات: موت الأولاد.[1]

قوله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ أي: عبيدًا وملكًا.[2] ﴿وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ في الآخرة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أي: ثناء وتزكية.[3]

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ أي: إلى الجنة.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾ أي: إنَّ الطوّافين بين الجبلين المعروفَين بمكة.

(٢٠٩/١).

(١) قاله الإمام الشافعي رحمه الله. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قلة النبات وانقطاع البركات.والآية تشمل الجميع، ووجه اعتبار موت الأولاد من النقص في الثمار؛ لأن ولد الرجل ثمرة قلبه، يدلّ على ذلك ما ورد عن الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد". أخرجه الترمذي في الجامع (٣٤١/٣)، برقم: (١٠٢١) كتاب الجنائز/باب فضل المصيبة إذا احتسب. وقال الترمذي:" هذا حديث حسن غريب ". وصححه ابن حبان في صحيحه (٢١٠/٧)، برقم (٢٩٤٨)، ذكر بناء الله جل وعلا بيت الحمد في الجنة لمن استرجع وحمد الله عند فقد ولده، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (١٤٠٨).

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢٢/٢)، والنكت والعيون للماوردي (٢١٠/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧٤/٢).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٤٢/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٣٠/١)، والتفسير الكبير للرازي (١٤٠/٤).

(٣) قاله أبو العالية، والربيع رحمهما الله.

ينظر: صحيح البخاري (١٨٠٢/٤)، وجامع البيان للطبري (٤٢/٢)، وجلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام لابن القيم (ص١٦٠).

﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ أي: مناسك الحج التي جعلها الله إعلاما لطاعته.[١] وهو فرضٌ.[٢] والحج: القصد.[٣] والاعتمار: الزيارة.[٤]

قوله: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾أي: فعل غير المفروض عليه من صلاة وصدقة وطواف وغير ذلك من النوافل. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ﴾ أي: مجازٍ بعمله.[٥]

---

(١) شعائر الله: أعلام دينه، واحدها شعيرة، وكل ما كان معلما لقربان يتقرّب به إلى الله ﷻ من دعاء، وصلاة، من ذبيحة، وأداء فرض، وغير ذلك فهو شعيرة. وأصلها من الإشعار، وهي: الأعلام على الشيء.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٤٤)، والكشف والبيان للثعلبي (٢/٢٥)، والنكت والعيون للماوردي (٢١١/١).

(٢) اختلف الفقهاء في حكم السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة ؟ فقال مالك والشافعي ورواية عن أحمد: إنه ركن من أركان الحج والعمرة. وقال أبو حنيفة وأصحابه، وأحمد في رواية: إنه واجب يجبر بدم. وقال ابن مسعود، وأبي بن كعب، وأنس بن مالك ﷺ، ورواية عن الإمام أحمد والإمام أبي حنيفة: بأن السعي بين الصفا والمروة سنة. والأقرب القول بأنه واجب يجبر بدم، وهذا اختيار ابن قدامة رحمه الله. وبسط المسألة في كتب الفقه.

ينظر: المبسوط للسرخسي (٤/٥٠)، والمجموع للنووي (٨/٨١)، والمغني لابن قدامة (٣/١٩٤)، ومواهب الجليل لشرح مختصر خليل للمغربي (٣/٨٤).

(٣) مأخوذ من قولك: حج فلانٌ فلاناً إذا قصد زيارته، نظير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾[البقرة: ١٢٥]، أي: يرجعون إليه كل عام، ويكررون زيارته. والحج شرعاً: قصد مكة لعمل مخصوص في زمن مخصوص.

ينظر: النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (١/٣٤٠)، ومختار الصحاح للرازي (١/٥٢)"حج"، وشرح منتهى الإرادات لمنصور للبهوتي (١/٥١١).

(٤) يقال: اعتمر فلانٌ فلاناً إذا زاره، وشرعاً: زيارة البيت على وجه مخصوص.

ينظر: النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (١/٣٤٠)، ومختار الصحاح للرازي (١/٥٢)"حج"، وشرح منتهى الإرادات لمنصور للبهوتي (١/٥١١).

(٥) تفسير الشاكر بالجزاء فيه تأويل لهذا الاسم؛ ومنهج السلف أن اسم الشاكر ثابت لله تعالى على

﴿ عَلِيمٌ ﴾ أي: بنيَّته، يشكر اليسير، ويعطي الكثير، ويغفر الكبير.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ ﴾ هم أهل الكتاب، كتموا الإسلام وهو دين الله، وكتموا محمدا ﷺ وهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل.(١)

قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي: يطرُدهم ويبعدهم.(٢)

﴿ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ أي: تقول الملائكة: الَّلهم العنهم.(٣)

قوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ ﴾ أي: من الكفر ﴿ وَأَصۡلَحُواْ ﴾ أي: الأعمال فيما بينهم وبين ربهم ﴿ وَبَيَّنُواْ ﴾ صفة محمد ﷺ، وآية الرجم ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ أي: أقبل

الحقيقة؛ لأنَّ الشكر في اللغة: هو الإظهار؛ فمادة: "الشين، والكاف، والراء"، تدلُّ على الظُّهور، ومنه: كشر البعير عن نابه، إذا أظهره؛ فإن الله تعالى يظهر ما خفي من أعمال العبد من الطاعة، ويجازي عليه. فالشكر سبب للجزاء وليس هو الجزاء؛ وقال البيهقي رحمه الله:" الشكر: الثناء، والله تعالى يثني على العبد، فلا يبخس المستحق حقه، لأنه عالم بقدره".

ينظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص٤٧)، والأسماء والصفات للبيهقي (١/١٢٨)، والمفردات للراغب (ص٢٦٥)"شكر"، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٣/١٠٢).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٥٢)، والنكت والعيون للماوردي (١/٢١٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/١٦٠).

(٢) الأصل في اللعن: الطرد والإبعاد من رحمة الله، ثم كثر ذلك حتى صار قولاً، ومن الخلق: طلب طرد الملعون وإبعاده من الله بلفظ اللعن، وهو في العرف إبعاد مقترن بسخط وغضب، يقال: لعنه الله تعالى يلعنه لعناً فهو ملعون ولعين.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢/٢٤٠)، وتهذيب الأسماء للنووي (٣/٣٠٤)"لعن"، وتيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبد الله (ص٢١٨).

(٣) قاله قتادة، والربيع بن أنس.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٥٢)، والنكت والعيون للماوردي (١/٢١٤)، وتفسير االقرآن للسمعاني (١/١٦٠).

توبتهم.(١) ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ﴾ أي الرجّاع بقلوب عبادي المنصرفة مني إليّ.(٢)

و﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بعد إقبالهم عليّ.﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾أي: في حال كفرهم.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ﴾ الآية، هذا يوم القيامة، يوقف الكافر فيلعنه الله، ثم تلعنه الملائكة، ثم يلعنه الناس أجمعون.(٣)

قوله:﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي: مقيمين في اللعنة والنار.(٤)

---

(١) ينظر: جامع البيان لطبري (٢/٥٧)، والكشف والبيان للثعلبي (٢/٣١)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/١٣٤).

(٢) أصل التوبة: الرجوع، والتوب: ترك الذنب، والتوبة في الشرع: ترك الذنب لوجه الله، والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه من الأعمال الصالحة، ورد المظالم إلى أصحابها، فمتى اجتمعت هذه الأمور فقد كمل شرائط التوبة.

ينظر: النكت والعيون للماوردي (١/٢١٥). والمفردات للراغب (ص٧٦)"توب"، والبحر المحيط لأبي حيان (١/٣٢٠).

(٣) قاله أبو العالية، وقتادة رحمهما الله، كما روى ذلك الطبري في جامع البيان (٢/٥٨)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١/٢٧١)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢/٣١)، والبغوي في معالم التنزيل (١/١٣٤).

(٤) وهو تفسير أبي العالية رحمه الله، رواه عنه الطبري في جامع البيان (٢/٥٩)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١/٢٧١)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢/٣١)، ومكي في تفسير الهداية (١/٥٣٢) بلا نسبة.

﴿لَا يُخَفَّفُ﴾ أي: لا يرفَّه[1] ﴿عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ أي: لا يمهلون.[2]

قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا إله في الوجود إلا هو.[3]

---

(١) الأصل في الترفّه: التنعم والدعة ولين العيش، والمترف: الذي أبطرته النعمة وسعة العيش، ولا يرفّه عنه: أي: لا ينفس ولا يهوّن عنه، لأنه عذاب مقيم، لا ينقطع ولا يفتر، بل يدوم على حالة واحدة. أجارنا الله تعالى من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٤/١٩٣)"ترف"، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٢/٢٤٧) "رفه"، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/١٢٣).

(٢) من الإنظار بمعنى: الإمهال، أي: لا يمهلون ليعتذروا، وهو قول عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٥٩)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١/٢٧١)، والمفردات للراغب (ص٤٩٧) "نظر".

(٣) تفسير المؤلف رحمه الله لكلمة التوحيد؛ بهذا التفسير مخالف لما فسرها به أئمة أهل السنة، حيث قالوا: "لا إله حق إلا هو"، أو: "لا معبود بحق إلا هو"، فـ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ توكيد لما قبلها في المعنى، فإنه لما أثبت أنه إله واحد نفى أن يكون معه إله، و﴿إِلَٰهَ﴾ بمعنى مألوه؛ فهي بمعنى اسم المفعول، و"المألوه" معناه: المعبود حباً وتعظيماً، وهو إله واحد، وعلى هذا تكون ﴿لَآ﴾ نافية للجنس؛ وخبرها محذوف، والتقدير: "لا إله حق إلا هو"، وإنما قُدّر "حق" لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾[الحج:٦٢]، وما ذهب إليه المؤلف رحمه الله من تقدير الخبر بـ" الوجود " غلط واضح؛ لأنه يختل به المعنى اختلالاً كبيراً من وجهين:

الوجه الأول: أن هناك آلهة موجودة سوى الله، لكنها باطلة، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾[الشعراء:٢١٣]. وقال سبحانه:﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾[هود:١٠١].

الوجه الثاني: أنه يقتضـي أن الآلهة المعبودة من دون الله هي الله، ولا يخفى فسـاد هذا المعنى؛ وعليه فيتعين أن يكون التقدير: " لا إله حق إلا الله "، ومن اعتقد أن الله سبحانه هو الخالق الرازق المدبر لهذا الكون فحسـب، لم يكن موحداً حتى يشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شـريك له، فيقر بأن الله وحده

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي: هو الرحمن الرحيم.[١]

﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي: تعاقبهما في الذهاب والمجيء. ﴿وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ يعني السفن.

﴿بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ يعني ركوبها والحمل عليها في التجارات والمكاسب.

﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: السحاب ﴿مِن مَّآءٖ﴾ أي: المطر.

﴿فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ﴾ أي: نشر وفرّق[٢] ﴿فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ﴾

هو الإله المستحق للعبادة، فإن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق شيء؛ وكانوا مع هذا مشركين؛ كما قال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٦٠)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٢/٢٧٧)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص١١١)، وتعليق الشيخ ابن باز رحمه الله عليها، وتيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبد الله (ص١١٢).

(١) أي: "هو" في موضع الرفع، على أنه بدل من اسم "لا" على المحل، إذ محله الرفع على الابتداء، أو: "هو" بدل من "لا" وما عملت فيه، لأنها وما بعدها في محل رفع بالابتداء، ولا يجوز أن يكون "هو" خبر "لا" لأنها لا تعمل في المعارف، بل الخبر محذوف التقدير: لا إله لنا.

ينظر: إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات للعكبري (١/٧١)، والبحر المحيط لأبي حيان (١/٦٣٨)، والدّر المصون للسمين الحلبي (٢/١٩٧).

(٢) الباء والثاء أصل واحد يدل على تفريق الشيء وإظهاره، يقال: بثثت الشيء وأبثثته، اذا نشرته، وبث يبث بثاً، وهو تفريقك الأشياء، ومنه قوله تعالى: ﴿كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ﴾ [القارعة: ٤]. والله تعالى خلق الخلق وبثهم في الأرض لمعاشهم.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٦٢)، وجامع البيان للطبري (٢/٦٤)، وتهذيب اللغة للأزهري

﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ أي: تقليبهما قبولاً ودبوراً وشمالاً وجنوباً.(١)

قوله: ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾ أي: لدلالات وعلامات ﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ فيعلمون أنَّ لها خالقًا وصانعاً. وسبب نزول: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ إلى قوله:﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾: أنَّه لما نزلت:﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ إلى آخر الآية، قال المشركون: إن كان هكذا فليأتنا بآية.(٢)

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا﴾ أي: أصناماً جعلوها أنداداً

(١٥/١٥)"بث".

(١) الرياح أربع: الشمال والجنوب والصبا والدبور، فالشمال: من نقطة الشمال، والجنوب: من نقطة الجنوب، والصبا: مشرقية، والدَّبور: مغربية، وتسمى الصبا قبولاً؛ وما بين كل واحد من هذه المهاب فهي: نكباء. وتصريفها: إرسالها من جهات مختلفة، وهي الجهات الأربع وما بينهما، وبصفات مختلفة: فمنها ملقحة بالشجر، وعقيم، وصرصر، وللنصر، وللهلاك، وبأحوال مختلفة: فتارة تأتي بالرحمة، وتارة بالعذاب، وتارة تأتي مبشرة بين يدي السحاب، وتارة تسوقه، وتارة تجمعه، وتارة تفرقه، وتارة تصرفه. والريح: جسم لطيف شفاف غير مرئي.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦٤/٢)، والتفسير الكبير للرازي (١٨٢/٤)، والبحر المحيط لأبي حيان (٦٤١/١)، وتفسير القرآن العظيم (٢٠٢/١).

(٢) روى ذلك سعيد بن منصور في سننه (٦٣٩/٢)، والطبري في جامع البيان (٦٢/٢)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٢٧٢/١)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٣٠/١)، والواحدي في أسباب النزول (ص١٥٦) مرسلاً عن أبي الضحى.

لله[١] في استحقاق العبادة والتعظيم.[٢]

﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ أي: يسوُّون بين هذه الأوثان وبين الله في المحبة.[٣]

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ لأنَّ الكفار يُعرِضون عن آلهتهم عند البلاء، والمؤمن لا يُعرِض عن الله في حال البلاء.[٤]

قوله: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ أي: لو يعلم الذين ظلموا حين ﴿يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ

---

(١) الأنداد جمع ندّ، والندّ: العِدْل والمِثْل، وهذا تفسير قتادة، ومجاهد رحمهما الله. وقال أبو عبيدة رحمه الله: "الندّ هو الضد ". وقال أبو العالية رحمه الله: "الند: الشريك". والله تعالى بريء عن المثل والضد والشبيه والنظير والشريك، والمراد بالأنداد هنا: الأوثان التي اتخذوها آلهة لتقربهم إلى الله زلفى، ورجوا مِن عندها النفع والضر، وقصدوها بالمسائل، ونذروا لها النذور، وقربوا لها القرابين، وهو قول أكثر المفسرين رحمة الله على الجميع.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٣٤/١)، وجامع البيان للطبري (١٦٣/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٥٠/١٤)"ند"، ولسان العرب لابن منظور (٤١٩/٣)"ندد"، وتفسير القرآن للسمعاني (٥٨/١).

(٢) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٣٣/٢)، والتفسير الكبير للرازي (١٨٥/٤)، ولباب التأويل للخازن (١٣٦/١).

(٣) هذا تفسير الزجاج وابن كيسان رحمهما الله، وهو معنى قول مجاهد رحمه الله حيث قال:" يحبونهم كحب الله: مباهاة ومضاهاة للحق بالأنداد". وقرره ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله، فيكون المعنى: أنهم يسوون بين الأصنام وبين الله في المحبة، كما ذهب إليه المؤلف رحمه الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦٦/٢)، ومعاني القرآن للزجاج (٢٣٧/١)، والكشف والبيان للثعلبي (٣٣/٢)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (١٨٨/٧)، وطريق الهجرتين لابن القيم (ص٤٤٢).

(٤) وبه قال قتادة رحمه الله. ولأن المشركين أشركوا بالله في المحبة، فجعلوا المحبة مشتركة بين الله وبين الأنداد، والمؤمنين أخلصوا دينهم لله الذي أصله المحبة لله، فلم يجعلوا لله عدلا في المحبة، بل كان الله ورسوله ﷺ أحب إليهم مما سواهما، ومحبة الرسول ﷺ هي من محبة الله، وكذلك كل حبٍ في الله وهو الحب لله.

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٣٤/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٣٦/١)، وقاعدة في المحبة لابن تيمية (ص٦٩).

﴿لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: لرأوا أمراً عظيماً.(١)

قوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟﴾ أي: تبرأت القادة المتبوعون ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ أي: من السفلة الأتباع ﴿وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ أي: عنهم.

والسبب: كل ما يتوصَّل به إلى شيء من قرابة أو غيرها،(٢) والأسباب التي كانت بينهم هي: المودة والرحم، والحلف، والعهد، والمعاني الموجبة للوُصلة بينهم.(٣)

قول: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ أي: لو كانت لنا رجعة وعودة إلى الدنيا.

قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ﴾ أي: كما تبرّأ بعضهم من بعض يريهم الله أعمالهم التي عملوها في الدنيا حسرات عليهم بأن[٨/ب] يحبطها ولا يثيبهم عليها.(٤)

---

(١) جواب "لو" محذوف، وتقديره: لو رأى الذين كانوا يشركون في الدنيا شدة عذاب الآخرة لعلموا حين يرون العذاب أمراً هائلاً عظيماً؛ وأن القوة ثابتة لله جميعاً، بمعنى: أنهم شاهدوا من قدرة الله تعالى ما تيقنوا معه أن القوة له جميعاً، وأن الأمر ليس على ما كانوا عليه من الشرك والجحود. وهذا الحذف أفخم وأعظم؛ لأن على هذا التقدير يذهب خاطر المخاطَب إلى كل ضربٍ من الوعيد، فيكون الخوف على هذا التقدير أعظم مما إذا كان عين له ذلك الوعيد.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢٣٨/١)، والتفسير الكبير للرازي (١٨٨/٤)، ولباب التأويل للخازن (١٣٧/١).

(٢) الأسباب: جمع سبب، وهو في اللغة: الحبل، ثم قيل لكل ما يتوصل به إلى المقصود: سبب.

ينظر: جامع البيان للطبري (٧٢/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢١٩/١٢)"سب"، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٣٢٩/٢)"سبب".

(٣) قاله جمهور المفسرين. وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ينظر: جامع البيان للطبري (٧٠/٢)، والتفسير الكبير للرازي (١٩٠/٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٧١/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٦٤٧/١).

(٤) قال ابن تيمية رحمه الله:" فالأعمال التي أراهم الله حسرات عليهم هي: الأعمال التي يفعلها بعضهم مع بعض في الدنيا كانت لغير الله، ومنها: الموالاة، والصحبة، والمحبة لغير الله، فالخير كله في أن يعبد الله

والحسرة أخت الندامة. (١)

وقوله: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ ردٌّ على من قال: بفناء جهنم.(٢)

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: مما يؤكل ويحل أكله.

﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ أي: طاهراً. (٣)

وحده لا يشرك به شيئًا". مجموع الفتوى (١٠/٦٠٦).

ينظر: التفسير الكبير للرازي (٤/١٩١)، والبحر المحيط أبي حيان (١/٦٤٩)، ومعاني القرآن للزجاج (١/٢٤٠).

(١) الحسرة: شدة الندامة، حتى يبقى النادم كالحسير من الدواب، يقال: حسر فلانٌ يحسر حسرة وحسراً: إذا اشتد ندمه على أمر فاته.

ينظر: درج الدرر للجرجاني (١/٣٣٢)، وتفسير الهداية لمكي (١/٥٤١)، والمفردات للراغب (ص١١٨)"حسر".

(٢) اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن النار لا تفنى ولا تبيد، ولم يقل بفناء النار إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين كالجهم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم، وهو قول باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع سلف الأمة وأئمتها، لأن الله ﷻ أخبر عن الكفار في هذه الآية بأنهم غير خارجين من النار، بغير استثناء منه وقتاً دون وقتٍ فدل ذلك إلى غير حد ولا نهاية. وقال ﷻ في الكفار: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[الأحزاب:٦٤-٦٥]، فأهل النار الذين هم أهلها خلقت لهم وخلقوا لها أنهم خالدون فيها أبد الآبدين ودهر الداهرين.

قال ابن تيمية رحمه الله:" قال أهل الإسلام جميعا: ليس للجنة والنار آخر، وأنهما لا تزالان باقيتين، وكذلك أهل الجنة لا يزالون في الجنة يتنعمون، وأهل النار في النار يعذبون، ليس لذلك آخر؛ ولا لمعلومات الله ومقدوراته غاية ولا نهاية". درء التعارض (٢/٣٥٨).

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٧٥)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (١٨/٣٠٧)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص٤٨٣)، ومعارج القبول للحافظ الحكمي (٢/٨٦٤).

(٣) يعني به: طاهراً غير نجس ولا محرم. والطيب في الأصل: هو ما يستلذ به ويستطاب، ووصف به الطاهر، والحلال؛ على جهة التشبيه؛ لأن النجس تكرهه النفس؛ فلا تستلذه، والحرام غير مستلذّ، لأن

نزلت في ثقيف[1] وخزاعة[2] وعامر بن صعصعة[3] وبني مدلج[4] فيما حرَّموا على أنفسهم من

الشرع يزجر عنه.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٧٦)، والبحر المحيط لأبي حيان (١/٦٥٣)، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٣/١٥٢).

(١) ثقيف: نسبة إلى ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن، وهي من أكبر القبائل وأعرقها في شبه الجزيرة العربية، وهي من آخر القبائل التي دخلت في الإسلام، وساهمت في محاربة القبائل التي ارتدت عن الإسلام بعد وفاة رسول الله ﷺ، وينتشر معظم أفراد هذه القبيلة في مدينة الطائف بالمملكة العربية السعودية.

ينظر: الكامل لابن المبرد (٢/٥٠)، والبلدان لليعقوبي (١/٤٠٦)، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم (١/٢٦٦)، والموسوعة العربية (٧/٣١٤).

(٢) خزاعة: قبيلة قحطانية، من قبائل اليمن الذين تفرقوا أيدي سبأ من سيل العرم، ونزلت قرب مكة، سميت خزاعة لأنهم انخزعوا عن أصحابهم وأقاموا بمكة. وحصلت لهم سدانة البيت والرياسة نحواً من ثلاثمائة سنة، ولما صالح رسول الله ﷺ قريشاً عام الحديبية دخلت خزاعة في عهده صلوات الله وسلامه عليه.

ينظر: تاريخ الطبري (١/٥٠٦)، والبداية والنهاية لابن كثير (٢/١٨٧)، والموسوعة العربية (٨/٧٩٤).

(٣) عامر بن صعصعة، جد قبيلة كبيرة من العدنانيين، اشتهرت في الجاهلية والإسلام، ولده هلال بن عامر، رهط زينب بنت خزيمة زوج النبي ﷺ، وكانت فيهم السيادة والكثرة، ومنهم: قبيصة بن المخارق الهلالي ﷺ وفد على النبي ﷺ فأسلم، وروى عنه أحاديث.

ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/٣٥)، والبلدان لليعقوبي (١/٣٨٢)، وتاريخ الطبري (٢/٢٠٢).

(٤) بنو مدلج: بضم الميم وسكون الدال المهملة وكسر اللام وجيم في الآخر، وهم بنو مدلج بن مرة بن عبد مناة، بطن من خزاعة، ورئيسهم: الأسود العنسي، الكاهن.

ينظر: تهذيب الأسماء للنووي (٢/٥٦٥)، والبداية والنهاية لابن كثير (٤/٢٨١)، وقلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان (ص١٣٦).

البحيرة والسائبة والوصيلة[١] وغيرها.[٢]

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أي: طُرقه.[٣] ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ أي: مُظهر العداوة لكم. قوله: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ﴾ أي: بالإثم.

﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾ أي: ما قبح من القول والفعل.

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ يعودُ إلى قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ

---

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى قول الله ﷻ: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[المائدة:١٠٣]. أي: ما بحر الله بحيرةً، ولا سيب سائبةً، ولا وصل وصيلةً، ولا حمى حامياً، ولكن الذين فعلوا ذلك الكفرة؛ فحرموا على أنفسهم افتراء على ربهم. والبحيرة: هي البهيمة التي تُشَقُّ أذنها إذا ولدت عدداً من البطون، أو: التي لا يحلبها أحد من الناس. والسائبة: هي التي تترك للأصنام إثر نذر. والوصيلة: التي تتصل ولادتها بأنثى بعد أنثى. والحامي: الذكر من الإبل إذا وُلد من صلبه عدد من الإبل، أو: الذي يعفى من الحمل.

ينظر: جامع البيان للطبري (٨٦/٧)، والتفسير الكبير للرازي (٩١/١٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٠٨/٢).

(٢) ذكر هذا السبب: مقاتل بن سليمان في تفسيره (٩١/١)، والثعلبي في الكشف والبيان (٣٧/٢)، والماوردي في النكت والعيون (٢٢٠/١)، والواحدي في أسباب النزول (ص١٥٦) عن الكلبي عن أبي صالح مرسلاً. ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير (١٧٢/١) إلى ابن السائب، والرازي في التفسير الكبير (٣/٥) إلى ابن عباس رضي الله عنهما، وسكت الحافظ ابن حجر رحمه الله عنه في العجاب (٤١٧/١). فإن صح هذا، كان السبب خاصاً واللفظ عاماً، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ينظر: الوجيز للواحدي (١٤٤/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٦٥٢/١)، وتفسير ابن كثير (٢٠٤/١).

(٣) الخُطُوات: جمع خُطْوَة، وهي: بُعْدَ ما بين قدمي الماشي، والخَطْوَة، بفتح الخاء: الفعلة الواحدة، من قول القائل: خَطَوت خَطْوةً واحدة، والجمع خُطًا وخُطُوات. قال قتادة رحمه الله: "كل معصية لله فهي من خطوات الشيطان ".

ينظر: جامع البيان للطبري (٧٦/٢)، والنكت والعيون للماوردي (٢٢٠/١)، وتفسير القرآن للسمعاني (١٦٧/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٠٥/١).

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ .[1] ﴿قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا﴾ أي: وجدنا[2] ﴿عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾.

قوله: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ يعني: أيتبعون آباءهم وإن كانوا جهالاً ؟

وقوله: ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا﴾ أي: شيئاً من أمر الدين ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إليه.

قوله: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية، أي: ومثل واعظ الذين كفروا كمثل الراعي الذي ﴿يَنْعِقُ﴾ بالغنم، أي: يصيح ويصوِّت بها.[3]

---

(١) أي أن الضمير في ﴿لَهُمْ﴾ يعود على ﴿مَن﴾ في قوله تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾. قاله الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهذا بعيد؛ لما بينهما من الآيات وانقطاع قصصهم بقصة مستأنفة غيرها.

وذهب مقاتل واختاره الطبري: أن الضمير يعود على الناس في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وهذا هو الأظهر، إلاَّ أن ذلك يكون من باب الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، وحكمته أنهم أُبرزوا في صورة الغائب الذي يُتَعَجب من فعله، حيث دُعُوا إلى شريعة الله والنور والهدى فأجابوا باتِّباع شريعة آبائهم.

ينظر: جامع البيان للطبري (٧٨/٢)، ودرج الدرر للجرجاني (٣٣٣/١)، والكشف والبيان للثعلبي (٣٩/٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٦٥٥/١).

(٢) بدليل قوله تعالى في آية أخرى:﴿قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾[لقمان: ٢١]، ويدل عليه أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْاْ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ﴾[الصافات: ٦٩].

قال ابن تيمية يرحمه الله:" فليس عندهم علم، بل عندهم اتباع سلفهم، وهو الذي اعتادوه وتربوا عليه ... فكل من عدل عن اتباع الكتاب والسنة وطاعة الله والرسول ﷺ إلى عادته وعادة أبيه وقومه، فهو من أهل الجاهلية المستحقين للوعيد". مجموع الفتاوى (٢٦٣/١٩).

ينظر: جامع البيان للطبري (٧٨/٢)، والمفردات للراغب (ص٤٥٢)"لفى"، والتفسير الكبير للرازي (٦/٥).

(٣) قاله جمهور المفسرين.والنعق: الصياح. يقال: نَعَقَ بالغنم يَنْعِق نَعْقًا ونعَاقًا ونَعيقًا: إذا صاح.

ينظر: جامع البيان للطبري (٧٩/٢)، ومعاني القرآن للزجاج (٢٤٢/١)، والكشف والبيان للثعلبي

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾أي: من حلالات ما رزقناكم من الحرث والنَّعم وسائر المأكولات والنِّعم.

﴿وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ﴾ يعني: على نعمه ﴿إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾.

قوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ﴾ أُسْتُثْنِيَ من تحريم الميتة ميْتتان، وهما: الحوت والجراد، ومن تحريم الدم دمان، وهما: الكبد والطحال، لحديثٍ ورد في ذلك.(١)

﴿وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ﴾ عبر باللَّحم عن جميع أجزائه؛ لأنَّه معظمه وقوامه، إذ جلده وسائر أجزائه أيضًا حرام.(٢)

﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ﴾ أي: ما ذُبح باسم غير الله، كما كانوا يقولون: باسم اللات

(٤١/٢)، والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (٢٢٥/١)"نعق".

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: "أحلّت لنا ميتتان ودمان، فأما الميتتان: فالحوت والجراد، وأما الدمان: فالكبد والطحال". أخرجه الإمام أحمد في المسند (٩٧/٢)، برقم: (٥٧٢٣)، وابن ماجه في سننه، (١٠٧٣/٢)، برقم: (٣٢١٨)كتاب الصيد/باب صيد الحيتان والجراد، والدارقطني في سننه (٢٧١/٤)، والبيهقي في الكبرى (٢٥٤/١)، برقم: (١١٢٨)، ، وقال الدارقطني:"الموقوف أصح"، ورجح البيهقي أيضاً الموقوف إلا أنه قال: " له حكم الرفع"، وصحح رفعه النووي في المجموع (٥١٦/٢)، وحسنه ابن القيم في زاد المعاد (٣٩٢/٣).

(٢) أي: أن كل شيء من الخنزير حرام، وإنما خصّ اللحم بالذكر؛ لأنّ اللحم من أعظم منافعه. وعلى هذا جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والشافعية رحمة الله على الجميع، وبسط المسألة في كتب الفقه وأحكام القرآن.

ينظر: أحكام القرآن للجصاص (١٥٣/١)، والمحلى لابن حزم (٣٩١/٧)، وأحكام القرآن لابن العربي (٨٠/١)، والمغني لابن قدامة (٤٨/١)، والمجموع للنووي (٧/٩).

والعزى، أو غيرهما من الأصنام،[١] وأصل الإهلال: رفع الصوت.[٢]

﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ﴾ أصل البغي في اللغة: قصد الفساد،[٣] وأصل العدوان: الظلم ومجاوزة الحد،[٤] أي: غير قاطعٍ للطريق، ولا مفارق الأمة، خارج عليهم بسيفه.[٥]

﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾ يعني: أن يأكل منها على قدر الشبع، إن علم أنه لا يستقل بالتي يسد

---

(١) قاله عطاء، والربيع، وابن زيد رحمهم الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٨٥)، والتفسير الكبير للرازي (٥/١١)، والمغني لابن قدامة (٩/٣١٢)، وأحكام أهل الذمة لابن القيم (١/٥١٥).

(٢) ومنه يقال: استهل المولود، إذا صاح في أول ما يولد. وسمي الذبح إهلالاً: لأنهم كانوا إذا أرادوا ذبح ما قربوه لآلهتهم ذكروا عنده اسم آلهتهم وجهروا به أصواتهم، فسمي كل ذابح جهر بالتسمية أو لم يجهر مُهِلاً، كما سمي الإحرام إهلالاً لرفع أصواتهم عنده بالتلبية حتى صار اسماً له وإن لم يرفع عنده صوت.

ينظر: غريب القرآن لابن عزيز (ص٨٩)، وتهذيب اللغة للأزهري (٥/٢٣٧)، والمفردات للراغب (ص٥٤٤)"هلل".

(٣) يقال: بغت المرأة تبغي بغاء إذا فجرت، وبغى الجرح يبغي بغيا، إذا بدأ بالفساد، وربما استعمل البغي في طلب غير الفساد، والعرب تقول: خرج الرجل في بغاء إبل له، أي: في طلبها.

ينظر: العين للخليل (٨/٤٥٢)، ومختار الصحاح للرازي (١/٢٤)، والمفردات للراغب (ص٥٥) "بغي".

(٤) يقال: عدا عليه عدواً وعدوّاً وعدوانا وعِداءً إذا ظلم، وتعديت الحقّ واعتديته، أي: جاوزته، تقول العرب: اعتدى فلان عن الحقّ، واعتدى فوق الحق، إذا جاز عن الحقّ إلى الظلم.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (١/٢٤٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (٣/٦٩)"عدا"، والمفردات للراغب (ص٣٢٦)"عدا".

(٥) هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، وسعيد بن جبير. وأكثر المفسرين: غير باغ في أكله فوق حاجته، ولا متعدياً بأكلها وهو يجد غيرها. وهو مروي عن قتادة، والحسن، وعكرمة، والربيع، وابن زيد. وهذا هو الأظهر بدلالة السياق، فإن السياق في تحريم الأكل لا في البغي والعدوان على المسلمين. وهذا اختيار الطبري، وابن تيمية.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٨٦)، وأحكام القرآن للجصاص (١/١٥٦)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/٨١)، والمغني لابن قدامة (٢/٥١)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٢٤/١١٠).

الرمق، وإن كان يتوقع حلالا قبل رجوع الضرورة يتعين سدُّ الرمق، ويحرم الشبع.(١)

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ نزلت: في رؤساء اليهود وعلمائهم، كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا، فخافوا إن آمنوا بمحمد ﷺ أن يذهب مآكلهم، وتبطل رئاستهم، فغيَّروا صفة رسول الله ﷺ، ثم أخرجوها إليهم وقالوا: هذا نعت النبي الذي يخرج في آخر الزمان، فنزلت هذه الآية في ذمِّهم.(٢)

قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ لما كانت عاقبة أكلهم النار سماه في

---

(١) أجمع العلماء على تحريم الميتة حال الاختيار، وعلى إباحة الأكل منها في الاضطرار، ويباح له أكل ما يسد الرمق ويأمن معه الموت بالإجماع، ويحرم ما زاد على الشبع بالإجماع أيضاً، واختلفوا في الأكل إلى حدّ الشبع على قولين: **الأول**: لا يباح، وهي رواية عن الإمام أحمد، وقول أبي حنيفة، وإحدى الروايتين عن مالك، وأحد القولين للشافعي رحمهم الله، لأنه ما جاز للضرورة يقدر بقدرها، وبعد سدّ الرمق غير مضطر؛ فلم يحل له الأكل للآية.

والثاني: يباح له الشبع، وهي رواية أخرى عن الإمام أحمد، والإمام مالك، والقول الثاني للشافعي رحمة الله عليهم، لأن ما جاز سدّ الرمق منه جاز الشبع منه كالمباح.

والأظهر أنه على حسب حاله؛ فإذا غلب على ظنه وجود طعام فلا يشبع، وإن غلب على ظنه عدم وجود طعام جاز له ذلك، لأنه سيعود إلى حالته الأولى؛ وبهذا يجتمع القولان، وبسط هذه المسألة وضوابطها في كتب الفقه، وأحكام القرآن.

ينظر: أحكام القرآن للجصاص (١/١٥٦)، والحاوي الكبير للماوردي (٢/٣٨٨)، والاستذكار لابن عبد البر (٥/٣٠٧)، والمغني لابن قدامة (٩/٣٣٠).

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢/٤٧)، والواحدي في أسباب النزول (ص١٥٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وضعفه السيوطي في الدر المنثور (١/٤٠٩). وروى ابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١/٢٨٥) عن أبي العالية قال: "هم أهل الكتاب، كتموا ما أنزل الله عليهم في كتابهم من الحق والهدى والإسلام وشأن محمد ﷺ ونعته". وروى الطبري في جامع البيان (٢/٨٩) عن عكرمة، وقتادة، والسدي، والربيع بن أنس، نحو ذلك.

الحال ناراً.[١] قوله: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: كلاماً ينفعهم ويسرُّهم.[٢]

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ أي: استبدلوا.[٣]

وقوله: ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ أي: أجرأهم، حتى تركوا الحق، واتبعوا الباطل.[٤]

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ذلك العذاب ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾.[٥]

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ بأن قال بعضهم: إنه سحر، وقال بعضهم: إنه شعر،

---

(١) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢/٤٧)، وتفسير الهداية لمكي (١/٥٥٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/١٧٠).

(٢) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٩٠)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٤٢٧)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص٣٧٦)، والبحر المحيط لأبي حيان (١/٦٦٧).

(٣) أي: استبدلوا الضلالة بالهدى، والعذاب بالمغفرة، وإنما أخرجه بلفظ الشراء والتجارة؛ على سبيل الاستعارة، لأن الشراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر، والعرب تقول لكل من ترك شيئا وتمسك بغيره قد اشتراه.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (١/٩١)، والمفردات للراغب (ص٢٦٠)، ولسان العرب لابن منظور (١٤/٤٢٧)"شرى".

(٤) قاله جمهور المفسرين. تقول العرب: ما أصبر فلاناً على الله؛ بمعنى: ما أجرأ فلاناً على الله.

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٩٣)، وجامع البيان للطبري (٢/٩٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٢/٤٨)، والبحر المحيط لأبي حيان (١/٦٦٨).

(٥) وبه قال الزجاج، والجرجاني، ويكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى أقرب مذكور، وهو العذاب، ويكون الخبر ليس مجرد تنزيل الله الكتاب بالحق، بل ما ترتب على تنزيله من مخالفته وكتمانه، وأقام السبب مقام المسبب. والمعنى: ذلك العذاب حاصل لهم بكتمان ما نزل الله من الكتاب الذي نزله بالحق.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (١/٢٤٦)، ودرج الدرر للجرجاني (١/٣٣٦)، والبحر المحيط لأبي حيان (١/٦٧٠).

وقال بعضهم: إنه أساطير الأولين.(١)

﴿لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي: لفي خلافٍ بعيدٍ عن الحق.(٢)

قوله:﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ الآية، كانت اليهود تصلي إلى المغرب إلى بيت المقدس، وجماعة آخرون من الكفار إلى المشرق، وزعم كل فريق منهم أن البر في ذلك، فأخبر الله تعالى أن البرّ غير دينهم وعملهم، ولكن البر ما بيّنه في هذه الآية.(٣)

وقوله:﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي: على حبِّ المال،(٤) والمراد بهذا: غير الزكاة المفروضة؛

---

(١) قاله مقاتل، والواحدي.

وذهب السدي إلى أن المراد في الآية: اليهود والنصارى، والمراد من الكتاب: التوراة، والإنجيل، واختلافهم: كتمانهم لبعث محمد ﷺ، وإيمانهم ببعض، وهو: ما أظهروه، وكفرهم ببعض، وهو: ما كتموه، ووقع الاختلاف بينهم حتى تلاعنوا وتقاتلوا. وهذا اختيار الطبري، وهو الأظهر بدلالة السياق.

ينظر: جامع البيان للطبري (٩٣/٢)، والوجيز للواحدي (١٤٦/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٦٧٠/١).

(٢) أي: خلاف طويل، وإنما سمى الخلاف: شقاقاً؛ لأن المخالف يكون في شق، وصاحبه في شق آخر، أو من كون هذا يشق على صاحبه.

ينظر: تفسير القرآن للسمعاني (١٧١/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢٤٢/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٦٧٠/١).

(٣) روى ذلك عبد الرزاق الصنعاني في تفسير القرآن (٦٦/١)، والطبري في جامع البيان (٩٤/٢)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٢٨٧/١) عن قتادة مرسلاً بلفظ: " كانت اليهود تصلي قبل المغرب، والنصارى تصلي قبل المشرق، فنزلت: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾".

(٤) أي: وأعطى المال وهو له محب حريص على جمعه، شحيح به ذوي قرابته، فوصل به أرحامهم، كما جاء عن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجراً ؟ قال: أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا، وقد كان لفلان". أخرجه البخاري (٥١٥/٢)، برقم:(١٣٥٣) كتاب الزكاة/باب أي الصدقة أفضل وصدقة الشّحيح الصحيح، ومسلم (٧١٦/٢)، برقم: (١٠٣٢) كتاب الزكاة/باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح.

لأنَّه ذكر إيتاء الزكاة بعده.[١] والمراد بابن السبيل: الضيف.[٢]

وقوله: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ أي: المكاتبين.[٣]

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: "أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر".
ينظر: تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني (٦٦/١)، وجامع البيان للطبري (٩٥/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٥٠/٢).

(١) قرر غير واحد من السلف ومنهم الحسن وطاووس وعطاء ومسروق وغيرهم رحمهم الله، على أن في المال حقًا سوى الزكاة؛ قال السدي رحمه الله في هذه الآية:" إن هذا شيء واجب في المال، حق على صاحب المال أن يفعله سوى الذي عليه من الزكاة". وسئل الشعبي رحمه الله:" هل على الرجل حق في ماله سوى الزكاة؟ قال: نعم، وتلا هذه الآية". وبوّب الترمذي رحمه الله في جامعه (٤٨/٣) باباً اسماه: "باب ما جاء أن في المال حقا سوى الزكاة". وقال ابن تيمية رحمه الله:" نعلم بالاضطرار من دين الإسلام، أن الله قد أوجب إيتاء المال في غير الزكاة المفروضة في مواضع: مثل الجهاد بالمال عند الحاجة، والحج بالمال، ونفقة الزوجة والأقارب والمماليك من الآدميين والبهائم، ومثل ما يجب من الكفارات من عتق وصدقة وهدي كفارات الحج، وكفارات الإيمان والقتل وغيرها، وما يجب من وفاء النذور المالية إلى أمثال ذلك، بل المال مستوعب بالحقوق الشرعية...". مجموع الفتاوى (١٨٨/٢٩).
والفرق بين هذا الحق في المال وحق الزكاة؛ أن الزكاة حق مقدر، وأما هذا الحق فهو غير مقدر؛ وإنما يعطى بقدر ما تندفع به الحاجة أو الضرورة، وبسط هذه المسألة في كتب أحكام القرآن والتفسير والفقه.
ينظر: جامع البيان للطبري (٩٦/٢)، وأحكام القرآن للجصاص (١٦٢/١)، والمغني لابن قدامة (١٢٨/٥)، والمجموع للنووي (٢٩٨/٥)، والبحر المحيط لأبي حيان (٦/٢).

(٢) وهو تفسير قتادة، وسعيد بن جبير، والضحاك، و مقاتل، و الفراء، وابن قتيبة، و الزجاج.
وقال مجاهد والربيع: "هو المسافر المنقطع عن أهله يمر عليك".سمي ابن السبيل: لملازمته الطريق، كما قيل للرجل الذي أتت عليه الدهور: ابن الأيام والليالي، ولطير الماء: ابن الماء، لملازمته إياه. وهذا القول أعم من الأول وأظهر، واختاره الطبري رحمه الله.
ينظر: جامع البيان للطبري (٩٧/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٥١/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٧٩/١).

(٣) قاله أكثر المفسرين. وهو قول الشافعي وأبي حنيفة. وذهب الشافعي في قول: أنهم عبيد يعتقون. وبسط هذه المسألة في كتب الفقه وأحكام القرآن.

وقوله: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟﴾ أي: فيما بينهم وبين الله، وفيما بينهم وبين الناس ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ﴾ أي: الشدة والفقر ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ أي: المرض والزمانة.[١] ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ أي: وقت القتال.[٢]

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ أي: بربهم ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ أي: عقاب الله وعذابه. والصدقُ في الأقوال والأفعال والأحوال.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾ أي: فُرض، ولهذا يُسمى الصلاة المفروضة مكتوبة،[٣] وليس معنى الآية إيجاب قتل القاتل حتماً؛ وإنما المراد: إيجاب المماثلة بين القتلين،

ينظر: جامع البيان للطبري (٩٨/٢)، والمبسوط للسرخسي (٩/٣)، وأحكام القرآن لابن العربي (٨٨/١)، والمغني لابن قدامة (٣٢٩/٦).

(١) هذا قول أكثر المفسرين. والزمانة: العاهة، يقال: زَمِنَ زَمَنا وزُمْنة وزَمَانة، فهو زَمِنٌ، والجمع: زَمِنُون، وزَمْنَى؛ والزمانة: كل داء ملازم، يزمن الإنسان فيمنعه عن الكسب، كالعمى والإقعاد وشلل اليدين، ونحو ذلك.

ينظر: جامع البيان للطبري (٩٨/٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (١٠/٢)، ومختار الصحاح للرازي (١١٦/١)، وتاج العروس للزبيدي (١٥١/٣٥)"زمن".

(٢) قاله أكثر المفسرين. والبؤس والبأس والبأساء: الشدة والمكروه، إلا أن البؤس في الفقر والحرب أكثر، والبأس والبأساء في النكاية، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾[النساء:٨٤]، قال البراء ﷺ: "كنا والله إذا احمر البأس- أي: اشتدت الحرب- نتقي به وإن الشجاع منا للذي يحاذي به". يعني: النبي ﷺ. والحديث رواه مسلم في صحيحه (١٤٠١/٣)، برقم: (١٧٧٦)كتاب الجهاد والسير/ باب في غزوة حنين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٠١/٢)، والمفردات للراغب (ص٦٦)"بؤس"، ومعالم التنزيل للبغوي (١٤٤/١).

(٣) "الكتاب" جـاء في القرآن على وجـوه، ومنها: "الفـرض"، كما في هذه الآية. ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾[البقرة:٢٤٦]، أي: فُرض.
ينظر: جامع البيان للطبري (١٠٢/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٨٨/١٠)"كتب"، وتفسير الهداية لمكي

يقال: قاصصت فلاناً قِصاصًا، أي: فعلتُ به ما فعل بي.[١]

وقوله:﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ يعني: فصاحب الدَّم يتبع القاتل، ويطالبه بالدية [٩/أ] بالمعروف، وعلى القاتل أداء المال إليه ﴿بِإِحْسَٰنٍ﴾.

﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ يعني: مما كُتب على من كان قبلكم، لأنَّه كُتب على أهل التوراة: من قَتَل نفسًا بغير نفس أن يقاد بها، ولا يُعفى عنه، ولا يُقبل منه الدية، وفرض على الإنجيل: أن يُعفى عنه ولا يقتل، ورُخص لأمة محمد ﷺ، إن شاء قتل، وإن شاء أخذ الدية، وإن شاء عفا.[٢]

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: من قَتَل بعد ما أخذ الدية ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وقال:﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ أي: ينتهي به بعضكم عن بعض أن يصيب؛ مخافة أن

(٥٦٥/١).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١٠٢/٢)، وأحكام القرآن لابن العربي (٨٩/١)، والتفسير الكبير للرازي للرازي (٤٢/٥).

(٢) أخرجه البيهقي في الكبرى (٥١/٨)، برقم: (١٥٨١١) جماع أبواب تحريم القتل/باب الخيار في القصاص، عن مجاهد، والحسن، والضحاك رحمهم الله. وثبت بنحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان في بني إسرائيل القصاص، ولم تكن فيهم الدية، فقال الله ﷻ لهذه الأمة:﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ﴾ فالعفو أن يقبل الدية في العمد ﴿فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ يتبع بالمعروف ويؤدي بإحسان ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ مما كُتب على من كان قبلكم ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قتل بعد قبول الدية". أخرجه البخاري في صحيحه (١٦٣٦/٤)، برقم: (٤٢٢٨) كتاب تفسير القرآن/باب قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى﴾. وروى بنحو ذلك أيضاً الطبري في جامع البيان (١١١/٢)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٢٩٦/١) عن قتادة رحمه الله.

يُقتل.(١)

قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي: أسباب الموت وآثاره ومقدماته، من العلل والأمراض.

قوله: ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ لا يوصي للغني ويدع الفقير.(٢)

وقوله:﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ أي: برئ الموصي من إثمه. ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ أي: لقول الموصي ﴿عَلِيمٌ﴾ أي: بتبديل من يبدِّل.

---

(١) قوله تعالى:﴿حَيَاةٌ﴾ أي: بقاء، لأنّه إذا علم أنّه إن قُتل أمسك وارتدع عن القتل، ففيه حياة للّذي يُهمّ بقتله، وحياة للهام، ولهذا قيل في المثل: القتل قلّل القتل.

ينظر: جامع البيان للطبري (١١٤/٢)، والكشف والبيان (٥٦/٢)، والنكت والعيون للماوردي (٢٣١/١)، وبحث بعنوان: (مباحث في قوله تعالى:﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾) لفضيلة الشيخ المشرف أ. د. عبد العزيز بن صالح العبيد، في مجلة "العدل"، عدد (٣٢) بالمملكة العربية السعودية.

(٢) اختلف العلماء في معنى هذه الآية على قولين: **أحدهما**: أن الوصيّة كانت للوالدين والأقربين، فرضاً واجباً على من مات وله مال، حتى نزلت آية المواريث في سورة النّساء، فنسخت الوصيّة للوالدين والأقربين الذين يرثون، وبقي فرض الوصيّة للأقرباء الذين لا يرثون، والوالدان الذان لا يرثان بكفر أو رق على من كان له مال، فإن الله تعالى قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصيّة لوارث، هذا مذهب الجمهور من المفسرين والفقهاء.

والقول الثاني: بل نسخ ذلك كله بالميراث؛ فهذه الآية منسوخة، ولا يجب لأحد وصية على أحد قريب ولا بعيد، فإن أوصى فحسن، وأن لم يوص فلا شيء عليه، وهذا قول عليّ، وابن عمر، وعائشة رضي الله عنهم، وعكرمة، ومجاهد، والسّدي رحمهم الله. والأكثرون من المفسرين، والفقهاء، ورجحه ابن كثير في تفسيره، إلى أن وجوبها صار منسوخاً في حق الكافة، وهي مستحبة في حق من لا يرث. وهذا القول هو الأظهر. وبسط هذه المسألة في كتب الفقه وأحكام القرآن.

ينظر: الاستذكار لابن عبد البر (٢٦٣/٧)، والمبسوط للسرخسي (١٤٢/٢٧)، والمغني لابن قدامة (٥٥/٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢١٢/١).

﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾ أي: جوراً، أو عدولاً عن الحق.

والجنف: الميل في الكلام والأمور كلها،(١) والإثم: العمد.(٢)

ومعنى الآية: فمن حضر مريضاً وهو يوصي فخاف أن يُخطئ في وصيته فيفعل ما ليس له، أو يتعمَّد جوراً فيها، فيأمر بما ليس له، فلا حرج على من حضره أن يُصلح بينه وبين ورثته، بأن يأمره بالعدل في وصيته، وينهاه عن الجنف، فينظر للموصي والورثة.(٣)

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ أصل الصوم في اللغة: الإمساك، ويقال للرجل إذا أمسك عن الكلام وصَمَتَ: صام،(٤) فالصوم هو: الإمساك عن المعتاد من الطعام والشراب والجماع.(٥)ومعنى ﴿كُتِبَ﴾ أوجب وفرض.

---

(١) ينظر: العين للخليل (٦/١٤٣)، والمفردات للراغب (ص١٠١)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٣٠٧/١) "جنف".

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما، وعطاء، والضحاك، والسدي، والربيع رحمهم الله:" الجنف: الخطأ، والإثم: العمد". والمراد: فمن خاف من موص أن يجنف أو يأثم في وصيته؛ فيوصي بأكثر مما يجب له في وصيته، فلا حرج على الذي حضر أن يصلح بين الموصي والورثة بأن يأمر الميت بالمعروف والحق.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٢٦/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٥٩/٢)، وتفسير الهداية لمكي (٥٨١/١)، والمفردات للراغب (ص١٥١)"خطأ".

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (١٢٦/٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (١٧٦/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢٤٩/١)، والتفسير الكبير للرازي (٥٦/٥)، وقد بسط الكلام على آيات الوصية فضيلة الشيخ المشرف أ. د. عبد العزيز بن صالح العبيد، وفقه الله في كتابه:" آيات الوصية تفسير وأحكام".

(٤) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٨٢/١٢)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٢٣/٣)، والمفردات للراغب (ص٢٩١)"صوم".

(٥) من التعاريف الجامعة للصوم في الشرع ما ذكره القرطبي بقوله:"الإمساك عن المفطرات مع اقتران النية به من طلوع الفجر إلى غروب الشمس. وتمامة وكماله: باجتناب المحظورات، وعدم الوقوع في المحرمات". الجامع لأحكام القرآن (٢٧٣/٢).

ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٢٣٥/١)، والمغني لابن قدامة (٣/٣)، والمجموع للنووي (٢٤٥/٦)، والذخيرة للقرافي (٤٨٥/٢).

﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي: ليس هذا فرضاً خُصصتم به وكُلفتم ذلك؛ فلقد كلِّف الأمم ذلك قبلكم.(١) ففي هذا تسلية لهم في هذا التكليف.(٢)

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي: لكي تتقوا النار، وتُوَقُّوا أنفسكم عذابها، ولتدخلوا في جملة المتقين الذين أعدت لهم الجنة.

قوله: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ﴾ أي: فأفطر ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ أي: غير أيام مرضه أو سفره.(٣)

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ أي: يكلّفونه ويحمّلونه.(٤)

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١٢٨/٢)، والتفسير الكبير للرازي (٥٩/٥)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٧٤/٢).

(٢) ينظر: التفسير الكبير للرازي (٦٠/٥)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٧٣/٢)، ولباب التأويل للخازن (١٥١/١).

(٣) معناه: ومن كان به مرض، أو كان في حالة السفر فأفطر، فعليه عدة ما أفطره من الأيام، فلا بد لصحة المعنى من تقدير:"فأفطر"؛ نظيره قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ﴾[الشعراء:٦٣]، أي: فضرب فانفلق، ويسمى هذا عند الأصوليين: دلالة الاقتضاء، أي: إن صحة الكلام اقتضت هذا المقدر. وعلى هذا جماهير الفقهاء، خلافًا لداود الظاهري الذي ذهب إلى وجوب القضاء على المسافر والمريض سواء صاما أو أفطرا، تمسكاً بظاهر اللفظ. قال ابن العربي: "وقد عُزي إلى قوم إن سافر في رمضان قضاه، صامه أو أفطره؛ وهذا لا يقول به إلا ضعفاء الأعاجم، فإن جزالة القول وقوة الفصاحة تقتضي "فأفطر"، وقد ثبت عن النبي ﷺ الصوم في السفر قولاً وفعلاً." أحكام القرآن (١١٢/١).
ينظر: المغني لابن قدامة (٣٤/٣)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣٩/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢١٧/١)، والفصول المفيدة في الواو المزيدة لصلاح الدين العلائي (ص١٤٩).

(٤) ذكر هذا المعنى: معاذ بن جبل، وابن عمر، وسلمة ابن الأكوع ﷺ، وعلقمة، والحسن، والشعبي، وعطاء رحمهم الله.

ينظر: صحيح البخاري (٦٨٧/٢) كتاب الصيام/باب ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ﴾، وجامع البيان للطبري (١٣٢/٢)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٣٠٦/١).

﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ أي: كل يوم إطعام مسكينٍ واحد، وكان ذلك في أول ما فرض الصوم، لأن الله ﷻ لما أنزل فرض صيام شهر رمضان على رسوله ﷺ وأمر أصحابه بذلك شقَّ عليهم الصوم إذ لم يتعودُّوا الصوم، فخيَّرهم الله بين الصيام والإطعام، وكان من شاء صام ومن شاء أفطر وافتدى بالطعام، ثم نسخ الله تعالى بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾.(١)

---

(١) هذا قول أكثر الفقهاء، وهو مروي عن معاذ بن جبل، وأنس بن مالك، وسلمة ابن الأكوع، وابن عمر، ﷺ، وعلقمة، والشعبي، والزهري، والضحاك. ويشهد له ما ثبت في الصحيحين عن سلمة بن الأكوع ﷺ أنه قال:" كنا في رمضان على عهد رسول الله ﷺ من شاء صام، ومن شاء أفطر فافتدى بطعام مسكين، حتى أنزلت هذه الآية: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾". أخرجه البخاري (١٦٣٨/٤)، برقم: (٤٢٧٣) كتاب الصيام/باب ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، ومسلم (٨٠٢/٢) برقم: (١١٤٥) كتاب الصيام/ باب بيان نسخ قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ﴾ بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾. وذهب ابن عباس رضي الله عنهما في المشهورة عنه، وقتادة، والربيع بن أنس، وسعيد بن جبير رحمهم الله: أنها محكمة وليست منسوخة، وهي في الشيخ الكبير، والعجوز الكبيرة، رخص لهم الفطر مع الإطعام لكل يوم مسكيناً، بدليل ما ثبت عن عطاء رحمه الله أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقرأ: "**وَعَلَى الَّذِينَ يُطَوَّقُونَهُ فِديَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ**"، قال ابن عباس رضي الله عنهما:" ليست بمنسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا". أخرجه البخاري (١٦٣٨/٤)، برقم: (٤٢٣٥) كتاب الصيام/باب قوله: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ الآية.

والأظهر أن النسخ ثابت في حق الصحيح المقيم بإيجاب الصيام عليه بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، وأن الآية محكمة في الشيخ الفاني الهرم الذي لا يستطيع الصيام؛ فله أن يفطر ولا قضاء عليه، لأنه لا يتمكن من القضاء، ولكن يجب عليه إذا أفطر أن يطعم عن كل يوم مسكيناً، لأثر ابن عباس. وهو قول علي، وأبي هريرة، وأنس ﷺ، وسعيد بن جبير، وطاوس، وأبي حنيفة، والثوري، والأوزاعي، وأحد القولين للشافعي، وهو اختيار الطبري، والنحاس، وابن العربي. وبسط المسألة في كتب الفقه

﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ أي: فزاد على مسكينٍ واحدٍ وأطعم مسكينين فصاعدا.(١)

وقوله: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ يعني: والصوم خير لكم من الإفطار والفدية ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ أي: أنزل في شرفه وفضله والصيام فيه القرآن، ومأخذه من الرمض، وهو مطر يأتي في الخريف،(٢) فسمّى هذا الشهر رمضان؛ لأنّه يغسل الأبدان من الآثام غَسلاً، ويطهر القلوب تطهيراً.(٣)

وأحكام القرآن.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٣٢/٢)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (ص٩٤)، وأحكام القرآن لابن العربي (١١٣/١)، والمغني لابن قدامة (٣٧/٣)، وفتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (١٧٩/٨).

(١) وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، وطاووس، والسدي رحمهم الله. وقال الزهري رحمه الله: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾: بأن صام مع الفدية فهو خير له". وفي رواية ابن جريج عن مجاهد رحمه الله: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾: فزاد المسكين على قدر طعامه". ولا مانع من اعتبار جميع هذه الأقوال، والأصل في العام أن يبقى على عمومه حتى يرد ما يخصصه، والله ﷻ لم يخصص بعض معاني الخير دون بعض، فإن جمع الصوم مع الفدية من تطوع الخير، وزيادة مسكين على جزاء الفدية من تطوع الخير، وزيادة المسكين على قدر طعامه من تطوع الخير، فكل ذلك من تطوع الخير ونوافل الفضل، وهذا اختيار الطبري رحمه الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٤٢/٢)، والنكت والعيون تفسير للماوردي (٢٣٩/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٨٩/٢).

(٢) أصل الرمض: حرّ الحجارة من شدة حر الشمس، والاسم: الرمضاء، والرَّمض: مصدر رَمِض الرجل يرمَض رمَضاً: احترَق قدماه في شدة الحرّ، ورمض الإنسان: إذا مشى على الرمضاء، وسمي الشهر برمضان: لشدة الحرّ الذي كان فيه.

ينظر: العين للخليل (٣٩/٧، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٥/١٢))، والمفردات للراغب، (ص٢٠٣) "رمض".

(٣) يشهد لهذا المعنى ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال:" من صام

﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ أي: هادياً للناس إلى طريق النجاة.

﴿وَبَيِّنَٰتٍ﴾ أي: واضحات.(١) ﴿مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾ أي البيان الدال على حدود الله وفرائضه. ﴿وَٱلْفُرْقَانِ﴾ أي الذي يفرّق بين الحق والباطل.

﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ﴾ أي: من كان حاضرًا غير مسافر ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ أي: فليصم فيه. قوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ أي: حين رخّص في الإفطار للمريض والمسافر.

﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ أي: فعل الله ذلك ليسهّل عليكم.

﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ أي: عدد الأيام التي أفطرتم فيها بالقضاء، فلا يكون صيامكم

رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه". أخرجه البخاري (٧٠٩/٢)، برقم: (١٩١٠) كتاب الصيام/باب فضل ليلة القدر، ومسلم (٥٢٣/١)، برقم: (٧٦٠) كتاب الصيام/باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح. وفي الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال:" من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه". أخرجه البخاري (٧٠٧/٣)، برقم: (١٩٠٥) كتاب صلاة التراويح/باب فضل من قام رمضان، ومسلم (٥٢٣/١)، برقم: (٧٥٩) كتاب الصيام/باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح. وأما ورد عن أنس ﷺ مرفوعاً:" إنما سمي رمضان لأن رمضان يرمض الذنوب". أي: يحرقها ويذيبها، فهو حديث موضوع، كما ذكره الشوكاني رحمه الله في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (ص٩١).

(١) ينظر: تفسير الهداية لمكي (٦٠٤/١)، وتفسير القرآن للسمعاني (١٨٣/١)، والمفردات للراغب (ص٦٨)"بان".

أنقص عدد من صيام غيركم.[١] ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ أي: ولتعظموا الله.[٢]
﴿عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ لأحكام دينه.﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: على إنعامه عليكم. ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ سبب نزولها: أنَّ بعض الصحابة ﷺ سألوا النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله! أقريب ربُّنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فسكت عنه، فأنزل الله تعالى هذه الآية.[٣]

﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ أي: إني إنما أجيب دعوة من يؤمن بي، وبرسلي، ويوحِّدني، ويستجيب لي بالطاعة، فإني أدعوا عبادي إلى طاعتي.[٤]

---

(١) وهو قول أكثر المفسرين رحمهم الله. وقال عطاء رحمه الله:"ولتكملوا عدة أيام الشهر".قال الرازي رحمه الله: "إنما قال: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ ولم يقل: ولتكملوا الشهر، لأنه لما قال:﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ دخل تحته عدة أيام الشهر وأيام القضاء، لتقدم ذكرهما جميعاً، ولذلك يجب أن يكون عدد القضاء مثلاً لعدد المقضي، ولو قال تعالى: ولتكملوا الشهر؛ لدل ذلك على حكم الأداء فقط ولم يدخل حكم القضاء". التفسير الكبير (٥/٧٩).

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/١٥٦)، والكشف والبيان للثعلبي (٢/٧٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٢١٨).

(٢) أي: لتعظموا الله على ما أرشدكم إلى ما رضي به من صوم رمضان. وقال أكثر المفسرين: هو تكبيرات ليلة الفطر. قال ابن عباس رضي الله عنهما: "حق على كل مسلم أن يكبر ليلة الفطر إلى أن يفرغ من صلاة العيد".

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/١٥٧)، والكشف والبيان للثعلبي (٢/٧٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/١٨٥).

(٣) رواه الطبري في جامع البيان (٢/١٥٨)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١/٣١٤) عن الصلب بن الحكيم عن أبيه عن جده قال:" جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فسكت رسول الله ﷺ، فأنزل الله:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾".
قال ابن حجر:" في سنده ضعيف". العجاب في بيان الأسباب (١/٤٣٤).

(٤) قاله مجاهد، وعبد الله ابن المبارك، وأبي عبيدة، وابن قتيبة.

وقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ أي: الجماع،(١) وذلك أنَّ الرجل كان يأكل في شهر رمضان ويشرب ويأتي أهله [٩/ب] إذا أفطر ما لم ينم، فإذا نام حَرُم ذلك عليه إلى مثلها، فأصاب ذلك رجلٌ من المسلمين، حتى كاد أن يهلك، فأنزل الله هذه الآية.(٢) قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ أي: سكن لكم.(٣)

والدعاء هنا يشمل نوعي الدعاء: دعاء العبادة ودعاء المسألة، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٥٩/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٧٤/٢) وزاد المسير لابن الجوزي (١٨٩/١)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٥٠٠/٥).

(١) يقال: الرفث والرفوث، وبه قال قال قتادة، ومجاهد، وسالم بن عبد الله، والسدي رحمهم الله، قال ابن عباس رضي الله عنهما:" الرفث: الجماع، ولكن الله كريم يكني". وقال الزجاج:" الرفث: كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من المرأة، والمعنى هَهنا كناية عن الجماع".

ينظر: جامع البيان للطبري (١٦١/٢)، ومعاني القرآن للزجاج (٢٥٥/١)، والمفردات للراغب (ص١٩٩)"رفث".

(٢) يشهد لهذا ما ثبت عن البراء ﷺ، قال: " كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجل صائماً، فحضر الإفطار، فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وإنّ قيس بن صرمة الأنصاري كان صائماً، فلما حضر الإفطار أتى امرأته، فقال لها: أعندك طعام؟ قالت: لا، ولكن أنطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل، فغلبته عيناه، فجاءته امرأته، فلما رأته قالت: خيبة لك؛ فلما انتصف النهار غُشي عليه، فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾، ففرحوا بها فرحاً شديداً، ونزلت: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ ". أخرجه البخاري (٦٧٦/٢)، برقم: (١٨١٦) كتاب الصوم/باب قول الله جل ذكره: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ الآية.

(٣) قاله أكثر المفسرين. قال ابن العربي رحمه الله:" المراد: كل واحد منهما ستر صاحبه عن التخطي إلى ما يهتكه من الفواحش، ويكون كل واحد منهما متعففاً بالآخر مستتراً به". أحكام القرآن (٢٨٢/١).

ينظر: جامع البيان للطبري (١٦٢/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٧٧/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي

﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾ أي: تخونونها[١]وتظلمونها بالمجامعة بعد العشاء الآخرة في ليالي الصوم.[٢]

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: فتجاوز عنكم ﴿وَعَفَا عَنكُمْ ﴾ أي: ومحا ذنوبكم.[٣]

(١٩١/١).

(١) يقال: خانه يخونه خوناً وخيانة إذا لم يف له، والسيف إذا نبا عن الضربة فقد خانك، وخان الرجلُ الرجلَ إذا لم يؤد الأمانة. قال الطبري رحمه الله:"كانت خيانتهم أنفسهم التي ذكرها الله في شيئين: أحدهما: جماع النساء، والآخر: المطعم والمشرب، في الوقت الذي كان حراماً ذلك عليهم". جامع البيان (١٦٣/٢).

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٧٨/٢)، والنكت والعيون للماوردي (٢٤٥/١)، ولسان العرب لابن منظور (١٤٤/١٣)"خون".

(٢) يشهد لهذا المعنى: ما ثبت عن البراء ﷺ أنه قال:" لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله، وكان رجال يخونون أنفسهم، فأنزل الله:﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ﴾. أخرجه البخاري (١٦٣٩/٤)، برقم: (٤٢٣٨) كتاب التفسير/باب ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾ الآية.وعن كعب ابن مالك ﷺ قال:"كان الناس في رمضان إذا صام الرجل فأمسى فنام حرمَ عليه الطعام والشراب والنساء حتى يفطر من الغد، فرجع عمر بن الخطاب ﷺ من عند النبي ﷺ ذات ليلة وقد سهر عنده، فوجد امرأته قد نامت، فأرادها؛ فقالت: إني قد نمت، قال: ما نمت، ثم وقع بها، وصنع كعب بن مالك ﷺ مثل ذلك، فغدا عمر إلى النبي ﷺ فأخبره فأنزل الله تعالى: ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ﴾. أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤٦٠/٣)، برقم: (١٥٨٣٣)، وحسنه الهيثمي في المجمع (٣١٧/٦).

(٣) أصل العفو: المحو، مأخوذ من قولهم: عفت الرياح الآثار إذا درستها ومحتها، وقد عفت الآثار تعفو عفُوّاً، والعفو من الله: محْوه لذنوب عباده عنهم.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٤١/٣)، والمفردات للراغب (ص٣٣٩)"عفا"، والبحر المحيط لأبي حيان (٥٦/٢).

وقوله: ﴿فَٱلۡـَٔـٰنَ بَٰشِرُوهُنَّ﴾ هو أمر إباحة.[١]

قوله: ﴿وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾أي: قضاه لكم من الولد.[٢]

وقوله: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ﴾أي: بياض النهار وضوؤه، ﴿مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ﴾ أي: سواد الليل وظلمته،[٣] أي: حتى كان وقت تبيّنه.

---

(١) اختلف الأصوليون في الأمر بعد النهي، هل يفيد الوجوب أم مجرد الإباحة فقط؟فمذهب الحنابلة، وهو قول مالك وأصحابه، وقول الشافعي، وبعض الحنفية رحمهم الله: أن صيغة الأمر بعد الحظر تفيد الإباحة.وقال الباجي، ومتقدمي أصحاب مالك، وأصحاب الشافعي رحمهم الله: أن ذلك يقتضي الوجوب.والمحققون من السلف والأئمة، وهو قول أكثر الفقهاء رحمهم الله: أن صيغة الأمر بعد الحظر ترفع الحظر المتقدم وتعيد الفعل إلى ما كان عليه قبل النهي، فإن كان واجباً فواجب، وإن كان مستحباً فمستحب، أو مباحاً فمباح، وهذا هو الصحيح، وهو اختيار ابن كثير رحمه الله. والكلام في ذلك مستوفى في كتب الأصول.

ينظر: التبصرة في أصول الفقه لأبي إسحاق الشيرازي (ص٣٨)، وروضة الناضر لابن قدامة (١٩٨/١)، والبحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (١١١/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٢).

(٢) قاله أكثر المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٦٩/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٧٨/٢)، والنكت والعيون للماوردي (٢٤٥/١).

(٣) ورد النص في تفسير هذه الآية عن الرسول ﷺ، كما في حديث عدي بن حاتم ﷺ قال: لما نزلت: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ﴾ عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض، فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي؛ فغدوت على رسول اللّهِ ﷺ فذكرت له ذلك، فقال:" إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار". أخرجه البخاري (٦٧٧/٢)، برقم: (١٨١٧) كتاب الصوم/ باب قول الله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾، و مسلم (٧٦٦/٢)، برقم: (١٠٩٠) كتاب الصيام/باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر.

قوله: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ﴾ أي: لا تجامعوهن.[١] ﴿وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ أي: مقيمون.[٢]

قوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ الحدّ هو: فصل ما بين الشيئين، وهو منتهى الشيء، أي: بين ما هو حلال، وما هو حرام.[٣] ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ الحدّ الذي بينهما حتى لا تقعوا في الحرام. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ أي: لا تعطوها الحكّام على طريق الرشوة؛ ليغيروا لكم الحكم.[٤]

---

(١) قاله أكثر المفسرين.

وأجمع أهل العلم على أن من جامع امرأته وهو معتكف عامداً لذلك في فرجها أنه مفسد لاعتكافه.

ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (١/١٩٣)، والتفسير الكبير للرازي (٥/٩٧)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/٣٣٢).

(٢) أصل العكوف: الإقامة على الشيء وملازمته، يقال عكف على الشيء إذا لازمه مقبلاً عليه، والاعتكاف في الشرع: اللبث في المسجد من شخص مخصوص بنية مخصوصة. يقال: عكفته على كذا، أي: حبسته عليه لذلك.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/١٧٩)، والمغني لابن قدامة (٣/٦٣)، والمجموع للنووي (٦/٤٦٨)، ولسان العرب لابن منظور (٩/٢٥٥)"عكف".

(٣) أصل الحدود: ما منع الله من مخالفتها فلا يجوز مجاوزتها، والحدود هي: محارم الله وعقوباته التي قرنها بالذنوب.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/١٨٢)، والمفردات للراغب (ص١٠٩)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (١/٣٥٢)"حد".

(٤) أصل الإدلاء: إرسال الدلو وإلقاؤه في البئر، يقال: أدلى دلوه إذا أرسلها، ومنه قوله الله ﷻ: ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾[يوسف:١٩]، ودلاها: إذا أخرجها، ثم جُعل كل إلقاء قول أو فعل إدلاء، والإدلاء هنا: الرشوة في قول جمهور المفسرين. قال الرازي رحمه الله:"وفي تشبيه الرشوة بالإدلاء وجهان: أحدهما: أن الرشوة رشاء الحاجة، فكما أن الدلو المملوء من الماء يصل من البعيد إلى القريب بواسطة الرشاء؛ فالمقصود: البعيد يصير قريباً بسبب الرشوة.

وقوله: ﴿فَرِيقًا﴾ أي: طائفة ﴿مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ﴾ يعني: حكم الحاكم لا يُحل لكم الحرام، فهو باقٍ على كونه حراماً، والقاضي يقضي بالظاهر، وما هو باطل لا يصير حقًّا بحكم الحاكم.(١)

قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ سئل النبي ﷺ عن الهلال في بدئه دقيقًا، وعن عظمه

والثاني: أن الحاكم بسبب أخذ الرشوة يمضي في ذلك الحكم من غير تثبت كمضي الدلو في الإرسال". التفسير الكبير (٥/١٠١).

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢/٨٤)، والمفردات للراغب (ص١٧١)"دلو"، وزاد المسير لابن الجوزي (١/١٩٤).

(١) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:" هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه فيه بينة؛ فيجحد المال ويخاصم إلى الحاكم وهو يعرف أن الحق عليه، وهو يعلم أنه آثم آكل الحرام". وكذا روي عن مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والسدي، ومقاتل، وابن زيد رحمهم الله أنهم قالوا:" لا تخاصم وأنت تعلم أنك ظالم". وقد ورد هذا المعنى في الصحيحين عن أم سلمة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال:" إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي على نحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً فلا يأخذه؛ فإنما أقطع له قطعة من النار". أخرجه البخاري (٦/٢٦٢٢)، برقم: (٦٧٤٨) كتاب الأحكام/باب موعظة الإمام للخصوم، ومسلم (٣/١٣٣٧)، برقم: (١٧١٣) كتاب الأقضية/ باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة. فدلت الآية الكريمة، وهذا الحديث على أن حكم الحاكم لا يحل في نفس الأمر حراماً هو حرام، ولا يحرم حلالاً هو حلال، وإنما هو ملزم في الظاهر، فإن طابق في نفس الأمر فذاك، وإلا فللحاكم أجره وعلى المحتال وزره. ينظر: جامع البيان للطبري (٢/١٨٣)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١/٣٢١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٢٢٦).

بعده، وعن رجوعه دقيقًا كالعرجون القديم؟[١][٢] فأعلم الله أنه جعل ذلك ليُعلِم الناس أوقاتهم في حجِّهم، وعِدة نسائهم، وحلول آجالهم، وغير ذلك،[٣] لأن هذا أسهل على الناس من حفظ عدد الأيام يومًا يومًا. وإنما يُسمَّى الهلال هلالا لأنَّه يرفع الصوت بالإخبار عنه إذا رُئي.[٤]

---

(١) أخرج أبو نعيم الأصبهاني في معرفة الصحابة (٣٩٣/١)، برقم (١٤٠٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٥/١) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ونقله الواحدي في أسباب النزول (ص١٦٢) عن الكلبي رحمه الله، بلفظ:" نزلت في معاذ بن جبل، وثعلبة بن غنمة، الأنصاريين رضي الله عنهما قالا: يا رسول الله! ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ثم يزيد حتّى يمتلىء ويستوي؛ ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ؛ لا يكون على حالة واحدة، فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾". وضعفه ابن حجر رحمه الله في العجاب (٤٥٥/١)، وقال السيوطي في الدر المنثور (٤٩٠/١):" أخرج ابن عساكر بسند ضعيف".

(٢) العرجون: أصل العِذْق، والعذق: الذي فيه الشماريخ، فإذا أقدم وعتق يبس وتقوّس واصفر، فشبه الله به الهلال لما عاد دقيقاً في أول الشهر في دقته وصفرته به، فقال:﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾[يس:٣٩]، قال قتادة رحمه الله:"كالعرجون القديم: كعذق النخلة إذا قدم فانحنى". ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٢٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٠٥/٣)، والمفردات للراغب (ص٣٢٩)"عرجن".

(٣) روى الطبري في جامع البيان (١٨٦/٢)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٣٢٢/١) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:" سأل الناسُ رسولَ الله ﷺ عن الأهلة، فنزلت هذه الآية: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ يعلمون بها حل دَينهم، وعدة نسائهم، ووقت حجهم". ثم قال ابن أبي حاتم:"وروي عن عطاء، والضحاك، وقتادة والسدي، والربيع بن أنس نحو ذلك".

(٤) الهلال: القمر في أول ليلة والثانية، ثم يقال له القمر ولا يقال له هلال، وإنما سمى هلالا؛ لأن الناس يرفعون أصواتهم عند رؤيته، يقال: أهلّ القوم بالحج والعمرة، إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية، وجمعه أهلة، وأهلّ الهلال إذا رئي، واستُهلّ: إذا طُلب رؤيته، والإهلال: رفع الصوت عند رؤية الهلال، ثم استعمل لكل صوت.

ينظر: العين للخليل (٣٥٢/٣)، والمفردات للراغب (ص٥٤٤)"هلل"، والبحر المحيط لأبي حيان

﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ هي جمع الميقات، وهو الزمان المحدود للشيء.(١)

﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾(٢) هذا إشارة إلى أنه يطلب الأمور من وجوهها، وأنه يطلب كل أمر ممن هو أهله، لا من غير الأهل.(٣)

قوله: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ يعني: أهل مكة خاصَّة، وهو أول فرض الجهاد، ثم نسخه قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾[التوبة:٣٦].(٤)

.(٦٦/٢)

(١) المواقيت: جمع الميقات، بمعنى: الوقت، والوقت: مقدار من الزمان، وكل ما قدرت له غاية أو حينا فهو موقت، ولا تصرف "مواقيت"؛ لأنها غاية الجموع ، والميقات: مصدر الوقت، والآخرة: ميقات الخلق، ومواضع الإحرام: مواقيت الحاج، والهلال: ميقات الشهر.

ينظر: العين للخليل (١٩٩/٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٩٨/٩) "وقت"، والبحر المحيط لأبي حيان (٦٦/٢).

(٢) قال القرطبي رحمه الله:" اتصل هذا بذكر مواقيت الحج لاتفاق وقوع القضيتين في وقت السؤال عن الأهلة وعن دخول البيوت من ظهورها، فنزلت الآية فيهما جميعًا". الجامع لأحكام القرآن (٣٤٤/٢).

ينظر: جامع البيان للطبري (١٨٦/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٦٠/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٢٦/١).

(٣) قال القرطبي رحمه الله:" إن الآية خرجت مخرج التنبيه من الله تعالى على أن يأتوا البر من وجهه، وهو الوجه الذي أمر الله تعالى به، فذكر إتيان البيوت من أبوابها مثلاً ليشير به إلى أن نأتي الأمور من مأتاها الذي ندبنا الله تعالى إليه". الجامع لأحكام القرآن (٣٤٦/٢).

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٦٨/١)، وأحكام القرآن للجصاص (٣١٩/١).

(٤) هذا قول الربيع، وأبي العالية، وابن زيد، وسعيد بن جبير.

وذهب ابن عباس رضي الله عنهما، وعمر بن عبد العزيز، ومجاهد إلى أنها ثابتة في الحكم، أُمِر فيها بقتال المشركين كافة، والاعتداء الذي نهوا عنه: قتال من لم يؤمروا بقتاله كالنساء والولدان، وهذا القول هو الأقرب للصواب، لأن النسخ لا يثبت بالاحتمال، ودعوى النسخ لا تصح في آية من كتاب الله تعالى إلا إذا صح التصريح بنسخها أو انتفى حكمها من كل وجه. وهذا اختيار الطبري، والنحاس، وابن كثير رحمهم الله.

وقوله: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ أي: لا تجاوزوا الحق، ولا تقاتلوا غير من أمرتم بقتاله.(١) قوله تعالى: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾أي: وجدتموهم،(٢) يعني: لا تمتنعوا من قتلهم في الحرم وغيره.(٣)

قوله: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ أي: وكفرهم في هذه الأمكنة أشدُّ من القتل.(٤)

وقوله:﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾ أي: عن الكفر ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ أي: لما سلف ﴿رَّحِيمٌ﴾ بعباده.

﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: شرك،(٥) أي: قاتلوهم حتى يُسلموا، فليس يقبل منه

ينظر: جامع البيان للطبري (١٨٩/٢)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (١٠٧/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٢٧/١).

(١) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٨٩/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٨٧/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٩٧/١)، والتفسير الكبير للرازي (١٠٩/٥).

(٢) يقال: ثقفت كذا: إذا أدركته ببصرك لحَذْقٍ في النظر، ثم يتجوز به فيستعمل في الإدراك والتمكن وإن لم تكن معه ثقافة، والمعنى: اقتلوهم في أي مكان تمكنتم من قتلهم، وأبصرتم مقاتِلَهم.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٩١/٢)، والمفردات للراغب (ص٧٩)، ولسان العرب لابن منظور (١٩/٩)"ثقف".

(٣) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٨٨/٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (١٩٢/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٦٢/١).

(٤) الفتنة في كلام العرب: الابتلاء والامتحان، مأخوذ من: فتنتُ الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار ليتميز الرديء من الجيّد، ومن هذا قول الله ﷻ: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾[الذاريات:١٣]، أي: يُحرقون بالنار، والفتنة هنا: الكفر، في قول عامة المفسرين، لأن مآل الإبتلاء كان إليه.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢١١/١٤)، والمفردات للراغب (ص٣٧٢)"فتن"، والتفسير الكبير للرازي (١١١/٥).

(٥) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وأبو العالية، ومجاهد، والحسن، وقتادة، والربيع، ومقاتل بن حيان، والسدي، وزيد بن أسلم، وغيرهم رحمهم الله.

جزية، ولا يرضى منه إلا بالإسلام، وليسوا كأهل الكتاب بالذين يؤخذ منهم الجزية.[١]
والحكمة فيه: أنَّ مع أهل الكتاب كُتبا منزلة فيها الحق، وإن كانوا قد حرَّفوا، فأمهلهم الله، وأمر بإصغارهم بالجزية لينظروا في كتبهم ويتدبَّروها، فيقفوا على الحق منها فيتبعوه، كفعل مؤمني أهل الكتاب، ولم يكن لأهل الأوثان ما يرشدهم إلى الحق، وكان إمهالهم زائداً في إشراكهم، فلا يرضى منهم إلاّ بالإسلام أو بالقتل.[٢]

﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ أي: العبادة له وحده، فلا يُعبد دونه شيء.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/١٩٤)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/٧٥)، وتفسير القرآن العظيم (١/٢٢٨).

(١) الجزية: ما يأخذه الإمام أو نائبه من الكفار مقابل قتلهم وإقامتهم في دار الإسلام، وهي مشتقة من الجزاء، لأنها جزاء تأمينهم وعصمة دمائهم وأموالهم، وتمكينهم من سكنى دار الإسلام. وأجمع العلماء على أخذ الجزية من اليهود والنصارى، وهو قول عامة أهل العلم في حق المجوس، واختلفوا في غيرهم من الكفار؛ فمذهب الحنابلة والشافعية: أن الجزية لا تقبل من غير أهل الكتاب والمجوس، فلا يقبل منهم إلا الإسلام أو القتال، بينما ذهب الحنفية، ورواية عن الإمام أحمد، وهو قول المالكية: أن الجزية تؤخذ من الكفار عامة، فجميع الكفار مخيرون بين ثلاث خصال: إما الإسلام، أو الجزية، أو القتال، وهذا اختيار ابن تيمية وابن القيم رحمة الله على الجميع، وهو الأقرب إلى الصواب بدليل ما ثبت عن بريدة ﷺ قال:" كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا، ثم قال: اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ....." فذكر الحديث، وفيه:" فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم". أخرجه مسلم (٣/١٣٥٧)، برقم: (١٧٣١) كتاب الجهاد والسير/باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها. وبسط المسألة وأدلتها في كتب أحكام القرآن والفقه.

ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٤/٢٨٢)، وأحكام القرآن لابن العربي (٢/٤٧٧)، والمغني لابن قدامة (٩/١٧٣)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٢٨/٣٥٥)، وأحكام أهل الذمة لابن القيم (١/٧٩).

(٢) قاله المفضل بن سلمة رحمه الله، نقل ذلك عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢/٨٩)، وذكره الخازن في لباب التأويل (١/١٦٩)، والبقاعي في نظم الدرر (١/٣٦٥) بل نسبة.

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾ أي: فإن انتهى بعضهم ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: إلا على من أبى منهم وثبت على كفره. وسُميت المجازاة عدوانا من أجل المقابلة، أي: الجزاء مقابل الأول، لا زائد عليه ولا ناقص منه.(١)

قوله تعالى: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ يُروى أنَّ المشركين سألوا النبي ﷺ عن الشهر الحرام هل من قتال؟ ليُغِيروا(٢) المسلمين؛ فإن علموا أنَّهم لم يؤمروا بقتالهم قاتلوهم، فأعلم الله تعالى أن المشركين إن ابتدأوا بالقتال في الشهر الحرام قاتلهم المسلمون أيضًا، وإلا كفّوا عنهم فيه.(٣) ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ أي: إنِ انتهكوا لكم حرمة فانتهكوا لهم حرمة، إذا الحرمات قصاص.(٤)

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١٩٥/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٨٩/٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢٦٣/١).

(٢) من الإغارة، يقال: أغار بنو فلان على بني فلان إغارة وغارة وإغارة، إذا أسرع ودفع في عدوه، وأغار على العدو إغارة وغارة، والمراد به ههنا: الهجوم على العدو على وجه الغفلة.
ينظر: العين للخليل (٤٤١/٨)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٦٠/٨)"غرو"، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٠١/٤)"غور".

(٣) ذكر هذا السبب الماوردي في النكت والعيون (٢٥٢/١)، وابن عطية في المحرر (٢٦٣/١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢٠١/١) مرسلاً عن الحسن البصري رحمه الله.

(٤) الحرمات: جمع الحرمة، كالظلمات جمع الظلمة، والحجرات جمع الحجرة، والحرمة: ما يجب حفظه وترك انتهاكه، وإنّما جمع الحرمات؛ لأنه أراد: الشهر الحرام، والبلد الحرام، وحرمة الإحرام. وال ﴿قِصَاصٌ﴾: المساواة والمماثلة، وهو: أن يُفعل بالفاعل كما فَعل، فالمراد: إن أقدموا على مقاتلتكم في الشهر الحرام، فقاتلوهم أنتم أيضاً فيه؛ قال الزجاج رحمه الله :"وعلّم الله بهذه الآية: أنه ليس على المسلمين أن ينتهكوا هذه الحرمات على سبيل الابتداء، بل على سبيل القصاص والمماثلة". معاني القرآن (٢٦٤/١).

ينظر: العين للخليل (٢٢١/٣-١٠/٥)"حرم، قص"، وجامع البيان للطبري (١٩٦/٢)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٦٣٩/١).

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ أي: من قاتلكم في الشهر الحرام [١٠/أ] فقاتلوه فيه، وجازوه على ذلك، وسمّاه اعتداء للمجازاة، كما ذكرنا.[١]

قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ أي: أنفقوا في الجهاد، وكل وما أمر الله تعالى من الخير فهو من ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، أي: من طرق الله؛ لأن السبيل في اللغة: الطريق، وإنما استعمل في الجهاد أكثر لأنَّه السبيل الذي يقاتل فيها.[٢]

والتهلكة: الهلاك،[٣] أي: لا تأخذوا في ذلكم، يقال لكل من بدأ بعمل: قد ألقى يديه فيه.[٤]

قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ إتمامها: أن يأتي بهما بجميع مناسكهما من أركانهما، وشرائطهما، وواجباتهما، ويحترز عن المحظورات فيهما.[٥]

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٢/١٩٩)، ومعاني القرآن للنحاس (١/١٠٩)، والكشف والبيان للثعلبي (٢/٩٠).

(٢) قال ابن كثير رحمه الله: "ومضمون الآية: الأمر بالإنفاق في سبيل الله في سائر وجوه القربات ووجوه الطاعات، وخاصة صرف الأموال في قتال الأعداء وبذلها فيما يقوى به المسلمون على عدوهم، والإخبار عن ترك فعل ذلك بأنه هلاك ودمار لمن لزمه واعتاده". تفسير القرآن العظيم (١/٢٣٠). ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٢٠٥)، وتفسير الهداية لمكي (١/٦٤١)، والمفردات للراغب (ص٢٢٣)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٢/٣٣٨)"سبل"، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/٧٣).

(٣) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٦/١٢)، والمفردات للراغب (ص٥٤٤)، ولسان العرب لابن منظور (١٠/٥٠٣)" هلك".

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٢٠٥)، والكشف والبيان للثعلبي (٢/٩٠)، وتفسير الهداية لمكي (١/٦٤٣).

(٥) هذا القول مروي عن مجاهد، واختاره البغوي، ووافقه على ذلك الرازي.

وذهب ابن عباس رضي الله عنهما، وابن مسعود ﷺ، والشعبي، وأبو بردة، وابن زيد، ومسروق وغيرهم إلى أن الأمر بالإتمام: إتمامهما بعد الشروع فيهما وليس المراد بإقامتهما ابتداءً.

والقول الثاني هو الأظهر، وهو اختيار الطبري، وابن كثير وابن تيمية رحمهم الله، فإن منطوق الآية في الأمر بالإتمام وليس في إيجابهما ابتداءً، فإن هذه الآية إنما نزلت في عمرة الحديبية التي صُدَّ فيها الرسول

والأمر بالحج محمول على الوجوب، إجماعًا،[١] وكذا بالعمرة في القول الجديد للشافعي رضي الله عنه.[٢]

وقوله: ﴿فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ﴾ أي: يمنعكم الخوف أو المرض أو الحبس.[٣]

ﷺ وصحابته رضي الله عنهم عن البيت الحرام، فنزلت هذه الآية تبين لهم المخرج من عمرتهم بعد الإحرام بها، وظاهر السياق من ذكر الإحصار دال على ذلك. وبسط هذه المسألة في كتب أحكام القرآن والفقه.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٢٠٦)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/١٦٥)، والتفسير الكبير للرازي (٥/١١٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/٣٦٥)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٢٧/٢٦٥).

(١) الأظهر أن الأمر هنا أمرٌ بإتمام الحج والعمرة بعد الشروع فيهما وليس الأمر بإقامتهما ابتداءً؛ كما تقدم، فإن هذه الآية نزلت عام الحديبية بالاتفاق، والحج إنما فرض لما وفد أهل نجران سنة تسع أو عشر من الهجرة، فيكون وجوب الحج بالإجماع ليس بهذه الآية؛ وإنما بآية آل عمران في قوله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾[آل عمران:٩٧].

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٢٠٦)، والكشف والبيان للثعلبي (٢/٩٤)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/٣٧٤).

(٢) هذا قول علي بن أبي طالب، وابن عباس، وزيد بن ثابت رضي الله عنهم، وعلي بن الحسين، وعطاء، وقتادة، وسفيان الثوري، والأصح من مذهب الشافعي.

وذهب أحمد، ومالك بن أنس، وأبي حنيفة، وأبي ثور، وقول الشافعي في القديم، واختاره الطبري: أنها سنة وليست بفريضة واجبة، والقول الأول هو الأظهر، لحديث أبي رزين رضي الله عنه أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج ولا العمرة ولا الظعن، قال. "حج عن أبيك واعتمر". رواه أبو داود (٢/١٦٢)، برقم: (١٨١٠) كتاب المناسك/ باب الرجل يحج عن غيره، والترمذي (٣/٢٦٧)، برقم (٩٣٠) كتاب مناسك الحج/باب ما جاء في الحج عن الشيخ الكبير والميت، وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي (٥/١١٧)، برقم: (٢٦٣٧) كتاب مناسك الحج/ العمرة عن الرجل الذي لا يستطيع. وصححه النووي في المجموع (٧/٥)، وقال الهيثمي في المجمع (٣/٢٨٢):"رجاله ثقات". وبسط هذه المسألة وأدلتها في كتب أحكام القرآن والفقه.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٢٠٦)، وأحكام القرآن للجصاص (١/٣٢٨)، والحاوي الكبير للماوردي (٤/٣٣)، والمغني لابن قدامة (٣/٨٩).

(٣) الحصر: مصدر من: حصرت الرجل أحصره إذا حبسته، وأحصرت الرجل إحصاراً: إذا منعته من التصرف، والإحصار: المنع، والمشهور من اللغة: أحصر بالمرض وحُصر بالعدوّ.والإحصار الذي جعل الله

﴿ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ﴾ أي: شاة، لأن ذلك أقرب إلى اليسر.(١)

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ﴾ أي: حتى يحل أكله، والانتفاع به.(٢)

قوله: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا ﴾ الآية، فدية حلق الأذى على التخيير، كما في الآية.

والنسك: ذبح شاة، والصيام: صوم ثلاثة أيام، والإطعام: إطعام ستة مساكين، لكل مسكين

على من ابتلي به في الحج والعمرة ما استيسر من الهدي هو: كل مانع أو حابس منع المحرم وحبسه عن العمل الذي فرضه الله عليه في إحرامه ووصوله إلى البيت الحرام، أيّ شيء كان من مرضٍ، أو جرحٍ، أو كسرٍ، أو خوفٍ، أو عدوٍ، أو لدغٍ، أو ذهاب نفقةٍ، أو ضلال راحلةٍ، أو غيرها من الأعذار، فإنه يقيم مكانه على إحرامه ويبعث بهديه، فإذا نحر الهدي حل من إحرامه، وهذا قول ابن عباس، وابن مسعود ﷺ، والحسن، ومجاهد، وعطاء، وقتادة، ومذهب الحنفية.

ينظر: جامع البيان للطبري (١١٢/٢)، ومعاني القرآن للنحاس (١١٥/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٥١٤/١)"حصر"، والدر المصون للسمين الحلبي (٣١٤/٢).

(١) هذا مذهب الأئمة الأربعة، وأكثر الفقهاء رحمهم الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢١٥/٢)، وأحكام القرآن للجصاص (٣٣٨/١)، والكشف والبيان للثعلبي (١٠٠/٢)، والمغني لابن قدامة (٢٩٢/٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٣٢/١).

(٢) وهو الموضـــع الذي أحصـــر به فيذبحه ويحل، قاله جمهور العلماء. لأن النبي ﷺ وأصـــحابه عام الحديبية لما حصـــرهم كفار قريش عن الدخول إلى الحرم، حلقوا وذبحوا هديهم خارج الحرم، كما ثبت ذلك في صـحيح البخاري (٦٤١/٢)، برقم: (١٧١٣) كتاب الحج/باب إذا أحصـر المعتمر، وصـحيح مسـلم (١٤١٣/٣)، برقم: (١٧٨٦) كتاب الجهاد والسـير/باب صـلح الحديبية في الحديبية. هذا في حال الخوف وعدم التمكن من الوصـــول إلى الحرم، وأما في حال الأمن والوصـــول إلى الحرم فلا يجوز الحـلـق حـتى يـبـلـغ الهـدى محـلـه، وهـو الحـرم، لـقـولـه تـعـالى: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ﴾ [الفتح: ٢٥]. وقولـه تعـالى ﴿ هَدْيًا بَـٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ ﴾ [المائدة: ٩٥].

ينظر: أحكام القرآن لابن العربي (١٧٥/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٠٥/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٣٣/١).

نصف صاع.[١] قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ﴾ أي: إذا لم يكن خوف عدوٍ وخرجتم آمنين.

﴿فَمَن تَمَتَّعَ﴾ والتمتع بالعمرة إلى الحج هو: أن يُحرم بالعمرة في أشهر الحج ويفرغ من أعمالها، ويتحلل عنها، ويتمتع بما كان عليه بسبب الإحرام بالعمرة، ثم يُحرم بالحج في تلك السنة، ويأتي بأعماله، ويحرم به في مكة، ولا يعود إلى الميقات، ولم يكن من حاضري المسجد الحرام،[٢] وهم: الذين مساكنهم دون مسافة القصر من مكة.[٣]

﴿فَمَن تَمَتَّعَ﴾ كما ذكرنا، وتحلل عن العمرة وأحرم بالحج فعليه هدي، وهو شاة.

قوله: ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ﴾ وذلك قبل يوم النحر، ولا يجوز في أيام التشريق

---

(١) يشهد ذلك ما ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن معقل ﷺ، قال: قعدت إلى كعب بن عجرة في هذا المسجد، يعني: مسجد الكوفة، فسألته عن فدية من صيام، فقال: حملت إلى النبي ﷺ والقمل يتناثر على وجهي، فقال: «ما كنت أرى أن الجهد قد بلغ بك هذا، أما تجد شاة؟» قلت: لا، قال: «صم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام، واحلق رأسك» فنزلت فيّ خاصة وهي لكم عامة". أخرجه البخاري (١٦٤٢/٤)، برقم: (٤٢٤٥) كتاب الحج، باب قول الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖ﴾، ومسلم، (٨٥٩/٢)، برقم: (١٢٠١) كتاب الحج، باب جواز حلق الرأس للمحرم إذا كان به أذى.

(٢) ينظر في تفاصيل شروط التمتع وأدلتها: أحكام القرآن للجصاص (٣٥٣/١)، والاستذكار لابن عبد البر (٩٣/٤)، وأحكام القرآن لابن العربي (١٧٨/١)، والمغني لابن قدامة (٢٤٤/٣)، والمجموع للنووي (١٤٧/٧).

(٣) هذا قول الإمام أحمد والشافعي، وعطاء. وقال الإمام مالك: هم أهل مكة. وقال مكحول، وهو مذهب الحنفية: من كان دون الميقات. والأقرب القول الأول، فإن حاضر الشيء من دنا منه، ومن كان دون مسافة القصر قريب في حكم الحاضر؛ بدليل أنه إذا قصده لا يترخص رخص السفر فيكون من حاضريه وتحديده بالميقات لا يصح؛ لأنه قد يكون بعيداً يثبت له حكم السفر البعيد إذا قصده. وبسط هذه المسألة في كتب أحكام القرآن والفقه.

ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٣٥٣/١)، وأحكام القرآن لابن العربي (١٧٨/١)، والمغني لابن قدامة (٢٤٦/٣)، والمجموع للنووي (١٤٧/٧).

على القول الجديد للشافعي ﷺ، وإذا تأخر عن أيام التشريق صار فائتاً، ولزم القضاء.(١)

﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى الأوطان.

﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ لأنَّه لما قال: ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ﴾ في الرجوع، يحتمل أن يتوهَّم المتوهِّم أنَّ الفرض ثلاثة في الحج، أو سبعة في الرجوع؛ فأعلم الله تعالى بأنَّ المفروض صوم عشرة أيام.(٢)

وقوله: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ هي: شوال، وذو القعدة، وتسعة من ذي الحجة، فمن لم يدرك الوقوف بعرفة إلى طلوع الفجر من يوم النحر فقد فاته الحج.(٣)

---

(١) قاله علي، وابن عباس ﷺ، والحسن، ومجاهد، وقتادة، وطاوس، والسدي، وسعيد بن جبير، وعطاء، والشافعي في الجديد.

وذهب ابن عمر، وعائشة ﷺ، وعروة، والأوزاعي، ومالك، وأحمد، والشافعي في القديم إلى أنه يصوم بعد إحرامه وقبل يوم النحر، وإن فاته ذلك فله أن يصوم أيام التشريق، وهذا هو الأظهر، وهو اختيار الطبري رحمه الله، لحديث أم المؤمنين عائشة، وابن عمر ﷺ قالا: "لم يرخص في أيام التشريق أن يصمن إلا لمن لم يجد الهدي". أخرجه البخاري (٢/٧٠٣)، برقم: (١٨٩٤) كتاب الصوم/باب صيام أيام التشريق.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٢٥٢)، والنكت والعيون للماوردي (١/٢٥٦)، ومعاني القرآن للنحاس (١/١٢٤).

(٢) ينظر: معاني القرآن للنحاس (١/١٢٦)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١/٦٥٥)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٢٠٧).

(٣) هذا قول الشافعي رحمه الله في القديم، وقول ابن عمر رضي الله عنهما في رواية، وقتادة، وطاوس. وذهب ابن عباس، وابن مسعود، وابن عمر ﷺ، ومجاهد، والشعبي، والسدي، وعطاء، والضحاك، وهو مذهب أبي حنيفة، وأحمد، وقول الشافعي في الجديد: أنها شوال، وذو القعدة، وعشرة أيام من ذي الحجة، وهذا هو الأقرب، لأنه لا يصح الحج بعد ليلة النحر. وصح إطلاق الجمع على شهرين وبعض الثالث للتغليب، كما تقول العرب: رأيته العام، ورأيته اليوم، وإنما وقع ذلك في بعض العام واليوم، وقال تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ وإنما تعجل في يوم ونصف يوم.

ينظر: أحكام القرآن للشافعي (١/١١٤)، وجامع البيان للطبري (٢/٢٦٠)، وأحكام القرآن للجصاص (١/٣٧٣)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/١٨٦)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/٤٠٥).

﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ أي: فمن أوجب على نفسه الإحرام به.(١)

﴿فَلَا رَفَثَ﴾ أي: الجماع. (٢)

﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ أي: معاصي الله.(٣) ﴿وَلَا جِدَالَ﴾ أي: أن تماري صاحبك وتخاصمه حتى تغضبه.(٤)

---

(١) معنى: ﴿فَرَضَ﴾ في اللغة: ألزم وأوجب، يقال: فرضت عليك كذا، أي: أوجبته، والأصل في معنى الفرض: الحز والقطع، وال﴿فَرَضَ﴾ هنا بمعنى: أوجب وألزم، وذكر الطبري رحمه الله إجماع العلماء على أن فرض الحج: الإحرام.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٢٦٢)، والتفسير الكبير للرازي (٥/١٣٨)، ولسان العرب لابن منظور (٧/٢٠٢)"فرض".

(٢) وهو قول ابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر ﷺ، والحسن، وعمرو بن دينار، وقتادة، والربيع، والزهري، والسدي، وعطاء، والضحاك رحمهم الله. وقال طاوس رحمه الله: الرفث: التعريض للنساء بالجماع. وقال ابن عباس رضي الله عنه في رواية: الرفث: الإفحاش للمرأة في الكلام. والأظهر أن هذه الأقوال صحيحة، يجمعها قول الزجاج رحمه الله:" والرفث: كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من أهله".
ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٢٦٢)، ومعاني القرآن للزجاج (١/٢٧٠)، والكشف والبيان للثعلبي (٢/١٠٥).

(٣) أصل الفسق في اللغة: الخروج عن الشيء، والعرب تقول: فسقت الرطبة من قشرها لخروجها منه، والفأرة سميت فويسقة لخروجها من جحرها على الناس، والفسق في الشرع: الخروج عن طاعة الله بارتكاب معصية الله، كما فسق إبليس عن أمر ربه، قال ﷻ:﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾[الكهف:٥٠]، أي: عن رده أمر ربه، والمراد بالفسوق هنا: جميع المعاصي، في قول جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٢٦٨)، وتهذيب اللغة للأزهري (٨/٣١٥)"فسق"، ومعالم التنزيل للبغوي (١/١٧٢).

(٤) وبه قال جمهور المفسرين رحمهم الله. والجدال: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله من جدلت الحبل، أي: أحكمت فتله، ومنه الجدال، فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه،

قوله: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ أي وإن تفعلوا خيرا يثيب عليه.(١)

﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ قال المفسرون: كان ناس من أهل اليمن يحجُّون بغير زاد، ويقولون: نحن متوكِّلون، فيتوصَّلون بالناس، وربما ظلموا الناس وغصبوهم، فأمرهم الله تعالى أن يتزودوا ولا يظلموا.(٢)

﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ أن يتقي ما لا يجوز.

قوله ﷻ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: أن تتَّجروا في مواسم الحجِّ، فإنَّه من الكسب الحلال، ولا تختل من أركان الحجِّ بسببه، ولا يمنع

والأصل في الجدال: الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة، وهي: الأرض الصلبة. قال الرازي رحمه الله في التفسير الكبير (١٤٢/٥):"هذه الآية كالحث على الأخلاق الجميلة، والتمسك بالآداب الحسنة، والاحتراز عما يحبط ثواب الطاعات".

ينظر: المفردات للراغب (ص٨٩)"جدل"، ومعالم التنزيل للبغوي (١٧٣/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٠٩/٢).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٧٨/٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢٠٠/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤١٠/٢).

(٢) يؤيد ذلك ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوا الناس، فأنزل الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾". صحيح البخاري (٥٥٤/٢)،رقم الحديث: (١٤٥١) كتاب الحج/باب قول الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾.

منه.(١) ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ﴾ أي: رجعتم بكثرة.(٢)

﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾ هو: ما بين جبلي المزدلفة.(٣)

وقوله: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ أي: من جَمْعٍ إلى منى.(٤)

---

(١) يشهد لهذا المعنى ما ورد في سبب نزول الآية، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:"كانت عكاظ ومجنَّة وذو المجاز أسواقا في الجاهلية، فتأثموا أن يتجروا في المواسم فنزلت:﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ في مواسم الحجِّ". أخرجه البخاري في صحيحه (١٦٤٢/٤)، برقم: (٤٢٤٧) كتاب التفسير/باب ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ﴾.

(٢) الإفاضة: الدفع بكثرة، وأصله من قول العرب: أفاض الرجل ماءه، أي: صبّه، ويقال: فاض الإناء: إذا امتلأ ينصب من نواحيه، وفاض الماء إذا سال منصباً، والغيض: الماء الكثير، ويقال: "هذا غيض من فيض" أي: قليل من كثير، ورجل فياض، أي: يتدفق بالعطاء، ولا تكون الإفاضة في اللغة إلاّ عن تفرق وكثرة، و﴿أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ﴾ أي: دفعتم منها بكثرة، تشبيهاً بفيض الماء.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (١٣٦/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٥٤/١٢)"فضا"، والمفردات للراغب (ص٣٨٧)"فيض".

(٣) المشعر الحرام، والمزدلفة، والجمع، أسامي موضع واحد، فالمشعر هو: المعلم؛ من قول القائل: شعرتُ بهذا الأمر، أي: علمتُ، سمي بذلك لأن الصلاة عنده والمقام والمبيت والدعاء من معالم الحج التي أمر الله بها عباده، وسمي بالجمع، لأنه يجمع فيها بين صلاة المغرب والعشاء، وسمي مزدلفة، من الازدلاف، وهو: الاجتماع، وهو من جملة الحرم، ولذلك سمي المشعر الحرام.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٨٧/٢)، ومعاني القرآن للنحاس (١٣٨/١)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢٠٢/١).

(٤) هذا قول الضحاك. وذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد بالإفاضة: من عرفات إلى مزدلفة، والخطاب لقريش ومن تبعهم، و﴿ثُمَّ﴾ ليست للترتيب بل للعطف خاصة. وهذا القول هو الأظهر، بل حكى الطبري رحمه الله إجماع المفسرين على هذا القول، وذكر القرطبي رحمه الله أن لا معول على غيره من الأقوال، ويؤيد ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت:"كانت

قوله: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ سبب ذلك: أنَّ العرب كانت إذا فرغوا من حجِّهم وقفوا عند البيت، وذكروا مآثر آبائهم ومفاخرهم، يتفاخرون بذلك، فأمرهم الله تعالى بذكره.[1]

قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يسمَّون الحمس، وكان سائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه ﷺ أن يأتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها، فذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾". أخرجه البخاري (١٦٤٣/٤)، برقم: (٤٢٤٨) كتاب التفسير/باب ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾، ومسلم (٨٩٣/٢)، برقم: (١٢١٩) كتاب الحج/بابٌ في الوقوف وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾. وفي رواية لمسلم (٨٩٤/٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت:" الحُمْس هم: الذين أنزل الله ﷻ فيهم: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ قالت: "كان الناس يفيضون من عرفات وكان الحُمْس يفيضون من المزدلفة، يقولون: لا نفيض إلا من الحرم، فلما نزلت:﴿أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ رجعوا إلى عرفات".

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٩١/٢)، ومعني القرآن للنحاس (١٣٨/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٢٨/٢).

(١) يشهد لذلك ما رواه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٣٥٥/٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:" كان أهل الجاهلية يقفون في المواسم، فيقول الرجل منهم: كان أبي يطعم و يحمل الحمالات ويحمل الديات، ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم؛ فأنزل الله تعالى على نبيه محمد ﷺ:﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ ﴾". وروي عن أنس بن مالك ﷺ، وأبي وائل، و عطاء في أحد قوليه، وسعيد بن جبير، وعكرمة في إحدى رواياته، ومجاهد، والسدي، والربيع بن أنس، والحسن، وقتادة، ومحمد بن كعب، و مقاتل بن حيان، وغيرهم رحمهم الله نحو ذلك.

ينظر: تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني (٧٩/١)، وجامع البيان للطبري (٢٩٥/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٤٤/١).

وقوله: ﴿أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗا﴾ أي: وأشد ذكراً،(١) إذ يأتي على الرجل اليوم لا يذكر فيه أباه.(٢) ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ﴾ أي: في الحج. ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ﴾ أي: التوفيق والعصمة. ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ﴾ أي: النجاة والرحمة.(٣)

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾ أي: حظّ من الدعاء والخير الذي عملوه. ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ لأنه لا يحتاج إلى عقد وخط وروية وفكر، تعالى عن ذلك.

وقوله: ﴿فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ أراد القليل؛ لأنها ثلاثة أيام.(٤)

---

(١) " أو " ههنا بمعنى الواو، لتحقيق المماثلة في الخبر، كقوله تعالى: ﴿فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗ﴾ [البقرة:٧٤]. والمقصود من الآية: الحث على كثرة الذكر لله ﷻ، ولهذا كان انتصاب قوله تعالى: ﴿أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗا﴾ على التمييز، تقديره: "كذكركم آباءكم وأشد ذكراً"، أي: وأكثر ذكراً للآباء، لأنه هو المنعم ﷻ عليهم وعلى الآباء، ولأن مفاخر آبائهم كانت قليلة، أما صفات الكمال لله ﷻ فهي غير متناهية، فيجب أن يكون اشتغالهم بذكره ﷻ وذكر صفات كماله أشد من اشتغالهم بذكر مفاخر آبائهم.
ينظر: التفسير الكبير للرازي (٥/١٥٩)، ولباب التأويل للخازن (١/١٨٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٢٤٤).

(٢) ينظر: تفسير القرآن لابن أبي حاتم (٢/٣٥٥)، والكشف والبيان للثعلبي (٢/١١٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/١٧٦).

(٣) قال ابن كثير رحمه الله في تفسير القرآن العظيم (١/٢٤٤): "جمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا وصرفت كل شر، فإن الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي، من عافية، ودار رحبة، وزوجة حسنة، ورزق واسع، وعلم نافع، وعمل صالح، ومركب هنيء، وثناء جميل، إلى غير ذلك مما اشتملت عليه عبارات المفسرين، ولا منافاة بينها فإنها كلها مندرجة فى الحسنة في الدنيا، وأما الحسنة في الآخرة، فأعلى ذلك دخول الجنة، وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر فى العرصات، وتيسير الحساب، وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة، وأما النجاة من النار، فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدينا، من اجتناب المحارم والآثام، وترك الشبهات والحرام". أهـ.

(٤) المعدودات في اللغة: الشيء القليل، وهي أيام محصيات، سميت بذلك لأنها ثلاثة أيام، قال الزجاج

﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي: نفر إلى أهله بعد يومين ولم يصبر إلى الثالث، وهو النفر الأول. ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ وكذا من ﴿تَأَخَّرَ﴾ ثم نفر في النفر الثاني.

﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ قال كلٌّ جائز.[1] وقوله: ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ أي: لمن لم يعمل ذلك لضرب من الفساد، بل لأمر مباح.[2]﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي: تُجمعون في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: تستحسنه ويعظم في قلبك، ويقال في الاستحسان: أعجبني كذا، وفي الإنكار والكراهية: عجبت من كذا.[3]

في معاني القرآن (١/٢٧٥): "كل عدد قل أو كثر فهو معدود، ولكن معدودات أدلُّ على القلة". والأيام المعدودات هي: أيام التشريق في قول جماهير المفسرين، بل نقل الماوردي إجماع المفسرين على ذلك، وقد روي ذلك عن علي، وعمر، وابن عباس، وابن عمر، وغيرهم ﷺ. والذكر المأمور فيها: "التكبير" بلا خلاف، كما قاله ابن العربي في أحكام القرآن (١/١٩٧).

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٣٠٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٢/١١٨)، والنكت والعيون للماوردي (١/٢٦٣).

(١) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (١/٢١٨)، والتفسير الكبير للرازي (٥/١٦٥)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣/١٣).

(٢) قال السعدي رحمه الله: "هذا تخفيف من الله ﷻ على عباده في إباحة كلا الأمرين، ولكن من المعلوم أنه إذا أبيح كلا الأمرين فالمتأخر أفضل، لأنه أكثر عبادة، ولما كان نفي الحرج قد يفهم منه نفي الحرج في ذلك المذكور وفي غيره والحاصل أن الحرج منفي عن المتقدم والمتأخر فقط قيده بقوله: ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ أي: اتقى الله في جميع أموره وأحوال الحج، فمن اتقى الله في كل شيء حصل له نفي الحرج في كل شيء، ومن اتقاه في شيء دون شيء كان الجزاء من جنس العمل". تيسير الكريم الرحمن (ص٩٣).

(٣) الإعجاب: استحسان الشيء والميل إليه والتعظيم له، وقد يستعار للروق فيقال: أعجبني كذا، أي: راقني، والعجب والتعجب: حيرة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء، وحقيقة أعجبني كذا، أي: ظهر لي ظهوراً لم أعرف سببه. قال ابن عاشور: "والإعجاب: إيجاد العجب في النفس، والعجب: انفعال يعرض للنفس عند مشاهدة أمر غير مألوف خفي سببه، ولما كان شأن ما يخفى سببه أن ترغب فيه

نزلت في الأخنس بن شريق[١٠/ب]الثقفي،(١) حليف بني زهرة،(٢) واسمه أبيّ، وكان رجلاً حلو الكلام، يأتي رسول الله ﷺ، فيجالسه ويظهر الإسلام، ويخبره أنه يحبه، ويحلف بالله على ذلك، كما قال الله تعالى: ﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ﴾ يعني قوله: والله إني بك لمؤمن ولك محب، ويعلم الله خلاف ذلك.(٣)

النفس، صار العجب مستلزماً للاستحسان، فيقال: أعجبني الشيء، بمعنى: أوجب لي استحسانه، قال الكواشي: يقال: في الاستحسان: أعجبني كذا، وفي الإنكار: عجبت من كذا". التحرير والتنوير (٢/٢٦٦).

ينظر: المفردات للراغب (ص٣٢٢)"عجب"، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/١١٦)، والدر المصون للسمين الحلبي (٢/٣٤٧).

(١) هو: الأخنس بن شَرِيق، اسمه: أبيّ بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي، حليف بني زهرة، وإنما لقب الأخنس؛ لأنه رجع ببني زهرة من بدر لما جاءهم الخبر أن أبا سفيان نجا بالعير، فقيل: خنس الأخنس ببني زهرة فسمي بذلك، ثم أسلم الأخنس يوم فتح مكة، وشهد مع رسول الله ﷺ حنيناً فأعطاه مع المؤلفة قلوبهم، وتوفي في أول خلافة عمر ﷺ، ونفى ابن عطية رحمه الله في تفسيره إسلام الأخنس؛ وذكر بأنه ما ثبت قط أنه أسلم، وأثبت ابن حجر رحمه الله إسلامه، وذكر بأنه لا مانع أن يسلم ثم يرتد ثم يرجع إلى الإسلام والله أعلم.

ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (١/٢٧٩)، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (٤/١٥٢)، وأسد الغابة لابن الأثير (١/٧٦)، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١/٣٨).

(٢) هم بطن من قريش، وسموا بذلك نسبة لزهرة بن كلاب بن مرة، منهم جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، وكان بنو زهرة يقولون: نحن أخوال رسول الله ﷺ، لأن آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ منهم.

ينظر: نسب قريش للزبيري (٧/٢٥٧)، والمعارف لابن قتيبة (١/٧٠)، وأنساب الأشراف للبلاذري (١٠/٧).

(٣) روى الطبري في جامع البيان (٢/٣١٢) وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٢/٣٦٤)، والواحدي في أسباب النزول (ص١٧٧) سبب النزول المذكور هنا ونسبوه للسدي رحمه الله، وهو مرسل، وفي سنده: أسباط بن نصر؛ وهو ضعيف، ذكره ابن الجوزي في الضعفاء والمتروكين (١/٩٦)، وضعفه أبو حاتم كما في تهذيب الكمال للمزي (٢/٣٥٨). وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أنها نزلت في نفر من المنافقين تكلموا في خبيب وأصحابه الذين قُتلوا بالرجيع وعابوهم. وقال قتادة، ومجاهد، والربيع بن أنس، وغيرهم

﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ أي: شديد الخصومة.(١)

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾ أي: أعرض عنك. ﴿سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: عمل فيها.(٢)

﴿لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ الفساد: اسم لجميع المعاصي.(٣) ﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾ أي:

رحمهم الله: بل ذلك عام في المنافقين كلهم. وهذا القول هو الأصح، وهو الذي رجحه الرازي، وابن كثير رحمهما الله، فهي عامة في حق كل من كان موصوفاً بهذه الصفات المذكورة.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣١٢/٢)، والتفسير الكبير للرازي (١٦٨/٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٤٧/١).

(١) قاله أكثر المفسرين، وروي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، كما في تفسير القرآن لابن أبي حاتم (٣٦٥/٢). والألدّ في اللغة: مشتق من اللَّدِيدَين وهما: صَفْحتا العُنق، أي: في أيّ جانبٍ أخذ من الخصومة غلب، يقال: رجل أَلَدُّ، وامرأة لَدَّاء، فصاحب هذه الصفة، يأخذ من جانب ويدع الاستقامة. والخِصام: جمع خَصْم، نحو صِعاب وصَعْب، وخصْمٌ أَلَدّ: شديد الخصومة والجدل، وفي الحديث عن النبي ﷺ:" إن أبغض الرجال إلى الله الألَدُّ الخَصِم". أخرجه البخاري (٨٦٧/٢)، برقم: (٢٣٢٥) كتاب المظالم/باب قول الله تعالى:﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣١٥/٢)، ومعاني القرآن للنحاس (١٤٩/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٤٨/١٤)"لد".

(٢) أصل السعي: المشي بسرعة، ولكنه مستعار لإيقاع الفتنة والتخريب بين الناس، ومنه يقال: فلان يسعى بالنميمة.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣١٦/٢)، والتفسير الكبير للرازي (١٧١/٥)، والمفردات للراغب (ص٢٣٣)"سعى".

(٣) قاله أكثر المفسرين.

وأصل الفساد: خروج الشيء عن الاعتدال قليلاً كان الخروج عنه أو كثيراً، ويضاده الصلاح، ويستعمل ذلك في الأشياء الخارجة عن الاستقامة، يقال: فسد فساداً فهو فاسد، وأفسده غيره.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣١٧/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٥٧/١٢)، والمفردات للراغب (ص٣٧٩)، ولسان العرب لابن منظور (٣٣٥/٣)"فسد".

بشؤم معصيته.[1] قوله:﴿فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ أي: يكفيه النار في جزاء كفره وسوء أعماله،[2] وجهنم: اسم للنار.[3] ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ أي: الفراش.[4]

---

(١) وهذا قول مجاهد رحمه الله، ووجه ذلك: أنه إذا سعى في الأرض بالعدوان والظلم، فيحبس الله بذلك القطر فيهلك الحرث والنسل؛ بدليل قوله تعالى:﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الروم:٤١]. وقال أكثر المفسرين: الحرث: محل نماء الزروع والثمار، والنسل: نتاج الحيوانات، اللّذين لاقوام للناس إلا بهما. وكلا القولين صحيح؛ تحتملهما الآية الكريمة. قال أبو حيان رحمه الله:" ويدخل تحت الفساد إهلاك الحرث والنسل، ولكنه خصهما بالذكر، لأنهما أعظم ما يحتاج إليه في عمارة الدنيا، فكان إفسادهما غاية الإفساد". البحر المحيط (١٢٥/٢).

ينظر: جامع البيان للطبري (٣١٧/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١٢٤/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٤٧/١).

(٢) وفي هذه الجملة من الآية الكريمة: تخويفٌ يقتضي التحذير مما وقع به الذم في الآية، وفيه أيضاً: استعظام لما حل به من العذاب، كما تقول للرجل: كفاك ما حل بك؛ إذا استعظمت وعظمت عليه ما حلّ به.

ينظر: تفسير القرآن للسمعاني (٢٠٨/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢٨٢/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (١٢٦/٢).

(٣) جهنم: علم للنار، وهي عربية مشتقة من قولهم: من قول العرب: بئر جهنام، إذا كانت بعيدة القعر، فسميت نار الآخرة جهنم: لبعد قعرها، وجهنم لا تنصرف للتعريف والتأنيث.

ينظر: المفردات للراغب (ص١٠٢)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٣٢٣/١)، ولسان العرب لابن منظور (١١٢/١٢)"جهنم".

(٤) قاله جماهير المفسرين.

والمهاد: جمع مَهْد، وهو: الموضع المهيأ للنوم، ومنه مَهْد الصبي، وأصل المهد التوثير، والمهاد: الوطاء الفراش، وجعلت جهنم لهم بدل فراش يفترشونه من باب التهكم والاستهزاء.

ينظر: العين للخليل (٣١/٤)، والمفردات للراغب (ص٤٧٦)"مهد"، والبحر المحيط لأبي حيان (١٢٧/٢).

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ أي: يبيع نفسه[١] لطلب رضى الله تعالى، والمرضاة: مفعله من الرضا، وردت في صهيبٍ ﷺ،[٢] لما أقبل مهاجراً نحو النبي ﷺ اتبعه نفر من مشركي قريش، فنزل عن راحلته، وانتثل[٣]ما في كنانته،[٤] وقال: يا معشر قريش؛ لقد علمتم أني من أرماكم، والله لا أضع سهما مما في كنانتي إلا في قلب رجل، وأيم الله لا تصلون إلي حتى أرمي بكل سهم في كنانتي، ثم أضرب بسيفي مابقي في يدي، وإن شئتم دللتكم على مالي وقنيتي بمكة وخليتم سبيلي؟ قالوا: نعم، ففعل ذلك، فأنزل الله

---

(١) الشراء والبيع يتلازمان، يستعمل كل واحد منهما في موضع الآخر، فالمشتري دافع الثمن وآخذ المثمن، والبائع دافع المثمن وآخذ الثمن، وشريت بمعنى: "بعت" أكثر، وابتعت بمعنى: "اشتريت" أكثر، وأكثر المفسرين على أن المراد بالشراء هنا: البيع.
ينظر: المفردات للراغب (ص٢٦٠)"شرى"، والتفسير الكبير للرازي (١٧٤/٥)، ولسان العرب لابن منظور (٤٢٧/١٤)"شري".

(٢) هو صهيب بن سنان بن مالك، من بني أوس بن مناة من اليمن، كان أصله سبي بالروم ووافوا به في الموسم واشتراه عبد الله بن جدعان القرشي، وأسلم في دار الأرقم، وكان من المستضعفين ممن عُذِّبوا في الله، حتى هاجر إلى المدينة وشهد بدراً والمشاهد بعدها، وتوفي بالمدينة سنة: ثمان وثلاثين من الهجرة ﷺ.
ينظر: معجم الصحابة للبغوي (٣٤٣/٣)، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني (١٤٩٦/٣)، وأسد الغابة لابن الأثير (٣٨/٣).

(٣) أي: أخرج ما فيها من سهام، يقال: نثَل ما في كنَانته: إذا صبَّها ونثَره، وأصل النثل: نثرك الشيء بمرة واحدة، ونثل ما في كنانته: إذا صبها يتبع بعضها بعضاً بسرعة، ونثيلة البئر: ما اجتمع من ترابها المستخرج منها.
ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٦٦/١٥)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (١٥/٥)، ولسان العرب لابن منظور (٦٤٥/١١)"نثل".

(٤) الكنانة: جعبة السهام تتخذ للنبل.
ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٣٣٤/٩)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٢٠٦/٤)، ولسان العرب لابن منظور (٣٦١/١٣)"كنن".

هذه الآية.[١]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ أي: ادخلوا في السلم كله، يعني: في جميع شرائعه، و﴿ٱلسِّلْمِ﴾: الإسلام.[٢]﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾ أي: آثاره ونزغاته فيما زين لكم من تحريم السبت ولحم الجمل.[٣]

---

(١) رواه الطبري في جامع البيان (٢/٣٢١) عن الربيع، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٢/٣٦٨) عن سعيد بن المسيب، والطبراني في المعجم الكبير (٨/٢٩) عن ابن جريج، والحاكم في المستدرك وصححه على شرط مسلم عن عكرمة (٣/٤٥٠)، برقم: (٥٧٠٠). والآية الكريمة إن صح سبب نزولها في صهيب ﷺ إلا أن أكثر المفسرين حملوا ذلك على أنها نزلت في كل مجاهد في سبيل الله، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٣٢٢)، وتفسير الهداية لمكي (١/٦٨٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير(١/٢٤٨).

(٢) قاله جمهور المفسرين، وروي ذلك عن مجاهد، وقتادة، والسدي، وابن زيد، والضحاك رحمهم الله تعالى. وقال الربيع، وقتادة رحمهما الله: هو الطاعة، وكلا القولين مأثور عن ابن عباس رضي الله عنهما، وكلاهما حق، فإن الإسلام هو الطاعة، وأصله من الاستسلام والانقياد.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٣٢٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٢/١٢٦)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٧/٢٦٦).

(٣) هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما في رواية أبي صالح عنه: أنها نزلت فيمن أسلم من أهل الكتاب، كانوا بعد إسلامهم يتقون السبت ولحم الجمل وأشياء يتقيها أهل الكتاب.وقال الضحاك وهي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما: إنها نزلت في أهل الكتاب الذين لم يسلموا، أمروا بالدخول في الإسلام. وقال مجاهد، وقتادة: أنها نزلت في المسلمين يأمرهم بالدخول في شرائع الإسلام كلها. والأظهر أن الآية عامة لكل من شمله اسم الإيمان فلا وجه لتخصيص بعض دون بعض، وهذا اختيار الطبري رحمه الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٣٢٤)، والكشف والبيان للثعلبي (٢/١٢٧)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٢٢٤).

قوله: ﴿ فَإِن زَلَلْتُم ﴾ أي: ضللتم.(١) ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ أي: آيات القرآن.(٢) ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ في انتقامه ﴿حَكِيمٌ ﴾ في أمره، عليم بتدبير الأمور على الحكمة.

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ الآية، أي: هل ينتظرون، (٣) معناه: يأتيهم العذاب فجأة إتيان المنتظر.(٤)

---

(١) ﴿زَلَلْتُم ﴾ من زلَّ يَزِلُّ: إذا ضلَّ عن الطريق، يقال: زلَّت قدمه تزِلُّ زَلاًّ وزَلَلاً: إذا دحضت وزلَّ في الطين، والزلَّة في الأصل: استرسال الرِّجْل من غير قصد، يقال: زلَّت رِجْلٌ تزِلُّ، ثم يستعمل في الاعتقادات والآراء وغير ذلك.

ينظر: المفردات للراغب (ص٢١٤)"زل"، وتاج العروس للزبيدي (١٢٨/٢٩)"زلل".

(٢) هذا قول ابن جريج. وقال السدى: البينات: محمد ﷺ. وقال مقاتل بن حيان: البينات: ما أنزل الله من الحلال والحرام. والأظهر أن جميع هذه الأقوال صحيحة، وكلها من البينات والحجج، فإن اللفظ يتناول جميع ذلك، وهو اختيار الطبري، والرازي، رحمة الله على الجميع.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٢٦/٢)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٣٧١/٢)، والتفسير الكبير للرازي (١٧٩/٥).

(٣) وبه قال عامة المفسرين. يقال: نظرته وانتظرته بمعنى واحد، تقول العرب: أنظرني: أي: انتظرني قليلاً، ويقول المتكلم لمن يعْجلُه: أنظرني أبتلع ريقي؛ أي: أمهلني، ويقال: بعتُ فلاناً شيئاً فأنظرته، أي: أمهلته، والاسم منه النَّظِرَة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ [البقرة:٢٨٠]، أي: إنظاره، فإذا كان النظر مقروناً بذكر الوجه، أو "إلى" لم يكن إلا بمعنى الرؤية.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢٦٤/١٤)، والمفردات للراغب (ص٤٩٧)"نظر"، ومعالم التنزيل للبغوي (١٨٤/١).

(٤) هذا تأويل من المصنف رحمه الله لصفة الإتيان لله تعالى بإتيان العذاب؛ والصواب في ذلك مذهب السلف الصالح في إثبات صفة الإتيان لله تعالى كما يليق بجلاله، من غير تمثيل ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تشبيه، والله تعالى منزه عن أن يحيط به شيء في عظمته، كما أثبت ذلك القرآن الكريم في قوله ﷻ: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر:٢٢]، وحديث عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ

وقوله: ﴿فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ الظلة: كل ما أظل. و﴿ٱلْغَمَامِ﴾ السحاب الأبيض.(١)

قوله: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ هذا السؤال للتنبيه والتقرير، أي: خذ إقرارهم فإنهم لا ينكرون آياتنا.(٢) قوله: ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ أي ومن يبدل نعم الله بتغيير كتاب الله، وإنما كانت البينات نعمة عليهم لأنهم استهانوا بها كون ما جاء به موسى من التوراة.

قوله: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ أي زينها الشيطان والغواة لهم؛(٣) لأن الله زهّد

قال:" يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياماً أربعين سنة، شاخصةً أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء، قال: وينزل الله ﷻ في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي ثم ينادي مناد ...." الحديث بطوله أخرجه محمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٣٠٣/١)، والطبراني في الكبير (٣٥٧/٣)، وحسنه الذهبي في العلو للعلي الغفار (ص٩٢). وقال الهيثمي في المجمع (٣٤٣/١٠):"رواه الطبراني من طرق، ورجال أحدها رجال الصحيح". وعلى هذا المعتقد مضت أئمة السلف وعلماء السنة، وأهل السنة والجماعة.

ينظر: التوحيد لابن مندة (ص٨٠٣)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٥٧٧/٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٤٩/١).

(١) الظُّلَل: جمع ظُلَّة وظِلال، أو جمع ظِلّ. والغمام: السحاب الأبيض الرقيق الذي لا ماء فيه، مأخوذ من الغمّ، وأصله: التغطية والستر، ومنه يقال للقلب الحزين: مغموم، لأن الحزن غطى قلبه، وسمي السحاب بالغمام: لأنه يغطي وجه الشمس.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٢٧/٢)، والمفردات للراغب (ص٣١٤/٣٦٥)"ظلل، غم"، ولسان العرب لابن منظور (٤٤١/١٢)" غمم ".

(٢) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٢٨٤/١)، والتفسير الكبير للرازي (٣/٦)، ولباب التأويل للخازن (١٩٩/١).

(٣) وبه قال الحسن، رحمه الله، ودليل تزيين الشيطان قوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[الأنعام:٤٣]، وتزيين الغواة كقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾[الأنعام:١٣٧]. وقال أكثر المفسرين: أن المزيّن هو الله ﷻ للابتلاء، بدليل قوله ﷻ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ

فيها. ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: أن الكفار خطّأوا آراء المهاجرين في ترك أموالهم وأوطانهم وهجرتهم.(١) ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يعني: يعطي ثواب الأعمال، ثم يعطي ما يشاء من فضله بلا حساب العمل.(٢)

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ معناه: كان الناس منذ زمن نوح عليه السلام كفارًا،(٣) وأراد غير من

عَمَلًا﴾[الكهف:٧]، وقوله تعالى:﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾[الأنعام:١٠٨]، وكلا القولين جائز وصحيح باعتبار، كما قرر ذلك الزجاج رحمه الله. قال ابن عطية رحمه الله:"المزيِّن هو خالقها ومخترعها وخالق الكفر، ويزيِّنها أيضاً الشيطان بوسوسته وإغوائه". المحرر الوجيز (١/٢٨٤). وتزيين الله تعالى لأعمال العباد على نوعين: ١) كوني قدري، مثل تقدير أن تكون المحرمات حسنة في نظر أصحابها، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾[النمل:٤].

٢) شرعي، وهو تحسين الطاعات لأهل الإيمان، ومنه قوله تعالى:﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[الحجرات:٧].

ينظر: معاني القرآن للزجاج (١/٢٨٢)، ودرج الدرر في تفسير الآي والسور للجرجاني (١/٣٧٦)، والنكت والعيون للماوردي (١/٢٧٠).

(١) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني (١/٢١٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/١٨٥)، والتفسير الكبير للرازي (٦/٧).

(٢) ينظر: معالم التنزيل للبغوي (١/١٨٥)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٢٨٥)، ولباب التأويل للخازن (١/٢٠٠)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/١٤٠).

(٣) هذا قول عطاء والحسن رحمهما الله، ورواية عن ابن عباس رضي الله عنهما.وذهب قتادة وعكرمة، ورواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان الناس من وقت آدم إلى مبعث نوح عليهما السلام، عشرة قرون كلّهم على شريعة واحدة من الحق والهدى، ثم اختلفوا في زمن نوح عليه السلام؛ فبعث الله إليهم نوحاً ثم بَعث بعده النبيين مبشرين ومنذرين. وهذا القول هو الأصح؛ بدليل ما بعده من قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ الآية، أي: من بعد ما قامت الحجج عليهم، وما حملهم على ذلك إلا البغي من بعضهم على بعض، وللتصريح بهذ المحذوف في آية أخرى وهي قوله تعالى:

كان آمن منهم. ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ يعني: يبشرون من أطاع بالجنة، وينذرون من عصى بالنار. قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ يعني: أحسبتم.(١)

﴿أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ﴾ الآية، نزلت في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد وشدة الخوف وضيق العيش.(٢)

قوله: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ﴾ أي: صفة الذين مضوا ﴿مِن قَبْلِكُم﴾.(٣)

﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ﴾ يعني: الفقر والضر والشدة والبلاء، ﴿وَٱلضَّرَّآءُ﴾ أي: المرض.(٤)

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْ﴾[يونس:١٩]، والقرآن يفسر بعضه بعضاً، ورجح ابن كثير رحمه الله هذا القول، وقال عنه:" إنه أصح سنداً ومعنىً ".

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٣٤/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١٣٢/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٥١/١).

(١) اختلف المفسرون وأهل اللغة في المراد بـ" أم " هنا: فقال أبو عبيدة، والفراء، وتبعهم المؤلف في ذلك: أنها بمعنى الهمزة. أي: أحسبتم، فعلى هذا يبتدأ بها في أول الكلام، ولا تحتاج إلى الجملة قبلها يضرب عنها. وقال أبو البقاء العكبري رحمه الله: أنها منقطعة مقدرة بـ"بل والهمزة"، أي: "بل أحسبتم". فتتضمن إضراباً، وهو: انتقال من كلام إلى كلام، ويدل على استفهام لكنه استفهام تقرير. وهذا القول أصح، وهو الذي رجحه أبو حيان رحمه الله.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٧٢/١)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (٢٩٥/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٥١٥/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (١٤٨/٢).

(٢) روى هذا السبب عبد الرزاق الصنعاني في تفسير القرآن (٨٣/١)، والطبري في جامع البيان (٣٤١/٢) عن قتادة رحمه الله مرسلاً، ورواه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٣٧٩/٢) عن السدي رحمه الله، وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص١٨٠).

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢٨٥/١)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢١٥/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٣٢/١).

(٤) قاله أكثر المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٤١/٢)، ومعاني القرآن للنحاس (١٦٤/١)، وتفسير القرآن للسمعاني

﴿وَزُلۡزِلُواْ﴾ أي: حرّكوا بأنواع البلايا والرزايا وخُوِّفوا.[1] ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ أي: استبطئوا النصر. قال الله تعالى:﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾.

قوله:﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ نزلت في عمرو بن الجموح،[2]وكان شيخاً كبيراً ذا مالٍ فقال: يارسول الله! بماذا نتصدق وعلى من ننفق؟ فأنزل الله هذه الآية.[3]

ومعنى ﴿مَاذَا﴾: أيُّ شيء.[4]

(٢١٥/١)، والمفردات للراغب (ص٧٧)"بؤس".

(١) وبه قال جماهير المفسرين. والزلزلة: مأخوذة من الزلل، يقال: زلزل القوم، إذا أوقع في قلوبهم الخوف والحذر، والزلزلة: التخويف والتحذير، وأصل الزلزلة في اللغة: من أزال الشيء عن مكانه، والزلازل عند العرب: الأمور الشداد التي تحرك الناس وتزيلهم عن السكون والدعة.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٤١/٢)، وتفسير السمرقندي (١٦٧/١)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢١٥/١)، والمفردات للراغب (ص٢١٤)"زل".

(٢) هو عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام الأنصاري السلمي الخزرجي ﷺ، كان آخر الأنصار إسلاماً، شهد العقبة ثم شهد بدراً، ولما أراد الخروج إلى أحد استقبل القبلة وقال:" اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني إلى أهلي خائباً"، فكان له ما تمنى، وقتل يوم أحد شهيداً، ودفن هو وعبد الله بن عمرو بن حرام في قبر واحد، رضي الله عن الصحابة أجمعين.

ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١١٦٨/٣)، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (١٩١/٣)، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٦١٥/٤).

(٣) ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره (١١٢/١)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٣٦/٢)، والواحدي في أسباب النزول (ص١٨٠) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) في ﴿مَاذَا﴾ مذهبان للعرب: **أحدهما**: أن تجعل (**ما**) استفهاماً، بمعنى: أيّ شيء، و(**ذا**) بمعنى (**الذي**) و﴿يُنفِقُونَ﴾ صلته، والعائد محذوف فتكون (**ما**) مبتدأ و(**ذا**) وصلته خبر، ولا تجعل (**ذا**) بمعنى (**الذي**) إلا مع (**ما**) عند البصريين، وأجاز الكوفيون ذلك مع غير (**ما**).

والثاني: أن تجعل (**ما**) و(**ذا**) بمنزلة اسم واحد للاستفهام وموضعه هنا نصب بـ﴿يُنفِقُونَ﴾ وموضع الجملة نصب بـ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ﴾ على المذهبين، وأجمع النحويون على جواز كلا الوجهين.

﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ والله يعلمه ويجزيكم به.(١)

هذا في التطوع.(٢) ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ﴾ أي: مشقة لكم، وأراد أنه كُرهٌ من حيث نفور الطبع عنه، لما فيه من المؤنة المالية، ومشقة النفس، وخطر الروح، لا أنهم أظهروا الكراهة وكرهوا أمر الله تعالى.(٣) ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لأنّ في الغزو إحدى الحسنيين: إما الظفر، وإما الشهادة والجنة.[١١/أ]

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا﴾ يعني: القعود عن الغزو ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ لما فيه من الذلّ والفقر وحرمان الغنيمة والأجر. ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ روي عن المفسرين أنهم قالوا: بعث رسول الله ﷺ عبد الله

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢٨٧/١)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (١٧٢/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (١٥٠/٢).

(١) ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ دلالة على المجازاة، لأنه إذا كان عالماً به جازى عليه، فهي جملة خبرية، وتتضمن الوعد بالمجازاة، فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، فيجازي المحسن أحسن الجزاء، كما قال تعالى: ﴿أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران:١٩].

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٤٢/٢)، والتفسير الكبير للرازي (٢٢/٦)، والبحر المحيط لأبي حيان (١٥١/٢).

(٢) قاله مقاتل بن سليمان، وابن جريج، وابن زيد. فصدقة التطوع في الأقربين أفضل منها في غيرهم.
ينظر: جامع البيان للطبري (٣٤٢/٢)، وأحكام القرآن لابن العربي (٢٠٤/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٥٢/١).

(٣) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (١٣٧/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٨٨/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٣٤/١).

بن جحش ﷺ، وهو ابن عمة النبي ﷺ،(١) في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين على رأس سبعة عشر شهراً من مقدمه إلى المدينة، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين: سعد بن أبي وقاص الزهري،(٢) وعكاشة بن محصن الأسدي،(٣) وعتبة بن غزوان السُّلمي(٤)وغيرهم،

---

(١) هو عبد الله بن جحش بن رئاب الأسدي، أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، ومن المهاجرين الأولين، وممن هاجر الهجرتين، شهد بدراً، واستشهد يوم أحد، يُعرف بـ: المجدع في الله لأنه مُثِّل به يوم أحد وقطع أنفه ﷺ.
ينظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (١٦٠٦/٣)، والاستيعاب لابن عبد البر (٨٧٧/٣)، وأسد الغابة لابن الأثير (١٩٥/٣).

(٢) هو سعد بن مالك، واسم أبي وقاص: مالك بن وُهيب بن عبد مناف القرشي الزهري، يكنى أبا إسحاق، أسلم بعد ستة وكان عمره لما أسلم سبع عشرة سنة، وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، شهد بدراً، والمشاهد كلها مع رسول الله، ﷺ، وأبلى يوم أحد بلاء عظيماً، وهو أول من أراق دماً في سبيل الله، وأول من رمى بسهم في سبيل الله ﷺ.
ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١٣٧/٣)، وأسد الغابة لابن الأثير (٤٣٢/٢)، وتهذيب الأسماء للنووي (٢٠٧/١).

(٣) هو عكاشة بن محصن الأسدي، شهد بدرا مع رسول الله ﷺ، هو السابق بدعوة النبي ﷺ أن يجعله من الذين يدخلون الجنة بغير حساب، شهد بدراً وأبلى فيها بلاء حسناً، وانكسر سيفه فأعطاه رسول الله ﷺ عوداً فصار بيده سيفاً يومئذ، وشهد أحداً والخندق وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، وتوفي في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عن الصحابة أجمعين.
ينظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٢٢٣٧/٤)، والاستيعاب لابن عبد البر (١٠٨٠/٣)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٥٠/٣).

(٤) هو عتبة بن غزوان بن الحارث بن جابر المازني، يكنى أبا عبد الله، كان إسلامه بعد ستة رجال فهو سابع سبعة في إسلامه، هاجر إلى الحبشة وهو ابن أربعين سنة، ثم قدم على النبي ﷺ وهو بمكة وأقام معه حتى هاجر إلى المدينة مع المقداد بن عمرو، ثم شهد بدراً والمشاهد كلها، واستعمله عمر ﷺ على البصرة والياً فمات في الطريق سنة سبع عشرة ﷺ.
ينظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٢١٢٦/٤)، والاستيعاب لابن عبد البر (١٠٢٦/٣)، والمنتظم لابن الجوزي (٢٤٤/٤).

وكتب لأميرهم عبد الله بن جحش كتاباً، فقاتلوا بعض المشركين وأصابوا غنيمة، وكان آخر يوم من جمادى الآخرة، وشكُّوا في رؤية هلال رجب، وقالت قريش: استحلّ محمدٌ الشهر الحرام، فأنزل هذه الآية.(١) والمراد بالشهر الحرام: رجب، سمي بذلك: لتحريم القتال فيه،(٢) ولعظم حرمته، ويدعى أصمّ، إذ لا يُسمع فيه قعقعة السلاح.(٣)

وقوله: ﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾ بدل من الشهر الحرام، يعني: يسألونك عن قتال في الشهر الحرام، ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ هنا تم الكلام.(٤) ثم قال: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وذلك منعُهم

---

(١) روى هذا السبب بمعناه الطبري في تاريخه (١٦/٢) عن السدي، وفي جامع البيان (٣٤٧/٢)، عن عروة بن الزبير، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٣٨٤/٢)، والطبراني في المعجم الكبير (١٦٢/٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١١/٩) عن جندب بن عبد الله ﷺ.

(٢) اختلف العلماء في تحريم القتال في الأشهر الحرم هل هو باقٍ أم منسوخ؟ على قولين: **أحدهما**: أنه باقٍ، وهو قول عطاء رحمه الله، وكان يحلف أنه ثابت، لأن الآيات التي بعدها عامة في الأزمنة وهذا خاص؛ والعام لا يُنسخ بالخاص باتفاق.

والثاني: أن القتال جائز في الشهر الحرام، وهذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[التوبة:٥]، وبقوله تعالى: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾[التوبة:٢٩]، وهذا قول فقهاء الأمصار، ولأن ﷺ النبي غزا هوازن بحنين، وثقيفاً بالطائف، وأرسل أبا العاص إلى أوطاسٍ لحرب مَنْ بها من المشركين في بعض الأشهر الحرم، وكانت بيعة الرضوان على قتال قريش في ذي القعدة. والذي يظهر والعلم عند الله، بقاء الحرمة، والآية صريحة في ذلك: ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾، وأما قتال النبي ﷺ فيها فليس ابتداءً؛ وإنما استمر القتال أو الحصار حتى دخلت عليه الأشهر الحرم. وبسط هذه المسألة في كتب الفقه، وأحكام القرآن.

ينظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢٠٦/١)، والمبسوط للسرخسي (٢٦/١٠)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٣/٣)، وزاد المعاد لابن القيم (٣٤١/٣).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٤٦/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١٤٠/٢)، وفضائل الأوقات للبيهقي (ص٨٤)، والتبصرة لابن الجوزي (٢٢/٢).

(٤) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢٨٩/١)، وإعراب القرآن للنحاس (٣٠٧/١)، والتبيان في إعراب

رسولَ الله ﷺ وأصحابه من البيت. ﴿وَكُفْرٌ بِهِۦ﴾ أي: بالله.

﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي: وبالمسجد الحرام.[1] قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ يعني: مشركي مكة. ﴿يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ أي: يا معشر المؤمنين ﴿حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ﴾ أي: يصدّوكم ويصرفوكم ﴿عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾.

﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ أي: حسناتهم.[2] قوله: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

وروي أنه قال أصحاب السرية:" يا رسول الله! هل نؤجر على وجهنا هذا؟ وهل نطمع أن يكون سفرنا هذا غزواً؟ فأنزل الله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾".[3]

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾ عشائرهم ومنازلهم﴿وَجَٰهَدُوا۟﴾ أي:المشركين.

﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: في نصرة الدين، فجعله جهاداً وغزواً، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ

القرآن للعكبري (١/١٧٤).

(١) ينظر: التفسير الكبير للرازي (٦/٢٨)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/١٥٥)، والدر المصون للسمين الحلبي (٢/٣٩٣).

(٢) اختلف العلماء رحمة الله عليهم في المرتدّ، هل يحبط عمله نفس الردة أم لا يحبط إلا على الموافاة على الكفر؟ فقال الشافعي وأحمد في رواية: لا يحبط له عمل إلا بالموافاة كافراً. وقال أبو حنيفة ومالك ورواية أخرى عن أحمد: يحبط بنفس الردة. والقول الأول أصح، فإن الله سبحانه علق إحباط العمل على الردة والموت، والمعلق على شرطين لا يوجد إلا بوجودهما. ويظهر الخلاف في المسلم إذا حج ثم ارتدَّ ثم أسلم؛ فقال مالك وأبو حنيفة رحمهما الله: يلزمه الحج، لأن الأول قد حبط بالردة، وقال الشافعي رحمه الله: لا إعادة عليه لأن عمله باقٍ.

ينظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/٢٠٧)، وبدائع الصنائع للكاساني (١/٩٥)، والمغني لابن قدامة (١/٢٣٩)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٤/٢٥٨).

(٣) رواه الطبري بنحوه في جامع البيان (٢/٣٥٦)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٢/٣٨٨) عن عروة ابن الزبير رحمه الله، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢/١٤١) بلا نسبة.

ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

قوله:﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ لما نزلت هذه الآية تركها قوم وقالوا: لا حاجة لنا في شيء فيه إثم كبير، وشربها قومٌ لقوله:﴿ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ وكانوا يستمتعون بمنافعها، ويجتنبون آثامها، إلى أنْ صنع عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه[1] طعاماً فدعا ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ وآتاهم الخمر، فشربوا وسكروا، وحضرت صلاة المغرب فقدموا بعضهم ليصلي بهم، وقيل: كان علياً رضي الله عنه، فقرأ: (قل يا أيها الكافرون، أعبد ما تعبدون) هكذا إلى آخر السورة بحذف "ولا"، فأنزل الله ﷻ:﴿ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾ [النساء:٤٣]، فحرّم السكر في أوقات الصلوات، فقال عمر رضي الله عنه: إن الله يقارب من النهي عن شرب الخمر، وما أُراه إلا سيحرّمها، فلما نزلت هذه الآية تركها قوم وقالوا: لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصلاة، وقال قوم: نشربها ونجلس في بيوتنا، وكانوا يتركونها حين الصلوات، ويشربونها في غير حين الصلاة، إلى أن شربها رجل من المسلمين فجعل ينوح على قتلى بدر بأبيات، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فجاء فزعاً يجرُّ رداءه حتى انتهى إليه ورفع شيئاً مما كان بيده ليضربه، فلما عاينه الرجل قال: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسول الله، والله لا أطعمها أبداً".[2]

---

(١) هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة القرشي الزهري، أحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم قديماً ومناقبه شهيرة، وأحد الستة أهل الشورى، وكان مثلاً للغني الشاكر، عاش خمساً وسبعين سنة ومات سنة اثنتين وثلاثين، ودفن بالبقيع رضي الله عنه .

ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٢/٨٤٤)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١/٦٨)، والإصابة لابن حجر (٤/٣٤٦).

(٢) رواه الطبري بنحوه في جامع البيان (٢/٤٦٢) عن أبي القموص زيد بن علي، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢/١٤١) بلا نسبة. ويؤيد ذلك ما ورد في سنن أبي داود (٣/٣٢٥)، برقم: (٣٦٧٠) كتاب الأشربة/باب في تحريم الخمر، وسنن الترمذي (٥/٢٥٣)، برقم: (٣٠٤٩) كتاب تفسير القرآن عن رسول الله/باب ومن سورة المائدة، والنسائي في السنن الكبرى (٣/٢٠٢)، برقم: (٥٠٤٩) كتاب

ورُوي:"أنَّ عتبان بن مالك[١] اتخذ صنيعاً[٢] ودعا رجالاً من المسلمين منهم سعد ابن أبي وقاص،[٣] وكان قد شوى لهم رأس بعير، فأكلوا منه، وشربوا الخمر، حتى أخذت منهم، ثم إنهم افتخروا عند ذلك، وانتسبوا وتناشدوا الأشعار، فأنشد سعدٌ قصيدةً فيها هجاء الأنصار وفخر لقومه، وقام رجل من الأنصار وأخذ لحي البعير فضرب به رأس سعد فشجه موضحة،[٤]

الأشربة/باب تحريم الخمر، ومسند الإمام أحمد (١/٥٣) برقم: (٣٧٨) عن أبي ميسرة عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: لما نزل تحريم الخمر قال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت هذه الآية التي في سورة البقرة: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾[البقرة:٢١٩]، قال: فدعي عمر ﷺ فقرئت عليه فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت الآية التي في سورة النساء: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ ﴾ [النساء:٤٣]، فكان منادي رسول الله ﷺ إذا أقام الصلاة نادى ان لا يقربن الصلاة سكران فدعي عمر ﷺ فقرئت عليه فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت الآية التي في المائدة فدعي عمر ﷺ فقرئت عليه فلما بلغ: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[المائدة:٩١]، قال: فقال عمر ﷺ انتهينا انتهينا".

(١) هو عتبان بن مالك بن عمرو العجلاني الأنصاري الخزرجي شهد بدراً وأحداً والخندق، وآخى النبي ﷺ بينه وبين عمر ﷺ، وذهب بصره على عهد النبي ﷺ فسأل النبي ﷺ أن يأتيه فيصلي في مكان من بيته فيتخذه مصلى ففعل ذلك رسول الله ﷺ، ومات عتبان بن مالك في وسط من خلافة معاوية بن أبي سفيان ﷺ.

ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/٥٥٠)، والاستيعاب لابن عبد البر (٣/١٢٣٦)، وأسد الغابة لابن الأثير (٣/٥٧٧).

(٢) صنيعاً: أي: وليمة، ومنه الاصطناع: افتعال من الصنيعة، وهي: العطية والكرامة والإحسان.

ينظر: النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٣/٥٦)، ولسان العرب لابن منظور (٨/٢٠٩)، ومختار الصحاح للرازي (١/١٥٥)"صنع".

(٣) تقدم ترجمته ص : ٢٢٨

(٤) الشجة: الجراحة في الرأس أو الوجه دون غيرهما من البدن، وتنشق معها الجلد قليلاً، والموضحة: هي التي تقطع الجلدة وتوضح العظم وتظهره ولو بقدر مغرز الإبرة.

ينظر: العين للخليل (٣/٢٦٦)"وضح"، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/١٧٨)"شج"، والنهاية في

فانطلق سعد ﷺ [١١/ب] إلى رسول الله ﷺ، وشكا إليه الأنصاري، فقال عمر ﷺ: اللهم بيِّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فأنزل الله تعالى تحريم الخمر في سورة المائدة إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[المائدة: ٩١]، فقال عمر ﷺ: انتهينا يارب".[١]والخمر: ما خامر العقل،[٢] والميسر: القمار،[٣] والمعنيّ بالآية جميع أنواعه.

وأما المنافع: ما كانوا يكسبونه في التجارة في الخمر، وما كانوا ينالونه من الطرب عند شربها، ومنفعة الميسر: ما كانوا يصيبونه من القمار، والإثم هو: قول الفحش والزور والمخاصمة والمشاتمة والقتل والزنا.[٤]﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ هذا سؤال عن قدر ما ينفقونه، وعن

غريب الأثر لابن الأثير (٦٨/١)" أمم".

(١) رواه الطبري في جامع البيان (٣٣/٧)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١٢٠٠/٤)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (١٤٩/١) بنحوه مختصراً عن مصعب بن سعد عن أبيه.

(٢) الخمر: كل ما خامر العقل، أي: ستره وغطى عليه، من قولهم خمَّرت الإناء إذا غطيته، وكل شراب ستر العقل وأحاله فهو خمر، لقول عمر ﷺ على منبر رسول الله ﷺ: "والخمر ما خامر العقل". أخرجه البخاري (٢١٢٢/٥)، برقم: (٥٢٦٦) كتاب الأشربة/باب ما جاء في أن الخمر ما خامر العقل من الشراب، ومسلم (٢٣٢٢/٤)، برقم: (٣٠٣٢) كتاب التفسير/باب في نزول تحريم الخمر. وقال النبي ﷺ:" كل مسكر خمر وكل مسكر حرام". أخرجه مسلم (١٥٧٨/٣)، برقم: (٢٠٠٣) كتاب الأشربة/باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام.

ينظر: الأشربة لابن قتيبة (ص١٢٠)، وذم المسكر لابن أبي الدنيا (ص٦٦)، والمغني لابن قدامة (١٣٦/٩).

(٣) الميسر: مصدر من يُسْر، يقال: يسرته إذا قمرته، واشتقاقه من اليسر، لأنه أخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد ولا تعب، والقمار هو: تعليق تمليك المال على خطر من أن يغنم أو يغرم.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٤١/١٣)"يسر"، والتفسير الكبير للرازي (٣٩/٦)، والفروسية لابن القيم (ص١٦٩).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٦٠/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١٥٢/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٩٣/١).

من يُنفَق عليه.(١)

﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ أي: ينفقون العفو، وهو: اليسير من كل شيء.(٢)

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ﴾ أي: كذلك أيها النبي ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ﴾ في أمر النفقة؛(٣) لأنَّ خطاب النبي ﷺ يشتمل على خطاب أمته.(٤)

---

(١) يؤيد هذا المعنى ما رواه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٢/٣٩٣) عن معاذ بن جبل، وثعلبة رضي الله عنهما أنهما أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله! إن لنا أرقاء وأهلين، فما ننفق من أموالنا؟ فأنزل الله ﷻ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾. وصحح إسناده ابن حجر رحمه الله في العجاب (١/٥٤٦).

(٢) قاله طاووس وعطاء الخراساني رحمهما الله.وقال أكثر المفسرين: هو ما فضل من مال الرجل عن نفسه وأهله في مئونتهم وما لا بد لهم منه. وهذا القول هو الأظهر، وهو اختيار الطبري رحمه الله، فإن معنى العفو في اللغة: الزيادة والكثرة، ومنه قول الله ﷻ: ﴿حَتَّىٰ عَفَواْ﴾[الأعراف:٩٥]، أي كثروا، ويؤيد هذا المعنى ما ثبت عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:" ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا، يقول: فبين يديك وعن يمينك وعن شمالك". أخرجه مسلم (٢/٦٩٢)، برقم: (٩٩٧) كتاب الزكاة/باب الابتداء في النفقة بالنفس ثم أهله ثم القرابة.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٣٦٤)، والكشف والبيان للثعلبي (٢/١٥٢)، ومعاني القرآن للنحاس (١/١٧٤).

(٣) هذا قول المفضل بن سلمة رحمه الله. وقال أكثر المفسّرين: معناها: يبين الله لكم الآيات في أمر الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون في زوال الدنيا وفنائها فتزهدوا فيها، وفي إقبال الآخرة وذهابها فترغبوا فيها. وهذا القول أعم وأظهر والله أعلم.

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٣/١٥٣)، وتفسير الهداية لمكي (١/٧٢٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/١٩٤).

(٤) وعلى هذا جمهور الأصوليين من الحنفية والمالكية والحنابلة، ما لم يقم دليل على اختصاصه ﷺ، بدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾[الطلاق:١]، ولا شك أن عموم أدلة التأسي تقتضي ذلك.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فتحبسون من أموالكم ما يُصلحكم في معاش الدنيا، وتنفقون الباقي فيما ينفعكم في العقبى.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ يعني: إصلاح أموالهم، وذلك أنه لما نزلت: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾[الأنعام:١٥٢]الآية، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ﴾[النساء:١٠] الآية، اجتنبوا مخالطتهم حتى كان يُصنع لليتيم طعامٌ فيفضل منه شيء فيتركونه، ولا يأكلونه حتى يفسُد، فاشتد ذلك عليهم، وسألوا عنه رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية.[1] ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ﴾ أي: فتشاركوهم في أموالهم، وتخلطوها بأموالكم في نفقاتكم ومطاعمكم ومساكنكم ودوابكم وخدمكم، فتصيبوا من أموالهم عوضاً عن قيامكم بأمورهم، وتكافئوهم على ماتصيبون من أموالهم.

﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ أي: فإخوانكم تخالطون، والإخوان يعين بعضهم بعضاً، ويصيب بعضهم مال بعض على وجه الإصلاح والرضا. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ﴾ أي: لأموالهم ﴿مِنَ

ينظر: المسودة في أصول الفقه للمجد ابن تيمية (ص٢٨)، والمستصفى للغزالي (٢٣٨/١)، والإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٢٧٩/٢).

(١) روى ذلك أبو داود في السنن، (١١٤/٣)، برقم: (٢٨٧١) كتاب الوصايا، باب مخالطة اليتيم في الطعام، والنسائي في سننه، (٢٥٦/٦)، برقم: (٣٦٦٩) كتاب الوصايا، باب ما للوصي من مال اليتيم إذا قام عليه، والطبراني في المعجم الكبير (٢٥١/١٢)، برقم: (١٣٠٢٠)، والحاكم في المستدرك (١١٣/٢)، برقم: (٢٤٩٩) وصححه، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٨٤/٦)، برقم: (١٢٤٥١) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ:" لما أنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام:١٥٢]، و﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾[النساء:١٠]، الآية، انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه، فجعل يفضل من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله ﷻ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ فخلطوا طعامهم بطعامه وشرابهم بشرابه".

﴿ٱلْمُصْلِحِ﴾ فاتقوا الله في مال اليتيم ولا تجعلوا مخالطتكم إياهم ذريعة إلى إفساد أموالهم وأكلها بغير حق. ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ أي: لضيَّق عليكم وآثمكم في مخالطتهم.

وأصل العنت: هو الشدة والمشقة.(١) قوله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ نزلت في مرثد بن أبي مرثد الغنوي(٢) كان شجاعاً قوياً، فبعثه رسول الله ﷺ إلى مكة ليخرج منها ناساً من المسلمين سراً، فلما قدمها سمعت به امرأة مشركة يقال لها: عناق، وكانت خليلته في الجاهلية، فأتته وقالت: يا مرثد ألا تخلو؟ فقال لها: ويحك يا عناق، إن الإسلام قد حال بيننا وبين ذلك، فقال: هل لك أن تتزوج؟ قال: نعم، ولكن أرجع إلى رسول الله ﷺ فاستأمره، ثم أتزوجك، فقالت: أَبِيَّ تتبرّم؟ أي: لا تريدني؛ ثم استغاثت عليه فضربوه ضربًا شديدًا، ثم خلّوا سبيله، فلما قضى حاجته بمكة وانصرف إلى رسول الله ﷺ أعلمه الذي كان من أمره وأمر عناق، وما لقي من سببها، وقال: يا رسول الله أتحل لي أن أتزوجها؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.(٣) أي: لا تتزوجوهنّ حتى يؤمنّ، وأصل النكاح: الجماع، ثم كثر ذلك حتى قيل لعقد

---

(١) ينظر: غريب القرآن لابن عزيز (ص٣٣٢)، ومعاني القرآن للنحاس (١/١٧٨)، والمفردات للراغب (ص٣٤٩)"عنت".

(٢) هو الصحابي الجليل مرثد بن أبي مرثد كناز الغنوي ﷺ، حليف حمزة بن عبد المطلب ﷺ، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين أوس بن الصامت، شهد مرثد بدراً وأحداً وقتل يوم الرجيع شهيداً، وكان أميرً على السرية، وذلك في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً من مهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة.

ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/٤٨)، والاستيعاب لابن عبد البر (٣/١٣٨٣)، وأسد الغابة لابن الأثير (٥/١٤٤).

(٣) ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره (١/١١٧)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٢/٣٩٨)، والواحدي في أسباب النزول (ص١٨٧). وقصة أبي مرثد ﷺ هذه وردت في أسباب نزول قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾[النور:٣]، أخرجها أبو داود في سننه (٢/٢٢٠)، برقم: (٢٠٥١) كتاب النكاح/باب قوله تعالى:﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾، والترمذي في سننه (٥/٣٢٨)، برقم: (٣١٧٧) كتاب تفسير القرآن/بابٌ ومن سورة النور، وقال:"هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه"،

التزويج نكاح،[1] ثم استثنى الحرائر الكتابيات، فقال: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[المائدة:٥]، فبقيت الأمة الكتابية على التحريم، والكتابي مشرك وإن يقول: الله واحد؛ لأنه زعم أن غير الله أتى بما لا يأتي به إلا الله.[2]

والنسائي في السنن الكبرى (٣/٢٦٩)، برقم: (٥٣٣٨) كتاب النكاح/باب تحريم تزويج الزانية، والحاكم في المستدرك (٢/١٨٠)، برقم: (٢٧٠١) وقال:"هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". فظهر أن هذا الحديث ليس في هذه الآية التي في البقرة وإنما هو في الآية التي في سورة النور.

ينظر: تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزيلعي (١/١٣٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٢٦٤)، والدر المنثور للسيوطي (٦/١٢٨).

(١) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٤/٦٤)، والمفردات للراغب (ص٥٠٥)، ولسان العرب لابن منظور (٢/٦٢٥)"نكح".

(٢) نكاح الكتابية جائز بالآية التي في المائدة: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة:٥]، وهذا مذهب جماهير السلف والخلف من الأئمة الأربعة وغيرهم، والجواب عن آية البقرة هذه من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن أهل الكتاب لم يدخلوا في المشركين، فجعل أهل الكتاب غير المشركين، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾ [الحج:١٧]، فإن قيل: فقد وصفهم الله بالشرك بقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[التوبة:٣١]، قيل: أهل الكتاب ليس في أصل دينهم شرك، فإن الله إنما بعث الرسل بالتوحيد فكل من آمن بالرسل والكتب لم يكن في أصل دينهم شرك، ولكن النصارى ابتدعوا الشرك كما قال: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، فحيث وصفهم بأنهم أشركوا فلأجل ما ابتدعوه من الشرك الذي لم يأمر الله به، وحيث ميزهم عن المشركين فلأنّ أصل دينهم اتباع الكتب المنزلة التي جاءت بالتوحيد لا بالشرك.

الوجه الثاني: أن يقال: إن شملهم لفظ: المشركين في سورة البقرة كما وصفهم بالشرك، فهذا متوجه بأن يفرق بين دلالة اللفظ مفرداً ومقروناً، فإذا أفردوا دخل فيهم أهل الكتاب، وإذا قرنوا بأهل الكتاب لم

﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾ أي: من حُرَّة مشركة.

﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ يعني: وإن أعجبتكم لجمالها ومالها.

قوله: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: لا تُزوِّجوا المشركين ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾.

﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ أي: وإن أعجبكم لماله وحسن حاله.

﴿أُولَٰئِكَ﴾ أي: المشركون ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ أي: إلى الأعمال الموجبة لها.

﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾ أي: بإعلامه لكم ما يُنجيكم ويُوصلكم إلى الجنة والمغفرة. قوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ كانت اليهود إذا حاضت [١٢/أ] امرأة منهم لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها في البيوت، فسئل النبي ﷺ عن ذلك، فأنزل الله هذه الآية، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يؤاكلوهن ويشاربوهن، وأن يكونوا معهن في البيوت، وأن تفعل كل شيء ما خلا النكاح، فقالت اليهود: وما يريد أن يدع شيئًا من أمرنا إلا خالَفَنا فيه.(١)

وقوله: ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ أي: يغتسلن، ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ أي: اغتسلن.(٢)

يدخلوا فيهم، كما قيل مثل هذا في اسم الفقير والمسكين ونحو ذلك، فعلى هذا يقال: آية البقرة عامة وتلك خاصة والخاص يقدم على العام. **الثالث**: أن يقال: آية المائدة ناسخة لآية البقرة لأنّ المائدة نزلت بعد البقرة باتفاق العلماء. ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٣٧٥)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/٢١٧)، والمغني لابن قدامة (٧/٩٩)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (١٤/٩١).

(١) أخرجه مسلم من حديث أنس ﷺ بلفظ: " أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها، ولم يجامعوهن في البيوت فسأل أصحاب النبيِّ النبيَّ ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ إلى آخر الآية، فقال رسول الله ﷺ: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح» فبلغ ذلك اليهود، فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه..." الحديث. (صحيح مسلم (١/٢٤٦)، برقم: (٣٠٢) كتاب الحيض/باب جواز غسل الحائض رأس زوجها).

(٢) قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم: ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ بتخفيف الطاء

﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ أي: يجامعوهن من حيث أمركم الله أن يعتزلوهن، وهو: الفرج.(١) ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ أي: من الذنوب، والمتطهرين بالماء من الأحداث والمحيض والجنابة والنجاسات.(٢) ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ أي: كيف شئتم،(٣)

وضم الهاء، بمعنى: ينقطع عنهن الدم، يقال: طهرت المرأة وطهرت إذا رأت الطهر وإن لم تغتسل بالماء، ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ أي: اغتسلن. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، و أبو بكر عن عاصم: ﴿يَطَّهَّرْنَ﴾ بتشديد الطاء والهاء وفتحهما، والمراد: يغتسلن بالماء، والأصل يتطهرن فأدغمت التاء في الطاء، ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ أي: اغتسلن.

وأكثر الفقهاء على أن المرأة إذا انقطع حيضها لا يحل للزوج مجامعتها إلا بعد أن تغتسل من الحيض، وهذا قول مالك، وأحمد، والشافعي، والأوزاعي، والثوري رحمة الله على الجميع. والمشهور عن أبي حنيفة رحمه الله: إن انقطع الدم لأكثر الحيض حل وطؤها، وإن انقطع لدون ذلك لم يبح حتى تغتسل أو تتيمم أو يمضي عليها وقت صلاة، لأن وجوب الغسل لا يمنع من الوطء بالجنابة، والأظهر قول جمهور الفقهاء، لأن الله ﷻ شرط لإباحة الوطء شرطين: انقطاع الدم، والاغتسال، فلا يباح إلا بهما.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٣٨٥)، وحجة القراءات لابن زنجلة (ص١٣٤)، والمغني لابن قدامة (١/٢٠٥)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/١٧٨).

(١) وبه قال جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٣٨٧)، والكشف والبيان للثعلبي (٢/١٥٩)، وتفسير الهداية لمكي (١/٧٣٣).

(٢)ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢/١٦٠)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/٢٢٥)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/١٩٨).

(٣) ﴿أَنَّى شِئْتُمْ﴾ أي: كيف شئتم، وحيث شئتم، ومتى شئتم مقبلة ومدبرة في الفرج، وأنّى: حرف استفهام ويكون سؤالاً عن الحال والمحلّ. قال ابن عطية رحمه الله:"معناه عند جمهور العلماء من صحابة وتابعين وأئمة: من أيّ وجه شئتم مقبلة ومدبرة وعلى جنب". المحرر الوجيز (١/٢٩٩). وقال النووي رحمه الله:" أي: موضع الزرع من المرأة، وهو قبلها الذي يزرع فيه المني لابتغاء الولد، ففيه إباحة وطئها في قبلها إن شاء من بين يديها وإن شاء من ورائها وإن شاء مكبوبة، وأما الدبر فليس هو بحرثٍ ولا موضع

وذلك ردٌّ على اليهود الذين قالوا: إذا جامع الرجل امرته في الفرج من خلفٍ خرج الولد أحول.(١)

قوله: ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ يعني: الخير والعمل الصالح.(٢)

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: فيما أمركم به، ونهاكم عنه فيجزيكم بأعمالكم. ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ هذا نهي عن كثرة الأيمان بالله، ومعنى ﴿تَبَرُّواْ﴾: إذا قلّلتم اليمين به كان أجدر ﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ فيها.

﴿وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: إذا أخذتم بقلة الأيمان قدرتم على الإصلاح بين الناس بأيمانكم، لأنه يسكن إليها ويوثق بها.(٣)

زرعٍ، واتفق العلماء الذين يعتد بهم على تحريم وطء المرأة في دبرها حائضاً كانت أو طاهراً، لأحاديث كثيرة مشهورة". شرح النووي على صحيح مسلم (٦/١٠).

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (١٦١/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٩٩/١)، والمغني لابن قدامة (٢٢٥/٧)، والبحر المحيط لأبي حيان (١٨١/٢).

(١) يشهد لهذا ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث جابر ﷺ قال:"كانت اليهود تقول: إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها كان الولد أحول، فنزلت: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾". (صحيح البخاري (١٦٤٥/٤)، برقم: (٤٢٥٤) كتاب تفسير القرآن/باب ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾، و صحيح مسلم (١٠٥٨/٢) برقم: (١٤٣٥) كتاب النكاح/باب جواز جماعه امرأته في قبلها من قدامها ومن ورائها من غير تعرض للدبر).

(٢) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (١٦٣/٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢٢٦/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (١٨٢/٢).

(٣) هذا قول ابن زيد رحمه الله. وذهب ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، وعطاء، وابن جبير، والضحاك، وقتادة، والسدي، ومقاتل، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج إلى أن المعنى: لا تحلفوا بالله أن لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس. واختاره الطبري.

والقول الأول هو الأظهر، لأن من أكثر ذكر شيء في معنى من المعاني فقد جعله عرضة له، وقد ذم الله

قوله: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ أصل اللغو في كلام العرب: ما أسقط فلم يُعتد به، وهو قول القائل: بلى والله، ولا والله، وكلا والله، ونحوها من غير عقد ولا قصد.(١) ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي: عزمتم وقصدتم وتعمدتم، لأن كسب القلب النية.(٢) ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ﴾ أي: يحلفون(٣) ﴿مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ وذلك أنَّ الرجل كان

تعالى من أكثر الحلف بقوله: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾[القلم:١٠]، وقال سبحانه ﷻ: ﴿وَاحْفَظُوٓا أَيْمَٰنَكُمْ﴾[المائدة:٨٩]، ومن كمال التعظيم أن يكون ذكر الله تعالى أجل وأعلى عنده من أن يستشهد به في غرض من الأغراض الدنيوية.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤٠٠/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٥٤/١)، والتفسير الكبير للرازي (٦٥/٦)، والبحر المحيط لأبي حيان (١٨٧/٢).

(١) هذا قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وطاووس، والشعبي، وعكرمة، ومجاهد، وعروة، وهو قول الشافعي رحمهم الله. لما ثبت عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت:" أنزلت هذه الآية: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ في قول الرجل: لا والله وبلى والله". أخرجه البخاري في صحيحه (١٦٨٦/٤)، برقم: (٤٣٣٧) كتاب التفسير/باب ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾. واللغو في اللغة: ما يلغى، فيقول الرجل عند الغضب والعجلة لا والله وبلى والله، مما لا يعقده عليه قلبه.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤٠٤/٢)، ومعاني القرآن للنحاس (١٨٩/١)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٥٥/٥)"لغو"، والمفردات للراغب (ص٤٥١)"لغا"، وتفسير القرآن للسمعاني (٢٢٧/١).

(٢) قال ابن العربي رحمه الله:" وانتظمت الآية قسمين: قسم كسبه القلب فهو المؤاخذ به، وقسم لا يكسبه القلب فهو الذي لا يؤاخذ به، وخرج من قسم الكسب: يمين الحالف ناسياً، كما خرج من قسم الكسب أيضاً: اليمين على شيء يظنه فخرج بخلافه لأنه مما لم يقصده". أحكام القرآن (٢٤٢/١).

ينظر: تفسير القرآن لابن أبي حاتم (٤٠٨/٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢٢٨/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (١٩٠/٢).

(٣) الإيلاء: الحلف، يقال: آلى يولي إيلاءً وألية وألوة وإلوة، وجمع ألية: ألايا، كعشية وعشايا، والاسم

لا يريد المرأة فيحلف أن لا يقربها أبداً،[١] فجعل الله نهاية الأجل الذي يعلم به ما عند الرجل في المرأة أربعة أشهر،[٢] فإذا مضت أربعة أشهر ثم لم يرجع الرجل إلى وطئها فإنّ لامرأته أن تطالبه بأن يطلقها أو يفيء، يعني: يرجع،[٣] فإن أبى طلّق عليه القاضي امرأته.[٤]

منه: الألية، ومنه قوله تعالى:﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ ﴾[النور:٢٢]، أي: لا يحلف، والإيلاء في الشرع: الإمتناع من وطء الزوجة باليمين أكثر من أربعة أشهر، ولهذا عدي فعله بأداة " مِن " تضميناً له معنى يمتنعون من نسائهم.

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (١٦٨/٢)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٦٢/١)"ألى"، والمغني لابن قدامة (٤١٥/٧).

(١) ينظر: معاني القرآن للنحاس (١٩٢/١)، والكشف والبيان للثعلبي (١٦٨/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٠٢/١).

(٢) ولا يكون مؤلياً إلا إذا حلف بالله أن لا يصيب زوجته أكثر من أربعة أشهر، فإن حلف على أربعة أشهر فما دون ذلك لم يكم مؤلياً، وهذا قول مالك و أحمد والشافعي رحمة الله على الجميع. فإن الله تعالى جعل له تربص أربعة أشهر، فإذا حلف على أربعة أشهر أو ما دونها فلا معنى للتربص؛ لأن مدة الإيلاء تنقضي قبل ذلك، ومع انقضائه وتقدير التربص بأربعة أشهر يقتضي كونه في مدة تناولها الإيلاء، ولأن المطالبة إنما تكون بعد أربعة أشهر فإذا انقضت المدة بأربعة فما دون لم تصح المطالبة من غير إيلاء.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤١٧/٢)، والمغني لابن قدامة (٤١٥/٧)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠٤/٣).

(٣) الفيء في اللغة: هو الرجوع، يقال: فاء إلى كذا فهو يفيء فيئاً، أي: رجع، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾إلى قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحجرات:٩]، يعني: حتى ترجع إلى أمر الله، ومنه قيل للظل بعد الزوال: فيء، لأنه رجع عن جانب إلى جانب. والمعنى: رجعوا إلى ما كانوا عليه، وهو كناية عن الجماع. وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، ومسروق، والشعبي، وسعيد بن جبير، وغير واحد رحمهم الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤٢١/٢)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٤٨٢/٣)"فيأ"، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٦٩/١).

(٤) قاله جمهور العلماء، لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ فيه دليل على أنها لا

قوله: ﴿ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ أي: لطلاقه ﴿ عَلِيمٌ ﴾ أي: بما يضمره.

﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ أي: ثلاثة أطهار.(١)

﴿ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ ﴾ أي من الحمل والحيض(٢) ليُبطلن حق الزوج في الرجعة والولد، فإن المرأة أمينة على ذلك.

تطلّق بعد مضي الأربعة الأشهر ما لم يطلقها زوجها أوالسلطان؛ لأنه شَرَط فيه العزم، ولأن السماع يقتضي القول، والقول هو الذي يسمع، والسماع راجع إلى الطلاق. وروى الدارقطني في سننه (٦١/٤)، والبيهقي في السنن الصغير (١٣٥/٣) عن سليمان بن يسار قال: "أدركت بضعة عشر من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم يقول: يوقف المولي".

ينظر: جامع البيان للطبري (٤٣٨/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١٦٩/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٠٢/١)، والمغني لابن قدامة (٤٢٨/٧).

(١) هذا قول أم المؤمنين عائشة، وابن عباس، وزيد بن ثابت ﷺ، وعطاء بن أبي رباح، والفقهاء السبعة، وهو مذهب مالك، والشافعي، ورواية عن أحمد رحمهم الله.

وذهب الخلفاء الراشدون، وأنس بن مالك، وابن مسعود ﷺ، وسعيد بن المسيب، ومجاهد، وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه وأصح الروايتين عن أحمد بن حنبل إلى: أن المراد بالأقراء: الحيض، فلا تنقضي العدة حتى تطهر من الحيضة الثالثة. وسبب الخلاف أنّ كلمة (القُرْء) محتملة للطهر والحيض احتمالا واحداً، ولا يختلف أهل العلم بلسان العرب، والفقهاء أن (القُرْءَ) يراد به: الحيض ويراد به: الطهر، وإنما اختلفوا في المراد من الآية؛ والأظهر ما ذكره المؤلف، فإنّ القرء: احتباس الدم واجتماعه، وهو يكون في حال الطهر والحيض جميعاً، إلا أن الترجيح للطهر لأنّه يجمع الدم ويحبسه، والحيض يرخّيه ويرسله، ولأنه تعالى قال: ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾، فأثبت الهاء في العدد، فدل على أنه أراد: الطهر المذكّر، ولو أراد الحيضة المؤنثة لأسقط الهاء وقال: (ثلاث قروء) فإن الهاء تثبت في عدد المذكّر من الثلاثة إلى العشرة وتسقط في عدد المؤنث.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤٣٨/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١٦٩/٢)، والمفردات للراغب (ص٤٠١)"قرأ"، وأحكام القرآن لابن العربي (٢٥٠/١).

(٢) وبه قال جمهور المفسرين رحمهم الله.

ينظر: تفسير القرآن للسمعاني (٢٣٠/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٠٥/١)، وأحكام القرآن لابن العربي (٢٥٣/١).

﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾ يعني: أزواجهنّ[١] ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ أي: أولى برجعتهن، وتقديرها: أحق بردهن إليهم ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾.[٢] ﴿إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا﴾ لا ضراراً، وذلك أنَّه رُوي أنَّ الرجل كان إذا أراد الإضرار بامرأته طلقها واحدة، وتركها حتى إذا قرب انقضاء عدتها راجعها، ثم تركها مدة،

---

(١) ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾: جمع بعل، يقال: تبعّلت المرأة إذا تزوجت، ومنه قيل للجماع: بُعال، ولما تصُوِّر من الرجل الاستعلاء على المرأة فجُعل سائسها والقائم عليها سمي باسمه كل مستعل على غيره، وأصل البعل: السيّد والمالك.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢/٢٥٠)، والمفردات للراغب (ص٥٤)"بعل"، والتفسير الكبير للرازي (٦/٨٠).

(٢) يعني: في عدتهن، وهذا ما لا خلاف فيه بين العلماء أنه عني به العدة، وهذا خاص في المطلقة الرجعية. قال الرازي رحمه الله:"ما فائدة قوله:﴿أَحَقُّ﴾ مع أنه لا حق لغير الزوج في ذلك؟ الجواب من وجهين:

الأول: أنه تعالى قال قبل هذه الآية:﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ كان تقدير الكلام: فإنهن إن كتمن لأجل أن يتزوج بهن زوج آخر، فإذا فعلن ذلك كان الزوج الأول أحق بردهن، وذلك لأنه ثبت للزوج الثاني حق في الظاهر، فبيَّن أن الزوج الأول أحق منه، وكذا إذا ادعت انقضاء أقرائها ثم عُلم خلافه فالزوج الأول أحق من الزوج الآخر في العدة.

الثاني: إذا كانت معتدة فلها في مضي العدة حق انقطاع النكاح، فلما كان لهن هذا الحق الذي يتضمن إبطال حق الزوج جاز أن يقول:﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ﴾ من حيث إن لهم أن يبطلوا بسبب الرجعة ما هن عليه من العدة". التفسير الكبير (٦/٨٠).

وقال أبو حيان رحمه الله:" و﴿أَحَقُّ﴾، هنا ليست على بابها، لأن غير الزوج لا حق له ولا تسليط على الزوجة في مدة العدة، إنما ذلك للزوج ولا حق لها أيضاً في ذلك، بل لو أبت كان له ردها، فكأنه قيل: وبعولتهن حقيقون بردهن". البحر المحيط (٢/١٩٩).

ينظر: الاستذكار لابن عبد البر (٥/٥٢٠)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٢٠٥)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/٢٥٥).

ثم طلقها أخرى، وتركها كما فعل في الأولى، ثم راجعها وتركها مدة، ثم طلقها.(١)

﴿وَلَهُنَّ﴾ أي: وللنساء ﴿مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ﴾ أي: على أزواجهن مثل الذي لهم عليهن من الحق ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾.

﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ أي: في الفضل، بما ساق إليها الزوج من المهر، وأنفق عليها من المال.(٢) قوله:﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ يعني: الطلاق التي فيه الرجعة مرتان، خلاف ما كان في الجاهلية إذ لم يكن عندهم للطلاق حدٌّ.(٣) وقوله:﴿أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ إشارة إلى

---

(١) حكاه الثعلبي في الكشف والبيان (٢/١٧٢)، والسمعاني في تفسير القرآن (١/٢٣٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/٢٦١)، والبغوي في معالم التنزيل (١/٢٠٥)، والرازي في التفسير الكبير (٦/٨١) بلانسبة.

(٢)ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٤٥٣)، والنكت والعيون للماوردي (١/٢٩٢)، والكشاف للزمخشري (١/٣٠٠).

(٣) يشهد لهذا ما ورد عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت:"كان الناس والرجل يطلق امرأته ما شاء أن يطقها وهي امرأته إذا ارتجعها وهي في العدة وإن طلقها مائة مرة أو أكثر، حتى قال رجل لامرأته: والله لا أطلقك فتبيني مني ولا آويك أبداً، قالت: وكيف ذاك؟ قال: أطلقك فكلما همت عدتك أن تنقضي راجعتك، فذهبت المرأة حتى دخلت على عائشة رضي الله عنها فأخبرتها فسكتت عائشة رضي الله عنها حتى جاء النبي ﷺ فأخبرته فسكت النبي ﷺ حتى نزل القرآن: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ﴾، قالت عائشة رضي الله عنها: فاستأنف الناس الطلاق مستقبلاً من كان طلق ومن لم يكن طلق". رواه الترمذي في السنن (٣/٤٩٧) برقم: (١١٩٢) كتاب الطلاق/بابٌ، عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها، ثم أسنده مرة أخرى عن هشام بن عروة عن أبيه دون ذكر عائشة رضي الله عنها، وقال:"هذا أصح"، يعني: مرسلاً . ورواه مالك في الموطأ (٢/٥٨٨) برقم: (١٢٢٢)، كتاب الطلاق/باب جامع الطلاق، والحاكم في المستدرك (٢/٣٠٧)، برقم: (٣١٠٦) وقال: " هذا حديث صحيح الإسناد".

الثالث،[١] ثم بين حكم الثالث بقوله: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾. ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟﴾ أي: في حال الطلاق ﴿مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ أي: أعطيتموهنّ من المهر ﴿شَيْـًٔا﴾ وكذا حكم غير المهر.[٢] ثم استثنى الخلع فقال: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾.

خاطبهم أولاً بقوله: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ ثم قال: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾ ثم قال: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ ووجه هذا: أنه خاطب المؤمنين قاطبة، ونهاهم عن أخذ شيء من المطلقات من الصداق وغيره، ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾، والمعنى: إلا أن يتفق اثنان ويكون الغالب عليهما – على ما ظهر منهما من أسباب التباعد – الخوف من أن لا يقيما حدود الله، أي: ما حدّه مما لا يجوز تعدّيه، فإنه يسقط الإثم عنهما، عن الزوجة إذا أعطت وافتدت، وعن الزوج إذا أخذ وخلى سبيلها.[٣] ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ أي: أحكامه التي حدّها وبينها[٤] ﴿فَلَا

---

(١) الإمساك بالمعروف هو: الارتجاع بعد الثانية إلى حسن العشرة والتزام حقوق الزوجية، والتسريح يحتمل معنيين: أحدهما: تركها تتم العدة من الثانية وتكون أملك بنفسها. والمعنى الآخر: أن يطلقها ثالثة فيسرحها بذلك.

ينظر: معالم التنزيل للبغوي (١/٢٠٦)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/٢٦٠)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٣٠٦).

(٢) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (١/٢٦٤)، والتفسير الكبير للرازي (٦/٨٥)، والجامع لأحكام القرآن لابن العربي (٣/١٣٧)، والمغني لابن قدامة (٧/٢٤٦).

(٣) دلت هذه الآية الكريمة على مشروعية الخلع، وهو في اللغة: الإزالة، وفي الشرع: "الفرقة بعوض"، فمتى فارقها بعوض فهي مفتدية لنفسها به وهو خالع لها، وجمهور العلماء على جواز الخلع مع الكراهة. وبسط المسألة في كتب الفقه وأحكام القرآن.

ينظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/٢٦٣)، والتفسير الكبير للرازي (٦/٨٦)، والمغني لابن قدامة (٧/٢٤٦)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣/١٣٧).

(٤) أصل الحد في اللغة: المنع والفصل بين الشيئين، يقال: حدّدت الدار أي: بيّنت الأمكنة التي تمنع أن

﴿تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ﴾ أي: يتجاوز ﴿حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[١٢/ب]

﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ أي: الزوج الثاني، بعد ما جامعها.(١)﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ﴾ يعني: على المرأة المرأة المطلقة وعلى الزوج الأول. ﴿أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ بنكاح جديد.(٢)

يدخل فيها غيرها، وأحدَّت المرأة: إذا امتنعت عن الزينة، والعرب تقول للحاجب والبواب وصاحب السجن: الحداد، لأنه يمنع من يدخل ومن يخرج، ورجل محدود: ممنوع من الخير، والحدّ مانع من الاجتراء على الفواحش.

ينظر: العين للخليل (١٩/٣)"حد"، ومعاني القرآن للنحاس (٢٠٥/١)، ولسان العرب لابن منظور (١٤٠/٣)"حدد".

(١) لقد بينت السنة النبوية أن الزواج الثاني لا يحلها للأول إلا إذا دخل بها الزوج الثاني دخولاً حقيقياً، وكان الزواج غير مؤقت، وانتهت العدة بعد الدخول، وعلى هذا جماهير العلماء، لما ثبت عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: جاءت امرأة رفاعة القرظي إلى رسول الله ﷺ فقالت: كنت عند رفاعة فطلقني فبتَّ طلاقي، فتزوجتُ عبد الرحمن بن الزبير، وإن ما معه مثل هدبة الثوب، فتبسم رسو الله ﷺ: وقال: أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة ؟ لا، حتّى تذوقِي عسيلته، ويذوق عسيلتك". أخرجه البخاري (٢٠٣٧/٥) برقم: (٥٠١١) كتاب الطلاق/باب إذا طلقها ثلاثًا ثم تزوجت بعد العدة زوجا غيره فلم يمسها، ومسلم (١٠٥٥/٢)، برقم: (١٤٣٣) كتاب النكاح/باب لا تحل المطلّقة ثلاثا لمطلّقها حتى تنكح زوجا غيره ويطأها ثم يفارقها وتنقضي عدتها. وقوله:"ويذوق عُسَيلتك" بضم العين تصغير عسل: هي: كناية عن لذة الجماع.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤٧٨/٢)، وأحكام القرآن لابن العربي (٢٦٧/١)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٢٣٧/٣)"عسل"، والمغني لابن قدامة (٣٩٨/٧).

(٢) لا خلاف بين أحد من أهل العلم أن المطلّق هاهنا هو: الزوج الثاني، وأن التراجع بينها وبين الزوج الأول: نكاحٌ مبتدأ، وذكر لفظ النكاح بلفظ التراجع، لأن الزوجية كانت حاصلة بينهما قبل ذلك، فإذا تناكحا فقد تراجعا إلى ما كانا عليه من النكاح، فهذا تراجع لغوي.

ينظر: التفسير الكبير للرازي (٩١/٦)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥٢/٣)، وزاد المعاد لابن القيم (٢٢٨/٥).

﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ أي: رجوا ما بيّن الله تعالى من حق أحدهما على الآخر.(١)

قوله: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي: أشرفن على أن يبين بانقضاء العدة، ولم يُرِد إذا انقضت عدتهن؛ لأنَّه إذا انقضت عدتهن لم يكن للزوج إمساكها، فالبلوغ هاهنا بلوغ مقاربة، وقوله بعد هذا: ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ بلوغ انقضاء وانتهاء.(٢)

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ أي: راجعوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: لا على قصد المضارة كما مرَّ.

﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: اتركوهن حتى تنقضي عدتهن، ويكنّ أملك لأنفسهن.

﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ أي: مضارة ولا حاجة بكم إليهن ﴿لِّتَعْتَدُوا۟﴾ أي: عليهن بتطويل العدة.(٣) ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: ذلك الاعتداء ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ أي: ضرّها لمخالفة أمر الله تعالى. ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ كان في الجاهلية يطلّق الرجل ويعتق وينكح ويقول: أنا لاعبٌ، فأنزلت هذه الآية.(٤)

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٤٧٨/٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢٣٤/١)، والتفسير الكبير للرازي (٩٢/٦).

(٢) ذكره النحاس في معاني القرآن (٢٠٨/١)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٧٧/٢)، والمكي في تفسير الهداية (٧٧٢/١)، ونقل الإجماع على ذلك الكيا هراسي في أحكام القرآن (١٨١/١).

(٣) قال الرازي رحمه الله:" والسبب في هذه الآية أن في الجاهلية كانوا يرجعون المطلقات، ويريدون بذلك الإضرار بهن ليطلقوهن بعد الرجعة، حتى تحتاج المرأة إلى أن تعتد عدة حادثة، فنهوا عن ذلك". التفسير الكبير (٨١/٦).

ينظر: جامع البيان للطبري (٤٨٠/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٦٧/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥٦/٣).

(٤) قاله الحسن، وقتادة، وعطاء الخراساني، والربيع، ومقاتل بن حيان رحمهم الله. ويؤيد ذلك ما ورد عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كان الناس والرجل يطلق امرأته ما شاء أن يطلقها وهي امرأته إذا ارتجعها وهي في العدة وإن طلقها مائة مرة أو أكثر، حتى قال رجل لامرأته: والله لا أطلقك فتبيني مني ولا آويك أبداً، قالت: وكيف ذاك؟ قال: أطلقك فكلّما همَّتْ عدتك أن تنقضي راجعتك." رواه الترمذي

قوله: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ أي: أيها الأزواج ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ أيها الأولياء، أي: لا تمنعوهن.[1] قوله: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ أي: أيها القبيل.[2]

قوله: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ معناه أمر استحباب، أي: هن أحق بإرضاعهم من

في سننه (٣/٤٩٧)، برقم: (١١٩٢) كتاب الطلاق واللعان/بابٌ، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/٤٤٤)، برقم: (١٥٣٣٧) كتاب العدد/باب عدة المطلقة يملك زوجها رجعتها، والحاكم في المستدرك (٢/٣٠٧)، برقم: (٣١٠٦) وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد".

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٤٨٢)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٢/٤٢٥)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٢١٠).

(١) العضل: المنع، وأصله: الضيق والشدّة، يقال: عضلت المرأة إذا تشبث ولدها في بطنها فضاق عليه الخروج، ويقال: داء عضال، إذا ضاق علاجه فلا يطاق، وعضل الأمر إذا اشتد وضاق، والعضل: منع الرجل موليته من التزويج. وفي الآية دليل على أن المرأة لا تلي عقد النكاح، إذ لو كانت تملك ذلك لم يكن هناك عضل ولا لنهي الولي عن العضل معنى.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (١/٢١٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٢١١)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٣/٢٥٣)"عضل".

(٢)﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى ما مضى ذكره، أي: الأمر الذي تلي عليكم من ترك العضل أيها الأولياء، وتوحيد كاف الخطاب مع كون المخاطب جمعاً إما على تأويل القبيل - أي: الجماعة -، أو كل واحد، أو لكون الكاف لمجرد توجيه الكلام إلى الحاضر مع قطع النظر عن كونه واحدا أو جمعا، وأتى باسم الإشارة البعيد والمشار إليه قريب وهو الحكم المذكور في العضل؛ لتعظيم المشارِ إليه.

وخصص هذا الوعظ بالمؤمنين دون غيرهم؛ لأنهم المنتفعون به فلذلك حسن تخصيصهم؛ كقوله تعالى:﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة:٢]، وهو هدى للكل، كما قال:﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٨٥].

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٤٨٨)، وتفسير الهداية لمكي (١/٧٧٧)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/١٨٤)، ولسان العرب لابن منظور (١١/٥٣٩)"قبل".

غيرهن.[١] قوله: ﴿حَوْلَيْنِ﴾ أي: سنتين.

﴿كَامِلَيْنِ﴾ تأكيد،[٢] ثم إذا وضعت لستة أشهر ترضعه حولين كاملين، وإذا وضعت لسبعة أشهر أرضعته ثلاثة وعشرين شهراً، وإذا وضعته لتسعة أشهر أرضعته واحد وعشرين شهراً،

---

(١) هذا الأمر ليس أمر إيجاب، ويدل عليه وجهان:

الأول: قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾[الطلاق:٦]، ولو وجب عليها الرضاع لما استحقت الأجرة.

والثاني: أنه تعالى قال بعد ذلك: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ﴾[الطلاق:٦]، وهذا نص صريح، إذا ثبت أن الإرضاع غير واجب على الأم فهذا الأمر محمول على الندب من حيث أن تربية الطفل بلبن الأم أصلح له من سائر الألبان، ومن حيث إن شفقة الأم عليه أتم من شفقة غيرها هذا إذا لم يبلغ الحال في الولد إلى حد الاضطرار، بأن لا يوجد غير الأم، أو لا يرضع الطفل إلا منها، فواجب عليها عند ذلك أن ترضعه، كما يجب على كل أحد مواساة المضطر في الطعام، وعلى هذا جماهير الفقهاء والمفسرين رحمة الله عليهم أجمعين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٤٩٠)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/٢٧٥)، والتفسير الكبير للرازي (٦/١٠٠)، والمغني لابن قدامة (٨/١٩٨).

(٢) في قوله تعالى: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ يدل على أن لفظ الـ ﴿حَوْلَيْنِ﴾ يقع على حول وبعض آخر، وهذا معروف في كلام العرب، ولما جاز أن يقول: ﴿حَوْلَيْنِ﴾ ويريد أقل منهما، كما قال تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾[البقرة:٢٠٣]، ومعلوم أنه يتعجل في يوم وبعض آخر، وتقول: لم أر فلاناً يومين، وإنما تريد يوماً وبعض آخر، قال: ﴿كَامِلَيْنِ﴾ ليبين أنهما حولان كاملان، أربعة وعشرون شهراً، وهذا بمنزلة قوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾[البقرة:١٩٦]، فإن لفظ العشرة يقع على تسعة وبعض العاشر، فيقال: أقمت عشرة أيام، وإن لم يكملها، فقوله هناك: ﴿كَامِلَةٌ﴾ بمنزلة قوله هنا: ﴿كَامِلَيْنِ﴾.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (١/٣١٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/٢٣٦)، والتفسير الكبير للرازي (٦/١٠١)، والفتاوى الكبرى لابن تيمية (٢/٢٨٧).

كل ذلك تمام الثلاثين شهراً.(١) قوله: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ أي: على الذي ولد له الولد، وهو الأب؛ لأن الولد يولد له. ﴿رِزْقُهُنَّ لَهُ﴾ أي: طعامهن وقوتهن.

﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ أي: لباسهن ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: كما يليق بحال الزوج في الفقر والغنى.(٢) ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ التكليف: الإلزام، والوسع: ما يسع الإنسان فيطيقه ولا يضيِّق عليه.(٣) قوله:﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾ أي: فينتزع الولد منها إلى غيرها بعد أن

---

(١) اختلف أهل العلم في حد رضاع المولودين هل هو حدّ لبعض المولودين أم هو لكل مولود حدّ بأي وقت وُلد؟ على قولين: **الأول**: هو حدّ لبعض المولودين دون بعض، وهو الذي ذهب إليه المصنف رحمه الله، وهي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما. لقوله تعالى:﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف:١٥].

والقول الثاني قول الجمهور ورواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما: هو حدٌّ لرضاع كل مولود اختلف والداه في رضاعه فأراد أحدهما البلوغ إليه والآخر التقصير عنه، فأيهما أراد الفطام قبل تمام الحولين ليس له ذلك إلا أن يجتمعا عليه، لقوله تعالى:﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾، وهذا القول هو الأقرب، واختاره الطبري.

قال الطبري رحمه الله:" وأولى الأقوال بالصواب القول الذي رواه علي بن أبي طلحة عن بن عباس، وهو: أنه دلالة على الغاية التي ينتهي إليها في الرضاع المولود إذا اختلف والده، وأن لا رضاع بعد الحولين يحرم شيء، وأنه معني به كل مولود لستة أشهر كان ولاده أو لسبعة أو لتسعة، لأن الله تعالى ذكره لما حدّ في ذلك حداً كان غير جائز أن يكون ما وراء حده موافقاً في الحكم ما دونه، لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن للحد معنى معقول". جامع البيان (٢/٤٩٣).

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢/١٨١)، والنكت والعيون للماوردي (١/٢٩٩)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٢١٢).

(٢) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/٢٧٤)، والمغني لابن قدامة (٨/٢٠١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣/١٦٠).

(٣) التكليف في اللغة: إلزام ما فيه كلفة، أي: مشقة. وحقيقته: الأمر بما يشق عليه، يقال: تكلف الأمر تجشمه واجتهد أن يبين فيه أثره، وكلفه: ألزمه ما يظهر فيه أثره، وشرعاً: إلزام مقتضى خطاب الشرع.

رضيت بإرضاعه وألِفها الصبي. ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ أي: ولا تلقيه هي إلى أبيه بعد ما عرفها لتضاره بذلك. ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ هو: الصبي، على مذهب الشافعي رضي الله عنه،[١] لأنه وارث أبيه المتوفى،[٢] أي: عليه أجر رضاعه في ماله إن كان له مال، فإن لم يكن له مال أُجبرت أمُّه على إرضاعه، ولا يجبر على نفقة الصبي إلا الوالدان، يعني: مثل الذي على الأب من أجرة الرضاع والنفقة والكسوة.[٣] ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾ يعني: إن أراد الوالدان فطاماً قبل الحولين، وأصل الفصل القطع.[٤] ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا﴾ أي: عن تراض منهما جميعاً به

والوسع: ما يسع الإنسان فيطيق أخذه، ولو ضاق لعجز عنه، والسعة بمنزلة القدرة، فلهذا قيل: الوسع فوق الطاقة. وهذا خبر جزم نص الله تعالى على أنه لا يكلف العباد عبادةً من أعمال القلب أوالجوارح إلا وهي في وسع المكلف وفي مقتضى إدراكه وبنيته.

ينظر: العين للخليل (٥/٣٧٢ ، ٢/٢٠٣)"كلف، وسع"، والبرهان في أصول الفقه لأبي المعالي الجويني (١/٨٨)، وروضة الناظر لابن قدامة (ص٤٦)، والبحر المحيط للزركشي (١/٢٧٢).

(١) ينظر: الأم للشافعي (٥/١٠٥)، والحاوي الكبير للماوردي (١١/٤٧٩)، والوسيط في المذهب للغزالي (٦/٢٢٨).

(٢) هذا قول الضحاك، وقبيصة بن ذؤيب، ومالك، والشافعي رحمهم الله. وذهب عطاء، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وابن أبي ليلى، وقتادة، والسدي، ومقاتل، وهو مذهب أحمد بأن المراد بالوارث هو: وارث المولود من عصبته كائناً من كان. وهذا القول هو الأظهر، لأن المولود له وهو الأب هو المحدَّث عنه في جملة المعطوف عليه، والقاعدة تقول: "إن السياق والسباق محكم". والمعنى: أنه إذا مات المولود له وجب على وارثه ما وجب عليه من رزق الوالدات، وكسوتهن بالمعروف، وتجنب الضرار .

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٤٩٩)، والكشف والبيان للثعلبي (٢/١٨٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٢٧٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/٢٢٦).

(٣) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢/١٨٣)، والنكت والعيون للماوردي (١/٣٠٠)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٢١٢).

(٤) الفصال هو: الفطام، أي: التفريق بين الصبي والرضاع، وأصل الفصال في اللغة: التفريق، وهو مصدر من قول القائل: فاصلت فلاناً أفاصله مفاصلة وفصالاً إذا فارقه من خُلطة كانت بينهما.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٥٠٥)، والمفردات للراغب (ص٣٨١)، ولسان العرب لابن منظور

واتفاق عليه. ﴿وَتَشَاوُرٍ﴾ هو استخراج الرأي[١] ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾.

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ﴾ يعني: أيها الآباء. ﴿أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ يعني مراضع، وهنّ المرضعات غير أمهاتهم إذا أبت أمهاتهم أن ترضعن، أو لعلةٍ بهن أو انقطاع لبنهن، أو أردن النكاح، أو خفتم الضَّيعة على أولادكم. ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم﴾ أي: إلى أمهاتهم أجرهن بقدر ما أرضعن.[٢] وأما قوله: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ يجوز أن يتعلق بـ﴿سَلَّمْتُم﴾، ويجوز أن يتعلق بـ﴿ءَاتَيْتُم﴾.[٣]

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ أي: ينتظرن.[٤]

(٥٢١/١١)"فصل".

(١) التشاور والمشاورة والمشورة: استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض، من قولهم: شرت العسل إذا اتخذته من موضعه واستخرجته منه، وشرت الدابة وأشرتها، أي: أجريتها لاستخراج جريها، وسمي التشاور: لأن كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر.

ينظر: العين للخليل (٢٨٠/٦)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٢٦/٣)، والمفردات للراغب (ص٢٧٠)"شور"، والبحر المحيط لأبي حيان (٢١٧/٢).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٥٠٨/٢)، والنكت والعيون للماوردي (٣٠٢/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٨٥/١).

(٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن للعكبري (١٨٦/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣١٣/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٢٨/٢)، وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (٤٤٠/٢).

(٤) أصل التربص: الانتظار بالشيء، يقال: تربصت لكذا إذا انتظرته، ويعني بالتربص هنا: زمان العِدّة في المتوفى زوجها، فينبغي لهنّ أن ينتظرن ويحتبسن بأنفسهن، معتدّات على أزواجهن، تاركات الطيب، والزينة، والأزواج، والنقلة عن المسكن الذي كنّ يسكنّه في حياة أزواجهنّ أربعة أشهر وعشراً، إلاّ أن يكنّ حوامل فيتربصن إلى أن يضعن حملهن، فإذا ولدن انقضت عدّتهنّ.

ينظر: العين للخليل (١٢٠/٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٢٧/١٢)، والمفردات للراغب (ص١٨٥)"ربص"، ومعالم التنزيل للبغوي (٢١٥/١).

﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ يعني: إذا كن غير ذوات حمل.(١)

وإنما قال: ﴿وَعَشْرًا﴾ لأنَّ فيها ينفخ الروح في الولد، فيتبين الحمل.(٢)

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يخاطب الأولياء. ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ﴾

---

(١) هذا الحكم يشمل الزوجات المدخول بهن وغير المدخول بهن بالإجماع، إلا المتوفى عنها زوجها وهي حامل فإن عدتها بوضع الحمل ولو لم تمكث بعده سوى لحظة، لعموم قوله ﷻ:﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[الطلاق:٤]، وعلى هذا جماهير العلماء من السلف والخلف، وقال به مالك، والشافعي، وأبي حنيفة، وأحمد، والعلماء كافة رحمهم الله، إلا رواية عن علي ﷺ، وسحنون المالكي رحمه الله: أن عدتها بأقصى الأجلين وهي أربعة أشهر وعشراً ووضع الحمل، للجمع بين الآيتين وهذا مأخذ جيد لولا ما ثبتت به السنة في حديث سبيعة الأسلمية رضي الله عنها المخرّج في الصحيحين، أنها توفي عنها زوجها سعد بن خولة ﷺ وهي حامل، فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته بليال، فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك ﷺ فقال لها: مالي أراك متجملة، لعلك ترجين النكاح! والله ما أنت بناكح حتى يمر عليك أربعة أشهر وعشر، قالت سبيعة رضي الله عنها: فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين أمسيت فأتيت رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك، فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي، وأمرني بالتزويج إن بدا لي". أخرجه البخاري (٢٠٣٧/٥)، برقم: (٥٠١٢) كتاب الطلاق/باب﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾، ومسلم (١١٢٢/٢)، برقم: (١٤٨٥)كتاب الطلاق/باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها وغيرها بوضع الحمل. فعلى هذا حكم الآية عام في كل من توفي عنها زوجها بأن تعتد أربعة أشهر وعشراً، ثم خصص من هذا العموم: أولات الأحمال، لقوله تعالى:﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾، وبهذا الحديث الصحيح، وبسط هذه المسألة في كتب الفقه، وأحكام القرآن.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥١١/٢)، والمغني لابن قدامة (٩٣/٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧٤/٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٨٦/١).

(٢) وهو قول سعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، وأبي العالية رحمهم الله تعالى.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥١٦/٢)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٤٣٧/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١٨٥/٢)، والنكت والعيون للماوردي (٣٠٢/١).

أي: من التزويج، أي: أن تتولّوه لهنّ ﴿ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾.

قوله: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ الآية. إعلم أن التصريح بخطبة المعتدة عن الغير حرام، وأما التعريض فهو جائز في عدة الوفاة، وحرام في عدة الرجعية، وفي عدة البائنة وجهان.(١)

والتعريض هو أن يقول لها وهي في العدة: إنك لجميلة، وإنك لصالحة، أو عزمي أن أتزوج، أوإني راغب فيك، وأمثال ذلك، وأصل التعريض: التلويح بالشيء.(٢)

---

(١) المعتدات على ثلاثة أضرب:

الأول: معتدة من وفاة، أو طلاق ثلاث، أو فسخ لتحريمها على زوجها، كالفسخ برضاع، أو لعان، أو نحوه مما لا تحل بعد لزوجها، فهذه يجوز التعريض بخطبتها في عدتها، لقول الله تعالى:﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ ﴾، ولما روت فاطمة بنت قيس رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها لما طلقها زوجها ثلاثا:" إذا حللت فآذنيني". أخرجه مسلم (١١١٤/٢)، برقم: (١٤٨٠) كتاب الطلاق/باب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها، وفي لفظ له (١١١٥/٢):"لا تسبقيني بنفسك"، وفي لفظ له أيضاً (١١١٦/٢):"لا تفوتينا بنفسك". وهذا تعريض بخطبتها في عدتها، ولا يجوز التصريح؛ لأن الله تعالى لما خص التعريض بالإباحة دل على تحريم التصريح، ولأن التصريح لا يحتمل غير النكاح، فلا يؤمن أن يحملها الحرص عليه على الإخبار بانقضاء عدتها قبل انقضائها والتعريض بخلافه.

القسم الثاني: الرجعية، فلا يحل لأحد التعريض بخطبتها ولا التصريح بالاتفاق، بل ذلك تخبيب للمرأة على زوجها ، وهو من أقبح المعاصي لأنها زوجة.

القسم الثالث: بائن يحل لزوجها نكاحها، كالمختلعة، والبائن بفسخ لغيبة، أو إعسار، ونحوه، فلزوجها التصريح بخطبتها والتعريض، لأنها مباحة له نكاحها في عدتها فهي كغير المعتدة، وهل يجوز لغيره التعريض بخطبتها؟ فيه وجهان:

أحدهما: يجوز، لعموم الآية، ولأنها بائن فأشبهت المطلقة ثلاثاً.

والثاني: لا يجوز، وهو الأظهر، لأن الزوج يملك أن يستبيحها فهي كالرجعية.

ينظر: التفسير الكبير للرازي (١١١/٦)، والمغني لابن قدامة (١١٢/٧)، والفتاوى الكبرى لابن تيمية (٣٤٩/٣).

(٢) التعريض في الكلام: ما كان من لحن الكلام الذي يفهم به السامع من غير تصريح، وأصله من

وقوله:﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ﴾ أي: أسررتم وأضمرتم ﴿فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ من خطبتهن ونكاحهن. ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ أي: بقلوبكم ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ هو الزنى.(١) وقوله:﴿إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ أي: لا [١٣/أ] تقولوا ما هو تصريح بالنكاح، وإن قلتم قولاً هو تعريض فهو جائز.(٢) قوله:﴿وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ أي: على عقدة النكاح. ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ أي: حتى تنقضي العدة، وإنما سماها كتاباً لأنها فرضٌ من الله.(٣)

عرْض الشيء وهو جانبه، يقال: أضربَ به عَرْض الحائط كأنه يحوم حوله ولا يظهره، والتعريض في خطبة المرأة في عدّتها: أن يتكلم بكلام يشبه خطبتها ولا يصرح به، وهو أن يقول لها: إنك لجميلة، وإن فيك لبقيّة، وإن النساء لمن حاجتي، والتعريض قد يكون بضرب الأمثال وذكر الألغاز.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢٨٨/١)، والمفردات للراغب (ص٣٣٠)"عرض"، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣١٥/١).

(١) قاله جابر بن زيد، وأبي مجلز، والحسن، والسدي، وقتادة، والضحاك، والربيع، رحمهم الله. وقال ابن عباس رضي الله عنهما، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، والشعبي: لا تأخذوا ميثاقهن وعهودهن في عدتهن أن لا ينكحن غيركم. وقال الشافعي: السر: الجماع. والأظهر والله أعلم، أن تكون الآية عامة في جميع ذلك، وإليه مال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥٢٢/٢)، وأحكام القرآن للجصاص (١١١/٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٨٨/١).

(٢) وعلى هذا جماهير المفسرين. قال الرازي رحمه الله:" لما أذن الله تعالى في أول الآية بالتعريض، ثم نهى عن المسارة معها دفعاً للريبة، استثنى عنه أن يسازرها بالقول المعروف، وذلك أن يعدها في السر بالإحسان إليها، والاهتمام بشأنها، والتكفل بمصالحها، حتى يصير ذكر هذه الأشياء الجميلة مؤكداً لذلك التعريض، والله أعلم". التفسير الكبير (١١٤/٦).

ينظر: جامع البيان للطبري (٥٢٦/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٧٨/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٩٢/٣).

(٣) أكثر المفسرين، ونقل بعضهم الإجماع على أن بلوغ الكتاب هو: الأجل، والمراد: انقضاء العدة،

قوله ﷻ: ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾.

نزلت في الرجل يتزوج المرأة ولا يُسمى لها صداقا، فيطلقها قبل أن يمسها، فلها المتعة، ولا مهر لها.(١) والمتعة: كل ما جاز أن يجعل صداقاً،(٢) وينبغي أن يكون أقل من شطر المهر.(٣)

يعني: ولا تعقدوا العقد بالنكاح حتى تنقضي العدة، وقد أجمع العلماء على أنه لا يصح العقد في مدة العدة. قال القرطبي رحمه الله:" وهذا من المحكم المجمع على تأويله أن بلوغ أجله انقضاء العدة". الجامع لأحكام القرآن (٣/١٩٣).

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٥٢٧)، وأحكام القرآن لابن لعربي (١/٢٨٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٢٨٨).

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٢/٤٤٢)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢/١٨٨)، والبغوي في معالم التنزيل (١/٢١٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) المتعة والمتاع في الأصل: كل شيء ينتفع به ويُتبلّغ به ويتزوّد، وهو مأخوذ من متع النهار إذا ارتفع، فيطلق على ما يتحصل للإنسان من عرض الدنيا، وكل ما صح أن يكون صداقاً صح أن يكون متعة، والمعنى: "وأعطوهن ما يتمتعن به من أموالكم على أقداركم ومنازلكم من الغنى والإقتار".

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٥٣٠)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢/١٧٣)، ولسان العرب لابن منظور (٨/٣٢٨)"متع".

(٣) المطلقات قسمان: ١) مطلقة قبل الدخول، ٢) مطلقة بعد الدخول،أما المطلقة قبل الدخول فينظر: إن لم يكن فرض لها مهر، فلها المتعة بهذه الآية التي نحن فيها، وإن كان قد فرض لها مهر فلا متعة، لأن الله تعالى أوجب في حقها نصف المهر ولم يذكر المتعة، ولو كانت واجبة لذكرها، وعلى هذا جمهور الفقهاء، ثم اختلفوا في قدر المتعة ومبلغها على قولين: **القول الأول**: قول ابن عباس رضي الله عنهما، وهو مذهب الجمهور، رحمهم الله: أعلاها خادم على الموسع، وأوسطها ثوب، وأقلّها أقلّ ماله ثمن.
القول الثاني: قول أبي حنيفة رحمه الله، قال: متاعها: إذا اختلف الزوج والمرأة فيها قدر نصف مهر مثلها ولا تجاوز ذلك، وهذا الذي ذهب إليه المؤلف رحمه الله. والأظهر ما اختاره الطبري رحمه الله من أن ذلك غير موقّت؛ لأن الله ﷻ لم يحصره بقدر، وإنما أمر بتمتيعها فقط؛ والواجب من ذلك على قدر عسر الرجل ويسره، كما قال تعالى: ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ ﴾ فدلت الآية على أن المعتبر فيه حال الرجل لا حال المرأة.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٥٣١)، والكشف والبيان للثعلبي (٢/١٩٠)، والتفسير الكبير للرازي

أعلم الله تعالى في هذه الآية أن عقد التزويج بغير مهر جائز، وأنه لا إثم على من طلق من تزوج بها بغير مهر.[١] ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: حقُّ ذلك حقاً.[٢]

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾.

هذا بيان حكم المفروض لها المهر، فهي إذا طلقت قبل الوطء تشطر مهرها، لقوله تعالى: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾. وقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾ يعني: النساء.

(١١٨/٦)، والمغني لابن قدامة (١٨٢/٧).

(١) وعلى هذا إجماع العلماء، كما نقل ذلك الثعلبي في الكشف والبيان (١٨٩/٢)، وابن العربي في أحكام القرآن (٢٩٢/١)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٩٧/٣)، وابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥٣/٢٩).

(٢) اختلف العلماء في حكم المتعة للمطلقات على ثلاثة أقوال: **القول الأول**: إن المتعة واجبة لكل مطلقة، وهو مذهب الحسن البصري، وأبي العالية، وسعيد بن جبير، واختاره الطبري رحمهم الله، لقوله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ فأوجب المتعة لجميع المطلقات ولم يفرق، وقال: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي: حق ذلك التمتع حقاً واجباً لازماً على المتقين، وإنما خص المتقين بالذكر لأنهم الذين ينتفعون بهذا البيان.

القول الثاني: إن المتعة مستحبة للجميع وليست واجبة، وهو قول القاضي شريح، ومالك رحمهما الله، لقوله جل وعلا: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، وقوله: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ ولو كانت واجبة وجوب الحقوق اللازمة الأموال بكل حال لم يخصص المتقون والمحسنون بأنها حق عليهم دون غيرهم، بل كان يكون ذلك معموماً به كل أحد من الناس.

القول الثالث: إن المتعة واجبة للمطلقة التي لم يُفرض لها مهر، ومستحبة لمن لها مهر، وهذا مذهب جمهور العلماء رحمهم الله، وهذا هو الأقرب إلى الصواب جمعاً بين الأدلة. وبسط هذه المسألة في كتب الفقه وأحكام القرآن.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥٣٢/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١٨٩/٢)، وأحكام القرآن لابن العربي (٢٩١/١)، والمغني لابن قدامة (١٨٢/٧).

﴿أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ أي: الزوج،(١) ومعنى الآية: فنصف ما فرضتم إلا أن تعفو المرأة عن النصف الواجب لها فتتركه للزوج، أو يعفو الزوج عن النصف فيعطيها الكل.

قوله: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي: إتمام الرجل الصداق أو ترك المرأة النصف،(٢) حث الله تعالى على الإحسان واغتنام درجة الفضل.

قوله: ﴿حَـٰفِظُوا۟﴾ أي: واظبوا وداوموا ﴿عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ أي: المكتوبات، لمواقيتها وأركانها، وواجباتها، وخصَّ الصلاة الوسطى من بينها، فالمحافظة عليها تفضيلا لها، وهي الصبح على مذهب الشافعي ﷺ،(٣) لأنها متوسطة بين صلاتي الليل وصلاتي النهار، وأمر بالمحافظة عليها لكون الناس نياما، ولأنَّ بعده: ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ يعني: مطيعين، ولا قنوت في صلاةٍ إلا في الصبح.(٤)

---

(١) قاله جمهور العلماء.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٥٤٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/٢٤٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٢٨١)، والمغني لابن قدامة (٧/١٩٤).

(٢) قاله مجاهد رحمه الله. قال الرازي رحمه الله: "وليس المراد منه النهي عن النسيان؛ لأن ذلك ليس في الوسع، بل المراد منه الترك، أي: ولا تتركوا الفضل والإفضال فيما بينكم، وذلك لأن الرجل إذا تزوج بالمرأة فقد تعلق قلبها به، فإذا طلقها قبل المسيس صار ذلك سبباً لتأذيها منه، وأيضاً إذا كُلف الرجل أن يبذل لها مهراً من غير أن انتفع بها البتة؛ صار ذلك سبباً لتأذيه منها، فندب تعالى كل واحد منهما إلى فعلٍ يزيل ذلك التأذى عن قلب الآخر، فندب الزوج إلى أن يطيب قلبها بأن يسلم المهر إليها بالكلية، وندب المرأة إلى ترك المهر بالكلية، ثم إنه تعالى ختم الآية بما يجرى مجرى التهديد فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾". التفسير الكبير (٦/١٢٤).

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٥٥٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٢/١٩٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٢٢٠).

(٣) ينظر: أحكام القرآن للشافعي (١/٥٩)، والمجموع للنووي (٣/٦٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٢٩٢).

(٤) اختلف العلماء في الصلاة الوسطى أيّ صلاة هي؟ إلى خمسة أقوال: أصحها: أنها صلاة العصر،

قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ أي: رجالة،[١] يعني: فإن لم يمكنكم أن تصلوا موفين للصلاة حقها، لخوف العدوّ فصلوا مشاةً على أرجلكم، أو ركباناً على ظهور دوابكم، فإن ذلك يجزيكم.[٢] وهذه صلاة شدة الخوف في حال المسايفة والتحام القتال، يصلي المرء فيها حيث كان وجهه مستقبل القبلة أو غير مستقبلها، راجلاً أو راكباً، ويومئ إيماء، ويجعل السجود أخفض من الركوع.[٣]

وأن المراد بالقنوت المذكور في الآية المداومة على الطاعة، وهو قول الجمهور من السلف والخلف، لما ثبت عن عليّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب:" شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً، ثم صلاها بين العشاءين بين المغرب والعشاء". أخرجه البخاري (٢٣٤٩/٥)، برقم: (٦٠٣٣)، كتاب الدعوات/باب الدعاء للمشركين، ومسلم (٤٣٧/١)، برقم: (٦٢٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة/باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر. والأحاديث في ذلك كثيرة جداً لا مكان لسردها كلها، حتى قال الإمام أحمد رحمه الله:" تواطأت الأحاديث عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه ﷺ أن صلاة العصر هي الصلاة الوسطى". كما نقل ذلك عنه ابن تيمية رحمه الله في شرحه على عمدة ابن قدامة (٥٥/٤).

ينظر في بسط هذه المسألة: جامع البيان للطبري (٥٥٤/٢)، والنكت والعيون للماوردي (٣٠٧/١)، والمغني لابن قدامة (٢٢٨/١)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠٦/٢٣).

(١) رجالاً: منصوب على الحال، والعامل محذوف، وتقديره: فصلوا رجالاً، أو: فحافظوا عليها رجالاً. ورجالاً: جمع راجل، كقائم وقيام، يقال منه: مشى فلان إلى بيت الله حافياً رجِلاً، إذا عدم المركب ومشى على قدميه، ويجمع على: رجالٍ، ورجيلٍ، ورُجالى، ورِجالى، ورِجالة، ورَجْلان، ورَجْلة، ورَجَلة، بفتح الجيم وأرْجَلة، وأراجِل، وأراجيل.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٣٣١/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٢/١١)، والمفردات للراغب (ص١٨٩)"رجل".

(٢) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (١٩٩/٢)، والمغني لابن قدامة (٢٥٩/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٢٣/٣).

(٣) قاله أكثر أهل العلم. لماثبت في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:" فإن كان خوف هو أشد من ذلك صلوا رجالًا قيامًا على أقدامهم أو ركبانًا، مستقبلي القبلة أو غير مستقبليها، قال مالك: قال نافع: لا أُرى عبد الله بن عمر ذكر ذلك إلا عن رسول الله ﷺ". أخرجه البخاري

﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: فصلوا الصلوات الخمس تامة بحقوقها ﴿كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ﴾ الآية، يعني: أمرٌ من الله تعالى من حضرته الوفاة أن يوصي بأن تسكن امرأته في بيته سنةً ولا تخرج، وينفق عليها ما تحتاج إليه، إلا أن تؤثر هي الخروج فإنها حينئذ لا تكره على الإقامة حولاً، والآية منسوخة بآية العدة وآية الميراث.[1] وقوله:

(١٦٤٩/٤)، برقم: (٤٢٦١) كتـاب التفسير/بـاب ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾، ومسلم (٥٧٤/١)، برقم: (٨٣٩) كتاب الصلاة/باب صلاة الخوف.

ينظر: أحكام القرآن للجصاص (١٦٢/٢)، والمغني لابن قدامة (١٣٩/٢)، والمجموع للنووي (٢٠٥/٣).

(١) هذا مذهب جمهور العلماء.

وذهب مجاهد، وعطاء: إلى أن الآية المتأخرة لا تدل على وجوب الاعتداد سنةً كما يراه الجمهور، حتى يكون ذلك منسوخاً بالأربعة أشهر وعشر؛ وإنما دلت على أن ذلك كان من باب الوصاية بالزوجات أن يُمَكَّنَّ من السكنى في بيوت أزواجهن بعد وفاتهم حولاً كاملاً إن اخترنَ ذلك، جبراً لخاطرهن، وبراً بميتهم، ولهذا قال ﷻ:﴿وَصِيَّةً لِّأَزۡوَٰجِهِم﴾، أي: وصية من الله لأهل الميت أن يستوصوا بزوجته، ويمتعوها ولا يخرجوها، لقوله تعالى: ﴿غَيۡرَ إِخۡرَاجٍ﴾، فأما إذا انقضت عدتهن بالأربعة أشهر والعشر أو بوضع الحمل، واخترن الخروج والانتقال من ذلك المنزل، فإنهن لا يمنعن من ذلك، لقوله ﷻ:﴿فَإِنۡ خَرَجۡنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِي مَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعۡرُوفٍ﴾، أي: من التجمل واللباس، بشرط أن يكون بالمعروف الذي لا يخرجها عن حدود الدين والاعتبار، وهذا القول أظهر، لما فيه إعمال للآيتين جميعًا، وما أمكن فإنه لا يعدل عنه إلى القول بالنسخ، وفيه أيضًا الخروج من الإشكال الوارد باتحاد موضوع الآيتين واختلاف الحكم فيهما، وقد قال ابن كثير رحمه الله عن هذه الآية:"وهذا القول له اتجاه، وفي اللفظ مساعدة له، وقد اختاره جماعة، منهم: الإمام أبو العباس ابن تيمية". تفسير القرآن العظيم (٢٩٨/١).

ينظر: جامع البيان للطبري (٥٧٨/٢)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (٢٣٩/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢١٣/١)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (٩٠/١)، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص١٠٦).

﴿مَتَـٰعًا﴾ أي: جعل الله ذلك لها متاعاً. ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ أي: يا أولياء الميت ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: لا إثم عليكم في قطع النفقة عنهن وترك منعها عن التشوق للنكاح والتصنع للأزواج.

وقوله: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَـٰتِ مَتَـٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ سبب نزولها:" أنه لما نزل قوله: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ إلى قوله: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ قال رجل من المسلمين: فإن أحسنتُ فعلتُ، وإن لم أُرد ذلك لم أفعل، فقال الله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَـٰتِ مَتَـٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾".[1] يعني: المؤمنين المتقين الشرك. وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ﴾ هو من رؤية القلب، لا من رؤية العين.[2]

---

(١) روى ذلك الطبري في جامع البيان (٢/٥٨٤)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢/٢٠١)، والواحدي في الوجيز (١/١٧٧)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/٢٩٨) عن عبد الرحمن بن زيد رحمه الله. وقد استدل بهذه الآية من ذهب من العلماء إلى وجوب أن تمتع كل مطلقة، سواء كانت مفوضة، أو مفروضاً لها، أو مطلقة قبل المسيس، أو مدخولاً بها، وهو قولٌ عن الشافعي رحمه الله، وإليه ذهب سعيد بن جبير، وغيره من السلف، واختاره ابن جرير رحم الله الجميع، ومن لم يوجبها مطلقاً يخصص من هذا العموم مفهوم قوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَـٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[البقرة:٢٣٦]، وهو قول مالك، وأبي حنيفة، وشريح، رحمهم الله، وأجاب الأولون بأن هذا من باب ذكر بعض أفراد العموم فلا تخصيص على المشهور. والقول الثاني هو الأظهر، بدليل لو كانت المتعة واجبة وجوب الحقوق اللازمة الأموال بكل حال لم يخصص المتقون والمحسنون بأنها حق عليهم دون غيرهم، فتخصيصهم بها يدل أنها على سبيل الإحسان والتفضل، والإحسان ليس بواجب، والله تعالى أعلم.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٥٣٢)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/٢٩٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٣٢٠).

(٢) وذلك أن الخبر والعلم لا يجليان رؤية العين، ولكنه رؤية القلب بالعلم لذلك، فنبينا ﷺ لم يدرك الذين أخبر الله عنهم هذا الخبر، ولما كان رؤية القلب ما رآه وعلمه به، صار تصديق أخبار الله ﷻ

﴿وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ﴾ كانوا أربعة آلاف[١] خرجوا فراراً من الطاعون فقالوا: نأتي أرضاً ليس بها موت، حتى إذا كانوا بموضع كذا وكذا ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ﴾ فماتوا، فمر عليهم نبي من الأنبياء اسمه: حزقيل[٢] فدعا ربه ﷻ أن يحييهم فأحياهم، فذلك قوله:﴿ أَلَمۡ تَـرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَـرَجُواْ﴾، الآية.[٣]

كالنظر إليه عياناً، فمعنى ذلك: ألم تعلم يا أيها الرسول الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف.
ينظر: جامع البيان للطبري (٥٨٥/٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣٢٧/١)، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١٧٧/٢)"رأه".

(١) ورد هذا العدد عن ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه الطبري عنه في جامع البيان (٥٨٦/٢)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٤٥٦/٢)، وأورده النحاس في معاني القرآن (٢٤٤/١)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣٠٩/٢)، برقم: (٣١١٣) وقال:"صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه". واختلف المفسرون في عدد القوم، والأظهر ما اختاره الطبري رحمه الله بقوله:"وأولى الأقوال في مبلغ عدد القوم الذين وصف الله خروجهم من ديارهم بالصواب، قول من حد عددهم بزيادة عن عشرة آلاف، دون من حده بأربعة آلاف، وثلاثة آلاف، وثمانية آلاف، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عنهم أنهم كانوا ألوفاً وما دون العشرة آلاف لا يقال لهم ألوف، وإنما يقال: هم آلاف، إذا كانوا ثلاثة آلاف فصاعداً إلى العشرة آلاف، وغير جائز أن يقال: هم خمسة ألوف، أو عشرة ألوف". جامع البيان (٥٩٠/٢). وهذا ما رجحه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٠٣/٢)، والرازي في التفسير الكبير (١٣٩/٦)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٣١/٣).

(٢) رواه الطبري في جامع البيان (٥٨٦/٢) عن وهب ابن منبه، وحكاه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٠٣/٢) عن الحسن ومقاتل. وهو اسم سرياني، أو عبراني، معناه: عبد الله، أو هِبة الله. وليس هناك دليل يدل على نفيه أو إثباته، وهو مما لا يضر الجهل به، كمعرفة الألوف الذين خرجوا تحديدًا.
ينظر: معالم التنزيل للبغوي (٢٢٤/١)، ولباب التأويل للخازن (٢٥٠/١)، وتاج العروس للزبيدي (٢٩٧/٢٨).

(٣) رواه الطبري في جامع البيان (٥٨٦/٢)، وحكاه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٠٣/٢)، والبغوي في معالم التزيل (٢٢٤/١)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٢٩٩/١)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٧٤١/١) وزاد نسبته إلى وكيع، والفريابي، وابن المنذر، والحاكم.

قوله ﷻ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ سماه قرضاً والله أعلم، لأنَّ القرض مؤدّى، أي: أنا آخذ وأوافيكم عوضه كما يؤدّى القرض.(١)

وقوله:﴿حَسَنًا﴾ يعني: محتسبا طيبة به نفسه. ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [١٣/ب] لا يعلم هذا التضعيف إلا الله.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ﴾ يعني: يمسك الرزق عمن يشاء ويقتر ويضيّق عليه.

﴿وَيَبْصُۜطُ﴾ أي: يوسّع الرزق على من يشاء. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: إلى الله تعودون فيجزيكم بأعمالكم. قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ الآية.

﴿ٱلْمَلَإِ﴾: الأشراف من الناس.(٢) قوله: ﴿إِذْ قَالُوا۟﴾ أي: حين قالوا ﴿لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟﴾ أي: قال لهم النبي: أنا بين الرجاء والخوف في قتالكم فأخبروني عن نياتكم، وإن أحسستم من أنفسكم بفشلٍ عساه يقع منكم، ولا تسألوا فرض ذلكم عليكم، فأجابوا بأنَّ دواعيهم إلى القتال، ﴿قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.(٣)

وقوله: ﴿تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾

---

(١) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢/٢٠٥)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٣٢٩)، والتفسير الكبير للرازي (٦/١٤٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٢٩٩).

(٢) الملأ من القوم: وجوههم وأشرافهم، وأصل الملأ: الجماعة من الناس، وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه، مثل: الإبل والخيل والجيش، ويجمع على أملاء، وسموا بذلك: لأنهم يملؤون العيون هيبة، أو المكان إذا حضروه، أو لأنهم مُلِءٌ بما يحتاج إليه منهم.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (١/٣٢٧)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١/١٧٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٥/٢٨٩)"ملأ"، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/٢٥٧).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٥٩٥)، والكشف والبيان لثعلبي (٢/٢٠٨)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٣٣٠).

يعني: إشمويل.[١]

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا﴾

أي: من أين يكون له الملك علينا ﴿وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِ﴾، وإنما قالوا ذلك لأنَّ طالوت لم يكن من سبط النبوة، ولا من سبط الْمُلك، ولم يكن مع ذلك ذا مال.[٢][٣] ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: اختاره.

﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ أي: فضيلة وسعة[٤] ﴿وَٱلۡجِسۡمِ﴾ يعني: بالطول.

---

(١) وهو قول أكثر المفسرين، وهو بالعربية: إسماعيل.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦١٧/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٠٨/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٢٦/١).

(٢) وبه قال قتادة رحمه الله، كما رواه ذلك عنه عبد الرزاق في تفسير القرآن (٩٧/١)، والطبري في جامع البيان (٦٠٣/٢)، وحكاه مكي بن أبي طالب في تفسير الهداية (٨٢٠/١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) طالوت: اسم أعجمي معرفة، كجالوت وداود، وهو: طالوت بن قيس، من ذرية بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، اصطفاه الله تعالى بجعله ملكاً على بني إسرائيل، بما أودع فيه من الاستعداد الفطري للمُلك، والسعة في العلم، وبسطة الجسم، والشجاعة، والقدرة على المدافعة، والهيبة والوقار.

ينظر: التاريخ الكبير للطبري (٢٧٦/١)، والكامل في التاريخ لعلي بن أبي الكرم الشيباني (١٦٤/١)، ونهاية الأرب في فنون الأدب، لشهاب الدين النويري (٣٠/١٤).

(٤) البَسط: نقيض القبض، قال ابن فارس:" الباء والسين والطاء: أصل واحد، وهو: امتداد الشيء في عرض أو غير عرض، والبسطة في كل شيء: السعة، وهو بسيط الجسم والباع والعلم". معجم مقاييس اللغة (٢٤٧/١)"بسط".

وفي الآية: أن العلم هو الذي يجب أن يقع الاختيار به لا المال، وأن الزيادة في الجسم مما يهيَّب به العدو.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦٠١/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٤١/١٢)، ومشارق الأنوار للقاضي

﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾ أي: ليس هو بالقرابة، وإنما هو بيد الله يؤتيه من يشاء. ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: واسع الفضل.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ كان هذا التابوت من خشب الشمشار،(١) وكان الأنبياء وخلفاؤهم يحملونه معهم إذا خرجوا إلى قتال الكفار فيكون التابوت بين أيديهم، يستفتحون به، وهبط هذا التابوت مع آدم من الجنة، وكان موسى خلَّفه عند يوشع في التيه، فحملته الملائكة حتى وضعته في دار طالوت، فأقروا ملكه، وكان فيه صور الأنبياء.(٢) وقوله: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: فيه ما تسكنون إليه إذا أتاكم، والسكينة للقلوب كالسكون للأبدان.(٣)

عياض (١/١٠١)"بسط".

(١) الشمشار، ويقال: الشمشاد: اسم شجر كالآس ورقاً وحباً، منابته بلاد الروم، تتخذ منه الأمشاط، والمغالق والأبواب، لمتانته وصلابته.

ينظر: القاموس المحيط لفيروز آبادي (ص٦٨٧)، وتاج العروس للزبيدي (١٥/٤٦١)"شمشد"، والجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار (١/١٤١).

(٢) كثر القصص في هذا التابوت والاختلاف في أمره عند المفسرين، وهو من الإسرائيليات التي لا يعول عليها، والأظهر أنه تابوت معروف حاله عند بني إسرائيل، كانوا قد فقدوه، وهو مشتمل على ما ذكره الله تعالى مما أبهم حاله، ولم ينص على تعيين ما فيه، وأن الملائكة تحمله، والله تعالى أعلم.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٦١٠)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/٢٧٠)، وفتح القدير للشوكاني (١/٢٦٧).

(٣) اختلف المفسرون في المراد بالسكينة على أقوال، أصحها ما ذكره المؤلف، وهو قول الجمهور، وذلك أن السكينة في كلام العرب: الفعيلة، من قول القائل: سكن فلان إلى كذا وكذا إذا اطمأن إليه، وهدأت عنده نفسه فهو يسكن سكوناً وسكينة، مثل قولك: عزم فلان هذا الأمر عزماً وعزيمةً، وقضى الحاكم بين القوم قضاءً وقضيةً، وإذا كان معنى السكينة ما ذكر، فقد اتضح أن الآية التي كانت في التابوت هي ما كانت النفوس تسكن إليها لمعرفتها بصحة أمرها.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٦١٣)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٢٥١)، والنكت والعيون للماوردي

قوله: ﴿وَبَقِيَّةٌ﴾ هي: عصا موسى.[١]

قوله ﷻ:﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ أي: انفصل، أي: قطع مستقره فتجاوزه شاخصاً إلى غيره.[٢] رُوي:" أنهم لما رأوا التابوت قالوا: قد أتانا التابوت، وهو النصر لا شك فيه، فتسارعوا إلى الجهاد، فقال طالوت: لا حاجة لي في كل رجل مشتغل بشيء، ولا أبتغي إلا الشاب النشيط الفارغ، فاجتمع له ثمانون ألفًا ممن شرطه، وكان في حرٍّ شديد، فشكوا قلة المياه بينهم وبين عدوهم، وقالوا: إن المياه لا تحملنا، فادع الله تعالى أن يجري لنا نهراً، فقال لهم طالوت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ ".[٣] أي: مختبركم ليرى طاعتكم، -وهو أعلم-.[٤]

(٣١٠/١)، والكشف والبيان للثعلبي (٢١٣/٢).

(١) هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما. وقال عطاء: العلم والتوراة. وقال الضحاك: الجهاد في سبيل الله. وقال الحسن: التوراة وشيء من ثياب موسى ﷺ. والأولى أنه لا يجزم بتعيين شيء بعينه، لا من جهة الاستخراج ولا اللغة، ولا يدرك علم ذلك إلا بخبر ثابت من الكتاب أو السنة، فجائز أن يكون المراد بالبقية ما ذكر أو غيره، وهو اختيار الطبري وابن عطية، رحمة الله على الجميع.
ينظر: جامع البيان للطبري (٦١٣/٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣٣٣/١)، والنكت والعيون للماوردي (٣١٦/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٧١/٢).

(٢) الفصل: القطع، يقال: فَصَلَ عن المكان، أي: قطعه بالمجاوزة عنه، وأصله فصل نفسه، ثم كثر، فحذف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدّي: كانفصل.
ينظر: العين للخليل (١٢٦/٧)، ومختار الصحاح للرازي (٢١١/١)"فصل"، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٧٣/٢).

(٣) روى بعضه الطبري في جامع البيان (٦١٨/٢) عن وهب بن منبه، وحكاه الثعلبي في الكشف والبيان (٢١٥/٢)، والبغوي في معالم التنزيل (٢٣٠/١)، والزمخشري في الكشاف (٣٢٢/١) بلا نسبة، والخبر من الإسرائيليات لا تصدق ولا تكذب.

(٤) كان مشهوراً مخالفة بني إسرائيل الأنبياء والملوك مع ظهور الآيات الباهرة، فأراد الله تعالى إظهار علامة قبل لقائهم العدو، يتميز بها من يصبر على الحرب ممن لا يصبر، لأن الرجوع قبل لقاء العدو لا يؤثر كتأثيره حال لقاء العدو.

﴿بِنَهَرٍ﴾ هو نهر فلسطين.(١) ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أي: من أهل طاعتي. ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ أي: لم يشربه ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾. الغرفة: ما يحصل في الكف من الماء.(٢) ﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ كانوا ثلاثمائة وبضع، وهم الذين ثبتوا مع طالوت.(٣) ﴿كَم مِّن فِئَةٍ﴾ أي: من جماعة. وقوله: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟﴾ أي: صاروا بالبَرَاز من الأرض، وهو ما ظهر واستوى.(٤)

ينظر: معالم التنزيل للبغوي (٢٣١/١)، والتفسير الكبير للرازي (١٥٢/٦)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٥١/٣).

(١) وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، والسدي رحمه الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦١٩/٢)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٤٧٣/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٢١٦/٢).

(٢) الغُرْفَة، بالضم: الماء المغروف باليد، والغَرفَة: الاغتراف، فالضم اسم والفتح مصدر، والغَرفَة بالفتح: المرة الواحدة من القليل والكثير، والجمع غِراف كبُرْمَة وبِرام، والمِغْرَفة بكسر الميم: ما يُغرَف به الطعام، والجمع مغارف.

ينظر: العين للخليل (٤٠٦/٤)"غرف"، ومعاني القرآن للنحاس (٢٥٣/١)، والمفردات للراغب (ص٣٦٠)"غرف".

(٣) يؤيد ذلك ما أخرجه البخاري عن البراء بن عازب ﷺ قال: «كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، ولم يجاوز معه إلا مؤمن، بضعة عشر وثلاث مائة». (صحيح البخاري (١٤٥٧/٤)، برقم: (٣٧٤١) كتاب المغازي/باب عدة أصحاب بدر).

(٤) الأصل في المبارزة: أن الأرض الفضاء التي لا حجاب فيها يقال لها: البراز، فكان البروز عبارة عن حصول كل واحد منهما في الأرض المسماة بالبراز، وهو أن يكون كل واحد منهما بحيث يرى صاحبه.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦٢٤/٢)، والمفردات للراغب (ص٤٣)"برز"، والتفسير الكبير للرازي (١٥٧/٦).

وقوله: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: كسروهم وردُّوهم.(١)

﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ وذلك أنَّ داود أتى أباه أيشا(٢) يوماً فقال: يا أبتاه، ما أرمي بقُذافتي شيئاً إلا صرعتُه، فقال: أبشر يا بني، فإن الله ﷻ جعل رزقك في قُذافتك، ثم أتاه مرة أخرى فقال: يا أبتاه، لقد دخلت بين الجبال فوجدت أسداً رابضاً فركبته وأخذت بأذنيه، فقال: أبشر يا بني فإن هذا خير يريده الله بك، ثم أتاه يوماً آخر فقال: يا أبتاه، إني لأمشي بين الجبال فأسبِّح، فما يبقى جبل إلا يسبِّح معي، فقال: أبشر، فإن هذا خير أعطاكه الله، قالوا: فأرسل جالوت(٣) إلى طالوت أن ابرز إليَّ، أو أبرز إليَّ من يقاتلني، فإن قتلني فلكم ملكي، وإن قتلتُه فلي ملككم، فانتدب داود لمبارزته، وأخذ المقلاع ومضى نحو جالوت، وكان جالوت من أشد الناس وأقواهم، وكان يهزم الجيوش وحده، فلما نظر إلى [١٤/أ] داود أُلقي في قلبه الرعب، فقال له: أنت تبرزني؟ قال: نعم، وكان جالوت على فرس أبلق عليه السلاح التام، قال: فأتيتني بالمقلاع والحجر كما تؤتى الكلب؟ قال: نعم، لأنت شرٌ من

---

(١) أصل الهزْم في اللغة :كسر الشيء وثَنْيُ بعضه على بعض، ويقال: سقاءٌ مُتهزّمٌ ومُهزّم: إذا كان بعضه قد ثُنِيَ على بعض مع جفاف، والعرب تقول: هَزِمْتُ على زيد: أي: عطِفْتُ عليه، وهَزمتُ البئر: حَفرتها، وبئر هزيمة؛ إذا خسفت وكسر جبلها ففاض الماء الرّواء ، ومن هذا أخذ هزيمة الفرس، وهو تصبب عرقه عند شدة جَريه.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٣٣٢/١)، ومعاني القرآن للنحاس (٢٥٤/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٩٤/٦)"هزم".

(٢) لم أعثر على ترجمة "أيشا" فيما بين يدي من المصادر.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦٢٤/٢)، والمفردات للراغب (ص٤٣)"برز"، والتفسير الكبير للرازي (١٥٧/٦).

(٣) جالوت: اسم أعجمي ممنوع الصرف للعجمة والعلمية، كان ملك العمالقة، وهو جبارٌ من من جبابرة الكنعانيين، من أولاد عمليق بن عاد، وكان ملكه بجهات فلسطين، وكان من ذوي الشدة وطول القامة بمكان، وهو محارب لداود عليه السلام، فهُزِم هو وجنوده بإذن الله وقُتِل على يد داود عليه السلام.

ينظر: تاريخ الطبري (٢٧٦/١)، والكشف والبيان للثعلبي (٢١٧/٢)، والبداية والنهاية لابن كثير (٦/٢).

الكلب، قال: لاجرم، لأقسِّمنَّ لحمك بين سباع الأرض، وطير السماء، قال داود: أو يقسم الله لحمك، فقال داود: باسم إله إبراهيم، وأخرج حجراً، ثم أخرج آخر وقال: باسم إله إسحاق، ثم أخرج الثالث وقال: باسم إله يعقوب، ووضعه في مقلاعه، فصار كلها حجرًا واحدًا، ودوَّر المقلاع ورماه به، فسخَّر الله الريح حتى أصاب الحجر أنف البيضة، فخالط دماغه وخرج من قفاه، ففرح المسلمون فرحًاشديدًا، وانصرفوا إلى المدينة سالمين.(١)

﴿وَءَاتَـٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ لأنه ملَكَ بعد قتله جالوت. ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ أي: النبوة.(٢) ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ أي: صنعة الدُّروع.(٣) وكان يأكل من عمل يده

---

(١) أخرج هذه القصة الطبري في جامع البيان (٢/٦٢٧)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٢/٤٧٧) عن وهب بن منبه، وحكاه الثعلبي في الكشف والبيان (٢/٢١٧) ونسبه إلى المفسرين، وقد وردت أقوال متعددة في صفة قتل جالوت، وهي من الإسرائيليات، وليس هناك دليل يدل على ذلك. قال أبو حيان رحمه الله:" طوَّل المفسرون في قصة كيفية قتل داود لجالوت، ولم ينص الله على شيء من الكيفية". البحر المحيط (٢/٢٧٧).

(٢) وبه قال جمهور المفسرين رحمة الله عليهم أجمعين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٦٣٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٢/٢٢٣)، والتفسير الكبير للرازي (٦/١٦٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٣٠٤).

(٣) لم يبين هنا شيئاً مما علمه، وقد بين في مواضع أخر أن مما علمه صنعة الدروع، وكلام الطير، والزبور، وكيفية الحكم والقضاء، كقوله ﷻ: ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾[الأنبياء:٨٠]، الآية، وقوله ﷻ: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾[سبأ:١٠-١١]، وقوله سبحانه: ﴿وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾[النمل:١٦]،وقوله ﷻ: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[الإسراء:٥٥]، وقوله ﷻ: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾[ص:٢٠]. قال ابن كثير رحمه الله:" ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾، أي: مما يشاء الله من العلم الذي اختصه به ﷺ". تفسير القرآن العظيم (١/٣٠٤).

ذلك،[١] وكان إذا قرأ الزبور دنت الوحوش، وأظلته الطيور مصيخة له،[٢] ويركد الماء الجاري، ويسكن الريح».[٣] ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي: بجنود المسلمين وسراياهم ومُرابطيهم.

﴿لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ أي: لغلب المشركون على الأرض، فقتلوا المؤمنين، وخرَّبوا البلاد والمساجد.[٤] ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ أي: هذه[٥] الآيات التي أُتيتَ بها آيات الله، أي:

ينظر: جامع البيان للطبري (٦٣٢/٢)، تفسير القرآن للسمعاني (٢٥٤/١)، وأضواء البيان للشنقيطي (١٥٤/١).

(١) يؤيد ذلك ما ثبت في صحيح البخاري عن المقدام ﷺ عن رسول اللّهِ ﷺ قال: «ما أكل أحد طعاما قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده». (صحيح البخاري (٧٣٠/٢)، برقم: (١٩٦٦) كتاب البيوع/باب كسب الرجل وعمله بيده).

(٢) مصيخة له: أي: مستمعة له ومنصتة مصغية، يقال: انصاخ الثوب إذا انشق من قبل نفسه.
ينظر: النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٦٤/٣)، ولسان العرب لابن المنظور (٣٥/٣)، وتاج العروس للزبيدي (٢٩٥/٧)"صيخ".

(٣) وهو مروي عند المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١٠٦/١)، عن ابن إسحاق، وذكره الثعلبي في الكشف البيان (٢٢٣/٢)، والبغوي في معالم التنزيل (٢٣٥/١)، والخازن في لباب التأويل (٢٦٤/١) بلا نسبة، وهو من الإسرائيليات التي لم يقم عليها دليل ثابت، فلا تصدق ولا تكذب.

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٦٣٣/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٣٥/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٠٠/١).

(٥) من أساليب اللغة العربية: إطلاق الإشارة إلى البعيد على الإشارة إلى القريب، فـ﴿تِلْكَ﴾ يرجع معناها إلى: «هذه وهذا»، فإن هذه القصص لما ذُكرت صارت بعد ذكرها كالشيء الذي انقضى ومضى، فكانت في حكم الغائب، فلهذا التأويل قال: ﴿تِلْكَ﴾.
ينظر: جامع البيان للطبري (٦٣٤/٢)، والتفسير الكبير للرازي (١٦٤/٦)، والدر المصون للسمين الحلبي (٨٤/١)، وأضواء البيان للشنقيطي (١٨٦/٧).

أعلامه التي تدل على توحيد، وتثبيت رسالات أنبيائه، إذ كان يعجز عن الإتيان بمثلها المخلوقون.(١) ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ أي يتلوها الملَك بوحيي وأمري، وأضاف إلى نفسه تشريفاً للمَلَك.(٢) ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ أي: بهذه الآيات.

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ أي: كلَّمه الله، كموسى عليه السلام.(٣) ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ يعني به: محمداً ﷺ، رُفعت درجته بأن أُرسل إلى الخلق

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٦٣٤)، والتفسير الكبير للرازي (٦/١٦٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٣٠٤).

(٢) أسند جل وعلا تلاوتها إلى نفسه، لأنها كلامه الذي أنزله على رسوله ﷺ بواسطة الملك، وأمر الملك أن يتلوه عليه مبلغاً عنه جل وعلا، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة:١٦-١٩]، فقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ أي: قرأه عليك الملك المرسل به، من قبلنا مبلغاً عنا، وسمعته منه، ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ أي: فاتبع قراءته، واقرأه كما سمعته يقرؤه، وقد أشار تعالى إلى ذلك في قوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾[طه:١١٤]، وسماعه ﷺ القرآن من الملك المبلغ عن الله كلام الله، وفهمه له هو معنى تنزيله إياه. قال ابن تيمية رحمه الله:"إن القرآن المسموع هو كلام الله لا كلام غيره، سمعه جبريل عليه السلام من الله، وسمعه النبي ﷺ من جبريل عليه السلام، وسمعه المسلمون من نبيهم ﷺ، ثم بلغه بعضهم إلى بعض، وليس لأحد من الوسائط فيه إلا التبليغ بأفعاله وصوته، لم يحدث منهم أحد شيئا من حروفه ولا نظمه ولا معانيه، بل جميع ذلك كلام الله تعالى". مجموع الفتاوى (١٢/١٧٢).

ينظر: جامع البيان للطبري (١٠/٧٩)، والرد على الجهمية للدارمي (ص١٥٥)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص١٨٨)، وأضواء البيان للشنقيطي (٧/١٨٦).

(٣) ومنهم من اتخذه الله خليلاً، كإبراهيم عليه السلام، ومنهم من سخر الله له الطير، والجبال، كداود عليه السلام، ومنهم من أعطي ملكاً عظيماً، كسليمان عليه السلام، ومنهم من يحيي الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص، ثم رفعه الله عز وجل إلى السماء، كعيسى عليه السلام، فكل واحد منهم فُضِّل بأمر لم يعطه غيره، فهذا تفضيل بعضهم على بعض، وفي هذه الآية خصّ بالتكليم بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد صرح في

كافَّة،[١] وأوتي من المعجزات الكثيرة، وجُعل خاتم النبيين، وجعل له رتبة الشفاعة، ونصر برعب مسيرة شهر، وأحلَّت له الغنائم، وأُيِّد بإعجاز القرآن الذي باقٍ أبد الدهر.[٢]

الآيات الأخرى بأنه تبارك وتعالى كلّمه مشافهة بغير واسطة ملك، كما قال سبحانه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقوله سبحانه: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢].

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٢٦١)، وجامع البيان للطبري (٣/١)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٢٥٧)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٢٣٦).

(١) قاله مجاهد رحمه الله، كما روى ذلك عنه الطبري في جامع البيان (٣/١)، وذكره النحاس في معاني القرآن (١/٢٥٧)، وابن عطية في المحرر الوجيز (١/٣٣٨).

(٢) يؤيد ما ذكره المؤلف رحمه الله من تفضيل نبينا ﷺ على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال قال رسول اللّهِ ﷺ:« أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفَّع». (صحيح مسلم (٤/١٧٨٢) برقم: (٢٢٧٨) كتاب الفضائل/باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق). وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أعطي من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله تعالى إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة». أخرجه البخاري (٤/١٩٠٥)، برقم: (٤٦٩٦)، كتاب فضائل القرآن/باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل، ومسلم في صحيحه (١/١٣٤)، برقم: (١٥٢) كتاب الإيمان/باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته.وعن جابر بن عبد الله ﷺ أن النبي ﷺ قال: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلّ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة». أخرجه البخاري (١/١٢٨)، برقم: (٣٢٨) أول كتاب التيمم. وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «فضلتُ على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون». أخرجه مسلم (١/٣٧١)، برقم: (٥٢٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة. قال الرازي رحمه الله:" أجمعت الأمة على أن بعض الأنبياء أفضل من بعض، وعلى أن محمداً ﷺ أفضل من الكل". التفسير الكبير (٦/١٦٥).

ينظر: معالم التنزيل للبغوي (١/٢٣٦)، والكشاف للزمخشري (١/٣٢٤)، والمحرر الوجيز لابن عطية

﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: أعطيناه الحجج التي تدل على إثبات نبوته، من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله، والإنباء عمّا غاب عنه بوحيٍ إليه.(١) ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ أي: قوّينا رسالته بجبرئيل، وكان معه عند اجتماع الكفار على قتله، إلى أن رُفع إلى السماء.(٢) ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم﴾ أي: من بعد الرسل. ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟﴾ أي: بعدهم في الدين. ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ﴾ أي: ثبت على الإيمان، ﴿وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾.

(١/٣٣٨).

(١) وعلى هذا إجماع المفسرين رحمة الله عليهم أجمعين.

والبينات المشار إليها في الآية الكريمة، ذكرها الله ﷻ في سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩]، وفي سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠].

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١/٢٣٢)، والتفسير الكبير للرازي (٦/١٧٢).

(٢) قال الرازي رحمه الله: "والمراد من هذه التقوية: الإعانة، وإسناد الإعانة إلى جبريل عليه السلام حقيقة، ووجه اختصاص عيسى بجبريل عليهما السلام؛ بحيث لم يكن لأحد من الأنبياء عليهم السلام مثل ذلك؛ لأنه هو الذي بَشَّر مريم عليها السلام بولادتها، وإنما وُلد عيسى عليه السلام من نفخة جبريل عليه السلام، وهو الذي رباه في جميع الأحوال ....". التفسير الكبير (٣/١٦٢).

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ المراد بالاقتتال الأول: الاختلاف، وبالثاني: التقاتل الذي يفضي إليه الاختلاف، فلا تكرار فيه.(١) ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ فيوفّق من يشاء فضلاً، ويخذل من يشاء عدلاً.(٢) قوله تعالى:﴿أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ يعني: صدقة التطوع والنفقة في الخير وخاصة في الجهاد.(٣)

---

(١) وقال الواحدي رحمه الله:"كرر ذكر المشيئة باقتتالهم، تكذيباً لمن زعم أنهم فعلوا ذلك من عند أنفسهم لم يجر به قضاء من الله". الوجيز (١٨٢/١).

ينظر: أسرار التكرار في القرآن للكرماني (ص٤٥)، والتفسير الكبير للرازي (١٧٣/٦)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٨٤/٢).

(٢) معتقد سلف هذه الأمة وأئمتها، أن الإرادة في حق الله تعالى نوعان: إرادة كونية قدرية، وهي بمعنى المشيئة، كما في هذه الآية الكريمة.

وإرادة دينية شرعية: وهي المستلزمة للمحبة والرضا، مثل قوله ﷻ:﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾[النساء:٢٧]، ويبنون على هذا أن الله ﷻ قد يريد كوناً وقدراً مالا يحبه ولا يرضاه ديناً وشرعاً، بل ينهى عنه، كإرادته كفر الكافرين، ويحب الشيء ويرضاه ديناً وشرعاً ويأمر به، وإن لم يرد وجوده كوناً وقدراً، كإرادته لإيمان الكافرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٩٨/٢٣)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٤١٢/٢)، وشفاء العليل لابن القيم (٢٨٠/١)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص١١٦).

(٣) هذا قول مقاتل بن سليمان رحمه الله. وقال السدي، والحسن رحمهما الله: أراد به الزكاة المفروضة. وقال ابن جريج، وسعيد بن جبير رحمهما الله: هذه الآية تجمع الزكاة المفروضة والتطوع. وهذا القول هو الأظهر، وعليه أكثر المفسرين، رحمهم الله، فإن الآية عامة في كل صدقة واجبة أو تطوع، والعام يبقى على عمومه حتى يرد ما يخصصه. قال ابن عطية:" وظاهر هذه الآية أنها مراد بها جميع وجوه البر من سبيل وصلة رحم". المحرر الوجيز (٣٣٩/١).وقال الرازي رحمه الله:"وقال الأكثرون: هذا الأمر يتناول الواجب والمندوب". التفسير الكبير (١٧٤/٦).

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٣٥/١)، ومعالم التنزيل (٢٣٧/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٦٦/٣).

﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ أي: لا فداء فيه.[١] ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ أي: فلا صداقة.[٢] ﴿وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ أي: إلا بإذن الله.[٣] ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: هم ظلموا أنفسهم بوضع العبادة في غير موضعها.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا إله لكل مخلوق إلا هو.[٤]

---

(١) وعلى هذا المعنى جماهير المفسرين، وخص البيع؛ لما في البيع من المعاوضة فيكون كالفداء من العذاب، كقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ [الأنعام:٧٠].

ينظر: إيجاز البيان عن معاني القرآن لابن الحسين النيسابوري (١/١٤٨)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٣٠٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٣٠٥).

(٢) الخلّة في الأصل: المودة، إما لأنها تتخلل النفس، أي: تتوسطها، وإما لأنها تخل النفس فتؤثر فيه تأثير السهم في الرمية، يقال: خاللتُ الرجل خلالاً فهو خليل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾[النساء:١٢٥]، سماه بذلك: لافتقاره إلى الله سبحانه في كل حال، وفلان كريم الخلة، أي: كريم الإخاء والمصادقة.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٦/٣٠١)، والمفردات للراغب (ص٥٣)"خل"، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٣٠٥).

(٣) الشفاعة مأخوذة من الشَّفْع، وهما الاثنان، لأنّ الشّافع والمشفوع له شَفْعٌ، فالشفاعة إذاً: ضَمُّ غيرك إلى جاهك، فهي على التحقيق: إظهارٌ لمنزلة الشَّفِيع عند المشفَّع وإيصالُ منفعةٍ للمشفوع.

قال الطبري رحمه الله:"وهذه الآية مخرجها في الشفاعة عام، والمراد بها خاص، وإنما معناه: من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة لأهل الكفر بالله، لأن أهل ولاية الله والإيمان به يشفع بعضهم لبعض". جامع البيان (٣/٣).

ينظر: العين للخليل (١/٢٦٠)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/٢٠١)"شَفَعَ"، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١/٨٤٢)، والتفسير الكبير للرازي (٦/١٧٥).

(٤) تفسير المؤلف رحمه الله لهذه الجملة مخالف لما فسرها به أئمة أهل السنة، حيث قالوا:"لا معبود بحق إلا هو"، وذلك من وجهين: **الوجه الأول**: أن هناك آلهة موجودة سوى الله، لكنها باطلة، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾[الشعراء:٢١٣]. وقال سبحانه:

ومعنى ﴿ٱلْحَىُّ﴾ أي: الدائم البقاء.[١] ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ القائم بتدبير أمر الخلق، في إنشائهم ورزقهم وعلمه بأمكنتهم.[٢] ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ﴾ أي: نُعاس،[٣] وهو: النوم الخفيف، والنوم هو: الثقيل المزيل للقوة والإدراك، فنفى الله عن نفسه النوم؛ لأنه آفة ولا تجوز عليه الآفات.[٤]

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ﴾[هود:١٠١].

الوجه الثاني: أنه يقتضي أن الآلهة المعبودة من دون الله هي الله، ولا يخفى فساد هذا المعنى؛ وعليه فيتعين أن يكون التقدير: " لا إله حق إلا الله ".

ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٢/٢٧٧)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص١١١)، وتعليق الشيخ ابن باز رحمه الله عليها، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٣٠٩)، وتيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبد الله (ص١١٢).

(١) قال الطبري رحمه الله:"وأما قوله:﴿ٱلْحَىُّ﴾ فإنه يعني: الذي له الحياة الدائمة والبقاء الذي لا أول له بحد، ولا آخر له بأمد، إذ كان كل ما سواه فإنه وإن كان حياً فلحياته أول محدود وآخر ممود ينقطع بانقطاع أمدها، وينقضي بانقضاء غايتها". جامع البيان (٣/٥).

ينظر: التوحيد لابن مندة (ص٣٢٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٢٣٨)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (١٨/٣١١). ومعاني القرآن للزجاج (١/٣٣٦)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٢٥٩)

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١/٣٣٦)، وجامع البيان للطبري (٣/٥)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٢٥٩).

(٣)قال به عامة المفسرين، وأهل اللغة.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٣/٥٣)"سنا"، وتفسير الهداية لمكي (١/٨٤٦)، والنكت والعيون للماوردي (١/٣٢٤)، والمفردات للراغب (ص٥٢٤)"وسن".

(٤) يؤيد ذلك ما جاء في الحديث الصحيح عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال:«إن الله ﷻ لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور، - وفي رواية:- النار، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه». رواه مسلم في صحيحه (١/١٦١)، برقم: (١٧٩) كتاب الإيمان/بابٌ في قوله عليه السلام: إن الله لا ينام.

قوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ كان المشركون يزعمون أن الأصنام تشفع لهم، وكانوا يقولون:﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[الزمر:٣]، وأخبر الله عنهم بأنهم يعبدون﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[يونس:١٨]، فأنبأنا الله تعالى أنَّ الشفاعة ليست إلا ما أعلم الله من شفاعة النبي ﷺ وشفاعة المؤمنين بعضهم لبعض بإذنه.[١] ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ أي: علم الغيب الذي تقدمهم، والغيب الذي بعدهم.[٢]

وقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ﴾ أي: لا يعلمون الغيب لا مما تقدم، ولا مما يكون بعدهم، ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ أي: إلا بما أنبأ الأنبياء به ليكون دليلاً [١٤/ب] على تثبيت نبوتهم.[٣] ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ أي: أحاط به حتى كأنَّ السماوات السبع

---

(١) ذكر ذلك الطبري في جامع البيان (٨/٣)، والنحاس في معاني القرآن (٢٦٢/١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣٠٣/١) بلا نسبة. وفي الآية دليل على عظمة الله وجلاله وكبريائه ﷻ، أنه لا يتجاسر على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له في الشفاعة.

(٢) قاله ابن عباس رضي الله عنهما. وقال مجاهد، وعطاء، والسدي: ﴿مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾: ما كان قبلهم من أمور الدنيا، ﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾: ما يكون بعدهم من أمر الآخرة. وقال الضحاك والكلبي: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ يعني: الآخرة، لأنهم يقدمون عليها، ﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾: الدنيا، لأنهم يخلفونها وراء ظهورهم. وجميع هذه المعاني صحيحة لا تعارض بينها، والآية عامة، واختلاف السلف في تفسيرها إنما هو على سبيل المثال لا التخصيص، فإن المقصود: أنه سبحانه محيط بكل ما كان، وبكل ما هو كائن، علماً لا يخفى عليه شيء منه. قال ابن عطية رحمه الله:" وكل هذا صحيح في نفسه لا بأس به، لأن ما بين اليد هو كل ما تقدم الإنسان، وما خلفه هو كل ما يأتي بعده". المحرر الوجيز (٣٤١/١).
ينظر: معاني القرآن للنحاس (٢٦٢/١)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٣١/٢)، والتفسير الكبير للرازي (١٠/٧).

(٣) الإحاطة: العلم بالشيء بجميع جهاته وأنواعه، ومعناه : ولا يحيطون بشيء من علم الغيب إلا بما

مع الكرسي كحلقة ملقاة بأرض فلاة.(١)

شاء، يعني: إلا بما أخبر به الرسل، وأخبر به الملائكة، وهو مثل قوله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ ﴾ [الجن:٢٦-٢٧]، وقوله تعالى عن الملائكة: ﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [البقرة:٣٢]. قال القرطبي رحمه الله:"العلم هنا بمعنى: المعلوم، أي: ولا يحيطون بشيء من معلوماته، وهذا كقول الخضر لموسى عليه السلام حين نقر العصفور في البحر: «ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كما نقص هذا العصفور من هذا البحر»، فهذا وما شاكله راجع إلى المعلومات، لأن علم الله سبحانه وتعالى الذي هو صفة ذاته لا يتبعض، ومعنى الآية لا معلوم لأحد إلا ما شاء الله أن يعلّمه". الجامع لأحكام القرآن (٢٧٦/٣).

وقول الخضر لموسى عليهما السلام، ثابت في الصحيحين في حديث طويل عن أبي بن كعب ﷺ عن النبي ﷺ. صحيح البخاري (١٢٤٧/٣)، برقم: (٣٢١٩) كتاب الأنبياء/باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، و صحيح مسلم (١٨٤٩/٤)، برقم: (٢٣٨٠) كتاب الفضائل/باب من فضائل الخضر عليه السلام.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٢٦٢/١)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢٥٨/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٣٩/١).

(١) يؤيد ذلك ما أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/٣)، وابن حبان في صحيحه (٧٦/٢)، برقم: (٣٦١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٤٠٣/٢) من حديث أبي ذر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض». قال الحافظ ابن حجر:"وله شاهد عن مجاهد، أخرجه سعيد بن منصور في التفسير بسند صحيح عنه". فتح الباري (٤١١/١٣). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (٢٢٦/١). وهذا يدل على أن الكرسي جسم عظيم غير العرش، والعرش أعظم منه، وأنه يسع السموات والأرض، وهو موضع القدمين، كما ثبت ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:" الكرسي موضع القدمين، والعرش لايقدر أحد قدره". أهـ. رواه الطبراني في الكبير (٣٩/١٢)، برقم: (١٢٤٠٤)، وأبو الشيخ في العظمة (٥٨٢/٢)، برقم (٢٧)، قال الهيثمي:" رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح". مجمع الزوائد (٣٢٣/٦).

ينظر: جامع البيان للطبري (٩/٣)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٥٨٤/٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣١٠/١).

﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا﴾ أي: لا يشق عليه حفظ السماوات والأرض.(١)

﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾ أي: الرفيع فوق خلقه بالتدبير والقدرة.(٢)

﴿ٱلۡعَظِيمُ﴾ أي: الذي لا شيء أعظم منه.(٣)

---

(١) قاله عامة المفسرين وأهل اللغة. قال ابن تيمية رحمه الله:"وهذا النفي تضمن كمال قدرته تبارك وتعالى، فإنه مع حفظه للسموات والأرض لا يثقل ذلك عليه كما يثقل على من في قوته ضعف، وهذا كقوله تعالى: ﴿خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ﴾ [ق:٣٨]،:فنزه نفسه عن مس اللغوب، قال أهل اللغة: اللغوب: الإعياء والتعب". مجموع الفتاوى (١٧/١١٠).

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/١١)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٢٦٦)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٤/١٦٠)، والمفردات للراغب (ص٣٠)"أيد".

(٢) تقييد المؤلف رحمه الله لـ صفة "العلو" بالتدبير والقدرة؛ مخالف لمنهج السلف، وهو قول معطلي صفة علوه بذاته تبارك وتعالى، والصواب أن معنى ﴿ٱلۡعَلِيُّ﴾ شامل لعلو الذات والصفات والقدر. قال البغوي رحمه الله:"﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾: الرفيع فوق خلقه، والمتعالي عن الأشياء والأنداد". معالم التنزيل (١/٢٤٠).

وقال ابن تيمية رحمه الله:"واسمه ﴿ٱلۡعَلِيُّ﴾ يفسر بهذين المعنيين، يفسر بأنه أعلى من غيره قدراً، فهو أحق بصفات الكمال، ويفسر بأنه العالي عليهم بالقهر والغلبة، فيعود إلى أنه القادر عليهم وهم المقدورون، وهذا يتضمن كونه خالقاً لهم ورباً لهم، وكلاهما يتضمَّن أنه نفسه فوق كل شيء فلا شيء فوقه". مجموع الفتاوى (١٦/٣٥٨). وقال ابن القيم رحمه الله:" قوله:﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾، تصريح بالعلو المطلق، الدال على جميع مراتب العلو ذاتًا وقدرًا وشرفًا". إعلام الموقعين (٢/٣٠١).

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٣٨٨)، والعلو للعلي الغفار للذهبي (ص١٠٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٣١١)،

(٣) قال السعدي رحمه الله:" فقد اشتملت هذه الآية على توحيد الإلهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وعلى إحاطة ملكه، وإحاطة علمه، وسعة سلطانه، وجلاله، ومجده، وعظمته، وكبريائه، وعلوه على جميع مخلوقاته، فهذه الآية بمفردها عقيدة في أسماء الله وصفاته، متضمنة لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلا ". تيسير الكريم الرحمن (ص١١٠).

قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ نزلت في رجل من الأنصار، كان له غلام أسود، وكان يكرهه على الإسلام، فنزلت هذه الآية.(١)

---

(١) ذكر هذا السبب الواحدي في أسباب النزول (ص٢٠٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/٣٠٥) عن مجاهد رحمه الله.واختلف العلماء في هذه الآية هل هي محكمة أم منسوخة؟ على قولين:

الأول: أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [التوبة:٧٣]، ولأن النبي ﷺ قد أكره العرب على دين الإسلام، وقاتلهم ولم يرض منهم إلا بالإسلام، وهذا قول ابن مسعود ﷺ، وابن زيد، والسدي، رحمهما الله. **الثاني:** أنها محكمة وليست بمنسوخة؛ ثم اختلفوا في وجه إحكامها على قولين: **أولهما:** أن المراد به: ليس الدين ما يدين به في الظاهر على جهة الإكراه عليه ولم يشهد به القلب وينطوي عليه الضمائر، وإنما الدين هو المعتقد بالقلب، وهذا قول أبي بكر بن الأنباري رحمه الله. **وثانيهما:** أنه من العام المخصوص وأنه خص منه أهل الكتاب فإنهم لا يكرهون على الإسلام بل يخيرون بينه وبين أداء الجزية، والذين يكرهون أهل الأوثان، فلا يقبل منهم إلا الإسلام، فهم الذين نزل فيهم قوله جل وعلا:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾[التوبة:٧٣]، وهذاقول عمر، وابن عباس ﷺ، والشعبي، وقتادة، والحسن، والضحاك، وقال به أكثر المفسرين رحمهم الله. وهذا القول هو الأظهر، واختاره الطبري، والنحاس، ويؤيد ذلك ماورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:"كانت المرأة من الأنصار لا يكون لها ولد، تجعل على نفسها لئن كان لها ولد لتهوِّدنَّه، فلما أسلمت الأنصار قالوا: كيف نصنع بأبنائنا؟ فنزلت هذه الآية:﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾". أخرجه أبو داود (٣/٥٨)، برقم: (٢٦٨٢) كتاب الجهاد/باب في الأسير يُكره على الإسلام، والنسائي في السنن الكبرى (٦/٣٠٤)، برقم: (١١٠٤٨)، كتاب التفسير/قوله تعالى:﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾، وصححه ابن حبان (١/٣٥٢)، برقم: (١٤٠)، ذكر الإخبار عن الحالة التي من أجلها أنزل الله جل وعلا:﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾. وأشار إلى ثبوته ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (٣٥/٢٢٥).

قال ابن كثير رحمه الله:"وقد ذهب طائفة كثيرة من العلماء، أن هذه محمولة على أهل الكتاب، ومن دخل في دينهم قبل النسخ والتبديل؛ إذا بذلوا الجزية". تفسير القرآن العظيم (١/٣١٢).

وقال الشنقيطي رحمه الله:"الأصح أن هذه الآية في خصوص أهل الكتاب". دفع إيهام الاضطراب (ص٣٥).

﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ أي الحق من الباطل، والهدى من الضلالة.

قوله:﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ أي: ما عُبد من دون الله، والطاغوت: كل ما يُطغي الإنسان.[١] ﴿وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ أي: تمسَّك واعتصم بالعصمة الوثيقة المحكمة، وعروة القميص ما يشد إليه زرّه. و﴿ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ تأنيث الأوثق، وهو الأحكم الأصلب الأشد من الوثاقة ومن الصلابة والشدّة.[٢]

﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ هذا زيادة في وصفه بالإحكام، أي: عقد لنفسه عقد الأيمن ولا ينحلّ، والفَصم: خَرقٌ خفيٌ.[٣] ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ أي: يسمع دعاءك إياهم، وإبلاغك ما أوحاه إليك.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٣/٣)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (ص٢٥٨)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص٩٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٨٠/٣).

(١) الطاغوت بناء مبالغة، من: طَغَى يطْغَى ويَطغُو، إذا جاوز الحدّ، وهو اسم مذكر مفرد، كأنه اسم جنس يقع على الكثير والقليل، ويوصف به الواحد والجمع، والطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حدّه من معبود، أو متبوع، أو مطاع، وعلى رأسهم الشيطان، وكل من عبد من دون الله وهو راض، وكل رأسٍ في الضلال طاغوت.

ينظر: العين للخليل (٤٣٥/٤)"طغو"، ومعاني القرآن للنحاس (٢٧٠/١)، ودرج الدرر لعبد القاهر الجرجاني (٤٣٠/١)، وإعلام الموقعين لابن القيم (٥٠/١).

(٢) استمسك بالشيء: إذا تمسك به، والعروة: جمعها: عُرا، نحو: عروة الدلو والكوز، وإنما سميت بذلك: لأن العروة عبارة عن الشيء الذي يتعلق به، والوثقى: تأنيث الأوثق، وهذا من باب استعارة المحسوس للمعقول، لأن من أراد إمساك شيء يتعلق بعروته، فكذا هاهنا من أراد إمساك هذا الدين تعلق بالدلائل الدالة عليه، ولما كانت دلائل الإسلام أقوى الدلائل وأوضحها، لا جرم وصفها بأنها العروة الوثقى.

قال الطبري رحمه الله:"والعروة الوثقى: مثلٌ للايمان الذي اعتصم به المؤمن، فشبَّهه في تعلقه وتمسكه به بالمتمسك بعروة الشيء، التي هي أوثق عرى الاشياء". جامع البيان (٢٠/٣).

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٠١/٣)"عرى"، والتفسير الكبير للرازي (١٥/٧)، ولسان العرب لابن منظور (٤٤/١٥)"عرا"، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣١٢/١).

(٣) الانفصام: الانقطاع، والفصم: القطع من غير بينونة، بخلاف القصم -بالقاف- الذي هو انفصال

﴿عَلِيمٌ﴾ أي: بما يضمرونه في أنفسهم، وبما تحرص عليه من إيمانهم.

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: ناصرهم ومعينهم.[١] ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ أي: من الكفر والضلالة، إلى الإيمان والهداية. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ أي: رؤوس الضلالة. ﴿يُخْرِجُونَهُم﴾ أي: يدعونهم ﴿مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾.[٢] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ المراد بهذه الرؤية: رؤية القلب، وهي: العلم،[٣] وهذا مما أُعلمه النبي ﷺ حجةً على أهل الكتاب ومشركي العرب، لأنه نبأٌ لا

تام، وإذا انصدعت ناحية من البيت قيل: فصم، والدرة تنفصم إذا انصدعت ناحية منها، وأفصَمَ المطرُ: إذا أقلع وانكشف، وأفصَم الفَحلُ: إذا جفَر، أي: انقطع عن الضراب.

ينظر: العين للخليل (١٣٩/٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٤٩/١٢)"فصم"، ولباب التأويل للخازن (٢٧٢/١).

(١)﴿وَلِيُّ﴾: فعيل، بمعنى: فاعل من قولهم: ولي فلان الشيء يليه ولاية فهو والٍ ووليّ، وأصله من: "الوَلْيُ" الذي هو القرب، ومنه يقال: داري تلي دارها، أي: تقرب منها، ومنه الوالي، لأنه يلي القوم بالتدبير والأمر والنهي، والله تعالى وليّ المؤمنين، بأن يتولى نصرهم وإرشادهم، ولا يكلهم إلى غيره، ويتولى يوم الحساب ثوابهم وجزاءهم، وهو المتولي لأمور العالم والخلائق القائم بها ﷻ.

ينظر: المفردات للراغب (ص٥٣٣)"ولي"، والتفسير الكبير للرازي (١٦/٧)، ولسان العرب لابن منظور (٤٠٦/١٥)"ولي".

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٣/٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٢٧٤/١)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٣٨/٢).

(٣) وذلك أن الخبر والعلم لا يجليان رؤية العين، ولكنه رؤية القلب بالعلم لذلك، فنبينا ﷺ لم يدرك الذي أخبر الله عنه هذا الخبر، ولما كان رؤية القلب ما رآه وعلمه به، صار تصديق أخبار الله ﷻ كالنظر إليه عياناً، فمعنى ذلك: ألم تعلم يا أيها الرسول ﴿إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾. قال الرازي رحمه الله:" أما قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ فهي كلمة يوقف بها المخاطب على تعجب منها، ولفظها لفظ

يجوز أن يعلمه إلا من وقف عليه بقراءة كتاب، أو بتعليم معلّم، أو بوحي من الله تعالى، وقد علمت العرب الذين نشأ بينهم رسول الله ﷺ أنه أميّ، وأنه لم يعلم التوراة والإنجيل وأخبار من مضى من الأنبياء، فلم يبق وجه تُعْلَم منه هذه الأحاديث إلا الوحي.(١)

وقوله: ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ أي: لأن آتاه الله الملك.(٢)

﴿حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ أي: طغى وتجبر وخاصم وجادل.(٣)

الاستفهام، وهي كما يقال: ألم تر إلى فلان كيف يصنع، معناه: هل رأيت كفلان في صنعه كذا". التفسير الكبير (١٩/٧).

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٣/٣)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣٤٥/١)، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١٧٧/٢)"رأه".

(١) ينظر: تفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٨٥٧/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٠٩/١)، والتفسير الكبير للرازي (٦٥/٨).

(٢) ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾: في موضع نصب، أي: لأن آتاه الله، أو من أجل أن آتاه الله الملك، بمعنى: كانت تلك المحاجة من بطر الملك وطغيانه. قال أبو حيان رحمه الله:" الظاهر أن الضمير في: ﴿ءَاتَىٰهُ﴾، عائد على: ﴿ٱلَّذِى حَآجَّ﴾ الذي حاج، وهو قول الجمهور، و﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ﴾، مفعول من أجله على معنيين: **أحدهما**: أن الحامل له على المحاجة هو إيتاؤه الملك، أبطره وأورثه الكبر، والعتوّ، فحاج لذلك. **والثاني**: أنه وضع المحاجة موضع ما وجب عليه من الشكر لله تعالى على إيتائه الملك، كما تقول: عاداني فلان لأني أحسنت إليه، تريد أنه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لأجل الإحسان". البحر المحيط (٢٩٨/٢).

ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٣٣١/١)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (٢٠٦/١)، والدر المصون للسمين الحلبي (٥٥٠/٢).

(٣) المحاجّة: المغالبة، يقال: حاججته فحججته، أي غالبته فغلبته بالحجج التي أدليت بها، والمحجة: الطريق، والحجة: الدليل والبرهان، قال الأزهري:"إنما سميت حُجَّة؛ لأنها تحجّ، أي: تقصد، لأن القصد لها وإليها وكذلك محجة الطريق هي المقصد والمسلك". تهذيب اللغة (٢٤٩/٣)"حج".

ينظر: العين للخليل (٩/٣)، والمفردات للراغب (ص١٠٧)"حج".

يُروى: أنَّ الله تعالى أهلكه ببعوضة عرجاء، صارت في دماغ نمرود،[١] وأكلت من دماغه حتى صار مثل الفأرة، فمكث أربعمائة سنة يُضرب رأسه بالمطارق، فأرحم الناس به من كان يجمع يده، ثم يضرب بها رأسه، فعذبه الله أربعمائة سنة، كما ملك أربعمائة سنة.[٢]

﴿إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ﴾ ورُوي: أن نمرود دعا رجلين، فقتل أحدهما، وأطلق الآخر، وقال: هذا أحييته،[٣] وإطلاق الشخص لا يكون إحياء، فلم يردّ إبراهيم عليه السلام عليه في ذلك، لظهوره عند كل عاقل، وانتقل إلى حجّة مسكتة تركاً لإطالة الكلام.

﴿قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ﴾ أي: انقطع وسكت متحيِّرا.[٤]

---

(١) هو النمرود بن كنعان بن كوشبن سام بن نوح، ملك بابل، قيل: إنه استمر في ملكه أربعمائة سنة، وكان قد طغا وتجبر وآثر الحياة الدنيا، ولما دعاه إبراهيم الخليل عليه السلام إلى عبادة الله وحده لا شريك له، حمله الجهل والضلال على إنكار الخالق سبحانه، فحاجّ إبراهيم الخليل عليه السلام في ذلك، وادعى لنفسه الربوبية، وأهلكه الله.

ينظر: تاريخ الطبري (١/١٧٤)، والمنتظم لابن الجوزي (١/٢٥٩)، والبداية والنهاية لابن كثير (١/١٤٨).

(٢) ذكر ذلك الثعلبي في الكشف والبيان (٢/٢٤٠)، ومكي بن أبي طالب في تفسير الهداية (١/٨٦١)، وابن الأثير في الكامل (١/٨٩) عن زيد بن أسلم. وهو من الإسرائيليات التي لم يقم عليها دليل ثابت، فلا تصدق ولا تكذب.

(٣) وهو مروي عن قتادة ومحمد بن إسحاق والسدي، وقال به أكثر المفسرين رحمهم الله.
ينظر: تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني (١/١٠٣)، وجامع البيان للطبري (٣/٢٥)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٢/٤٩٨)، والكشف والبيان للثعلبي (٢/٢٤١).

(٤) البَهْتُ: التَّحَيُّرُ والدَّهْشُ، يقال: بهتَه وباهتَه: إذا واجهه بالكذب، والبهتان: الافتراء والباطل الذي يتحير من بطلانه، والبُهْت: الانقطاع والحيرة، ومنه قوله ﷻ: ﴿بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ فَتَبۡهَتُهُمۡ﴾ [الأنبياء: ٤٠]، أي: تحيرهم حين تفجؤهم بغتة.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: لا يهديهم لحجة يقاومون بها أنبياءه.

قوله تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ هذا معطوف على معنى الآية الأولى، تقديره: هل رأيت كـ﴿ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾، أو هل رأيت ﴿كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾.

فأول ما خلق الله عيناه فجعل ينظر إلى عظامه ينضَمّ بعضها إلى بعض، ثم كُسِيتْ لحماً، وجُعل فيه الروح.[1] ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ﴾ قال: فأتى المدينة، وقد ترك جاراً له إسكافاً[2] شاباً،

قال البغوي رحمه الله:" فإن قيل: كيف بُهت؛ وكان يمكنه أن يعارض إبراهيم عليه السلام فيقول له: سل أنت ربك حتى يأتي بها من المغرب؟ قيل: إنما لم يقله؛ لأنه خاف أن لو سأل ذلك دعا إبراهيم عليه السلام ربه، فكان زيادة في فضيحته وانقطاعه، والصحيح: أن الله صرفه عن تلك المعارضة إظهاراً للحجة عليه، أو معجزة لإبراهيم عليه السلام ". معالم التنزيل (٢٤٢/١).

ينظر: العين للخليل (٣٥/٤)"بهت"، ومعاني القرآن للنحاس (٢٧٦/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٩٥/٢).

(١) أخرج عبد الرزاق الصنعاني في تفسير القرآن (١٠٧/١) عن قتادة والحسن، وسعيد بن منصور في سننه (٩٦٥/٣)، وابن أبي الدنيا في من عاش بعد الموت (ص٤٧) عن الحسن، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٥٠٢/٢) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «بلغنا أن أول ما خُلِق من عُزيرٍ عيناه، فكان ينظر إلى عظامه كيف تجتمع إليه وإلى لحمه».

(٢) الإسكافُ: مصدره السِّكافةُ، ولا فعل له، وهو الأَسكَفُ، وأُسْكُفّةُ الباب: عتبتُه التي توطأ، والساكف: أعلاه الذي يدور فيه الصائر، والصائر: أسفل طرف الباب الذي يدور أعلاه، والإسكافُ عند العرب: كل صانعٍ غير من يعمل الخفاف، فإذا أرادوا معنى الإسكافِ في الحضَر قالوا : هو الأَسْكَفُ . والإسكاف: الحاذقُ.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٤٧/١٠)، ولسان العرب لابن منظور (١٥٦/٩)"سكف".

فجاء وهوشيخ كبير.(١) ولم يقل ما قال إنكارًا؛ بل تعجباً وطلباً لما يزداد به يقينه.(٢)

والقرية هي: بيت المقدس،(٣) حتى خرَّبها بختنصَّر.(٤) ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ أي: خالية على ما بها من السقوف والأبنية، وقصته: أنه كان على حمار له، ومعه عصير عنب في ركوة وسلة تين، فألقى الله عليه النوم، فلما نام نُزِع منه الروح مائة عام، وأمات حماره، وعصيره [١٥/أ]

---

(١) روى ابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٢/٥٠٢)، والحاكم في المستدرك وصححه (٢/٣١٠)، برقم: (٣١١٧)، عن علي ﷺ قال: خرج عزيرٌ نبي الله من مدينته وهو رجل شاب، فـ﴿مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾، فأول ما خلق عيناه فجعل ينظر إلى عظامه ينظم بعضها إلى بعض، ثم كسيت لحما ونفخ فيه الروح وهو رجل شاب، فقيل له :كم لبثت؟ قال: يوماً أو بعض يوم، قال: بل لبثت مائة عام؛ قال: فأتى بالمدينة وقد ترك جاراً له إسكافاً شاباً، فجاء وهو شيخ كبير".

(٢) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢/٢٤٥)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/٢٦٣)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٣٤٨).

(٣) هذا قول وهب بن منبه، وقتادة، والربيع بن أنس، وعكرمة، والضحاك، رحمهم الله. وقال ابن زيد رحمه الله: هي القرية التي خرج منها الألوف حذر الموت.قال ابن كثير رحمه الله:" وأما القرية: فالمشهور أنها بيت المقدس، مرَّ عليها بعد تخريب بختنصر لها وقتل أهلها". تفسير القرآن العظيم (١/٣١٥).
والأظهر ما رجحه الطبري رحمه الله في تفسيره بعدم التحديد، إذ لا دليل عليه، ولا حاجة للخلق إلى معرفة اسم القرية، إذ لم يكن المقصود بالآية تعريف الخلق باسم القرية، وإنما المقصود تعريف المنكرين قدرة الله على إحيائه خلقه بعد مماتهم، وإعادتهم بعد فنائهم، وأنه هو الذي بيده الحياة والموت.
ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٣٠)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٢٧٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/٢٦٣).

(٤) هو بختَنَصَّر البابلي المجوسي، وكان والياً على العراق، دخل مع جنوده بيت المقدس، ووطئ الشام وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم، وأحرق كتب التوراة، وهدم البيت، وخرَّب بيت المقدس وأعانته النصارى من أهل الروم على ذلك، قيل بأنه هلك ببعوضة سلطت عليه.
ينظر: تاريخ الطبري (١/٣٢٦)، والمنتظم لابن الجوزي (١/٤٠٦)، والبداية والنهاية لابن كثير (٢/٣٢٤).

وتينه عنده، وأعمى الله تعالى عنه العيون فلم يره أحدٌ، ومنع الله السباع والطير لحمه، ثم لما أحياه نظر إلى حماره، فإذا عظامه متفرقة بيض تلوح، فسمع صوتاً من السماء: أيتها العظام البالية إنَّ الله يأمرك أن تجتمعي، فاجتمع بعضها إلى بعض، واتصل بعضها ببعض، ثم نودي: إن الله يأمرك أن تكتسي لحماً وجلداً، فكان كذلك، ثم نودي: إن الله يأمرك أن تحيى، فقام بإذن الله ونهق.[١] وإنما قال: ﴿لَبِثْتُ يَوْمًا﴾ لأن يوم إماتته كان ضحى في أول النهار، وأحياه بعد مائة عام في آخر النهار قبل غيبوبة الشمس فقال: ﴿لَبِثْتُ يَوْمًا﴾ وهو يرى أن الشمس قد غربت، ثم التفت فرأى بقيةً من الشمس فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ بمعنى: بل بعض يوم.[٢] ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ أي: لم يتغير بمرِّ السنين عليه.[٣]

﴿نُنشِزُهَا﴾ وإنشاز الشيء رفعه،[٤] ومعنى الآية :كيف نرفعها من الأرض، فنردّها إلى

---

(١) أخرج القصة الطبري في جامع البيان (٥٨٦/٢)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢٤٥/٢)، والخازن في لباب التأويل (٢٧٥/١) عن وهب بن منبه. وهي من الإسرائيليات التي لا تستند على الصحة.

(٢) قاله قتادة، والربيع، وابن جريج، وأكثر المفسرين، رحمة الله على الجميع.
ينظر: جامع البيان للطبري (٣٦/٣)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٥٠٢/٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٢٧٧/١).

(٣) وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما، والحسن، وقتادة، والسدي، والضحاك، وأكثر المفسرين.
ينظر: جامع البيان للطبري (٣٦/٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٢٧٩/١)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٤٦/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٧٩/٦)"سنه".

(٤) في قوله تعالى:﴿نُنشِزُهَا﴾ قراءتان سبعيتان: إحداهما: ﴿نَنْشُرُهَا﴾ بالراء المهملة، قرأ بذلك: ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، رحمهم الله، ومعناه: نحييها. والنشور: الحياة بعد الموت، مأخوذ من: نَشَر الثوب، لأن الميت كالمطوي، فهو مقبوض عن التصرف بالموت، فإذا حَيِيَ وانبسط بالتصرف، قيل: نُشِرَ وأُنشِر. والقراءة الثانية: قرأ بها الباقون:﴿نُنشِزُهَا﴾ بالزاي المعجمة، يعني: نرفع بعضها إلى بعض، وأصل النشوز: الارتفاع، ومنه قوله تعالى:﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾ [المجادلة: ١١]، أي: ارتفعوا وانضموا. فالقراءتان وإن اختلفا في اللفظ فهما متقاربتان في المعنى.

أماكنها من الجسد، ونركّب بعضها على بعض.

قوله: ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ أي: عبرة ودلالة للبعث بعد الموت.

قوله: ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: قال عزيرٌ [١] لما رأى ذلك كله.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾

قصته: أنه مرّ عليه السلام على جيفةٍ بساحل البحر قد توزعها دواب البرِّ والبحر، فتعجب إبراهيم عليه السلام وقال: أربي كيف تحييها.[٢]

﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ وكان الله أعلم بذلك، ولكن أراد يستنطقه، لئلا يظن به ظان أنه سأله عن شكٍ في ذلك.[٣] ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن﴾ أحب أن تريني ذلك لأعاين ذاك، فأزداد يقيناً،

ينظر: جامع البيان للطبري (٤٣/٣)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص١٨٩)، وتهذيب اللغة للأزهري (١١/٢٠٨، ٢٣١) "نشز، نشر"، والنكت والعيون للماوردي (٣٣٢/١).

(١) قال به علي بن أبي طالب، وابن عباس رضي الله عنهم، وسليمان بن بريدة، وقتادة، والربيع، وعكرمه، والسدي، والضحاك، ومقاتل، رحمهم الله. وقال وهب: هو إرْمِيَا بن حَلْقِيا، وكان من سبط هارون بن عمران عليه السلام. وقال ابن إسحاق: هو الخضر عليه السلام. والأظهر ما قاله الطبري رحمه الله بقوله: " ولا دليل يدل على تعيينه، فجائز أن يكون أحد هؤلاء أو يكون غيرهم، ولا حاجة إلى معرفة اسمه، إذ لم يكن المقصود بالآية تعريف الخلق اسم قائل ذلك، وإنما المقصود: تعريف المنكرين قدرة الله على إحيائه خلقه بعد مماتهم، وإعادتهم بعد فنائهم، وأنه الذي بيده الحياة والموت، ولو كان المقصود بذلك الخبر عن اسم قائل ذلك، لكانت الدلالة منصوبة عليه في الكتاب والسنة. جامع البيان للطبري (٢٨/٣).

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢٤٢/٢)، والنكت والعيون للماوردي (٣٣١/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣٤٧/١).

(٢) قصة سبب النزول هذه ساقها الطبري بسنده في جامع البيان (٤٧/٣) عن قتادة، والضحاك، وابن جريج، رحمهم الله. وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٥٠٧/٢)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وأوردها الثعلبي في الكشف والبيان (٢٥١/٢) وزاد في نسبته عن الحسن، وعطاء. والواحدي في أسباب النزول (ص٢٠٢)، وذكرها ابن حجر في العجاب (٦١٧/١)، ولم أقف على ما يثبت هذه القصة.

(٣) يؤيد ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن أحق

ويسكن قلبي إلى المعاينة والمشاهدة، فأراد أن يصير له علم اليقين عين اليقين، فالإنسان قد يعلم شيئاً ويتيقّنه، ثم يحب أن يراه ليصير عين اليقين ولا يكون شاكاً في ذلك، والمؤمنون يحبون رؤية النبي ﷺ ولا يشكون فيه.[1] ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ أي: ليسكن قلبي بزيادة اليقين والحجة، وحقيقة الخُلَّة بإجابة الدعوة.[2]

﴿قَالَ﴾ أي: قال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾ يعني: مختلفة أجناسها وطباعها، ليكون أبلغ في القدرة، فأخذ طاووسًا ونسرًا وغرابًا وديكًا.[3]

بالشك من إبراهيم، إذ قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾». (صحيح البخاري (٤/١٦٥٠)، برقم: (٤٢٦٣) كتاب التفسير/باب ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾، وصحيح مسلم (٤/١٨٣٩)، برقم: (١٥١) كتاب الفضائل/باب من فضائل إبراهيم الخليل عليه السلام). فليس في قوله ﷺ: «نحن أحق بالشك من إبراهيم»، اعتراف بالشك على نفسه ولا على إبراهيم عليه السلام؛ ولكن فيه نفي الشك عنهما، معناه: أن الشك مستحيل فى حق إبراهيم عليه السلام، فإن الشك فى إحياء الموتى لو كان متطرقا إلى الأنبياء لكنت أنا أحق به من إبراهيم، وقد علمتم أني لم أشك، فإبراهيم أولى ألا يشك، فكأنه رفعه على نفسه، وهذا على سبيل التواضع والأدب والهضم من النفس. في ذلك دلالة على أن إبراهيم عليه السلام ما سأل لأجل الشك؛ ولكن لزيادة اليقين، وزيادة العلم بالعيان، فإن العيان يفيد من المعرفة والطمأنينة ما لا يفيد الإستدلال.

ينظر: شرح السنة للبغوي (١/١١٦)، وشرح النووي على صحيح مسلم (٢/١٨٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٤١٦).

(١) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢/٢٥٢)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١/٨٧٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٢٤٧).

(٢) قاله أكثر المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٤٧)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٢/٥٠٩)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٢٨٣)، والنكت والعيون للماوردي (١/٣٣٤).

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنهما.وقال مجاهد، وعكرمة، وعطاء، وابن جريج، وابن زيد: كذلك، إلاّ

﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أي: اجمعهن واضممهن إليك ثم قطِّعهن.(١)

﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ هذا عام في معنى الخاص، لأن أربعة من الطير لا يبلغ الجبال كلها، أمره الله تعالى أن يذبح تلك الطيور وينتف ريشها، ويقطعها ويفرِّق أجزاءها، ويخلط ريشها ودماءها ولحومها بعضها ببعض،(٢) ففعل ذلك إبراهيم عليه السلام، ثم أمره بأن يجعل أجزاءها على الجبال وعددها أربعة.(٣)

أنهم جعلوا حمامة بدل النسر. وقيل غير ذلك. والصحيح أنه لا دليل يدل على التعيين، كما رجح ذلك ابن كثير رحمه الله في تفسيره، ولا طائل تحت تعيينها، إذ لو كان ذلك مهم لنص عليه القرآن والسنة.
ينظر: جامع البيان للطبري (٥١/٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٥٣/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٤٨/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣١٦/١).

(١) ينظر: العين للخليل (١٤٨/٧)"صير"، والمفردات للراغب (ص٢٨٩)"صور"، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣٥٤/١).

(٢) وبه قال مجاهد، وقتادة، ومقاتل بن سليمان، والربيع، وأكثر المفسرين رحمهم الله.
ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٤١/١)، وجامع البيان للطبري (٥٥/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٤٨/١).

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة، والربيع، والحسن، وابن أبي إسحاق. وقال ابن جريج، والسدي رحمهما الله: جزَّأها سبعة أجزاء فوضعها على سبعة أجبل، ففعل ذلك وأمسك رؤسهن عنده، ثم دعاهن.

وذهب مجاهد، والضحاك إلى العموم بحسب الإمكان، كأنه قيل: فرِّقها على كل جبل يمكنك التفرقة عليه، دون أن تحصر الجبال بعدد، بل هي التي كان يصل إبراهيم عليه السلام إليها وقت تكليف الله إياه تفريق ذلك فيها، لأنّ ﴿كُلِّ جَبَلٍ﴾ لفظٌ يدل على الإحاطة. وهذا هو اختيار الطبري رحمه الله، وهو الصحيح.
قال ابن عطية رحمه الله:"وبعيدٌ أن يكلَّف جميع جبال الدنيا؛ فلن يحيط بذلك بصره، فيجيء ما ذهب إليه الطبري جيداً متمكناً، والله أعلم أيّ ذلك كان". المحرر الوجيز (٣٥٥/١).
ينظر: جامع البيان للطبري (٥٦/٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٥٦/٢)، والتفسير الكبير للرازي (٣٨/٧).

﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ أي يسعين سعياً.(١)

ثم لما دعاهن إبراهيم ﷺ جعل كل قطرة من دم تطير إلى القطرة الأخرى، وكل ريشة تطير إلى الريشة الأخرى، وكل عظم يصير إلى الآخر، وكل بضعة تذهب إلى الأخرى، وإبراهيم عليه السلام ينظر، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾.(٢)

والحكمة في المشي دون الطيران: أن يعلم أن أرجلها أيضًا سليمة، وأنها في الهواء لم يشتبه بغيرها من الطائرات.(٣)

قوله:﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لما قصَّ الله تعالى ما فيه من البرهان والدلالة على أمر توحيده، وما أتى به الرسل من البينات، حثَّ على الجهاد، وأعلم أنَّ من عاند بعد هذه البراهين فقد ركب من الضلالة أمراً عظيماً. ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ أي: كمثل

---

(١) انتصاب ﴿سَعْيًا﴾، على أنه مصدر في موضع الحال من ضمير الطيور، أي: ساعيات، وورد عن الخليل: أن المعنى: يأتينك وأنت تسعى سعياً. فعلى هذا يكون مصدر الفعل محذوف، هو في موضع الحال من الكاف، وكان المعنى: يأتينك وأنت ساعٍ إليهنّ، أي: يكون منهنّ إتيان إليك، ومنك سعي إليهنّ، فتلتقي بهنّ. والوجه الأول أظهر.

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢/٢٥٧)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/٢١٣)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/٣١١).

(٢) وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة، والربيع، وابن جريج، والسدي رحمهم الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٥٧)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٢/٥١٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٢/٢٥٦).

(٣) أصل السعي: الإسراع في المشي، ولا يقال: سعى الطائر، إلا على سبيل المجاز، وكان إتيانهنّ مسرعات في المشي أبلغ في الدلالة، إذ إتيانهنّ إليه من الجبال يمشين مسرعات، هو على خلاف المعهود لهنّ من الطيران، وليظهر بذلك عظم الآية، فقد جعل سيرهنّ إليه سعياً، إذ هو مشية المجدِّ الراغب فيما يمشي إليه، لإظهار جدِّها في إجابة دعوة إبراهيم عليه السلام.

ينظر: العين للخليل (٢/٢٠٢)"سعي"، وتهذيب اللغة للأزهري (٣/٥٨)"سعا"، والكشف والبيان للثعلبي (٢/٢٥٧)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/٣١١).

زارع حبة.(١) ﴿أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ﴾ أي: إن جعل الله تعالى ذلك فيها.(٢) ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ أي: واسع العطايا.(٣) ﴿عَلِيمٌ﴾ أي: بمن يستحق المضاعفة.(٤) ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنهما-،(٥) أمَّا عثمان فجهّز المسلمين في غزوة تبوك بألف بعيرٍ بأقتابها(٦)

---

(١) لا بد من حذفٍ حتى يصح التشبيه، لأن الذين ينفقون لا يُشَبَّهون بنفس الحبَّة، فيكون تقدير المحذوف: ومثل نفقتهم كمثل حبة، أو: ومثل الذين ينفقون كزارع حبة. والمنبت هو الله ﷻ، ولكن الحبة لما كانت سبباً أسند إليها الإنبات كما يسند إلى الأرض وإلى الماء.

ينظر: تفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٨٨٠/١)، والكشاف للزمخشري (٣٣٨/١)، والدر المصون للسمين الحلبي (٥٧٨/٢).

(٢) قال ابن عطية رحمه الله:" وقد يوجد في سنبل القمح ما فيه مائة حبة، وأما في سائر الحبوب فأكثر، ولكن المثال وقع بهذا القدر". المحرر الوجيز (٣٥٥/١).

ينظر: جامع البيان للطبري (٦١/٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٠٤/٣)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣١٥/٢)، وفتح القدير للشوكاني (٢٨٤/١).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٦٢/٣)، والتفسير الكبير للرازي (٤٠/٧)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣١٨/٢).

(٤) قال ابن كثير رحمه الله:"﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ أي: بحسب إخلاصه في عمله، ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: فضله واسع كثير، أكثر من خلقه، عليم بمن يستحق ومن لا يستحق سبحانه وبحمده". تفسير القرآن العظيم (٣١٨/١).

ينظر: جامع البيان للطبري (٦٢/٣)، والتفسير الكبير للرازي (٤٠/٧)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣١٨/٢).

(٥) تقدم ترجمة الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف ﷺ ص : ٢٣١

(٦) أصل الأقتاب: الأمعاء، جمع قَتَب بفتح القاف والتاء: وهو رحل صغير على قدر السنام، يوضع على ظهور الإبل من أداة أحمالها، فعولة بمعنى مفعولة ،كالركوبة والحلوبة.

وأحلاسها،[١] وتصدق برُومة - ركية -[٢] على المسلمين، وأما عبد الرحمن فتصدق بأربعة آلاف درهم.[٣]

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٩/٦٩)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/٥٩)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٤/١١)"قتب".

(١) الأحلاس: جمع حِلْس، وهو: الكساء الذي يطرح على ظهر البعير ويكون تحت الرحل، للتوطئة. ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٤/١٨١)، ولسان العرب لابن منظور (٦/٥٤)، وتاج العروس للزبيدي (١٥/٥٤٦) "لحس".

(٢) رُوْمَة: بضم الواو وسكون الواو، بئر شمالي مسجد القبلتين (بني سلمة) بوادي العقيق، ورَكِيَّة: بفتح الراء وكسر الكاف وتشديد التحتانية، وهي: البئر المطوية، وجمعها ركايا، ولا يقال: ركية إلا إذا كان فيها ماء وإلا فهي بئر، وليس عند العرب أعذب من مائها. وكان رُومة ركية ليهودي يبيع المسلمين ماءها فاشتراها منه عثمان ﷺ وتصدق بها على المسلمين، وهي معروفة اليوم ببئر عثمان في حي الأزهري بمدينة رسول الله ﷺ.

ينظر: النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٢/٢٦١)، ولسان العرب لابن منظور (١٤/٣٣٣)"ركا"، وتاج العروس للزبيدي (٣٨/١٧٧)"ركو".

(٣) ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره (١/١٤٢)، والثعلبي في الكشف والبيان (٢/٢٥٨)، والبغوي في معالم التنزيل (١/٢٤٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/٣١٦)، والواحدي في أسباب النزول (ص٢٠٤) عن الكلبي معلقاً دون سند.

وقصة عثمان بن عفان ﷺ أصلها في صحيح البخاري مختصراً معلقاً بدون ذكر سبب النزول (٣/١٣٥١) في كتاب فضائل الصحابة ﷺ/باب مناقب عثمان بن عفان ﷺ وقال النبي ﷺ: «من يحفر بئر رومة فله الجنة»، فحفرها عثمان ﷺ، وقال:«من جهز جيش العسرة فله الجنة» فجهزه عثمان ﷺ. وأوصلها الترمذي في سننه (٥/٦٢٥)، برقم: (٣٦٩٩) كتاب المناقب/باب مناقب عثمان بن عفان ﷺ، والنسائي في السنن الكبرى (٦/٤٦)، برقم: (٣١٨٢)، كتاب الجهاد/فضل من جهز غازياً، والإمام أحمد المسند (١/٧٠)، برقم: (٥١١) عن الأحنف بن قيس أن عثمان ﷺ قال في وقت حصاره: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «من ابتاع بئْر رومة غفر الله له»، فابتعتُها بكذا وكذا، فأتيت رسول الله ﷺ فقال: «اجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك» قالوا: اللهم نعم، قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، أتعلمونَ أن رسول الله ﷺ نظر في وجوه القوم فقال:«من يجهز جيش العسرة

﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا﴾ هو أن يعدَّ نِعَمه على الفقير ويذكرها فيكدرها.

﴿وَلَآ أَذًى﴾ أي: ما يتأذى به الفقير ويتنغص به ما أعطاه،(١) فحظر الله تعالى على عباده المنّ بالصنيع واختص به صفةً لنفسه، لأن منَّ العباد تعيير وتكدير، ومنَّ الله ﷻ إفضال وإنعام وتذكير.[١٥/ب] ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ كلامٌ حسن وردٌّ على السائل جميل.

﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ﴾ أي: يدفعها إليه. ﴿يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ أي: منّ وتعيير للسائل أو عيب، أو إظهار ذلك لمن لا يحب الفقير إظهار صدقته عنده ونحو ذلك.(٢)

﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ أي: من صدقة العباد، ولو شاء لأغنى جميع الخلق، ولكنه أعطى الأغنياء لينظر كيف شكرهم، وابتلى الفقير لينظر كيف صبرهم. ﴿حَلِيمٌ﴾ إذ لا يعجل بالعقوبة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾ أي: لا تحبطوا أجورها.

﴿كَالَّذِى يُنفِقُ﴾ أي: كإبطال الذي ينفق ﴿مَالَهُۥ رِئَآءَ النَّاسِ﴾ أي: ليري الناس أنه كريم

غفر الله له»، فجهزتهم حتى لم يفقدوا عقالاً ولا خطاماً؟ فقالوا: اللهم نعم، قال: اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد". وأما قصة عبد الرحمن بن عوف ﷺ فقد وردت في مسند البزار (١٥/٢٣٥)، وجامع البيان للطبري (١٠/١٩٥)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٦/١٨٥١)، وأشار الهيثمي في المجمع (٧/٣٢) إلى ضعفها، عن عمر بن سلمة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «تصدقوا فإني أريد أن أبعث بعثاً»، قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف ﷺ فقال: يا رسول الله، عندي أربعة آلاف، ألفان أقرضهما ربي، وألفان لعيالي، فقال رسول الله ﷺ: «بارك الله لك فيما أعطيت وبارك لك فيما أمسكت».

(١) قال ابن عطية رحمه الله:" المنّ: ذكر النعمة على معنى التعديد لها والتقريع بها. والأذى: السب والتشكي، وهو أعم من المنّ، لأن المنّ جزء من الأذى لكنه نصَّ عليه لكثرة وقوعه". المحرر الوجيز (١/٣٥٦).

(٢) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢/٢٦٠)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٢٥٠)، والتفسير الكبير للرازي (٧/٤٣).

سخي صالح. ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ أي: المنافق المرائي بعمله.[١] ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ أي: مثل هذا المنافق ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ أي: حجر أملس.[٢] ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾ أي: مطر عظيم القطر،[٣] لم يبق عليه من التراب شيء، فكذلك يبطل نفقة المنافق ونفقة المانّ المؤذي. والصلد من الحجارة: الخالي من التراب وغيره.[٤]

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: لا يهديهم إلى جنته في الآخرة.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾

وصف نفقة المخلصين بوصفين مضادين لصفتي نفقة المنافق، فقوله تعالى: ﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ مقابل لقوله: ﴿رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾، وقوله: ﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ مقابل لقوله: ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾؛ لأن المراد بذلك توطين النفس على المحافظة عليه

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٦٤/٣)، والتفسير الكبير للرازي (٤٤/٧)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٢٢١/٨).

(٢) الصفوان: جمع صفوانة، وهي: الصخرة الملساء التي لا يثبت عليها شيء. وعلى هذا جمهور المفسرين وأهل اللغة.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦٥/٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٢٩٠/١)، وتفسير المشكل من غريب القرآن لمكي بن أبي طالب (ص١٢٠)، ولسان العرب لابن منظور (٤٦٢/١٤)"صفا".

(٣) وعلى هذا جماهير المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦٨/٣)، المفردات للراغب (ص٥١١)"وبل"، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣١٩/١).

(٤) الصلد: الأملس من الحجارة، قال الكسائي: صَلَى يصلَد صَلَداً بتحريك اللام فهو صلْدٌ بالإسكان وهو: كل ما لا ينبت شيئاً، ويستعار للرأس الذي لا شعر فيه، ويقال عنه: جبين أصْلَد. قال أبو عبيدة:"والصلد: التي لا تُنبت شيئاً أبداً من الأرضِين، والرؤوس". مجاز القرآن (٨٢/١).

ينظر: جامع البيان للطبري (٦٥/٣)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣٥٨/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣١٣/٣).

وترك ما يفسده، وذلك لا يكون إلا عن يقين بالآخرة، وتثبيت الأنفس بقوة اليقين والبصيرة في الدين.[١] ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ أي: بستان، وكل نبت كثر وكثف وستر بعضه بعضاً فهو جَنَّة.[٢] ﴿بِرَبْوَةٍ﴾ أي: مرتفع من الأرض،[٣] فأعلم الله تعالى أن نفقة المؤمنين يزكو كما يزكوا نبت هذه الجنة التي هي في مكان مرتفع.

﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ أي: مثلين.

﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ أي: المطر الدائمُ الصغيرُ القطر.[٤]

---

(١) ينظر: التفسير الكبير للرازي (٧/٤٩)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣/٣١٤)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (١٤/٩٤)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/٣٢٢).

(٢) سمي البستان بالجنّة: لاستتار أرضه بالأشجار، وسمي الجنُّ جِنًّا لاستتارهم، والجُنون لأنه يستر العقل، والجَنِين لأنه مستور في البطن، والمِجَنّ لأنه يستر المتترس، وجَنَّ عليه الليل: إذا ستره.
ينظر: العين للخليل (٦/٢٠)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (١/٣٠٧)، ولسان العرب لابن منظور (١٣/٩٢)"جنن".

(٣) الربوة من الأرض: ما نشز منها فارتفع عن السيل، وسميت ربوة: لأنها ربت وطابت وعلت، من قولهم: ربا الشيء يربو إذا انتفخ وعظم، وإنما وصفها بذلك جل ثناؤه لأن ما ارتفع عن المسايل والأودية أغلظ، وجنان ما غلظ من الأرض أحسن وأزكى ثمراً وغرسا وزرعاً مما رق منها.
ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٧١)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٥/١٩٥)"ربا"، والمفردات للراغب (ص١٨٦)"ربو".

(٤) الطلّ: الندى، وهو دون المطر، والعرب تقول: الطلّ أحد المطرين، وزرع الطلّ أضعف من زرع المطر وأقل ريعاً، والمراد بهذا: ضرب المثل أن كثير البر مثل زرع المطر كثير النفع، وقليل البر مثل زرع الطلّ قليل النفع، ولا تدع قليل البر إذا لم تفعل كثيره، كما لا تدع زرع الطّلّ إذا لم تقدر على زرع المطر، وذلك أن الطلّ إذا كان يدوم يعمل عمل الوابل الشديد. وأيضاً لما كان الناس في الإنفاق قسمين كان مثل نفقة صاحب الإخلاص والقوة والتثبيت كمثل الوابل، ومثل نفقة الآخر كمثل الطل، وهو المطر الضعيف، فهذا بحسب كثرة الإنفاق وقلته، وكمال الإخلاص والقوة واليقين فيه وضعفه. قال ابن كثير رحمه الله:"أي: هذه الجنة بهذه الربوة لا تمحلُ أبداً، لأنها إن لم يصبها وابل فطلّ، وأياً ما كان فهو كفايتها، وكذلك عمل المؤمن لا يبور أبداً بل يتقبله الله ويكثره وينميه كل عامل بحسبه". تفسير القرآن العظيم (١/٣٢٠).

قوله تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ ﴾ الآية، هذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة المنافق المرائي، يقول: عمل هذا المرائي في حُسنه ظاهراً كحُسن الجنة ينتفع صاحبها بها، فإذا كبر وضعف وصار له أولاد صغار ضعاف أصاب جنته ﴿إِعْصَارٌ﴾ وهو: الريح العاصف التي تهب من الأرض إلى السماء كأنها عمود.[١] ﴿فِيهِ﴾ أي: في [ ][٢] ﴿نَارٌ﴾.

﴿فَاحْتَرَقَتْ ﴾ أي: الجنَّة، وصار أحوج ما كان إليها، وضعف عن إصلاحها لكبره، وضعف أولاده عن إصلاحها لصغرهم، ولم يجد هو ما يعود به على أولاده، ولا أولاده ما يعودون به على أبيهم، فبقي هو وأولاده فقراء عجزة متحيِّرين، لا يقدرون على حيلة، فكذلك يبطل الله تعالى عمل هذا المرائي أحوج ما كان إليه، حين لا توبة ولا إقالة،[٣] نعوذ بالله من أسباب الشقاوة.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ ﴾ أي: كهذا البيان الذي تبين في الصدقة، والجهاد، وقصة إبراهيم ﷺ، والذي مرَّ على قرية، وسائر ما سلف من الآيات.

و﴿ٱلْأَيَٰتِ ﴾: العلامات والدلالات التي تحتاجون إليها في أمر توحيده، وإثْبات رسالاته

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٧٢)، والنكت والعيون للماوردي (١/٣٤٠)، والمفردات للراغب (ص٣٠٥)"طلل".

(١) الإعصار في اللغة: الريح الشديدة التي تهب من الأرض إلى السماء كالعمود، وهي التي يقال لها: الزوبعة، قيل لها: إعصار، لأنها تلتف كالثوب إذا عصر، وأكثر المفسرين على أن الإعصار: ريح عاصف وسموم شديدة.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٧٨)، والكشف والبيان للثعلبي (٢/٢٦٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢/١٠)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/٣٤٠)"عصر"، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٢٥٢).

(٢) مابين المعكوفتين مطموس في الأصل، ولعله:" الإعصار"، وبه يستقيم الكلام.

(٣) قاله السدي رحمه الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٦٨) ومعاني القرآن للنحاس (١/٢٩٤)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٣٦٠)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٣٢١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٣٢٠).

رسله وثوابه وعقابه. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: تنظرون وتتفهمون.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ الآية، أي: أنفقوا من خيار ما كسبتموه من تجارة.[١] ﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: وكذلك من جياد الثمار وخيارها.[٢] ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ أي: لا تقصدوا[٣] إلى الرديء من أموالكم. نزلت في معشر الأنصار، كانوا أصحاب نخل، فكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثرته وقلَّته، وكان الرجل يأتي بالقنو والقنوين[٤] فيعلقه في المسجد، وكان أهل الصُفَّة ليس

---

(١) قاله أكثر المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٨٠)، والتفسير الكبير للرازي (٧/٥٤)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/٣٣٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٣٢١).

(٢) ظاهر الآية يدل على وجوب الزكاة في كل ما خرج من الأرض من النبات مما يزرع الآدميون، لكن جمهور العلماء خصصوا هذا العموم؛ فأوجبوا الزكاة في النخيل، والكروم، وفيما يقتات ويدخر، من الحبوب والثمار، وأوجب أبو حنيفة رحمه الله: الزكاة في كل ما يؤكل مما نبت، كالفواكه والبقول والخضراوات كالبطيخ والقثاء والخيار ونحو ذلك. قال القرطبي رحمه الله: "﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: النبات، والمعادن، والركاز، وهذه أبواب ثلاثة تضمنتها هذه الآية". الجامع لأحكام القرآن (٣/٣٢١). وبسط هذه المسألة في كتب الفقه وأحكام القرآن.

ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/١٧٤)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/٣١١)، والمغني لابن قدامة (٢/٢٩٣)، والمجموع للنووي (٥/٤٤١).

(٣) التيمم لغة: التوخي والتعمد والقصد، يقال: أممته، ويممته، وتأممته، كله بمعنى: قصدته وتعمدته، ومنه التيمم في الشرع: قصد الصعيد الطيب واستعماله بصفة مخصوصة.

ينظر: العين للخليل (٨/٤٢٢)"موم"، وجامع البيان للطبري (٣/٨١)، ولسان العرب لابن منظور (١٢/٢٢)"أمم".

(٤) القنو: عِذْق النخلة الذي عليه الشماريخ، والجمع: أقناء، وقُنوان، بالضم، وللاثنين قِنوان، بالكسر. مثل صُنوان، وصِنوان. يقال: شجرة قنواء، أي: طويلة.

ينظر: المفردات للراغب (ص٣١٤)"قنو"، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٤/١١٦)، ولسان العرب

لهم طعام، فكان أحدهم إذا جاع أتى القنو فضربه بعصاه، فيسقط البُسر[١] والتمر فيأكل، وكان ناس ممن لا يرغب في الخير يأتي الرجل بالقنو فيه الشيص[٢]والحَشَف،[٣] [١٦/أ] وبالقنو قد انكسر فيعلقه، فأنزل الله هذه الآية:﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾، قال البراء ﷺ[٤]:"لو أنَّ أحدكم أهدي إليه مثل ما أعطى لم يأخذه إلا على إغماضٍ وحياء، قال: وكنا بعد ذلك يأتي أحدنا بصالح ما عنده".[٥]

لابن منظور (١٥/٢٠١)"قنا".

(١) أصل البُسْر: الاستعجال بالشيء قبل أوانه، نحو: بَسَرَ الرجل الحاجة إذا طلبها في غير أوانها، وبَسَر الفحل الناقة: إذا أتاها في غير وقتها، والبُسر: التمر قبل أن يرطب، والواحدة بُسْرة، وأبسر النخل صار بُسراً بعد ما كان بَلَحاً.

ينظر: العين للخليل (٧/٢٥٠)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٢/٢٨٦)، والمفردات للراغب (ص٤٦) "بسر".

(٢) الشيص: شيصاء التمر، وهو: الرديء منه، وأشاصت النخلة، والواحدة شيصة، وشيصاءة.

ينظر: العين للخليل (٦/٢٧٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (١١/٢٦٤)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/٢٣٤)"شيص".

(٣) الحَشَف: الدنيء، وحشف التمر: رديئه ويابسه الذي لا حلاوة فيه.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٤/١١١)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/٦٢)، ولسان العرب لابن منظور (٩/٤٧)"حشف".

(٤) هو: البراء بن عازب بن الحارث بن عدي، أبو عمارة، الخزرجي الأنصاري، من أصحاب الفتوح، أسلم صغيراً، وغزا مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوة، ولما ولي عثمان الخلافة جعله أميراً على الري، مات ﷺ في ولاية مصعب بن الزبير على العراق سنة: ٧٢ هـ.

ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/٣٦٤)، وأسد الغابة لابن الأثير (١/٢٥٨)، وتهذيب الأسماء للنووي (١/١٤٠).

(٥) أخرج هذا السبب ابن أبي شيبة في مصنفه (٢/٤٣٧)، برقم: (١٠٧٨٧) كتاب الزكاة/باب من كره أن يتصدق الرجل بشرّ ماله، والترمذي في سننه (٥/٢١٨)، برقم: (٢٩٨٧) كتاب التفسير/باب سورة البقرة، وقال الترمذي:"هذا حديث حسن غريب صحيح ". وابن ماجة في سننه (١/٥٨٣)، برقم: (١٨٢٢) كتاب الزكاة/باب النهي أن يخرج في الصدقة شر ماله، والطبري في جامع البيان (٣/٨٢)، وابن

وأصحاب الصفة أربعمائة رجل من فقراء المهاجرين، لم يكن لهم مساكن ولا عشائر بالمدينة، يلزمون المسجد ويتعلمون القرآن.(١) ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾ أي: مستغن، يعني: لم يأمركم بأن تتصدقوا من عوز، ولكنه بَلَا أخبَارَكم.(٢) ﴿حَمِيدٌ﴾ أي: فهو حميد على ذلك وعلى جميع نعمه.(٣)

قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ﴾ أي: يحملكم على أن تؤدوا في الصدقة رديء المال، ويخوِّفكم بالفقر بإعطاء الجيد.(٤) ﴿وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ أي: أن لا تتصدقوا

أبي حاتم في تفسير القرآن (٥٢٨/٢)، والحاكم في المستدرك (٣١٣/٢)، برقم: (٣١٢٧) وقال:" هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه"، والواحدي في أسباب النزول (ص٢٠٥) من حديث البراء ﷺ. قال الكناني في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة (٩١/٢):" هذا إسناد صحيح رجاله ثقات".

(١) قال ابن حجر رحمه الله:"أهل الصفة كانوا ينامون في المسجد، لم يكن لهم مأوى بالليل والنهار غير الصفة، وكانت في مؤخر المسجد ينزلها من لا مأوى له من الغرباء، والأحاديث في ذكر أهل الصفة كثيرة جداً، في ذكر فقرهم وحاجتهم وصبرهم على ذلك". فتح الباري (٤٥٤/٢).
ينظر: حلية الأولياء لأبي نعيم (٣٣٨/١)، والسنن الكبرى للبيهقي (٤٤٥/٢)، والبداية والنهاية لابن كثير (١١٢/٦).

(٢) أي: ابتلاكم وامتحنكم بالأمر بالإنفاق، ومعنى العوز: الحاجة والفقر.
ينظر: معاني القرآن للنحاس (٢٩٦/١)، ومعاني القرآن للزجاج (٣٥٠/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٢٨/٣).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٨٧/٣)، والتفسير الكبير للرازي (٥٦/٧)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣٣٢/٢).

(٤) هذا قول الزجاج، والنحاس رحمة الله عليهما. والأظهر ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وعليه أكثر المفسرين، أن المعنى: الشيطان يخوفكم من الفقر إن تصدقتم، ويغريكم بالبخل ومنع الزكاة، يقول: لا تنفق مالك، وأمسكه عليك، فإنك تحتاج إليه.
ينظر: جامع البيان للطبري (٨٧/٣)، ومعاني القرآن للزجاج (٣٥١/١)، ومعاني القرآن للنحاس (٢٩٧/١).

فتتقاطعوا.[١] ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ﴾ أي: لذنوبكم.

﴿وَفَضۡلًا﴾ أي: رزقًا وخلفاً. ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ أي: غني.[٢] ﴿عَلِيمٌ﴾ أي: لا يخفى عليه شيء. ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ﴾ أي: يعطي، وقد مرَّ معنى الحكمة.[٣]

---

(١) قاله الزجاج، والنحاس، والبغوي رحمهم الله تعالى. وقال ابن عباس رضي الله عنهما، والحسن، وعكرمة، والسدي رحمهم الله تعالى: الفحشاء: البخل. والصواب: أن الفحشاء على بابها، وهي: كل فاحشة، فهي صفة لموصوف محذوف، فحذف موصوفها إرادة للعموم، أي: بالفعلة الفحشاء، والخلة الفحشاء، ومن جملتها: البخل. قال ابن عطية رحمه الله:" الفحشاء: كل ما فحش، وفحش ذكره، ومعاصي الله كلها فحشاء". المحرر الوجيز (١/٣٦٤).

ينظر: تفسير القرآن لابن أبي حاتم (٢/٥٣٠)، ومعاني القرآن للزجاج (١/٣٥١)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٢٩٧)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٢٥٦)، وإغاثة اللهفان لابن القيم (١/١٠٧).

(٢) تفسير المؤلف رحمه الله لـ﴿وَٰسِعٌ﴾ بالغني، تفسير باللازم؛ والأظهر أن معنى الواسع: يسع خلقه كلهم بالكفاية والأفضال والجود والتدبير، الذي يعدهم أن يعطيهم من فضله وسعة خزائنه. قال ابن كثير رحمه الله:"﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: فضله واسع كثير أكثر من خلقه، عليم بمن يستحق ومن لا يستحق سبحانه وبحمده". تفسير القرآن العظيم (١/٣١٨).

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٨٩)، والمفردات للراغب (ص٥٢٣)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٥/٢٤٦).

(٣) تقدم ذلك ص : ١٥٣

واختلف المفسرون في المراد بـ﴿ٱلۡحِكۡمَةَ﴾ هنا إلى أكثر من عشرة أقوال، وأحسن ما قيل في الحكمة قول مجاهد ومالك وجمهور المفسرين رحمهم الله: إنها معرفة الحق والعمل به، والإصابة في القول والعمل. وهذا هو اختيار الطبري، وابن عطية، وابن كثير، رحمهم الله تعالى.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٨٩)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٣٦٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٣٢٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٣٢٣).

﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ أي: أعطي ما هو وصلة إلى رحمة الله ﷻ.(١)

وقوله: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ أي: أيّ شيءٍ أنفقتم.(٢) ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ النذر: ما أوجبه المرء على نفسه تبرراً في طاعة الله تعالى وتقرباً إليه، من صدقة أو عمل خير.(٣) ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ أي: يجزي عليه.(٤)

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله: "﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ أي: أوتي ما هو خير وأفضل من الدنيا كلها؛ لأنه سبحانه وصف الدنيا بالقلة فقال تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾[النساء:٧٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ فدل على أن ما يؤتيه عبده من حكمته خير من الدنيا وما عليها، ولا يعقل هذا كل أحد، بل لا يعقله إلا من له لب وعقل ذكي، فقال تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾". طريق الهجرتين (ص٥٥٥).

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٣٥١/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٥٧/١)، والتفسير الكبير للرازي (٥٩/٧).

(٢) أي: قليلة أو كثيرة، فرضا أ نفلا، سرا أو علانية، في حق أو باطل. فالآية بيان لحكم كلي شامل لجميع أفراد النفقات.

ينظر: الكشاف للزمخشري (٣٤٣/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣٢٥/٢)، وفتح القدير للشوكاني (٢٩٠/١).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٩١/٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (٣٠٢/١٤)"نذر"، وبداية المجتهد لابن رشد (٣٠٨/١)، والمغني لابن قدامة (٦٧/١٠).

(٤) في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ دلالة على المجازاة، لأنه إذا كان عالماً به جازى عليه، فهي جملة خبرية، وتتضمن الوعد بالمجازاة، أي: أن جميع ذلك بعلم الله لا يعزب عنه منه شيء ولا يخفى عليه منه قليل ولا كثير، ولكنه يحصيه على الناس حتى يجازيهم على جميع ذلك، فمن كانت نفقته وصدقته ونذره ابتغاء مرضاة الله وتثبيتًا من نفسه جازاه بالذي وعده من التضعيف، ومن كانت نفقته وصدقته رياء الناس ونذره للشيطان، جازاه بالذي أوعده من العقاب وأليم العذاب.

ينظر: جامع البيان للطبري (٩١/٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٣٠٠/١)، والوجيز للواحدي (١٩٠/١).

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ أي: أعوان يدفعون عذاب الله عنهم.

قوله: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ﴾ أي: تظهروها ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ أي: نعمت الخصلة هي. ﴿وَإِن تُخْفُوهَا﴾ أي: تستروها عن أعين الناس. ﴿وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ يعني: التطوع.(١) ﴿وَنُكَفِّرُ عَنكُم﴾ أي: ونحن نكفر، على التعظيم.(٢) وقوله: ﴿مِّن سَيِّئَاتِكُمْ﴾ مِنْ: للتبعيض، وذلك لأن العبد لا يتّكل ويقول: كفّر الله

---

(١) اتفق العلماء على أن صدقة التطوع في السر أفضل،-ما لم يكن هناك مصلحة راجحة من إعلانها- لهذه الآية الكريمة، فإنها صرحت بأن الصدقة في السر أفضل منها في الجهر، واختلفوا في الزكاة المفروضة؛ على قولين: **القول الأول**: أن زكاة السر أفضل، لأنه أبعد من الرياء، وهذا قول الحسن، وقتادة رحمهما الله.

والثاني: أن العلانية أفضل؛ لأن الزكاة من شعائر الدين فكل ما كان أظهر كان أفضل، كالصلوات الخمس والجمعة والعيدين، ولأن في ذلك زيادة رغبة لغيره في أداء الزكاة، وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما، وسفيان الثوري رحمه الله. قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:" وفي الآية دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها، لأنه أبعد عن الرياء، إلا أن يترتب، على الإظهار مصلحة راجحة، من اقتداء الناس به، فيكون أفضل من هذه الحيثية". تفسير القرآن العظيم (١/٣٢٣).

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٩٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٢/٢٧٣)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/٣١٥)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٣٢٦)، والمغني لابن قدامة (٢/٣٦٨).

(٢) قرأ أبو عمرو، وابن كثير، وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿وَنُكَفِّرُ﴾ بالنون ورفع الراء، وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي: ﴿وَنُكَفِّرْ﴾ بالنون والجزم في الراء، وروي مثل ذلك أيضا عن عاصم، وقرأ ابن عامر: ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ بالياء ورفع الراء. فما كان من هذه القراءات بالنون فهي نون العظمة، أي: ونحن نكفر، على التعظيم، كما ذكر ذلك المؤلف رحمه الله، وما كان منها بالياء فالله تعالى هو المكَفِّر.

ينظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص١٩١)، وحجة القراءات لابن زنجلة (ص١٤٦)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٣٦٦)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/٣٣٨).

جميع سيئاتي.(١) وقوله: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ أي: هدى التوفيق؛ لأن على النبي ﷺ هدى الدعوة،(٢) يعني: بأن تمنعهم الصدقة ليضطروا إلى الإسلام.

سبب نزولها: أن رسول الله ﷺ اعتمر عمرة القضاء، وكانت معه في تلك العمرة أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنها- فجاءتها أمها قُتَيلة وجدَّتها تسألانها وهما مشركتان، فقالت: لا

---

(١) في "« مِنْ »" ثلاثة أقوال: **أحدها**: للتبعيض، أي: بعض سيئاتكم، لأن الصدقاتِ لا تكفِّر جميع السيئات، على هذا فالمفعول في الحقيقة محذوف، أي: شيئاً من سيئاتكم، كذا قدَّره أبو البقاء العكبري.
والثاني: أنها صلة، فهي مزيدة، والتقدير: ونكفر عنكم جميع سيئاتكم، وهو جار على مذهب الأخفش، وحكاه الطبري عن جماعةٍ، وجعله خطأً، يعني من حيث المعنى.
والثالث: أنها للسببية، أي: من أجل ذنوبكم، والمعنى: ونكفر عنكم من أجل ذنوبكم، كما تقول: ضربتك من سوء خُلُقك؛ أي: من أجل ذلك، ذكر هذا القول السمين الحلبي وضعفه وقال:"والأول أولى وهو الأصح" الدر المصون (٢/٦١٣).
ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٩٤)، والكشف والبيان للثعلبي (٢/٢٧٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/٢٧٥)، والتبيان في إعراب القرآن (١/٢٢١).

(٢) الهداية على نوعين:
أحدهما: هداية البيان والدلالة والتعريف لطريقي النجاة والهلاك، وهذه الهداية لا تستلزم الهدى التام، كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾[فصلت:١٧]، أي: بينا لهم وأرشدناهم ودللناهم فلم يهتدوا، ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].
والنوع الثاني: هداية التوفيق والإلهام وهي الهداية المستلزمة للإهتداء فلا يتخلف عنها، وهي المراد في هذه الآية، والمذكورة في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[فاطر:٨]، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[القصص:٥٦]، فنفى عنه هذه الهداية وأثبت له هداية الدعوة والبيان في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[الشورى: ٥٢].
ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٨/١٧١)، وبدائع الفوائد لابن القيم (٢/٢٧١)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص١٥٥)، وتيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبد الله (ص٢٣٩).

أعطيكما شيئاً حتّى أستأمر رسول الله ﷺ فإنّكما لستما على ديني، فاستأمرته في ذلك، فأنزل الله هذه الآية، فأمرها رسول الله ﷺ بعد نزولها أن تتصدّق عليهما، فأعطتهما ووصلتهما.(١)

وقوله: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾ أي: مال. ﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ أي: يؤدى إليكم ثوابه. ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ معناه: نهي، أي: لا تنفقوا ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾.(٢) ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ أي: يوفّر لكم جزاءه. وقوله: ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ أي: لا تُنقَصون من ثواب أعمالكم شيئًا.

وهذا في صدقة التطوع، فأما الزكاة المفروضة فلا يُعطى الكافر منها شيئًا.(٣)

قوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: أحصرهم(٤) فرض الجهاد

---

(١) ذكره السمرقندي في تفسيره (٢٠٥/١)، والثعلبي في الكشف والبيان (٢٧٤/٢)، والواحدي في أسباب النزول (ص٢٠٧)، وابن حجر في العجاب (٦٣٢/١) مرسلا عن الكلبي.

وروى البزار في مسنده (٢٥٧/١١)، والطبري في جامع البيان (٩٤/٣)، والحاكم في المستدرك (٣١٣/٢) وصححه، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم وهم مشركون، فنزلت: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ حتى بلغ ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾، قال: فرخص لهم". قال الهيثمي في المجمع (٣٢٤/٦): "رجاله ثقات".

(٢) ينظر: معالم التنزيل للبغوي (٢٥٨/١)، ولباب التأويل للخازن (٢٩٤/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣٤١/٢).

(٣) أجمع العلماء على أن الكافر لا يعطى من زكاة الأموال شيئا، ما لم يكن من المؤلفة قلوبهم فيعطى عند الحاجة إلى تأليفه. واختلفوا في زكاة الفطر، فجوزها أبو حنيفة رحمه الله، وقال مالك، والليث، وأحمد، والشافعي، وأبو ثور، رحمهم الله: لا يعطون.

ينظر: الإجماع لابن المنذر (ص٤٦)، واختلاف الأئمة العلماء للوزير ابن هبيرة (٢٢٤/١)، وبدائع الصنائع للكاساني (٤٩/٢)، والمغني لابن قدامة (٣٢٧/٦).

(٤) الحصر: مصدر من: حصرت الرجل أحصره إذا حبسته، وأصل الحصر: التضييق، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَٱحْصُرُوهُمْ﴾[التوبة:٥]، أي: ضيقوا عليهم، والحصر والإحصار: المنع، فالإحصار يقال في المنع

فمنعهم من التكسب، تقديره: اجعلوا نفقتكم وصدقتكم لهؤلاء القوم من الناس.(١)

ومعنى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ أنهم ألزموا أنفسهم أمر الجهاد، فمنعهم ذلك من التصرف، لا أنهم لا يقدرون أن يتصرفوا.(٢)

والضرب في الأرض: السعي في طلب المعاش والرزق.(٣)

﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ أي: مَن جَهِل فقرهم، لأن من لم يُخبر عن حالهم ظنهم أغنياء من تعففهم، أي: لما يُظهرون من العفاف عن السؤال.

والعفة عن الشيء: تركه.(٤)﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ أي: العلامة التي يعرف بها الشيء، من

الظاهر، كالعدو، والمنع الباطن كالمرض، والحصر لا يقال إلا في المنع الباطن، فقوله تعالى :﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ محمول على الأمرين.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٣٥/٤)، والمفردات للراغب (ص١٢٠)، ولسان العرب لابن منظور (١٩٣/٤)"حصر".

(١) قاله قتادة، والطبري، والسمعاني، رحمة الله على الجميع. ومن هؤلاء أهل الصفة، وهم نحو أربعمائة من المهاجرين ﷺ، وقد حبسوا أنفسهم على الهجرة والعلم والجهاد، فتخصيصه بالجهاد فيه نظر؛ وهذه كلها في سبيل الله، والعبرة بعموم اللفظ.

ينظر: جامع البيان للطبري (٩٣/٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢٧٧/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٥٩/١).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٩٧/٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٣٠٣/١)، والتفسير الكبير للرازي (٧٠/٧).

(٣) الضرب: مصدر ضربته ضرباً: إذا أوقعت بغيرك ضربا، ويستعار منه ويشبه به الضرب في الأرض تجارة وغيرها من السفر، ومنه قوله تعالى:﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾[النساء:١٠١]، أي: سافرتم لابتغاء الخير من الرزق. والإسراع إلى السير أيضًا ضرب، ومنه الطير الضوارب: الطوالب للرزق.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٤/١٢)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٩٧/٣)، والمفردات للراغب (ص٢٩٤)"ضرب".

(٤) العفة عن الشيء: تركه، والاستعفاف طلب العفة، والتعفف: من ترك مسألة الناس، وحقيقة العفة:

السِّمة،[١] وعلامتهم: التخشع والتواضع. ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ معناه: لا يسألون الناس إلحافًا، ولا غير الإلحاف، لما ذكرنا أن التعفف ترك السؤال مطلقا، والإلحاف: اللجاج في السؤال.[٢]

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ نزلت في علي بن أبي طالب ﷺ، كان عنده أربعة دراهم لا يملك غيرها، فتصدَّق بدرهم سرًّا، وبدرهم علانية، وبدرهم ليلا، وبدرهم نهارًا.[٣]

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾. الربا: الزيادة على أصل المال، وهو نوعان:

أحدهما: في القروض، فكل زيادة أو نفع في قرض فهو ربا.

والثاني: في الذهب والفضة والمطعوم، فلا يجوز بيع بعضها ببعض إلا مثلًا بمثل، يدًا بيد، وإذا

الامتناع مما لا يحل، والعفة أيضا: مانعة للانسان عن الشروع فيما لا ينبغي.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٩٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (١/٨٥)، والمفردات للراغب (ص٣٣٩)"عف".

(١) ينظر: غريب القرآن لابن عزيز (ص٤٤٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٢/٢٢٣)"سم"، والمفردات للراغب (ص٥٢٤)"وسم".

(٢) الإلحاف: الإلزام والإلحاح، وهو أن يلازم السائل المسؤول حتى يعطيه، وهو مأخوذ من لحف الحبل، وهو خشونته، كأنّه استعمل الخشونة في الطلب، والإلحاف، والإلحاح، واللُّجاج، والإحفاء، كلُّه بمعنًى، يقال: أَلحف، وألحَّ في المسألة: إذا لجَّ فيها، واشتقاقه من اللِّحاف؛ لأنه يشتمل الناس بمسألته ويعمُّهم؛ كما يشتمل اللِّحاف من تحته ويغطيه.

ينظر: العين للخليل (٣/٢٣٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٥/٤٥)، ومعجم مقاييس اللغة (٥/٢٣٨)"لحف".

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسير القرآن (١/١٠٨)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٢/٥٤٣)، والطبراني في الكبير (١١/٩٧)، والواحدي في أسباب النزول (ص٢١٠) من طريق عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما. وضعفه ابن كثير في تفسيره (١/٣٢٧)، وقال الهيثمي:"وفيه عبد الواحد بن مجاهد وهو ضعيف". مجمع الزوائد (٦/٣٢٤). وقال ابن تيمية:"هذا كذب ليس بثابت". منهاج السنة (٧/٢٢٩).

اختلف الصنفان جاز التفاضل في النقد [١٦/ب] وحرّم في النسيئة، فلا يجوز بيع صاع برٍّ بصاعين من برٍّ، لا نقدًا ولا نسيئةً؛ لأنهما جنس واحد، وكذلك الذهب بالذهب مثقال باثنين، وكذلك الفضة بالفضة، ولا بأس بصاع برٍّ بصاعين شعير نقدًا، ولا يجوز نسيئة، ويجوز مثقال ذهب خالص بعشرين درهما خالصةً، أو أقل أو أكثر نقدًا، ولا يجوز نسيئةً، وأصل الربا ما ذكرنا، ثم ينشعب منه المسائل شعبٌ كثيرة.(١)

قوله تعالى: ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ أي: يوم القيامة من قبورهم.(٢)

﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ﴾ أي: يصرعه ويخبّله ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾.

وأصل الخبط الضرب والوطء.(٣)

﴿مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ أي: الجنون، ومعنى الآية: أن آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونا، وذلك علامة أهل الربا، يبعثون وبهم خَبلٌ.(٤)

---

(١) محل بسط مسائل الربا في كتب الفقه وأحكام القرآن.

ينظر: أحكام القرآن لابن العربي (٣٢٠/١)، والمغني لابن قدامة (٢٥/٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٤٨/٣)، والمجموع للنووي (٣٧٤/٩).

(٢) وعلى هذا عامة المفسرين رحمة الله عليهم.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٠١/٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٣٠٥/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٥٤/٣)، والتسهيل لابن جزي (٩٤/١).

(٣) الخَبْط في الأصل: الضرب على غير استواء، ويقال ناقة خبوط، التي تطأ الناس وتضرب بقوائمها الأرض، والخَبطَة: شدة الوطء بأيدي الدواب، وكذلك خَبطُ الشّيطان إذا مسه بخبل أو جنون.

ينظر: العين للخليل (٢٢٣/٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (١١٣/٧)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٧/٢)"خبط".

(٤) المسّ: الجنون، والعرب تقول: رجل ممسوس، أي: به جنون، والمأسوس والممسوس والمدَلّس كله: المجنون، يقال: مُسَّ الرجل فهو ممسوس وبه مسّ، وأصله من المسّ باليد، كأن الشيطان يمسّ الإنسان فيجنّه، ثم سمي الجنون مسًا، كما أن الشيطان يتخبطه ويطؤه برجله فيخبّله، فسمي الجنون خبطة، فالتخبط بالرِّجل والمس باليد.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ كان أهل الجاهلية إذا كان لأحدهم مال على غريمه، فطالبه بذلك؛ قال له الغريم: زدني في الأجل حتى أزيدك في مالك، فيفعلان ذلك ويقولان: سواء علينا الزيادة في أول البيع، وعند محل المال من أجل التأخير، فكذبهم الله تعالى فقال: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾.(١) ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي: تذكير وتخويف. ﴿فَٱنتَهَىٰ﴾ أي: عن أكل الربا ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ أي: ما مضى من ذنبه قبل النهي، فهو مغفور له. ﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: فيما يأمره وينهاه ويحل له ويحرّم عليه، وليس إليه من أمر نفسه شيء.(٢)

وقوله: ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ أي: إلى استحلال الربا.(٣) ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ لأن استحلال الحرام كفرٌ موجب الخلود في النار.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/١٠٣)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٣٠٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٢/٢٣٦)"مس".

(١) ذكر ذلك الطبري في جامع البيان (٣/١٠٣)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٢/٥٤٥)، والثعلبي في الكشف والبيان (٢/٢٨٢)، وأورده ابن حجر في العجاب (١/٦٣٧) عن سعيد بن جبير.

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٣/١٠٤)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٣٠٧)، والكشف والبيان للثعلبي (٢/٢٨٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٢٦٣).

(٣) وبه قال جمهور المفسرين. قال ابن جزي رحمه الله:"يعني: من عاد إلى فعل الربا وإلى القول: إنما البيع مثل الربا، ولذلك حكم عليه بالخلود في النار؛ لأن ذلك القول لا يصدر إلا من كافر، فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة، لكونها في الكفار". التسهيل (١/٩٥).

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/١٠٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٣٣١)، والتفسير الكبير للرازي (٧/٨٢).

﴿ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ لأن عاقبته إلى قلة،[١] ولأنَّه لا يقبل ما ينفق منه في طلب خيره.[٢] ﴿وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ أي: يُثمرها ويكثرها.[٣] ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ أي: مستحل الربا. ﴿أَثِيمٍ ﴾ أي: فاجر بأكله.[٤]

---

(١) يؤيد ذلك ما رواه ابن ماجة في سننه (٢/٧٦٥)، برقم: (٢٢٧٩)، كتاب التجارات/باب التغليظ في الربا، والإمام أحمد في مسنده (١/٣٩٥)، برقم: (٣٧٥٤)، والبزار في مسنده (٥/٤١١)، برقم: (٢٠٤٢)، والطبراني في الكبير (١٠/٢٢٣)، برقم: (١٠٥٣٨)، والحاكم في المستدرك وصححه (٢/٤٣)، برقم: (٢٢٦٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/٣٩٢)، برقم: (٥٥١٢) عن ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: «الربا وإن كثر فإن عاقبته تصير إلى قلٍّ». وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح (٤/٣١٥). وأصل المحق: النقصان، ومحق الشيء: نقصانه وهلاكه وذهاب بركته، وبطلان منفعته وإن كان كثيراً، كما يمحق القمر بعد امتلائه فلا يرى جرمه ولا يضيء شيئا.

ينظر: المفردات للراغب (ص٤٦٤)، ولسان العرب لابن منظور (١٠/٣٣٨)، "محق"، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/٣٤٦).

(٢) وهو منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما، من رواية الضحاك عنه، كما في الكشف والبيان للثعلبي (٢/٢٨٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٣٣١)، والتفسير الكبير للرازي (٧/٨٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣/٣٦٢).

(٣) يشهد لذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، وإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربِي أحدكم فُلُوَّه حتى تكونَ مثل الجبل». (صحيح البخاري (٢/٥١١)، برقم: (١٣٤٤) كتاب الزكاة/باب لا يقبل الله صدقة من غلول، ولا يقبل إلا من كسب طيّب لقوله: ﴿وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾، وصحيح مسلم (٢/٧٠٢)، برقم: (١٠١٤) كتاب الزكاة/باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها).

(٤) قال أبو حيان: "فيه تغليظ أمر الربا وإيذان أنه من فِعلِ الكفار لا من فِعلِ أهل الإسلام، وأتى بصيغة المبالغة في الكافر والآثم، وإن كان تعالى لا يحب الكافر، تنبيهاً على عظم أمر الربا ومخالفة الله وقولهم: ﴿إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ وأنه لا يقول ذلك ويسوي بين البيع والربا ليستدل به على أكل الربا إلاَّ

قوله: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان -رضي الله عنهما- وكانا قد أسلفا في التمر، فلما حضر الجذاذ قال لهما صاحب التمر: لا يبقى لي ما يكفي عيالي إن أنتما أخذتما حقكما كله، فهل لكما أن تأخذا النصف، وتؤخرا النصف وأُضعف لكما؟ ففعلا، فلما حلَّ الأجل طلبا الزيادة، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فنهاهما، وأنزل الله هذه الآية، فسمعا وأطاعا وأخذا رؤوس أموالهما.[١]

﴿ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ ﴾ أي: دعوا. وقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ أي: إذ كنتم.[٢]

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ ﴾ أي: فإن لم تذروا ما بقي من الربا. ﴿فَأْذَنُواْ ﴾ أي: فاعلموا واسمعوا[٣]

مبالغ في الكفر، مبالغ في الإثم". البحر المحيط (٢/٣٥٠).

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/١٠٥)، والكشف والبيان للثعلبي (٢/٢٨٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/٢٨٠).

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢/٢٨٤)، والواحدي في أسباب النزول (ص٢١٢)، والبغوي في معالم التنزيل (١/٢٦٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/٣٣٢) معلقا عن عطاء وعكرمة بدون إسناد. وأورده الحافظ ابن حجر في العجاب (١/٦٤١) وسكت عنه. ولم أجده مسندا موصولا.

(٢) هذا على مذهب الكوفيين. أما جمهور أهل العلم يرون أن ﴿إِن﴾ هنا على معناها من معنى الشرط، جيء به على سبيل الإثارة والتهييج والإغراء للتقوى، وترك الربا بدافع الإيمان، وتحدي من يزعم أنه مؤمن ولا يترك الربا؛ أي: إن كنتم مؤمنين حقًّا، فاتركوا هذا الربا.

قال ابن عطية رحمه الله:" وقوله:﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ شرط محض في ثقيف على بابه، لأنه كان في أول دخولهم في الإسلام، وإذا قدرنا الآية فيمن تقرر إيمانه فهو شرط مجازي على جهة المبالغة، كما تقول لمن تريد إقامة نفسه: إن كنت رجلا فافعل كذا؟ وحكى النقاش عن مقاتل بن سليمان أنه قال: ﴿إِن﴾ في هذه الآية بمعنى:" **إذ** "، وهذا مردود؛ لا يعرف في اللغة ". المحرر الوجيز (١/٣٧٤).

ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٤/٢٠٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣/٣٦٣)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/٣٥١)، والدر المصون للسمين الحلبي (٢/٦٣٩).

(٣) أَذِنَ بالشيء إِذْنًا وأَذَنًا وأَذَنَةً: إذا سمعه وعلمه، يقال: قد آذنته بكذا وكذا، أوذِنه إيذانا، إذا أعلمته؛ وقد آذنته للصلاة: إذا أعلمته حضورها، ومنه الأذان: إعلام بالصلاة وبوقتها.

﴿بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ وذلك أن يوم القيامة يقال لآكل الربا: خذ سلاحك للحرب.[١] ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ إنما شرط التوبة لأنهم إن لم يتوبوا كفروا بردّ حكم الله تعالى، واستحلال ما حرّم الله، فيصير مالهم فيئًا للمسلمين.[٢]

﴿لَا تَظْلِمُونَ﴾ أي: بطلب الزيادة. ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ أي: بالنقصان عن رأس المال. فلما نزلت هذه الآية قال المرابون: بل نتوب إلى الله ﷻ؛ فإنه لا يَدَانِ لنا بحرب الله ورسوله، فرضوا برأس المال، وسلموا لأمر الله ﷻ، فقال الذين عليهم الدَّين وشكوا العسرة: أخّرونا إلى أن تدرك الغلات، فأبوا أن يؤخروا، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾.[٣] أي: إن وقع.[٤]

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٤/١٥)، والمفردات للراغب (ص١٤)، ولسان العرب لابن منظور (٩/١٣)"أذن".

(١) روى ذلك الطبري في جامع البيان (١٠٢/٣)، وابن المنذر في تفسيره (٦١/١)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٥٥٠/٢)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (٢٨٥/٢)، والبغوي في معالم التنزيل (٢٦٥/١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:"يقال يوم القيامة لآكل الربا: خذ سلاحك للحرب".

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (١٠٨/٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٨٥/٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢٨١/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣٥٣/٢).

(٣) ذكر هذا السبب: الثعلبي في الكشف والبيان (٢٨٥/٢)، والبغوي في معالم التنزيل (٢٦٥/١) بغير نسبة. والرازي في التفسير الكبير (٩٠/٧) ونسبه إلى المفسرين. ونسبه الخازن في لباب التأويل (٣٠٢/١)، والواحدي في أسباب النزول (ص٢١٣) إلى الكلبي.

(٤) أي: فإن وقع ذوعسرة. وتكون ﴿كَانَ﴾ هنا تامة، بمعنى: وقع، يقال: كان الشيء يكون كونا إذا وقع وحضر، وهذا قول جمهور النحويين، وهو مذهب سيبويه. وأجاز بعض الكوفيين أن تكون: ﴿كَانَ﴾، ناقصة هنا، وقدّر الخبر: وإن كان من غرمائكم ذوعسرة، فحذف المجرور الذي هو الخبر، وقدّر أيضاً: وإن ذو عسرة لكم عليه حق. وقول الجمهور أظهر، لأن حذف خبر ﴿كَانَ﴾ لا يجوز، لأنه تأكد طلبه من وجهين: **أحدهما**: كونُ خبراً عن مُخبَر عنه.

﴿فَنَظِرَةٌ﴾ أي: فالواجب إنظاره.[١] ﴿إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ أي: يسار.[٢]

وقوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: تصيرون.

﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ هي آخر آية نزلت من السماء.[٣]

والثاني: كونه معمولاً للفعل قبله، فلما تأكدت مطلوبيته امتنع حذفه.والعسر: نقيض اليسر، وهو تعذر وجدان المال، وأعسر الرجل إذا أضاق ولم يجد ما يؤديه في دَينه.

ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٣/٣٦٨)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/٣٥٤)، والدر المصون للسمين الحلبي (٢/٦٤٣).

(١) نَظِرَة: أي: تأخير، والنَظِرَة: الاسم من الإنظار، وهو التأخير والإمهال، تقول العرب: بعته الشيء بنَظِرَة وبإنظار، ويقال: بعت فلانا فأنظرته أي أمهلته، والاسم منه النظرة.

ينظر: العين للخليل (٨/١٥٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٤/٢٦٤)، ولسان العرب لابن منظور (٥/٢١٥)"نظر".

(٢) اختلف العلماء في حكم الإنظار: هل هو مختصٌ بالربا، أو عام في كل دين؟ فذهب جمهور العلماء: أن الآية عامة في كل دَين، فكل من أعسر ولم يجد وفاء لدَينه ينبغي إمهاله وإنظاره، وهذا قول عامة الفقهاء. وقال ابن عباس رضي الله عنهما، وشريح، والضحاك، والسدي، رحمهم الله: بأن الآية في الربا.

والأظهر أنها عامَّة في كل دَين؛ لعموم قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾.

والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ولأن القراءة بالرفع، بمعنى: وإن وقع ذو عسرة من الناس أجمعين، ولو كان في الربا خاصة؛ لكان بالنصب، بمعنى: وإن كان الذي عليه الربا ذا عسرة. ورجح هذا القول الطبري، والنحاس، وابن قدامة، والقرطبي، رحمهم الله تعالى.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/١٠٩)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٣١٠)، والمغني لابن قدامة (٤/٢٩١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣/٣٧٢).

(٣) يؤيد ذلك ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «آخر آية نزلت على النبي ﷺ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾، وكان بين نزولها وبين موت النبي ﷺ واحد وثمانون يوما». أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٦/٣٠٧)، برقم: (١١٠٥٧) كتاب التفسير/قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾، والطبري في جامع البيان (٣/١١٤)، وابن المنذر في تفسيره (١/٦٥)، برقم: (٦٥)،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ﴾ أي: إذا كان لبعضكم على بعض دَين.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ فأمر الله ﷻ بكتب الدَّين حفظًا منه للأموال، وكذلك الإشهاد فيه، وللناس من الظلم؛ لأنَّ صاحب الدَّين إذا كانت عليه الشهود والبينة، قلَّ تحديثُه نفسَه بالطمع في الإنكار والخيانة.[1]

وقوله ﴿بِدَيۡنٍ﴾ تأكيد؛ لأنَّ المداينة يُفهم منها الدَّين. قوله: ﴿فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ هذا أمر أدبٍ من الله وليس بأمر حتم.[2]

قوله ﴿وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ أي: لا ينبغي أن يكتب لصاحب الدَّين،

والطبراني في المعجم الكبير (١١/٣٧١)، برقم: (١٢٠٤٠)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/١٣٧)، والواحدي في أسباب النزول (ص١٠٨). قال الهيثمي: "رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات". مجمع الزوائد (٦/٣٢٤).

وأخرج البخاري في صحيحه (٤/١٦٥٢)، برقم: (٤٢٧٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا». كتاب التفسير/باب ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾. وقد جمع بين الأثرين عن ابن عباس رضي الله عنهما الحافظ ابن حجر فقال:" وطريق الجمع بين هذين القولين أن هذه الآية هي ختام الآيات المنزلة في الربا، إذهي معطوفة عليهن". فتح الباري (٨/٢٠٥).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٣/١١٦)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٣١٣)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٣٧٨).

(٢) وبه قال الجمهور، لأن ذلك أوثق، وآمن من النسيان، وأبعد من الجحود، فهو أمر ندب واستحباب، لقوله تعالى: ﴿فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ﴾ [البقرة:٢٨٣] الآية. قال ابن كثير رحمه الله:"﴿فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ أمر منه تعالى بالكتابة للتوثقة والحفظ، فأمروا أمر إرشاد لا أمر إيجاب كما ذهب إليه بعضهم". تفسير القرآن العظيم (١/٣٣٥).

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/١١٧)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٣١٢)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/٢٠٥)، والمحلى لابن حزم (٨/٣٤٥)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/٣٢٨).

فضلا على الذي عليه الدين، ولا ينبغي أن ينقص من حقه.(١)

﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ أي: كما فضله الله ﷻ، وعلَّمه الكتابة، فلا يبخلن بها إذا احتيج إليه، أي: لا يمتنع إذا سُئل ذلك، كان هذا في عهد رسول الله ﷺ لقلة من كان يحسن الكتابة في ذلك الوقت.(٢)

﴿فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾ [١٧/أ] أي: يمليه.

وقوله: ﴿وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ﴾ أي: لا ينقص منه شيء.(٣)

﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا﴾ أي: محجورا عليه بسفهه وتبذيره.(٤)

---

(١) قال الطبري رحمه الله: "﴿بِٱلْعَدْلِ﴾ يعني بالحق والإنصاف، بما لا يحيف ذا الحق حقه، ولا يبخسه، ولا يوجب له حجة بباطل، ولا يُلزمه ما ليس له عليه". جامع البيان (١١٩/٣).وقال الزجاج:"أي: يكتب بالحق، لا يكتب لصاحب الدين فضلا على الذي عليه الدين، ولا يُنقصه من حقه، فهذا العدل". معاني القرآن (٣٦١/١).

(٢) وبهذا قال الجمهور، وأن ذلك على سبيل الاستحباب لا على سبيل الإيجاب، فإن الله تعالى لما علّم الكاتب، وشرّفه بمعرفة الأحكام الشرعية، فالأولى أن يكتب تحصيلاً لحاجة أخيه المسلم شكراً لتلك النعمة، ولقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾.
ينظر: جامع البيان للطبري (١١٩/٣)، الكشف والبيان للثعلبي (٢٩١/٢)، وأحكام القرآن لابن العربي (٣٢٩/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٨٤/٣).

(٣) البَخْس: نقص الشيء على سبيل الظلم، يقال: بَخَس زيدٌ عمراً حقه يَبْخَسُه بَخْساً، وأصله من: بَخَسْتُ عينه، فاستعير منه بَخْسُ الحق. والتباخُسُ في البيع: التناقُصُ، لأن كل واحد من المتبايعين يُنْقِصُ الآخرَ حقَّه.
ينظر: العين للخليل (٢٠٣/٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (٨٨/٧)، والمفردات للراغب (ص٣٨) "بخس"، والدر المصون للسمين الحلبي (٦٥٤/٢).

(٤) قاله: مجاهد، وابن جبير، والقاضي أبو يعلى. وأصل السفه: الخِفَّة، ومعنى السفيه: الضعيف الرأي، الناقص العقل، من البالغين الذين لا يحسنون الأخذ لأنفسهم، ولا الإعطاء منها، أخذاً من الثوب السفيه، وهو: خفيف النَّسج.

والضعيف هو: المختل العقل، كالمجنون والمعتوه.(١) والذي ﴿لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ أي: الصغير.(٢) ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِٱلْعَدْلِ﴾ أي: الذي يقوم بأمره.

﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ أي: من أهل ملتكم.(٣)

﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا﴾ أي: فإن لم يكن الشاهدان ﴿رَجُلَيْنِ﴾ فالذي يُستشهد رجل

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/١٢١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٦/٨١)"سفه"، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/٣٦١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٣٣٦).

(١) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وابن جبير رحمه الله. قال النحاس رحمه الله:"فأما الضعيف فهو -والله اعلم- الذي فيه ضعف من خرس أو هرم أو جنون". معاني القرآن (١/٣١٦).

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/١٢١)، والمفردات للراغب (ص٢٩٥)"ضعف"، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٣٣٧)، والتفسير الكبير للرازي (٧/٩٨).

(٢) قاله ابن جبير رحمه الله. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أنه العييّ الأخرس. وقال القاضي أبو يعلى: هو المجنون. والأظهر أنه لا تعارض بين هذه الأقوال، فهي على سبيل التمثيل، والمقصود أنه العاجز عن الإملال إما لعلةٍ بلسانه من خرس أو غيره من العلل، وإما لغيبته عن موضع الكتاب، أو عجمة، أو حبسٍ لا يمكنه حضور الكتاب، أو جهل مالَه عليه، ونحو ذلك من الأعذار. وبه قال الطبري، والثعلبي، والبغوي رحمهم الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/١٢٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٢/٢٩٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٢٦٨)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٣٣٧).

(٣) أي: من أهل دينكم. قاله: القاضي أبو يعلى، والزجاج. قال ابن حزم رحمه الله تعالى:"واتفقوا على أنه لا يقبل مشرك على مسلم في غير الوصية في السفر". مراتب الإجماع (ص٥٣).

ينظر: معاني القرآن للزجاج (١/٣٦٣)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/٣٣٣)، والمغني لابن قدامة (١٠/١٨٠)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣/٣٨٩).

وامرأتان.(١) ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ يعني: من كان مرضيا في ديانته وأمانته.(٢) وجملة القول فيمن يقبل على الغير شهادته أن تجتمع فيه اثنتا عشرة خصلة، يكون: حرًا، مسلمًا، بالغًا، عاقلًا، عدلا، عالماً بما يشهد به، ولا يجرّ بشهادته إلى نفسه نفعًا، ولا يدفع عن نفسه ضرًا، ولا يكون مغفلا، ولا يكون معروفًا بكثرة الغلط، ولا يترك المروءة، ولا يكون بينه وبين من يشهد عليه عداوة.(٣)

﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ تقديره: كي تذكّر إحداهما الأخرى إن ضلت، يعني: إن نسيت.(٤)

---

(١) أجمع الفقهاء على أن شهادة النساء جائزة مع الرجال في الأموال حتى يثبت برجل وامرأتين، واختلفوا في غير الأموال: فمذهب الحنفية وهو قول سفيان الثوري: يجوز شهادتهن مع الرجال في غير العقوبات. وذهب الجمهور: أن غير المال لا يثبت إلا برجلين عدلين. وهذا هو الأقرب. قال الثعلبي رحمه الله:"وتقبل شهادة النساء على الإنفراد لا رجل معهن في أربع مواضع: عيوب النساء، وهو: ما يكون عيباً في موضع هي عورة منها في الحرّة في جميع بدنها إلا وجهها وكفيها، ومن الأمة مابين سرّتها إلى ركبتها، وفي الرضاع، وفي الولادة، وفي الاستهلال، ولا خلاف في ذلك كلّه إلا في الرضاع، وأن أبا حنيفة ذهب إلى أن شهادة النساء على الإنفراد لا تقبل فيه حتى يشهد رجلان، أو رجل وامرأتان". الكشف والبيان (٢/٢٩٣).
ينظر: جامع البيان للطبري (٣/١٢٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٢٦٨)، والمغني لابن قدامة (١٠/١٥٦)، وإعلام الموقعين لابن القيم (١/٩٢).

(٢) في هذه الآية دليل على أن في الشهود من ليس بمرضي، وأن الناس ليسوا محمولين على العدالة حتى تثبت لهم، وذلك معنى زائد على الإسلام، وهذا قول الجمهور، وهو الصحيح. وقال أبو حنيفة رحمه الله: كل مسلم ظاهر الإسلام مع السلامة من فسق ظاهر فهو عدل، وإن كان مجهول الحال.
ينظر: الاستذكار لابن عبد البر (٧/١٠٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣/٣٩٥)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (١٥/٣٥٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٣٣٦).

(٣) في هذه الخصال وما يقبل منها وما يردّ تفصيلات لأهل العلم يطول ذكرها.
ينظر: الأم للشافعي (٧/١٢٦)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/٢٤٧)، والحاوي الكبير للماوردي (١٧/٥٨)، والمغني لابن قدامة (١٠/١٦٦)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣/٣٩٥).

(٤) قاله جمهور المفسرين.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟﴾ سبب نزولها: أن الرجل كان يطوف في جماعة بيوت من الناس مجتمعه فيدعوهم إلى الشهادة فلا يمنعه أحد منهم، فأنزل الله هذه الآية.(١) ومذهب أصحاب الشافعي ﷺ أنَّه يجب الأداء على كل متعين الشهادة إذا دُعي من دون مسافة العدوى،(٢) وهي مسافة يبتدئ الإنسان قطعها في صبيحة يوم، وتؤويه الليل إلى منزله قبل أن يجنّ الليل، فإذا دعي من فوقها ودون مسافة القصر، أو لم يكن متعبا، أو لم يتحمل قصدا، لكن وقع عليه بصره ففي الوجوب وجهان،(٣) ثم التحمل في عقد النكاح من فروض الكفايات وفي سائر المعاملات، وكذا الوجهان في كتابة الصكوك.(٤)

﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟﴾ أي: لا تملوا كتابته. ﴿أَن تَكْتُبُوهُ﴾ أي: الحق الواجب.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٢٤/٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٣١٨/١)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٩٥/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٣١٨/١١)"ضل".

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٢٦/٣)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٥٦٣/٢)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩٥/٢)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٣٨٢/١) عن قتادة، والربيع. وهو مرسل، لم أقف على من أوصله أو صححه.

(٢) قاله جمهور العلماء. قال القرطبي رحمه الله:" والصحيح أن أداءها فرض وإن لم يُسألها إذا خاف على الحق ضياعه أو فوته، أو بطلاق أو عتق على من أقام على تصرفه على الاستمتاع بالزوجة واستخدام العبد، إلى غير ذلك، فيجب على من تحمل شيئا من ذلك أداء تلك الشهادة، ولا يقف أداؤها على أن تُسأل منه فيضيع الحق؛ وقد قال تعالى:﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ﴾[الطلاق:٢]". الجامع لأحكام القرآن (٣٩٩/٣).

ينظر: جامع البيان للطبري (١٢٦/٣)، والحاوي الكبير للماوردي (٥٩/١٧)، وأحكام القرآن لابن العربي (٣٣٨/١)، والمغني لابن قدامة (١٥٤/١٠)، وحاشية ابن عابدين (٦٦/٧).

(٣) ينظر: الحاوي الكبير للماوردي (٥٠/١٧)، والمهذب للشيرازي (٣٢٣/٢)، والوسيط في المذهب لأبي حامد الغزالي (٣٧٥/٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٣٦/١).

(٤) ينظر: روضة الطالبين وعمدة المفتين للنووي (٢٧٦/١١)، وأسنى المطالب في شرح روض الطالب لزكريا الأنصاري (٣٧١/٤)، ومغني المحتاج للشربيني (٤٥٠/٤).

﴿صَغِيرًا﴾ كان الحق ﴿أَوْ كَبِيرًا﴾ يعني: قليلًا كان المال أو كثيرا. ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي: الكتْب. ﴿أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: أعدل.(١) ﴿وَأَقْوَمُ﴾ وأصوب ﴿لِلشَّهَٰدَةِ﴾.(٢) ﴿وَأَدْنَىٰٓ﴾ أي: أقرب إلى ﴿أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾ أي: لا تشكوا في مبلغ الحق والأجل.(٣) ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ أي: إلا أن تكون تجارة حاضرة يدًا بيد. ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ ليس فيها أجل ولا نسيئة.

---

(١) أجمع المفسرون على هذا المعنى، والقسط اسم، والإقساط مصدر، يقال: أقسط فلان في الحكم يقسط إقساطاً إذا عدل فهو مقسط، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:٩]، ويقال: هو قاسط إذا جار، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[الجن:١٥]، فكأن الهمزة في "أقسط" للسلب، كما يقال: شكا إليه فأشكاه.
ينظر: العين للخليل (٥/٧١)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٤/٦٠)، ولسان العرب لابن منظور (٧/٣٧٧)"قسط".

(٢) إنما كانت الكتابة أقوم للشهادة، لأنها سبب للحفظ والذكر، فكانت أقرب إلى الاستقامة، والفرق بين الفائدة الأولى في قوله:﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾، والثانية في قوله:﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾، أن الأولى: تتعلق بتحصيل مرضاة الله تعالى، والثانية: بتحصيل مصلحة الدنيا، وإنما قدمت الأولى على الثانية إشعاراً بأن الدين يجب تقديمه على الدنيا.
ينظر: جامع البيان للطبري (٣/١٣١)، والتفسير الكبير للرازي (٧/١٠٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/٣٦٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٣٣٧).

(٣) قال الرازي:"والفرق بين الوجهين الأولين، وهذا الثالث؛ الوجهين الأولين يشيران إلى تحصيل المصلحة، فالأول: إشارة إلى تحصيل مصلحة الدين، والثاني: إشارة إلى تحصيل مصلحة الدنيا، وهذا الثالث: إشارة إلى دفع الضرر عن النفس وعن الغير، أما عن النفس فإنه لا يبقى في الفكر أن هذا الأمر كيف كان، وهذا الذي قلت هل كان صدقاً أو كذباً، وأما دفع الضر عن الغير فلأن ذلك الغير ربما نسبه إلى الكذب والتقصير فيقع في عقاب الغيبة والبهتان، فما أحسن هذه الفوائد وما أدخلها في القسط، وما أحسن ما فيها من الترتيب". التفسير الكبير (٧/١٠٢).

﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾.(١) وقوله: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ هو أمر ندب.(٢) ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ﴾ أي: فيكتب ما لم يملل عليه ﴿وَلَا شَهِيدٌ﴾ أي: فيشهد بما لم يستشهد عليه، أو يُمنع من إقامة الشهادة.(٣)

﴿وَإِن تَفْعَلُواْ﴾ أي: ما نهيتكم عنه من الضرار ﴿فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمْ﴾ أي: خروج عن الأمر.(٤) ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

---

(١) لما كانت الكتابة في التجارة الحاضرة الدائرة بينهم شاقة، رفع الله تعالى الجناح عن الناس في تركها، ولأن ما بيع نقداً يداً بيدٍ لا يكاد يحتاج إلى كتابة، إذ مشروعية الكتابة إنما هي لضبط الديون، إذ بتأجيلها يقع الوهم في مقدارها وصفتها وأجلها، وهذا مفقود في مبايعة التاجر يداً بيد.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/١٣١)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/٣٤١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣/٤٠١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/٣٦٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٣٣٧).

(٢) وبه قال أكثر الفقهاء. لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾، ولأن النبي ﷺ باع واشترى، ولم ينقل الإشهاد في ذلك، وكذلك الصحابة ﷺ في زمنه وبعد، فتحمل الآية الكريمة على الاستحباب، والله أعلم.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/١٣٣)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/٣٤٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٣٣٤)، والمجموع للنووي (٩/١٤٦)، والمغني لابن قدامة (٤/١٨٤).

(٣) قاله الحسن، وطاووس، وقتادة، وابن زيد، والزجاج، رحمة الله على الجميع.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، وعكرمة، والسدي، والربيع بن أنس، والفراء، ومقاتل: لا يضار بأن يُدعى وهو مشغول. وقال عطاء: معنى المضارة: امتناع الكاتب أن يكتب، والشهيد أن يشهد. والأظهر أنه لا مانع من اعتبار هذه الأقوال كلها، لأن لفظ "المضارة" يقتضي هذه المعاني كلها، فإن المقصود: النهي عن الإضرار بالكاتب والشهيد بإذايتهما بالقول أو بالفعل، كما قرر ذلك القرطبي رحمه الله.

ينظر: معاني القرآن للفراء (١/١٤٩)، وجامع البيان للطبري (٣/١٣٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٣٤٠)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣/٤٠٦).

(٤) يقال: فَسَقَ يفسُق فِسْقًا وفُسُوقًا، إذا خرج عن طريق الحق، من قولهم: فَسَقَ الرُّطَب إذا خرج عن

كرر كلمة ﴿ٱللَّهَ﴾ ثلاث مرات، فالأول: تعظيم لأمر التقوى، والثاني: تعظيم نعمته علينا، والثالث: تعظيم وعده ووعيده.(١)

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي: على دَينه. ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ أي: ليقض دينه الذي أَمِنَه عليه.(٢)

وقوله: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ أي: فاجر قلبه مستحق للعقوبة.(٣) ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: من بيان الشهادة وكتمانها ﴿عَلِيمٌ﴾.

﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾

نزلت هذه الآية خاصة فيمن يتولى الكافرين، يعني: وإن تعلنوا ما في أنفسكم من ولاية الكفار، أو تسرُّوه يحاسبكم به الله.(٤) لما نزلت هذه الآية دخل قلوبهم منه شيء، فقالوا للنبي

قشره، وسميت الفأرة فويسقة؛ لخروجها من بيتها مرة بعد أخرى. والفاسق في الاصطلاح: هو من اقترف كبيرة أو داوم على صغيرة. والفاسق يشمل الكافر والمسلم العاصي ولكن فسق الكافر أشد وأفحش، والمراد به من الآية الفاسق المسلم.

ينظر: العين للخليل (٨٢/٥)"فسق"، ومعاني القرآن للزجاج (٣٦٦/١)، ومعاني القرآن للنحاس (٣٢٤/١)، والمفردات للراغب (ص٣٨٠)"فسق".

(١) ينظر: التفسير الكبير للرازي (١٠٤/٧)، والتسهيل لابن جزي (٩٧/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣٧٠/٢).

(٢) أَمِنَ فلانٌ غيره: إذا لم يكن خائفاً منه، يقال: أَمِنتَه وائتَمنْتَه فهو مأمون ومؤتمن.

ينظر: العين للخليل (٣٨٨/٨)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٣٨/١)"أمن".

(٣) وبه قال جمهور المفسرين. وإنما أضيف الإثم إلى القلب لأن الأفعال من الدواعي والصوارف إنما تحدث في القلب، فلما كان الأمر كذلك أضيف الإثم إلى القلب.

ينظر: المفردات للراغب (ص١٠)"إثم"، ولباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٣٠٩/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٣٨/١).

(٤) قاله مقاتل بن سليمان، كما في تفسيره (١٥٢/١)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩٩/٢)، والبغوي في معالم التنزيل (٢٧١/١)، وأبو حيان في البحر المحيط (٣٧٥/٢) ونسبوه إلى مقاتل بن

ﷺ، فقال: «قولوا: سمعنا وأطعنا»، فألقى الله الإيمان في قلوبهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾. الآية.(١)

قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: إلا قدر طاقتها، لا يكلفها فرضًا من فروضه من صوم أو صلاة أوزكاة أو غير ذلك إلا بمقدار طاقتها.(٢)

سليمان، والواقدي، رحمة الله على الجميع. وذهب أكثر المفسرين إلى أن الآية عامة، وهو الصحيح، قال القرطبي رحمه الله:" واستدلوا بقوله تعالى في آل عمران: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ﴾[آل عمران:٢٩]، من ولاية الكفار ﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾، يدل عليه ما قبله من قوله:﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:٢٨]، قلت: وهذا فيه بُعدٌ؛ لأن سياق الآية لا يقتضيه، وإنما ذلك بَيِّنٌ في آل عمران والله أعلم". الجامع لأحكام القرآن (٤٢٣/٣).

(١) يؤيد ذلك ما جاء في صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال:"لما نزلت هذه الآية: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾، قال: دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء، فقال النبي ﷺ: «قولوا: سمعنا وأطعنا وسلّمنا»، قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم، فأنزل الله تعالى:﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، قال: «قد فعلت»، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، قال: «قد فعلت»، ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾، قال: «قد فعلت»". (صحيح مسلم (١١٦/١)، برقم: (١٢٦)، كتاب الإيمان/باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق).

(٢) الوسع: اسم لما يسع الإنسان ولا يضيق عليه ولا يعجز عنه، كما قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[البقرة:١٨٥]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨].

ينظر: العين للخليل (٢٠٣/٢)"وسع"، وقواطع الأدلة في الأصول للسمعاني (٣٧٣/٢)، والمفردات

وقوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ أي: لا يؤاخذ أحدًا بذنب غيره.(١)
والاكتساب: ما يفعله المرء لنفسه خاصة، والكسب: فعله له ولغيره، فوصف المسيء بالاكتساب؛ لأن معصيته لا تنفعه ولا تضر غيره، ووُصف المحسن بالكسب؛ لأن غيره يشاركه فيه بأن يشفع له.(٢)

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ هو ما جاء عن النبي ﷺ:«غفر لهذه الأمة

للراغب (ص٤٣٨، ص٥٢٣)"كلف، وسع"، وروضة الناظر لابن قدامة (١/٥١).

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١/٣٦٩)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٣٩٣)، والوجيز للواحدي (١/١٩٧)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/٣٨١).

(٢) في قوله تعالى: ﴿كَسَبَتْ﴾ و﴿اكْتَسَبَتْ﴾ وجهان: **أحدهما**: أن لفظهما مختلف ومعناهما واحد. وهو قول ابن جني رحمه الله. قال أبو حيان رحمه الله:"والصحيح عند أهل اللغة أن الكسب والإكتساب واحد، والقرآن ناطق بذلك، قال تعالى:﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر:٣٨]، وقال:﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ [الأنعام:١٦٤]، وقال الله تعالى:﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾[البقرة:٨١]، وقال تعالى: ﴿بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ [الأحزاب:٥٨]". البحر المحيط (٢/٣٨١).

والثاني: أن ﴿كَسَبَتْ﴾ مستعمل في الخير خاصة، و﴿اكْتَسَبَتْ﴾ مستعمل في الشر خاصّة. وهذا قول أكثر المفسرين.ووجه ذلك أن في الاكتساب ضربٌ من الاعتمال والمعالجة، حسبما تقتضيه صيغة "افتعل"، فالسيئات فاعلها يتكلف مخالفة أمر الله ويتعداه، بخلاف الحسنات فإنه فيها على الجادة من غير تكلف، أو لأن السيئات يجدّ في فعلها لميل النفس إليها، فجعلت لذلك مكتسبة، ولما لم يكن الإنسان في الحسنات كذلك، وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال.وذهب الراغب، وهو الذي ذكره المؤلف، إلى أن الكسب يقال فيما أخذه لنفسه ولغيره، ولهذا قد يتعدى إلى مفعولين، فيقال: كسبت فلانًا كذا، والاكتساب لا يقال إلا فيما استفاده لنفسه، فكل اكتساب كسب وليس كل كسب اكتسابا، وذلك نحو: خبز واختبز، وشوى واشتوى، وطبخ واطبخ.
ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/١٥٤)، والخصائص لابن جني (٣/٢٦٦)، والنكت والعيون للماوردي (١/٣٦٣)، والمفردات للراغب (ص٤٣٠)"كسب".

نسيانها، وما حدثت به أنفسها».(١) ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾ الإصر: الثقل.(٢) ﴿كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ أي: من [١٧/ب] قتل النفس من أجل التوبة، وتعجيل العقوبات على الذنوب والمسخ وأمثال ذلك.(٣)

---

(١) لم أعثر على الحديث بهذا اللفظ، ومعناه ثابت في الأحاديث الصحيحة، فالتجاوز عن حديث النفس ثابت في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها، ما لم تعمل أو تتكلم». أخرجه البخاري (٢٠١٨/٥)، برقم: (٤٩٦٨) كتاب الطلاق/باب الطلاق في الإغلاق والكره، ومسلم في صحيحه (١١٦/١)، برقم: (١٢٧) كتاب الإيمان/باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر.

وأما التجاوز عن النسيان فهو عند ابن ماجة في السنن (٦٥٩/١)، برقم: (٢٠٤٥)، كتاب الطلاق/باب طلاق المكره والناسي، والطبراني في المعجم الكبير (١٣٣/١١)، برقم: (١١٢٧٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه». صححه ابن حبان في صحيحه (٢٠٢/١٦)، والحاكم في المستدك (٢١٦/٢)، والنووي في المجموع (٣١٧/٦)، وحسنه ابن تيمية في منهاج السنة (٢١٥/٥).

(٢) وبه قال أئمة اللغة، كالخليل، وأبي عبيدة، والأزهري. وقال مالك، والربيع: الأمر الغليظ. وقال مجاهد، وقتادة: الإصر: العهد. وقال سعيد بن جبير، والضحاك: الإصر: شدة العمل، فإنهم كانوا يحملون أمورًا شدادا. والأظهر أنه لا تعارض بين هذه الأقوال، فإنها ترجع إلى معنى واحد، أي: لا تأخذ عهدنا بما لا نقوم به إلا بثقل، ولا تحمل علينا إثم العهد، ويدل عليه قول ابن عباس رضي الله عنهما، أي: عهداً تعذبنا بتركه ونقضه. وأصل الإصر: الثقل، فسمي العهد إصرًا؛ لأن حفظ العهد يكون ثقيلا، ومنه قوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾[آل عمران:٨١]، أي: عهدي. وما أمروا به فهو بمنزلة ما أخذ عهدهم به. قال ابن كثير رحمه الله:" أي: لا تكلفنا من الأعمال الشاقة وإن أطقناها؛ كما شرعته للأمم الماضية قبلنا من الأغلال والآصار التي كانت عليهم، التي بعثت نبيك محمدا ﷺ نبي الرحمة بوضعه في شرعه الذي أرسلته به من الدين الحنيف السهل السمح". تفسير القرآن العظيم (٣٤٤/١).

ينظر: العين للخليل (١٤٧/٧)"أصر"، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (٨٤/١)، وجامع البيان للطبري (١٥٦/٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٣٣٤/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٦١/١٢)"صير".

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (١٥٦/٣)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٥٨٠/٢)، والكشف والبيان

﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ أي: ما تشدّ علينا ويثقل تكلّفه.(١)

﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾ فإن قيل: من عُفي عنه فقد غُفر له، ومن غُفر له فقد رحمه، فما الغاية في تكرار هذه الكلمات؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن الكلمات إذا اختلفت حسُن ذكرها معًا، وإن اتفقت معانيها توكيدًا ومبالغة.

والثاني: أن لكل واحدة من الكلمات أصلا مفردًا وحقيقة مفردة.(٢)

وقوله: ﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾ أي: امح السيئات من صحائف أعمالنا.(٣)

للثعلبي (٢/٣٠٧)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٢٧٤).

(١) وبه قال جمهور المفسرين. وأصل الطوق: ما يجعل في العنق خِلقَةً، كطوق الحمام، أو صَنعَةً، كطوق الذهب والفضة، ويتوسع فيه فيقال: طوقته كذا، كقولك: قلدته. والطاقة: اسم لمقدار ما يمكن للإنسان أن يفعله بمشقة، وذلك تشبيه بالطوق المحيط بالشيء، فقوله: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ أي: ما يصعب علينا مزاولته، وليس معناه: لا تحملنا ما لا قدرة لنا به، وذلك لأنه تعالى قد يحمل الإنسان ما يصعب عليه.

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢/٣٠٨)، والمفردات للراغب (ص٣١٢)"طوق"، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٣٩٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٣٤٨)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (١٤/١٠٢).

(٢) الفرق بين العفو والمغفرة والرحمة، أن العفو: إزالة الذنب بترك عقوبته، والغفران: ستر الذنب وإظهار الإحسان بدله، فكأنه جمع بين تغطية ذنبه، وكشف الإحسان الذي غطى به، والرحمة: التفضل عليه برحمته الواسعة، فالثاني أبلغ من الأول، والثالث أبلغ من الثاني. قال ابن جزي رحمه الله:" ألفاظ متقاربة المعنى، وبينها من الفرق: أن العفو ترك المؤاخذة بالذنب، والمغفرة: تقتضي مع ذلك الستر، والرحمة تجمع ذلك مع التفضل بالإنعام". التسهيل (١/٩٩). وقال ابن كثير رحمه الله:"إن المذنب محتاج إلى ثلاثة أشياء: أن يعفو الله عنه فيما بينه وبينه، وأن يستره عن عباده فلا يفضحه به بينهم، وأن يعصمه فلا يوقعه في نظيره". تفسير القرآن العظيم (١/٣٤٤).

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٥/٣٣)"رحم"، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/٥٦)"عفو"، والمفردات للراغب (ص٣٦٢)"غفر"، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/٣٨٥).

(٣) العفو: الصفح عن الذنوب وترك مجازاة المسيء، مأخوذ من عفت الريح الأثر: إذا درسته، وكأن العافي عن الذنوب يمحوه بصفحه عنه، وأصله من الإعراض بصفحة الوجه، كأنه أعرض بوجهه عن ذنبه.

ومعنى: اغفر لنا: استرها يوم القيامة.[١] ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا﴾ عفوك بأن تسترها من أهل الحسد ولا تفضحنا بها. ومعنى ارحمنا: أنعم علينا بالتفضل وإعطاء العطايا،[٢] فقد ظهرت فائدة الجمع بين هذه الكلمات، والله أعلم.[٣] ﴿أَنتَ مَوۡلَىٰنَا﴾ المولى: اسم لمالك التدبير والتصريف في وجوه الضر والنفع، أي: له التصريف والتدبير بحق الملك، والاستعلاء، وتدبير إعادتنا وإنشائنا وإماتتنا، ثم بعثنا وجزائنا على أعمالنا.[٤]

ينظر: العين للخليل (٢/٢٥٨)، وتهذيب اللغة للأزهري (٣/١٤١)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/٥٦)"عفو".

(١) أصل المغفرة: الستر والتغطية، وغفر الله ذنوبه، أي: سترها ولم يفضحه بها على رؤوس الملأ، وفي ذلك محو الذنوب وذهاب عقوبتها، وكلُّ شيء سترته فقد غفرته، ومنه سمي المغفر، لأنه يغفر الرأس، أي: يلبسه ويغطيه، وقولهم: اغفر ثوبك فإنه أغفر للوسخ، أي: أستر، واغفر متاعك في وعائك، فإنه أخفى وأستر.

ينظر: العين للخليل (٤/٤٠٦)، وتهذيب اللغة للأزهري (٨/١١٢)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٤/٣٧٣)"غفر".

(٢) والأظهر في معنى:﴿وَٱرۡحَمۡنَآ﴾ أي: تغمدنا منك برحمة تنجينا بها من عقابك، فإنه ليس بناج من عقابك أحد إلا برحمتك.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/١٥٩)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٣٩٥)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣/٤٣٣)، ولباب التأويل للخازن (١/٣١٥).

(٣) قال أبو حيان رحمه الله:"ولم يأت لفظ:﴿رَبَّنَا﴾، في الجمل الطلبية أخيراً، لأنها نتائج ما تقدّم من الجمل التي دعوا فيها: بـ﴿رَبَّنَا﴾، وجاءت مقابلة كل جملة من الثلاث السوابق جملة، فقابل ﴿لَا تُؤَاخِذۡنَآ﴾ بقوله:﴿وَٱعۡفُ عَنَّا﴾، وقابل:﴿وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا﴾ بقوله: ﴿وَٱغۡفِرۡ لَنَا﴾، وقابل قوله: ﴿وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ بقوله: ﴿وَٱرۡحَمۡنَآ﴾، لأن من آثار عدم المؤاخذة بالنسيان والخطأ: العفو، ومن آثار عدم حمل الإصر عليهم: المغفرة، ومن آثار عدم تكليف ما لا يطاق: الرحمة". البحر المحيط (٢/٣٨٢).

(٤) المولى: مَفْعَل من: ولي يلي، يكون للمصدر والزمان والمكان. وهو هنا مصدر، يراد به الفاعل، فيكون

﴿فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ أي: أظهرنا عليهم.[1]

على حذف مضاف، أي: صاحب تولِّينا، أي: نصرتنا، ولذلك قال: ﴿فَٱنصُرۡنَا﴾. وهذه الكلمة تدل على نهاية الخضوع والتذلل والاعتراف بأنه سبحانه هو المتولي لكل نعمة يصلون إليها، وهو المعطي لكل مكرمة يفوزون بها، فهو سبحانه قيوم السماوات والأرض، والقائم بإصلاح مهمات الكل، وهو المتولي لأمور الخلق، ﴿فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[الحج:٧٨].

ينظر: جامع البيان للطبري (١٥٩/٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (٣٢١/١٥)"ولي"، والبحر المحيط لأبي حيان (٣٨٥/٢).

(١) أي: أظهرنا عليهم في الحجة والحرب وإظهار الدين، واجعل لنا العاقبة عليهم في الدنيا والآخرة، على ما قال ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٣].

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٣٧١/١)، والتفسير الكبير للرازي (١٣١/٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٤٤/١).

تفسير سورة آل عمران

سورة آل عمران مدنية (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

من تفسير ﴿الٓمٓ ۝١ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ﴾ مضى تفسير ﴿الْقَيُّومُ﴾.(٢)

﴿اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: الله متفرد بالإلهية. ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ﴾ أي: بالعدل والصواب.(٣) ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: لما قبله من الكتب في التوحيد، والنبوات، والأخبار، وبعض الشرائع.(٤)﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَىٰةَ﴾ هي من: وَرِيَ الزِّنْد إذ خرجت ناره، سُمي بذلك لأنه نورٌ وضياءٌ.(٥)

---

(١) ذكر ابن عطية في المحرر الوجيز (٣٩٦/١)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١/٤)، والثعالبي في جواهر الإحسان (٢٤٠/١) أنها مدنية بالإجماع. وروى ابن جرير في تفسيره (١٦٢/٣)، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٣٩٦/١)، وتبعه ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٣٤٤/١)، عن ابن إسحاق أن نيفا وثمانين آية من أول هذه السورة نزلت في وفد نجران، وكان ذلك في سنة تسع من الهجرة.

(٢) تقدم ذلك ص:٢٧٧.

(٣) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٦٦/٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٨/٣)، والمحرر الوجيز (٣٩٧/١) والبحر المحيط لأبي حيان (٣٩٢/٢).

(٤) بهذا قال جماهير المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٦٦/٣)، والتفسير الكبير للرازي (١٣٧/٧)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣٩٢/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٤٥/١).

(٥) يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا التَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾[المائدة:٤٤]. قال القرطبي رحمه الله:"والتوراة معناها: الضياء والنور، مشتقة من ورَى الزَّنْدُ يَرِي إذا خرجت ناره، وأصلها "تَوْرَيَة" على وزن تَفْعَلَة، وتحركت الياء، وقبلها فتحة فقلبت ألفا". الجامع لأحكام القرآن (٥/٤). وذهب الشافعي رحمه الله بأن القرآن والتوراة والإنجيل أسماء لكتاب الله وليس بمهموز، فقد روى البيهقي عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم:" أن الشافعي أخبره أنه قرأ على إسماعيل بن قسطنطين، وكان يقول: القرآن اسم وليس بمهموز، ولم يؤخذ من: قرأت؛ ولكنه اسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل، قال: ويهمز: قرأت، ولا يهمز

﴿وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ من: النجل وهو: الخروج، سُمي بذلك لأنَّ الله أخرج به دارسًا من الحق عافيا.(١) ﴿مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ﴾ أي: هاديتين. ﴿وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ﴾ أي: الفرق بين الحق والباطل.(٢) فإن قيل: الله قال من قبل:﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾! فما وجه تكريره كلمة ﴿ٱلۡفُرۡقَانَ﴾؟ فالجواب: أن الفرقان اسم يستفاد من معناه ما لا يستفاد من كلمة

القرآن". معرفة السنن والآثار (٥٦٧/٧). وبناء على قول الشافعي رحمه الله: بأنه اسم لكتاب الله، يدل على أن القرآن والتورة والإنجيل، ليس بمشتق، وأنها أسماء لكلام يجري مجرى الأعلام في أسماء غيره كما قيل في اسم الله أنه غير مشتق من معنى يجري مجرى اللقب في صفة غيره.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٣٧٤/١)، ومعاني القرآن للنحاس (٣٤١/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٠٩/٩)"قرأ"، وحجة القرآت لابن زنجلة (ص١٢٥).

(١) أي: كشف به من الحق ما كان ماحيًا، من عَفَتِ الرياح الآثار: إذا درستْها ومحتْها. وإنجيل: إفعيل من النجل، يقال: نجلت الشيء إذا استخرجته وأظهرته، والإنجيل مستخرج به علوم وحكم، فالإنجيل أصل لعلوم وحكم، ويقال: نجله أبوه، أي: جاء به، ويقال: هو: من النجل، وهو: سعة العين، سمي به لأنه أنزل سعة لهم ونوراً، وجمع الإنجيل أناجيل. وتقدم قول الشافعي رحمه الله بأن القرآن والتوراة والإنجيل أسماء لكتاب الله وليس بمهموز.

ينظر: غريب القرآن لابن عزيز (ص١٠٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٥٦/١١)"نجل"، والمفردات للراغب (ص٣٣٩)"عفا"، وتهذيب الأسماء للنووي (٢٦٢/٣).

(٢) أي: القرآن، فرّق فيه بين الحلال والحرام، والحق والباطل، وهذا قول جمهور المفسرين. وذهب محمد بن جعفر بن الزبير، واختاره الطبري، وابن تيمية، إلى أن معناه: ما يفرق الله به بين الحق والباطل، من المعجزات والحجج البالغة والنصر والتمكين. لأن القرآن قد مضى الإخبار عنه قبل ذكر التوراة والإنجيل بـــ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ فلا وجه لتكراره مرة أخرى لعدم الفائدة. و هذا القول هو الأقرب، لأن لفظ القرآن عام، فيجب أن يبقى كذلك محمولاً على كل ما يدخل تحت معناه حتى يرد ما يخصصه ولم يرد. ولأن الأصل في العطف أن يكون لتغاير المعنى، والحمل عليه عند الاحتمال أولى، وحمل النص على التغاير في المعنى يؤيد القول بأن الفرقان هنا غير القرآن، لأن الكتاب المذكور في الآية هو القرآن- والله تعالى أعلم-.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٦٧/٣)، والكشاف للزمخشري (٣٦٤/١)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٧/١٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٤٥/١)، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص١٢١).

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾، والصفة الأولى تفيد أنَّ من شأنه أن يُكتب، والثانية: تفيد أن من شأنه أن يفرِّق بين الحق والباطل. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ المراد بهم: أهل الكتاب، لما لم يقبلوا محمداً ﷺ صاروا كافرين بآيات الله في التوراة والإنجيل.(١)

ومعنى قوله: ﴿عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ أنه إذا عذب الكافرين انتقامًا منهم لم يمنعه من ذلك مانع؛ لأنَّه عزيز. ونقم أنكر، وانتقم كافأ عقوبة.(٢)

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ هو كقوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[يونس:٦١].(٣)

واعلم أنَّ بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة، وفوق السماء السابعة بحر، بين أعلاه

---

(١) وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما.وذهب محمد بن جعفر بن الزبير، إلى أن الآية عامة في كل من كفر بشيء من آيات الله، وهذا هو الأظهر، كما اختاره الطبري رحمه الله في تفسيره، وخصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ، فهو يتناول كل من كفر بالله تعالى.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٦٧/٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٥٠/١)، والتفسير الكبير للرازي (١٤١/٧).

(٢) العزيز: الغالب الذي لا يُغلب، والعزة في الأصل: القوة والشدة والغلبة، تقول: عَزَّ يَعِزُّ بالكسر، إذا صار عزيزا، وعَزَّ يَعَزُّ بالفتح، إذا اشتد. والانتقام: العقوبة، يقال: نقم ينقم نقما ونقيمة، أي: أنكر ولم يرض. وانتقم منه انتقاماً، أي: كافأه عقوبة بما صنع.

ينظر: العين للخليل (١٨١/٥)"نقم"، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٢٢٨/٣)"عزر"، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٥/٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٠٢/٢).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (١٦٨/٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٥٠/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣٩٥/٢).

وأسفله كما بين السماء والأرض، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال[(١)] بين رُكَبهم وأظلافهم[(٢)] كما بين السماء والأرض، ثم فوق ذلك العرش، بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله تعالى فوق ذلك، ليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء.[(٣)]

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ ﴾ أي: مواضع الأجنّة.[(٤)]

---

(١) أي: ملائكة على صورة الأوعال، والأوعال: جمع وَعِل -بكسر العين-: تيس الجبل، والوَعْل بسكون العين: الملجأ، يقال: ما وجد وعْلا يلجأ إليه، أي: موئلاً يئل إليه، ويقال لأشراف الناس: الوعول، ولأرذالهم: التحوت.

ينظر: العين للخليل (٢٤٩/٢)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٢٠٦/٥)، ومختار الصحاح للرازي (٣٠٣)"وعل"،

(٢) الأظلاف: جمع ظِلْف -بكسر الظاء المعجمة- وظِلفُ البقرة: ظُفرها، وكل حافر منشق منقسم فهو: ظِلْف، يقال: رِجْل الإنسان وقدمه، وحافر الفرس والبغل والحمار وما ليس بمنشق القوائم من الدواب، وخُف البعير والنعامة، وظِلْف البقرة والشاة والظباء.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢٧١/١٤)، ومشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض (٣٢٩/١)، ولسان العرب لابن منظور (٢٢٩/٩)"ظلف".

(٣) ورد معنى هذا في حديث العباس بن عبد المطلب ﷺ قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ بالبطحاء، فمرت سحابة فقال رسول اللهِ ﷺ:«هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكيف كل سماء خمسمائة سنة، وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبهن وأظلافهن كما بين السماء والأرض، ثم فوق ذلك العرش بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله تبارك وتعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه من أعمالِ بني آدم شيء». رواه الإمام أحمد في المسند (٢٠٦/١)، برقم: (١٧٧٠)، وأبو داود في سننه (٢٣١/٤)، برقم: (٤٧٢٣) كتاب السنة /باب في الجهمية، والترمذي في جامعه (٤٢٤/٥)، برقم: (٣٣٢٠) كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة الحاقه، وقال الترمذي:" هذا حديث حسن غريب". وابن ماجة في سننه (٦٩/١)، برقم: (١٩٣)، باب فيما أنكرته الجهميه، وضعفه الذهبي في العلو (ص٦٠)، وأشار ابن القيم إلى ضعفه في حاشيته على سنن أبي داود (٦/١٣)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٣٩٨/٣)، برقم: (١٢٤٧).

(٤) الأجنة: جمع جنين، وهو الولد في البطن، سمي بذلك لاستتاره، والاجتنان: الاستتار، وبعد الخروج

﴿كَيْفَ يَشَآءُ﴾ أي: ذكرًا وأنثى، قصيرًا وطويلًا، أسودَ وأبيضَ، حسنًا وقبيحًا.

وهذا وعيد للنصارى الذين حاجّوا النبي ﷺ،[١] لأن منهم من علم صحّة أمره فجحده، فأعلم أنه لا يخفى عليه ما في أنفسهم، وسيعاقبهم عليه، ودلّهم على أنه يعلم ذلك منهم، كما يعلمونه من تصويره إياهم على الصورة التي نشأ في ظلمة البطن والرحم والمشيمة.[٢]

وفيه بيان: أنّ عيسى عليه السلام لم يكن إلها، لأنه صُوِّر في الرحم، وهو لم يصوِّر نفسه، فالذي صوّره هو الله، ولهذا أتبعه بقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: هذا التصوير في تلك الظلمات لا يقدر عليه إلا الإله، والإله هو الذي يقدر على ذلك.[٣]

لا يسمى إلا ولداً أو سقطاً، والأرحام: جمع رحم، وهو مستودع النطفة في بطن المرأة ومكان تربية الجنين ونموه وتكوينه.

ينظر: العين للخليل (٦/٢٠)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٠/٢٦٥)، والمفردات للراغب (ص٩٨)"جن".

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٣/١٦٨)، والتفسير الكبير للرازي (٧/١٤١)، ولباب التأويل للخازن (١/٣١٨).

(٢) ظلمة المشيمة، هي: غشاءٌ من جلد يُخلَقُ مع الجنين محيطاً به ليقيه، وليكون به استقلاله مما ينجرّ إليه من الأغذية في دورته الدموية الخاصـة به دون أُمّه. وفي ذكر هذه الظلمات تنبيهٌ على إحاطة علم الله تعالى بالأشياء ونفوذ قدرته إليها في أشدّ ما تكون فيه من الخفاء.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٣/١٩٦)، ولسـان العرب لابن منظور (١٢/٣٣١)"شـيم"، وتفسـير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٤٧).

(٣) قال ابن كثير رحمه الله:"في هذه الآية تعريض بل تصريح بأن عيسى ابن مريم عليه السلام عبد مخلوق كما خلق الله سائر البشر، لأن الله تعالى صوره في الرحم وخلقه كيف يشاء، فكيف يكون إلها كما زعمته النصارى - عليهم لعائن الله- وقد تقلّب في الأحشاء، وتنقل من حـال إلى حـال، كما قال تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ [الزمر:٦]". تفسير القرآن العظيم (١/٣٤٥).

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/١٦٨)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٢/٥٩٠)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٢٧٧)، والتفسير الكبير للرازي (٧/١٤١)، ولباب التأويل للخازن (١/٣١٨).

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ أي: لا يذّل بدعواكم الباطلة أنّ غيره إله.(١) ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي ليس في أفعاله وتدبيراته خلل وانتقاض بسبب اعتراض.(٢)

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ إعادةُ ذكره لم يكن عريًّا عن فائدة، لأن كتاب الله وإنزاله من أشرف الأشياء، والشيء المعظم يحسن إعادة ذكره مُظهَرًا لا مُضمَرًا.

وقوله: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: أصله، لأنهن مدوَّنات في جميع الكتب المنزلة على الأنبياء عليهم السلام،(٣) وإنما وحّد كلمة "الأم" ولم يقل: أمهات؛ لأن كل آية

---

(١) ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ أي: ذو العزة، وهي ثلاثة أصـــناف: ١- عزة القَدر، ومعناه: أن الله تعالى ذو قدْر شـريف عظيم. ٢- عزة القهر والغلبة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨]. فالله تعالى غالبٌ على كل شـــيء.٣- عزة الامتناع، ومعناه: الممتنع، تقول العرب: أرض عزاز، أي: ممتنعة قوية على الحرث.

ينظر: العين للخليل (٧٦/١)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٣٨)، والمفردات للراغب (ص٣٣٢)"عزّ".

(٢) ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ بمعنى: مُحكِم، وحاكم، وذي الحكمة، فالله ﷻ حاكم وهو أحكم الحاكمين، ومحكم لما حكم، ومتقن لكل ما حكم به، فهو الذي يضع الأشياء في مواضعها اللائقة بها. قال ابن تيمية رحمه الله:"والحكيم: يتضمن حُكمه، وعلمه، وحِكمته، فيما يقوله ويفعله، فإذا أمر بأمرٍ كان حسنًا، وإذا أخبر بخبر كان صدقا، وإذا أراد خلق شيء كان صوابا، فهو حكيم في إراداته وأفعاله وأقواله". مجموع الفتاوى (١٨٠/١٤).

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٢١/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٦٩/٤)، ولسان العرب لابن منظور (١٤٠/١٢)"حكم".

(٣) قاله سعيد بن جبير. وأم الكتاب: أصل الكتاب الذي يرجع إليه عند الإشتباه، وهي آيات بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها، كآيات أصول الدين والفرائض والحدود، وسائر ما بالخلق إليه الحاجة من أمر دينهم، وما كلفوا من الفرائض في عاجلهم وآجلهم. والعرب تسمي كل جامع أمر أو مقدم لأمر إذا كانت له توابع تتبعه هو لها إمام جامع: "أُمًّا"، ومنه سميت الفاتحة بأم القرآن: لرجوع معاني القرآن كله إلى ما تضمنته، وسميت مكة أم القرى: لتقدمها أمام جميعها، وجمعها ما سواها.

منهن أم الكتاب.(١) ومعنى ﴿مُّحۡكَمَٰتٌ﴾: بينات قد أُحكمن بالبيان، لا يحتمل [١٨/أ] من التأويل غير وجه. والمتشابه: ما احتمل من التأويل أوجها.(٢)

﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ استأثر الله بعلم المتشابه دون خلقه.(٣)

ينظر: العين للخليل (٤٢٦/٨)"باب الميم"، وجامع البيان للطبري (١٧٠/٣)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٥٩٣/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٤٦/١).

(١) ينظر: معاني القرآن للأخفش (٢٠٨/١)، وجامع البيان للطبري (١٧٠/٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٣٤٨/١)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (٢٣٨/١)، والدر المصون للسمين الحلبي (٢٦/٣).

(٢) ورد وصف القرآن الكريم بأنه محكم في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾[هود: ١]، بمعنى أنه في غاية الإحكام وقوة الاتساق، فأخباره كلها حق وصدق، وأوامره كلها خير وهدى وبركة وصلاح، ونواهيه عن كل ما يعود على الإنسان بالشرور والضرر فهذا إحكامه.وورد بأنه متشابه في قوله تعالى:﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾[الزمر:٢٣]، أي: متشابه في الحسن والصدق والهدى والحق، والائتلاف وعدم الاختلاف بوجه من الوجوه. وورد في هذه الآية أن من القرآن ما هو محكم ومنه ما هو متشابه، وقد اختلف أهل العلم في هذا الإحكام الخاص والتشابه الخاص إلى أكثر من خمسة أقوال، أصحها: أن المحكم هو البَيِّن الواضح الذي لا التباس فيه ولا يحتمل إلا وجهاً واحداً، وأن التشابه هو بمعنى: الغموض والالتباس، أي: يحتمل أوجها. وهذا قول محمد بن جعفر بن الزبير، وهو الذي ذكره المؤلف، واختاره القرطبي، وابن تيمية، وابن كثير، رحمة الله على الجميع. والمتشابه يقتضي أن يكون التشابه أمراً نسبياً إضافياً، وبذلك يُعلم أنه لا يصح أن يقال في المتشابه: إنه آيات بعينها تتشابه على كل الناس، فقد يشتبه على هذا ما لا يشتبه على هذا، فعلى كل أحد أن يعمل بما استبان له، ويَكِلَ ما اشتبه عليه إلى الله تعالى.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٧٢/٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٥٠/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/٤)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (١٤٣/١٣، ٣٨٤/١٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٤٥/١)، ومعرفة المحكم والمتشابه وأثرها في تفسير القرآن لحامد العلي (ص١٩-٢٠).

(٣) اختلف القرّاء في الوقف على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ على مذهبين مشهورين: **الأول**: إن الوقف على لفظ الجلالة، وهو أحد القولين عن ابن عباس، ويروى عن عائشة رضي الله عنها، وعروة بن الزبير، ومالك وغيرهم، واختاره ابن جرير، رحمة الله على الجميع.

ثم ابتدأ وقال: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ أي: الثابتون فيه.(١)

﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ كأنه إشارة إلى استسلامهم، واعترافهم بالعجز عن معرفته، ويجوز أن يكون في كتاب الله ما استأثر الله تعالى بعلمه، وحظّ العباد منه: الإيمان به على مراد الله. (٢) وقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أي: ميل إلى ما هو ضلال.(٣)

﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ أي: يفعلون ذلك لطلب الفتنة والتلبيس، وإيقاع

والثاني: إن الوقف على قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، والربيع بن أنس، ومحمد بن جعفر بن الزبير، وغيرهم رحمة الله على الجميع.فعلى القول الأول يكون المعنى: لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله تعالى.وعلى القول الثاني: يكون الراسخون في العلم ممن يعلم تأويل المتشابه.والصحيح أن كلا الوقفين جائز، ويراد بالأولى: المتشابه في نفسه الذي استأثر الله بعلم تأويله، ويراد بالثانية: المتشابه الإضافي الذي يعرف الراسخون تفسيره وهو تأويله. وللمزيد من البسط في هذه المسألة

ينظر: جامع البيان للطبري (١٧٢/٣، ١٨٢/٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٣٤٤/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/٤)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٥٤/٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٤٥/١).

(١) رَسَخَ الشيء رسوخاً: إذا ثبت في موضعه، ورسوخ الشيء: ثباته ثباتاً متمكنًا، ورسخ الغدير: نضب ماؤه ورسخ تحت الأرض، والراسخ في العلم: المتحقق به الذي لا يعرضه شك ولا شبهة.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٧٧/٧)، والمفردات للراغب (ص١٩٥)، ولسان العرب لابن منظور (١٨/٣)"رسخ".

(٢) هذا المعنى مبني على القول بأن الواو استئنافية لا عاطفة، وأن التأويل بمعنى: حقيقة الشيء وما يؤول أمره إليه، كما تقدم.وللمزيد في المسألة ينظر: معالم التنزيل للبغوي (٢٨٠/١)، ولباب التأويل للخازن (٣٢٢/١)، وأضواء البيان للشنقيطي (١٩١/١).

(٣) أصل الزيغ: الميل، والمراد الميل عن الاستقامة، يقال: زاغ زيغا، أي مال ميلا، ومنه زاغت الشمس وزاغت الأبصار، والتزايغ: التمايل في الأسنان.

ينظر: العين للخليل (٤٣٤/٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٥١/٨)، والمفردات للراغب (ص٢١٧)"زيغ".

الشبهات في القلوب.[١] قوله:﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ أي: تفسيره وما يؤول إليه معناه.[٢]

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: ذو العقول ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ أي: ويقول الراسخون في العلم، أي لا تملْها عن الحق والهدى. ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ أي: بعد أن وفقتنا لدينك، والإيمان بالمحكم والمتشابه من كتابك. ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ﴾ وأعطنا من عندك.

﴿رَحْمَةً﴾ أي: توفيقًا وتثبيتًا للذي نحن عليه من الإيمان والهدى.[٣]

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ﴾ أي: لقضاء يوم. ﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا شك فيه، وهو يوم القيامة، وتمَّ الكلام عند ذلك، فلذلك انصرف الخطاب إلى الخبر، فقال عزَّ مِن قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ يعني: الوعد.[٤]

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم﴾ يعني: عند حلول

---

(١) قاله مجاهد، ومحمد بن جعفر بن الزبير. والطبري.
ينظر: جامع البيان للطبري (٣/١٨٠)، ومعاني القرآن للزجاج (١/٣٧٧)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٤٠٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٣٥٤).

(٢) قال ابن عطية رحمه الله:"فالمعنى: وطلَب تأويلَه، على مزاعمهم الفاسدة، هذا فيما له تأويل حسن، وإن كان مما لا يُتأوّل بل يوقف فيه؛ كالكلام في معنى الروح ونحوه، فنفس طلب تأويله هو اتباع ما تشابه". المحرر الوجيز (١/٤٠٢). وقال الطبري رحمه الله:"وهذه الآية وإن كانت نزلت في أهل الشرك، فإنه معنيٌّ بها كل مبتدع في دين الله". جامع البيان (٣/١٨١).

(٣)قال ابن تيمية رحمه الله،:" فلله رحمة قد عمت الخلق برهم وفاجرهم، سعيدهم وشقيهم، ثم له رحمة خص بها المؤمنين خاصة، وهي رحمة الإيمان، ثم له رحمة خص بها المتقين، وهي رحمة الطاعة لله تعالى، ولله رحمة خص بها الأولياء نالوا بها الولاية، وله رحمة خص بها الأنبياء نالوا بها النبوة، وقال الراسخون في العلم:﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ فسألوه رحمة من عنده". مختصر الفتاوى المصرية (ص١٠٣).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٣/١٨٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٣٤٨)، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص١٢٣).

النقمة والعقوبة. ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: فعاقبهم الله ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾.

وإنما قال – والله أعلم –: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ فعدل عن الإضمار إلى الإظهار لما في اسم الله من الاحتجاج بأنّه المستحق للعبادة، لكونه ربًّا ووليَّ نِعمهم.

وقوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ المعنى: بلِّغْهم أنهم سيُغلبون، هم يهود المدينة، غُلبوا وُحشروا إلى جهنم،[1] وهم قريظة، وبنو النضير.[2] واشتقاق ﴿جَهَنَّمَ﴾ من ركيَّة جِهِنَّام، أي: بعيدة القعر.[3] ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ أي: بئس المثوى،

---

(١) قاله قتادة، وابن إسحاق. وذكر ابن عطية عن أبي علي في الحجة: أنها نزلت في عامة الكفار. وهذا هو الأظهر، فإن الآية عامة تعم المشركين، واليهود، وغيرهم من الكفار، وكلٌّ قد غُلِبَ بالسيف، أو الجزية، والذلة، وظهور الدلائل والحجج، وإلى جهنم منتهى حشرهم. وهذا هو اختيار أبي حيان.
ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (٨٩/٣)، والنكت والعيون للماوردي (٣٧٣/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٤٠٦/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤١٠/٢).

(٢) بنو قريظة وبنو النضير: حيّان من اليهود كانوا بالمدينة، وكانت قريظة حلفاء الأوس، وكان بنو النضير حلفاء الخزرج، فلما قدم النبي ﷺ هادنهم ووادعهم وعاهدهم على أن يعينوه إذا حارب، وأقرهم على دينهم وأحوالهم واشترط عليهم وشرط لهم. فأما قريظة فإنهم أُبيدُوا لنقضهم العهد ومظاهرتهم المشركين على رسول الله ﷺ في غزوة الأحزاب، فأمر بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم، واستفاءة أموالهم، ونزلت فيهم سورة الأحزاب. وأمّا بنو النضير فإنهم أجلُوا إلى الشام، وفيهم نزلت سورة الحشر.
ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢٠٦/٤)، وأحكام أهل الذمة لابن القيم (١٤٠٤/٣)، والبداية والنهاية لابن كثير (٢٢٤/٣).

(٣) جهنّم: اسم عربي مشتق من قول العرب: هذه ركيَّة جِهِنَّام: – بكسر الجيم والهاء والتشديد – أي: بعيدة القعر، فسميت النار جهنم لبعد قعرها، ومنعت من الصرف على هذا القول للتعريف والتأنيث.
ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢٧٣/٦)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٣٢٣/١)، وتهذيب الأسماء للنووي (٥٦/٣)"جهنم".

وبئس الفراش.[١] ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ أي: بيان وعبرة ودلالة على صدق رسولي.[٢] ﴿فِي فِئَتَيْنِ﴾ أي: فرقتين.[٣] ﴿ٱلْتَقَتَا﴾ أي: يوم بدر.[٤]

﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وهم المؤمنون، وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا،[٥] سبعة وسبعين من المهاجرين، ومائتان وستة وثلاثين من الأنصار، وكان صاحب راية رسول الله ﷺ

---

(١) أصل المهاد: الموضع الذي يتمهد فيه وينام عليه كالفراش، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾[الذاريات:٤٨]، والمهد والمهاد: المكان الممهد الموطأ.

ينظر: العين للخليل (٣١/٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٢٧/٦)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٨٠/٥)"مهد".

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (١٩٣/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٨٢/١)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (٢٤٢/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤١٠/٢).

(٣) الفئة: الفرقة، وهي: الجماعة المتظاهرة التي يرجع بعضهم إلى بعض في التعاضد، من قولهم: فَأَوْتُ رأسه بالسيف وفَأَيْته، أي: فلقته.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٣٦١/١)، ومعاني القرآن للزجاج (٣٨٠/١)، والمفردات للراغب (ص٣٨٩)"فيأ".

(٤) باتفاق المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٩٣/٣)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٤٠٧/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤١٠/٢).

(٥) يؤيد ذلك ما أخرجه البخاري عن البراء بن عازب ﷺ قال: «كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، ولم يجاوز معه إلا مؤمن، بضعة عشر وثلاث مائة». (صحيح البخاري (١٤٥٧/٤)، برقم: (٣٧٤١) كتاب المغازي/باب عدة أصحاب بدر). وعند الترمذي بلفظ: «كنا نتحدث أن أصحاب بدر يوم بدر كعدةِ أصحَاب طالوتَ، ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا». قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح".سنن الترمذي (١٥٢/٤)، برقم :(١٥٩٨) كتاب السير/باب ما جاء في عدة أصحاب أهل بدر.

والمهاجرين: علي بن أبي طالب ﷺ، وصاحب راية الأنصار: سعد بن عبادة ﷺ،[١] وكانت الإبل في جيش رسول الله ﷺ سبعين بعيرًا، والخيل فرسين، فرس للمقداد،[٢] وفرس لمرثد بن أبي مرثد،[٣] وكان معهم السلاح ستة أدْرُع وثمانية سيوف، وجميع من استُشهد من المسلمين أربعة عشر رجلا من المهاجرين، وثمانية من الأنصار.[٤]

﴿وَأُخۡرَىٰ﴾ أي: فرقة أخرى. ﴿كَافِرَةٌ﴾ وهم مشركوا مكة، ورأسهم: عتبة بن ربيعة بن عبد شمس،[٥] وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا، وكان خيلهم مائة فرس، وكان حرب بدر أول

---

(١) هو الصحابي الجليل: سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة، الأنصاري الساعدي، يكنى أبا ثابت، وكان نقيبًا شهد العقبة وبدرًا، كان سيدًا في الأنصار مقدمًا وجيهًا له رياسة، وجوادًا، توفي بحوران من أرض الشام، لسنتين ونصف من خلافة عمر رضي الله عنهما.

ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/٦١٧)، والاستيعاب لابن عبد البر (٢/٥٩٤)، والمنتظم لابن الجوزي (٤/١٩٨).

(٢) هو الصحابي الجليل: المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة، أبو الأسود، المعروف بالمقداد بن الأسود الكندي، أسلم قديمًا، هاجر الهجرتين، وشهد بدرًا والمشاهد بعدها، هو أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام، آخى النبي ﷺ بينه وبين عبد الله بن رواحة، توفي سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة، رضي الله عن الصحابة أجمعين.

ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/١٦١)، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (٥/٢٥٥٢)، والاستيعاب لابن عبد البر (٤/١٤٨٠)،

(٣) هو الصحابي الجليل: مرثد بن أبي مرثد كناز الغنوي، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين أوس بن الصامت، شهد مرثد بدراً وأحداً وقتل يوم الرجيع شهيداً، وكان أميراً على السرية، وذلك في شهر صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً من مهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة.

ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/٤٨)، والاستيعاب لابن عبد البر (٣/١٣٨٣)، وأسد الغابة لابن الأثير (٥/١٤٤).

(٤) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣/١٥٩-٢١٨)، وتاريخ الطبري (٢/٢٥)، والبداية والنهاية لابن كثير (٣/٢٦٠).

(٥) هو: عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، من أعيان المشركين في الجاهلية، وكان شديد العداء لرسول الله ﷺ، وكان يجتمع مع قريش فيما يكيد به النبي ﷺ من الأذى، دعا عليه النبي

مشهد شهده رسول الله ﷺ.(١) ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ﴾ فأرى الله أنَّ المشركين إنما هم ستمائة وكسر، وأرى المشركين أن المسلمين أقل من ثلاثمائة، والله تعالى قد أعلم المسلمين أن المائة تغلب المائتين،(٢) فأراهم المشركين على قدر ما أعلمهم أنهم يغلبونهم ليُقَوِّيَ قلوبهم، وأرى الله المشركين أقل من عدد المسلمين،(٣) ثم ألقى مع ذلك الرُّعب في قلوبهم، فجعلوا يرون عددًا

ﷺ فقُتل يوم بدر ثم ألقي في قليب بدر.

ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (١٨٧/٣)، وتاريخ الطبري (٣٧/٢)، وإمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال للمقريزي (٣٣٤/١٤).

(١) ينظر: كتاب المغازي للواقدي (٥٢/١)، والسيرة النبوية لابن هشام (٢١٨/٣)، والمنتظم لابن الجوزي (١٠٠/٣).

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال:٦٦].

ينظر: تفسير القرآن للسمرقندي (٢٢٢/١)، والوجيز للواحدي (٢٠١/١)، وفتح القدير للشوكاني (٣٢٢/١).

(٣) كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ﴾[الأنفال:٤٤]، أي: ليغري كلا من الفريقين بالآخر، حتى تظهر قدرة الله تعالى الباهرة، في نصرة أوليائه، وخذلان أعدائه. وفي ذلك أعظم العظات والعبر على أن الكثرة في الرجال، والوفرة في السلاح، لا تؤثر في ميزان الحرب بالغلبة والانتصار، إنما الأمر يرجع إلى التأييد الإلهي، والنصر الرباني ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[البقرة:٢٤٩]، وقال تعالى:﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾[آل عمران:١٦٠].

ينظر: جامع البيان للطبري (١٩٤/٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٣٦٣/١)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢٩٩/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٨٣/١).

قليلا، مع رعبٍ شديدٍ حتى غُلبوا.(١) وقوله: ﴿رَأْيَ ٱلْعَيْنِ﴾ تقديره: في رأي العين.(٢) والعبرة: فِعْلَة من الاعتبار، وهو التوصُّل بالشيء الجلي إلى الخفي.(٣)

﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ﴾ أي: يقوِّي. ﴿لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ أي: العقول والبصائر.

﴿بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ والنصر على وجهين:

أحدهما: المعونة بالأعوان والسلاح، والزيادة في القوة والنشاط، وإلقاء الرعب في قلوب الأعداء.

والثاني: نصر بالحجة لهم، والحق بأيديهم، والحكم بالشيء الذي عليه [١٨/ب] يقتتلون لهم دون عدوهم، والله تعالى لا يُخْلي المؤمنين من أحد الوجهين، فلا يكونون مخذولين في حال من الأحوال.(٤) ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ التزيين: جعل الشيء محبوبًا إلى النفس من

---

(١) على هذا المعنى جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/١٩٣)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٤٠٧)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/٢٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٣٥١).

(٢) في رأي العين: منصوب بنزع حرف الصفة، والرأي: مصدر مؤكد من: رأيته، يقال: رأيته رأْيًا ورُؤيةً، وما ذكره المؤلف رحمه الله من الإضمار يدل عليه سياق الكلام وهو قوله تعالى:﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾، فدل على أن الكافرين كانوا مثلي المسلمين في رأي العين، وكانوا ثلاثة أمثالهم في العدد.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (١/٣٦٢)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/٢٤٣)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/٤١٢).

(٣) العبرة: فِعْلَة من العبور، كالرِّكبة والجِلْسة، والاعتبار افتعال منه، والعُبور: التجاوز، كأنه طريق يعبر به ويتوصل به إلى المراد، وعبَّر بالعبرة عن الاتِّعاظ؛ لأن المتّعظ يعبُر من الجهل إلى العلم ومن الهلاك إلى النجاة.

ينظر: العين للخليل (٢/١٢٩)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٢/٦٤)، ومختار الصحاح للرازي (١/١٧٢)"عبر".

(٤) ينظر: النكت والعيون للماوردي (١/٣٧٥)، والتفسير الكبير للرازي (٧/١٦٧)، ولباب التأويل للخازن (١/٣٢٦).

جهة العقل والطبع، وفاعل هذا التزين - والله أعلم - هو الشيطان.(١)

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ بيان للشهوات، والنساء مشتهيات لا شهوات، والتقدير: حبّ ذوات الشهوات.(٢)

﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ﴾ جمع نسوة،(٣) والابن. ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ القنطار:

---

(١) وبه قال الحسن، كقوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[الأنعام:٤٣].

وقال أكثر المفسرين: أن المزيّن هو الله ﷻ للابتلاء، كقوله ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الأنعام:١٠٨]، وكلا القولين صحيح باعتبار. قال ابن عطية رحمه الله: "المزيّن هو خالقها ومخترعها وخالق الكفر، ويزيّنها أيضاً الشيطان بوسوسته وإغوائه". المحرر الوجيز (٢٨٤/١). وتزيين الله تعالى لأعمال العباد على نوعين:

١) كوني قدري، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾[النمل:٤].

٢) شرعي، كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[الحجرات:٧].

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٣٨٣/١)، والنكت والعيون للماوردي (٣٧٥/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٨/٤)، ومدارج السالكين لابن القيم (١٨٣/١).

(٢) ﴿ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ جمع شهوة، وهي ميل الطبع وتوقان النفس إلى ما تريده، والمراد بها: المشتهيات، وعبر عن المشتهيات: بالشهوات، إذ جعلها نفس الأعيان، تنبيهاً على خستها، لأن الشهوة مسترذلة عند العقلاء، يذم متبعها، ما لم يستعين بها على طاعة.

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢٢/٣)، والمفردات للراغب (ص٢٧٠)"شها"، والبحر المحيط لأبي حيان (٣١٣/٢).

(٣) ﴿ٱلنِّسَآءِ﴾: جمع نسوة إذا كثرن، فهو جمع الجمع لا واحد له من لفظه، وواحده: "امرأة"، وكذلك "المرأة" لا جمع لها من لفظها؛ ولذلك قال سيبويه في النّسبة إلى نساء: نِسْويّ، فردّه إلى واحدة.

ينظر: تهذيب الأسماء للنووي (٣٤٢/٣)"نسو"، والتفسير الكبير للرازي (١٦٩/٧)، ولسان العرب لابن منظور (٣٢١/١٥)"نسا"، وتاج العروس للزبيدي (٦٩/٤٠)"نسو".

المال الكثير بلا حدّ.[١] و﴿ٱلۡمُقَنطَرَةِ﴾: المحكمة المحصنّة، ومنه القنطرة.[٢]

قوله: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ هي جميع النَّعم، وهي الإبل والبقر والغنم، لا واحد له من لفظه.[٣]

﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: يُتمتع به في الحياة الدنيا، ويُنتفع به في الحياة القريبة، فأما الحياة الأخرى فالنافع فيها الأعمال الصالحة، والطاعات الخالصة.

﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾ أي: المرجع،[٤] أي: من أطاع الله مع هذه النعم، ولم

---

(١) قاله الربيع بن أنس، وقتادة، والضحاك، والطبري. وقد ذكر الزجاج رحمه الله بأن العرب لا تحدّ القنطار بمقدار معلوم من الوزن، ولكنها تقول: هو قدرٌ ووزنٌ، فلو كان محدودًا قدره لم يكن بين متقدمي أهل التفسير فيه اختلاف.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٩٩/٣)، ومعاني القرآن للزجاج (٣٨٣/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٥٨/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٥٢/١).

(٢) قاله الضحاك. والمحكمة المحصنّة، مأخوذة من عقد الشيء وإحكامه، وأصلها من الإحكام، يقال: قنطرت الشيء إذا أحكمته.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٣٦٧/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٣٠٠/٩)، وتاج العروس للزبيدي (٤٨٣/١٣)"قنطر"، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٥٩/١).

(٣) الأنعام: جمع نَعَم، كأسباب جمع سبب، والنَّعَم: جمع لا واحد له من لفظه، والنَّعَمُ يذكر ويؤنّث، ولذلك قال جلّ وعزّ: ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾[النحل:٦٦]، والعرب إذا أفردت "النَّعم" لم يريدوا بها إلا الإبل، لكون الإبل عندهم أعظم نعمة، وإذا قالوا: الأنعام، أرادوا بها: الإبل والبقر والغنم.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١١/٣)، والمفردات للراغب (ص٤٩٩)، ولسان العرب لابن منظور (٥٧٩/١٢)"نعم".

(٤) ﴿ٱلۡمَـَٔابِ﴾ في اللغة: المرجع، وهو هنا اسمُ مصدر، أي: حَسَن الرجوع، وقد يقع اسم مكان أو زمان، يقال: آبَ يَؤُوب أَوْباً وإياباً ومآباً: إذا رجع، فالأَوْب والإياب مصدران والمآبُ اسمٌ لهما.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٠٥/٣)، والمفردات للراغب (ص٣٠)"أوب"، والدر المصون للسمين الحلبي (٦٣/٣).

يعص الله بسببها، ولم يشغله عن الاستعداد للآخرة، كان له عند انقضاء الحياة الدنيا ونعيمها حسن المنقلب، أي: يصير إلى الحسنى عند الله، إلى الجنة التي لا تنقضي نعيمها، ولا ينتهي أمد ساكنيها.﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ أي: يستحقه المتقون بسبب تقواهم. وقوله: ﴿ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ أي: ذلك الخير ﴿جَنَّاتٌ ﴾.

وقوله: ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ﴾، وقولـه: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ ﴾ هو ردّ على قولـه: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾.[1]

وقوله:﴿ الصَّابِرِينَ ﴾ أي: في أداء الأمر، وعن ارتكاب النهي، وعلى البأساء والضراء وحين البأس.[2] ﴿وَالصَّادِقِينَ ﴾ أي: في إيمانهم، هم قومٌ صدقت نيّاتهم، واستقامت قلوبهم

---

(١) ذكر المفسرون في محل إعراب قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ ﴾ ثلاث احتمالات: فيحتمل محلّه: الرفعَ والنصب والجر، فالرفع من وجهين، **أحدهما**: أنه مبتدأ محذوف الخبر، تقديره: الذين يقولون كذا مستجاب لهم، أو: لهم ذلك الخير المذكور. **والثاني**: أنه خبر مبتدأ محذوف، كأنه قيل: من هم هؤلاء المتقون؟ فقيل: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ ﴾.والنصب من وجه واحد، وهو: النصب بإضمار "أعني"، أو: "أمدحُ". والجرّ من وجهين، **أحدهما**: النعت. **والثاني**: البدلُ. وفي جعله نعتًا أو بدلا وجهان:**أحدهما**: جعلُه نعتا ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾أو بدلاً منه. **والثاني**: جعلُه نعتا للعباد، أو: بدلا منهم. وجميع هذه الأوجه محتملة وصحيحة إلا الوجه الأخير فإنه ضعيف، فقد ضعف أبو البقاء العكبري، وأبو حيان الأندلسي بأن يكون نعتا للعباد؛ لأن فيه تخصيصًا لعلم الله تعالى، ولأن العباد كلهم لا يتصفون بهذه الصفات، لكن المتقين منهم هم الذين يتصفون بهذه الصفات.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٠٧/٣)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (٢٤٦/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤١٧/٢)، والدر المصون للسمين الحلبي (٦٩/٣).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٠٧/٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٩/٣)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٩٧٢/٢).

وألسنتهم، فصَدَقوا في السر والعلانية. ﴿وَٱلْقَـٰنِتِينَ﴾ أي: المطيعين.[١]

﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾ أي: أموالهم في طاعة الله. ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ أي: الطالبين مغفرة الله، والسائلين لذلك في هذا الوقت. ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: بيَّن الله،[٢] لأن الشهادة تبيين المشهود به، أي: بيَّن الله بتدبيره العجيب، وصنعه المتقن، وأموره المحكمة عند خلقه، أنه لا إله إلا هو. ومعنى شهادة الملائكة وأولي العلم – يعني: علماء المؤمنين –: الإقرار.[٣]وقرن شهادة العلماء بشهادته؛ لأنَّ العلم هو النعمة العظمى، والعلماء أعلام الإسلام.

﴿قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ أي: مقيمًا على العدل.[٤] وتكرير هذه الكلمات، الأولى: وَصْفٌ وتوحيد. والثانية: رَسْمٌ وتعليم، أي: قولوا: ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.[٥]

---

(١) أصل القنوت: الخشوع والقيام بالطاعة، ويردُ بمعانٍ متعددة، كالطاعة، والخشوع، والصلاة، والدعاء، والقيام، فيصرف لما يحتمله اللفظ. والمراد هنا ما ذكره المؤلف، وعليه جماهير أهل التفسير. قال ابن القيم رحمه الله: "والقنوت يفَسَّرُ بأشياء، كلها ترجع إلى دوام الطاعة". مفتاح دار السعادة (١/١٧٤).

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٤/ ١١١)، ولسان العرب لابن منظور (٢/٧٣)، ومختار الصحاح للرازي (١/ ٢٣٠)"قنت".

(٢) قاله ثعلب، والزجاج، وابن كيسان.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٨٩)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٣٦٩)، ومعاني القرآن للزجاج (١/٣٨٥)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٣٢)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (١٤/١٦٨).

(٣) قاله المفضّل.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (١/٣٦٩)، ومعاني القرآن للزجاج (١/٣٨٥)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٣٢).

(٤) باتفاق المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٢١٠)، وإعراب القرآن للنحاس (١/٣٦٢)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/٢٤٧)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/٤٢٠)،

(٥) قاله جعفر الصادق رحمه الله، نقل ذلك عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٣/٣٤)، وابن الجوزي في

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ أي: الدين المرضي الصحيح هو الإسلام.(١)

قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ الآية، الاختلاف ضد الاتفاق، يقال: يخالف القوم، واختلفوا، كما يقال: اتفقوا، وتوافقوا.(٢)

نزلت في اختلاف اليهود الذين كانوا حوالي المدينة في أمر النبي ﷺ، لأنهم كانوا مجمعين على الأخبار بمجيئه، ووجوب اتِّباعه عليهم، فلما جاءهم ورأى أحبارهم وكبراؤهم أن رئاستهم تنقض باتباعه، وأنهم يضطرُّون إلى أن يكونوا تابعين، بعد أن كانوا متبوعين، أظهروا الخلاف في أمره، واختلفوا بينهم، فقال بعضهم: ليس هو النبي الذي وُصف لنا، وقال بعضهم: لم يبعث إلينا، وإنما بعث إلى غيرنا.(٣)

زاد المسير (١/٣٦٢)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤/٤٣)، والخازن في لباب التأويل (١/٣٢٩).
قال ابن تيمية رحمه الله: "وقد تضمنت هذه الآية ثلاثة أصول: شهادة أن لا اله إلا الله، وأنه قائم بالقسط، وأنه العزيز الحكيم، فتضمنت وحدانيته المنافية للشرك، وتضمنت عدله المنافي للظلم، وتضمنت عزته وحكمته المنافية للذل والسفه، وتضمنت تنزيهه عن الشرك والظلم والسفه، ففيها إثبات التوحيد، وإثبات العدل، وإثبات الحكمة، وإثبات القدرة". مجموع الفتاوى (١٤/١٨٠).

(١) أصل الإسلام: الاستسلام والانقياد والخضوع، ويتضمن الإخلاص، يُقال: فلان مسلم أي: مستسلم لأمر الله، ويُقال: المسلم هو المخلص لله العبادة.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٢١١)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٣٧١)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٢/٣٠٩)"سلم"، واقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (١/٤٥٤).

(٢) الاختلاف: أن يأخذ كل واحد طريقًا غير طريق الآخر في حاله أو قوله، والخلاف أعمّ من الضدّ؛ لأن كل ضدّين مختلفان وليس كل مختلفين ضدين، ولما كان الاختلاف بين الناس في القول قد يقتضي التنازع استعير ذلك للمنازعة والمجادلة.

ينظر: العين للخليل (٤/٢٦٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (٧/١٧٦)، والمفردات للراغب (ص١٥٦)"خلف".

(٣) ذكر ذلك مقاتل بن سليمان في تفسيره (١/١٦١)، والسمرقندي في تفسيره (١/٢٢٦)، والثعلبي في الكشف والبيان (٣/٣٥)، والواحدي في الوجيز (١/٢٠٢)، والبغوي في معالم التنزيل (١/٢٨٧)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤/٤٤) عن الربيع.

وقوله ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي: يعاقبه على كفره سريعًا، لأن محاسبة الله تعالى هي إيفاء العاملين جزاء أفعالهم، وإذا سرع الحساب سرع الجزاء.(١)

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ أي: خاصموك يا محمد في الدِّين. ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ أي: أنقدت لله وحده، وخصَّ الوجه لأنه أكرم جوارح الإنسان، وفيه بهاؤه وتعظيمه، فإذا خضع وجهه لشيء، فقد خضع له جوارحه التي هي دون الوجه.(٢)

﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ أي: ومن اتبعني أسلم أيضًا، كما أسلمتُ لمن أجمعتم وأقررتم أنه خالقكم، فأدعوكم إلى من أقررتم به، إذ لا خلاف بيني وبينكم في أنَّ للسموات والأرض صانعا، فأدعوكم إلى توحيده، وأنفي كل معبود دونه. ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي: اليهود والنصارى. ﴿وَالْأُمِّيِّينَ﴾ أي: مشركي العرب، لأنهم نسبوا [١٩/أ] إلى ما عليه الأمَة في

وقال الجمهور: هم اليهود والنصارى ومن وافقهم في أصل دينهم وآمن بنبيهم وكتابهم، وهذا هو الأظهر، لقوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ [الأنعام:١٥٦].

ينظر: جامع البيان للطبري (٩٢/٨)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٦٣/١)، وأحكام القرآن للجصاص (٢٨٢/٤)، والمغني لابن قدامة (١٠٠/٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٥٥/١).

(١) يعني: إذا حاسب عبده فحسابه سريع لا يحتاج إلى عدٍّ ولا عقد يدٍ ولا إلى رؤية ولا إعمال فكرٍ كما يفعله الحسَّاب، يحاسب جميع الخلق في وقتٍ واحد، فلا يشغله حساب أحدهم عن الآخر، ويحفظ على كل صاحب حساب حسابه ليذكره، ويجزي الكاسب بما يستحق دون بطء ولا تراخ، وهو أحكم الحاكمين وأعدل القاضين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢١٣/٣)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٥٥٩/١)، والتفسير الكبير للرازي (١٦٢/٥).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٢١٤/٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٣٥/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٨٧/١).

الخلقة، لأن الإنسان يخلق غير كاتب.[١] ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ معنى هذا الاستفهام: الأمر، أي: أسلموا ؟[٢] ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَإِن تَوَلَّوْا﴾ أي: أعرضوا عن قبول أمرك ولم يسلموا. ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ أي: تبليغ الرسالة، أي: يلزمك أن تبلِّغ وتعذر، وتعد وتوعّد، وتبشر وتنذر، وقد فعلت كل ذلك فلا لوم بعد ذلك يعود إليك من كفرهم، وترك الدخول في الإسلام الذي أمرت بدعائهم إليه. ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ أي: لا يخفى عليه إبلاغك وحرصك على قبولهم، ولا ما يكون منهم من القبول والرّد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ الآية، إضافة القتل إلى هؤلاء الذين بُشروا بعذابٍ أليم في قوله:﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾ وجهه: أنهم لما دانوا بدين أولئك، وصوَّبوا هذا الفعل منهم، صاروا كأنهم قاتلون.[٣]

---

(١) الأميين: الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب، باتفاق المفسرين، سمّوا بذلك لانتشار الأمية فيهم، وهي عدم معرفة القراءة والكتابة، كأن الإنسان بقي على الحالة التي ولدته أمّه عليها، فالأمي نسبة إلى الأمّ.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٢١٤)، والتفسير الكبير للرازي (٧/١٨٥)، والجواب الصحيح لابن تيمية (٢/١٢٧).

(٢) قوله تعالى:﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ استفهام في معرض التقرير، والمقصود منه الأمر، وإنما جاء بالأمر في صورة الاستفهام، لأنه بمنزلته في طلب الفعل والاستدعاء إليه، إلا أن في التعبير عن معنى الأمر بلفظ الاستفهام فائدة زائدة، وهي: التعبير بكون المخاطب معانداً بعيداً عن الإنصاف، لأن المنصف إذا ظهرت له الحجة لم يتوقف بل في الحال يقبل.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (١/٣٩٠)، والتفسير الكبير للرازي (٧/١٨٥)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/٤٢٩).

(٣) قال النحاس:" فإن قال قائل: الذين وُعظوا بهذا لم يقتلوا نبيًّا؟ فالجواب عن هذا: أنهم رضوا فِعْل من قَتَل فكانوا بمنزلته، وأيضًا: فإنهم قاتلوا النبي ﷺ وأصحابه وهمّوا بقتلهم، كما قال ﷻ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾[الأنفال: ٣٠]". معاني القرآن (١/٣٧٥).

وقوله: ﴿بِغَيۡرِ حَقٍّ﴾ أي: يقتلونهم مبطلين عادين عليهم؛ لأن الأنبياء لا يعملون ما يستحقون القتل به.(١) كان الوحي يأتي أنبياء بني إسرائيل، فيذكّرون قومهم فيُقتلون، فيقوم رجال ممن اتبعهم وصدّقهم فيذكّرون قومهم، فيُقتلون أيضًا، فهم ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾.(٢) رُوي: أنَّ بني إسرائيل قتلوا ثلاثة وأربعين نبيًا، فقام مائة واثنا عشر رجلا من عُبَّاد بني إسرائيل، فأمروا من قتلهم بالمعروف، ونهوهم عن المنكر، فقُتلوا جميعًا من آخر النهار في ذلك اليوم، فهم الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه وأنزل الآية فيهم.(٣)

---

(١) قال السمعاني: "إنما قال: ﴿بِغَيۡرِ حَقٍّ﴾ تأكيدا، لأن قتل النبيين لا ينقسم إلى الحق والباطل". تفسير القرآن (١/٣٠٤).

(٢) قاله قتادة، وجريج، ومعقل بن أبي مسكين.
ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٢١٦)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٢/٦٢١)، وتفسير ابن المنذر (١/١٥٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٣٦)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٢٨٨).

(٣) روى البزار في مسنده (٤/١١٠)، والطبري في جامع البيان (٣/٢١٦)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٢/٢٢٦)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (٣/٣٦)، والبغوي في معالم التنزيل (١/٢٨٨) عن أبي عبيدة بن الجراح ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، أيّ الناس أشدّ عذابًا يوم القيامة ؟ قال: « رجل قَتَل نبيًا، أو رجل أمَر بالمنكر ونهى عن المعروف» . ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقٍّ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ إلى أن انتهى إلى: ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾، ثم قال رسول الله ﷺ: «يا أبا عبيدة قتلتْ بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيًا من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مائة رجل واثنا عشر رجلا من عباد بني إسرائيل، فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار في ذلك اليوم، وهم الذين ذكر الله ﷻ». قال ابن حجر: "فيه أبو الحسن مولى بني أسد، وهو مجهول". الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (١/٢٦٧). وقال الهيثمي:"رواه البزار، وفيه ممن لم أعرفه اثنان". مجمع الزوائد (٧/٢٧٢).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ أي: ذهبت وبطلت.[١]

وقوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي: حظًّا منه.[٢]

هم أعداء الله اليهود، دُعُوا إلى حكم القرآن، واتّباع محمد ﷺ، فأعرضوا وهم يجدونه عندهم في كتابهم.[٣] ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ﴾ أي: بعد علمهم أنه في التوراة.

---

(١) الحبوط: الفساد والبطلان، يقال: حبط بطنه من داءٍ إذا فسد منه، والحَبَط في الأصل: وجعٌ يأخذ البعير في بطنه من كلأ يستوبله، وإذا عمل الرجل عملاً ثم أفسده قيل: حبط عمله، وبطلان العمل في الدنيا: ألا يقبل، وفي الآخرة: أنه لا يجازى عليه بالثواب.

ينظر: العين للخليل (١٧٤/٣)، والمفردات للراغب (ص١٠٦)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (١٧٥/١)"حبط".

(٢) باتفاق المفسرين. والنصيب: الحظّ من الشيء، يقال: هذا نصيبي، أي: حظّي، وأنصبه: جعل له نصيبًا، وهم يتناصبونه، أي: يقتسمونه.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢١٧/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٨٩/١)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٣٤/٥)، والمفردات للراغب (ص٤٩٤)"نصب".

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، في رواية الضحاك عنه، وقتادة، والسدي، والحسن. وقال أكثر المفسرين: هي التوراة، دعي إليها اليهود فأبوا، وهو قول آخر لابن عباس رضي الله عنهما رواه سعيد بن جبير، وعكرمة عنه. واختاره الطبري، وابن كثير. وهذا القول هو الأظهر، لأن الله تعالى عجَّب رسوله ﷺ من تمردهم وإعراضهم، والتعجّب إنما يحصل إذا تمردوا عن حكم الكتاب الذي يعتقدون في صحته، ويقرون بحقيته، وهذا في غاية ما يكون من ذمهم والتنويه بذكرهم بالمخالفة والعناد. ويشهد لهذا القول ما رواه الطبري في جامع البيان (٢١٧/٣)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٦٢٢/٢)، والواحدي في أسباب النزول (ص٢٢٠)، عن بن عباس رضي الله عنهما قال: دخل رسول الله ﷺ بيت المدراس على جماعة من يهود، فدعاهم إلى الله، فقال له نعيم بن عمرو، والحارث بن زيد: على أيّ دين أنت يا محمد؟ فقال: على ملة إبراهيم ودينه، فقالا: فإن إبراهيم كان يهوديا؛ فقال لهما رسول الله ﷺ: فهلموا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم، فأبوا عليه، فأنزل الله ﷻ:﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ﴾. وحسن إسناده الدكتور حكمت في التفسير الصحيح (١٨/٢).

﴿ مُعۡرِضُونَ ﴾ عن الداعي، بأن لا يجيبوه إلى ما دعاهم إليه.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ﴾ المعنى: شأنهم ذلك بقولهم وظنهم: أنهم يعذّبون أيامًا معدودة، أي: السبب في ذلك الاجتراء على الله، والإباء من الرجوع إلى كتاب الله.

قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ عُنوا بها أربعين يومًا، وهي مدّة عبادة العجل فيها.[(١)] ﴿وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ أي: يختلقون الكذب.[(٢)]

﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ ﴾ أي: كيف تكون حالهم. ﴿إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ﴾ أي: للجزاء.

﴿ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ ﴾ أي: في يوم.[(٣)]

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٢١٧)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٣٧)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٣٦٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٣٥٦).

(١) قاله الربيع، وقتادة. وكل هذا منهم كذب على الله تعالى وبهتان، ولهذا قال تعالى: ﴿وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٢١٩)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٣٧٧)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٢/٦٢٣)، والنكت والعيون للماوردي (١/٣٨٣)، والتفسير الكبير للرازي (٧/١٩٠).

(٢) قاله عامة المفسرين، وأهل اللغة.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (1/90)، وجامع البيان للطبري (٣/٢١٩)، وتفسير ابن المنذر (١/١٥٧)، والمفردات للراغب (ص٣٧٩)"فرى".

(٣) قال الكسائي: اللام بمعنى:" في ". وقال البصريون: ولم يقل: "في يوم"؛ لأن المراد: لجزاء يوم، أو لحساب يوم، فحذف المضاف ودلّت اللام عليه. قال الفرّاء:" اللام لفعل مضمر إذا قلت: جمعوا ليوم الخميس، كان المعنى جمعوا لفعل يوجد في يوم الخميس، وإذا قلت: جمعوا في يوم الخميس لم تضمر فعلاً، وأيضاً فمن المعلوم أن ذلك اليوم لا فائدة فيه إلا المجازاة وإظهار الفرق بين المثاب والمعاقب". معاني القرآن (١/١٦٠).

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٢٢٠)، وتفسير الهداية لمكي (٢/٩٨٤)، والتفسير الكبير للرازي (٧/١٩٠).

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شك فيه، فإن قيل: كيف نفى الشك عنه وكثير من الناس يشكون فيه؟ قلنا: إن المخاطبة بهذا كانت لليهود، وكانوا مقرين بيوم القيامة، يعني: لا ريب فيه عندنا وعندكم.[1] ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ أي: جزاء كسبها، إن خيرًا فالجنة، وإن شرًا فالعذاب. ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي: لا ينقص من حسناتهم، ولا يزاد على سيئاتهم.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ لما وعد رسول الله ﷺ أمته أن ينالوا ملك فارس والروم، قال الكفار: هيهات! فأنزل الله هذه الآية.[2] أصل هذه الكلمة يا الله، فحذف حرف النداء، وعُوض منها الميم المشددة التي هي بمنزلة حرفين، فقيل: ﴿اللَّهُمَّ﴾.[3]

و﴿مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ أعلى من الملِك؛ لأن الملِك ربما لم يقدر على تمليك غيره، و﴿مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ هو الذي بيده تمليك الملوك، فهو مَلِكٌ فوق الملِك.

﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ﴾ أراد ملك الملوك، يؤتيه من يشاء، وينزعه ممن يشاء، كما آتاه آدم وبنيه، ونزعه من بني الجان.[4] وهذا إخبار عن كمال القدرة،

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٢٢٠)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/٤٣٥)، والتفسير الكبير للرازي (٧/١٩١).

(٢) ذكر الثعلبي في الكشف والبيان (٣/٤٠)، والواحدي في أسباب النزول (ص٢٢١) عن ابن عباس وأنس بن مالك ﷺ: "لما فتح رسول الله ﷺ مكة ووعد أمته ملك فارس والروم، قالت المنافقون واليهود: هيهات هيهات، من أين لمحمد ملك فارس والروم؛ هم أعز وأمنع من ذلك، ألم يكف محمدًا مكة والمدينة حتى طمع في ملك فارس والروم؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية". قال ابن حجر رحمه الله: "ذكره الواحدي في أسبابه عن ابن عباس وأنس ﷺ، ولم أجد له إسنادًا". الكاف الشاف (١/٢٦٨).

(٣) ينظر: الجمل في النحو للخليل الفراهيدي (ص١٣٦)، وجامع البيان للطبري (٣/٢٢٠)، وعلل النحو للوراق (ص٣٤٣).

(٤) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٣/٤٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٢٩٠، والتفسير الكبير للرازي (٨/٥).

فإن القادر على الكمال هو القادر على الشيء وضدّه. ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ يعني: محمدًا ﷺ وأصحابه ﷺ حين دخلوا مكة في عشرة آلاف ظاهرين عليها. ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ يعني: أبا جهل وأصحابه، حين جُزَّت رؤوسُهم، وأُلقُوا في القليب.(١) ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ أي: خيري الدنيا والآخرة.(٢) ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾ أي: تنقص من الليل، وتجعل ذلك النقصان زيادة في النهار، وتنقص من النهار، وتدخل ذلك النقصان زيادة في الليل.(٣)

﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ أي: الحيوان من النطفة، والفرخ من البيضة.[١٩/ب]

﴿وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ أي: النطفة من الحيوان، والبيض من الطير.(٤)

---

(١) هذا محمول على جهة التمثيل لا الحصر في المراد، وذلك لأن اللفظ عام فالتخصيص من غير دليل لا يجوز، والمقصود أنه سبحانه يعز من يشاء بالإيمان والهداية، ويذل من يشاء بالشرك والضلالة.
ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٤٤/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٩٠/١)، ولباب التأويل للخازن (٣٣٤/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤٣٧/٢).

(٢) إنما خصّ ﴿ٱلْخَيْرُ﴾ بالذكر؛ وإن كان قادراً على الخير والشر، لأنه المرغوب في فعله.
ينظر: النكت والعيون للماوردي (٣٨٤/١)، والكشف والبيان للثعلبي (٤٥/٣)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٤١٧/١).

(٣) قاله جمهور المفسرين وأهل اللغة. والولوج: الدخول، أصله مأخوذ من: ولَج يلِجُ ولُوجًا: إذا دخل، فأبدل من الواو تاءً فقيل:" تولج ". ومنه الوليجة: بطانة الرجل ودخْلَتُه. قال ابن كثير رحمه الله:" أي: تأخذ من طول هذا فتزيده في قصر هذا فيعتدلان، ثم تأخذ من هذا في هذا فيتعاونان ثم يعتدلان، وهكذا في فصول السنة ربيعًا وصيفًا وخريفًا وشتاءً". تفسير القرآن العظيم (٣٥٧/١).
ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٩٠/١)، وجامع البيان للطبري (٢٢٣/٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٣٠/١١)"ولج"، والبحر المحيط لأبي حيان (٤٣٨/٢).

(٤) قاله جمهور المفسرين.وقال ابن عباس رضي الله عنهما، والحسن، وعطاء: هو إخراج المؤمن الحي بالإيمان من الكافر الميت بالكفر، وإخراج الكافر الميت بالكفر من المؤمن الحي بالإيمان. والأظهر العموم،

﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: بغير تقتير.[(١)] ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ نزلت في جماعة من المؤمنين، بطن بهم الكفار ليفتنوهم عن دينهم، فقيل لهؤلاء المؤمنين: اجتنبوا لزومهم ومباطنتهم،[(٢)] لا يفتنوكم عن دينكم، فأبوا إلا ملازمتهم، فنزلت هذه الآية.[(٣)] ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ أي: ليس

والمراد بالحيِّ: حياة حسية ومعنوية، وذلك لأن اللفظ صالح للمعنيين وإذا صلح اللفظ للمعنيين دون تناف بينهما، فالواجب حمله عليهما، وخلاف السلف محمول على جهة التمثيل لا الحصر. وهو اختيار ابن كثير رحمه الله في تفسيره.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٢٤/٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٤٦/٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٧٠/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٥٧/١).

(١) التقتير: مأخوذ من القتر، وهي: الرُّمْقة في النفقة، يقال: فلان لا ينفق عليهم إلا رُمقة، أي: مساك رُمق، وقتَّر على عياله يُقتِّر قَتَرا و قتُورا، أي: ضيّق عليهم في النفقة.

ينظر: العين للخليل (١٢٥/٥)"قتر"، وجامع البيان للطبري (٢٢٧/٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (٥٩/٩)"قتر"، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٥٧/١).

(٢) المباطنة: مأخوذ من البطانة، والبطانة في الثوب بإزاء الظهارة، ويستعار لمن يختصه الإنسان كالشعار والدثار، وبطانة الرجل: خاصته، والذين يستنبطون أمره ، ومنه: البطانة في الثوب؛ لأنه يلي البطن والباطن.

ينظر: العين للخليل (٤٤٠/٧)، و معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٥٨/١)"بطن"، والبحر المحيط لأبي حيان (٣٥/٣)،

(٣) روى هذا السبب الطبري في جامع البيان (٢٢٨/٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وابن المنذر في تفسيره (١٦٥/١)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٦٢٩/٢)، والواحدي في أسباب النزول (ص٢٢٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومحمد بن إسحاق رحمه الله، بلفظ:"كان الحجاج بن عمرو حليف كعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق، وقيس بن زيد، قد بطنوا بنفر من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم، فقال رفاعة بن المنذر بن زبير، وعبد الله بن جبير، وسعد بن خيثمة لأولئك النفر: اجتنبوا هؤلاء اليهود واحذروا لزومهم ومباطنتهم، لا يفتنوكم عن دينكم، فأبى أولئك النفر إلا مباطنتهم ولزومهم، فأنزل الله ﷻ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾".

من ولاية الله، أو ليس من دين الله في شيء.(١) ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗ﴾ معنى الآية: نهى المؤمنين عن ملاطفة الكفار، إلا أن يكون الكفار ظاهرين غالبين، أو يكون المؤمن في قوم كفار ليس فيهم غيره، فيخافهم ويداريهم باللسان، وقلبه مطمئن بالإيمان، دفعًا عن نفسه.(٢)

وقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ أي: من عذاب نفسه وعقوبته وبطشه.

وقوله: ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ﴾ أي: من مودّة الكفار. ﴿أَوۡ تُبۡدُوهُ﴾ أي: من موالاتهم قولا وفعلا ﴿يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُ﴾ ويحفظه عليكم حتى يجازيكم به.(٣) ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ هو اشتقاق الكلام.(٤)

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٢٨/٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٤٧/٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (٣٠٨/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٧١/١).

(٢) بهذا قال جماهير أهل التفسير. قال ابن القيم رحمه الله: "ومعلومٌ أن التُّقاة ليست بموالاة، ولكن لما نهاهم عن موالاة الكفار اقتضى ذلك معاداتهم والبراءة منهم ومجهرتهم بالعدوان في كل حال، إلا إذا خافوا من شرّهم فأباح لهم التّقيّة وليست التّقيّة موالاة لهم". بدائع الفوائد (٥٧٥/٣). وقال ابن كثير رحمه الله: "من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته، قال ابن عباس: ليس التّقيّة بالعمل، إنما التّقيّة باللسان. وكذا قال أبو العالية، وأبو الشعشاء، والضحاك، والربيع بن أنس، ويؤيده ما قالوه: قول الله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾[النحل:١٠٦]. الآية". تفسير القرآن العظيم (٣٥٨/١).
ينظر: تفسير القرآن للسمعاني (٣٠٨/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٩٢/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤٤٢/٢)، والدر المصون للسمين الحلبي (١٠٩/٣).

(٣) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٤٨/٣)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤٤٢/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٥٨/١).

(٤) أصل الاشتقاق: أخذ شق الشيء وهو: نصفه، والأخذ في الكلام وفي الخصومة يمينا وشمالا، وأخذ الكلمة من الكلمة، واشتقاق الكلام هو: أن يشترك اللفظان في أكثر الحروف ويتفاوتا في بعضها فيقال:

وقوله:﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ أي: وبين عمل السوء مكانا بعيدًا.(١)

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ أي: بالعباد المؤمنين.(٢)

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ الآية، ورد في التفسير:"أنَّ قريشًا قالوا: إنما نعبد الأصنام حبًّا لله؛ ليقربونا إلى الله زلفى،(٣) وقالت النصارى: إنما نعبد المسيح حبًّا لله، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ

أحدهما مشتق من الآخر.

ينظر: العين للخليل (٥/٨)، وتهذيب اللغة للأزهري (٨/٢٠٤)، وتاج العروس للزبيدي (٢٥/٥٢٢)"شق".

(١) وبه قال السدي. وقال ابن جريج: أجلا بعيدا. وقال مقاتل بن سليمان رحمه الله: كما بين المشرق والمغرب. وكل هذه الأقوال صحيحة، ومعناها متقارب، فإن الأمد هو: الأجل والغاية التي ينتهي إليها، فيطلق على الزمان كما يطلق على المكان، وسواء حملنا لفظ الأمد على الزمان أو على المكان، فإن المقصود تمني بُعْدَه.

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/١٦٥)، وجامع البيان للطبري (٣/٢٣١)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٥٠)، والمفردات للراغب (ص٢٤)"أمد"، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٣٥٨).

(٢) الرأفة: أشد الرحمة وأرقها. قال أبو عبيدة:"﴿رَءُوفٌ﴾ فعول من الرأفة، وهي أشدّ الرحمة". مجاز القرآن (١/٥٩). والأظهر أن التعريف في "العباد" للاستغراق، لأن رأفة الله شاملة لكل الناس مسلمهم وكافرهم، كما قال ﷻ:﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[البقرة:١٤٣]. قال الطبري:"إن الله بجميع عباده ذو رأفة، والرأفة: أعلى معاني الرحمة، وهي عامة لجميع الخلق في الدنيا، ولبعضهم في الآخرة". جامع البيان (٢/١٨).

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٥/١٧١)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/٤٧١)"رأف"، وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (٣/٢٢٤).

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٣/٥٠)، والواحدي في أسباب النزول (ص٢٢٥)، والبغوي في معالم التنزيل (١/٢٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/٣٧٣) عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال ابن حجر رحمه الله في العجاب (٢/٦٧٨):"وهذا من منكرات جويبر فإن آل

﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي﴾؛ فأنا رسوله إليكم، ﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾".[١]

وعلامة حب الله: طاعته، وطاعة رسوله ﷺ، وحبّ الله إياهم: أن يرضى فعلهم، ويغفر لهم ذنوبهم.[٢]

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا﴾ الآية، أي: اختار واستخلص.[٣]

عمران مدنية، وهذه القصة إنما كانت بمكة قبل الهجرة، ولعل الذي نزل فيهما في أوائل الزمر". أهـ.

(١) ذكر الثعلبي في الكشف والبيان (٣/٥١)، والواحدي في أسباب النزول (ص٢٢٥) عن محمد بن جعفر بن الزبير: قال:"نزلت في نصارى أهل نجران، وذلك أنهم قالوا: إنا نعظم المسيح ونعبده حبا لله سبحانه وتعظيما له، فقال الله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي﴾".والصواب: أنها عامة لا تخص فريقا دون آخر، ولفظ الآية يعم كل من ادّعى محبة الله ﷻ.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٢٣٢)، والسيرة النبوية لابن هشام: (٣/١٢٠)، وتفسير ابن المنذر (١/١٧٠)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٤٢٢)، وتفسير القرآن العظيم (١/٣٥٩).

(٢) تفســير المؤلف رحمه الله محبة الله تعالى لعباده بالرضـــا عن أفعالهم ومغفرة ذنوبهم؛ مخالف لمنهج السـلف وأئمة أهل السـنة، وهو قول المعطلة الذين ينكرون أن الله يخالل أحدًا، أو يحب أحدًا، ويحرفون الكلم عن مواضعه، فيفسرون محبة الله لعباده: تارة بإحسـانه إليهم، وتارة بإرادته الإحسـان إليهم، وتارة بإنعامه عليهم، أو بمغفرته لذنوبهم، والصـواب ما عليه سـلف الأمة وأئمة السـنة على إقرار المحبة على إثبات صـفة المحبة لله تعالى على يليق بجلاله وعظمته، دون تحريف ولا تعطيل، ولا تشـبيه ولا تمثيل، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشـورى:١١].قال ابن تيمية رحمه الله:"وقد أجمع سـلف الأمة وأئمتها على إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ومحبتهم له، وهذا أصـل دين الخليل إمام الحنفاء عليه السلام". مجموع الفتاوى (٢/٣٥٤).

ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٢/٣٧)، ومدارج السالكين لابن القيم (٣/١٨)، وأضواء البيان للشنقيطي (٢/٢٧).

(٣) اصطفى: افتعل من الصفوة، وهو الخالص من كل شيء، وصفوة كل شيء خالصه وخيره، والاصطفاء: الاختيار.

ينظر: العين للخليل (٧/١٦٣)"صفو"، وتهذيب اللغة للأزهري (١٢/١٧٤)، ولسان العرب لابن منظور (١٤/٤٦٢)"صفا".

﴿وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يعني: بآل إبراهيم: إسحاق، وإسماعيل، ويعقوب، والأسباط،(١) وأن محمدًا ﷺ من آل إبراهيم.(٢)

وأما عمران فهو: عمران بن يَصْهُر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب، وآله موسى وهارون.(٣)

---

(١) الأسباط: جمع السبط، وأصل السّبط في اللغة: شجرة ملتفة كثيرة الأغصان، فسمي الأسباط بها لكثرتهم وتتابعهم وانتشــارهم. والســبط: الجماعة الذين يرجعون إلى أب واحد، وكان فيهم أنبياء – عليهم السلام – والسِّبط أيضاً: ابن البنت، ومنه الحسن والحسين رضي الله عنهما سبطا رسول الله ﷺ، والأسباط: حفدة يعقوب عليه السلام وذراري أبنائه الاثني عشر.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥٦٦/١)، والكشــف والبيان للثعلبي (٢٨٣/١)، والمفردات للراغب (ص٣٩٤)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٣٣٤/٢)"سبط".

(٢) قاله مقاتل بن سليمان، والواحدي. في آل إبراهيم ثلاثة أقوال للمفسرين: وقال ابن عباس رضي الله عنهما، والحسن رحمه الله: أن آل إبراهيم هنا: من كان على دينه. وهذا القول هو الأظهر، وأن المراد بآل إبراهيم: أتباعه ومن هو على دينه، بدليل قوله تعالى: ﴿أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[غافر:٤٦]، أي: أتباعه على دينه سواء كانوا من أهل بيته أو غيرهم. ولما ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:"وآل عمران: المؤمنون من آل إبراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمد ﷺ يقول: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾[آل عمران:٦٨]، وهم المؤمنون". صحيح البخاري (١٢٦٤/٣) باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ﴾ الآية. وهذا هو اختيار الطبري، وابن عطية رحمهما الله.

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٦٥/١)، وجامع البيان للطبري (٢٣٤/٣)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٤٢٣/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٧٤/١).

(٣) قاله مقاتل بن سليمان.وقال الحسن ووهب بن منبه والكلبي رحمهم الله: هو عمران بن ماثان، والد مريم، من ولد سليمان بن داود عليهما السلام، وآله مريم وعيسى عليهما السلام. وهذا هو الأظهر بأنه والد مريم، لقوله تعالى عقيب ذلك:﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾، فذكر قصة مريم وابنها عيسى عليهما السلام، ونص على أن الله اصطفاها بقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾[آل عمران:٤٢]، فقوله: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ كالشرح لكيفية الاصطفاء. وهذا

وإنما خصَّ هؤلاء بالذكر؛ لأن الأنبياء من نسلهم.(١)

﴿ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖ ﴾ أي: بعضها من ولد بعض.(٢)

والذّرية فَعْلِيَّة من الذّر، لأن الله أخرج الخلق من صلب آدم، ﴿وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾[الأعراف:١٧٢].(٣)

هو اختيار أبي حيان وابن كثير رحمة الله على الجميع.

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/١٦٥)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٥٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٣٧٤)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/٤٥٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٣٥٩).

(١) ذكر ﷻ هؤلاء لبيان مكانتهم عند الله، ولإقامة الحجة على من تنقص أحداً منهم، فبدأ أولاً بأولهم وجوداً وأصلهم آدم عليه السلام، وثنّى بنوح عليه السلام، إذ هو آدم الأصغر ليس أحد على وجه الأرض إلا من نسله، ثم أتى ثالثا بآل إبراهيم عليه السلام، فاندرج فيهم رسول الله ﷺ، المأمور باتباعه وطاعته، وموسى عليه السلام، ثم أتى رابعاً بآل عمران، فاندرج في آله مريم وعيسى عليهما السلام ، ونص على آل إبراهيم لخصوصية اليهود بهم، وعلى آل عمران لخصوصية النصارى بهم، فذكر ﷻ أن هؤلاء صفوة، أي: نقاهم من الكدر، وهذا من تمثيل المعلوم بالمحسوس.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٢٣٤)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٥٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/٦٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/٤٥٢).

(٢) قاله مقاتل بن سليمان. بمعنى أن جميعهم ذرية آدم، ثم ذرية نوح، ثم ذرية إبراهيم عليهم الصلاة والسلام. وقال ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة: أن بعضهم من بعض في التناصر والدين لا في التناسل. ولا مانع من اعتبار القولين إذ لا منافاة بينهما.

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/١٦٥)، وجامع البيان للطبري (٣/٢٣٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٣٧٥)،

(٣) الذرية: مشتق من "ذرأ" بمعنى: خلق، ومنه قوله تعالى: ﴿يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ ﴾[الشورى:١١]،أي: يخلقكم. أو: من الذَّرّ، لأنه خَلَقَهم؛ واستخرجهم من صلب آدم كالذّرّ، ويسمى الأولاد والآباء ذرية، فالأولاد ذريــة لأنه ذرأهم، والآبـــاء ذرية لأنه ذرأ الأبنـــاء منهم، قال ﷻ:﴿وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ ﴾[يس:٤١]، أي: آباءهم. ويستعمل للواحد والجمع وأصله الجمع.

وقوله: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ ﴾ أي: أعلم أمتك ما جرى في ذلك الوقت،(١) لأن هذه الأخبار والقصص أنزلها الله تعالى على نبيه ﷺ ليخبر بها قومه.

وامرأة عمران وهي حنّة بنت فاقود أمّ مريم، جدة عيسى عليه السلام.(٢)

وأما عمران فهو: عمران بن ماثان، وليس بعمران أب موسى، وبينهما ألف وثمانمائة سنة، وكان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وخيارهم وأحبارهم.(٣)﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ أي: أوجَبْته،(٤) وذلك أنهم كانوا يحرِّرون الولد بأن يجعلوه خادما للكنيسة، حبيسا

ينظر: المفردات للراغب (ص١٧٨)"ذرو"، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٩٤/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٤٢٣/١).

(١) العامل في ﴿ إِذْ ﴾ فعل مضمر تقديره: "واذكر"، لأن هذه الآيات كلها إخبارات بغيب تدل على نبوة محمد ﷺ مقصد ذكرها هو الأظهر في حفظ رونق الكلام، وهو قول الأخفش، والمبرد، وكثير من النحويين.

ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٣٦٩/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٤٢٤/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤٥٥/٢)، والدر المصون للسمين الحلبي (١٢٩/٣).

(٢) امرأة عمران: هي أم مريم ابنة عمران، واسمها: حنة بنت فاقود بن قبيل، وزوجها: عمران بن ماثان بن إلياقيم، من آل سليمان بن داود عليهم السلام ، وكانت من العابدات، دعت الله عز وجل أن يهب لها ولدا فحملت بمريم، ونذرت حملها محررا لله تعالى ليكون في المسجد متعبّدا، فلما ولدت مريم كفلها زكريا عليه السلام بعد موت أمها.

ينظر: تاريخ الطبري (٣٤٥/١)، والمنتظم لابن الجوزي (٥/٢)، والبداية والنهاية لابن كثير (٥٦/٢).

(٣) هو عمران بن ماثان من آل سليمان بن داود عليه السلام من أشراف بني إسرائيل وعبَّادهم، وكان صهراً لزكريا النبي عليه السلام، وهو أبو مريم البتول أم عيسى عليه السلام، وكان بنو ماثان من ملوك بني إسرائيل وأحبارهم.
ينظر: تاريخ الطبري (٣٤٥/١)، والبدء والتاريخ لابن طاهر المقدسي (١١٦/٣)، والبداية والنهاية لابن كثير (٥٦/٢)،

(٤) النذر في اللغة: الوجوب، يقال: نذرت على نفسي، أي: أوجبت، ونُذِرَ فيه، أي: أُوجِبَ. والنذر شرعا: إيجاب المكلف على نفسه من الطاعات ما لو لم يوجبه لم يلزمه. قال ابن فارس:"النون والذال والراء كلمة تدل على تخويف، ومنه النَّذْر وهو أنه يخاف إذا أخلف، والجمع النُّذُر، والنَّذْر أيضا: ما

عليها، مُفرِغا لعبادة الله ﷻ، ولخدمة الكنيسة، لا يُشغل بشيء من الدنيا،[(١)] ثم إذا بلغ الحلم خُيِّر، فإن أحبَّ أن يقيم فيه أقام، وإن أحبَّ أن يذهب ذهب حيث شاء، ولم يكن يحرّر إلا الغلمان، وكانت الجارية لا تكلف ذلك، فلا تصلح له، لما يصيبها من الحيض والأذى، فحرَّرت أم مريم ما في بطنها.

وكانت القصة في ذلك: أن زكريا وعمران تزوجا أختين، وكانت أم مريم عند عمران، ولم تلد حتى عجزت، وكانوا أهل بيت من الله بمكان، فبينا هي في ظل شجرة بصُرت بطائر يطعم فرخا، فتحركت لذلك نفسها للولد، ودعت الله ﷻ أن يهب لها ولدًا وقالت: اللهم لك عليّ إن رزقتني ولدًا أن أتصدق به على بيت المقدس، فيكون من سدنته وخدمه نذرًا وشكرًا، فحملت بمريم فحررت ما في بطنها، ولم تعلم ما هو، فقال لها زوجها: ويحك ما صنعت! أرأيت إن كان ما في بطنك أنثى وعورة، ولا تصلح لذلك! فوقعا جميعا في همّ من ذلك، فهلك عمران وحنّة حامل بمريم.[(٢)] وقوله: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا ﴾ إذا هي جارية.

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ ﴾ اعتذار إلى الله ﷻ. ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ هو

يجب، كأنه نَذَرَ أي: أوجب". معجم مقاييس اللغة (٥/٤١٤).

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٤/٣٠٢)"نذر"، والمغني لابن قدامة (١٠/٦٧)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣/٣٣٢).

(١) قال ابن كثير رحمه الله:" ﴿مُحَرَّرًا ﴾ أي: خالصا مفرغا للعبادة، ولخدمة بيت المقدس". تفسير القرآن العظيم (١/٣٦٠).

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٢٣٥)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٣٨٦)، والمفردات للراغب (ص١١١)"حر".

(٢) ذكر القصة الطبري في جامع البيان (٣/٢٣٥)، وابن المنذر في تفسيره (١/١٧٣)، والحاكم في المستدرك (٢/٦٤٦) برقم: (٤١٤٨)، وابن طاهر المقدسي في البدء والتاريخ (٣/١١٨)، والثعلبي في الكشف والبيان: (٣/٥٤)، والبغوي في معالم التنزيل (١/٢٩٥) عن محمد بن إسحاق رحمة الله على الجميع. والقصة من الإسرائيليات التي لا يعتمد عليها.

إخبار عن الله ﷻ.(١) ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ أي: في خدمة الكنيسة [٢٠/أ] والعبّاد الذين فيها؛ لعورتها وضعفها وما يعتريها من الحيض والنفاس والأذى.(٢)

﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ هي بلغتهم الخادمة.(٣)

﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾.(٤)

---

(١) قرأ ابن عامر وأبو بكر: ﴿وَضَعْتُ﴾ بتاء المتكلم، وهو من كلام أم مريم خاطبت بذلك نفسها؛ تسلية لها واعتذارا لله تعالى؛ حيث أتت بمولود لا يصلح لما نذرته من سدانة بيت المقدس. وقرأ الباقون: ﴿وَضَعَتْ﴾ بتاء التأنيث الساكنة على إسناد الفعل لضمير أم مريم، وهو من كلام الباري ﷻ، وفيه تنبيه على عظم قدر هذا المولود، وأن له شأنا لم تعرفه.

ينظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص٢٠٤)، وحجة القراءات لابن زنجلة (ص١٦٠)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤٥٧/٢).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٣٧/٣)، وتفسير ابن المنذر (١٧٧/١)، والكشف والبيان للثعلبي (٥٥/٣).

(٣) أرادت بهذه التسمية التفاؤل لها بالخير، والتقرب إلى الله تعالى بأن يكون فعلها مطابقاً لاسمها، وأن تصدّق فيها ظنها بها.

ينظر: معالم التنزيل للبغوي (٢٩٥/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤٥٨/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٦٠/١).

(٤) لقد استجاب الله تعالى دعوة امرأة عمران فأعاذها الله وذريتها من الشيطان الرجيم فلم يجعل له عليها سبيلا، كما ثبت ذلك في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من بني آدم مولود إلا يمسُّه الشيطان حين يولد فيستهل صارخًا من مس الشيطان، غير مريم وابنها». ثم يقول أبو هريرة ﷺ: واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾. صحيح البخاري (١٢٦٥/٣)، برقم: (٣٢٤٨)، كتاب الأنبياء/باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ومسلم (١٨٣٨/٤)، برقم: (٢٣٦٦) كتاب الفضائل/باب فضائل عيسى ﷺ.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٣٨/٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٥٥/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ أي: ضمَّها إلى نفسه، وقام بأمرها.[1] ثم إنَّ زكريا لما قبلها بنى لها بيتا واسترضع لها، وضمها إلى خالتها أم يحيى، حتى إذا شبّت وبلغت مبلغ النساء، بنى لها محرابا في المسجد، وجعل بابه في وسطه، لا يرقى إليها إلا بسُلَّم، ولا يصعد إليها غيره،[2] والمراد بالمحراب في الآية: الغرفة،[3] وكان زكريا عليه السلام إذا خرج يغلق عليها سبعة أبواب،[4] فإذا دخل عليها غرفتها ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾ أي: فاكهة في غير حينها، فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف،[5] فيقول

.(٢٩٥/١)

(١) وبه قال جمهور المفسرين وأهل اللغة. قال ابن كثير رحمه الله:"وإنما قدر الله كون زكريا كفلها لسعادتها لتقتبس منه علما جما نافعا وعملا صالحا، لأنه كان زوج خالتها على ما ذكره ابن إسحاق وابن جرير وغيرهما". تفسير القرآن العظيم (٣٦١/١).

ينظر: العين للخليل (٣٧٣/٥)"كفل"، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١٩/٢)، وجامع البيان للطبري (٢٤١/٣)، والمفردات للراغب (ص٤٣٦)"كفل".

(٢) أورد ذلك الثعلبي في الكشف والبيان (٥٧/٣)، والبغوي في معالم التنزيل (٢٩٦/١)، عن محمد بن إسحاق.

(٣) المحراب في اللغة: المكان العالي، ويستعمل لأشرف المواضع ومقدمها وإن لم يكن عاليا، ويقال للمسجد أيضًا: محراب، مِفْعال من: الحرب، لأنه يحارب فيه الشيطان، والمحراب عند العامة اليوم: مقام الإمام في المسجد، وكانت محاريب بني إسرائيل مساجدهم التي يجتمعون فيها للصلاة. وقال الأصمعي: أراد بالمحراب: الغرفة، لقوله تعالى: ﴿إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴾[ص: ٢١]، والتسوّر لا يكون إلا من علو.

ينظر: العين للخليل (٢١٤/٣)"حرب"، وجامع البيان للطبري (٧٠/٢٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٣٨٨/١)، ومختار الصحاح للرازي (٥٤/١)"حرب"، والتفسير الكبير للرازي (٢٧/٨).

(٤) وهو مروي عن الربيع بن أنس، كما عند الطبري في جامع البيان (٢٤٥/٣)، وأورده البغوي في معالم التنزيل (٢٩٧/١)، والزمخشري في الكشاف (٣٨٦/١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣٨٠/١)، والرازي في التفسير الكبير (٢٧/٨). وهو من الإسرائيليات التي لا يعتمد عليها.

(٥) روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعكرمة، والضحاك، وقتادة، ومجاهد، والسدي، والربيع، رحمة الله على الجميع. أخرجه الطبري في جامع البيان للطبري (٢٤٤/٣)، و ابن أبي حاتم في تفسير

لها: ﴿يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أي: من قطف الجنة.(١)

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ قال: إن الذي رزقكِ الفاكهة في غير حينها لقادر أن يرزقني من العاقر الكبير العقيم ولدًا.(٢)

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ فلما بُشّر بيحيى ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا﴾[مريم:١٠]، يعني: يُعتقل لسانك من غير مرض وأنت سويٌّ.(٣)

قوله: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ أي: عندما صادف من أمر مريم، سأل الله تعالى أن يرزقه ولدًا، وذلك أنَّ زكريا عليه السلام كان قد شاخ وأيس من الولد، فلما رأى الفاكهة عند مريم في غير حينها، طمع في الولد، وسأل الله تعالى أن يرزقه ولدًا صالحًا ﴿قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةً﴾ لا أنه قبل رؤية حال مريم لم يكن عالما بكون ذلك مقدورًا لله؛ ولكن عند تجدد قلب العادات يختلف الحال في الرجاء والطمع، ويتقوى الرغبة.(٤)

القرآن (٢/٦٤٠)، واللالكائي في كرامات الأولياء (ص٧٠-٧٧). وهو من الإسرائيليات التي لم يقم عليها دليل ثابت، فلا تصدق ولا تكذب.

(١) روى ذلك الطبري في جامع البيان (٣/٢٤٦)، وأورده البغوي في معالم التنزيل (١/٢٩٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/٣٨٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهو من الإسرائيليات التي لا يعول عليها.

(٢) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، كما روى ذلك عنه الطبري في جامع البيان (١٦/٥٢)، والحاكم في المستدرك وصححه (٢/٣١٩) برقم: (٣١٥٠).

(٣) روى هذا المعنى الطبري في جامع البيان (١٦/٥٢)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٢/٦٤٥)، والحاكم في المستدرك وصححه (٢/٣١٩) برقم: (٣١٥٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وزاد الطبري نسبته في الرواية عن مجاهد، وقتادة، والسدي، وابن زيد، رحمة الله على الجميع.

(٤) لم يشك زكريا عليه السلام في وعد الله وقدرته إنما قال ذلك على سبيل الاستفهام والاستعلام لا التشكك والاستبعاد، لأن الأنبياء معصومون من الكبائر فضلا عما يوجب الكفر بالله سبحانه.

وقوله: ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ أي: من شأنك إجابة دعاء من دعاك. ﴿فَنَادَتْهُ﴾ أي: قالت له ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ المراد هاهنا: جبريل عليه السلام وحده.(١).

﴿وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ﴾ يعني: في المسجد، وهو مِفْعال من الحرب، لأنه يحارب فيه الشيطان.(٢) قوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ لأنه أحيا قلبه بالنبوة.(٣)

﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: بعيسى عليه السلام، سمي كلمة لأن الله تعالى قال له: كن من غير أبٍ، فكان، فوقع عليه اسم الكلمة؛ لأنه بها كان.(٤)

ينظر: معالم التنزيل للبغوي (١/٢٩٩)، وإيجاز البيان عن معاني القرآن لابن الحسين النيسابوري (١/١٦٧)، ورموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز لعز الدين الرسعني (١/١٧١).

(١) قاله ابن مسعود رضي الله عنه، والسدي، ومقاتل بن سليمان. ووجهه: أن العرب تخبر عن الواحد بلفظ الجمع، كما تقول: ركب فلان في السفن، وإنما ركب سفينة واحدة، تريد بذلك جعل ركوبه في هذا الجنس.وقال قتادة، والربيع بن أنس، وعكرمة، ومجاهد: هم جماعة من الملائكة. واختاره الطبري، والرازي، ولم يذكر ابن كثير سواه.وهذا القول هو الأظهر، لأن ظاهر اللفظ يدل على أن النداء كان من الملائكة، وهذا في التشريف أعظم، وقد بعث تعالى ملائكة إلى قوم لوط وإلى إبراهيم عليهما السلام.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٢٤٩)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٣٨١)، والتفسير الكبير للرازي (٨/٣١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٣٦١).

(٢) تقدم الكلام ص : ٣٦٥

(٣) قاله الثعلبي رحمه الله. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لأن الله تعالى أحيا به عقر أمه. وقال قتادة: لأن الله تعالى أحيا قلبه بالإيمان. والصحيح أن هذه الأقوال كلها صحيحة ومحتملة ولا منافاة بينها.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٢٥٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٦٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٣٨٢).

(٤) قاله جمهور المفسرين. وقال أبو عبيدة: "أي: بكتاب من الله؛ تقول العرب للرجل: أنشِدْني كلمة كذا وكذا، أي: قصيدة فلان وإن طالت". وعقب عليه ابن جرير الطبري بأنه زعم وجهل منه بتأويل الكلمة، واجتراء على ترجمة القرآن برأيه.

ويحيى أول من آمن بعيسى عليهما السلام فصدّقه، وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر،[١] وكانا ابني الخالة،[٢] وقُتل يحيى قبل أن يُرفع عيسى عليهما السلام.

﴿وَسَيِّدًا﴾ أي: متبوعا يُنتهى إلى قوله.[٣] ﴿وَحَصُورًا﴾ الذي لا يأتي النساء، ولا يقربهن، وهو منقولٌ من الحَصْرَة.[٤]

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٩١/١)، وجامع البيان للطبري (٢٥٢/٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٦٣/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٩٨/١).

(١) روى ذلك الطبري في جامع البيان (٢٥٣/٣)، وابن المنذر في تفسيره (١٨٧/١)، عن الضحاك رحمه الله بلفظ: «فإن يحيى أول من صدّق بعيسى، وشهد أنه كلمة من الله، وكان يحيى ابن خالة عيسى، وكان أكبر من عيسى». وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (٦٣/٣)، والبغوي في معالم التنزيل (٢٩٩/١)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٧٦/٤) بغير نسبة.

(٢) كونه ابن خالته، أخرجه البخاري في صحيحه، في حديث طويل، وفيه قال رسول الله ﷺ:".. ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح ... ففتح، فلما خَلَصْتُ إذا يحيى وعيسى، وهما ابنا الخالة ...". صحيح البخاري (١٤١٠/٣)، برقم: (٣٦٤٧) كتاب فضائل الصحابة/باب المعراج. من حديث أنس ﷺ.

(٣) أصل السيد: الذي يسود قومه، فعيل من: السيادة والسؤدد، والسيد: الذي ساد قومه وفاقهم في الحلم والشرف والفضل. وكان يحيى ﷺ سيد المؤمنين في الدين والعلم والحلم. وأحق الناس بصفات الكمال هم النبيون عليهم جميعا أفضل صلاة وأتم سلام.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٥٤/٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٦/١٣)، والمفردات للراغب (ص٢٤٦)"سود".

(٤) الحصور: أصله من الحصر، وهو المنع والحبس، حصرني الشيء وأحصرني إذا حبسني ومنعني، يعني بذلك: ممتنعا من جماع النساء، ويقال للذي لا يُخرج سِرَّه ويكتمه: حصور، لأنه يمنع سرَّه أن يظهر. قال تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾ [الإسراء:٨]، أي: محبسا. واختلف المفسرون: لماذا كان لا يأتي النساء؟ أظهر الأقوال: أنه كان لا يأتي النساء مع القدرة على إتيانهن تبتلا منه، وانقطاعاً لعبادة الله. قاله سعيد ابن جبير، وقتادة، وعطاء، وأبو الشعثاء، والحسن، والسدي، وابن زيد. وكان ذلك جائزاً في شرعه، وأما سنة النبي ﷺ فهي التزويج وعدم التبتل. أما قول من قال: بأنه محصور عن النساء لأنه عنّين لا يقدر على إتيانهن فليس بصحيح؛ لأن العنَّة عيب ونقص في الرجال، وليست من فعله حتى يثنّى عليه

﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ كأنه إشارة إلى أنه قبل النبوة أيضًا كان صالحًا، وإلا فالأنبياء كلهم صالحون.[١] ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ أي: كيف؟ ومن أين؟

﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ كان ابن تسع وتسعين سنة، وامرأته بنت ثمان وتسعين سنة.[٢]

﴿وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ أي: عقيم لا تلد.[٣] ولم يقع هذا السؤال من زكريا للشك في قدرة الله، بل الشك في الوجه الذي يكون منه الولد، يعني: أتجعلني وامرأتي شابين؟ أم ترزقنا الولد على كبرنا ؟ أم ترزقني الولد من امرأة غيرها ؟ [٤]

بها، وهذا أليق بمنصب الأنبياء عليهم السلام، لأن الكلام إنما خرج مخرج المدح والثناء، وذكر صفة النقص في معرض المدح لا يجوز، وأيضاً فإن منصب النبوة يجل من أن يضاف إلى أحد منهم نقص أو آفة، فحمل الكلام على منع النفس من الوطء مع القدرة عليه أولى من حمله على ترك الوطء مع العجز عنه.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٢٥٥)، والنكت والعيون للماوردي (١/٣٩٠)، ولباب التأويل للخازن (١/٣٤٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٣٦٢).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٢٥٧)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٣٨٤)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/٤٦٨).

(٢) حكاهما الواحدي، والبغوي. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أنه كان ابن مائة وعشرين سنة، وامرأته بنت ثمان وتسعين سنة. والأولى أن يقال: أنه كان شيخًا كبيرًا قد وهن منه العظم واشتعل الرأس شيبًا، وكانت امرأته مع ذلك كبيرة وعاقرًا لا يرجى من مثلها الولادة، ولا يجزم بتعيين سنٍّ بعينه، ولا يدرك علم ذلك إلا بخبر ثابت من الكتاب أو السنة، فجائز أن يكون سِنُّه وسِنّ امرأته ما ذكر أو غيره.

ينظر: الوجيز للواحدي (١/٢٠٩)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٢٩٩)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٣٨٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٣٦١).

(٣) العاقر: من لا يولد له من رجل أو امرأة، يقال: رجل عاقر، وامرأة عاقرة، أي: لا يولد لهما، ومنه عقرت النخل قطعته من أصله، وعقرت البعير نحرته، وعقرت ظهر البعير فانعقر.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١/١٤٥)، والمفردات للراغب (ص٣٤١)، وتهذيب الأسماء للنووي (٣/٢١١)"عقر".

(٤) أي: كان سؤال زكريا عليه السلام على سبيل الاستعلام لا على وجه الشك والاستبعاد، وهو قول الحسن، وابن الأنباري، وابن كيسان، رحمة الله على الجميع.

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ﴾ أي: مثل ذلك ﴿يَفۡعَلُ﴾ الله الذي يشاؤه.

﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ﴾ أي: علامة أعلم بها الوقت الذي تهب فيه الغلام.

﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ أي: علامتك أن تمسك لسانك عن الكلام مع الناس، وأنت صحيح سويّ.(١) ﴿إِلَّا رَمۡزٗاۗ﴾ أي: إشارة بالشفتين من غير صوت، والرمز كل ما أشرت به إلى ما يُبان باللفظ، بأي شيء أشرت، أبِفَمٍ أم بيدٍ أم بعين.(٢) وقوله: ﴿وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ﴾ أي صلّ (٣) ﴿وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٣٩٥/١)، والكشف والبيان للثعلبي (٦٦/٣) ومعالم التنزيل للبغوي (٣٠٠/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٨٤/١).

(١) كانت الآية حبس اللسان لتخلص المدة لذكر الله تعالى، لا يشغل لسانه بغيره توفراً منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة وشكرها، وكأنه لما طلب الآية من أجل الشكر قيل له: آيتك أن يحبس لسانك إلا عن الشكر. قال أبو حيان:"كان الإعجاز في هذه الآية من جهة قدرته على ذكر الله، وعجزه عن تكليم الناس، مع سلامة البنية واعتدال المزاج". البحر المحيط (٤٧١/٢).

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٦١/٣)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٤٣٢/١)، والتفسير الكبير للرازي (٣٦/٨).

(٢) أصل الرمز والترمّز في اللغة: الحركة والتحرك، ومعنى الرمز: الإشارة، وكل ما يشار إليه مما يبان بلفظ فهو رمز، ومنه سميت الفاجرة: رامزة، ورمّازة، لأنها تومئ ولا تعلن. قال الزجاج:"معنى الرمز: تحريك الشفتين باللفظ من غير إبانة بصوت، وقد يكون بالعينين، أو الحاجبين، أو الفم، والرمز: كل ما أشرت به إلى بيان، بفم، أم بيد، أم بعينين". معاني القرآن (٤٠٩/١). وجمهور العلماء على أنه إنما اعتقل لسانه آية على وجود الحمل.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٥٩/٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٤١/١٣)، والمفردات للراغب (ص٢٠٣)"رمز".

(٣) في قول جمهور المفسرين، وسميت الصلاة تسبيحا؛ لاشتمالها على تنزيه الله تعالى وتسبيحه.قال ابن عطية:"﴿وَسَبِّحۡ﴾ معناه: قل: سبحان الله. وقال قوم معناه: صلّ، والقول الأول أصوب، لأنه يناسب الذكر، ويستغرب مع امتناع الكلام مع الناس". المحرر الوجيز (٤٣٢/١). والعشيّ: جمع عشيّة، وهي من

﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ ﴾ أي: قَبِلَكِ فِي النَّذر، ولم يتقبل امرأة سواك، فتفرغتِ بسبب ذلك لعبادته،[1] والتقدير: أذكر لهم وأعلمهم ما جرى في ذلك الوقت.

قوله: ﴿ وَطَهَّرَكِ ﴾ أي: بالإيمان من الكفر.[2]

﴿ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ أي: نساء زمانك.[3]

حين تزول الشمس إلى أن تغيب، والإبكار مصدر: أَبْكَر يُبْكِرُ إبْكارًا، وبَكَّرَ يُبَكِّرُ بُكُورًا، إذا خرج من بين طلوع الفجر إلى وقت الضحى.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٤٠٩/١)، والمفردات للراغب (ص٢٢١)"سبح"، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٠٠/١).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٦٢/٣)، التفسير الكبير للرازي (٣٨/٨)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤٧٦/٢).

(٢) قاله الحسن، ومجاهد، واختاره الطبري. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من مس الرجال. وقال مقاتل بن سليمان: من الفاحشة والإثم. وقال السدي: التطهير من الحيض والنفاس. والأظهر أن هذه الأقوال صحيحة وصفات معتبرة في حق مريم عليها السلام، يجمعها قول ابن جزي:"﴿ وَطَهَّرَكِ ﴾ من كل عيب في خَلْق وخُلُق ودِين". التسهيل (١٠٦/١). إلا القول بالتطهير من الحيض والنفاس، فإنه يعارض ما جاء في الصحيحين من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كنا بسَرِف، حضت، فدخل علي رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قال: «ما لكِ؟ أنُفستِ»؟ قلت: نعم، قال: «إن هذا أمرٌ كتبه الله على بنات آدم». صحيح البخاري (١١٣/١)، برقم: (٢٩٠) كتاب الحيض/باب كيف كان بدء الحيض وقول النبي ﷺ:«هذا شيء كتبه الله على بنات آدم»، ومسلم (٨٧٣/٢)، برقم: (١٢١١) كتاب الحج/باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز إفراد الحج والتمتع والقران.

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٦٩/١)، وجامع البيان للطبري (٢٦٤/٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٨٧/١).

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، والحسن، وابن جريج، رحمة الله على الجميع.وقال الزجاج، واختاره القرطبي: على نساء العالمين أجمع. وجمع السعدي رحمه الله في تفسيره بين القولين فقال:"الاصطفاء الأول يرجع إلى الصفات الحميدة والأفعال السديدة، والاصطفاء الثاني يرجع إلى تفضيلها على سائر نساء العالمين، إما على عالمي زمانها، أو مطلقا، وإن شاركها أفراد من النساء في ذلك كخديجة، وعائشة،

﴿ يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ ﴾ أي: قومي في الصلاة،[١] فمازالت تقوم في صلاتها بهذا الأمر، حتى ورمت قدماها.[٢]

وفاطمة، لم يناف الاصطفاء المذكور". تيسير الكريم الرحمن (ص١٣٠).ويؤيد ذلك ما جاء في صحيح البخاري من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال:«يا فاطمة! ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة». صحيح البخاري (٢٣١٧/٥)، برقم: (٥٩٢٨) كتاب الاستئذان/باب من ناجى بين يدي الناس ومن لم يخبر بسر صاحبه فإذا مات أخبر به. وفي الصحيحين عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «خير نسائها مريم ابنة عمران، وخير نسائها خديجة». صحيح البخاري (١٢٦٥/٣)، برقم: (٣٢٤٩) كتاب أحاديث الأنبياء/باب ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ ﴾، ومسلم في صحيحه (١٨٨٦/٤)، برقم: (٢٤٣٠)كتاب فضائل الصحابة/ باب فضائل خديجة رضي الله عنها. قال الطبري رحمه الله:"يعني بقوله:«خير نسائها»، خير نساء أهل الجنة". جامع البيان (٢٦٣/٣).

ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٤٣٣/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٨٧/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨٢/٤).

(١) أصل القنوت: الخشوع والقيام بالطاعة، ويردُ بمعانٍ متعددة، كالطاعة، والخشوع، والصلاة، والدعاء، والقيام، فيصرف لما يحتمله اللفظ. والمراد هنا: طول القيام في الصلاة، بدليل ما ثبت عن جابرٍ ﷺ قال: قال رسول اللّهِ ﷺ: «أفضل الصلاة طول القنوت». أخرجه مسلم (٥٢٠/١)، برقم: (٧٥٦)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها/باب أفضل الصلاة طول القنوت. قال النحاس في :"طول القنوت، أي: طول القيام". معاني القرآن (٣٩٨/١). وهذا هو قول الجمهور، وهو المناسب في المعنى لقوله:﴿وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى ﴾ وبه قال مجاهد، وابن جريج، والربيع بن أنس، رحمة الله على الجميع.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٦٤/٣)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٤٣٤/١)، والتسهيل لابن جزي (١٠٧/١)، ولسان العرب لابن منظور (٧٣/٢)، ومختار الصحاح للرازي (٢٣٠/١) "قنت".

(٢) قاله مجاهد رحمه الله. روى ذلك عنه الطبري في جامع البيان (٢٦٥/٣)، وابن المنذر في تفسيره (١٩٧/١)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٦٤٨/٢). وحسن إسناده الدكتور حكمت في التفسير الصحيح (٢٧/٢).

﴿وَٱسۡجُدِي﴾ أي: صلي، لأن[٢٠/ب] الصلاة تسمى سجودًا.[١]

﴿وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ أي: صلي في الجماعة[٢]. ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَ﴾ الإيحاء: إلقاء المعنى إلى النفس في خفاء،[٣] وهذا دليل ثبوت نبوة النبي ﷺ، لأنه أنبأ بما لا يُعلم إلا من كتابٍ أو وحي، والنبي ﷺ كان أميًّا، فإنباؤه إياهم بالأخبار التي في كتبهم على حقيقتها من غير قراءة الكتب دليل على أنه نبيّ، وأن الله أوحى إليه بها.[٤]

---

(١) يؤيد ذلك ما جاء في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما: "أن رسول الله ﷺ كان إذا طاف في الحج أو العمرة أول ما يقدم سعى ثلاثة أطواف ومشى أربعة، ثم سجد سجدتين، ثم يطوف بين الصفا والمروة". أخرجه البخاري (٥٨٤/٢)، برقم: (١٥٣٧)، كتاب الحج/باب من طاف بالبيت إذا قدم مكة قبل أن يرجع إلى بيته ثم صلى ركعتين ثم خرج إلى الصفا. ومنه سمي المسجد باسم مشتق من السجود، والمراد منه موضع الصلاة.

ينظر: العين للخليل (٤٩/٦)، والمفردات للراغب (ص٢٢٣)"سجد"، والتفسير الكبير للرازي (٣٩/٨).

(٢)قال ابن القيم رحمه الله: "﴿وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ أي: صلي مع المصلين في بيت المقدس، ولم يُرِد الركوع وحده دون أجزاء الصلاة؛ ولكنه عبر بالركوع عن الصلاة، كما تقول: ركعت ركعتين، وأربع ركعات، يريد الصلاة لا الركوع بمجرده، فصارت الآية متضمنة لصلاتين؛ صلاتها وحدها عبَّر عنها بالسجود، لأن السجود أفضل حالات العبد، وكذلك صلاة المرأة في بيتها أفضل لها، ثم صلاتها في المسجد عبَّر عنها بالركوع، لأنه في الفضل دون السجود، وكذلك صلاتها مع المصلين دون صلاتها وحدها في بيتها ومحرابها، وهذا نظمٌ بديعٌ وفقهٌ دقيق". بدائع الفوائد (٦٨/١).

(٣) أصل الإيحاء في اللغة: إعلام في خفاء، والوحي: إلقاء المعنى في النفس في خفاء، فقد يكون بالملك للرسل عليهم السلام، أو يكون بالإلهام، أو بالإشارة، أو بالكتابة. قال ابن منظور: "الوحي: الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك، يقال: وَحَيْتُ إليه الكلام وأوحَيتُ، ووَحَى وَحْيًا وأوحَى، أي: كتب". لسان العرب (٣٧٩/١٥).

ينظر: العين للخليل (٣٢٠/٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٩٢/٥)، والمفردات للراغب (ص٥١٥)"وحي".

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٦٦/٣)، ومعاني القرآن للزجاج (٤١٠/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٤٣٥/١).

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾ أي: سهامهم، وإنما قيل للسهم القلم: لأنه يُقلم، أي: يُبْرى.(١) وقوله: ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ معناه: لينظروا أيهم تجب له كفالتها، وهو: الضمان للقيام بأمرها، فتدافعوا كفالتها لشدة القحط اللازم في ذلك الوقت.(٢)

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ أي: في أمرها.

وقوله: ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ﴾ أي: مُسِحَ بالتطهر من الذنوب.(٣)

---

(١) قاله الزجاج. وقال ابن عباس رضي الله عنهما، وابن جبير، والسدي: المراد بالأقلام: التي يكتب بها. وقال الربيع بن أنس: أنها العصي. والأقرب أنها الأقلام التي للكتابة، وهو ظاهر اللفظ المعروف المتبادر. وقد بوّب البخاري رحمه الله في صحيحه باباً بقوله:"باب القرعة في المشكلات وقوله:﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾، وقال بن عباس: اقترعوا فجرت الأقلام مع الجِرية، وعال قلم زكرياء الجِرية فكفلها زكرياء". صحيح البخاري (٢/٩٥٤).

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٢٦٧)، ومعاني القرآن للزجاج (١/٤١٠)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/١٦)"قلم"، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٣٧٩).

(٢) قاله سعيد بن جبير، واختاره الزجاج. وذهب جمهور المفسرين إلى أنهم تشاجروا عليها وتنازعوا فيها طلباً لكفالتها. وقول الجمهور هو الأظهر، فإن استهام القوم في كفالة مريم عليها السلام، إنما كان قبل كفالة زكريا إياها، وأن زكريا عليه السلام إنما كفلها بإخراج سهمه منها، وهو اختيار الطبري رحمه الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٢٤٤)، ومعاني القرآن للزجاج (١/٤١١)، والنكت والعيون للماوردي (١/٣٩٣)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٤٣٥).

(٣) قاله أبو سليمان الدمشقي. وقال ابن عباس: أنه كان لا يمسح بيده ذا عاهة إلا برأ. وقال الحسن، وسعيد بن جبير: أنه مُسح بالبركة. والأظهر أن هذه الأقوال وغيرها محتملة، ولا يجزم بتعيين شيئ منها إلا بدليل، وليس هناك خبر ثابت من الكتاب أو السنة بتعيين أحد هذه الأقوال، فجائز أن يكون سمي بما ذكر أو غيره والله تعالى أعلم.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٢٧٠)، وتهذيب اللغة للأزهري (٤/٢٠١)"مسح"، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٣٨٩).

﴿وَجِيهًا﴾ أي: ذا وجاهة ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾. والوجيه: الذي له قدر.(١)

﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ أي: له الزلفى والقبول والرضا ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ﴾ أي: ومكلمًا الناس ﴿فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ أي: ويكلمهم كهلًا،(٢) أعلم الله تعالى أنَّ عيسى عليه السلام يبقى إلى حالة الكهولة، يعني: ويكلم الناس صبيًّا إعجازًا، ويكلمهم أيضًا في حال كهوليته بالوحي الذي يأتيه من قِبَل الله.(٣)

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: وحاله أنه من جملة الصالحين، وهو من تمام المدح لعيسى عليه السلام، والثناء عليه. والصلاح: اسم يجمع الخير كله، وإذا بالغ الله في مدح عبدٍ له وصفه بالصلاح.(٤)

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله:" أي: له وجاهة ومكانة عند الله في الدنيا بما يوحيه الله إليه من الشريعة، وينزله عليه من الكتاب وغير ذلك مما منحه الله به، وفي الدار الآخرة يشفع عند الله فيمن يأذن له فيه، فيقبل منه أسوة بإخوانه من أولي العزم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين". تفسير القرآن العظيم (٣٦٥/١).

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٤٠١/١)، والمفردات للراغب (ص٥١٣)"وجه".

(٢) الكَهْل من الرجال: المجاوز حدّ الشباب، يقال: رجل كَهْل وامرأة كَهْلَة، والجمع كُهول، والعرب تمدح بالكهولة لأنها الحالة الوسطى في احتناك السنّ، واستحكام العقل، وجودة الرأي والتجربة.

ينظر: العين للخليل (٣٧٨/٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٤/٦)"كهل".

(٣) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٧٢/٣)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٤٣٧/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٩٠/١)، ولباب التأويل للخازن (٣٤٨/١)، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص١٣١).

(٤) الصلاح نقيض الفساد، ويشمل معاني كثيرة، منها: الصلاح في استواء الخلق، والصلاح في الدين، والصلاح في العقل، والصلاح في التدبير، والمعنى الجامع: اسم يجمع جميع خصال الخير. والصالح من بني آدم هو: المؤدي لحقوق الله عليه وحقوق عباده.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٤٥/٩)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٤٢/٤)"صلح"، وتفسير القرآن للسمعاني (٤٠٢/٣).

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ أي: بمعنى من أين؟ فكأنها قالت: ابتداء الأولاد من الآباء، ولا زوج لي فيكون والد ابني؛ فمن أين ابتدأ ولدي؟

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: الأمر كما تقولين، ولكن الله ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾: أي: لا يعجز عن خلق شيء يشاء خلقه، فيخلق لكِ ولدًا من غير ذكر، لأنه شاءه.

﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أي: أراد كون الشيء ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: كما يريد.(١)

﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ﴾ أي: الخط.(٢)﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ أي: العلم.(٣) أي: يكتب ويقرأ من غير أن يعلمه بشر، فيكون ذلك من آيات نبوته.

﴿وَرَسُولًا﴾ أي: وجيهًا وكهلًا ورسولًا، أي: وجعله رسولا، لأنه من جنس الأفعال

---

(١) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٣/٦٩)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٣٠٢)، ومجموع فتاوى ابن تيمية تيمية (١٧/٢٧٦).

(٢) قاله جمهور المفسرين. واختاره الطبري، وابن كثير. وقال السعدي:"يحتمل أن يكون المراد جنس الكتاب، فيكون ذكر التوراة والإنجيل تخصيصا لهما، لشرفهما وفضلهما واحتوائهما على الأحكام والشرائع. ويحتمل أن يكون المراد: الكتابة، لأن الكتابة من أعظم نعم الله على عباده، ولهذا امتن تعالى على عباده بتعليمهم بالقلم فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾[العلق:١-٤]". تيسير الكريم الرحمن (ص١٣١).
ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٢٧٤)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٢/٦٥٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٣٩١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٣٦٥).

(٣) جمهور المفسرين رحمهم الله على أن الحكمة هي: معرفة الحق والعمل به، والإصابة في القول والعمل. وهو اختيار الطبري، وابن عطية، وابن كثير، رحمة الله على الجميع.
ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٨٩)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٣٦٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٣٢٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٣٢٣).

المتقدمة.[١] ﴿أَنِّي﴾ أي: بأني[٢]﴿قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: بعلامة تدل على صدقي فيما ادعيته من النبوة. ﴿أَنِّيَ أَخْلُقُ﴾ أُقدِّر،[٣] أي: أجعل لكم من الطين شكلا قَدْر الطير والهيئة. والحال الظاهر من فعل ذلك أنه يطير كثير؛ وكان يطير مادام الناس ينظرون إليه، فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا،[٤] لأن الله تعالى أظهره إعجازا، ويكفي ذلك في الإعجاز.

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٢٧٤)، وإعراب القرآن للنحاس (١/٣٧٩)، وتفسير الهداية لمكي (٢/١٠١٦).

(٢) بفتح الهمزة، وفيها ثلاثة أوجهٍ: أحدها: أن موضعها جرّ بعد إسقاطِ الخافض، إذ الأصل: بأني، فـ"بأني" متعلق بـ﴿وَرَسُولًا﴾، وهذا مذهب الخليل والكسائي. والثاني: أن موضعها نصب، فهو منصوب بفعل مقدر بعد إسقاط الخافض، وهو الباء، أي: يذكر أني، وهذا مذهب سيبويه. أو أنه منصوب على البدل من ﴿وَرَسُولًا﴾ أي: إذا جعلته مصدراً مفعولاً به، تقديره: ويعلمه الكتاب ويعلمه أني قد جئتكم، جوَّزه أبو البقاء العكبري، واستبعده السمين الحلبي. والثالث: أن موضعها رفع على خبر متبدأ محذوف، أي: هو أني قد جئتكم.

ينظر: التبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/٢٦٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/٤٨٦)، والدر المصون للسمين الحلبي (٣/١٩٠).

(٣) الخلق يستعمل في كافة الناس على وجهين:

أحدهما: في معنى: التقدير، كما في هذه الآية، وقوله تعالى:﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤]، أي: أحسن المقدِّرين. والثاني في: الكذب، نحو قوله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾[العنكبوت:١٧]. قال الشنقيطي رحمه الله:"معنى خلق عيسى عليه السلام كهيئة الطير من الطين هو: أخذه شيئًا من الطين وجعله إياه على هيئة - أي: صورة - الطير، وليس المراد الخلق الحقيقي؛ لأن الله تعالى متفرد به جل وعلا ". دفع إيهام الاضطراب (ص٤٠).

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٧/١٦)، والمفردات للراغب (ص١٥٧)"خلق"، والبحر المحيط لأبي حيان (٦/٣٦٩).

(٤) قاله وهب، أورده عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٣/٧١)، والبغوي في معالم التنزيل (١/٣٠٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/٣٩٢)، والرازي في التفسير الكبير (٨/٥٠)، والقرطبي في تفسيره (٤/٩٤).

وقوله: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ﴾ أي: أصحِّحهما، وكان الغالب في زمن عيسى عليه السلام الطبّ، فأراهم الله معجزته من جنس ذلك.[١] والأكمه: الذي ولد أعمى.[٢] والأبرص: الذي به وَضَحٌ.[٣] وإنما خصّ هذين لأنهما عيَّاءان.[٤]

﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ تعالى، يعني: أسأل الله تعالى أن يحييهم فيحييهم، وكان يحي

وهو من الإسرائيليات التي تحتاج إلى نقل ثابت من الكتاب والسنة.

(١) ذكر ذلك الثعلبي في الكشف والبيان (٧٣/٣)، والبغوي في معالم التنزيل (٣٠٣/١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣٩٢/١)، والنووي في تهذيب الأسماء (٣٥٩/٢)، والرسعني في رموز الكنوز (١٨٥/١)، والخازن في لباب التأويل (٣٥٠/١)، وأبو حيان في البحر المحيط (٤٨٩/٢).

(٢) يقال: كَمِهَ، يَكْمَهُ، كَمَهًا، من باب تَعِبَ فهو أكمه، والمرأة كمهاء، والأكمه: الذي يولد لا بصر له. واختلف المفسرون في المراد بالأكمه على أقوال، أصحها: الذي يولد أعمى، وهو قول ابن عباس، وقتادة، والزجاج، وأكثر أهل اللغة. لأن ذلك أبلغ في المعجزة وأقوى في التحدي، وعلاج مثل ذلك لا يدعيه أحد من البشر، إلا من أعطاه الله مثل الذي أعطى عيسى عليه السلام، ولو كان مما احتج به عيسى عليه السلام على بني إسرائيل في نبوته أنه يبرىء الأعمش، أو الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل، لقدروا على معارضته، وهذا اختيار الطبري، وابن كثير، رحمة الله على الجميع.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٧٦/٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢١/٦)"كمه"، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٩٢/١)، والتفسير الكبير للرازي (٥١/٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٦٥/١).

(٣) أصل الوَضَح: البياض، وكل أبيض وَضَحٌ، وبه سمي الوَضِح لبياض الصبح وبياض البرص وبياض الغرة والتحجيل في القوائم.

ينظر: العين للخليل (٢٦٦/٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٠٢/٥)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (١٩٤/٥)"وضح".

(٤) أي: إنما خص هذين المرضَين لأنهما أعيا الأطباء، ولا يرجى زوالهما، ولا حيلة للمخلوقين فيهما، وكان زمن الأطباء فظهرت بهما المعجزة.

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٧٢/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٠٣/١)، وتهذيب الأسماء للنووي (٣٥٩/٢).

الأموات بـ يا حيّ يا قيوم.[١] ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ أي: أخبركم بذلك مما لم أعاينه.[٢] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ وقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ليس معناه: إن آمنوا صارت [٢١/أ] هذه آية؛ لأنها في نفسها آيةٌ، آمنوا أو كفروا، وإنما المراد: من كان من شأنه الإيمان عند مشاهدة الآيات فليؤمن، فقد جاءته الآيات.[٣]

قوله: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ المعنى: وجئتكم مصدقًا للكتاب الذي أنزل قبلي، فهو أحرى أن تتبعوني.

﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ وذلك كتحليل العمل في السبت، وأكل الشحوم، وغير ذلك مما أحل الله ﷻ لهم على لسان عيسى عليه السلام، كما قال: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾[الأنعام: ١٤٦]، الآية.[٤]

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٧٣/٣)، والرازي في التفسير الكبير (٥١/٨)، عن الكلبي، وذكره الرسعني في رموز الكنوز (١٨٦/١) عن ابن السائب. وهو من الإسرائيليات التي تحتاج إلى نقل ثابت من الكتاب والسنة.

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٧٨/٣)، وتفسير ابن المنذر (٢١٠/١)، والكشف والبيان للثعلبي (٧٣/٣).

(٣) قال الطبري رحمه الله:"يعني: إن كنتم مصدقين حجج الله وآياته، مقرين بتوحيده ونبيه موسى والتوراة التي جاءكم بها". جامع البيان (٢٨١/٣).

ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٤٤١/١)، والتفسير الكبير للرازي (٥١/٨)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤٩٠/٢).

(٤) روى الطبري في جامع البيان (٢٨٢/٣) عن قتادة قال:"كان الذي جاء به عيسى عليه السلام ألين مما جاء به موسى عليه السلام ، وكان قد حُرِّم عليهم فيما جاء به موسى عليه السلام لحوم الإبل والثروب وأشياء من الطير والحيتان". وحسن إسناده الدكتور حكمت في التفسير الصحيح (٣٠/٢). ورواه بنحوه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٦٥٧/٢) عن الربيع بن أنس.

﴿وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: بهذا الإحلال، لأن الله تعالى جعل من علامات عيسى عليه السلام الذي أوجب عليهم إتباعه، أن يحلّ على لسانه لهم ذلك، فلما أخبرهم به ذكرهم ما في التوراة من ذلك، وجعله آية أخرى لوجوب طاعته، ولهذا اتبعه بقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ أي: قد تظاهرت الآيات، وتجاوبت العلامات، وتأكدت عليكم الحجج، فاحترزوا من سخط الله بأن تطيعوني.(١) ثم أقرّ على نفسه بالعبودية، لِمَا كان أظهر من المعجزة نفيًا للشبهة، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ﴾ أي: علم ووجد منهم الكفر.(٢) ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ أي: مع الله، يعني: من يضيف نصرتَه إيّاي إلى نصرة الله، كقوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، أي: على جذوع النخل.(٣)

---

(١) قال ابن تيمية رحمه الله: "وأما المسيح فإنه قال: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ فأحل لهم بعض المحرمات، وهو في الأكثر متبع لشريعة التوراة، ولهذا لم يكن بد لمن اتبع المسيح من أن يقرأ التوراة ويتبع ما فيها إذ كان الإنجيل تبعا لها، وأما القرآن فإنه مستقل بنفسه لم يحوج أصحابه إلى كتاب آخر، بل اشتمل على جميع ما في الكتب من المحاسن وعلى زيادات كثيرة لا توجد في الكتب، فلهذا كان مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه". مجموع الفتاوى (١٩/١٨٤).

(٢) أصل الإحساس: الإدراك ببعض الحواس وهي: السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس، يقال: أحسستُ بالشيء وحسستُ به فهو مُحَسٌّ، إذا علم علماً لا لبس فيه. والمراد: أنه وجد وعلم وتحقق منهم ببعض التصميم على الكفر والإستمرار على الضلال.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٩٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (٣/٢٦١)، والمفردات للراغب (ص١١٦)" حس".

(٣) وبه قال السدي، وابن جريج، وسفيان الثوري، وأبو عبيدة. وقالوا: بأن حروف الخفض يبدل بعضها من بعض، واحتجوا بما ذكره المؤلف بقوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، قالوا: معنى (في) بمعنى: (على). وقال مجاهد: ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ أي: من يتبعني إلى الله. والقول الثاني

قوله: ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ الحواري: خاصة الرجل،[1] وذلك أن مريم سلمت عيسى عليه السلام إلى رئيس الحواريين، وكانوا قصَّارين صبَّاغين؛ ليتعلم منه الصبغ، فاجتمع عنده ثياب كثيرة، وعرض له سفر، فقال لعيسى عليه السلام: إنك قد تعلمت هذه الحرفة، وأنا خارج في سفر، لا أرجع إلى عشرة أيام، وهذه ثياب مختلفة الألوان، وقد أعلمت على كل واحد منها بخيط على اللون الذي يصبغ به، فيجب أن تكون فارغًا منها وقت قدومي، وخرج فطبخ عيسى عليه السلام حُبًّا[2] واحداً على لون واحد، وأدخله جميع الثياب وقال لها: كوني بإذن الله على ما أريد منك، فقدم الحواري والثياب كلها في الحُبّ، فقال: ما فعلت؟ قال: فرغت منها، قال: أين هي؟ قال: في الحُبّ، قال: كلها؟ قال: نعم، قال كيف تكون كلها في حُبّ واحد؟! لقد أفسدت تلك الثياب، فقال: قم فانظر؛ فأخرج عيسى عليه السلام ثوبًا أصفر، وثوبًا أخضر، وثوبًا

هو الأصح، لأن لكل حرف معناه، وإنما يتفق الحرفان لتقارب المعنى، فقوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ كان الجذع مشتملا على من صُلب، ولهذا دخلت (في)؛ لأنه قد صار بمنزلة الظرف. قال ابن كثير رحمه الله: "وقول مجاهد أقرب، والظاهر أنه أراد من أنصاري في الدعوة إلى الله". تفسير القرآن العظيم (١/٣٦٦).

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٢٨٤)، ومعاني القرآن للزجاج (١/٤١٦)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٤٠٥)، ورموز الكنوز للرسعني (١/١٨٨).

(١) ﴿ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ جمع حواري، مشتق من الحَوَر وهو البياض، وهم أتباع عيسى عليه السلام كالصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ، سموا بذلك لصفاء قلوبهم، وحواري الرجل: صفيه وخاصته، والحواريّ: الناصر، ويسَمَّى كل من تبع نبياً ونصره: حوارياً؛ تسمية له باسم أولئك وتشبيهاً بهم. وذكر الأزهري عن أبي عبيد: بأن أصل هذا كان بَدْؤه من الحواريين أصحاب عيسى عليه السلام.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٢٨٧)، ومعاني القرآن للزجاج (١/٤١٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (٥/١٤٧)، والمفردات للراغب (ص١٣٤)"حور".

(٢) الحُبّ: الجرّة والخابية يجعل فيها الماء، والجميع: الحبَاب والحِببَة. والحبُّ: القُرط من حبة واحدة.

ينظر: العين للخليل (٣/٣١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٤/٧)"حب"، ولسان العرب لابن منظور (١/٢٩٥)"حبب".

أحمر، إلى أن أخرجها على الألوان التي أرادها، فجعل الحواري يتعجب، فعلم أنَّ ذلك من الله تعالى، فقال للناس: تعالوا وانظروا إلى ما صنع، فآمن به هو وأصحابه، فهم الحواريون.(١)

﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ أي: أعوان دينه.(٢) ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ﴾ أي: يا عيسى ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ أي: الذين شهدوا لأنبيائك بالصدق.(٣)

قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟﴾ يعني: كفار بني إسرائيل دبروا في قتل عيسى عليه السلام.

والمكر: ألطف التدبير،(٤) وذلك أن عيسى عليه السلام بعد إخراج قومه إياه وأمّه من بين أظهرهم

---

(١) القصة أوردها الثعلبي في الكشف والبيان (٣/٧٦)، والبغوي في معالم التنزيل (١/٣٠٦)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤/٩٧) عن عطاء بدون سند. وهو من أخبار أهل الكتاب التي لم أجد عليها دليلا من الكتاب والسنة.

(٢) الأنصار: جمع نصير، كما الأشراف جمع: شريف، والأشهاد: جمع شهيد، والنصر والنصرة: العون، والأنصار: جماعة الناصر، وأنصار النبي ﷺ أعوانه، ونصرة الله للعبد ظاهرة، ونصرة العبد لله هو: نصرته لدينه وشرعه والداعي إليه، والقيام بحفظ حدوده، ورعاية عهوده، واعتناق أحكامه، واجتناب نهيه.
ينظر: العين للخليل (٧/١٠٨)، والمفردات للرغب (ص٤٩٥)"نصر"، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٣٦٦).

(٣) قاله الزجاج. واختار الطبري العموم، وهو الصحيح، فقال:" يقول: فأثبت أسماءنا مع أسماء الذين شهدوا بالحق، وأقروا لك بالتوحيد، وصدقوا رسلك، واتبعوا أمرك ونهيك، فاجعلنا في عدادهم ومعهم، فيما تكرمهم به من كرامتك وأحلنا محلهم". جامع البيان (٣/٢٨٨).
ينظر: معاني القرآن للزجاج (١/٤١٨)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٤٠٧)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٧٨)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/٤٩٥).

(٤) المكر: صرف الغير عما يقصده بحيلة، وذلك ضربان: مكر محمود، وذلك أن يفعل ذلك بمن يستحق أن يمكر به. ومذموم، وهو: أن يدبر ذلك بمن لا يستحقه. وجمع الله تعالى بين المكرين في هذه الآية.
ينظر معاني المكر في: العين للخليل (٥/٣٧٠)، والمفردات للراغب (ص٤٧١)، ومختار الصحاح للرازي

عاد إليهم مع الحوارين، وقام فيهم بالدعوة، فهمُّوا بقتله، وتواطئوا على القتل، فذلك مكرهم.(١) ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ أي: جازاهم على مكرهم.(٢) ومكر الله تعالى بهم في هذه الآية: إلقاء الشبه على صاحبهم الذي أراد قتل عيسى عليه السلام حتى قُتل، وصُلب ورُفع عيسى عليه السلام إلى السماء،(٣) وذلك أن مَلِك بني إسرائيل أراد قتل

(٢٦٣/١)، وتاج العروس للزبيدي (١٤٧/١٤)"مكر".

(١) روى ذلك الطبري في جامع البيان (٢٨٨/٣) عن السدي، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (٧٨/٣)، والبغوي في معالم التنزيل (٣٠٦/١)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٩٨/٤).

(٢) هذا قول الطبري، والزجاج، والنحاس، وابن عطية، وغيرهم من المفسرين. وذهب آخرون من أهل العلم، واختاره ابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، وهو الصحيح: أن المكر ههنا يثبت لله كما أثبته لنفسه العلية، وذلك على سبيل المقابلة، وعلى ما يليق بجلاله تعالى، وليس مكره كمكر المخلوقين، كما أن ذاته ليست كذات المخلوقين، وفي الآية ما يدل على هذا وهو قوله تعالى:﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ فأثبت جل وعلا لنفسه مكراً مغايراً لمكر المخلوقين، وهو بريء من الظلم وسائر النقائص. ويؤيد هذا: أن الأصل في الألفاظ حملها على حقيقتها، لا أن نقول: من باب المجازاة والمشاكلة. فالمكر حسن إذا كان على وجه المقابلة، لا على وجه الظلم، فلا يوصف الله بالماكر مطلقاً، لأنها صفة مذمومة يتنزه عنها المخلوق فضلاً عن الخالق، ولكن يوصف بها سبحانه إذا كانت في مقابل الماكرين، فيقال: الله يمكر بالماكرين، كما قال جل وعلا: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[النمل:٥٠].

ينظر: جامع البيان للطبري (١٩٩/٢)، ومعاني القرآن للزجاج (٤١٩/١)، ومعاني القرآن للنحاس (٤٠٨/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٤٤٣/١)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٤٧١/٢٠)، وإعلام الموقعين لابن القيم (٣٦٨/٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٦٦/١)، وفتح القدير للشوكاني (٣٤٤/١).

(٣) إن الله تعالى لم يبين هنا مكر اليهود بعيسى عليه السلام، ولا مكر الله باليهود؛ ولكنه بين في موضع آخر أن مكرهم به محاولتهم قتله وذلك في قوله:﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [النساء:١٥٧]؛ وبين أن مكره بهم إلقاؤه الشبه على غير عيسى عليه السلام، وإنجاؤه لعيسى عليه السلام في قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[النساء:١٥٧]، وقوله:﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾[النساء:١٥٧-١٥٨]. قال ابن كثير:"وكان هذا من مكر الله بهم، فإنه نجى نبيه، ورفعه من

عيسى عليه السلام، وقصده أعوانه فدخل خَوخَة[(١)] فيها كُوّة،[(٢)] فرفعه جبريل عليه السلام من الكوّة إلى السماء، فقال الملِك لرجل منهم خبيث: أُدخل عليه فاقتله؟ فدخل الخَوخَة، فألقى الله تعالى عليهُ شبه عيسى عليه السلام فخرج إلى أصحابه يخبرهم أنه ليس في البيت؛ فقتلوه وصلبوه، وظنوا أنه عيسى عليه السلام.[(٣)]

فلما كان بعد سبعة أيام قال الله ﷻ لعيسى عليه السلام: اهبط على مريم المجدلانية في جبلها، فإنه لم يبك عليك أحد بكاءها، ولم يحزن عليك أحد حُزنها، فأنزل عليها، وبرّها وليجتمع لك الحواريون، فبثهم في الأرض دعاة إلى الله ﷻ، وكانت قصة مريم المجدلانية أنها كانت من بني إسرائيل من قرية من قرى أنطاكية[(٤)] يقال لها: مجدلان،[(٥)] وكانت امرأة صالحة، وكانت

بين أظهرهم". تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٦٦/١).

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٨٨/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٠٦/١)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٤٧١/٢٠)، وإغاثة اللهفان لابن القيم (١١٤/٢)، وأضواء البيان للشنقيطي (٢٠١/١).

(١) الخَوخَة: بفتح الخاءين، فتحة بين بيتين أو دارين ينصب عليها باب.

ينظر: العين للخليل (٣١٧/٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٤٩/٧)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٢٤٧/١)"خوخ".

(٢) الكُوّة والكَوّة: -بضم الكاف وبفتحها وتشديد الواو- ويجمع على كُوى، وهي: الطاقة في الجدار للضوء.

ينظر: العين للخليل (٤٢١/٥)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٣٤٨/١)، وتاج العروس للزبيدي (٤٢٣/٣٩)"كوي".

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٧٩/٣)، والبغوي في معالم التنزيل (٣٠٧/١)، عن ابن عباس. وذكر نحوه الفراء في معاني القرآن (١٧١/١).

(٤) أَنْطَاكِيَة: مدينة عظيمة بالشام على ساحل البحر، موصوفة بطيب الهواء، وعذوبة الماء، وكثرة الفواكه، الفواكه، وسعة الخير، وكل شيء عند العرب من قبل الشام فهو أنطاكية. وهي تقع الآن على بعد ٣٠ كم من شاطئ البحر المتوسط، في محافظة هتاي التركية.

ينظر: معجم ما استعجم للبكري (٢٠٠/١)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (٢٦٦/١)، والمعطار في خبر الأقطار للحميري (ص٣٨).

(٥) المجدلان: اسم موضع في أنطاكية نسبت إليه مريم عليها السلام.

تستحاض فلا تطهر، فخطبها أشراف بني إسرائيل فامتنعت، فظنوا أنها ترفعت بنفسها عنهم، ولم يكن ذلك ترفُّعا، وإنما أرادت إخفاء علتها عنهم، فلما سمعت بمجيء عيسى ﷺ وما كان الله يشفي على يديه من الزَّمنى[1] والمرضى، أقبلت على عيسى عليه السلام رجاء الشفاء، فلما رأت عيسى وما ألبسه الله من الهيئة استحيت فانصرفت إلى الوراء، ووضعت يدها على ظهر عيسى عليه السلام، فقال عيسى عليه السلام: لقد مسني ذو عاهةٍ بيِّنةٍ حسنة، ولقد أعطاه الله تعالى ما رجاه وطهَّره، فأذهب الله عنها ما بها، فبرأت وطهرت، فلما أمر الله تعالى عيسى عليه السلام بالنزول عليها بعد سبعة أيام من رفعه وأهبطه الله عليها اشتعل الجبل حين هبط نورًا، فجمعت له الحواريين فبثَّهم في الأرض دُعاة الله عزّ وجلّ،[٢١/ب] ثم رفعه الله تعالى إليه، فألبسه النور، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب، فكان إنسيًّا مَلَكيًّا أرضيًّا سمائيًّا.[2]

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ ﴾ تعالى ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ في نومك من الدنيا من غير موت، يقال: توفيته، أي أخذته تامًا.[3]﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي:

ينظر: تاريخ الطبري (١/٣٥٤)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (٥/٥٦)، ونهاية الأرب للنويري (١٤/١٩٢).

(١) الزَّمنَى: من الزَّمِن، وهو: المبتلى وقد زَمِنَ زَمَانَة، وجمعه: الزَّمْنَى على وزن فَعْلَى وعلى هذا الوزن سائر أصحاب الآفات كالمرضى والصرعى والجرحى والقتلى والأسرى والهلكى والصعقى. والزمانة: العاهة إذا لزم الإنسان، وأزمن الشيء: طال عليه الزمان، وَالزَّمِن: الذي طال مرضه وبلاؤه.

ينظر: العين للخليل (٧/٣٧٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٣/١٥٨)، ولسان العرب لابن منظور (١٣/١٩٩)"زمن".

(٢) روى القصة بنحوها الطبري في تاريخه (١/٣٥٤) عن ابن إسحاق، وذكرها الثعلبي في الكشف والبيان (٣/٧٩) عن وهب بن منبه، والبغوي في معالم التنزيل (١/٣٠٧) عن ابن عباس، وابن الأثير في الكامل (١/٢٣٥). وحاصلها راجع إلى أخبار بني إسرائيل؛ إذ ليس فيه حديث صحيحٌ مرفوعٌ إلى الصادق المصدوق ﷺ.

(٣) قاله: الربيع بن أنس. وقال ابن عباس، ووهب ابن منبه: إني قابض روحك بالموت. والقول الأول هو الأصح، إذ لو أراد بذلك الموت حقيقة، لكان عيسى عليه السلام في ذلك كسائر المؤمنين؛ فإن الله يقبض

مخرجك من بينهم. ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾ أي: في دِينك ﴿فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ هم أهل الإسلام الذين اتبعوا دينه وسنته في التوحيد من أمة محمد ﷺ.(١)

أرواحهم ويعرج بها إلى السماء، فعلم أن ليس في ذلك خاصية، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، ولو كان قد فارقت روحه جسده لكان بدنه في الأرض كبدن سائر الأنبياء أو غيره من الأنبيـاء، وقد قال سبحـانه وتعالى في الآية الأخرى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ﴾ [النساء:١٥٧-١٥٨]، فقوله هنا: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ﴾، يبين أنه رفع بدنه وروحه، إذ لو أريد موته لقال: وما قتلوه وما صلبوه بل مات. ولأنه لو كان قد أماته الله ﷻ لم يكن بالذي يميته ميتة أخرى فيجمع عليه ميتتين؛ لأن الله ﷻ إنما أخبر عباده أنه يخلقهم ثم يميتهم ثم يحييهم. وهذا اختيار الطبري، وابن تيمية، رحمة الله على الجميع.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٢٨٩)، والنكت والعيون للماوردي (١/٣٩٧)، ولباب التأويل للخازن (١/٣٥٦)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٤/٣٢٢).

(١) وبه قال قتادة، والربيع، والشعبي، ومقاتل، والكلبي، والسدي، وابن جريج، والحسن. وقال ابن زيد: هم النصـارى، فهم فوق اليهود، واليهود مسـتذلون مقهورون. والقول الأول هو الأظهر، لما ثبت في الصـحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسـول الله ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسـى بن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلّات، أمهاتهم شـتى ودينهم واحد، وليس بيني وبينه نبيّ». صـحيح البـخاري (٣/١٢٧٠)، بـرقـم: (٣٢٥٩) كـتـاب الأنـبـيـاء/بـاب ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾[مريم:١٦]. ومسلم (٤/١٨٣٧)، برقم: (٢٣٦٥)، كتاب الفضائل/باب فضائل عيسى عليه السلام. قال ابن كثير رحمه الله: "فلما بعث الله محمدًا ﷺ كان من آمن به هم أتباع كل نبي على وجه الأرض، فكانوا أولى بكل نبي من أمته...". تفسير القرآن العظيم (١/٣٦٧).

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٢٩٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٣٩٧)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٣٠٩).

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي يتلوه جبريل عليك،[١] يعني: ما تقدم من أخبار عيسى ومريم عليهما السلام. ﴿وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾ أي: القرآن.[٢]وسماه حكيمًا لأنه فيه من الدلالة منزلة ناطقة بالحكمة. ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ﴾ الآية، أي: لا تنكروا خلق الله عيسى بلا أب، فقد خَلَق آدم من تراب بلا أب ولا أم.

﴿قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: فكان.[٣] ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: الذي أنبأناك به في قصة عيسى عليه السلام هو الحق من ربك.[٤]

---

(١) أسند جل وعلا تلاوتها إلى نفسه، لأنها كلامه الذي أنزله على رسوله ﷺ بواسطة الملك، وأمر الملك أن يتلوه عليه مبلغاً عنه جل وعلا. قال ابن تيمية رحمه الله:"إن القرآن المسموع هو كلام الله لا كلام غيره، سمعه جبريل عليه السلام من الله، وسمعه النبي ﷺ من جبريل عليه السلام، وسمعه المسلمون من نبيهم ﷺ، ثم بلغه بعضهم إلى بعض، وليس لأحد من الوسائط فيه إلا التبليغ بأفعاله وصوته، لم يحدث منهم أحد شيئا من حروفه ولا نظمه ولا معانيه، بل جميع ذلك كلام الله تعالى". مجموع فتاوى ابن تيمية (١٢/١٧٢).

ينظر: جامع البيان للطبري (١٠/٧٩)، والرد على الجهمية للدارمي (ص١٥٥)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص١٨٨)، وأضواء البيان للشنقيطي (٧/١٨٦).

(٢) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٢٩٤)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٨٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٣٠٩)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٣٩٧).

(٣) بهذا فسره ابن عباس، وذهب إليه أكثر المفسرين والنحويين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٢٩٦)، وإعراب القرآن للنحاس (١/٣٨٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/٥٠٢)، والدر المصون للسمين الحلبي (٣/٢٢٠).

(٤) قال ابن كثير رحمه الله:"إن مثل عيسى عليه السلام عند الله في قدرة الله حيث خلقه من غير أب كمثل آدم عليه السلام حيث خلقه من غير أب ولا أم، بل خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون، فالذي خلق آدم من غير أب قادر على أن يخلق عيسى بطريق الأولى والأحرى؛ وإن جاز ادّعاء البنوّة في عيسى عليه السلام لكونه مخلوقًا من غير أب فجواز ذلك في آدم بالطريق الأولى؛ ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل، فدعواه في عيسى عليه السلام أشد بطلانًا وأظهر فسادًا؛ ولكن الرب جل جلاله أراد أن يظهر قدرته لخلقه حين خلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، كما خلق بقية البرية

﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ أي: من الشاكين،[١] والخطاب للنبي ﷺ، والمراد به الأمة.[٢]

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ الآية، أي: بعد ما أنزلنا العلم في حقيقة أمر عيسى عليه السلام، وأوضحنا الحال وبيّنا الأدلة على وحدانيّتنا، فمن حاجّك فحقه أن يُدعى إلى المباهلة، لأن في حجاجه مباهت يقول بلسانه مالا يحققه بفؤاده، فهو لذلك لا يجسُر على المباهلة. وقوله تعالى:﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ والإنسان لا يدعو في الحقيقة نفسه؛ فالمراد: ونحضر بأنفسنا ويحضر أهالينا وأولادنا، وإنما أدخل الأولاد والنساء؛ ليُعلم يقينه وثقته وأمنه، لأن الإنسان يقي عياله بنفسه، فلو لم يكن مُتيقنا لما خاطر بعياله.[٣] ومعنى ﴿نَبْتَهِلْ﴾ نلتعن، يقال: عليه بهلة الله، أي:

من ذكر وأنثى، ولهذا قال تعالى:﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾[مريم:٢١]... هذا هو القول الحق في عيسى عليه السلام الذي لا محيد عنه ولا صحيح سواه وماذا بعد الحق إلا الضلال". تفسير القرآن العظيم (٣٦٨/١).

(١)﴿ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ من المرية، وهي: الشك في الأمر، ومنه الامتراء والتماري، وكذلك المماراة بين الناس. ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢٠٤/١٥)"مري"، ولسان العرب لابن منظور (٢٧٥/١٥)"مزا".

(٢) قاله جمهور المفسرين. قال القرطبي رحمه الله:"الخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته، لأنه ﷺ لم يكن شاكًا في أمر عيسى عليه السلام. الجامع لأحكام القرآن (١٠٣/٤). وقال الألوسي رحمه الله:"الخطاب للنبي عليه السلام على طريقة الإلهاب والتهييج؛ لزيادة التثبيت، لأن النهي عن الشيء حقيقة يقتضي أن يتصور صدور المنهي عنه من المنهي، ولا يتصور كونه عليه السلام شاكًا في صحة ما أنزل عليه، والمعنى: دم على يقينك وعلى ما أنت عليه من الاطمئنان على الحق والتنزه عن الشك فيه". تفسير روح البيان (٣٥/٢). ينظر: معاني القرآن للنحاس (٤١٣/١)، وتفسير القرآن للسمعاني (٣٢٦/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٩٨/١)، والتفسير الكبير للرازي (٦٩/٨).

(٣) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٨٤/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣١٠/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٥٠٢/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٧٢/١).

لعنة الله.[١] فلما دعاهم إلى المباهلة صالحوه على ألف حُلَّة في رجب، وألفٍ في صفر، ولم يتجاسروا إلى المباهلة.[٢]

لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله ﷺ عليًّا وفاطمةَ وحسنًا وحسينًا ﵃ فقال: اللهم هؤلاء أهلي.[٣] وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ المشار إليه بهذا ما ذُكر من شأن عيسى ﵇، أي: هو الكلام الصدق، والمعنى الحق. وقوله:﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ أي: أعرضوا عن الإيمان.

---

(١) أصل البهل: كون الشيء غير مراعَ، والباهل: البعير المخلَّى عن قيده، يقال: أبهلت فلانًا: إذا خليتُه وإرادتَه، تشبيهًا بالبعير الباهل. والبهل والابتهال في الدعاء: الاجتهاد فيه والتضرع.قال الراغب:"ومن فسر الابتهال باللعن فلأجل أن الاسترسال في هذا المكان لأجل اللعن". المفردات (ص٦٣)"بهل". وظاهر هذا أن الابتهال عام في كل دعاءٍ لعنًا كان أو غيره، ثم خُصّ في هذه الآية باللعن. وقال الزجاج:"ومعنى الابتهال في اللغة: المبالغة في الدعاء، وأصله: الالتعان، يقال بَهَله الله، أي: لعنه الله". معاني القرآن (٤٢٣/١).

ينظر: التفسير الكبير للرازي (٧٣/٨)، ولسان العرب لابن منظور (٧١/١١)، ومختار الصحاح للرازي (٢٧/١)"بهل".

(٢) قصة المباهلة رواها ابن المنذر في تفسيره (٢٣٠/١)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٦٦٧/٢) عن الربيع والشعبي والحسن والسدّي مرفوعا. وأوردها الثعلبي في الكشف والبيان (٨٥/٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣٨٥/٥)، والبغوي في معالم التنزيل (٣١٠/١)، وذكرها ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٣٧٠/١)، ثم قال:"قصة وفد نجران مطولة جدًا.. فيه فوائد كثيرة، وفيه غرابة". وحديث الملاعنة لوفد نجران دون ذكر سبب النزول ثبت من طريق أخرى منها ما رواه البخاري في صحيحه عن حذيفة ﵁ قال: جاء العاقب والسيّد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه، فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبيًّا فلاعنَنَا لا نفلح نحن ولا عقِبُنَا من بعدِنا؛ قالا: إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلًا أمِينًا ولا تبعث معنا إلا أمينًا، فقال:«لأبعثن معكم رجلًا أمينًا حقَّ أمينٍ»، فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ فقال:«قم يا أبا عبيدة بن الجرَّاحِ؟» فلما قام، قال رسول اللّهِ ﷺ :«هذا أمين هذه الأمة». صحيح البخاري (١٥٩٢/٤) برقم: (٤١١٩) كتاب المغازي/باب قصة أهل نجران.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١٨٧١/٤)، برقم: (٢٤٠٤)،كتاب فضائل الصحابة ﵃/باب من فضائل علي بن أبي طالب ﵁، من حديث سعد بن أبي وقاص ﵁.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ أي: الذين يعبدون غير الله، ويدعون الناس إلى عبادة غير الله، فيجازيهم على إفسادهم. ومعنى ﴿كَلِمَةٖ﴾: كلام فيه شرح قصة وإن طال.(١)

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ﴾ أي: مستوية تامة.(٢)

﴿بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾ أي: كلمة عدل.(٣)

﴿أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ المعنى: تعالوا إلى أن لا نعبد إلا الله، ونترك عبادة غير الله تعالى.

وقوله: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: نرجع إلى أن معبودنا الله، وأن

---

(١) الكلمة: تطلق على معانٍ، ومنها: الجملة المفيدة كما قال هاهنا: ﴿كَلِمَةٖ﴾ ثم وصفها بقوله: ﴿سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾ أي: عدل ونَصَف نستوي نحن وأنتم فيها، لا يختلف فيها التوراة والإنجيل والقرآن، والعرب تسمي كل قصة أو قصيدة لها أول وآخر وشرح: "كلمة"، تقول العرب: قال زهير في كلمته، يراد: في قصيدته. وتفسير الكلمة قوله تعالى: ﴿أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

ينظر: الكامل في اللغة والأدب لابن المبرد (٩/٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٤١٧/١)، والكشاف للزمخشري (٨٧/١).

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٤٢٤/١)، والمفردات للراغب (ص٢٥١)"سوا"، ومعالم التنزيل للبغوي (٣١١/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٥١٧/١).

(٣) وبه قال جمهور المفسرين وأهل اللغة. أي: كلمة عادلة مستقيمة مستوية، فإذا آمنا بها نحن وأنتم كنا على السواء والاستقامة. و﴿سَوَآءِۭ﴾ نعت للكلمة، يريد: ذات سواء. قال الرازي:"والسواء هو: العدل والإنصاف، وذلك لأن حقيقة الإنصاف إعطاء النَّصَف، فإن الواجب في العقول ترك الظلم على النفس وعلى الغير، وذلك لا يحصل إلا بإعطاء النَّصَف، فإذا أنصف وترك ظلمه أعطاه النَّصَف فقد سوى بين نفسه وبين غيره وحصل الاعتدال، وإذا ظلم وأخذ أكثر مما أعطى زال الاعتدال، فلما كان من لوازم العدل والإنصاف التسوية؛ جعل لفظ التسوية عبارة عن العدل". التفسير الكبير (٧٦/٨).

ينظر: تفسير القرآن لابن أبي حاتم (٦٦٩/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٨٦/١٣)"استوى"، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (٢٦٨/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٤٤٩/١).

عيسى بشر كما أننا بشر، فلا نتَّخِذْهُ ربًّا.(١) ومعنى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أي: أنا مقرون بالتوحيد مستسلمون لما أتتْنا به الأنبياء من قِبَل الله.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: فيقولون: إنه كان يهوديًّا ونصرانيًّا. ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي: حكم اليهودية يتعلق بالتوراة، وحكم النصرانية يتعلق بالإنجيل، وهما أنزلا بعد إبراهيم، فكيف يكون إبراهيم يهوديا أو نصرانيا؟. ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ﴾ ها: للتنبيه، أنتم: خطاب، هؤلاء: للتنبيه، وأولاء: بمعنى: الذين،(٢) أي: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أي: في أمر محمد ﷺ، لأنهم كانوا يعلمونه بما يجدون من نعته وصفته في كتابهم، فحاجوا فيه بالباطل. ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ من حديث إبراهيم عليه السلام، فليس في كتابكم أنه كان يهوديًّا أو نصرانيًّا، فليس لكم كتمان ما علمتم، ولا الشروع فيما لا علم لكم به.(٣) ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ثم نزَّه الله إبراهيم عليه السلام من دعاويهم فقال تعـــالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

الحنيف: هو الذي يوحِّد، ويحُجّ، ويُضحي، ويختتن، ويستقبل القبلة، وهو أشمل الأديان وأحبها إلى الله تعالى، وأهله أكرم الخلق [٢٢/أ] على الله.(٤)

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٠٢/٣)، ومعاني القرآن للزجاج (٤٢٦/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٧٢/١).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٤٥٠/١)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (٢٦٩/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٥١٠/٢)، والدر المصون للسمين الحلبي (٢٣٥/٣).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٠٦/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣١٢/١)، والتفسير الكبير للرازي (٧٩/٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠٨/٤).

(٤) أصل الحَنَف: اعوجاج في الرِّجل إلى داخل، ورجل أحنف، أي: مائل الرجلين، والحنيف: المائل عن

﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ ﴾ يعني: محمداً ﷺ، أي: فهم الذين ينبغي أن يقولوا: إنا على دين إبراهيم، ولهم ولايته.(١)

وقوله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: يتولى نصرهم؛ لأن حزبه هم الغالبون، ويتولى مجازاتهم بالحسنى.(٢)

﴿ وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ ﴾ أي: يستزلونكم ويردونكم إلى الكفر.(٣)

الشرك إلى الإيمان، وعن الضلال إلى الاستقامة، وجمعه: حنفاء، وسمت العرب كل من حج أو اختتن: حنيفا؛ تنبيهًا أنه على دين إبراهيم عليه السلام.

ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/١١٠)، المفردات للراغب (ص١٣٣)"حنف".

(١) ورد هذا المعنى في تفسير النبي ﷺ للآية الكريمة، كما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:«إن لكل نبي ولاة من النبيين، وإن وليي أبي وخليل ربي، ثم قرأ:﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾». أخرجه أحمد في مسنده (١/٤٢٩)، برقم: (٤٠٨٨)، والترمذي في سننه (٥/٢٢٣)، برقم: (٢٩٩٥) كتاب تفسير القرآن/باب من سورة آل عمران، والبزار في مسنده (٥/٣٤٥)، برقم: (١٩٧٣)، والطبري في جامع البيان (٣/٣٠٨)، وابن المنذر في تفسيره (١/٢٤٧)، والحاكم في المستدرك (٢/٣٢٠)، برقم: (٣١٥١) وصححه على شرط الشيخين، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/٤٣١)، برقم: (٢١٥٨).

(٢)﴿وَلِيُّ ﴾: فعيل، بمعنى: فاعل من قولهم: ولي فلان الشـيء يليه ولاية فهو والٍ ووليّ، وأصـله من: "الوَلْيْ" الذي هو القرب، ومنه يقال: داري تلي دارها، أي: تقرب منها، ومنه يقال: للمحب المعاون: وليّ، لأنه يقرب منك بالمحبة والنصرة ولا يفارقك، والله تعالى وليّ المؤمنين، بأن يتولى نصرهم وإرشادهم، ولا يكلهم إلى غيره، ويتولى يوم الحســـــاب ثوابهم وجزاءهـــم، وهو المتولي لأمور العالم والخلائق القائم بها ﷻ.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (١/٤١٩)، والمفردات للراغب (ص٥٣٣)"ولي".

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، ومقاتل بن سليمان، والثعلبي، والبغوي.

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/١٧٥)، وجامع البيان للطبري (٣/٣٠٨)، وزاد المسير لابن الجوزي

﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: وما يهلكون إلا أنفسهم؛ لأنهم استحقوا العذاب بإرادة الضلال. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يطّلعون على عاقبة ذلك.[١]

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ أي: أنتم تشهدون أنها آيات الله، لأنكم كنتم تخبرون بأمر النبي ﷺ قبل مبعثه.[٢] والمعنى: لأي شيء تكفرون ؟.[٣]

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ أي: لم تغطون الحق بباطلكم.[٤]

﴿وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه الحق. ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية، تواطأ اثنا عشر حبرًا من يهود خيبر وقُرى عربيــة فقال بعضهم لبعض: ادخلوا في ديــن

(٤٠٤/١)، ومختار الصحاح للرازي (١٦٠/١)"ضلل".

(١) ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يعلمون أنهم يضلون أنفسهم. يقال: شعرت بمعنى علمت، ومنه قولهم: ليت شعري؛ أي: ليت علمي، وما يشعرك، أي: ما يدريك.

ينظر: العين للخليل (٢٥٠/١)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٢٥٥/٢)"شعر".

(٢) وبه قال جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٠٩/٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٤٢٠/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤٠٤/١).

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٤٢٧/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٤٥٢/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٥١٣/٢).

(٤) اللّبس في اللغة: الخلط والتغطية، يقال: لبست عليه الأمر ألبسه إذا خلطت بينه بمشكله وحقه بباطله، وفي الأمر لبس، إذا لم يكن واضحا، ومنه قوله ﷻ:﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام:٩]. واللبس: اختلاط الظلام.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٤٢٨/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٣٠٧/١٢)، والمفردات للراغب (ص٤٤٧)"لبس".

محمد أول النهار دون الاعتقاد، واكفروا آخر النهار، وقولوا: إنا نظرنا وظهر لنا كذبه وبطلان دينه، فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينهم، وقالوا: إنهم أهل كتاب، وهم أعلم به منَّا، فيرجعون عن دينهم إلى دينكم.(١)

﴿وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾ أي: أوله،(٢) سمي: وجه؛ لأنه أول ما يواجه به الناظر فيراه.

﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ أي: لا تقرُّوا. ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾ أي: كراهة أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، فأي فضل يكون لكم عليهم؛ تقديره: أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا معشر اليهود من الكتاب والحكمة تحسدونهم ولا تعترفون به.

وقوله: ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾ أي: حتى يحاجوكم، ومعنى الآية: لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم.(٣)

---

(١) رواه بمعناه الطبري في جامع البيان (٣/٣١١)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٢/٦٧٩)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (٣/٩١)، والواحدي في أسباب النزول (ص٢٣٣) عن السدي قال:"كان أحبار قرى عربية اثني عشر حبرا، فقالوا لبعضهم: ادخلوا في دين محمد أول النهار، وقولوا نشهد أن محمدا حق صادق، فإذا كان آخر النهار فاكفروا وقولوا: إنا رجعنا إلى علمائنا وأحبارنا فسألناهم، فحدثونا أن محمدا كاذب، وأنكم لستم على شيء، وقد رجعنا إلى ديننا فهو أعجب إلينا من دينكم، لعلهم يشكُّون، يقولون: هؤلاء كانوا معنا أول النهار، فما بالهم؟ فأخبر الله عز وجل رسوله ﷺ بذلك". حسّن إسناده الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٢/٣٩).

(٢) قاله جماهير المفسرين وأهل اللغة.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٩٦)، وجامع البيان للطبري (٣/٣١٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (٦/١٨٦)، والمفردات للراغب (ص٥١٣)"وجه"، والكشاف للزمخشري (١/٤٠٠).

(٣) ذكر القرطبي رحمه الله بأن هذه الآية أشكل ما في السورة.

واختلف المفسرون في جملة: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ هل هي معترضة من كلام الله، وما بعدها من كلام اليهود؟ أم أنها وما بعدها من كلام الله؟ ذكر المفسرون في نسق هذه الآية أربعة أوجه:**الأول**: أن الكلام كله من قوله:﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ إلى آخر الآية مما أمر الله به محمدا ﷺ أن يقول لأمته.

قوله: ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ أي: بنبوته ودينه.

وقوله: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ ﴾ الآية، تفسيرها: أن الأمانة راجعة إلى من أسلم منهم، والخيانة راجعة إلى من لم يسلم منهم، وذلك أن عبد الله بن سلام ﷺ[1] أودعه رجل ألفًا ومائتي أوقية من ذهب، فأدّاه إليه، فمدحه الله ﷻ، وأن رجلا من قريش استودع فنحاص

وبه قال السدي، وهو ظاهر كلام الفراء، واختاره أبو حيان. **الثاني**: أن هذا كله من قول الله، أمره أن يقوله للطائفة التي قالت: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾. وبه قال قتادة والربيع، وهو الذي ذكره المؤلف، رحمة الله على الجميع **الثالث**: أن قوله: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ ﴾ كله من قول الطائفة لأتباعهم، وقوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ اعتراض بين ما قبله وما بعده من قول الطائفة لأتباعهم. وهذا قول مجاهد، وغيره، واختاره الطبري، وابن كثير. **القول الرابع**: أن قوله: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ ﴾ داخل تحت الأمر الذي هو يقوله الرسول لليهود، وتم مقوله في قوله: ﴿أُوتِيتُمْ ﴾، وأما قوله: ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾ فهو متصل بقول الطائفة: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾. وبه قال ابن جريج. قال ابن عاشور رحمه الله عن القول الأول والثاني: "وهذا الاحتمال أنسب نظماً بقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ ﴾، ليكون لكل كلام حُكي عنهم تلقين جواب عنه، فجواب قولهم: ﴿ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ الآية، قوله: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾. وجواب قولهم: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ ﴾ إلخ قوله: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ ﴾ إلخ. فهذا مِلاك الوجوه". التحرير والتنوير (٢٨٢/٣).

ينظر: جامع البيان للطبري (٣١٤/٣)، وإعراب القرآن للنحاس (٣٨٦/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١٢/٤)، والبحر المحيط لأبي حيان (٥١٨/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٧٤/١).

(١) هو عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، الأنصاري، حليف بني الخزرج، أبو يوسف، صحابي ﷺ، قيل إنه من نسل يوسف بن يعقوب، أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة، إمام حبر مشهود له بالجنة، توفي سنة (٣٤هـ).

ينظر: أسد الغابة لابن الأثير (٢٦٨/٣)، وتهذيب الأسماء للنووي (٢٥٥/١)، وتهذيب الكمال للمزي (٧٤/١٥).

بن عازوراء[١] دينارًا فخانه.[٢]

قوله: ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ أي: قائماً على رأسه، مواظبًا بالاقتضاء. وأصل ذلك أنّ المطالب للشيء يقوم فيه ويتصرف، والتارك له يقعد عنه.[٣]

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ذلك الاستحلال والخيانة ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾ أي: في مال العرب،[٤] وذلك لأنهم كانوا يستحلون اختزال أموالهم، وقالوا: لم يجعل لهم في

---

(١) هو فنحاص بن عازوراء، من أحبار اليهود الذين كانوا يسألون رسول الله ﷺ ويتعنتونه ويأتونه اللبس ليلبسوا الحق بالباطل، من بني قينقاع، وكان من علمائهم وصاحب بيت، مدرأسهم، وهو الذي نسب الفقر إلى الله والغنى لليهود، قاتله الله وغضب عليه ولعنه.

ينظر: المغازي للواقدي (٢٧٩/١)، والسيرة النبوية لابن هشام (٩٦/٣)، ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (٢٦٨/١٦).

(٢) ذكره مقاتل بن سليمان (١٧٧/١)، والسمرقندي في تفسيره (٢٤٩/١)، والثعلبي في الكشف والبيان (٩٤/٣)، والواحدي في الوجيز (٢١٨/١)، والسمعاني في تفسير القرآن (٣٣٣/١)، والبغوي في معالم التنزيل (٣١٧/١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤٠٨/١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٣١٧/٣)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٦٨٣/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٦٦/٩) "باب القاف والميم"، وزاد المسير لابن الجوزي (٤٠٩/١).

(٤) المراد بالأميين: الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب، باتفاق المفسرين، سمّوا بذلك لانتشار الأمية فيهم، وهي عدم معرفة القراءة والكتابة، كأن الإنسان بقي على الحالة التي ولدته أمّه عليها، فالأمي نسبة إلى الأمّ.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢١٤/٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٤٢٥/١)، والتفسير الكبير للرازي (١٨٥/٧)، والجواب الصحيح لابن تيمية (١٢٧/٢).

كتابنا حرمة.[١] ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ﴾ أي: بعهده الذي عهده الله إليهم في التوراة من الإيمان بمحمد ﷺ، والقرآن، وأداء الأمانة.[٢] ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ أي: الكفر والخيانة ونقض العهد ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ الآية، نزلت في رؤساء اليهود، كتموا ما عهد الله إليهم في شأن محمد عليه السلام في التوراة، وبدّلوه لئلا يفوتهم المآكل من أتباعهم.[٣]

---

(١) روي ذلك بمعناه عن قتادة، والسدي، وابن جبير، وابن جريج، والربيع، وغيرهم.
ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٣١٨)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٢/٦٨٤)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٩٦)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٣١٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٣٧٥)، والتفسير الصحيح للدكتور حكمت (٢/٤٠).

(٢) في قوله: ﴿بَلَىٰ﴾ ردٌّ لقولهم: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾، أي: ليس الأمر كما زعموا بل عليهم إثم وتبعة في أكلهم أموال الأميين.
ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٣١٩)، ومعاني القرآن للزجاج (١/٤٣٤)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٤٢٦)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٤٥٩).

(٣) رواه الطبري في جامع البيان (٣/٣٢١)، عن عكرمة بنحوه مختصرا، وذكره السمرقندي في تفسيره (١/٢٥٠)، والثعلبي في الكشف والبيان (٣/٩٨)، والواحدي في أسباب النزول (ص٢٣٧)، والبغوي في معالم التنزيل (١/٣١٨). وابن الجوزي في زاد المسير (١/٤١١). وقد اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية على أقوال أصحها قولان: **أحدهما**: ما أخرجه الشيخان البخاري ومسلم، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من حلف على يمين يقتطع بها مال امرئ هو عليها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان». فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الآية، فجاء الأشعث فقال: ما حدثكم أبو عبد الرحمن؟ فيَّ أنزلت هذه الآية. كانت لي بئر في أرض ابن عم لي، فقال لي: شهودك؟ قلت: ما لي شهود، قال: فيمينه؟ قلت يا رسول الله! إذًا يحلف، فذكر النبي ﷺ هذا الحديث، فأنزل الله ذلك تصديقًا له. صحيح البخاري (٢/٨٣١)، برقم: (٢٢٢٩) كتاب الشرب والمساقاة/باب الخصومة في البئر والقضاء فيها، ومسلم (١/١٢٢)، برقم: (١٣٨) كتاب الإيمان/ باب

وقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ أي: من أهل الكتاب وهم اليهود.

﴿لَفَرِيقًا﴾ أي: طائفة ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾ أي: يحرفون الكتاب.(١)

وليُّ اللسان: قلْبُ الكلام عن وجهه.(٢)﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ أي: ليظنوا ما حرّفوا ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ الذي أنزله الله ﷻ ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾.

وقوله: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾ أي: الفهم والعلم.(٣)

وعيد من اقتطع حق المسلم بيمين فاجرة بالنار. **والسبب الثاني**: ما أخرجه البخاري عن عبد الله بن أبي أوفى ﷺ أن رجلا أقام سلعة في السوق، فحلف فيها، لقد أعطي بها ما لم يعطه؛ ليوقع فيها رجلا من المسلمين، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ إلى آخر الآية. صحيح البخاري (١٦٥٦/٤)، برقم: (٤٢٧٦) كتاب التفسير/باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾. وبالتأمل في لفظ الحديثين نجد أن صيغتهما صريحة في السببية، ولذا حكم الحفاظ بحمله على تعدد النزول، كما قال ابن حجر بعد ذكر الحديثين:"ولا تعارض بينهما؛ لاحتمال أن تكون نزلت في كلٍّ من القصتين". فتح الباري (٢٨٧/٥). وقال في موضع آخر:"لا منافاة بينهما، ويحمل على أن النزول كان بالسببين جميعا، ولفظ الآية أعم من ذلك". فتح الباري (٢١٣/٨). وعن السبب الذي ذكره المؤلف، قال الحافظ عنه:"وهي محتملة أيضا، لكن المعتمد في ذلك ما ثبت في الصحيح". فتح الباري (٢١٣/٨).

(١) قاله جماهير المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٢٣/٣)، وتفسير ابن المنذر (٢٦٥/١)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٦٨٩/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١٠٠/٣).

(٢) أصل اللَّيّ: اللفُّ والفتل، يقال: لوى لسانه بكذا، كناية عن الكذب. والمراد: أنهم يفتلون ألسنتهم ليميلوها عن الآيات المنزلة إلى المفاهيم المحرفة. قال قتادة: هم أعداء الله اليهود، حرفوا كتاب الله، وابتدعوا فيه وزعموا أنه من عند الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٢٣/٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٤٢٨/١)، والمفردات للراغب (ص٤٥٧)"لوى".

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة. وذكر الرازي رحمه الله اتفاق أهل اللغة والتفسير على أن

﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ أي: الرسالة. نزلت في نصارى أهل نجران، أي: ما كان للمسيح أن يقول ذلك.[١] وقال أبو رافع القُرظي[٢] من اليهود: يا محمد! أتريد أن نتخذك ربًّا؟ فقال: معاذ الله أن نعبد غير الله، فأنزل الله هذه الآية.[٣] والبشر: جميع بني آدم.

﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾

المراد بالحكم هنا: العلم.

ينظر: تفسير القرآن لابن أبي حاتم (٢/٦٩٠)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٤١٣)، والتفسير الكبير للرازي (٨/٩٨)، ولسان العرب لابن منظور (١٢/١٤٠)"حكم".

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٣/١٠١)، والواحدي في أسباب النزول (ص٢٣٨)، والبغوي في معالم التنزيل (١/٣٢٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/١٣٥)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤/١٢٢) عن مقاتل والضحاك.

(٢) هو أبو رافع الأعور سـلّام بن أبي الحُقَيق، من بني زنباع، من يهود بني قريظة، كان يؤذي رسـول الله ﷺ ويعين عليه، فبعث رسـول الله ﷺ رهطًا إليه وهو بخيبر، فدخل عليه عبد الله بن عَتيكٍ ﷺ بيته ليلًا وهو نائم فقتله. وقصـة قتله ثابت في صـحيح البخاري (٤/١٤٨٢)، برقم: (٣٨١٣) كتاب المغازي/باب قتل أبي رافع ....، من حديث البراء بن عازب ﷺ.

ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤/٢٣٤)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٢/٩١)، وأسد الغابة لابن الأثير (٢/٢٣٣).

(٣) رواه ابن هشام في السيرة النبوية (٣/٩١) عن ابن إسحاق، والطبري في جامع البيان (٣/٣٢٥)، وابن المنذر في تفسيره (١/٢٦٦)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٢/٦٩٣)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٣/١٠١)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥/٣٨٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وحسن إسناده الدكتور حكمت في التفسير الصحيح (٢/٤٣).

أي: ولكن يقول: كونوا ربَّانيين.(١) الرَّبَّاني: الذي يربي علمَه بعمله.(٢)

قـال الله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ ثم قـال: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:١٠٢].

أي: [٢٢/ب] لو كانوا وفَّوا العلم حقّه.(٣)

﴿بِمَا كُنتُمْ﴾ أي: بما أنتم ﴿تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾.

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ أي: ولا يأمركم الله الكفر، وهو على سبيل الإنكار، أي: لا يفعل ذلك، ولا يجوز لأحد أن يدعو غيره إلى عبادة نفسه، أوتي الكتاب والحُكم والنبوة أو لم يؤتها، وإنما أراد إذا لم يكن لمن له هذه الرتبة ولا رتبة للبشر أعلى منها أن يدعو إلى عبادته، فلأن لا يكون لغيره أولى!.(٤) وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم﴾ أي: واذكر

---

(١) هذا على إضمار القول تقديره: "ولكن يقول: كونوا ربَّانيين"، ثم حذف القول لكونه مفهوماً من السياق.

ينظر: إعراب القرآن للنحاس (١/٣٩٠)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٣٢٠)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/٥٢٩).

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٣/١٠٢)، والبغوي في معالم التنزيل (١/٣٢١) عن علي ﷺ.

وقال قتادة: الرباني: الحكيم العالم. وقال مجاهد: هم الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره. ولا تعارض بين هذه الأقوال، وهي مثال لما يقع في عبارات السلف من اختلاف التنوع.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٣٢٥)، وتفسير ابن المنذر (١/٢٦٧)، والبرهان في علوم القرآن للزركشي (٢/١٥٩)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (١/٦٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٣٧٨).

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١/٤٣٦)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٤٢٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/٣٣٥).

(٤) ينظر: التفسير الكبير للرازي (٨/١٠٠)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/١٢٤)، ولباب التأويل للخازن (١/٣٧٣).

في أقاصيصك إذ أخذ الله ميثاق النبيين ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾.[١]

﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُم﴾ تقديره: الذي آتيتكم من كتاب وحكمة.[٢]

---

(١) اختلف المفسرون في عامل (إذ) هنا على ثلاث احتمالات: **أولها**: العامل (اذكر) أو (اذكروا). فعلى الأول؛ يكون خطابا للنبي ﷺ أن يذكر أهل الكتاب بما هو في كتبهم من أخذ الميثاق على النبيين. وعلى الثاني؛ يتوجه إلى أهل الكتاب، أمروا أن يذكروا ذلك. وإلى هذا القول ذهب الطبري، والزجاج، وابن عطية، وغيرهم، وهو الذي ذكره المؤلف رحمة الله على الجميع. **والثاني**: أن العامل (قال) من قوله: ﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ﴾ وهو اختيار أبي حيان، ووافقه عليه السمين الحلبي. **والثالث**: أن يكون معطوفا على ما تقدم من لفظ (إذ)، والعامل فيه (اصطفى). واستبعده أبو حيان جدا. بل قال السمين: "إنه ممتنع". والحق أن تقدير (اذكر) قبل (إذ) كثيرٌ في تفسير القرآن الكريم، وتقدير فعل الذكر أو التذكر في كلام العرب كثير، وكثرة التقدير وفشوّه تمنع التكلف، كم أن إعمال (قال) في (إذ) -وإن حسن- يقصر المعنى على أخذ الميثاق وقول الله تعالى: ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ﴾ الخ، مع أنه تقدير فعل الذكر يزيد معنى استحثاث المخاطب بأن يستحضر هذا المشهد، وما يتبعه هذا الاستحضار من الاعتبار، أو قيام الحجة. والله أعلم.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٣٢٩)، ومعاني القرآن للزجاج (١/٤٣٦)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٤٦٣)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/٥٣٢)، والدر المصون للسمين الحلبي (٣/٢٨٣).

(٢) في معنى (ما) من قوله تعالى: ﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُم﴾ وجهان:

أحدهما: أن (ما) بمعنى: الذي، وموضعها رفع بالابتداء، واللام لام الابتداء دخلت لتوكيد معنى القسم. وفي الخبر وجهان:

١- ﴿مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ أي: الذي أوتيتموه من الكتاب، والنكرة هنا كالمعرفة.

٢- الخبر: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ والهاء عائدة على المبتدأ، واللام جواب القسم، لأن أخذ الميثاق قسم في المعنى.

والوجه الثاني: أن (ما) شرط، واللام قبله لتلقي القسم، فعلى هذا تكون (ما) في موضع نصب بـ﴿ءَاتَيْتُكُم﴾، والمفعول الثاني ضمير المخاطب، و﴿مِّن كِتَٰبٍ﴾.

ينظر: التبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/٢٧٦)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/٥٣٢)، ومغني اللبيب لابن هشام الأنصاري (ص٥٣٢).

﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ وأخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف، إذا قلت: أخذت ميثاقك لتفعلن كذا، كأنك قلت: استحلفتك لتفعلن كذا.(١)

وقوله: ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾ أي: قبلتم عهدي.(٢)

وقوله: ﴿قَالَ فَاشْهَدُوا﴾ أي: قال الله: فاشهدوا أنتم على أنفسكم، وعلى أتباعكم.(٣) ﴿وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّٰهِدِينَ﴾ عليكم وعليهم. ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعد الإقرار والإشهاد. ﴿فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ﴾ أي: الخارجون عن الإيمان.(٤)

وقوله: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي:

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء (١/١٧٥)، وجامع البيان للطبري (٣/٣٣٠)، وإعراب القرآن للنحاس (١/٣٩١)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (١/٢١٣).

(٢) الإصر هاهنا: العهد، في قول جماهير المفسرين، وأصل الإصر: الثقل، فسمي العهد إصرا؛ لأنه مما يؤصَر، أي: يُشَدُّ ويُعْقَد، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾[البقرة:٢٨٦]، أي: شيئا يثقل علينا حمله. ومنه: الإصار: الحبل الشديد الذي تشد به الأحمال.

ينظر: المفردات للراغب (ص١٨)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (١/٥٢)، ولسان العرب لابن منظور (٤/٢٢)"أصر".

(٣) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٣٣٤)، ومعاني القرآن للزجاج (١/٤٣٧)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/١٠٥)، والتفسير الكبير للرازي (٨/١٠٦).

(٤) يقال: فَسَقَ يفْسُق فِسْقًا وفُسُوقًا، إذا خرج عن طريق الحق، من قولهم: فَسَقَ الرُّطَب إذا خرج عن قشره، وسميت الفأرة فويسقة؛ لخروجها من بيتها مرة بعد أخرى.والفاسق في الاصطلاح: هو من اقترف كبيرة أو داوم على صغيرة. والفاسق يشمل الكافر والمسلم العاصي ولكن فسق الكافر أشد وأفحش، والمراد به من الآية الفاسق الكافر.

ينظر: العين للخليل (٥/٨٢)"فسق"، ومعاني القرآن للزجاج (١/٣٦٦)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٣٢٤)، والمفردات للراغب (ص٣٨٠)"فسق".

خضع وانقاد.[١]

﴿طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾ فالطوع لأهل السماوات خاصة، وأهل الأرض منهم من أسلم طوعا، ومنهم من أسلم كرها، وذلك أن كل آدمي أقرّ على نفسه بأنه عبْدَه، وأن الله ربه، فلما تكلم به صار حجة عليه، ثم أشرك بعضهم في عبادته، فهذا الذي أسلم في الابتداء كرها.[٢]

وقوله: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا﴾ نزلت في الحارث بن سويد الأنصاري،[٣] ارتدَّ مع

---

(١) أي: استسلم وانقاد وخضع وذل، وكل مخلوق فهو منقاد مستسلم، لأنه مجبول على ما لا يقدر أن يخرج عنه. قال ابن تيمية رحمه الله:"وعامة السلف على أن المراد بالاستسلام استسلامهم له بالخضوع والذل لا مجرد تصريف الرب لهم، كما في قوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾[الرعد:١٥]، وهذا الخضوع والذل هو أيضًا لازم لكل عبد لابد له من ذلك". مجموع الفتاوى (٣٠/١٤).

ينظر: العين للخليل (٢٦٥/٧)"سلم"، وتهذيب اللغة للأزهري (٣٠٩/١٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١٠٧/٣)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٦٣٥/٧).

(٢) ذكر أئمة التفسير جملة من الآثار الواردة عن السلف في بيان معنى الطوع والكره في الآية، والصحيح في معنى الطائع ما قرره الطبري رحمه الله بقوله:"أسلم لله طائعا من كان إسلامه منهم له طائعا، وذلك كالملائكة والأنبياء والمرسلين فإنهم أسلموا لله طائعين". أهـ. ولم يُبِنِ الإمام الطبري رحمه الله عن اختياره في المعنى الآخر (الكره)، بل اكتفى بحكاية الأقوال وعزوها، فيما اختار ابن تيمية رحمه الله -وهو الصحيح- أنه: انقيادهم لحكمه القدري بغير اختيارهم، كاستسلامهم عند المصائب، وانقيادهم لما يكرهون من أحكامه الشرعية، فكل أحد لا بد له من انقياده إلى حكمه القدري والشرعي. والله تعالى أعلم.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٣٦/٣)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم: (٦٩٦/٢)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٤٩/٨)، والبحر المحيط لأبي حيان (٥٣٨/٢).

(٣) هو الحارث بن سويد بن الصامت الأنصاري، أخو الجلاس، أحد بني عمرو بن عوف، كان مع النبي ﷺ مسلما، ولحق بقومه مرتدا، ثم ندم وأسلم وحسن إسلامه، وذكر أن سبب رجوعه إلى الإسلام، سماعه هذه الآيات، توفي بالكوفة في آخر أيام عبد الله بن الزبير رضي الله عن الصحابة أجمعين.

ينظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٦٤٣/٢)، وأسد الغابة لابن الأثير (٤٨٥/١)، والإصابة لابن حجر

جماعة ولحقوا بمكة.(١)

وقوله: ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ أي: لا يهديهم، أي: إلى الجنة في الآخرة.(٢)

وقوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ﴾ نزلت أيضا في الحارث، لحق بالكفار وندم، فأرسل إلى قومه أنْ سلُوا رسول الله ﷺ هل لي من توبة؟ ففعلوا ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ ﴾ أي: لما كان منه ﴿ رَّحِيمٌ ﴾، فحملها إليه رجل من قومه، وقرأها عليه، فقال الحارث: والله إنك ما علمت لصدوق، وأن رسول الله ﷺ لأصدق منك، وأن الله لأصدق الثلاثة، فرجع إلى المدينة فأسلم وحسن إسلامه.(٣)

(٥٧٦/١).

(١) ذكر ذلك مقاتل بن سليمان في تفسيره (١٨٠/١)، ورواه الطبري في جامع البيان (٣٤٠/٣)، وابن المنذر في تفسيره (٢٧٩/١)، وأورده النحاس في معاني القرآن (٤٣٣/١)، والسمرقندي في تفسيره (٢٥٣/١)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٠٧/٣)، والواحدي في أسباب النزول (ص٢٤٠). وفيه حميد بن عطاء الأعرج، قال عنه ابن عبد البر:"حميد بن عطاء الأعرج الكوفي ضعيف الحديث، كلهم يضعفه، وأكثر أحاديثه مناكير". الاستذكار (٣١٥/٨).

(٢) أورد القرطبي على هذه الآية تساؤلا فقال:"يقال: ظاهر الآية أن من كفر بعد إسلامه لا يهديه الله، ومن كان ظالما لا يهديه الله، وقد رأينا كثيرا من المرتدين قد أسلموا وهداهم الله، وكثيرا من الظالمين تابوا عن الظلم. قيل له: معناه: لا يهديهم الله ما داموا مقيمين على كفرهم وظلمهم، ولا يُقْبِلُون على الإسلام، فأما إذا أسلموا وتابوا، فقد وفقهم الله لذلك. والله تعالى أعلم". الجامع لأحكام القرآن (١٢٩/٤-١٣٠).

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٤٣٩/١)، والكشف والبيان للثعلبي (١٠٨/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٢٣/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٤٦٨/١).

(٣) ما ذكره المؤلف هو قول مجاهد: فقد أخرج عبد الرزاق في تفسيره (١٢٥/١)، ومن طريقه الطبري في جامع البيان (٣٤٠/٣)، وابن النذر في تفسيره (٢٨١/١)، والواحدي في أسباب النزول (ص٢٤٠)، ومسدد في المسند كما في المطالب العالية لابن حجر (٥٥٣/١٤). وإسناده مرسل. وروى أحمد في

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا﴾ نزلت في اليهود، كفروا بعيسى العَلِيْلا والإنجيل، بعد إيمانهم بأنبيائهم وبكتبهم، ثم ازدادوا كفرًا بكفرهم بمحمد ﷺ وبالقرآن.(١)

وقوله: ﴿لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ﴾ لأنهم لا يتوبون إلا عند حضور الموت، والله تعالى يقــول: ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ

مسنده (٢٤٧/١)، برقم: (٢٢١٨)، والنسائي في السنن الكبرى (٣٠٣/٢) في كتاب تحريم الدم، باب توبة المرتد، برقم: (٣٥٣١)، والطبري في جامع البيان (٣٤٠/٣)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٧٠٠/٢)، وابن حبان في صحيحه (٣٢٩/١٠)، برقم: (٤٤٧٧)، والحاكم في المستدرك (١٥٤/٢)، برقم: (٢٦٢٨) وصححه، والواحدي في أسباب النزول (ص٢٣٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتدّ ولحق بالشرك، ثم تندّم فأرسل إلى قومه، سلوا لي رسول الله ﷺ: هل لي من توبة؟ فجاء قومه إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن فلانا قد ندم وإنه أمرنا أن نسألك: هل له من توبة؟ فنزلت: ﴿كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾، فأرسل إليه فأسلم". وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٨٥/٧) برقم: (٣٠٦٦).

(١) قاله الحسن، وقتادة، وعطاء الخراساني.

وأشار الطبري رحمه الله إلى قاعدة مهمة يمكن تطبيقها على كثير من الآيات التي اختلف المفسرون في أسباب نزولها، وهي إمكانية تعدد الأسباب التي نزلت من أجلها الآية، فقال رحمه الله:"وأشبه القولين بظاهر التنزيل ما قال الحسن من أن هذه الآية معنيٌّ بها أهل الكتاب على ما قال، غير أن الأخبار بالقول الآخر أكثر، والقائلين به أعلم بتأويل القرآن. وجائز أن يكون الله ﷻ أنزل هذه الآيات بسبب القوم الذين ذكر أنهم كانوا ارتدوا عن الإسلام، فجمع قصتهم وقصة من كان سبيله سبيلهم في ارتداده عن الإيمان بمحمدٍ ﷺ في هذه الآيات. ثم عرّف عباده سنته فيهم، فيكون داخلا في ذلك كل من كان مؤمنا بمحمدٍ ﷺ قبل أن يبعث ثم كفر به بعد أن بُعث، وكل من كان كافراً ثم أسلم على عهده ﷺ، ثم ارتد وهو حي عن إسلامه، فيكون معنيًّا بالآية جميع هذين الصنفين وغيرهما ممن كان بمثل معناهما، بل ذلك كذلك إن شاء الله". جامع البيان (٣٤١/٣).

ينظر: تفسير ابن المنذر (٢٨٢/١)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٧٠١/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١٠٨/٣)، وأسباب النزول للواحدي (ص٢٤١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤١٩/١).

﴿قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾[النساء:١٨].(١)

وقوله: ﴿مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: قدر ما يملؤها.(٢)

وقوله: ﴿ذَهَبًا﴾ أي: من ذهب، وفائدة الواو في قوله: ﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ أن تقدير الآية: لو عمل من الخير وقدّم ملء الأرض ذهبًا يتقرب به إلى الله تعالى لم ينفعه ذلك مع كفره، ولو افتدى من العذاب بملءِ الأرض ذهبًا لم يقبل منه، فلا يثابون على أعمالهم بالخير، ولا يُقبل منهم الفداء من العذاب.(٣)

---

(١) هذا قول أكثر المفسرين.

قال ابن تيمية رحمه الله:"وذلك لأن التائب راجع عن الكفر، ومن لم يتب فإنه مستمر يزداد كفرًا بعد كفر، فقوله: ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟﴾ بمنزلة قول القائل: ثم أصروا على الكفر، واستمروا على الكفر، وداموا على الكفر، فهم كفروا بعد إسلامهم، ثم زاد كفرهم ما نقص، فهؤلاء لا تقبل توبتهم، وهي التوبة عند حضور الموت؛ لأن من تاب قبل حضور الموت فقد تاب من قريب ورجع عن كفره، فلم يزدد بل نقص، بخلاف المصرّ إلى حين المعاينة، فما بقي له زمان يقع لنقص كفره فضلا عن هدمه". مجموع الفتاوى (١٦/٢٨).

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٣٤٢)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٢/٧٠٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٤١٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٣٨١).

(٢) ملء الشيء: مقدار ما يملؤه، وملأت الشيء أملؤه ملئا، والمِلْء: الاسم للمقدار الذي يملأ، وسمي لأنه مساو لوعائه في قدره.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (١/٤٣٨)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٥/٢٨٩)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/٣٤٦)"ملي".

(٣) وبه قال الزجاج، واستحسنه ابن عطية، وقرره ابن كثير، رحمة الله على الجميع.

قال ابن عاشور:"وقوله:﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ جملة في موقع الحال، والواو واو الحال، أي: لا يقبل منهم ولو في حال فرض الافتداء به، وحرف (لو) للشرط؛ وحذف جوابه لدلالة ما قبله عليه ومثل هذا الاستعمال شائع في كلام العرب". تفسير التحرير والتنوير (٣/٣٠٦).

ويؤيد هذا المعنى ما رواه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك ﷺ أن نبي الله ﷺ كان يقول:« يجاء

قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ أي: لن تنالوا شرف الدين والتقوى حتى تتصدقوا بما تحبون.(١)

قوله: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ﴾ أي: إن تنفقوا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ أي: يجازي عليه.(٢)

قوله: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا﴾ الآية، أي: حلالًا، إلا الطعام الذي ﴿حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ

بالكافر يوم القيامة، فيقال له: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبًا، أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقال له: قد كنتَ سُئِلتَ ما هو أيسر من ذلك: ألا تشرك بي شيئًا فأبيت إلا أن تشرك بي». صحيح البخاري (٢٣٩٥/٥)، برقم: (٦١٧٣) كتاب الرقاق/باب من نوقش الحساب عذب، وصحيح مسلم (٢١٦١/٤)، برقم: (٢٨٠٥) كتاب صفة القيامة/ باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهبًا.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٤٤١/١)، ومعاني القرآن للنحاس (٤٣٧/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٤٧٠/١)، ورموز الكنوز للرسعني (٢٣٦/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٨١/١).

(١) قاله عطاء، ومقاتل بن سليمان. وقال ابن عباس، وابن مسعود، وعمرو بن ميمون، ومجاهد، والسدي، في آخرين: أنه الجنة. وقال عطية العوفي: الطاعة. والأظهر عند التأمل أنه لا تعارض بين هذه الأقوال، وهي أمثلة للبرّ على سبيل التنوع الذي لا تضاد فيه. قال السعدي رحمه الله:"أي: لن تدركوا وتبلغوا البر، الذي هو كل خير من أنواع الطاعات وأنواع المثوبات الموصل لصاحبه إلى الجنة، حتى تنفقوا مما تحبون". تيسير الكريم الرحمن (ص٨٣).

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٤٦/٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤٢٠/١)، ولسان العرب لابن منظور (٥١/٤)"برر"، والبحر المحيط لأبي حيان (٥٤٦/٢).

(٢) لأنه إذا كان عالماً به جازى عليه، فهي جملة خبرية، وتتضمن الوعد بالمجازاة، فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، فيجازي المحسن أحسن الجزاء، كما قال تعالى: ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾[آل عمران:١٩]، وقال سبحانه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾[الزلزلة:٧].

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٤٧/٣)، والكشف والبيان للثعلبي (١١١/٣)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٤٧٢/١)، والتفسير الكبير للرازي (١١٩/٨).

عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾.(١) سبب ذلك: أنه وجد وجع عرق النساء،(٢) فنذر إن برأ منه ترك أحبَّ الطعام إليه والشراب، فكان أحبهما إليه لحوم الإبل وألبانها،(٣) فحرم الله ذلك عليهم بمعاصيهم.(٤) وأعلم الله أن الذي حرم إسرائيل على نفسه كان من قبل نزول التوراة، وهذا

---

(١) إسرائيل: هو نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم أفضل صلاة وأزكى تسليم، ومعنى إسرائيل: عبد الله، فـ"إسرا " بالعبرانية هو: عبد، و"إيل": الله تعالى. وجميع بني إسرائيل من أولاد يعقوب عليه السلام.
ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٤)، والفصـــل في الملل لابن حزم (٩٩/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٦٦/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨٣/١).

(٢) عرق النساء: وجع يبتدئ من مفصل الورك، وينزل من خلف على الفخذ، وربما انعقد وامتد إلى الكعب. وسمي بذلك لأن ألمه يُنْسي ما سواه.
ينظر: الحاوي في الطب لابن زكريا الرازي (٤٥٠/٣)، والطب النبوي لابن القيم (ص٥٦)، والآداب الشرعية لابن المفلح (٣٩٦/٢).

(٣) جاء ذلك في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: أقبلت يهود إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم...: فأخبرنا عما حرم إسرائيل على نفسه؟ قال: «اشتكى عرق النسا فلم يجد شيئا يلائمه إلا لحوم الإبل وألبانها فلذلك حرَّمها» قالوا: صدقت. قال الترمذي:«هذا حديث حسن غريب». أخرجه أحمد في المسند (٢٧٤/١)، برقم: (٢٤٨٣)، والترمذي في سننه (٢٩٤/٥)، برقم: (٣١١٧)، كتاب التفسير/ باب ومن سورة الرعد، (٢٩٤/٥)، والنسائي في الكبرى (٣٣٦/٥)، برقم: (٩٠٧٢) كتاب عشرة النساء/باب كيف تؤنث المرأة وكيف يذكر الرجل. قال الهيثمي في المجمع (٢٤٢/٨):"ورجالهما ثقات". وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي: (٢٦١/٣).

(٤) ذكر الثعلبي في الكشف والبيان (١١٣/٣)، والبغوي في معالم التنزيل (٣٢٧/١)، والخازن في لباب التأويل (٣٨٢/١) عن الكلبي أنه قال:" لم يحرمه الله عليهم في التوراة، وإنما حرم عليهم بعد التوراة لظلمهم وكفرهم، وكان بنو إسرائيل كلما أصابوا ذنباً عظيماً حرم الله عليهم طعاماً طيباً، أو صب عليهم رجزاً وهو الموت، وذلك قوله تعالى:﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾[النساء:١٦٠]. وقوله: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأنعام:١٤٦]".

جواب لليهود، فإنهم لما ادّعى النبي ﷺ أنه على دين إبراهيم عليه السلام، فادّعى اليهود أن ذلك كان حرامًا عليه، فأنزل الله هذه الآية تكذيبا لهم، وبيّن أن ابتداء هذا التحريم كان قبل نزول التوراة.(١) وفي هذا آية عظيمة لصدق النبي ﷺ، لأنه أنبأهم بأنهم يدّعون أنّ في كتابهم ما ليس منه، ودعاهم مع ذلك إلى أن يأتوا بكتابهم فيتلوه؛ ليُبَيِّن لهم كذبهم فأبوا، فإباؤهم دليل على علمهم أنه ﷺ قد صدق فيما أنبأهم به، ولو أتوا بها وزادوا فيها ما ليس منها علمه بعضهم وافتضحوا، ولو أتوا بها على وجهها علم بطلان دعواهم، فقصتهم في هذه الآية كقصة النصارى في المباهلة.(٢)

قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: من بعد ما ذكرنا من ظهور الحجة في افترائهم.

وقوله: ﴿قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ أي: فيما أخبر به من تحريم الطعام.

وقوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق الله السماء والأرض، خلقه الله قبل الأرض بألفي عام، وكانت زبدة بيضاء على الماء، فدُحيت(٣)

ينظر: جامع البيان للطبري (٤/١)، ومعاني القرآن للنحاس (٤٤١/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٤٧٢/١).

(١) ذكر هذا السبب: الثعلبي في الكشف والبيان (١١٢/٣)، والواحدي في أسباب النزول (ص٢٤١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤٢٢/١)، وأبو حيان في البحر المحيط (٣/٣) عن أبي روق والكلبي بلفظ: "كان هذا حين قال النبي ﷺ: أنا على ملة إبراهيم، فقالت اليهود: كيف وأنت تأكل لحوم الإبل وألبانها؛ فقال النبي ﷺ: كان ذلك حلالاً لإبراهيم فنحن نحله، فقالت اليهود: كل شيء أصبحنا اليوم نحرمه فإنه كان محرماً على نوح وإبراهيم حتى انتهى إلينا، فأنزل الله تعالى تكذيباً لهم: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ﴾". وذكره البغوي في معالم التنزيل (٣٢٦/١) دون نسبة. وإسناده منقطع.

ينظر: تفسير ابن المنذر (٢٨٩/١)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٧٠٤/٣)، والتفسير الكبير للرازي (١٢٠/٨).

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٤٤٤/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣٥/٤)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤/٣).

(٣) الدّحْو: البسط، دحا الأرض يدحوها دحواً: بسطها ومدّها ووسعها.

الأرض من تحته.[١] ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ أي: أول بيت وضع فيه البركة والهدى ومقام إبراهيم.[٢] وبكة: المسجد.[٣]﴿وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ لأنه قبلة المؤمنين.[٤]

﴿فِيهِ ءَايَـٰتُۢ بَيِّنَـٰتٌ﴾ أي: أَمْن من يدخله آيات،[٥] لأن في الداخلين من أجل المخاوف

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٢٣/٥)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٢/١-٦)"دحا"، وتهذيب الأسماء للنووي (٩٨/٣)"دحو".

(١) هذا قول عبد الله بن عمرو، ومجاهد، وقتادة، والسدي.

ينظر: جامع البيان للطبري (٨/٤)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٧٠٧/٣)، والكشف والبيان للثعلبي (١١٤/٣).

(٢) هذا قول علي بن أبي طالب ﷺ.

ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٤)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٧١٠/٣)، والحاكم في المستدرك (٣٢١/٢)، برقم: (٣١٥٤) وصححه على شرط مسلم، والبيهقي في دلائل النبوة (٥٥/٢).

(٣) قاله: ابن شهاب الزهري، وضمرة بن ربيعة. وقال الضحاك: بكة هي مكة.

وهذا هو الأولى، وأن بكّة من أسماء مكة على المشهور، سميت بذلك؛ لأنها تبكّ أعناق الظلمة والجبابرة بمعنى: أنهم يذلون بها ويخضعون عندها. وهذا هو اختيار الرازي، وابن كثير. فإن الباء والميم حرفان متقاربان في المخرج فيقام كل واحد منهما مقام الآخر، فيقال: هذه ضربة لازم، وضربة لازب، ويقال: هذا دائم ودائب.

ينظر: جامع البيان للطبري (٩/٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤٢٥/١)، والتفسير الكبير للرازي (١٢٨/٨)، ولسان العرب لابن منظور (٤٠٢/١٠)"بكك"، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٨٤/١).

(٤) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (١١٦/٣)، ورموز الكنوز للرسعني (٢٤٧/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٢٨/١).

(٥) قاله علي بن أبي طالب ﷺ، والحسن. وقال مجاهد، والسدي: الآيات: مقام إبراهيم.

والصحيح أن المراد بالآيات البينات: كل آية في الحرم، ومنها: مقام إبراهيم، والصفا والمروة، والمشعر، وأن من دخله كان آمنا، والحجر الأسود، وغير ذلك من الآيات. وهو قول جمهور المفسرين. قال ابن عطية:"والمترجح عندي: أن المقام، وأمن الداخل، جُعلا مثالا مما في حرم الله من الآيات، وخصا بالذكر

كثير، فالأمن في حق كل واحد آية يراها.

وقوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ أي: من أن يُزعج منه، وذلك بدعاء إبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾[إبراهيم:٣٥] وكان في الجاهلية [٢٣/أ] من دخله ولجأ إليه أَمِن من الغارة والقتل، ولم يزده الإسلام إلا شدّة.(١)

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ أي: في مدة العمر حجّة واحدة.(٢)

لعظمهما، وإنما تقوم بهما الحجة على الكفار". المحرر الوجيز (٤٧٥/١).

ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٤٢٧/١)، والتفسير الكبير للرازي (١٣١/٨). والدر المصون للسمين الحلبي (٣١٧/٣).

(١) قاله الجمهور. ومقتضاه أن الآية جاءت في مورد الامتنان بما تقرر في ماضي العصور من الأمن فيه على العموم، وهو بيان لبعض مزايا البيت وفضائله.

وحكى ابن الجوزي عن أبي يعلى أن الآية خبر في معنى الأمر، أي: من دخله فأمّنوه. والأصح قول الجمهور، لأنه ظاهر الآية، وعليه يدل سياق الآيات.

يقول ابن العربي:"وهذا خبرٌ عما كان، وليس فيه إثبات حكم، وإنما هو تنبيه على آيات، وتقرير نِعَم متعددات". أحكام القرآن (٣٧٣/١). فمن أَمْنِه أن يؤمّن فيه الناس على دمائهم وأموالهم.

ينظر في: جامع البيان للطبري (١١/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٢٩/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٤٧٦/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤٢٦/١)، والمغني لابن قدامة (٩٠/٩)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤٠/٤).

(٢) يؤيد ذلك ما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: أيها الناس! قد فرض الله عليكم الحج فحجوا، فقال رجل: أكلَّ عام يا رسول الله؛ فسكت حتى قالها ثلاثا، فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم»، ثم قال: «ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه». صحيح مسلم (٩٧٥/٢)، برقم: (١٣٣٧) كتاب الحج/باب فرض الحج مرة في العمر. وقال ابن المنذر:"وأجمعوا أن على المرء في عمره حجة واحدة حجة الإسلام، إلا أن ينذر نذرًا فيجب عليه الوفاء به". الإجماع (ص٤٨).

والحج: القصد.[١] والاستطاعة: الزاد والراحلة،[٢] ونفقة الذهاب والإياب، والأمن في الطريق.[٣] وقوله: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ أي: فلم يعترف بوجوب الحج على المستطيع.[٤]

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ يعني: وبال كفره عائد إليه.

قوله: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: تصرفون عن دين الله

---

(١) الحج في اللغة: القصد، يقال: حجَّ يحُج فهو حاجّ، والجمع حُجَّاج وحجيج، ثم اختص الحجّ في الاستعمال بقصد البيت الحرام للنسك.

ينظر: العين للخليل (٩/٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٤٩/٣)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٣٤٠/١)"حج"، والمغني لابن قدامة (٨٥/٣)، والمجموع للنووي (٣/٧).

(٢) جاء تفسير الاستطاعة بالزاد والراحلة، عند الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما يوجب الحج؟ قال: «الزاد والراحلة». قال الترمذي: "هذا حديث حسن، والعمل عليه عند أهل العلم: أن الرجل إذا ملك زادا وراحلة وجب عليه الحج". (سنن الترمذي (١٧٧/٣)، برقم: (٨١٣) كتاب الحج، باب ما جاء في إيجاب الحج بالزاد والراحلة، وسنن ابن ماجه (٩٦٧/٢)، برقم: (٢٨٩٦) كتاب المناسك، باب ما يوجب الحج).

(٣) هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، وهو مذهب الشافعي، وأحمد. فكل من وجد طريقا للحج، لم يمنعه مانع فعليه الحج، ومن لم يجد له سبيلًا فإنه لا يكون مطيقًا للحج فلا يجب عليه. وبسط هذه المسألة في كتب الفقه وأحكام القرآن.

ينظر: أحكام القرآن للشافعي (١١٣/١)، وجامع البيان للطبري (١٥/٤)، وأحكام القرآن للجصاص (٣٠٧/٢)، وأحكام القرآن لابن العربي (٣٧٧/١)، والمغني لابن قدامة (٨٦/٣).

(٤) هذا قول الجمهور. وعليه يدل السياق. قال ابن تيمية:" قد تقرر من مذهب أهل السنة والجماعة ما دل عليه الكتاب والسنة، أنهم لا يكفرون أحدًا من أهل القبلة بذنب، ولا يخرجونه من الإسلام بعملٍ إذا كان فَعَل منهيًا عنه ... ما لم يتضمن ترك الإيمان، وأما إن تضمن ترك ما أمر الله به من الإيمان به ... فإنه يكفر به، وكذلك يكفر بعدم اعتقاد وجوب الواجبات الظاهرة المتواترة، وعدم تحريم المحرمات الظاهرة المتواترة". مجموع فتاوى ابن تيمية (٩٠/٢٠).

ينظر: جامع البيان للطبري (١٩/٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (٣٤٣/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٣٠/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥٣/٤).

﴿مَنْ ءَامَنَ﴾. وقوله: ﴿تَبْغُونَهَا﴾ أي: تبغون لها العوج.

وقوله: ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ أي: أنتم تشهدون بما قد ثبت في نفوسكم أن أمر النبي ﷺ حق.[1] ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ والله ﷻ غير غافل عن عملكم.

قوله: ﴿ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي إن اتبعتم آراءهم الباطلة.

﴿يَرُدُّوكُم﴾ أي: إلى كفركم. رُوي: أنَّ شاس بن قيس اليهودي[2] كان شيخا عظيم الكفر، شديد الطعن على المسلمين، شديد الحسد لهم، مرَّ على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس جمعهم يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من ألفتهم، وصلاح ذات بينهم في الإسلام، بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة، فأمر شابا من اليهود كان معه، وقال: اعمد إليهم، فأجلس معهم، ثم ذكّرهم يوم بُعاث،[3] وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا يتقاولون فيه من الأشعار، وكان يوم بُعاث يومًا اقتتل فيه الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه للأوس، ففعل. فتكلّم القوم عند ذلك، فتنازعوا وتفاخروا، وانضمَّ الأوس والخزرج بعضهم إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين، حتى جاءهم وقال: «يا معشر المسلمين، أبدعوى الجاهلية وأنا بين

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٤/٢٢)، ومعاني القرآن للزجاج (١/٤٤٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/٣٤٤).

(٢) هو شاس بن قيس، كبير اليهود، كان أعمى، عظيم الكفر، شديد الطعن على المسلمين، شديد الحسد.

ينظر: أسد الغابة لابن الأثير (١/٢٢٣)، ونهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري (١٦/٢٦٧)، والإصابة لابن حجر (١/١٥٩).

(٣) بُعَاث: موضع بالمدينة، كانت فيه وقعة عظيمة بين الأوس والخزرج في الجاهلية، قُتل فيها خلق من أشراف الأوس والخزرج وكبرائهم، ولم يبق من شيوخهم إلا القليل.

ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (١/٤٥١)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (١/١٣٨) "بعث"، والبدية والنهاية لابن كثير (٣/١٤٨).

أظهركم، بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، وألّف بينكم، فترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً؟ فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان، وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح من أيديهم، وبكوا، وعانق بعضهم بعضًا، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ﴾ الآية.(١)

وقوله: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ ﴾ تعجيبٌ لهم، وفيه عَلمان بيِّنان: نبي الله، وكتاب الله، فأما نبي الله فقد مضى، وأما كتاب الله فأبقاه الله بين أظهرهم، رحمة منه ونعمة فيه بيان حلاله وحرامه، وطاعته ومعصيته.(٢)

قوله: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ ﴾ أي: يتمسك بدينه وطاعته ﴿فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ إلى طريق واضح. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ هو أن يُطاع فلا يُعصى، وأن يُذكر فلا ينسى، وأن يُشكر فلا يُكفر.(٣) ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ أي: كونوا على الإسلام، فإذا ورد عليكم الموت صادفكم على ذلك.(٤)

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٤/٢٣)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٣/٧١٨) عن زيد بن أسلم. وابن المنذر في تفسيره (١/٣١١) عن محمد بن إسحاق، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (٣/١٥٨)، والواحدي في أسباب النزول (ص٢٤٢). قال ابن حجر:" وإسناده مرسل، وفيه راوٍ مبهم". الإصابة (١/١٥٩).

(٢) قاله قتادة رحمه الله، رواه عنه الطبري في جامع البيان (٤/٢٦)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٣/٧٢٠)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (٣/١٩٥)، والبغوي في معالم التنزيل (١/٣٣٢). وصححه الدكتور حكمت في التفسير الصحيح (٢٥٦).

(٣) قاله ابن مسعود ﷺ، رواه عنه ابن المبارك في الزهد (١/٨)، وابن أبي شيبة في المصنف (٧/١٠٦)، والطبري في جامع البيان (٤/٢٧)، وابن المنذر في تفسيره (٣/٣١٧)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٣/٧٢٢)، والحاكم في المستدرك (٢/٣٢٣) برقم: (٣١٥٩) وقال: صحيح على شرط الشيخين. قال ابن كثير بعد إيراد للأثر:" وهذا إسناد صحيح موقوف". تفسير القرآن العظيم (١/٣٨٨).

(٤) ينظر: معاني القرآن للنحاس (١/٤٥٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/٣٤٥)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٤٨٣)، والتفسير الكبير للرازي (٨/١٤٢).

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ أي: استمسكوا بالقرآن.(١) ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ لأن الأمم الخالية هلكت بتفرقها.

قوله: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أي: يا معشر الأنصار.(٢) ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً﴾ الآية، أي: قبل الإسلام، وذلك أنَّ الأوس والخزرج كانا أخوين لأب وأم، فوقعت عداوة بينهما بسبب قتل أحد منهم، وتطاولت العداوة بينهم، حتى بلغ مائة وعشرين سنة، ولم يُسمع بقوم كان بينهم من العداوة والحرب ما كان بينهم، إلى أن أطفأها الله بالإسلام، وألَّف بينهم برسوله محمد عليه الصلاة والسلام.(٣)

---

(١) قاله قتادة، والسدي، والضحاك. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: تمسكوا بدين الله. وقال ابن مسعود ﷺ: بالجماعة. والصحيح أن هذه الأقوال كلها صحيحة ومتقاربة، فكتاب الله وعهده ودينه وطاعته وموافقته لجماعة المؤمنين، كل ذلك من حبل الله الذي يحرز صاحبه من السقوط في نار جهنم. وأصل الحبل: السبب الذي يوصل إلى البغية والحاجة، ولذلك سمي الأمان حبلا، لأنه سبب يوصل به إلى زوال الخوف. قال الرازي رحمه الله: "المراد من الحبل ههنا: كل شيء يمكن التوصل به إلى الحق في طريق الدين، وهو أنواع كثيرة، فذكر كل واحد من المفسرين واحداً من تلك الأشياء". التفسير الكبير للرازي (١٤٢/٨).

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٠/٤)، وتفسير ابن المنذر (٣١٩/١)، والكشف والبيان للثعلبي (١٦١/٣)، وتاج العروس للزبيدي (٢٦٢/٢٨)"ح ب ل".

(٢) عامة المفسرين على أن الخطاب هنا للأنصار ﷺ. وقال الحسن وقتادة: أنها في مشركي العرب عامة. ولا تعارض بين القولين عند التأمل، فالآية وإن كان الخطاب فيه للأوس والخزرج ابتداءً، إلا أنها تعمّ من بعدهم، ممن اجتمعوا وتآلفوا تحت راية الإسلام. يقول ابن عطية: "الخطاب بهذه الآية يعمّ جميع المؤمنين، والمقصود به وقت نزولها الأوس والخزرج، الذين شجر بينهم بسعاية شاس بن قيس ما شجر". المحرر الوجيز (٤٨٢/١). وقال القرطبي: " والمراد الأوس والخزرج، والآية تعمّ". الجامع لأحكام القرآن (١٦٤/٤).
ينظر: تفسير القرآن للسمعاني (٣٤٦/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤٣٣/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢١/٣).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٢/٤)، وتفسير ابن المنذر (٣٢١/١)، والكشف والبيان للثعلبي (١٦٤/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٣٣/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦٤/٤).

﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ أي: بالإسلام. ﴿فَأَصْبَحْتُم﴾ أي: فصرتم ﴿بِنِعْمَتِهِۦٓ﴾ أي: بدين الإسلام ﴿إِخْوَانًا﴾ أي: في الدين والولاية ﴿وَكُنتُمْ﴾ أي: يا معشر الأوس والخزرج. ﴿عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ أي: على طَرَف حفرة من النار، ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا أن تموتوا على كفركم.(١) ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ بالإيمان.

وقوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ مِن: للتبيين.(٢)

﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ أي: الإسلام، ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟﴾ هم اليهود والنصارى.(٣)

---

(١) الشَّفا: الحرف، ومنه أشفى فلان على كذا إذا أشرف عليه، وشفا الحفرة: طرفها، مثل شفا البئر. ينظر: العين للخليل (٦/٢٨٨)"شفو"، ومعاني القرآن للنحاس (١/٤٥٥)، والمفردات للراغب (ص٢٦٤)"شفا".

(٢) هذا قول الزجاج، والنحاس، والسمعاني، والبغوي، إلى أن (مِنْ) هنا بيانية، لبيان الجنس، والمعنى: لتكونوا كلكم أمّةً واحدة تدعون إلى الخير، وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وقد دخلت (مِنْ) لتُخَلِّصَ المخاطبين من بين سائر الأجناس، فهي مؤكدة، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠]. وقال الضحاك، والكلبي، ومقاتل: أن (مِنْ) للتبعيض، ويكون متعلق الأمر ببعض الأمّة. وهو قول الطبري، والقرطبي، رحمة الله على الجميع. وهذا القول هو الأظهر، لأن الدعاء إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لا يصلح إلا لمن عَلِم المعروف والمنكر، فإن الجاهل ربما أمر بمنكر، ونهى عن معروف، وربما عرف حكما في مذهبه مخالفا لمذهب غيره، فينهى عن غير منكر، ويأمر بغير معروف، وقد يغلظ في مواضع اللين، وبالعكس.
ينظر: جامع البيان للطبري (٤/٣٨)، ومعاني القرآن للزجاج (١/٤٥١)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٤٥٦)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/٣٤٧)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٣٣٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/١٦٥).

(٣) هذا قول أكثر المفسرين. ويؤيد ذلك ما جاء في سنن ابن ماجه من حديث أنس بن مالك ﷺ

وقوله: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ أي: تبيضُّ وجوه المؤمنين المخلصين.

﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ أي: وجوه الكافرين والمنافقين.(١)

وقوله: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ أي: فيقال لهم: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾؛ هم أهل الكتاب، كانوا مصدِّقين لمحمد ﷺ قبل أن يبعث، فلما بُعث كفروا به.(٢)

قوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ أي: كنتم عند الله في اللوح المحفوظ.(٣)

قال: قال رسـول الله ﷺ: «إن بني إسـرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي سـتفترق على ثنتين وسـبعين فرقة، كلها في النار، إلا واحدة وهي: الجماعة». سـنن ابن ماجة، (١٣٢٢/٢)، برقم: (٣٩٩٣) كتاب الفتن/باب افتراق الأمم. وجوّد إسـناده وقواه على شـرط الصحيح ابن كثير في النهاية في الفتن والملاحم (١٥/١).

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٩/٤)، والكشف والبيان للثعلبي (١٢٣/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٣٩/١).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٩/٤)، والكشف والبيان للثعلبي (١٢٤/٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (٣٤٧/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤٣٦/١).

(٢) هذا قول عكرمة، والزجاج، والزمخشري.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤٠/٤)، ومعاني القرآن للزجاج (٤٥٥/١)، والكشاف للزمخشري (٤٢٧/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤٣٦/١).

(٣) قاله الفراء، والزجاج، والواحدي، والسيوطي. وذهب الطبري، وابن الأعرابي، والبغوي: بأن المعنى: أنتم خير أمّة خلقتم ووجدتم. كما قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ ﴾ [الأنفال:٢٦]، وقال تعالى في موضع آخر: ﴿وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ﴾[الأعراف:٨٦]. فإدخال (كان) في مثل هذا وإسقاطها بمعنى واحد، لأن الكلام معروف معناه. وهذا هو الصحيح بدليل ما رواه الترمذي في سننه عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول في قوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ قال: «إنكم تتِمّون سبعين أمّة أنتم خيرها وأكرمها على الله». قال الترمذي: هذا حديث حسن. سنن الترمذي (٢٢٦/٥)، برقم: (٣٠٠١)، كتاب التفسير/باب سورة آل عمران. وأخرجه الحاكم في المستدرك وصححه (٩٤/٤)، برقم: (٦٩٨٧)، ذكر فضائل هذه الأمة على سائر

قوله:﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ [٢٣/ب] أي: لن يضركم أيها المؤمنون هؤلاء اليهود إلا أذى باللسان.[١] ﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ أي: ينهزموا عنكم.

وقوله: ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ تقديره: ثم هم لا ينصرون.[٢]﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ أي: أُوجب وأُلزم.[٣]﴿إِلَّا بِحَبْلٍ﴾ أي: بعهدٍ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾،[٤] لكنهم يعتصمون

الأمم. وعزاه الهيثمي للطبراني وقال: رجاله ثقات. مجمع الزوائد (٦/٢٣٤).

ينظر: معاني القرآن للفراء (١/١٧٩)، وجامع البيان للطبري (٤/٤٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٠/٢٠٥)"كان"، ومعاني القرآن للزجاج (١/٤٥٦)، والوجيز للواحدي (١/٢٢٧)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٣٤١)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٤٣٩)، والجلالين للمحلي والسيوطي (ص٨١).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٤/٤٦)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم: (٣/٧٣٤)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٤٦٠)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/٣٢).

(٢) وإنما استؤنف هنا ليدل على أن الله تعالى لا ينصرهم قاتلوا أو لم يقاتلوا.

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٣/١٢٩)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/٢٨٥)، والدر المصون للسمين الحلبي (٣/٣٥٢).

(٣) أي: جعلت الذلّة ملصقة بهم، كالشيء يضرب على الشيء فيلتصق به، والمراد بالذلّة: قتلهم، وسبيهم، وغنيمة أموالهم، أو ضرب الجزية عليهم، والآن لهم دولة، وسيكونون أتباع الدجال.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤/٤٧)، والمفردات للراغب (ص٢٩٤)"ضرب"، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٤٩٠)، ولباب التأويل للخازن (١/٤٠٦).

(٤) الحبل: العهد، في قول جماهير المفسرين وأهل اللغة. وسمي العهد حبلاً؛ لأنه سبب يوصل إلى الأمن وزوال الخوف.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤/٤٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (٥/٥٠)"حبل"، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/١٧٤)، وأحكام أهل الذمة لابن القيم (٣/١٣٧٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٣٩٧).

بحبلٍ إذا أعطوه.(١) وباقي الآية مفسَّر في سورة البقرة.(٢)

وقوله: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً﴾ تقديرها: أمة قائمة وأخرى غير قائمة، فترك الأخرى اكتفاءً بذكر أحد الفريقين.(٣) وذُكر في التفسير: أنَّ هؤلاء يعني بهم: عبد الله بن سلام(٤) وأصحابه.(٥)

---

(١) يريد أنه استثناء منقطع وليس بمتصل، وهو قول الفراء، والزجاج، واختاره ابن عطية، لأن الذلة لا تفارقهم، وهذا هو الأظهر. ورجّح الزمخشري أنه استثناء متصل من أعم الأحوال، والمعنى: ضربت عليهم الذلّة في عامة الأحوال، إلا في حال اعتصامهم بحبل من الله وحبل من الناس.

ينظر: معاني القرآن للفراء (١/١٧٩)، وجامع البيان للطبري (٤/٤٩)، ومعاني القرآن للزجاج (١/٤٥٧)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٤٩١)، والكشاف للزمخشري (١/٤٣٠).

(٢) تقدم تفسير ذلك ص: ١١٠.

(٣) هذا قول الفراء، وابن الأنباري. وذهب عامة المفسرين، وهو اختيار الطبري، وابن عطية، وأبي حيان إلى أن المعنى: ليس اليهود كلهم سواء؛ بل فيهم من هو قائم بأمر الله تعالى. وهذا هو الصحيح، لموافقته لسباق الآية ولحاقها. ولما صح من سبب النزول الصريح الآتي. قال ابن العربي:"وقد اتفق المفسرون أنها نزلت فيمن أسلم من أهل الكتاب، وعليه يدل ظاهر القرآن، ومفتتح الكلام نفي المساواة بين من أسلم منهم وبين من بقي منهم على الكفر". أحكام القرآن (١/٣٨٦).

ينظر: جامع البيان للطبري (٤/٥١)، ومعاني القرآن للزجاج (١/٤٥٨)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٤٩٢)، والتفسير الكبير للرازي (٨/١٦٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/١٧٥)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/٣٦).

(٤) تقدم ترجمته ص: ٣٩٥

(٥) أخرج الطبري في جامع البيان (٤/٥٢)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٣/٧٣٧)، والطبراني في الكبير (٢/٨٧)، برقم: (١٣٨٨)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١/٤٩٣)، برقم: (١٣٩٨)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/٥٣٤)، وأورده الواحدي في أسباب النزول (ص٢٤٦)، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لما أسلم عبد الله بن سلام، وثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية، وأسد بن عبيد، ومن أسلم من يهودٍ معهم، فآمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام، ومنحوا فيه، قالت أحبار يهود وأهل الكفر منهم: ما آمن بمحمد ولا تبعه إلا أشرارنا، ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم، وذهبوا إلى غيره، فأنزل الله ﷻ في ذلك من قولهم: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله:

وقوله: ﴿قَآئِمَةٌ﴾ أي: مستقيمة.[١]

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ أي: إن تفعلوا لن يجحد ذلك منكم، بل يشكر لكم، وتُجازون عليه. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾.

وقوله: ﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ أي: لا يمنعهم أموالهم مما هو نازل بهم؛ لأنهم مالوا إلى الأموال في معاندتهم النبي ﷺ، لأن الرياسة إنما قامت لهم على سفلتهم بمعاندتهم رسول الله ﷺ.[٢] ثم أعلم الله قوله: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ﴾ أي: في تظاهرهم على النبي ﷺ.[٣] ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ أي: بردٌ شديدٌ.[٤]

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾". قال الهيثمي في المجمع (٦/٣٢٧):"رواه الطبراني ورجاله ثقات". وحسن إسناده الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٢/٦٧).

(١) قاله جمهور المفسرين. من (أقمت العُود فقام)، أي: استقام.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤/٥١)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٣/٧٣٨)، والمفردات للراغب (ص٤١٦)"قوم"، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/٣٧).

(٢) قال الطبري رحمه الله:"وإنما خص أولاده وأمواله؛ لأن أولاد الرجل أقرب أنسبائه إليه، وهو على ماله أقرب منه على مال غيره، وأمره فيه أجوز من أمره في مال غيره، فإذا لم يغن عنه ولده لصلبه وماله الذي هو نافذ الأمر فيه، فغير ذلك من أقربائه وسائر أنسبائه وأموالهم أبعد من أن تغني عنه من الله شيئا". جامع البيان (٤/٥٨).

ينظر: تفسير القرآن للسمعاني (١/٣٥٠)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٣٤٤)، والتفسير الكبير للرازي (٨/١٦٨).

(٣) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٣/١٣٣)، والوجيز للواحدي (١/٢٢٨)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٤٩٥).

(٤) هذا قول أكثر المفسرين. والصِّرّ في اللغة: شدة البرد. فإن البرد الشديد ولا سيما الجليد يميت الزروع والثمار.

ينظر: العين للخليل (٧/٨٢)"صر"، وجامع البيان للطبري (٤/٥٩)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٣/٧٤١)، ومعاني القرآن للزجاج (١/٤٦١)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٣٤٤).

﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ﴾ عاقبهم الله بذنوبهم ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾.

فمعنى الآية: مثل نفقات الكفار في بُطلانها وعدم منفعتها وقت حاجتهم إليها، بعد ما كانوا يرجون من عائِدَةِ نَفْعِهَا، كمثل زرعٍ أصابته ريحٌ باردةٌ أو فيها نار فأحرقته؛ فلم ينتفع أصحابه منه بشيء، بعد ما كانوا يرجون من عائدة نفعه.(١)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ جاء في التفسير: أنه كان رجالٌ من المسلمين يواصلون رجالا من اليهود؛ لما كان بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية، ونهاهم عن مُباطنتهم، لئلا يفتنوهم عن دينهم.(٢)

وقوله: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً﴾ أي: لا تتخذوا أولياء وأصفياء من غير أهل ملتكم.(٣)

﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ أي: لا يُقصِّرون ولا يتركون جهدهم وطاقتهم(٤) فيما يورثكم الشرّ

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٥٨/٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٤٦٥/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧٨/٤)، ولباب التأويل للخازن (٤٠٨/١).

(٢) روى ذلك الطبري في جامع البيان (٦١/٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه ابن المنذر في تفسيره (٣٤٥/١)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٧٤٣/٣) عن محمد بن إسحاق. وحسن إسناده الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٧٠/٢).

(٣) البطانة: خاصة الرجل الذين يطلعهم على الباطن من أمره، ويَظْهَرون على سره، مأخوذ من بطانة الثوب. يقال: فلان بطانةٌ لفلان، أي: مداخِلٌ له مؤانس. والمراد: أن المؤمنين نهوا أن يتّخذوا الكفار والمنافقين والمشركين خاصّتهم، ويفضوا إليهم بأسرارهم.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٤٦٥/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٥١/١٣)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٥٩/١)"بطن".

(٤) قوله: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ﴾ من ألوت في الأمر إذا قصّرت فيه، وتقول: ما ألوت في كذا؛ أي: ما قصرت بل اجتهدت.

ينظر: المفردات للراغب (ص٢٢)"إلى"، ولسان العرب لابن منظور (٤٠/١٤)"ألا"، والبحر المحيط لأبي حيان (٣٥/٣).

والفساد.(١) ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: ودُّوا عنَتَكم، أي: أذاكم ومشقتكم.(٢)

وقوله: ﴿وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ﴾ أي: من البغضاء والعداوة ﴿أَكۡبَرُ﴾.

وقوله: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ﴾ أي: ها أنتم الذين تحبونهم.(٣) أي: أنتم أيها المؤمنون تُحبون هؤلاء اليهود الذين نهيتكم عن مباطنتهم، ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ﴾ هم لما بينكم من مخالفة الدين.(٤) ﴿وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ أي: بالكتب كلها،(٥) ولا يؤمنون هم بكتابكم.

وقوله: ﴿عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ﴾ هذا عبارة عن الغيظ والحقد، وإن لم يكن ثمَّ عَضٌّ، فإن قيل: كيف لم يموتوا والله سبحانه وتعالى إذا قال لشيء كن فيكون؟ قلنا: المراد والله أعلم: ابقوا بغيظكم إلى أن تموتوا، فإن مُناكم عن الإسعاف محجوبة.(٦)

---

(١) أصل الخبال: الفساد والشرّ. والخَبْل: ذهاب الشيء وفساده. ومنه الخَبَال: الفساد الذي يلحق الحيوان فيورثه اضطرابا، كالجنون والمرض المؤثر في العقل والفكر.

ينظر: العين للخليل (٢٧٢/٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٨٠/٧)"خبل"، والكشف والبيان للثعلبي (١٣٤/٣)، والمفردات للراغب (ص١٤٢)"خبل"، والتفسير الكبير للرازي (١٧٣/٨).

(٢) العنت: الشدة والمشقة. ومنه الأكمة العنوت، وهي: الشاقة الصعود، وعنت فلان، أي: لقي مشقة.

ينظر: العين للخليل (٧٢/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٦٢/٢)، والمفردات للراغب (ص٣٤٩) "عنت".

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٦٤/٤)، ومعاني القرآن للزجاج (٤٦٣/١)، والتفسير الكبير للرازي (١٧٥/٨)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (٨٦/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤٢/٣).

(٤) قاله أكثر المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦٥/٤)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٧٤٤/٣)، والكشف والبيان للثعلبي (١٣٥/٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦٥/٤)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤٢/٣).

(٥) قاله جماهير المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦٥/٤)، وتفسير الهداية لمكي (١١٠٧/٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٤٩٧/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٠٠/١)، وأضواء البيان للشنقيطي (٢٠٧/١).

(٦) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (١٣٦/٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (٣٥١/١)، ومعالم التنزيل

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: بما فيها من خير وشر. ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ﴾ أي: ظهور لكم على عدوكم، وغنيمة تنالونها منهم، وخصب وسِعة، ودخول داخل في دينكم ﴿تَسُؤۡهُمۡ﴾ أي: تحزنهم ﴿وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ﴾ أي: مساءة، من جَدْب، أو إصابة عدوّ منكم، أو نكبة، أو إخفاق سرية من سراياكم ﴿يَفۡرَحُواْ بِهَا﴾.[١]

﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ﴾ أي: على أذاهم، ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ أي: تخافوا ربكم.

﴿لَا يَضُرُّكُمۡ﴾ أي: لا ينقصكم[٢]﴿كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ أي: عليم.[٣]

﴿وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾ الآية، أي: يوم أحد،[٤] وذلك أن رسول الله ﷺ غدا من منزل

للبغوي (١/٣٤٥)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٤٩٧)، ولباب التأويل للخازن (١/٤١٠) والبحر المحيط لأبي حيان (٣/٤٥).

(١) هذه الأقوال هي على سبيل التمثيل، وليست على سبيل التعيين. قال الراغب:"والحسنة يعبَّر بها عن كل ما يسرُّ من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله، والسيئة تضادها، وهما من الألفاظ المشتركة كالحيوان الواقع على أنواع مختلفة كالفرس والإنسان وغيرهما...". المفردات (ص١١٨)"حسن".

ينظر: جامع البيان للطبري (٤/٦٧)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/١٨٣)، والحسنة والسيئة لابن تيمية (ص٢٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٤٠٠).

(٢) ينظر: المفردات للراغب (ص٢٩٣)"ضر"، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٢/٥٧)، ولسان العرب لابن منظور (٤/٤٨٢)"ضرر".

(٣) قال الراغب:"والإحاطة بالشيء علمًا هي: أن تعلم وجوده وجنسه وكيفيته وغرضه المقصود به وبإيجاده، وما يكون به ومنه، وذلك ليس إلا لله تعالى". المفردات (ص١٣٦)"حائط".

وقال السمعاني:"والإحاطة من الله تعالى تكون: بالقهر والاقتدار والعلم". تفسير القرآن (١/٥٤).

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٣/١٣٧)، ولباب التأويل للخازن (١/٤١٠)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/٥٠٧)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/٤٥).

(٤) قاله جمهور المفسرين. لأن الله تعالى قال في الآية التي بعدها: ﴿إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ

عائشة رضي الله عنها، فمشى على رجليه إلى أُحد، فجعل يصفّ أصحابه للقتال، كأنما يقوّم بهم القِدْح،(١) إن رأى صدرًا خارجًا قال: تأخر.(٢) وذلك أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء، فاستشار النبي ﷺ أصحابه في أمرهم، فقال بعضهم: لا نخرج إليهم يا رسول الله، وقال بعضهم: أخرج بنا إلى هذه الأكلب،(٣) لا يرون أنا جبنّا عنهم وضَعُفْنا، حتى دخل رسول الله ﷺ ولبِس لأمته،(٤) فلما رأوه ندموا وقالوا: بئس ما صنَعْنا، نشير على رسول الله ﷺ والوحي يأتيه، فقاموا واعتذروا إليه، وقالوا: اصنع ما رأيت. فقال رسول [٢٤/أ] الله ﷺ: «لا ينبغي لنبيٍّ أن يلبس لأمته، فيضعها حتى يُقاتل».(٥) وكان قد أقام المشركون بأحد يوم الأربعاء

﴿أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ الآية، ولا خلاف بين المفسرين أنه عني بالطائفتين بني سلمة، وبني حارثة، ولا خلاف بين أهل السير والمعرفة بمغازي رسول الله ﷺ أن الذي ذكر الله تعالى من أمرهما إنما كان يوم أحد دون يوم الأحزاب.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦٩/٤)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٧٤٨/٣)، والكشف والبيان للثعلبي (١٣٧/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٤٦/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٤٩٩/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٠٠/١).

(١) القِدْح: عود السهم إذا قُوّم واستوى قبل أن ينصّل ويراش، فإذا ركب فيه النصل والريش فهو السهم.
ينظر: العين للخليل (٤٠/٣)، ولسان العرب لابن منظور (٥٥٤/٢)، وتاج العروس للزبيدي (٣٨/٧)"قدح".

(٢) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (٥٧/٤)، ودلائل النبوة للبيهقي (٢١٧/٣)، ونهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين (٨٠/١٧)، وزاد المعاد لابن القيم (١٧٨/٣)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٠/٤).

(٣) الأَكْلُب: جماعة الكلاب، على مثال أفعل، واحده كلب.

ينظر: العين للخليل (٣٧٥/٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٤٣/١٠)، ومختار الصحاح للرازي (٢٤٠/١)"كلب".

(٤) اللأْمَة: الدرع.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢٨٦/١٥)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٢٦/٥)"لأم".

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٣٥١/٣)، برقم: (١٤٨٢٩)، والنسائي في الكبرى (٣٨٩/٤)، برقم: (٧٦٤٧) كتاب التعبير/الدرع، والدارمي في سننه (٢٧٣/٢)، برقم: (٢١٥٩)، من حديث جابر ﷺ.

والخميس، فخرج رسول الله ﷺ إليهم يوم الجمعة، وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار، فصلَّى عليه رسول الله ﷺ ثم خرج إليهم فأصبح بالشِّعب[1] من أحد يوم السبت، النصف من شوال، سنة ثلاث من الهجرة، وكان من أمر حرب أحد ما كان، فذلك قوله تعالى:

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾.[2]

أي: توطنهم.[3] قوله:﴿إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ﴾ أي: كانت التبوئة حين ﴿هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾أي: أن تجبنا وتتخلفا عن رسول الله ﷺ، وهما:

وذكره البخاري في صحيحه (٦/٢٦٨٢) معلقًا بلفظ:«لا ينبغي لنبيّ يلبس لأْمَته فيضعها حتى يحكم الله». كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة/باب قول الله تعالى:﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[الشورى:٣٨]. قال الهيثمي:"رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح". مجمع الزوائد (٦/١٠٧).

(١) الشِّعب: طريق بين جبلين، وهو أضيق من الوادي. وقال ابن شميل: الشِّعب: مسيل الماء في بطن من الأرض.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١/٢٨١)، والمفردات للراغب (ص٢٦١)"شعب"، وتهذيب الأسماء للنووي (٣/١٦٣)"الشعب".

(٢) أخرجه بطوله ابن هشام في السيرة النبوية (٤/٥) عن محمد بن إسحاق، والطبري في التاريخ (٢/٦٠) عن السدي، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٣/١٣٧) عن مجاهد، والكلبي، والواقدي، وأورده البيهقي في دلائل النبوة (٣/٢١٧)، وابن الأثير في الكامل في التاريخ (٢/٤٤). وقد لخص ابن كثير سياق القصة بنحوه عن محمد بن إسحاق وغيره في البداية والنهاية (٤/١٠).

(٣) أي: تنزلهم في مواضع القتال ومراكزه، يقال: بوّأ فلانًا مكان كذا، إذا أنزله فيه. وأصل التبوئة: اتخاذ الموضع.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/١٠٣)، ومعاني القرآن للزجاج (١/٤٦٥)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٤٦٨)، والمفردات للراغب (ص٦٩)"بواء".

بنو سَلِمة من الخزرج،[١] وبنو حارثة من الأوس،[٢] وذلك أن عبد الله بن أبيّ الخزرجي[٣] رجع مع ثلاثمائة، وقال: علام نقتل أنفسنا وأولادنا؟ وهمّت بنو سلمة، وبنو حارثة بالانصراف مع عبد الله بن أبيّ، فعصمهم الله تعالى فلم ينصرفوا.[٤]

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ أي: ناصرهما وحافظهما.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ بدر: كان اسم رجل [٥] حفر بئرًا في ذلك الموضع،

---

(١) بنو سَلِمة: بكسر اللام، بطنٌ من الخزرج، وهو بنو سلِمَة بن سعد بن علي بن راشد. والنسبة إليهم سُلَمي، بفتح اللام.

ينظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم (٢/٣٥٨)، والأنساب للسمعاني (٣/٢٨٠)، واللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير (٢/١٢٩)

(٢) بنو حارثة: بطنٌ من الأوس من الأزد، وهم بنو حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن النبيت.
ينظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم (٢/٤٧١)، والأنساب للسمعاني (١/٢٢٨). وأسد الغابة لابن الأثير (١/٤٦٦)،

(٣) هو عبد الله بن أبي ابن سلول، كان رأس المنافقين، ورئيس الخزرج والأوس أيضا، كانوا قد أجمعوا على أن يجعلوه مِلِكًا عليهم في الجاهلية، فلما هداهم الله للإسلام شرق اللعين بريقه، وغاظه ذلك، فبقي في نفسه من الإسلام وأهله، ونزل في ذمه آيات كثيرة مشهورة.
ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣/٥٩)، وتهذيب الأسماء للنووي (١/٢٤٦)، والبداية والنهاية لابن كثير (٥/٣٥).

(٤) روى البخاري ومسلم عن جابر ﷺ قال: "نزلت هذه الآية فينا: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ بني سلِمَة، وبني حارثة وما أحب أنها لم تنزل والله يقول: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾". صحيح البخاري (٤/١٤٨٨)، برقم: (٣٨٢٥) كتاب التفسير/باب ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ وصحيح مسلم (٤/١٩٤٨)، برقم: (٢٥٠٥) كتاب فضائل الصحابة/ باب من فضائل الأنصار.
ينظر: المغازي للواقدي (١/٢٧٢)، والتاريخ للطبري (٢/٦٠)، والبداية والنهاية لابن كثير (٤/٩).
(٥) هو بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة. سكن هذا الموضع فنسب إليه، ثم غلب اسمه عليه. وهي الآن بلدة كبيرة على بعد حوالي ١٥٠ كم من المدينة المنورة، على طريق ينبع أسفل وادي الصفراء.

فنسب إليه،[١] التقى رسول الله ﷺ والمشركون بها، وكان أول قتال قاتله نبي الله ﷺ.[٢]

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ أي: جمع ذليل.[٣]

قوله: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ رُوي: أنَّ الله أمدَّهم بألف، ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم صاروا خمسة آلاف، فذلك قوله ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[الأنفال:٩]، وقوله: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ﴾ الآية.[٤]

قوله: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ

ينظر: تاريخ الطبري (١/١١٥)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (١/٣٥٧)، وتاج العروس للزبيدي (١٠/١٤٠).

(١) ذكر ذلك عامر الشعبي. رواه عنه الطبري في جامع البيان (٤/٧٥)، وابن المنذر في تفسيره (١/٣٦١)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٣/٧٥٠). وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (٣/١٣٩). وصحح إسناده الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٢/٧٣).

(٢) روى ذلك الطبري في جامع البيان (٤/٧٥) عن قتادة. وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٣/٧٥١) عن الربيع بن أنس. وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (٣/١٤٠).

(٣) هذا جمع القلة. وجمع الكثرة: ذُلّان، فجاء على جمع القلة ليدل أنهم كانوا قليلين مستضعفين. والذّلة التي ظهرت لغيرهم عليهم هي: ما كانوا عليه من الضعف من قلة العدد، وقلة السلاح، والمال، والمركوب. واسم الذُّل في هذا الموضع مستعار، ولم يكونوا في أنفسهم إلا أعزة، ولكن نسبتهم إلى عدوّهم وإلى جميع الكفار في أقطار الأرض يقتضي عند التأمل ذلتهم وأنهم مغلوبون.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤/٧٤)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٥٠٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/٥١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٤٠١).

(٤) روي هذا عن قتادة، والربيع. رواه الطبري في جامع البيان (٤/٧٨)، وابن المنذر في تفسيره (١/٣٦٦)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٣/٧٥٢). وحسن إسناده عن الربيع الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٢/٧٣).

ﵟٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَﵞ فصبر المؤمنون يوم بدر، واتقوا، فأمدّهم الله بخمسة آلاف من الملائكة على ما وعدهم، فهذا كله يوم بدر.(١) وفي كل ما يكون على جهة القوة والإعانة يقال: أمدَّه.(٢) قوله: ﵟبَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْﵞ أي: لعدوِّكم ﵟوَتَتَّقُواْﵞ أي: معصية ربكم، ومخالفة أمر نبيكم ﵟوَيَأۡتُوكُمﵞ يعني: المشركين ﵟمِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَاﵞ أي: من غضبهم.(٣)

وأصل الفور: القصد إلى الشيء، والأخذ منه بحدّة، ويقال: جاء عن فوره، أي عن ساعته.(٤)

---

(١) هذا قول جمهور المفسرين، لأن الله ﷻ قد وعد المؤمنين أن يمدّهم بخمسة آلاف من الملائكة إن تحققت ثلاثة أمور، ووعْده سبحانه لا يتخلف ولا يتبدل، وقد تحققت هذه الأمور الثلاثة، وهي: صبر الصحابة ﵃، واتقاؤهم الله تعالى، ومجيء المشركين من فورهم، أي: من غضبهم، كما جاء في السيرة من خروج قريش مسرعة لإنقاذ عِيرها ورجالها.

ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (٥٧/٤)، وجامع البيان للطبري (٧٦/٤)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٧٥٢/٣)، والكشف والبيان للثعلبي (١٤٢/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٤٧/١)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٣٧/١٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٠٢/١).

(٢) أصل الإمداد: إعطاء الشيء حالاً بعد حال، والإمداد: إعانة الجيش بالجيش، قال المفضل بن سلمة: ما كان على جهة القوة والإعانة قيل فيه أمدَّه يمدّه، وما كان على جهة الزيادة قيل فيه: مدَّه يمدُّه ومنه قوله تعالى: ﵟوَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥﵞ [لقمان:٢٧].

ينظر: المفردات للراغب (ص٤٦٤)"مد"، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٣٠٧/٤)، ولسان العرب لابن منظور (٣٩٦/٣)"مدد".

(٣) هذا قول عكرمة، ومجاهد، والضحاك وغيرهم. -رحمة الله على الجميع-. وقال ابن عباس رضي الله عنهما، والحسن، وقتادة، ومقاتل، والربيع، والسدي، والزجاج: من وجههم وسفرهم. وجمع الطبري بين القولين، بأن من قال: من وجههم؛ أراد ابتداء مخرجهم يوم بدر، ومن قال: من غضبهم؛ أراد ابتداء غضبهم لقتلاهم يوم بدر، فلذلك روي عن الضحاك: من غضبهم ووجههم.

ينظر: جامع البيان للطبري (٨٠/٤)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم: (٧٥٣/٣)، ومعاني القرآن للزجاج (٤٦٦/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤٥١/١).

(٤) ينظر: العين للخليل (٢٧٩/٨)"فور"، وغريب القرآن لابن عزيز السجستاني (ص٣٥٩)، والمفردات للراغب (ص٣٨٦)"فور".

وقوله: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ أي: مُعْلَمِين، والسّومة: العلامة،(١) وعلامتهم كانت عمائم صفراء.(٢)

قوله: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ يعني: هذا الوعد والمدد ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ أي: لتستبشروا به.

﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾ أي: لتسكن، فلا تجزع من كثرة عدوِّكم، وقلة عددكم.

قوله: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾ تقديره: ولقد نصركم الله ببدرٍ ليقطع طرفًا.(٣) أي: ليهلك طائفةً ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾(٤) ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ أي: يصرعهم لوجوههم.(٥)

---

(١) قاله جمهور المفسرين وأهل اللغة.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١٠٣/١)، وغريب القرآن لابن عزيز السجستاني (ص٤٣٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٤٦٩/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٧٥/١٣)"سوم"، والمحرر الوجيز لابن عطية (٥٠٤/١).

(٢) قاله قتادة، رواه عنه الصنعاني في تفسيره (١٣١/١). وعن عباد بن حمزة قال:كان على الزبير يوم بدر عمامة صفراء معتجرا بها، فنزلت الملائكة عليهم عمائم صفر، مثل سيما الزبير". رواه سعيد بن منصور في سننه (٢٤٦/٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٦٠/٥)، والطبري في جامع البيان (٨٣/٤)، وابن المنذر في تفسيره (٣٧٠/١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧٥٥/٣).

وصحح إسناده الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٧٣/٢).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٨٥/٤)، وإعراب القرآن للنحاس (٤٠٦/١)، والكشف والبيان للثعلبي (١٤٥/٣)، والوجيز للواحدي (٢٣١/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٤٩/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤٥٤/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٩٨/٤).

(٤) قاله جمهور المفسرين. وكنى عن جماعة الكفار المقتولين بقوله:﴿طَرَفًا﴾، لأن من قتله المسلمون في حربٍ هم طرف من الكفار، إذ هم الذين يلون القاتلين، فهم منهم. فكأنّ جميع الكفار رفقة، وهؤلاء المقتولون طرفاً منها.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١٠٣/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٥٥/٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٠٣/١)، وتاج العروس للزبيدي (٦٩/٢٤)"طرف".

(٥) الكبت: الإهلاك والصرف والإذلال. تقول العرب: كبتَه الله لوجهه: أي صرعه لوجهه، وأهلكه. وأصل الكبت: الرد بعنف وتذليل. والمراد به: الإخزاء، والإهلاك، واللعن، والهزيمة، والغيظ، والإذلال،

قُتل يوم بدر سبعون، وأُسر سبعون من المشركين.(١)

قوله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ الآية، في صحيح البخاري: أن رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع الأخيرة من الفجر يقول: «اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا» بعد ما يقول: «سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد»، فأنزل الله ﷻ ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾.(٢) أي: ليس لك من الأمر على حسب مرادك شيء.(٣)

وقوله: ﴿أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ﴾ وذلك أن الرجل كان له على الرجل مال، فإذا حلّ الأجل طلبه من صاحبه، فيقول المطلوب: أخِّر عني وأزيدك على مالك، وربما يفعلان ذلك مراراً، فبيَّن الله تعالى أن ذلك من الرِّبا الحرام.(٤)

فكل ذلك ذكره المفسرون في تفسير الكبت.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١٠٣/١)، وجامع البيان للطبري (٨٥/٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (٨٨/١٠)، والمفردات للراغب (ص٤٢٠)"كبت"، والتفسير الكبير للرازي (١٨٩/٨)، ولباب التأويل للخازن (٤١٦/١).

(١) قاله جمهور المفسرين وأهل السير. ويؤيد ذلك ما جاء في صحيح البخاري عن البراء ﷺ قال:" وكان النبي ﷺ وأصحابه أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة: سبعين أسيرًا وسبعين قتيلًا". (صحيح البخاري (١١٠٥/٣)، برقم: (٢٨٧٤) كتاب المغازي/باب ما يكره من التنازع وَالاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه).

ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢٦٣/٣)، وتاريخ الطبري (٤٦/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١٤٥/٣)، والمنتظم لابن الجوزي (١٠٩/٣)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٨٣/٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٩٣/٤)، برقم: (٣٨٤٢) كتاب المغازي/ باب ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ الآية، ومسلم نحوه (٤٦٦/١)، برقم: (٦٧٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة/ باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٨٦/٤)، والكشف والبيان للثعلبي (١٤٥/٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (٣٥٦/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٤٩/١).

(٤) رواه الطبري بنحوه في جامع البيان (٩٠/٤) عن عطاء. ورواه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن

قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ أي: وسارعوا إلى الإسلام لتنالوا المغفرة.[١] وقوله تعالى: ﴿عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ أي: عرض السماوات والأرض، وإنما خصَّ العرض بالذكر على المبالغة؛ لأن طول كل شيء في الأغلب أكثر من عرضه.[٢]

قوله: ﴿فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ أي: الرخاء والشدة، فذكر السخاوة أول خلُق من

(٧٥٩/٣)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (١٤٧/٣) عن سعيد بن جبير. قال ابن تيمية:"وهذا الربا حرام بإجماع المسلمين". مجموع فتاوى ابن تيمية (٤١٩/٢٩).

(١) هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما. وقال علي بن أبي طالب ﷺ: إلى أداء الفرائض. وقال عكرمة: إلى التوبة. وقال أبو العالية: إلى الهجرة. والصحيح أن الآية عامة في الجميع، ومعناها معنى قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾[البقرة:١٤٨]، وهذه الأقوال على سبيل التنوع وذكر بعض أفراد العام. قال الرازي رحمه الله: "والأولى وجوب حمله على أداء الواجبات والتوبة عن جميع المحظورات، لأن اللفظ عام، فلا وجه في تخصيصه". التفسير الكبير للرازي (٥/٩).

ينظر: معالم التنزيل للبغوي (٣٥١/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤٥٩/١)، والجامع لأحكام القرآن (٢٠٣/٤)، ولباب التأويل للخازن (٤١٩/١).

(٢) هذا قول جمهور المفسرين. ووردت الآية على سبيل التمثيل تشبيها بهما في السَّعة والعِظم، فإذا كان عرضها كعرض السموات السبع إذا بُسِطن بجانب بعضهن البعض، وكذلك الأرضين، فما الظن بطولها؟ ويدل على هذا التمثيل قوله تعالى:﴿وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحديد: ٢١]، فقد وردت بكاف التشبيه. وهذا القول هو الأظهر.وقال ابن قتيبة:"أراد بالعرض: سعتَها، ولم يرد العرض الذي يخالف الطول، والعرب تقول: بلاد عريضة أي: واسعة". تفسير غريب القرآن (ص١١١).

ينظر: جامع البيان للطبري (٩١/٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٤٧٦/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٥١/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤٦٠/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠٤/٤)، والبحر المحيط لأبي حيان (٦٢/٣).

أخلاقهم.[(١)] ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ أي: الجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه.[(٢)] وأصل الكظم: حبس الشيء عند امتلائه.[(٣)]

قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٢٤/ب] الإحسان: أن تعُمّ ولا تخُصّ، كالريح، والشمس والمطر.[(٤)] ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾ أي: فِعْلة فاحشة قبيحة، خارجة عما أذن الله فيه.[(٥)] ﴿ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: تفكروا في أنفسهم أن الله سائلهم عنه.

وقوله: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي: معصيتهم وذنبهم.[(٦)]

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٩٣/٤)، والكشف والبيان للثعلبي (١٥٠/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٥١/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٥٠٩/١).

(٢) أخرج ابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:«ما من جرعة أعظم أجرا عند الله، من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله». (السنن، (١٤٠١/٢)، برقم: (٤١٨٩)، كتاب الزهد/باب الحلم. قال البوصيري:"هذا إسناد صحيح رجاله ثقات". مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (٢٣٣/٤).

(٣) كظم الغيظ: ردّه في الجوف وحبْسه، مأخوذ بكَظْمِه، وهو: مجرى النفس، يقال: كظم غيظه: اجْتَرَعه وسكت عليه ولم يظهره مع قدرته على إيقاعه بعدوه، وكظمت السقاء: ملأته وسددت عليه.
ينظر: العين للخليل (٣٤٥/٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (٩٣/١٠)، وتاج العروس للزبيدي (٣٦٢/٣٣)"كظم".

(٤) هذا قول الحسن رحمه الله. والألف واللام للجنس، فيتناول كل محسن.
ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (١٦٧/٣)، والتفسير الكبير للرازي (٨/٩)، والبحر المحيط لأبي حيان (٦٣/٣)،

(٥) هذا تعريف أكثر المفسرين. وأصل الفحش: القُبح والخروج عن الحدّ والمقدار في كل شيء، ومنه قيل للكلام القبيح غير القصد: كلام فاحش.
ينظر: جامع البيان للطبري (٩٥/٤)، والكشف والبيان للثعلبي (١٦٨/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٥٢/١)، والتفسير الكبير للرازي (٩/٩)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (١٤٧/٢)"فحش".

(٦) قاله جمهور المفسرين.

وقوله: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ أي: هذا القرآن[١] بيان للناس عامّة ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ أي: لا تضعفوا ولا تجبنوا[٢] يا أصحاب محمد عن جهاد أعدائكم بما نالكم يوم أحد. ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما أصابكم من مصيبة ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ أي: لكم تكون العاقبة والظفر ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: إذ كنتم مؤمنين فلا تهنوا.[٣]

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ أي: جراحة.[٤] ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ أي: نجعل الدُّولة[٥] في وقتٍ على المؤمنين إذا عصوا فيما

ينظر: جامع البيان للطبري (٤/٩٧)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/١٦٩)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/٢١٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/٦٥).

(١) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: تفسير القرآن لابن أبي حاتم (٣/٧٧٩)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٥١٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/٦٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٤٠٩).

(٢) هذا قول أكثر المفسرين.

ينظر: العين للخليل (٤/٩٢)"وهن"، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٣/٧٧٠)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٤٨١)، والكشاف للزمخشري (١/٥٩٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٤٦٦).

(٣) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٣/١٧٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٣٥٥)، ولباب التأويل للخازن (١/٤٢٥).

(٤) القَرْح: إصابة الجلد بجرح، يقال: قرحه: إذا جرحه، والقريح: الجريح.

ينظر: العين للخليل (٣/٤٣)"قرح"، وجامع البيان للطبري (٤/١٠٣)، وغريب القرآن لابن عزيز (ص٣٧٤)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٤٨١).

(٥) الدَّوْلة في الحرب: أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى، يقال: كانت لنا عليهم الدَّولة. والجمع: الدِّول -بكسر الدال- والدُّولة -بالضم- في المال، يقال: صار الفيء دُولة بينهم يتداولونه، يكون مرة لهذا ومرة لهذا.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (١/٤٧٠)، وغريب القرآن لابن عزيز السجستاني (ص٢٢٥)، وتهذيب اللغة

يؤمرون به. ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ عطف على مداولة الأيام بين الناس، كأنه قال: إنما مسَّكم القتل والجراحة لأمور، بينها: أن الحرب سجال، لا يكون لفريق واحدٍ.

والثاني: أن يَعلم ثبات المؤمنين واقعًا ومشاهدًا منهم.

والثالث: أن يستشهد بعضكم، فيستحقوا ثواب الشهداء.

والرابع: أن يمحّص المؤمنين.

والخامس: أن يُمحق الكافرين، فإدالة المؤمن على الكافر لمحق الكافرين، أو أن يحبط أعمالهم. وإدالة الكافر على المؤمن ليُمحّص المؤمنين. وأصل المحص: التنقية والتخليص.(١)

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ﴾ أي: لما يعلم الله ذلك واقعا منهم، لأنه يعلمه غيبًا، ويجازيهم على عملهم، فهو في الحقيقة نفي المعلوم من الجهاد والصبر.(٢)

وقوله: ﴿وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ تقدير الآية: لما يجتمع علم الجهاد وعلم صبر الصابرين.(٣)

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ﴾ أي: تمنى الجهاد من لم يحضر بدرًا، فلما رأوه يوم أحد أعرض كثير عنه، فعاتبهم الله على ذلك.(٤)

للأزهري (١٢٣/١٤)"دول"،

(١) المحص: خلوص الشـيء، محصـته محصًـا: خلصـته من كل عيب. والتمحيص: الابتلاء والاختبار. فالتمحيص ههنا: كالتزكية والتطهير.

ينظر: العين للخليـل (١٢٧/٣)، وتهـذيـب اللغـة للأزهري (١٥٨/٤)، والمفردات للراغـب (ص٤٦٤)"محص".

(٢) ينظر: معاني القرآن للنحاس (٤٨٤/١)، ومعاني القرآن للزجاج (٤٧٢/١)، والدر المصون للسمين الحلبي (٤٠٩/٣).

(٣) ينظر: إيجاز البيان عن معاني القرآن لمحمود النيسابوري (١٨١/١)، ورموز الكنوز لعز الدين الرسعني (٣١٦/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٧٢/٣).

(٤) روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، والحسن، وقتادة، ومقاتل، والسدي، ومحمد بن كعب، والربيع بن أنس.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٠٩/٤)، وتفسير ابن المنذر (٤٠٠/١)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم

وإنما قال: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ أي: كانت رؤية تثبت لا رؤية تخيُّل.[١]

قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾

سبب ذلك: أن النبي ﷺ، خرج حتى نزل الشِّعب[٢] من أحد في سبعمائة رجل، وأمَّر عبد الله بن جُبير[٣] أحد بني عمرو بن عوف،[٤] وهو أخو خوّات بن جُبير[٥] على الرُّماة،[٦] وهم خمسون رجلًا، فقال: «أقيموا بأصل الجبل، وانضحوا عنا بالنبل،[٧] لا يأتونا من خلفنا، وإن

(٧٧٦/٣)، والكشف والبيان للثعلبي (١٧٤/٣).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١٠٩/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٥٦/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٥١٦/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤٦٨/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٧٤/٣).

(٢) تقدم معنى الشِّعب ص: ٤٢٥.

(٣) هو عبد الله بن جبير بن النعمان، شهد بدرًا والعقبة، وقتل يوم أحد شهيداً، وهو أمير الرماة.

ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٤٧٥/٣)، والاستيعاب لابن عبد البر (٨٧٧/٣)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٦٦/٣).

(٤) هم بنو عمرو بن عوف بن الخزرج، بطن كبير من الأوس، فيه عدة أحياء، كانت منازلهم بقباء، أقام فيهم رسول الله ﷺ أيامًا عند مقدمه من الهجرة، وأسس مسجد قباء.

ينظر: تاريخ الطبري (٥٧٢/١)، والإنباه على قبائل الرواة لابن عبد البر (ص١٠٤)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٩٨/٣).

(٥) هو خوّات بن جبير بن النعمان الأنصاري، يكْنى أبا صالح، خرج مع رسول الله ﷺ في غزوة بدر حتى بلغ الصفراء، فأصاب ساقه فصيل حجر فرجع، فضرب له رسول الله ﷺ بسهم مع أصحاب بدر، وشهد المشاهد بعد وعاش حتى ذهب بصره، ومات سنة ٤٢ هـ.

ينظر: معجم الصحابة للبغوي (٢٧٥/٢)، والاستيعاب لابن عبد البر (٤٥٥/٢)، وأسد الغابة لابن الأثير (١٨٢/٢).

(٦) الرُّمَاة: الجبل الصغير الذي يبطن الوادي، بجانب جبل أحد جنوبا. ويقع شمال المسجد النبوي على بعد نحو ٣ كم.

ينظر: أخبار المدينة للنميري (٨٢/١)، والسيرة النبوية لابن هشام (١١/٤)،

(٧) أي: ارموهم بالنشاب وذبوهم عنا. وأصل النضح: رش الماء، والنضح: الرمي، هذا على جهة التشبيه،

كانت لنا أو علينا، فلا تبرحوا مكانكم، فإنا لن نزال غالبين ما ثبتُّم مكانكم».[١] فجاءت قريش وعلى ميمنتهم خالد بن الوليد،[٢] وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل،[٣] ومعهم النساء يضربن بالدفوف، وتقلن الأشعار، ثم حمل النبي ﷺ على المشركين، فهزموهم، وقَتل عليُّ بن أبي طالب ﷺ طلحة ابن أبي طلحة،[٤] وهو يحمل لواء قريش، وأنزل الله نصرةً على المؤمنين، فلما نظرت الرُّماة إلى القوم قد انكشفوا، أقبلوا يريدون النهب، واختلفوا، فقال بعضهم: لا

يقال: نضحوهم بالنبل: إذا رموهم. ويناضح عن قومه، أي: يذب عنهم.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٤/١٢٦)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/٤٣٨)، ولسان العرب لابن منظور (٢/٦١٨)"نضح".

(١) روى ذلك البخاري في صحيحه بمعناه عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: جعل النبي ﷺ على الرجّالة يوم أحد، وكانوا خمسين رجلًا عبد الله بن جبير، فقال:«إن رأيتمونا تخطفُنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأْناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم». الحديث. صحيح البخاري (٣/١١٠٥)، برقم: (٢٨٧٤) كتاب الجهاد والسير/باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه.

(٢) هو خالد بن الوليد بن المغيرة، أبو سليمان، المخزومي القرشي، الصحابي، سيف الله الفاتح الكبير، أسلم قبل فتح مكة، فكان سيفا من سيوف الله على أعداء الدين، وعَزَماتُه يوم مؤتة وفي الردّة وبدء فتوح العراق وفتوح الشام، إذ كان له فيها البلاء الحسن الجميل، وتوفي بحمص سنة ٢١ هـ.

ينظر: معجم الصحابة للبغوي (٢/٢٢٣)، والاستيعاب لابن عبد البر (٢/٤٢٧)، وأسد الغابة لابن الأثير (٢/١٣٥).

(٣) هو عكرمة بن أبي جهل بن هشام المخزومي القرشي، كان شديد العداوة لرسول الله ﷺ هو وأبوه، وكان فارسا مشهورا، أسلم بعد الفتح، وحسن إسلامه، واستشهد يوم اليرموك سنة ١٣ هـ.

ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٣/١٠٨٢)، وأسد الغابة لابن الأثير (٤/٧٧)، وتهذيب الأسماء للنووي (١/٣١١).

(٤) هو طلحة بن أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار، قُتل يوم أحد كافراً، وكان معه لواء المشركين، بارزه علي بن أبي طالب ﷺ وقتله.

ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/٤٠)، والسيرة النبوية لابن هشام (٤/١٠٥)، والبداية والنهاية لابن كثير (٤/٢٠).

نترك أمر رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: ما بقي من الأمر شيء، ثم انطلق عامتهم ولحقوا بالعسكر، فلما رأى خالد بن الوليد قلّة الرماة، واشتغال المسلمين بالغنيمة، ورأى ظهورهم خالية، صاح في خيله من المشركين، ثم حمل على أصحاب النبي ﷺ فانكشفوا، وأقبل عبد الله بن قمئة،[١] يريد قتل رسول الله ﷺ، فذبّ مصعب بن عمير،[٢] وهو صاحب راية رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ، حتى قُتل مصعب عنده على يد ابن قميئة، فرجع وهو يرى أنه قَتَل رسول الله ﷺ، وقال: إني قتلت محمدا، وصرخ صارخ: ألا إنَّ محمدًا قد قُتل، فانكفأ الناس،[٣] وجعل رسول الله ﷺ يدعو الناس: «إليَّ عباد الله، إليَّ عباد الله»، فاجتمع إليه ثلاثون رجلا، فحموه حتى كشفوا عن المشركين، فأنزل الله تعالى:﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾.[٤] أي: رجعتم إلى دينكم الأول، وذلك أنَّ قومًا من أهل النفاق قالوا للناس: إن كان محمد قُتل فالحقوا بدينكم

---

(١) هو عبد الله بن قمئة، رجل من هذيل، أدمى وجه رسول الله ﷺ، فدعى عليه، فكان حتفه أن سلط الله عليه تيسًا فنطحه فقتله.

ينظر: تاريخ الطبري (٦٧/٢)، والكامل في التاريخ لابن الأثير (٤٩/٢)، والبداية والنهاية لابن كثير (٢٣/٤). وسبل الهدى والرشاد لمحمد بن يوسف الشامي (١٩٩/٤).

(٢) هو مصـــعب بن عمير بن هاشـــم بن عبد مناف، بن عبد الدار، من المهاجرين الأولين، بعثه رســـول الله ﷺ إلى المدينة قبل الهجرة، وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإســـلام، ويفقههم في الدين، وكان يدعى القارئ المقرئ، شهد بدراً، وقُتل يوم أحد شهيداً.

ينظر: تاريخ الطبري (٥٥٩/١)، والاستيعاب لابن عبد البر (١٤٧٣/٤)، وأسد الغابة لابن الأثير (١٩٠/٥).

(٣) أي: رجعوا وانقلبوا. والأصل في الانكفاء: الانقلاب، من كفأت الإناء: إذا قلبته.

ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٨٩/٥)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (١٨٠/٤)، ولسان العرب لابن منظور (١٣٩/١) "كفأ".

(٤) أخرجه بنحوه الواقدي في المغازي (٢٠٠/١)، وابن هشام في السيرة النبوية (٥/٤)، وذكره ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣٦/٢)، ورواه الطبري في التاريخ (٦٧/٢)، وجامع البيان (١١٠/٤)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٧٧٨/٣) عن ابن إسحاق، والسدي، وقتادة، والربيع.

الأول، فحذَّرهم الله تعالى بهذه الآية.(١)

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: بعلم الله.

﴿كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ هو تأكيد، أي: كتب الله ذلك كتاباً مؤجلا، أي: كتاباً ذا أجل، والأجل: هو الوقت المعلوم، أي: لا يموت محمد وغيره من الخلائق إلا بأجل معلوم مسمى، قد كتب الله ذلك له.(٢) قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ﴾ أي: كم من نبيّ.(٣)

﴿قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ أي: جموع كثيرة.(٤)

﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: فما وهن من بقي منهم.(٥)

---

(١) قاله ابن جريج، والضحاك، وقتادة.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤/١١٣)، وتفسير ابن المنذر (١/٤٠٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/١٧٦)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٣٥٨)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٤٦٩).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٤/١١٤)، ومعاني القرآن للزجاج (١/٤٧٤)، وإعراب القرآن للنحاس (١/٤١٠)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/٧٦).

(٣) ﴿وَكَأَيِّن﴾ الأصل فيه (أيّ) الاستفهامية، أدخلت عليها كاف التشبيه، وبنيت معها، فصار في معنى (كم) التي للتكثير، ولم يقع التنوين صورة في الخط إلا في هذا الحرف. قاله الخليل وسيبويه، وجمهور المفسرين.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (١/٤٧٥)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٣٥٩)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/٢٩٧)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/٢٢٨)، ولسان العرب لابن منظور (١٣/٣٧١)"كين"، والدر المصون للسمين الحلبي (٣/٤٢١).

(٤) روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، وسعيد بن جبير، والحسن، وعكرمة، والسدي، وعطاء الخراساني، وقتادة، رحمة الله عليهم.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤/١١٧)، وتفسير ابن المنذر (١/٤١٩)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٣/٧٨٠). وحسن سنده عن ابن عباس رضي الله عنهما الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٢/٨٤).

(٥) وجه الكلام في الآية: أنه قُتل بعض من كان مع ذلك النبي، تقول العرب: قتلنا بني تميم، وبني سليم؛

﴿وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْ﴾ أي: ما خضعوا لعدوهم.(١)

﴿وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ الآية ظاهر معناها.

وقوله: ﴿سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ﴾ وذلك أن أبا سفيان والمشركين ارتحلوا يوم [٢٥/أ] أُحد متوجِّهين نحو مكة، انطلقوا حتى بلغوا بعض الطريق، ثم إنهم ندموا وقالوا: بئس ما صنعنا، قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد(٢)تركناهم، ارجعوا فاستأصلوهم. فلما عزموا على ذلك، قذف الله في قلوبهم الرعب حتى رجعوا عما همُّوا به.(٣)

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦ﴾ أي: تقتلونهم.(٤)

وإنما قَتلوا بعضهم، ويكون قوله: ﴿فَمَا وَهَنُواْ﴾ راجعًا إلى من بقي منهم. وهو قول الحسن، وسعيد بن جبير.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٤٨٩/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٦٠/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٥٢١/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٢٩/٤)، والبحر المحيط لأبي حيان (٨٠/٣).

(١) الاستكانة: الخضوع، يقال: استكانَ فلان إذا خضع. قال مقاتل بن سليمان: وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم.

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٩٥/١)، وجامع البيان للطبري (١١٩/٤)، وغريب القرآن لابن عزيز السجستاني (ص١٠٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٠٤/١٠)"كون".

(٢) الشريد: الطريد المهزوم. يقال: رجل مشرّد شريد، أي: طريد.

ينظر: العين للخليل (٢٤١/٦)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٢٤٧/٢)، وتاج العروس للزبيدي (٢٤٨/٨)"شرد".

(٣) أخرج الطبري في جامع البيان (١٢٤/٤) عن السدي نحوه وأطول، وإسناده مرسل. وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٨٣/٣)، والواحدي في أسباب النزول (ص٢٥٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤٧٤/١)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٣٢/٤).

(٤) قاله جماهير المفسرين. يقال: حسَّه يحسُّه حسًّا: إذا قتله. وروي هذا المعنى عن: عبد الرحمن بن عوف، وابن عباس ﷺ، ومجاهد، وقتادة، والحسن، والسدي، وابن إسحاق، رحمة الله على الجميع.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ وإنما عنى بهذا الرماة، وذلك أنَّ النبي ﷺ أقامهم في موضع، ثم قال:«احموا ظهورنا، فإنْ رأيتمونا نُقتل، فلا تنصرونا، وإنْ رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا». فلما غنم رسول الله ﷺ، وأباحوا عسكر المشركين، أكبّ الرماة جميعًا، فدخلوا في العسكر ينهبون، وقد التقت صفوف أصحاب النبي ﷺ، فهم هكذا -وشبك أصابع يديه- والتبسوا، فلما أخلَّ الرماة تلك الخلة التي كانوا فيها، دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب رسول الله ﷺ، فضَرب بعضُهم بعضًا، والتبسوا، وقُتل من المسلمين ناسٌ كثير، وعدد مَن قُتل من المشركين في أول النهار سبعة أو تسعة.(١)

قوله:﴿إِذۡ تُصۡعِدُونَ﴾ أي: تسيرون في مستوى الأرض وبطون الأودية والشعاب.(٢)

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١٠٤/١)، وجامع البيان للطبري (١٢٧/٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٤٩٣/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٦١/٣)"حس".

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٨٧/١)، برقم: (٢٦٠٩)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٧٨٧/٣)، والطبراني في الكبير (٣٠١/١٠)، برقم: (١٠٧٣١)، والحاكم في المستدرك (٣٢٤/٢)، برقم: (٣١٦٣) وصححه، والبيهقي في دلائل النبوة (٢٧٠/٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال ابن كثير رحمه الله:"هذا حديث غريب، وسياق عجيب، وهو من مرسلات ابن عباس، فإنه لم يشهد أحدًا ولا أبوه ... ولبعضه شواهد في الصحاح وغيرها". تفسير القرآن العظيم (٤١٣/١). وقال الهيثمي:"وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد، وقد وثق على ضعفه". مجمع الزوائد (١١١/٦).

(٢) أصل الصعود: الارتفاع، ويطلق على المشي في مرتفع الأرض. يقال: صَعِد وأصْعَد فهو صاعدٌ ومصْعِد. والإصعاد: الذهاب في مستوى الأرض. ومن توجه في وجه يقصده من سفر أو غيره فهو مصعد في ابتدائه، منحدر في رجوعه.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٣٢/٤)، ومعاني القرآن للزجاج (٤٧٨/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٧/٢)"صعد"، والكشف والبيان للثعلبي (١٨٥/٣)، والمفردات للراغب (ص٢٨٠)"صعد".

﴿وَلَا تَلْوُۥنَ﴾ أي: لا تُعرِّجون ولا تقيمون ﴿عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ منكم، أي: لا يلتفت بعض إلى بعض هربًا.(١) ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِيٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ أي: في آخركم ومن ورائكم(٢): «إليّ عباد الله، فأنا رسول الله، من يكرّ فله الجنة».(٣) ﴿فَأَثَٰبَكُمْ﴾ أي: جازاكم(٤)﴿غَمَّۢا بِغَمٍّ﴾ أي: غمًّا متصلا بغمّ. فالغم الأول: ما فاتهم من الظفر والغنيمة، والغم الثاني: ما أصابهم من القتل والهزيمة.(٥)

---

(١) قاله جمهور المفسرين، وأهل اللغة.
ينظر: معاني القرآن للنحاس (٤٩٥/١)، والمفردات للراغب (ص٤٥٧)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٣٦٦/١)، ولسان العرب لابن منظور (٢٦٣/١٥)"لوى".

(٢) قاله ابن عباس رض الله عنهما، وقتادة، والسدي، والربيع، وابن زيد.
ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١٠٥/١)، وجامع البيان للطبري (١٣٣/٤)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٧٩٠/٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٢٦/٧)"أخر"، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٦٢/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤١٥/١).

(٣) رواه الطبري بمعناه في جامع البيان (١١٢/٤)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (١٨٦/٣)، و البغوي في معالم التنزيل (٣٦٢/١)، وأبو حيان في البحر المحيط (٩٠/٣) عن السدي، والربيع، وهو مرسل.

(٤) معناه: جازاكم على صنيعكم. وسمي الغمّ ثوابًا؛ على معنى أنه القائم في هذه النازلة مقام الثواب، كقوله تعالى:﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الانشقاق:٢٤].
ينظر: جامع البيان للطبري (١٣٤/٤)، والمفردات للراغب (ص٨٣)"ثوب"، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٦٢/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٥٢٦/١).

(٥) هذا قول ابن زيد، والسدي، وابن جريج، واختاره الطبري.وقال قتادة، ومجاهد، والربيع: الغم الأول: ما فاتهم من القتل والجراح، والغم الثاني: ما سمعوا أن محمدا ﷺ قد قتل. وهذا القول هو الأولى، لأنهم لما أصابهم القتل والهزيمة وذهاب الغنيمة، أصابهم بغمّ أكبر من ذلك، وهو أن النبي ﷺ قد قُتل، فلما علموا أنه لم يقتل صارت كل مصيبة عندهم جلل.
ينظر: جامع البيان للطبري (١٣٤/٤)، الكشف والبيان للثعلبي (١٨٦/٣)، وتفسير القرآن للسمعاني

﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ أي: من الفتح والغنيمة.

﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ أي: ولا على ما أصابكم من القتل والهزيمة.

وقوله: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً﴾ أي: أمْنًا.[1]

﴿نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ﴾ أي: أمنهم يومئذ بنعاس غشاهم بعد خوف، وإنما ينعس من يأمن، والخائف لا ينام.[2]

﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ يعني: المنافقين،[3] أي: حملتهم على الهمِّ.

﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ أي: أن لا يُنْصَر محمد.

﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا﴾ أي: ما لنا من النصر شيء كما وُعدنا، يقولونه على وجه

(٣٦٨/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٦٢/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤٧٨/١).

(١) الأَمَنَة: مصدر كالأمن، ومثله من المصادر: العظمة والغلبة، يقال: أَمِنَ فلانٌ يأمَن أمْناً وأماناً إذا لم ينله خوف.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٤٧٩/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٦٣/١)، ولسان العرب لابن منظور (٢١/١٣)"أمن".

(٢) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، رواه عنه الطبري في جامع البيان (١٤٠/٤)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (١٨٧/٣)، والبغوي في معالم التنزيل (٣٦٣/١). وأخرج البخاري في صحيحه عن أنس ﷺ، أن أبا طلحة ﷺ، قال:"غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد، قال: فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه ويسقط وآخذه". (صحيح البخاري (١٦٦٢/٤)، برقم: (٤٢٨٦) كتاب تفسير القرآن الكريم، باب قوله: ﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾).

(٣) أجمع المفسرون على أن هذه الطائفة هم المنافقون.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٤٩٨/١)، وتفسير القرآن للسمعاني (٣٦٩/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤٨٠/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٤٢/٤)، والبحر المحيط لأبي حيان (٩٤/٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤١٩/١).

التكذيب.(١) ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ فينصر من يشاء بالظفر والغنيمة، ويحرم من يشاء عقوبةً له على ذنبه. وقوله: ﴿يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَا﴾ أي: لو خُلينا وراءنا ما قتلنا هاهنا، وما خرجنا مع محمد حتى قتلنا.(٢) هذا تكذيب بالقَدَر.(٣)

﴿قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ﴾ أي: أيها المتكلمون هذا الأمر ﴿لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡ﴾ أي: لخرج الذين قُتلوا وكان القتل عليهم مقضيًا مقدرا، ولأوصلتهم الأسباب التي عنها يكون القتل ﴿إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡ﴾.

﴿وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ﴾ تقديره: ﴿وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ﴾ أيها المنافقون ﴿مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ أي: يُطهِّر وينقي أيها المؤمنون.(٤)

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا

---

(١) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٣/١٨٧)، والوجيز للواحدي (١/٢٣٨)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٣٦٤)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٥٢٨).

(٢) أخرج البزار في مسنده (٣/١٨٩)، برقم:(٩٧٣)، والطبري في جامع البيان (٤/١٤٣)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٣/٧٩٥) عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: قال الزبير ﷺ:"والله إني لأسمع قول مُعَتِّب بن قُشير أخي بني عمرو بن عوف، والنُعاس يغشاني ما أسمعه إلا كالحُلم حين قال: ﴿لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَا﴾". وحسن إسناده الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٢/٨٩).

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

ينظر: معالم التنزيل للبغوي (١/٣٦٤)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٥٢٩)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٤٨١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٤١٩).

(٤) قاله قتادة رحمه الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤/١٤٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٤٨٢)، ولباب التأويل للخازن (١/٤٣٧).

كَسَبُواْ﴾ أي: أزلّهم عن طريق الرشد،[١] أي: لم يتولّوا على جهة المعاندة، ولا على الفرار من الزَّحف، بل رغبة في الدنيا خاصة.[٢]

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: ذهبوا وساروا.[٣] ﴿أَوْ كَانُواْ غُزًّى﴾ هو: جمع غاز.

وقوله: ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: ليجعل ظنهم أنهم لو لم يحضروا الحرب اندفع عنهم ما كتب عليهم، فحسرتهم فيما ينالهم أشدّ.[٤] ﴿وَٱللَّهُ يُحْيِۦ﴾ أي: قلوب أوليائه وأهل طاعته ﴿وَيُمِيتُ﴾ أي: قلوب أعدائه من المنافقين والكفار.[٥]

---

(١) استزلّ: استفعل لطلب، أي: طلب منهم الزلل ودعاهم إليه، لأن ذلك هو مقتضى وسوسته وتخويفه. والزلة في الأصل: استرسال الرِجْل من غير قصد، يقال: زلّت رِجلٌ تزلُّ، والزلة: المكان الزلق، وقيل للذنب من غير قصد: زلة. وقال أبو حيان:"ولا يلزم من طلب الشيء واستدعائه حصوله، فالأولى أن يكون: استفعل هنا بمعنى: أفعل، فيكون المعنى: أزلهم الشيطان، فيدل على حصول الزلل، ويكون (استزلّ) و(أزلّ) بمعنى واحد، كـ(استبان) و(أبان)". البحر المحيط (٣/٩٨).
ينظر: تفسير القرآن للسمعاني (١/٣٧٠)، والمفردات للراغب (ص٢١٤)"زل"، والكشاف للزمخشري (١/٤٥٧).

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١/٤٨١)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٢١٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٤٨٣)، والتفسير الكبير للرازي (٩/٤٢).

(٣) الضرب في الأرض: ضربها بالأرجل، والمراد: الذهاب فيها، والسفر للتجارة ونحوها.
ينظر: العين للخليل (٧/٣٠)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٢/١٤)، والمفردات للراغب (ص٢٩٥)"ضرب".

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٤/١٤٦)، والوجيز للواحدي (١/٢٣٩)، والتفسير الكبير للرازي (٩/٤٦).

(٥) ذكر ذلك السمرقندي في تفسيره (١/٢٨٤)، والرازي في التفسير الكبير (٩/٤٧). هذا وإن كان المعنى صحيحا باعتبار، إلا أن الأظهر ما ذهب إليه عامة المفسرين، من أن المراد بالحياة والموت حقيقة، لأن سياق الآيات يدل على ذلك. قال ابن كثير رحمه الله:"أي: بيده الخلق وإليه يرجع الأمر ولا يحيا

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ﴾ الآية، معناها ظاهر.

وقوله: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: فبرحمة من الله[1]﴿لِنتَ لَهُمۡ﴾ أي: سُهلت لهم أخلاقك.[2] ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا﴾ أي: سيئ الخلق، قليل الاحتمال في القول. ﴿غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ﴾ في الفعل.[3] ﴿لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ أي: لنفروا وتفرّقوا عنك. ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ﴾ أي: تجاوز عنهم فيما فعلوا يوم أُحد. ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ أي: استخرج آراءهم، وأعلم ما عندهم،[4] فيما ليس فيه أمر جزم أو نهي حزم من

أحد ولا يموت أحد إلا بمشيئته وقدره، ولا يزاد في عمر أحد ولا ينقص منه شيء إلا بقضائه وقدره". تفسير القرآن العظيم (١/٤٢٠).

ينظر: جامع البيان للطبري (٤/١٤٨)، ولباب التأويل للخازن (١/٤٣٨)، والبحر المحيط لأبي حيان (١/١٠١).

(١) (مَا) ههنا للصلة عند النحويين. دخلت لحسن النظم، وللتوكيد، والدلالة على أن لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله تعالى.

ينظر: الجمل في النحو للخليل (ص٣٢٥)، وجامع البيان للطبري (٤/١٥٠)، ومعاني القرآن للزجاج (٣٨٢)، والكشاف للزمخشري (١/٤٥٨)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/١٠٣).

(٢) اللِّين: ضد الخشونة والقسوة.

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٣/١٩٠)، والمفردات للراغب (ص٤٥٧)"لين"، ومعالم التنزيل (١/٣٦٥)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/١٠٣).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٤/١٥١)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٥٠١)، والوجيز للواحدي (١/٢٤٠)، والمفردات للراغب (ص٣٨٢)"فظ".

(٤) التشاور والمشاورة والمشورة: استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض، من قولهم: شرت العسل إذا استخرجته من موضعه. والشورى: الأمر الذي يتشاور فيه.

ينظر: العين للخليل (٦/٢٨٠)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٥٠١)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/٢٢٦)، والمفردات للراغب (ص٢٧٠)"شور".

الله. ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي:[٢٥/ب] ثق به واستعنه،(١) ولا تتوكل على مشاورتهم، وإنْ أُمرت بها. وقوله: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: إن يمنعكم من عدوكم ويعنكم ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ﴾ أي: يترككم فلا ينصركم. والخذلان: ترك النصرة.(٢)

قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ جاء في التفاسير: أن الأقرباء ألحُّوا على رسول الله ﷺ يسألونه من المغنم، فأنزل الله هذه الآية.(٣) أي: لا ينبغي أن يخون،(٤) فيعطي قومًا ويمنع آخرين، بل عليه أن يقسم بين الكل ولا يحرم أحدًا.(٥)

ثم استأنف الكلام في تحذير العباد من الخيانة فقال: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ تفسيره في أثر ابن مسعود ﷺ(٦) أنه قال: «القتل في سبيل الله يُكفِّر الذنوب

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٤/١٥٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/١٩٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٣٦٦)، والتفسير الكبير للرازي (٩/٥٥).

(٢) الخذلان في اللغة: الترك، ومنه يقال: تخاذل القوم إذا انماز بعضهم من بعض، ويقال: ظبية خاذلة: إذا انفردت عن القطيع. والخذلان: ترك العون والنصرة. والمخذول: المتروك لا يعبأ به.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (١/٥٠٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/١٩٥)، والمفردات للراغب (ص١٤٤)"خذل"، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/١٠٥).

(٣) هو قول ابن عباس رضي الله عنهما، رواه بنحوه عنه الطبري في جامع البيان (٤/١٥٥)، وابن المنذر في تفسيره (٢/٤٧١)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٣/٨٠٣). وأورده بلفظه الثعلبي في الكشف والبيان (٣/١٩٦)، والبغوي في معالم التنزيل (٣٦٧)، والخازن في لباب التأويل (١/٤٤٠) دون نسبة.

(٤) الغلول: الخيانة في الغنيمة، وهو: أن يأخذ الإنسان منها خفية قبل القسمة. وأصله: أخذ الشيء في خفية، يقال: غلَّ فلان يَغُلّ: إذا خان، وأغَلّ: صار ذا إغلال، أي: خيانة.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٨/٢٠)، والمفردات للراغب (ص٣٦٣)، ولسان العرب لابن منظور (١١/٤٩٩)"غل"، ولباب التأويل للخازن (١/٤٤٠).

(٥) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٣/١٩٦)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٦٧)، ولباب التأويل للخازن (١/٤٤٠).

(٦) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي ﷺ، أبو عبد الرحمن، من أكابر الصحابة فضلاً

كلها، إلا الدَّين يؤتى به يوم القيامة».[1] ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ أي: الدرجة الشريفة، وهي: الكرامة والثواب. ﴿كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: احتمله بسبب ذنبة الدرجة الخسيسة الساقطة، وهي المهانة والعذاب.[2]

قوله تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ﴾ أي: ذو درج عند الله، والمعنى: هم مختلفوا الدرجات والمنازل.[3] وقوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية.

﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: بعث فيهم محمدًا ﷺ، وهو رجل من الأميين، لا يتلو كتابًا ولا يخطّه بيمينه، وبعثه بين قوم يَخْبُرونه ويعرفونه بالصدق والأمانة، وأنه لم يقرأ كتابًا ولا لُقِّنَه، فتلا عليهم أقاصيص الأمم السالفة، والأنباء الماضية، لا يدفع أخباره كتاب، من

وعقلا، ومن السابقين إلى الإسلام، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، كان ملازما لرسول الله ﷺ، وكان من أقرب الناس إليه هديًا ودلاً وسمتًا، أخذ من فيه سبعين سورة، توفي بالمدينة سنة: ٣٢ هـ.

ينظر: أسد الغابة لابن الأثير (٣/٣٩٤)، وتهذيب الكمال للمزي (١٦/١٢١)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١/٤٦١).

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «القتل في سبيل الله يكفِّر كلَّ شيء إلا الدَّين». (صحيح مسلم (٣/١٥٠٢)، برقم: (١٨٨٦) كتاب الإمارة/باب من قُتل في سبيل الله كفِّرت خطاياه إلا الدين).

(٢) هذا معنى قول جمهور المفسرين.

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٣/١٩٩)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٣٦٨)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٤٩٣)، ورموز الكنوز لعز الدين الرسعني (١/٣٥٢).

(٣) الضمير عائد على الجميع، -أي: من اتبع رضوان الله، ومن باء بسخط من الله- فهم متفاوتون في الثواب والعقاب. بهذا قال جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤/١٦١)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٥٠٥)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٣٦٨)، والتفسير الكبير للرازي (٩/٦١)، ولباب التأويل للخازن (١/٤٤٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/١٠٧).

كتبِ مخالفيه، فأعلم الله ﷻ أنَّه منَّ على المؤمنين بإرساله مَن قد عُرِف أمرُه، فكان تناول الحجة والبرهان وقبول الأخبار والأقاصيص سهلًا من قِبَلِه، وفي ذلك أعظم المنَّة، فهذا معنى قوله: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾.(١)

وقوله: ﴿وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ﴾ أي: وقد كانوا من قبل بعثه ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

وقوله: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي: يدعوهم إلى ما يصيرون بالإجابة إليه أزكياء.(٢)

﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم﴾ أي: حين أصابتكم ﴿مُّصِيبَةٌ﴾ يعني بأحد.(٣)

﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ يعني ببدر. وذلك أنَّ المشركين قَتَلُوا من المسلمين يوم أحد سبعين، وقَتَلَ المسلمون منهم يوم بدر سبعين، وأسروا سبعين.(٤)﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾ أي: من أنزلنا هذا القتل والهزيمة، ونحن مسلمون وهم مشركون.

﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: بأخذكم الفداء من الأسارى يوم بدر، وإطلاقهم عن

---

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٤٨٧/١)، وتفسير القرآن للسمعاني (٣٧٦/١)، والكشاف للزمخشري (٤٦٣/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤٩٤/١)، ورموز الكنوز للعز الدين الرسعني (٣٥٤/١).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (١٦٣/٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٧٥/١٠)"زكا"، وتفسير القرآن للسمعاني (٣٧٦/١)، والتفسير الكبير للرازي (١٣٠/٤).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (١٦٤/٤)، والكشف والبيان للثعلبي (١٩٩/٣)، والوجيز للواحدي (٢٤١/١).

(٤) قاله عامة المفسرين، وأهل السير، ونقل الطبري في تفسيره الإجماع على ذلك. ويؤيد ذلك ما جاء في صحيح البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: "جعل النبي ﷺ على الرماة يوم أحد عبد الله بن جبير، فأصابوا منا سبعين، وكان النبي ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة، سبعين أسيرا، وسبعين قتيلا". قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر والحرب سجال. (الصحيح (١٤٦٤/٤)، برقم: (٣٧٦٤) كتاب المغازي/باب فضل من شهد بدرًا).

ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢٦٣/٣)، وجامع البيان للطبري (١٦٤/٤)، والكشف والبيان للثعلبي (١٩٩/٣)، والمنتظم لابن الجوزي (١٠٩/٣)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٨٣/٦).

الأسر.[١] وقوله: ﴿فَبِإِذْنِ﴾ أي بعلم ﴿ٱللَّهِ﴾.[٢]

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٦٦ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾ أي: ليظهر إيمان المؤمنين بثبوتهم على ما نابهم، ويظهر نفاق المنافقين بفشلهم وقلة الصبر على ما ينزل بهم.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ﴾ أي: ادفعوا عنا القوم بتكثير السواد.[٣]

وقوله: ﴿قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا﴾ أي: لو نعلم قتالا واقعًا بينكم وبينهم ﴿لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ﴾. ونافقوا في ذلك؛ لأنهم لو علموا ذلك ما اتبعوهم أيضًا.

﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ أي: كانوا إلى المسلمين أقرب في الأحكام بظواهر حالهم، فلما أظهروا النفاق صاروا إلى الكفر أقرب.[٤]

---

(١) هذا القول مروي عن عبيدة السلماني، وعلي بن أبي طالب، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما. وقال ابن عباس رضي الله عنهما، ومقاتل: أنه جرى ذلك بمعصية الرماة يوم أحد وتركهم أمر رسول الله ﷺ. وقال قتادة، والربيع: أنه بمخالفتهم الرسول ﷺ في الخروج من المدينة يوم أحد. وليس هناك دليل يدل على تعيين أحد هذه الأقوال، فيحتملها هي وغيرها. وقد لخص الزمخشري هذه الأقوال الثلاثة بقوله: "المعنى: أنتم السبب فيما أصابكم لاختياركم الخروج من المدينة، أو لتخليتكم المركز، وعن عليّ: لأخذكم الفداء من أسارى بدر قبل أن يؤذن لكم". الكشاف (٤٦٤/١).

ينظر: جامع البيان للطبري (١٦٤/٤)، والكشف والبيان للثعلبي (١٩٩/٣)، والنكت والعيون للماوردي (٤٣٥/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤٩٥/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (١١٢/٣).

(٢) أصل الإذن: العلم بالشيء من أذنت له، أي: استمعت إليه فعلمته.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٤٨٨/١)، والمفردات للراغب (ص١٤)، ولسان العرب لابن منظور (٩/١٣) "أذن".

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، والسدي، وابن جريج، ومجاهد، والضحاك.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٦٧/٤)، وتفسير ابن المنذر (٤٨٢/٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٥٠٨/١).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (١٦٧/٤)، والوجيز للواحدي (٢٤٢/١)، وتفسير القرآن للسمعاني (٣٧٧/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤٩٨/١)، والتفسير الكبير للرازي (٦٩/٩).

وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ ﴾ أي: في النسب، يعني: قالوا فيهم ومن أجلهم، لا أنهم خاطبوهم بذلك، وهم شهداء أحد.[1] ﴿وَقَعَدُواْ ﴾ أي: قعد هؤلاء القائلون عن الجهاد.

﴿لَوْ أَطَاعُونَا ﴾ أي: بأن انصرفوا عن محمد وقعدوا في بيوهم ﴿مَا قُتِلُواْ ﴾.

﴿ قُلْ ﴾ لهم، أي: يا محمد ﴿فَٱدْرَءُواْ ﴾ أي: فادفعوا[2]﴿عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ بأنَّ الحذر يُغني عن القَدَر.[3]

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي: السبعين الذين قتلوا يوم أحد،

---

(١) قاله مقاتل بن سليمان، والثعلبي، والسمعاني، والبغوي. فيكون إخوانهم في النسب لا في الدين، لأنهم كانوا من الأوس والخزرج. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: المراد بإخوانهم: المنافقون.
وكلا القولين محتمل، فعلى القول الأول يكون معنى الآية: الذين قالوا في إخوانهم، أو عن إخوانهم الذين قتلوا بأحد: لو أطاعونا ما قُتلوا، لأنهم بعد أن قُتلوا لا يخاطبون. وعلى القول الثاني يكون معنى الآية: الذين قالوا وهم عبدالله بن أبيّ وأصحابه لإخوانهم، يعني: في النفاق.
ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢٠٢/١)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٠٠/٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (٣٧٨/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٦٩/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤٩٨/١)، ولباب التأويل للخازن (٤٤٥/١).

(٢) باتفاق المفسرين.
ينظر: معاني القرآن للنحاس (٥٠٨/١)، والمفردات للراغب (ص١٦٩)"درأ"، والمحرر الوجيز لابن عطية (٥٤٠/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (١١٦/٣).

(٣) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢٠٠/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٦٩/١)، والوجيز للواحدي (٢٤٢/١).

منهم حمزة بن عبد المطلب،(١) ومصعب بن عمير،(٢) وعثمان بن شماس،(٣) وعبد الله بن جحش(٤) مهاجرون، وسائرهم من الأنصار، وذلك أن رسول الله ﷺ قال: «لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله ﷻ أرواحهم في أجواف طير، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة تحت العرش، فلما رأوا طيب مآكلهم ومشربهم ومقيلهم، قالوا: من يبلغ إخواننا عنّا، أنّا أحياء في الجنة نُرزق، لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب، فقال الله تبارك وتعالى :أنا أبلغهم عنكم». فأنزل الله الآية.(٥)

وقوله: ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَـٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ ﴾ ويفرحون.

﴿بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم ﴾ أي: من إخوانهم الذين فارقوهم أحياءً في الدنيا على منهاجهم من الإيمان والجهاد، [٢٦/أ] لعلمهم بأنهم إن استُشهدوا لحقوا بهم، وصاروا من كرامة الله

---

(١) هو حمزة بن عبد المطلب بن هاشم، عم رسول الله ﷺ، وأخوه من الرضاعة، أسد الله وأسد رسوله ﷺ، وسيد الشهداء، شهد بدراً وأبلى فيها بلاء حسنًا، واستشهد يوم أحد على يد وحشي بن حرب مولى جبير بن مُطعم في شوال سنة: ٣ هـ ﷺ.

ينظر: معجم الصحابة للبغوي (٣/٢)، والاستيعاب لابن عبد البر (٣٦٩/١)، والإصابة لابن حجر (١٢١/٢).

(٢) تقدم ترجمته ص : ٤٣٧

(٣) هو عثمان بن شماس بن لبيد المخزومي، هاجر إلى المدينة مع مصعب بن عمير، شهد بدراً، وقتل يوم أحد ﷺ.

ينظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (١٩٦٥/٤)، وأسد الغابة لابن الأثير (٥٩٨/٣)، والإصابة لابن حجر (٤٥٠/٤).

(٤) تقدم ترجمته ص: ٢٢٨

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٢٦٥/١)، برقم: (٢٣٨٨)، وأبو داود في سننه (١٥/٣)، برقم: (٢٥٢٠)، كتاب الجهاد/باب في فضل الشهادة، والطبري في تفسيره (١٧٠/٤)، والحاكم في المستدرك (٣٢٥/٢)، برقم: (٣١٦٥)،كتاب التفسير/تفسير سورة آل عمران، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود: (٢٧٩/٧).

ﷺ إلى مثل ما صاروا هم إليه، فهم لذلك ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾.[١]

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ تقديره: يستبشرون بأن الله لا يضيع.[٢]

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ وذلك أن أبا سفيان[٣] وأصحابه لما انصرفوا من أحد وبلغوا الروحاء،[٤] ندموا على انصرافهم عن المسلمين، وتلاوموا وقالوا: لا محمدا قتلتم، ولا الكواعب[٥] أردفتم، قتلتموهم حتى إذا لم يبق إلا الشريد تركتموهم، ارجعوا فاستأصلوهم، فبلغ ذلك الخبر رسول الله ﷺ، فأراد أن يرهب العدو، ويريهم من نفسه وأصحابه قوة، فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان، وقال: «ألا عصابة تندب لأمر الله، تطلب عدوها فإنها أنكى للعدو». فانتدب عصابة منهم مع ما بهم من الجرح والقرح.[٦]

---

(١) هذا معنى قول قتادة، وابن جريج، والربيع، وابن إسحاق، والسدي.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٧٤/٤)، وتفسير ابن المنذر (٤٩٢/٢)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٨١٤/٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٠٥/٣).

(٢) ينظر: معاني القرآن للنحاس (٥٠٩/١)، وحجة القراءات لابن زنجلة (ص١٨١)، والتفسير الكبير للرازي (٧٨/٩)، ولباب التأويل للخازن (٤٥٠/١).

(٣) هو أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي، كان من أشراف قريش، ورأس المشركين يوم أحد والأحزاب، ثم أسلم يوم الفتح، وشهد حنيناً والطائف، وأعطاه النبي ﷺ من الغنائم، شهد اليرموك، توفي سنة: ٣٤ هـ، وله نحو تسعين سنة.

ينظر: معجم الصحابة للبغوي (٣٥٢/٣)، وأسد الغابة لابن الأثير (١٥٧/٦)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٣٦٨/٣).

(٤) الرَّوحَاء: قرية فيها بئر، تقع بين المدينة وبدر، وتبعد عن المدينة: ٥٠ كم.

ينظر: معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري (٦٨١/٢)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (٧٦/٣)، وتاج العروس للزبيدي (٤٢٨/٦)"راح".

(٥) الكواعب: النساء، من قولهم: تكعب ثدي الجارية إذا نتأ كالكعب، واحدتها كاعب.

ينظر: غريب القرآن لابن عزيز السجستاني (ص٣٩٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢١٠/١)، والمفردات للراغب (ص٤٣٢)"كعب".

(٦) رواه بنحوه الطبري في جامع البيان (١٧٧/٤) عن قتادة، والسدي. وابن أبي حاتم في تفسير القرآن

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ أي: نُعيم بن مسعود.[1] ﴿قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ أي: تصديقًا ويقينًا ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: قال محمد ﷺ: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ أي: كافينا.[2]

(٨١٦/٣) عن عكرمة. وأورده الثعلبي في الكشــف والبيان (٢٠٧/٣)، والواحدي في أســباب النزول (ص٢٦٢)، وهو مرسل. وأصله في البخاري عن عائشة رضي الله عنها: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، قالت لعروة: يا ابن أختي، كان أبواك منهم: الزبير، وأبو بكر، لما أصــاب رســول الله ﷺ ما أصــاب يوم أحد، وانصــرف عنه المشركون، خاف أن يرجعوا، قال: «من يذهب في إثرهم» فانتدب منهم سبعون رجلا، قال: كان فيهم أبو بكر، والزبير. (الصــحيح، (١٤٩٧/٤)، برقم: (٣٨٤٩)، كتاب المغازي/باب ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾. كما ورد بنحوه عن ابن عباس رضــي الله عنهما قال: "لما انصــرف المشــركون عن أحد وبلغوا الرّوحاء، قالوا: لا محمدا قتلتموه، ولا الكواعب أردفتم، وبئس ما صــنعتم، ارجعوا، فبلغ ذلك رسـول الله ﷺ فندب الناس، فانتدبوا حتى بلغوا حمراء الأسـد، وبئر أبي عيينة، فأنزل الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾". رواه النسائي في الكبرى (٣١٧/٦)، برقم: (١١٠٨٣) كتاب التفسير/سورة آل عمران، والطبراني في الكبير (٢٤٧/١١)، برقم: (١١٦٣٢). قال الهيثمي في المجمع (١٢١/٦): "رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، غير محمد بن منصور الجواز، وهو ثقة".

(١) قاله مجاهد، ومقاتل، وعكرمة، والواقدي. فهو من العام الذي أريد به الخاص. ونُعيم ابن مسعود، هو نُعيم بن مسعود بن عامر بن أُنيف الأشجعي، صحابي مشهور، أسلم في غزوة الأحزاب، وفيها خذّل المشركين، وأوقع بينهم وبين قريظة حتى صرفهم الله عن المدينة، توفي في خلافة عثمان بن عفان ﷺ.
ينظر: معاني القرآن للنحاس (٥١٠/١)، والكشف والبيان للثعلبي (٢١٠/٣)، والاستيعاب لابن عبد البر (١٥٠٨/٤)، وأسد الغابة لابن الأثير (٣٦٤/٥).

(٢) ينظر: غريب القرآن لابن عزيز السجستاني (ص١٨٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٥١١/١)، والمفردات للراغب (ص١١٦)"حسب".

﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ أي: نعم الموكول إليه الأمور.[١] وقال إبراهيم عليه السلام حين أُلقى في النار «حسبي الله ونعم الوكيل».[٢] ﴿فَانقَلَبُوا﴾ أي: فانصرفوا ورجعوا ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: بعافية،[٣] لم يلقوا عدوًّا، وبرأ جراحهم. ﴿وَفَضْلٍ﴾ أي: ربح تجارة.[٤]

وقوله: ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ أي: في طاعة رسوله ﷺ.[٥]

قوله: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ يعني: الذي قال لكم ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ من فعل الشيطان، ألقى في أفواههم لترهبوهم وتجبنوا عنهم.

---

(١) الوكيل: القيّم الكفيل بأرزاق العباد وتدبير شؤونهم، وحقيقته: أنه يستقل بأمر الموكول إليه.
ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٠/٢٠٢)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٥/٢٢٠)، ولسان العرب لابن منظور (١١/٧٣٤)"وكل".

(٢) أخرج ذلك البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:« ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾». (صحيح البخاري (٤/١٦٦٢)، برقم: (٤٢٨٧)، كتاب تفسير القرآن/ باب ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ الآية).

(٣) قاله السدي، رواه عنه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٣/٨١٩). وحسن إسناده الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٢/١٠٢).

(٤) قاله مجاهد، والسدي.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤/١٨٢)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٣/٨١٩)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٧٥)، ورموز الكنوز لعز الدين الرسعني (١/٣٧٠). وصحح إسناده عن مجاهد الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٢/١٠٢).

(٥) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وابن جريج رحمه الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤/١٨٣)، وتفسير ابن المنذر (٢/٥٠٦)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٣/٨٢٠)، والتفسير الكبير للرازي (٩/٨٢).

﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ أي: يخوفكم بأوليائه.[١]

وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْآخِرَةِ﴾ أي: نصيبًا في ثواب الآخرة، فلذلك خذلهم حتى سارعوا في الكفر.

وقوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ تقديره: لا يحسبن الذين كفروا إملاءنا إياهم.

والإملاء: الإمهال والتأخير، والإطالة في العمر، والإنساء في الأجل.[٢]

وقوله: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: من التباس المؤمنين بالمنافقين.

﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ أي: المنافق من المخلص، كما فعل يوم أحد.[٣]

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ أي: بالغيب فيطلعه على بعض علم الغيب.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾

أي: لا يحسبن الباخلون البخل خيرًا لهم. ﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾ أي: بل البخل شرٌّ لهم.

﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: يجعل ما بخل به وما منعه من الزكاة حيّة تطوّق في عنقه يوم القيامة، تنهشه من قرنه[٤] إلى قدمه، وتنقر رأسه وتقول: أنا مالك، فلا

---

(١) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤/١٨٣)، وتفسير ابن المنذر (٢/٥٠٦)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٣/٨٢١)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٣٧٦).

(٢) ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/١٠٨)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٤/٣٦٣)، ولسان العرب لابن منظور (١٥/٢٩٠)"ملا".

(٣) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤/١٨٧)، معاني القرآن للزجاج (وتفسير ابن المنذر (٢/٥١٠)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٣/٨٢٤)، ورموز الكنوز لعز الدين الرسعني (١/٣٧٥).

(٤) قرن الرجل: حد رأسه وجانبيه.

يزال كذلك حتى يساق إلى النار ويُغلّ.(١) ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: الله يفني أهلها، فلا يبقى مُلكٌ لأحد، وملك الله باق، وملكه دائم.

قوله ﷻ: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ هؤلاء رؤساء أهل الكتاب، لما نزلت: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[البقرة:٢٤٥]الآية، قالوا: نرى إله محمد يَستقرض منا؛ فنحن إذًا أغنياء، وهو فقير، وقالوا هذا تلبيسًا على ضعفتهم، وهم يعلمون أن الله ﷻ لا يستقرض من عوز، ولكنه يبلو الأخيار، فهم يعلمون أن الله سمّى الإعطاء والصدقة قرضًا، يؤكده أنه رجع عوضه إلى أهله كالقرض يُقرض.(٢)

ينظر: العين للخليل (١٤٠/٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (٨٤/٩)، ولســـان العرب لابن منظور (٣٣١/١٣)"قرن".

(١) يؤيد ذلك ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالا، فلم يؤد زكاته مُثِّل له ماله يوم القيامة شجاعًا أقرع، له زبيبتان يطوّقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه – يعني بشدقيه – ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك». ثم تلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ الآية. (صحيح البخاري (١٦٦٣/٤)، برقم: (٤٢٨٩)، كتاب الزكاة/باب إثم مانع الزكاة.

(٢) أخرج الطبري في جامع البيان (١٩٤/٤)، وابن المنذر في تفسيره (٥١٥/٢)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٨٢٩/٣)، وأورده الواحدي في أسباب النزول (ص٢٦٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال:"دخل أبو بكر الصديق ﷺ بيت المدارس، فوجد من يهود ناسًا كثيرًا قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فنحاص، كان من علمائهم وأحبارهم، ومعه حبر يقال له أشيع، فقال أبو بكر ﷺ لفنحاص: ويحك يا فنحاص، اتق الله وأسلم، فو الله إنك لتعلم أن محمدا رسول الله، قد جاءكم بالحق من عند الله، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والإنجيل، قال فنحاص: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقير، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء، ولو كان عنا غنيا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويعطيناه، ولو كان غنيا عنا ما أعطانا الربا، فغضب أبو بكر، فضرب وجه فنحاص ضربة شديدة، وقال: والذي نفسي بيده، لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله، فأكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين، فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ ، فقال: يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «وما حملك على ما صنعت؟» فقال: يا رسول الله إن عدو الله قال قولا عظيما، زعم أن الله فقير، وأنهم عنه أغنياء، فلما قال ذلك غضبت لله مما قال،

﴿سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ﴾ أي: سنحفظ عليهم ونجزيهم في الآخرة بما قالوا.(١)

وقوله: ﴿وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ الحريق: اسم للنار، أي: لهيبه.(٢)

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾ هم رؤساء اليهود قالوا ذلك بقربان.(٣) وذلك أن القرابين كانت لا تحلّ لبني إسرائيل، وكانوا إذا قربوا قربانا فتقبل منهم، جاءت نارٌ بيضاء من السماء، لا دخان لها، ولها دويٌّ وحفيف،(٤) فتأكل ذلك القربان، والله أمر بني إسرائيل بذلك حتى يأتيهم المسيح

فضربت وجهه، فجحد ذلك فنحاص، وقال: ما قلت ذلك، فأنزل الله تبارك وتعالى فيما قال فنحاص ردًّا عليه وتصديقًا لأبي بكر ﷺ: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾". حسن إسناده ابن حجر في الفتح (٨/٢٣١).

(١) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، ومقاتل بن سليمان، وأبوعبيدة.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/١١٠)، وتفسير ابن المنذر (٢/٥١٧)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٥١٧)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٣٧٩).

(٢) ينظر: العين للخليل (٣/٤٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (٤/٢٩)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/٤٣)"حرق".

(٣) القربان: ما تقرب به العبد إلى ربه من صدقة ونحوها. وهو مصدر، مثل: العدوان والخسران، من قولك: قربتُ قربانًا.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤/١٩١)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/٨٠)، والمفردات للراغب (ص٣٩٨)"قرب"، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٣٨٠).

(٤) الحفيف: ضرب من الصوت، مثل صوت الشجر وجناح الطير، يقال: حفّ الفرس والريح والطائر والسهم حفيفًا، وهو صوت مروره.

ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/١٥)"حف"، ولسان العرب لابن منظور (٩/٤٩)، وتاج العروس للزبيدي (٢٣/١٤٦)"حفف".

ومحمد عليهما السلام، وقيل لهم: فإذا أتياكم فآمنوا بهما، فإنهما يأتيان بغير قربان.(١)

وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: مَن صدق في قوله: لا يقبل من يأتي بالقربان، [٢٦/ب] وأنتم قتلتم من أتاكم بالقربان، فأنتم إذًا غير صادقين في قولكم: إنا نؤمن بمن يأتينا بالقربان. ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ هذا تسلية للنبي ﷺ من أن يحزن بأن لم يؤمنوا به، أي: كذا دأب المعاندين، فلا تحزن، ولك نُظراء في ذلك.(٢)

والزبور: كل كتاب ذي حكمة.(٣)﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ أي: الواضح الذي فيه الحلال والحرام.(٤)وقوله:﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ الذوق: إدراك الطعوم، ثم يُتسع فيه ويستعمل في غيرها.(٥) وقوله: ﴿فَمَن زُحْزِحَ﴾ أي: أُبْعِدَ.(٦)

---

(١) قاله بنحوه ابن عباس رضي الله عنهما، والضحاك، وابن جريج، والسدي.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٩٧/٤)، وتفسير ابن المنذر (٥١٨/٢)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٨٣١/٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٢٣/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٨٠/١).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (١٩٨/٤)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٨٣٢/٣)، والتفسير الكبير للرازي (١٠٠/٩).

(٣) قاله الزجاج. والزُّبُر: الكتب المزبورة، يعني: المكتوبة، أصلها من: زبرتُ، أي: كتبتُ، واحدها زَبُور، مثل: رَسُول ورُسُل، وكل كتاب فهو زَبُور. والزَّبْر هو: الزَّجْر، يقال: زَبَرْتُ الرجل إذا زجرته عن الباطل، وبه سمي زبور داود عليه السلام لكثرة ما فيه من الزواجر والمواعظ.

ينظر: العين للخليل (٣٦٢/٧)"زبر"، وجامع البيان للطبري (١٩٨/٤)، ومعاني القرآن للزجاج (٤٩٥/١)، والمفردات للراغب (ص٢١١)"زبر"، والتفسير الكبير للرازي (١٠١/٩).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (١٩٨/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٨٠/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٩٦/٤).

(٥) ينظر: العين للخليل (٢٠١/٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٠٣/٩)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٦٤/٢)"ذوق".

(٦) يقول ابن فارس:"الزاء والحاء، يدل على البُعْد، يقال: زُحْزِحَ عن كذا، أي: بُوعد". معجم مقاييس اللغة (٧/٣)"زح".

وقوله: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ المتاع: كل ما انتُفع به من أمتعة البيت وغيرها.(١) والغرور: الخداع.(٢)﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ أي: لتختبرن بالحوائج والعاهات والخسران والنقصان.(٣) ﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾ أي: بالأمراض ومصائب الأقارب والعشائر.

﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ يعني: اليهود والنصارى.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾ يعني: مشركي العرب ﴿أَذًى كَثِيرًا﴾.

﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟﴾ أي: على أذاهم. ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ أي: الله.

﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: من حقِّ الأمور، وجدِّ الأمور وخيرها.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: في أمر محمد ﷺ.(٤)

ينظر: غريب القرآن لابن عزيز السجستاني (ص٢٥٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٦٧/٣)"زح".

(١) ينظر: العين للخليل (٨٣/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٧٣/٢)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٣٧٢/١)"متع".

(٢) ينظر: العين للخليل (٣٤٥/٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٥/٨)، "غر"، والبحر المحيط لأبي حيان (١٣٩/٣).

(٣) ينظر: معاني القرآن للنحاس (٥١٩/١)، ومعاني القرآن للزجاج (٤٩٥/١)، والمفردات للراغب (ص٦١)، ولسان العرب لابن منظور (٨٣/١٤)"بلا".

(٤) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وابن جبير، والسدي، وابن جريج رحمهم الله. وذهب جمهور المفسرين إلى أن الآية وإن كانت نزلت في أهل الكتاب إلا أنها عامة في كل من علمه الله علماً وكتمه، وعلماء هذه الأمة داخلون في هذا الميثاق. قال ابن كثير رحمه الله:"هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم العهد على ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ وأن ينوهوا بذكره في الناس... وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم، فيصيبهم ما أصابهم...". تفسير القرآن العظيم (٤٣٧/١).

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٠٢/٤)، وتفسير ابن المنذر (٥٢٦/٢)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٨٣٦/٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٥٢٠/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (١٤٢/٣).

﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ أي: طرحوه وضيَّعوه، وتركوا العمل به.(١)﴿وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يعني: المآكل. ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾ الآية، دعا رسول الله ﷺ اليهود، فسألهم عن شيء، فكتموه إياه وأخبروه بغيره، وأروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بكتمانهم إياه ذلك، فنزلت فيهم هذه الآية.(٢)

وقوله: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية.

﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ هذا في الصلاة، يصلي قائما، فإن لم يستطع فقاعدا، فإن لم يستطع فعلى جنبه، يسرٌ من الله وتخفيف.(٣)

---

(١) قاله الشعبي، والطبري، والزجاج، والبغوي، وغيرهم رحمهم الله. وأصل النبذ: طرح الشيء لقلة الاعتداد به. يقال للذي يطرح الشيء ولا يَعْبأ به: قد جعلت هذا الأمر بظهر.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٠٤/٤)، وتفسير ابن المنذر (٥٢٨/٢)، ومعاني القرآن للزجاج (٤٩٧/١)، والمفردات للراغب (ص٤٨٠)"نبذ".

(٢) أخرج ذلك البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:" إنما أنزلت هذه الآية في أهل الكتاب...سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه، إياه وأخبروه بغيره، فخرجوا قد أروه أن قد أخبرو بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه، ما سألهم عنه". (صحيح البخاري (١٦٦٥/٤)، برقم: (٤٢٩٢) كتاب تفسير القرآن/باب ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾، وصحيح مسلم (٢١٤٣/٤)، برقم: (٢٧٧٨) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم).

(٣) قاله علي، وابن مسعود، وابن عباس ﷺ، والنخعي رحمه الله. وقال جمهور المفسرين: أراد به ذكر الله تعالى المطلق، في الصلاة وغيرها، ووصفهم بالمداومة عليه، إذ الإنسان قلما يخلوا من معنى هذه الحالات الثلاثة، نظيره قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء:١٠٣]. وهذا هو الأظهر، كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:"كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه". أخرجه مسلم (٢٨٢/١)، برقم: (٣٧٣) كتاب الحيض/باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها.

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: ليعلموا أن لها مدبرًا حكيمًا دبَّرها، ورتَّب أحوالها لمنافع الخلق، ومعرفة حساب الأيام والليالي، الذي يحتاجون إليه في أمورهم، فتقلّب أحوالها دليل حدوثها، إذ القديم لا يتحوَّل صفات ذاته، والحادث لا بد له من محدث قدير، إذ العاجز لا يتحقق منه ما عجز عنه، وتخصصها بأشكال وهيئات وصفات مخصوصة، من بين سائر الأشكال والهيئات والصفات المماثلة المتساوية، دليل إرادة موجدها وصانعها، وإحكامها دليل علم بارئها، إذ من لا يحسن صنعه لا يتحقق منه على أحسن وجه، وأزين نظام.(١) ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ أي: للباطل، وهو: العبث.(٢)

وقوله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ أي: بالعذاب، وإن لم يخلده فيها.(٣)

وقوله: ﴿مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ﴾ يعني: محمدًا ﷺ.(٤)

ينظر: جامع البيان للطبري (٤/٢١٠)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم: (٣/٨٤٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٢٣١)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٣٨٥)، ،

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٤/٢١٠)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٥٥٥)، والتفسير الكبير للرازي (٩/١١١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/١٤٦)، ومفتاح دار السعادة لابن القيم (٢/١٩٨).

(٢) ينظر: العين للخليل (٧/٤٣٠)"بطل"، وجامع البيان للطبري (٤/٢١٠)، والمفردات للراغب (ص٥٠)، وتاج العروس للزبيدي (٢٨/٨٩)"بطل".

(٣) هذا المعنى مروي عن جابر بن عبد الله ﷺ، واختاره الطبري رحمه الله. وقال أنس بن مالك ﷺ، وسعيد بن المسيب، وابن جبير، وقتادة، وابن جريج رحمهم الله: بأن هذا يتعلق بمن يدخل النار خالدًا مخلدًا فيها. والقول الأول هو الأظهر، لأن من أُدخل النار فقد أُخزي بدخوله إياها وإن خرج منها، وذلك الخزي هو هتك المخزي وفضيحته. قال ابن الأنباري:" حمل الآية على العموم أولى من نقلها إلى الخصوص إذ لا دليل عليه".

ينظر: جامع البيان للطبري (٤/٢١١)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٥٢٦)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٥٢٨)، ولباب التأويل للخازن (١/٤٦٨).

(٤) هذا قول ابن مسعود، وابن عباس ﷺ، وابن جريج، وابن زيد، وقال به جمهور المفسرين رحمهم الله. وقال محمد بن كعب القرظي، واختاره الطبري، والنحاس: بأن المراد بالمنادي في الآية هو: القرآن، فليس

وقوله: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ أي: في جملة الأبرار، أي: وفقنا لعمل الأبرار، حتى يأتينا الموت ونحن على ذلك. وقوله: ﴿مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ أي: على ألسنة رسلك.

﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أي: ولا تهنّا ولا تفضحنا.(١) ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ أي: وعد الثواب، فأما وعد العقاب فهو بالخيار فيه، إن شاء حقق وعيده، وإن شاء عفا، لأن في خُلف الوعيد إظهار الكرم.(٢)

كلهم سمع النبي ﷺ. وبالتأمل في القولين يظهر أن لكل منهما وجه معتبر، فكل من بلغه بعثة الرسول ﷺ ودعوته جاز له أن يقول: ﴿سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾، وإن كان فيه ضرباً من التجوز. مع أن نسبة هذا القول إلى النبي ﷺ أظهر، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل:١٢٥].

ينظر: جامع البيان للطبري (٢١٢/٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٥٢٧/١)، والنكت والعيون للماوردي (٤٤٢/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٨٦/١).

(١) ينظر: العين للخليل (٢٩٠/٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٠٤/٧)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٢٣٤/١)، "خزي".

(٢) يؤيد ذلك ما ورد من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « من وعده الله على عمل ثوابًا فهو منجزه له، ومن وعده على عمل عقابًا فهو فيه بالخيار». رواه ابن أبي عاصم في السنة (٤٦٦/٢)، والبزار في مسنده (٢٩٧/١٣)، وأبو يعلى في مسنده (٦٦/٦)، برقم: (٣٣١٦)، والطبراني في الأوسط (٢٤٠/٨)، برقم: (٨٥١٦). قال الهيثمي:"رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط، وفيه سهيل بن أبي حزم وقد وثق على ضعفه، وبقية رجاله رجال الصحيح". مجمع الزوائد (٢١١/١٠). وحسن الشيخ الألباني إسناده لشواهد في ظلال السنة (٤٦٦/٢)، برقم: (٩٦٠). وهذا الحديث بمعنى قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]. فالحديث في الموحدين وليس في المشركين، وهذا مما يشعر به قول ابن تيمية في مجموع فتاويه فإنه قال:" وأحاديث الوعيد يذكر فيها السبب، وقد يتخلف موجبه لموانع تدفع ذلك إما بتوبة مقبولة، وإما بحسنات ماحية، وإما بمصائب مكفرة، وإما بشفاعة شفيع مطاع، وإما بفضل الله ورحمته ومغفرته فإنه ﴿لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ

﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾ الاستجابة: موافقة إرادة الداعي.[١]

﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم﴾ الآية، أي: لا أحبط سواء كان ذكرًا أو أنثى.

﴿بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ﴾ أي: حكم جميعكم في الثواب واحد. سبب نزولها: أنَّ أم سلمة رضي الله عنها[٢] قالت: يا رسول الله إني أسمع الله يذكر الرجال في الهجرة، ولا يذكر النساء بشيء، فأنزل الله هذه الآية.[٣]

﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ أي: عشائرهم المخالفين في الدين. ﴿وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ﴾ أي: أخرجهم المشركون من أوطانهم. ﴿وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي﴾ أي طاعتي وديني.

مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾". مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٧٥).وقال في موضع آخر:" استدل أهل السنة بهذه الآية على جواز المغفرة لأهل الكبائر في الجملة، خلافا لمن أوجب نفوذ الوعيد بهم من الخوارج والمعتزلة.... ونصوص الكتاب والسنة مع اتفاق سلف الأمة وأئمتها متطابقة على أن من أهل الكبائر من يعذَّب، وأنه لا يبقى في النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان". مجموع الفتاوى (١٨/١٩١).وللمزيد في هذه المسألة ينظر: اعتقاد أهل السنة للالكائي (٦/١٠٨١)، والحجة في بيان المحجة لأبي القاسم الأصبهاني (٢/٧١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٥٠٩)، وأضواء البيان للشنقيطي (٥/٢٧٥).

(١) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (٧/٥٦٧)، والمفردات للراغب (ص١٠٢)، "جوب".

(٢) هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم المخزومية، أم المؤمنين، هاجرت الهجرتين مع زوجها أبي سلمة، تزوجها النبي ﷺ بعد أبي سلمة سنة أربع، وعاشت بعد ذلك ستين سنة، وتوفيت سنة: ٦٢ هـ.

ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٤/١٩٢٠)، وأسد الغابة لابن الأثير (٧/٣١٢)، والإصابة لابن حجر (٨/١٥٠).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٥/٢٣٧)، برقم: (٣٠٢٣)،كتاب تفسير القرآن/باب ومن سورة النساء، وسعيد بن منصور في سننه (٣/١١٣٦)، برقم: (٥٥٢)، والطبري في جامع البيان (٤/٢١٥)، والطبراني في الكبير (٢٣/٢٩٤)، والحاكم في المستدرك (٢/٣٢٨)، برقم: (٣١٧٤) وقال:" هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه". وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي: (٣/٢١٧).

﴿وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ أي: لأغفرنها لهم.

وقوله: ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ يعني: لأدخلنهم ثوابًا.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[٢٧/أ] أي: ضربهم في الأرض، وتصرفهم في البلاد للتجارات والبياعات[١] وأنواع المكاسب.[٢] والخطاب للنبي ﷺ، والمراد الأمة؛ لأن النبي ﷺ لم يغتر بذلك.[٣] ثم قال: ﴿مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ﴾ أي: هو بلغة فانية، ومتعة زائلة، لأن كل ما هو فانٍ قليل. وقوله: ﴿لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ النُّزُل: ما يرتَّبُ للضيف، أو لمن يراد إكرامه،[٤] أي: جزاءً وثوابًا. ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ أي: وما عند الله للأبرار خير من تقلب الذين كفروا في البلاد. ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ مدحهم بالإيمان بالتوراة وبالقرآن، بخلاف الذين حرَّفوا الكلم عن مواضعه كفرًا وعنادًا.

---

(١) البياعات: الأشياء التي يتبايع بها للتجارة.

ينظر: العين للخليل (٢/٢٦٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (٣/١٥٠)"بيع".

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٤/٢١٧)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٣/٨٤٥)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٣٨٧).

(٣) قاله قتادة رحمه الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤/٢١٧)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٣/٨٤٥)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٣٨٧)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٥٥٨).

(٤) النُّزُل: ما يعدّ للنازل من الزاد، يقال: أنزلت فلانا: أضفته، ويعبر بالنازلة عن الشدة، وجمعها: نوازل.

ينظر: العين للخليل (٧/٣٦٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٣/١٤٤)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/٤١٧)"نُزُل".

والخشوع: الخضوع للإجلال.(١) نزلت في مؤمني أهل الكتاب.(٢)

﴿لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي: لا يحرّفون كتبهم، ولا يكتمون صفة محمد ﷺ من أجل المآكل والرئاسة، كما فعلت رؤساء اليهود.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ أي: لا يخفى عليه شيء من الأعمال، فلا حاجة به إلى إحصاء عدده فيقع في الإحصاء إبطاء.(٣)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟﴾ الآية، الصبر: حبس النفس على ما تكرهه، ويشقّ عليها تحمّله. ويتضمن ذلك حبس النفس على الطاعات، وحبسها عما تنزع إليه من المحظورات.(٤) ﴿وَصَابِرُوا۟﴾ هو بناء المفاعلة، التي يكون بين اثنين، وذلك إما مع الكفار في محاربتهم، وإما مع الشيطان فيما يدعو إليه من معاصي الله.(٥)

---

(١) الخشوع: طَأْطَأَةُ الرأس كالمتواضع. وذكر الخليل بأن الخشوع بمعنى الخضوع، إلا أن الخضوع في البدن، والخشوع في البدن والصوت والبصر.

ينظر: العين للخليل (١١٢/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٠٧/١)، ولسان العرب لابن منظور (٧١/٨)"خشع".

(٢) قاله مجاهد رحمه الله. رواه عنه الطبري في جامع البيان (٢١٨/٤)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٨٤٦/٣). وحسن إسناده الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (١١٧/٢).

(٣) ينظر: تفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١٢٠٩/٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٥٥٩/١)، ولباب التأويل للخازن (٤٧١/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (١٥٦/٣).

(٤) أصل الصبر: حبس النفس عن الجزع والهلع والتشكي. فيحبس النفس عن التسخط، واللسان عن الشكوى، والجوارح عن لطم الخدود وشق الثياب ونحوهما مما لا ينبغي فعله. وأقسامه ثلاثة: الصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية، والصبر على أقدار الله.

ينظر: العين للخليل (١١٥/٧)، والمفردات للراغب (ص٢٧٣)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٧/٣)"صبر"، وعدة الصابرين لابن القيم (ص٧).

(٥) قال الطبري رحمه الله:"﴿وَصَابِرُوا۟﴾ يعني: وصابروا أعداءكم من المشركين، لأن المعروف من كلام العرب في المفاعلة أن تكون من فريقين، أو اثنين فصاعدا، ولا تكون من واحد إلا قليلًا في أحرف

والمرابطة: الإقامة في الثغور.(١) ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ إله الأرض والسماء.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ في دار البقاء.(٢)

معدودة...". جامع البيان (٤/٢٢٢).

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٣/٢٣٨)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/٥٥٩)، ومدارج السالكين لابن القيم (٢/١٥٩).

(١) قاله جمهور المفسرين. وأصل المرابطة: مفاعلة من الربط، وهو: الشدّ، وسمى المرابط مرابطا: لأن المرابطين يربطون خيولهم ينتظرون الفزع، ثم قيل لكل منتظر: قد ربط نفسه لطاعة ينتظرها. ففي الآية انتقال من الأدنى إلى الأعلى فالصبر دون المصابرة، والمصابرة دون المرابطة. قال ابن القيم رحمه الله:" فالصبر مع نفسك، والمصابرة بينك وبين عدوك، والمرابطة الثبات وإعداد العدة، وكما أن الرباط لزوم الثغر لئلا يهجم منه العدو، فكذلك الرباط أيضًا لزوم ثغر القلب، لئلا يهجم عليه الشيطان فيملكه أو يخربه أو يشعثه". مدارج السالكين (٢/١٥٩).

ينظر: جامع البيان للطبري (٤/٢٢٢)، ومعاني القرآن للنحاس (١/٥٣٠)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٣/٢٢٩)، والمفردات للراغب (ص١٨٥)"ربط"، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٣٨٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٤٤٥).

(٢) قاله محمد بن كعب القرظي. رواه عنه الطبري في جامع البيان (٤/٢٢٣)، وابن المنذر في تفسيره (٢/٥٤٥)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٣/٨٥١). والأظهر والأعم ما قاله ابن كثير في تفسيره بقوله:"﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي: في الدنيا والآخرة". تفسير القرآن العظيم (١/٤٤٨). والفلاح: نيل المطلوب والسلامة من المرهوب.

ينظر: المفردات للراغب (ص٣٨٥)"فلح"، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٣٠٠).

تفسير سورة النساء

سورة النساء مدنية [1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ يعني: آدم.[2] ﴿وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ أي: حواء، خُلقت من ضلع من أضلاع آدم ﷺ،[3] وذلك أنَّ آدم كان يمشي وحده في الجنة، ليس له من يأنس به، فألقيت عليه نومة، وخلق الله منه حواء وهو لا يشعر، فلما استيقظ وجدها جالسة عنده بجنبه، فقال: مَن أنتِ؟ فقالت: خلقني الله لك لتسكن إليَّ،

---

(١) الجمهور على أن هذه السورة مدنية. وقال النحاس: هي مكية. والصحيح قول الجمهور، لما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:"وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده". (صحيح البخاري (٤/١٩١٠)، برقم: (٤٧٠٧)، فضائل القرآن/باب تأليف القرآن).وقولها رضي الله عنها:"وأنا عنده" تعني قد بنى بها. ولا خلاف بين العلماء أن النبي ﷺ إنما بنى بعائشة بالمدينة.

ينظر: فضائل القرآن للقاسم بن سلام (ص٣٦٥)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/٥)، واالبحر المحيط لأبي حيان (١٦١/٣).

(٢) قاله عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٢٣/٤)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٨٥٢/٣)، والبحر المحيط لأبي حيان (١٦٢/٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٤٩/١).

(٣) قال ذلك عامة العلماء. ويؤيد ذلك ما أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء». (صحيح البخاري (١٢١٢/٣)، برقم: (٣١٥٣) كتاب أحاديث الأنبياء/باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، وصحيح مسلم (١٠٩١/٢)، برقم: (١٤٦٨)،كتاب الرضاع/باب الوصية بالنساء.قال ابن تيمية رحمه الله:"ومعلوم أن النفس الواحدة التي خلق منها زوجها هو آدم، وحواء خلقت من ضلع آدم القصيراء". بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٤٨٨/١).

ينظر: جامع البيان للطبري (١١/٢٥)، وتفسير ابن المنذر (٥٤٧/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٢١/٤)، وشرح النووي على صحيح مسلم (٥٧/١٠)، وفتح الباري لابن حجر (٣٦٨/٦).

فآنس بها؛ لأنه لم يلحقه ألم في خلقها منه.(١)

﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا﴾ أي: نشر.(٢) وقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ أي: تطلبون حقوقكم به. ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ أي: واتقوا الأرحامَ أن تقطعوها.(٣)

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ أي: حافظًا.(٤) ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ أي: أعطوهم أموالهم إذا آنستم منهم رشدًا، إنما يؤنس بعد البلوغ، ولا يُتْم بَعد البلوغ،(٥) ولكن سمَّاهم بالاسم

---

(١) ذكر ذلك السدي. رواه عنه الطبري في جامع البيان (٢٢٤/٤)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (١٨١/١)، ومكي في تفسير الهداية (١٢١٢/٢)، وابن كثير في تفسيره (٨٠/١).

(٢) يقال: بثثت الشيء وأبثثته: إذا نشرته. وبثَّ الله الخلق، أي: نشرهم. ومنه قوله تعالى: ﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة:٤].

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٢٥/٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٨/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٥١/١٥)"بث".

(٣) قاله: ابن عباس رضي الله عنهما، والسدي، والحسن، والضحاك، وقتادة، وعكرمة، ومجاهد، والربيع. وحسن إسناده عن ابن عباس، وصححه عن مجاهد: الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (١٢١/٢). وهذا المعنى على قراءة نصب الميم، وهي قراءة سبعية، إلا حمزة. وقرأ حمزة بالخفض عطفًا على الضمير، والمعنى: أنها يتساءل بها ،كما يقول الرجل: أسألك بالله وبالرحم. والقراءتان متواترتان.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٢٦/٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٨٥٤/٣)، والحجة في القراءات السبع لابن مجاهد (ص١١٨)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٤/٢).

(٤) قاله جمهور المفسرين وأهل اللغة.

ينظر: العين للخليل (١٥٤/٥)"رقب"، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١١٣/١)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٨٥٤/٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/٢).

(٥) يؤيد ذلك ما رواه أبو داود في سننه من حديث علي بن أبي طالب ﷺ قال: حفظت عن رسول الله ﷺ: «لا يُتْم بَعد احتلام، ولا صُمات يوم إلى الليل». (سنن أبي داود (١١٥/٣)، برقم: (٢٨٧٣) كتاب الوصايا/باب ما جاء متى ينقطع اليتم). وحسن إسناده النووي في المجموع (٣٩٦/٦). ونقل الإجماع على ذلك الشنقيطي في أضواء البيان (٢٢٠/١).

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٢٨/٤)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٤٣/٣)، والمفردات للراغب

الأول استصحابًا.[١] ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ أي: لا تستبدلوا مالهم الحرام عليكم بأموالكم الحلال.[٢] ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ أي: مع أموالكم.[٣]

﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ أي: إثمًا عظيمًا.[٤] قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا﴾ أي: ألا تعدلوا.[٥]

﴿فِي الْيَتَامَىٰ﴾ هذه اليتيمة التي تكون في حِجْر[٦] وليّها تشركه في ماله، فتعجبه مالها وجمالها،

(ص٥٥٠)"يتم"، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٣٩٠).

(١) الاستصحاب هو: الحكم ببقاء أمر محقق غير مظنون عدمه كان موجودًا في وقت من الأوقات. وهو بمعنى إبقاء ما كان على ما كان.

ينظر: المستصفى للغزالي (١/١٥٩)، وشرح مختصر الروضة للطوفي (٣/١٤٨)، وإعلام الموقعين لابن القيم (١/٣٣٩).

(٢) قاله مجاهد رحمه الله. روى ذلك عنه الطبري في جامع البيان (٤/٢٢٨)، وابن المنذر في تفسيره (٢/٥٥٠)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٣/٨٥٥). وصحح إسناده الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٢/١٢١).

(٣) ينظر: تفسير ابن المنذر (٢/٥٥٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/٩)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٣٩٠).

(٤) قاله جمهور المفسرين وأهل اللغة. يقال: حاب الرجل يحوب حوبًا إذا أثم. وأصله: الزجر للإبل، فسمي الإثم حوبًا لأنه يزجر عنه.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/١١٤)، وجامع البيان للطبري (٤/٢٣٠)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٣/٨٥٦)، وغريب القرآن لابن عزيز السجستاني (ص١٩٩)، وتهذيب اللغة للأزهري (٥/١٧٣)"حوب".

(٥) أصل القسط: النصيب، يقال: قَسَطَ بمعنى: جار، أي: أنه ظلم صاحبه في قسطه الذي يصيبه، وأَقْسَطَ أي: صار ذا قسط عدل، بناءً على (أنصف) إذا أتى بالعدل في قوله وفعله وقسمه.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٢/١٠)، والمفردات للراغب (ص٤٠٣)"قسط"، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/٣٦٨).

(٦) حِجْر: إما من الحَجْر وهو المنع من التصرف، أو حِجْر الثوب وهو طرفه المقدم؛ لأن الإنسان يربي

فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها، فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن، ويبلغوا لهن أعلى سُنتهن في الصداق، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن.(١) ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ أي: فانكحوا النكاح الذي طاب لكم من النساء ﴿مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ الواو بمعنى: (أو) التي هي للتخيير، ولا يصح قول من يقول: إن هذا دليل على إحلال التسع لنا؛ لأنَّه لا يقال: أُعطيك ثلاثة واثنتين وأربعة، وهو يريد أعطيك تسعة؛ لأن تسعة يغني عن هذا.(٢)

ولده في حجره.

ينظر: العين للخليل (٧٣/٣)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٣٤١/١)، ولسان العرب لابن منظور (١٦٥/٤)"حجر".

(١) يؤيد ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم عن عروة بن الزبير، أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن قول الله تعالى: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾، فقالت: يا ابن أختي، هذه اليتيمة تكون في حِجْر وليها، تشركه في ماله، ويعجبه مالها وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها، فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنهوا عن أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن، ويبلغوا لهن أعلى سنتهن في الصداق، فأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن...". (صحيح البخاري (١٦٦٨/٤)، برقم: (٤٢٩٨) كتاب تفسير القرآن/باب ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾، ومسلم (٢٣١٣/٤)، برقم: (٣٠١٨) كتاب التفسير).

(٢) ردَّ المصنف رحمه الله على الرافضة الذين زعموا أنه يجوز للمسلم التزوج بتسع، لأن الآية عُطفت بالواو، وهي لمطلق الجمع، ومجموع هذه الأعداد تسع، وهذا قول باطل وفهم سقيم. قال القرطبي رحمه الله في تفسيره:" اعلم أن هذا العدد (مثنى وثلاث ورباع) لا يدل على إباحة تسع كما قاله مَنْ بَعُدَ فهمه للكتاب والسنة، وأعرض عما كان عليه سلف هذه الأمة، وزعم أن الواو جامعة، وعضد ذلك بأن النبي ﷺ نكح تسعًا، وجمع بينهن في عصمته، والذي صار إلى هذه الجهالة وقال هذه المقالة: الرافضة وبعض أهل الظاهر، فجعلوا (مثنى) مثل: اثنين، وكذلك (ثُلاث) و (رُباع)، وهذا كله جهل باللسان والسنة، ومخالفة لإجماع الأمة، إذ لم يُسمع عن أحد من الصحابة ولا التابعين، أنه جمع في عصمته أكثر من أربع ... وأما قولهم: إن الواو جامعة فقد قيل ذلك، لكن الله تعالى خاطب العرب بأفصح اللغات، والعرب لا تدع أن تقول تسعة، وتقول اثنين وثلاثة وأربعة ...إلخ. الجامع لأحكام القرآن (١٧/٥). وقال

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ أي: خشيتم ﴿أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ أي: بين الأربع ﴿فَوَاحِدَةً﴾ أي: فانكحوا واحدة. ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا﴾ أي: لا يكثر عيالكم.(١)

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ أي: عطيَّة وهبة من الله تعالى لهنَّ.(٢) والصَّدُقات: المهور.(٣) ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ أي: طابت أنفسُهن عن شيء من مهورهن.

ابن قدامة رحمه الله:" وليس للحُرّ أن يجمع بين أكثر من أربع زوجات، أجمع أهل العلم على هذا". المغني (٦٤/٧).

ينظر: الحاوي الكبير للماوردي (١٦٦/٩)، والمبسوط للسخسي (١٦٠/٥)، وأحكام القرآن لابن العربي (٤٠٨/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (١٧١/٣).

(١) هذا قول زيد بن أسلم، وقال به الشافعي. بدليل قراءة طلحة بن مصرف: (ألا تَعِيْلُوا)، وهي قراءة شاذة. وما حكاه الكسائي أن العرب تقول: عَال يَعُولُ إذا كثر عياله. وقال أكثر المفسرين: معناه: ذلك أقرب ألا تجوروا وتميلوا. والصحيح قول جمهور السلف. قال ابن تيمية:"غلط أكثر العلماء من قال ذلك لفظا ومعنى. أما اللفظ: فلأنه يقال: عال يعُول إذا جار. وعال يُعيل: إذا افتقر. وأعال يُعيل: إذا كثر عياله. وهو سبحانه قال: ﴿تَعُولُوا﴾ ولم يقل: تَعِيْلُوا. وأما المعنى: فإن كثرة النفقة والعيال يحصل بالتسرِّي كما يحصل بالزوجات، ومع هذا فقد أباح مما ملكت اليمين ما شاء الإنسان بغير عدد؛ لأن المملوكات لا يجب لهن قسمٌ، ولا يستحققن على الرجل وطئًا... والزوجات عليه أن يعدل بينهن في القسم... فالعدل الذي يطيقه عامة الناس ينتهي إلى الأربعة". مجموع فتاوى ابن تيمية (٧٠/٣٢).

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٢٤/٣)"عول"، والكشف والبيان للثعلبي (٢٤٨/٣)، والكشاف للزمخشري (٤٩٩/١)، وأحكام القرآن لابن العربي (٤١٠/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٢/٥)، والدر المصون للسمين الحلبي (٥٦٧/٣).

(٢) قاله الكلبي.

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢٤٩/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٩٢/١)، والتفسير الكبير للرازي (١٤٧/٩).

(٣) قاله عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٤١/٤)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٨٦١/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٩٢/١)، والكشاف للزمخشري (٥٠٠/١).

﴿نَفْسًا﴾ أي: نفوسًا ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا﴾ أي: طيب المساغ الذي لا ينغّصه شيء.[١] ﴿مَّرِيٓـًٔا﴾ أي: محمود العاقبة، الذي لا يضر ولا يؤذي، فلا مطالبة به في الدنيا ولا تبعة به في الآخرة.[٢] قوله: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ أي: النساء.[٣] يعني: الأموال التي هي قيام معيشتكم فيفسدنها.[٤]

﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ أي: أطعموهم. ﴿وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ أي: قولا لينـا وعذرًا تطيب به أنفســهم.[٥] ﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ معناه: اختبروهم في عُقولهم وحســن

---

(١) الهنيء: ما أتاك بلا مشقة ولا تنغيص ولا كدر. والهنيء من الطعام: السائغ، واستهنأْت الطعام استمْرأْته.

ينظر: العين للخليل (٤/٩٤)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦/٦٨)، وتاج العروس للزبيدي (١/٥١١)"هنأ".

(٢) يقال: امرأ الطعام: إذا انهضم وحمدت عاقبته.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤/٢٤٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٥/٢٠٥)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/٣١٥)،"مرأ".

(٣) هذا مروي عن مجاهد، وعكرمة، وقتادة، والحسن، والضحاك. وقال جمهور المفسرين: هم النساء والصبيان. والصحيح ما ذهب إليه الطبري، والنحاس، ووافقهما البغوي، والرازي: بأن السفيه هو الذي لا يحسن التصرف في ماله، سواء كان رجلا أو امرأة، صغيرا أو كبيرا. فإن لفظ: ﴿ٱلسُّفَهَآءَ﴾ عام، ولم يدل دليل على تخصيصه، بأحد دون أحد، فوجب حمله على العموم، وإنما قالوا: النساءوالصبيان؛ لأن السفهاء في هؤلاء أكثر.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤/٢٤٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/١٨)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٣/٨٦٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٣٩٣)، والتفسير الكبير للرازي (٩/١٥٠).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٤/٢٤٩)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٢٥٣)، والدر المصون للسمين الحلبي (٣/٥٨٠).

(٥) ينظر: جامع البيان للطبري (٤/٢٥٠)، والنكت والعيون للماوردي (١/٤٥٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٣٩٣).

طريقتهم.[١] ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم﴾ أي: علمتم[٢]﴿مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ أي: طريقةً مستقيمةً في التدبير بعد البلوغ.[٣] ﴿فَادْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا﴾[٢٧/ب] أي: لا تأكلوها وحالكم الإسراف في تجاوز الحد المباح إلى غير المباح. ﴿وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ﴾ ومبادرة كِبَرهم.[٤] وقوله: ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي: ليأكل قرضًا.[٥] ولا

---

(١) قاله عامة أهل التفسير.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/١١٧)، وجامع البيان للطبري (٤/٢٥١)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٣/٨٦٤)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٢٥٤).

(٢) الإيناس: الرؤية والعلم والإحساس بالشيء. وأصل الإيناس: الإبصار، فوضع موضع العلم كما وضعت الرؤية موضع الإبصار.

ينظر: غريب القرآن لابن عزيز السجستاني (ص٥٤)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/١٤٥)، والمفردات للراغب (ص٢٨)"أنس".

(٣) هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، وسفيان الثوري، والسدي، وقال به الطبري، رحمهم الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤/٢٥٢)، والتفسير الكبير للرازي (٩/١٥٤)، والمغني لابن قدامة (٥/٢٩٥)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/٣٧).

(٤) قاله عامة المفسرين. وهو مصدر من قول القائل: بادرت هذا الأمر مبادرةً وبدارًا. أي: لا تبادروا كبرهم ورشدهم حذراً أن يبلغوا فيلزمكم تسليمها إليهم.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤/٢٥٤)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٣/٨٦٧)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٢٥٨)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٣٩٥).

(٥) هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، وسعيد بن جبير، والسدي، والشعبي، واختاره الطبري. وذهب عمر رضي الله عنه، وعائشة رضي الله عنها، وعطاء، والحسن، والنخعي، وابن زيد، واختاره النحاس بأن معنى:﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أن يأكل ولي اليتيم من مال يتيمه إن كان محتاجا بالمعروف، من غير إسرافٍ مقابل قيامه على ماله. وهذا القول هو الأصح، لما روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ﷺ أن رجلا قال للنبي ﷺ: إن في حِجْري يتيمًا أفآكل من ماله؟ قال: «كل من مالِ يتيمك غير مسرف، ولا مبادر، ولا مُتأثِّلٍ».[أي: غير متخذ منه أصل مال]. والحديث أخرجه أحمد في مسنده (٢/٢١٥)، برقم: (٧٠٢٢)، وأبو داود في سننه (٣/١١٥)، برقم: (٢٨٧٢) كتاب الوصايا/باب ما جاء في ما لولي اليتيم

يأكل من مال اليتيم شيئًا؛ لأن المعروف أن يأكل الإنسان ماله، ولا يأكل مال غيره. وقوله: ﴿فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ﴾ هذا لتزول الظِّنَّة،[1] ولا يقع بينهما خصومة.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ أي: مجازيًا.[2] وقوله:﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم﴾ أي: أبصرتم ﴿مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ أي: عقلًا وصلاحًا في الدين، وحفظا للمال، وعلما بما يصلحه.[3] ثم لا يَدفع إليه ماله وإنْ كان شيخًا حتى يؤنس منه رشدًا.

وقوله: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ الآية، روي: أنَّ العرب كانت لا تورِّث إلا من طاعن بالرماح،

أن ينال من مال اليتيم. وقوى إسناده الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح (٨/٢٤١). ولأن النهي في الآية عن الإسراف مشعر بأن لولي اليتيم أن يأكل بقدر الحاجة، إذا كان فقيرا.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤/٢٥٥)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٣/٨٦٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/٢١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/٤١).

(١) الظِّنَّة: الشك والتهمة. يقال: ظَنَّ يظِنُّ ظِنًّا، وفلان ظنين، أي: متهم.

ينظر: النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٣/١٦٢)، ولسان العرب لابن منظور (١٣/٢٧٢)، وتاج العروس للزبيدي (٣٥/٣٦٥)"ظنن".

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٤/٢٦٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٤/١٩٠)"حسب"، والمفردات للراغب (ص١١٦)"حسب".

(٣) هذا قول قتادة، والحسن، وقال به الشافعي.وقال ابن عباس رضي الله عنهما، وسفيان الثوري، والسدي، وهو قول الطبري، والنحاس، ومذهب جمهور الفقهاء، وهو الصحيح: بأن الرشد في هذا الموضع: العقل وإصلاح المال؛ لإجماع العلماء على أنه إذا كان كذلك، لم يكن ممن يستحق الحَجْر عليه في ماله، وحَوْزَ ما في يده عنه، وإن كان فاجرًا في دينه. فكذلك حُكْمُه إذا بلغ وله مال في يد وليِّه، قد ولي ماله لطفولته، واجب عليه تسليم ماله إليه، إذا كان عاقلا بالغا، مصلحًا لماله غير مفسد؛ لأن المعنى الذي يستحق أن يولَّى على ماله هو المعنى الذي به يستحق أن تُمنع يدُه من ماله الذي هو في يد وليِّ ماله لا فرق بين ذلك. وبسط هذه المسألة في كتب الفقه وأحكام القرآن.

ينظر: أحكام القرآن للشافعي (١/١٣٨)، وجامع البيان للطبري (٤/٢٥٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/٢٠)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/٢١٦)، والمغني لابن قدامة (٤/٣٠١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/٣٧).

وذاد عن المال، وحاز الغنيمة، فأعلم الله أنَّ حق الميراث على ما ذكر من الفرض.[١]

وقوله: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ معناه: فرض الله ذلك. ووَرد في التفسير أنَّ أوس بن ثابت الأنصاري[٢] توفي وترك امرأة يقال لها: أم كُجَّة،[٣]وثلاث بناتٍ له منها، فقام رجلان هما: ابن عم الميت، ووصياه اسمهما: سويد،[٤]وعَرفجة،[٥] فأخذا ماله، ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئًا، وكانوا في الجاهلية لا يُورثون النساء ولا الصغير وإن كان ذكرا، إنما كانوا يُورثون الرجال الكبار ويقولون: لا نعطي إلا من قاتل على ظهور الخيل، وحاز الغنيمة، قال: فجاءت أم كُجَّة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن أوس بن ثابت مات وترك علي بنات له ثلاثا، وأنا امرأته وليس عندي ما أنفق عليهن، وقد ترك أبُوهن مالًا حسنا، وهو عند سويد وعَرفجة، ولم يعطياني ولا بناته من المال شيئًا، وهنَّ في حجري، لا يطعمن ولا يسقين، ولا يرفع لهن رأس، فدعاهما رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله، لا يَركب ولدها فرسا، ولا يحمل كلًّا،[٦]ولا ينكى

---

(١) قاله بنحوه: ابن عباس رضي الله عنهما، ومقاتل بن سليمان، وابن زيد، وقتادة، والسدي.
ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢١٦/١)، والكامل في اللغة والأدب لابن المبرد (٦٤/٢)، وجامع البيان للطبري (٢٧٥/٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٢٣/٢)، والدر المنثور للسيوطي (٤٣٨/٢).

(٢) هو أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري، أخو حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ، شهد بيعة العقبة الثانية وغزوة بدر، واستشهد في أُحد في السنة الثالثة من الهجرة.
ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١١٨/١)، وأسد الغابة لابن الأثير (١٤٠/١)، والإصابة لابن حجر (٢٥٩/١).

(٣) الأنصارية، ذكر ابن الأثير أنها أم كُجّة زوج أوس بن ثابت، وفيها نزلت الآية.
ينظر: أسد الغابة لابن الأثير (٤١٨/٧)، والإصابة لابن حجر (٢٨٤/٨).

(٤) هو سويد بن عمر بن ثابت بن قيس الأنصاري، ابن عم سعد بن الربيع رضي الله عنهما.
ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٦٨١/٢)، والإصابة لابن حجر (٢٣١/٣).

(٥) هو عرفجة بن شريح الأشجعي، له صحبة ﷺ.
ينظر: الثقات لابن حبان (٣٢٠/٣)، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (٢٢٢٨/٤)، الاستيعاب لابن عبد البر (١٠٦٣/٣).

(٦) الكَلّ، بفتح الكاف وتشديد اللام، وأصله من: الكلال، وهو: الإعياء، ثم استعمل في كل ضائع

عدوا، فقال رسول الله ﷺ: «انصرفوا حتى انظر ما يحدث الله تعالى لي فيهن»، فانصرفوا، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ الآية، فأرسل رسول الله ﷺ إلى سويد وعَرفجة: «لا تفرقا من مال أوس شيئًا، فإن الله تعالى جعل لبناته نصيبا مما ترك ولم يبيّن كم هو، حتى انظر ما يُنزّل الله عز وجل فيهن»، فأنـزل الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ إلـى قولـه: ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾، فلما نزل أرسل رسول الله ﷺ إلى سويد وعرفجة أن ادفعا إلى أم كُجّة الثُّمن، وإلى بناته الثلثين، ولكما باقي المال».(١)

وقوله: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ﴾ الآية، هي على الاستحباب لا على الحَتْم،(٢) وهو خطاب البالغين إذ لا يخاطب غير المكلف.(٣)

وقوله: ﴿فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ أي: فارضخوا لهم(٤) شيئًا مما لكم من الميراث تطيبًا لقلوبهم.

وأمر مثقل، والمراد: أنه لا يعين الضعيف المنقطع، ولا يحمل الحَوائج المهمة.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٩/٣٣٠)"كل"، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (١/٣٤١)"كلل".

(١) القصة أخرجها الطبري في جامع البيان (٤/٢٦٢) عن عكرمة، وابن المنذر في تفسيره (٢/٥٧٧)، عن ابن جريج، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٣/٨٨١) عن السدي، وأوردها الثعلبي في تفسيره: (٣/٢٦٠)، والبغوي في معالم التنزيل (١/٣٩٦)، والواحدي في أسباب النزول (ص٢٧٧). وضعف القصة الحافظ ابن حجر في كتابيه الإصابة (٨/٢٨٤). والعجاب (٢/٨٣٤).

(٢) هذا قول أكثر المفسرين.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٢/٢٤)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٢٦٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/١٩)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/٤٩).

(٣) ينظر: التفسير الكبير للرازي (٩/١٥٩)، ورموز الكنوز لعز الدين الرسعني (١/٤٢٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٤٥٦).

(٤) رَضَخَ له من ماله: إذا أعطاه. والرّضخ: العطاء.

ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/٤٠٢)، والنهاية لابن الأثير (٢/٢٢٨)"رضخ".

﴿وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ أي: إن كان الورثة صغارًا فاعتذروا إليهم وقولوا: إنَّ المال لهؤلاء الصغار، وليس لنا أن نعطيكم من مالهم شيئًا، ولو كان لنا لأعطيناكم منه، فهذا هو القول المعروف.(١)

قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ الآية، هذا في الرجل يحضره الموت فيقول من بحضرته عند وصيته: أُنظر لنفسِك؛ فإن أولادك وورثتك لا يغنون عنك شيئًا، قدِّم لنفسك، اعتق وتصدق، وأعط فلانًا كذا، وفلانًا كذا، حتى يأتي على عامة ماله، أو يستغرق ولا يُبقي لورثته شيئا، فنهاهم الله ﷻ عن ذلك، وأمرهم أن يأمروه أن يُبقى لولده، ولا يزيدوا في وصيته على الثلث، ولا يُجحف لورثته، كما لو كان هذا القائل هو الموصي يسرّه أن يحثه من يحضُره على حفظ ماله لولده، ولا يدعهم عالة مع ضعفهم وعجزهم.(٢)

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ أي: حرامًا بغير حق.

﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ أخبر عن مآله وأخَّر حاله، والعرب تقول للشيء الذي يؤدي إلى الشيء [٢٨/أ] هذا كذا، كقولهم: هذا الموت، أي: يؤدي إليه.(٣)

---

(١) ينظر: جامع البيان الطبري (٤/٢٥٠)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٢٦٢)، والوجيز للواحدي (١/٢٥٢).

(٢) هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة، والسدي، وسعيد بن جبير، والضحاك، ومجاهد. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معنى الآية: أمرٌ من الله ولاة اليتامى أن يلوهم بالإحسان إليهم في أنفسهم وأموالهم، وأن يكونوا لهم كما يُحبون أن يكون وُلاةُ أولادهم الصغار بعدهم لهم بالإحسان إليهم، لو كانوا هم الذين ماتوا، وتركوا أولادهم يتامى صغارًا. والصحيح حمل الآية على العموم. قال ابن العربي رحمه الله:"والصحيح أن الآية عامةٌ في كل ضرر يعود عليهم بأي وجهٍ كان على ذرية المتكلم، فلا يقول إلا ما يريد أن يقال فيه وله". أحكام القرآن (١/٤٢٩).

ينظر: جامع البيان للطبري (٤/٢٦٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/٨٧٦)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/٣٧٠)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/٤٠٠).

(٣) هذا قول الثعلبي، والواحدي، والزمخشري، وغيرهم من المفسرين.وذهب السدي، واختاره الطبري، وابن كثير: بأن المراد بالنار: أنهم يأكلون نارًا حقيقة. وهذا القول هو الأظهر من الآية الكريمة. قال ابن

﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ أي: يدخلون.[١]

قوله: ﴿يُوصِيكُمُ﴾ أي: يعهد إليكم ويفرض عليكم.[٢] ﴿فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾ أي: في أمر أولادكم. ﴿لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ﴾ يعني: المتروكات[٣] ﴿نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ﴾ أعلم الله تعالى ما فوق البنتين لهما الثلثان أيضًا.[٤]

كثير رحمه الله:"أي: إذا أكلوا أموال اليتامى بلا سبب، فإنما يأكلون نارًا تتأجج في بطونهم". تفسير القرآن العظيم (٤٥٧/١).

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٧٣/٤)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٦٣/٣)، والوجيز للواحدي (٢٥٤/١)، والكشاف للزمخشري (٥١٠/١)،

(١) أصل الصَّلي: إيقاد النار، ويقال: صَلَى بالنار: اصطلى بها، وصَلَيتُ الشاة: شويتها. وأَصْلَاه غيره إصْلاءً، أي: أدخله فيها وأحرقه بها

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٧٣/٤)، والمفردات للراغب (ص٢٨٥)"صلا"، والدر المصون للسمين الحلبي (٥٩٥/٣).

(٢) لأن الوصية من الله تعالى فرض وواجب. وإنما ذكره بلفظ الوصية لأمرين: أحدهما: أن الوصية تزيد على الأمر، فكانت أبلغ وأدل على الاهتمام. والثاني: أن في الوصية حقًّا للموصي، فدل على تأكيد الحال بإضافته إلى حقه. ولفظ المضارع يفيد التجدد والحدوث، فكأنه يقول: يأمركم الله أمرًا مؤكدًا في كل وقت وحين بأن تستمسكوا بهذه الوصية التي هي فريضة من فرائض الله ﷻ.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٧٤/٤)، ومعاني القرآن للزجاج (١٨/٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٢٧/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٠٢/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٦/٢).

(٣) أي: المتروكات من بنات الميت.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٧٦/٤)، وتفسير الهداية لمكي (١٢٣٨/٢٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١٥/٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (١٩٠/٣).

(٤) بإجماع العلماء.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٧٦/٤)، والإجماع لابن المنذر (ص٦٦)، والمغني لابن قدامة (١٦٥/٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٥٩/١).

وقوله: ﴿أَوۡ دَيۡنٍ﴾ يدل على أنه وإن كان دَين بلا وصية، أو وصية بلا دَين فإنه يقدم على الميراث. [(١)] وقوله: ﴿ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعًا﴾ أي: إن الله تعالى فرض الفرائض على ما هي عنده حكمة، ولو وكل إليكم ذلك لم تعلموا أيهم أنفع لكم، فتضعون الأموال على غير حكمة.[(٢)] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما يصلح خلقه.

﴿حَكِيمًا﴾ فيما فرض من هذه الأنصباء.

وقوله:﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أي: لم يزل الله تعالى على ذلك، كان عليمًا بالأشياء قبل خلقها، حكيمًا فيما يقدر تدبيره منها، لأن الأشياء في علم الله سواءً الماضي منها وما هو كائن وما سيكون.[(٣)]

والمراد بقوله: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٌ﴾ ولد

---

(١) ذكر ابن قدامة، والقرطبي، وابن كثير إجماع العلماء على أن الدَّين مقدّم على الوصية. وقال أبو حيان:"وقدم الوصية على الدَّين، وإن كان أداء الدَّين هو المقدّم على الوصية بإجماع، اهتماماً بها وبعثاً على إخراجها، إذ كانت مأخوذة من غير عوض شاقاً على الورثة إخراجها مظنة للتفريط فيها، بخلاف الدين، فإنّ نفس الوارث موطنة على أدائه، ولذلك سوى بينها وبين الدَّين بلفظ: (أو) في الوجوب". البحر المحيط (١٩٤/٣).

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٨٠/٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٣٢/٢)، والمغني لابن قدامة (٣٠٥/١٠)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧٣/٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٦٠/١).

(٢) هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، وابن زيد، رحمة الله على الجميع.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٨١/٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٣٣/٢)، ومعاني القرآن للزجاج (٢٤/٢).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٨٢/٤)، ومعاني القرآن للزجاج (٢٥/٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٣٣/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٩/٢).

الأم،[١] لأن الكلالة أن يكون الورثة من الحواشي، لا من الأصول والفروع،[٢] وهم: الإخوة والأخوات، وفُسر بأولاد الأم. وباقي الآية ظاهر. وسبب نزولها في قصة أم كُجَّة.[٣]

وقوله: ﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: غير مضارٍ للورثة في الوصية بأكثر من الثلث.[٤]

---

(١) باتفاق العلماء. قال القرطبي رحمه الله:"فأما هذه الآية فأجمع العلماء على أن الإخوة فيها عنى بها الإخوة للأم، لقوله تعالى: ﴿فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِ﴾...". الجامع لأحكام القرآن (٥/٧٨).

ينظر: جامع البيان للطبري (٤/٢٨٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/٤٠٥)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٤٠٤)، والمغني لابن قدامة (٦/١٦٣).

(٢) الكلالة: مشتقة من الإكليل، وهو الذي يحيط بالرأس من جوانبه، والمراد هنا: من يرثه من حواشيه لا أصوله ولا فروعه. يقال: كَلَّ الرجل إذا ضعف، فإذا لم يوجد للميت وارث من والد أو ولد، فقد ضعفت صلة القرابة وأصبحت كلالة. قال الزجاج:"والكلالة: سوى الولد والوالد". معاني القرآن للزجاج (٢/٢٦). وذكر أبو حيان أن هذا هو قول جمهور أهل العلم وجمهور أهل اللغة. وهذا قول أبي بكر وعمر والمشهور عن ابن عباس ﷺ. قال ابن كثير:"وهكذا قال علي وابن مسعود، وصحَّ عن غير واحد عن ابن عباس وزيد بن ثابت، وبه يقول الشعبي والنخعي والحسن وقتادة وجابر بن زيد والحكم، وبه يقول أهل المدينة وأهل الكوفة والبصرة، وهو قول الفقهاء السبعة والأئمة الأربعة، وجمهور السلف والخلف بل جميعهم، وقد حكى الإجماع عليه غير واحد...". تفسير القرآن العظيم (١/٤٦١).

ينظر: المفردات للراغب (ص٤٣٧)"كل"، وأحكام القرآن لابن العربي (١/٤٤٩)، والمغني لابن قدامة (٦/١٦٣)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/١٩٧).

(٣) تقدم تخريج القصة عند ص : ٤٧٦

(٤) قال ابن عطية رحمه الله:"ووجوه المضارة كثيرة لا تنحصر، وكلها ممنوعة، يُقرّ بحقٍ ليس عليه، ويوصي بأكثر من ثلثه، أو لوارثه، أو بالثلث فرارًا عن وارثٍ محتاج، وغير ذلك... إن المضارة تُردّ وإن كانت في الثلث إذا عُلمت بإقرارٍ أو قرينةٍ، ويؤيد هذا قوله تعالى:﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[البقرة:١٨٢]". المحرر الوجيز (٢/٢٠).

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما دبر من هذه الفرائض ﴿حَلِيمٌ﴾ عمن عصاه بتأخيره وقبول توبته جل جلاله، وعظم شأنه، وتوالت آلاؤه.

قوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ﴾ أي: يتجاوز.(١)

﴿يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا﴾ أي: إذا فعل ذلك مستحلًا، فإن الله قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء:٤٨]، فحملناه على ما ذكرنا جمعًا بين الآيتين.(٢)

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ أي: الزنا.(٣)

ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٣/٣٥)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/٨٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٤٦٢)، والزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيثمي (١/٥٠٩).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٤/٢٩١)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٢٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/٣٨)، والمفردات للراغب (ص٣٢٦)"عدا".

(٢) يشير المؤلف رحمه الله هنا إلى مسألة عقدية، وهي أنه لا يكفَّر أحد من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله. قال الطحاوي رحمه الله:" ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله، نرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بالجنة ونستغفر لمسيئهم ونخاف عليهم ولا نقنطهم". شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص٣٥٥). قال ابن تيمية رحمه الله:"وأما قوله تعالى:﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، فهي- والله أعلم- فيمن جحد الفرائض واستخف بها". مجموع الفتاوى (١٥/٣٦٧).

وقال القرطبي رحمه الله:"والعصيان إن أريد به الكفر فالخلود على بابه، وإن أريد به الكبائر وتجاوز أوامر الله تعالى، فالخلود مستعار لمدة ما؛ كما تقول: خلَّد الله مُلكه". الجامع لأحكام القرآن (٥/٨٢).

ينظر: جامع البيان للطبري (٤/٢٩١)، ولمعة الاعتقاد لابن قدامة (ص٣٢)، ومدارج السالكين لابن القيم (١/٣٩٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٤٦٢).

(٣) باتفاق المفسرين. قال الرازي رحمه الله:"وأجمعوا على أن الفاحشة ههنا: الزنا، وإنما أطلق على الزنا اسم الفاحشة لزيادتها في القبح على كثير من القبائح". التفسير الكبير (٩/١٨٦).

﴿مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾ يعني: من المسلمين.

﴿فَإِن شَهِدُوا۟﴾ أي: عليهن بالزنا. ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ أي: فاحبسوهنّ.

﴿فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ وكان هذا قبل نزول الحدِّ، فلما نزل قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾[النور:٢]، قال رسول الله ﷺ: «خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلًا، الثيب بالثيب الرجم، والبكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام».[1]

﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ﴾ كان الحبس للثيِّبَيْن، وكان الأذى للبكرَين، يُوبَّخان ويقال لهما: فجرتما وانتهكتما حرمات الله؛ فلما نزل الحدُّ نُسخ هذا، والإمساك في البيت بالرجم للثيب، وبالجلد والنفي للبكر،[2] فالجلد في القرآن، والنفي والرجم في السنة.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤/٢٩١)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/٤٥٨)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/٢٠٤).

(١) أخرج ذلك مسلم في صحيحه من حديث عبادة بن الصامت ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلا، البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة، والرجم». (كتاب الحدود (٣/١٣١٦)، برقم: (١٦٩٠) باب حد الزنا. قال ابن كثير رحمه الله:"كان الحكم في ابتداء الإسلام أن المرأة إذا ثبت زناها بالبينة العادلة حبست في بيتٍ فلا تمكّن من الخروج منه إلى أن تموت... فالسبيل الذي جعله الله هو الناسخ لذلك. قال ابن عباس ﷺ: كان الحكم لذلك حتى أنزل الله سورة النور فنسخها بالجلد أو الرجم. وكذا روي عن عكرمة، وسعيد بن جبير، والحسن، وعطاء الخراساني، وأبي صالح، وقتادة، وزيد بن أسلم، والضحاك، أنها منسوخة وهو أمرٌ متفق عليه". تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٤٦٣). والبسط في هذه المسألة في كتب الفقه وأحكام القرآن.
ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٣/٤١)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/٤٥٧)، والمغني لابن قدامة (٩/٣٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/٨٢)،

(٢) هذا قول السدي، وابن زيد، واختاره الطبري، بأن المراد بـ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ﴾ البكران اللذان لم يُحصنا، والمقصود بالآية التي قبلها الثيبات المحصنات بالأزواج.وذهب ابن عباس رضي الله عنهما،

﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ﴾ أي: أنهم باختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية، جُهَّال، لأنَّ ذَنْب المؤمن جهلٌ منه، ليس بجحود ولا شرك ولا كفر؛ لأنه لما كان العقل منع منه كان الإقدام عليه من الجهالة.(١)

﴿ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ ﴾ أي: قبل الموت،(٢) فالتوبة مقبولة قبل اليقين بالموت، وهو وقت

وهو قول مجاهد، واختاره النحاس، بأن يكون قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ ﴾ عامًا لكل من زنت من النساء ثيبا كانت أو بكرا، وأن يكون قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ ﴾ عامًا لكل من زنا من الرجال ثيبًا كان أو بكرًا. وهذا أصح القولين. قال ابن عاشور:" ولا شكّ أنّ المراد بـ ﴿ وَٱلَّذَانِ ﴾ صنفان من الرجال: وهما صنف المحصَنين، وصنف غير المحصَنين منهم، وبذلك فسّره ابن عباس في رواية مجاهد، وهو الوجه في تفسير الآية، وبه يتقوَّم معنىً بيِّنٌ غير متداخل ولا مُكرّر" . تفسير التحرير والتنوير (٤/٢٧١).

ينظر: جامع البيان للطبري (٤/٢٩٤)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (١/٣٠٦)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/٤٦٤)، والمغني لابن قدامة (٩/٣٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/٨٥).

(١) قاله عامة المفسرين. قال قتادة رحمه الله:"اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ فرأوا أن كل شيء عُصي به فهو جهالة عمدًا كان أو غيره".

ينظر: جامع البيان للطبري (٤/٢٩٨)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٣/٨٩٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/٤٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٢٧٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/٩٢).

(٢) قاله عامة المفسرين. قال نظام الدين النيسابوري رحمه الله:" فقد أجمعوا على أن المراد من هذا القرب قبل حضور زمان الموت، ونزول سلطانه، ومعاينة أهواله. وإنما كان ذلك الزمان قريباً لأن الأجل آتٍ وكل ما هو آتٍ قريب، ولأن مدة عمر الإنسان وإن طالت إذا قيست إلى طرفي الأزل والأبد كانت كالعدم، ولأن الإنسان يتوقع في كل لحظة نزول الموت به، وما هذا حاله فإنه يوصف بالقرب". تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/٣٧٤).

ينظر: جامع البيان للطبري (٤/٣٠٠)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٤٠٧)، والتفسير الكبير للرازي (١٠/٥)، والحسنة والسيئة لابن تيمية (ص٦٢).

المعاينة.[١]

﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٔـٰنَ﴾ يعني: وقت المعاينة لا ينفع توبته؛ لأنه تاب في وقتٍ لا يمكنه تحقيق الذنب حتى يكفّ نفسه عنه.[٢] ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌ﴾ أي: إذا تاب عند حضور الموت، وهو النظر إلى ملك الموت.

قوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ﴾ أي: أعددنا لهم، إذ العتيد هو المُعَدّ.[٣]

﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي: مؤلما يبلغ إيجاعه غاية البلوغ.[٤]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهًا﴾ أي: إكراهًا.[٥]

---

(١) يؤيد ذلك ما أخرج الترمذي في سننه، وابن ماجه في سننه، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «إن الله ﷻ ليقبل توبة العبد، ما لم يغرغر». (سنن الترمذي (٥/٥٤٧)، برقم: (٣٥٣٧) كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ/بابٌ في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده، وسنن ابن ماجه (٢/١٤٢٠)، برقم: (٤٢٥٣)، كتاب الزهد/باب ذكر التوبة). وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي: (٣/٤٥٤).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٤/٣٠٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/٤٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٢٧٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/٩٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٤٦٥).

(٣) أصل العتاد: ادخار الشيء قبل الحاجة إليه كالإعداد، والعتيد: الحاضر المعَدّ، ومنه: فرسٌ عتيد، أي: حاضر العدو.

ينظر: العين للخليل (٢/٢٩)، والمفردات للراغب (ص٣٢١)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٢/٦٥)"عتد".

(٤) ينظر: معاني القرآن للنحاس (٢/٢٩)، ولسان العرب لابن منظور (١٢/٢٢)، وتاج العروس للزبيدي (٣١/٢٢٦)"ألم".

(٥) الكَره -بالفتح-: الإكراه، والكُره -بالضم-: المشقة. وأصل الإكراه: الإجبار، وهو: الحمل على فعل الشيء كارهًا.

ينظر: العين للخليل (٣/٣٧٦)، والمفردات للراغب (ص٤٢٩)، ولسان العرب لابن منظور

﴿وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ﴾ أي: من المهور.(١) وأصل العضل: الضيق والمنع.(٢) وسبب ذلك: أنهم كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحقَّ بامرأته، إن شاء بعضهم تزوَّجها، وإن شاءوا زوَّجوها، وإن شاءوا لم [٢٨/ب] يزوِّجوها فهم أحقّ بها من أهلها، فأنزل الله هذه الآية.(٣) ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ أي: بيّنت فحشها، وهي: الزنا.(٤)

يعني: فحينئذ يحل لكم ضرارهنّ ليفتدين منكم، وعضلهنّ لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن، وهذا منسوخ بالحدِّ المنزل.(٥) قوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ يعني: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ

(٥٣٤/١٣)"كره"، والدر المصون للسمين الحلبي (٦٢٧/٣).

(١) قاله عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٠٨/٤)، والوجيز للواحدي (٢٥٧/١)، وتفسير القرآن للسمعاني (٤٠٩/١).

(٢) يقال: عَضَلَتْ عليه، أي: ضَيَّقَت في أمره، وعُضِلَت المرأة عَضْلا وعَضَلْتَها تَعضِيلًا إذا منعتَها من التزوج ظلمًا.

ينظر: العين للخليل (٢٧٨/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٣٠٠/١)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٩٦/٢)"عضل".

(٣) أخرج ذلك البخاري في صحيحه (١٦٧٠/٤)، برقم: (٤٣٠٣) كتاب تفسير القرآن/ باب ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗا﴾، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) هذا قول جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٠٩/٤)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٩٠٤/٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩٥/٥)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢١٢/٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٦٧/١).

(٥) هذا قول عطاء الخراساني، رواه عنه عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره (١٥٢/١)، والطبري في جامع البيان (٣١٠/٤)، وأورده النحاس في معاني القرآن (٤٦/١). وضعّف الطبري هذا القول وبيَّن فساده معللا بأن الحدَّ حق الله، والافتداء حق للزوج، وليس أحدهما مبطلًا للآخر.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣١٢/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٠٩/١)، وزاد المسير لابن الجوزي

صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةً ﴾، ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾.(١)

﴿ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ وهو ولدٌ صالحٌ، أو يَعطفَه الله عليها بعد ذلك.(٢) ﴿ وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ ﴾ الآية، أي: أردتم أن تُطلِّقوا امرأة لتتزوجوا مكانها أخرى، فلا تحبسوا من صداق المطلَّقة شيئًا، وإن كان مالًا عظيمًا.(٣) والقنطار: المال الكثير.(٤)

(٤١/٢).

(١) هذا قول الحسن رحمه الله.

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢٧٦/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٠٩/١)، ولباب التأويل للخازن (٤٩٩/١).

(٢) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، والسدي، وهو قول جمهور المفسرين، رحمهم الله. قال ابن الجوزي رحمه الله:"وقد ندبت الآية إلى إمساك المرأة مع الكراهة لها، ونبهت على معنيين: أحدهما: أن الإنسان لا يعلم وجوه الصلاح، فرب مكروهٍ عاد محمودًا، ومحمودٍ عاد مذمومًا. والثاني: أن الإنسان لا يكاد يجد محبوبًا ليس فيه ما يكره، فليصبر على ما يكره لما يحب". زاد المسير (٤٢/٢).

ينظر: جامع البيان للطبري (٣١٣/٤)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٩٠٥/٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٧٧/٣).

(٣) قاله عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣١٤/٤)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٩٠٨/٣)، وأحكام القرآن لابن العربي (٤٦٩/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩٩/٥).

(٤) اختلف المفسرون في مقدار القنطار على أقوال كثيرة، أصحها: ما ذكره المؤلف، بأنه المال الكثير ولا يحدّ قدره بحدّ، وهو قول الربيع بن أنس، وقتادة، والضحاك، وقد ذكر الزجاج رحمه الله بأن العرب لا تحدّ القنطار بمقدار معلوم من الوزن، ولكنها تقول: هو قدرٌ ووزنٌ، فلو كان محدودًا قدره لم يكن بين متقدمي أهل التفسير في تقديره خلاف، وأقوالهم تدل على كونه مالاً كثيراً. وهذا هو اختيار الطبري، رحمه الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٩٩/٣)، ومعاني القرآن للزجاج (٣٨٣/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٥٨/١)، وتهذيب الأسماء للنووي (٢٨٢/٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٥٢/١).

وقوله: ﴿أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا﴾ البهتان: الذي يُتحيَّر من بطلانه.(١) تقديره: أتأخذونه مُباهتين آثمين. قوله: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: استمتعتم بهنّ،(٢) فكيف تنقصون مهورهنّ؟ ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ وهو الإمساك بالمعروف، أو التسريح بالإحسان،(٣) وإذا ظلمتموهنّ فلم تُسرّحوهن بإحسان. ﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ (مَا) في مثل هذا المكان للجنس.(٤) وقوله: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ معناه: لكن ما قد مضى معفوّ عنه مع التوبة،

---

(١) بَهَتَ فلانٌ فلانًا: إذا كَذَب عليه ورماه بالبهتان، والبهتان: الباطل الذي يُبهت سامعه من بطلانه ويُعجب من إفراطه.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٣١/٢)، والمفردات للراغب (ص٦٣)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (١٠٢/١)"بهت".

(٢) الإفضاء: الغشيان، وأصله في اللغة: المخالطة، ويقال للشيء المختلط: فضا. وأفضى الرجل إلى امرأته: إذا باشرها وجامعها. وأكثر المفسرين على أن المراد بالإفضاء في الآية: الجماع. قال ابن عباس رضي الله عنهما:"الإفضاء: الجماع، ولكن الله حييٌّ كريم يكني". صححه الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (١٤٢/٢).

ينظر: جامع البيان للطبري (٣١٤/٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٤٨/٢)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٩٠٨/٣)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥٠٨/٤)"فضى".

(٣) قاله أكثر المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣١٥/٤)، وتفسير ابن المنذر (٦١٧/٢)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٩٠٨/٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤٣/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٦٨/١).

(٤) أي: أن (مَا) هنا: موصولة مفيدة لاسم الجنس، ليدخل فيه الحرائر والإماء، أما الحرائر فتحرم بالعقد، والإماء بالوطء. وهذا قول جماهير المفسرين.قال ابن كثير رحمه الله:"وقد أجمع العلماء على تحريم من وطأها الأب بتزويج أو ملك أو شبهة". تفسير القرآن العظيم (٤٦٩/١).

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢٨١/٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠٣/٥)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٣٨٢/١٥)، والدر المصون للسمين الحلبي (٦٣٥/٣).

ويجب أن يفسخ ما بقي من النكاح المنعقد.[١] ومعنى ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ هو: الآن فاحشة بعد النهي عنه، وتقديره: إنه كان فاحشة، أي: بعد أن حُرِّم.

﴿وَمَقْتًا﴾ لأن فاعله تبغَّض إلى الله تعالى وإلى المؤمنين.[٢] ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ أي: بئس الطريق المسلوك لمن سلكه.[٣]

قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ هي: جمع أم. وقوله: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾. وقوله: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ أي: في تربيتكم وتحت أيديكم.[٤] والفقهاء على أنَّ هذا ليس بشرط في التحريم، وقالوا: إنما قال ذلك على الغالب من حال الربائب.[٥] وفائدة قوله: ﴿مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ الفرق بين الابن المولود

---

(١) هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، والضحاك، وعطاء، وقتادة.

ينظر: تفسير ابن المنذر (٢/٦١٨)، والنكت والعيون للماوردي (١/٤٦٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/١٠٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٤٦٩)،

(٢) الْمَقْت: أشدّ البغض. يقال: مَقَتَه: إذا أبغضه، فهو مَقِيتٌ و ممقُوت، ونكاح المقْت كان في الجاهلية أن يتزوج الرجل امرأة أبيه.

ينظر: العين للخليل (٥/١٣٢) وتهذيب اللغة للأزهري (٩/٧٠)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (١/٣٨٦)، "مقت".

(٣) ينظر: معالم التنزيل للبغوي (١/٤١٠)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/٣١)، والتفسير الكبير للرازي (١٠/٢١).

(٤) يقال: فلان في حِجْر فلان: إذا كان في تربيته. والربيبة: بنت امرأة الرجل، وسميت ربيبة لأن زوج أمّها يربيها، ويجوز أن تسمى ربيبة وإن لم يربها لأنها ممن يربيها، كما يقال: أضحية من قبل أن يضحى بها.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٢/٥٤)، والمفردات للراغب (ص١٠٨)"حجر"، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٤١١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٤٧١).

(٥) هذا قول عامة الفقهاء، إلا ما ورد عن عمر وعلي رضي الله عنهما أنهما رخصا فيها إذا لم تكن في حِجْره؛ وهو قول داود الظاهري. قال ابن كثير رحمه الله:"وهو قول غريب جدًا؛ وإلى هذا ذهب داود بن

والمتبنّي، فإنه يجوز نكاح حليلة الابن المتبني إذا بانت منه.(١)

وقوله: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ مضى شرحه.﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ يعني ذوات الأزواج أحصنهن أزواجهن.(٢) ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ استثنى السبايا اللاتي سَبَيْن(٣)

على الظاهري وأصحابه، وحكاه أبو القاسم الرافعي عن مالك رحمه الله، واختاره ابن حزم، وحكى لي شيخنا الحافظ: أبو عبد الله الذهبي أنه عرض هذا على الشيخ الإمام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله فاستشكله وتوقف في ذلك؛ والله أعلم". تفسير القرآن العظيم (٤٧٢/١).

ينظر: المحلى لابن حزم (٥٢٩/٩)، وأحكام القرآن لابن العربي (٤٨٦/١)، والمغني لابن قدامة (٨٥/٧)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠٦/٥)، وشرح النووي على صحيح مسلم (٢٥/١٠).

(١) هذا قول عامة الفقهاء. قال ابن قدامة رحمه الله:"فيحرم على الرجل أزواج أبنائه، وأبناء بناته، من نسب أو رضاع، قريبًا كان أو بعيدًا بمجرد العقد... ولا نعلم في هذا خلافًا". المغني (٨٦/٧). وإنما اشترط كون الأبناء الأصلاب؛ لزوال الاشتباه، فإن الابن المتبني كان في صدر الإسلام بمنزلة ابن الصلب في الميراث والحرمة، وتبنى رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ﷺ، فتزوج زيد بن حارثة ﷺ زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها، ثم طلقها، فتزوجها رسول الله ﷺ فعيّره المشركون بذلك وقالوا: تزوج امرأة ابنه؛ فنزلت قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب: ٤٠].

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٢٣/٤)، وأحكام القرآن للجصاص (٧٣/٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١٦/٥)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (١٤٠/٣٢)، وزاد المعاد لابن القيم (٢٦٦/٤).

(٢) قاله علي، وابن عباس، وأبو سعيد الخدري ﷺ، والزهري، وابن زيد، ومكحول، وأبو قلابة.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٥)، والتفسير الكبير للرازي (٣٣/١٠)، والمغني لابن قدامة (٧٦/٩)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢٠/٥).

(٣) السَّبْي والسِّباء: الأسر، فالسَّبْي: أخذ الناس عبيدًا وإماء، والفقهاء يطلقون لفظ السبي على من يظفر به المسلمون حيًّا من نساء أهل الحرب وأطفالهم. ويخصصون لفظ الأسرى عند مقابلته بلفظ السَّبايا بالرجال المقاتِلين، إذا ظفر المسلمون بهم أحياء.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٦٨/١٣)"سبي"، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٣٤٠/٢)، وتاج العروس للزبيدي (٢٦٥/١)"سبا".

ولهنَّ أزواج في دار الحرب، فحلال لمالكهن وطؤهن بعد الاستبراء؛[١] لانقطاع نكاحهن عن أزواجهن المشركين.[٢]

قوله: ﴿ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾ أي: الزموا واتبعوا كتاب الله عليكم.[٣]

﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ أَن تَبۡتَغُواْ ﴾ أي: لأن تطلبوا ﴿ بِأَمۡوَٰلِكُم ﴾ إما بنكاح

---

(١) الاستبراء: معرفة براءة الرحم من الحمل. وهي عدة الأمة، والاستبراء في الإماء: أن لا يطأها حتى يستَبرئها بحيضة إن كانت تحيض، أو بوضع الحمل إن كانت حاملا، أو بشهرٍ إن كانت آيسة أو من اللائي لم يحضن.

ينظر: العين للخليل (٢٨٩/٨)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٩٥/١٥)"برا"، والمغني لابن قدامة (١١٦/٨).

(٢) يؤيد ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه في سبب نزول هذه الآية، عن أبي سعيد الخدري ﵁ أن رسول الله ﷺ يوم حنين بعث جيشا إلى أوطاسَ، فلقُوا عدوا، فقاتلوهم فظهروا عليهم، وأصابوا لهم سبايا، فكأنّ ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ تحرجوا من غشيانهن من أجل أزواجهن من المشركين، فأنزل الله ﷻ في ذلك:﴿ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ ﴾، أي: فهن لكم حلال إذا انقضت عدتهن. (صحيح مسلم (١٠٧٩/٢)، برقم (١٤٥٦)، كتاب الرضاع/باب جواز وطء المسبيَّة بعد الاستبراء، وإن كان لها زوج انفسخ نكاحها بالسبي).قال ابن المنذر رحمه الله:" أجمع كل من يحفظ عنه من أهل العلم على أن المرأة إذا وقعت في مِلك رجل ولها زوج مقيم في دار الحرب، أن نكاح زوجها قد انفسخ وحلَّ لمالكها وطؤها بعد الاستبراء". الإجماع (ص١٠٠).

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٥)، وأحكام القرآن للجصاص (٧٥/٣)، والمغني لابن قدامة (٢١٥/٩)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢١/٥)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٣٨٠/٣١).

(٣) هذا قول الزجاج، والكوفيين، قالوا بأن ﴿ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ﴾ منصوب على الإغراء، أي: الزموا كتاب الله. أو عليكم كتاب الله.وذهب البصريون واختاره الطبري بأنّ ﴿ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ﴾ منصوب على المصدرية، أي: كتب الله ذلك عليكم كتابًا. وهو ما حُرم في الآية من النساء. وهذا هو الأظهر من السياق.

ينظر: جامع البيان للطبري (٩/٥)، ومعاني القرآن للزجاج (٣٦/٢)، وإعراب القرآن للنحاس (٤٤٥/١)، والدر المصون للسمين الحلبي (٦٤٨/٣).

وصداق، أو بملكٍ وهنّ ﴿مُّحْصِنِينَ﴾ متعففين.[١] ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ أي غير زانين.[٢] وأصله من سفح الماء، لأن مقصود الزاني ذلك دون الولد.[٣]

قوله: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾ يعني: فما انتفعتم وتلذذتم ﴿بِهِۦ﴾ أي: بالجماع من النساء بالنكاح الصحيح. ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أي: مهورهنّ[٤] ﴿فَرِيضَةً﴾ فإذا

---

(١) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١١/٥)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٩١٨/٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٤٣/٤)"حصن"، والتفسير الكبير للرازي (٣٨/١٠)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢٧/٥).

(٢) باتفاق المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١١/٥)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٩١٨/٣)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣٦/٢)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (١٢٢/٣٢).

(٣) أصل السفاح: صبّ الماء، ومنه سَفَح الدمع إذا صبّه، وسَفْح الجبل أسفله، لأنه مصب الماء فيه، وسِفَاح الزنا لصب مائه حراماً.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٨٩/٤)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٨١/٣)، ولسان العرب لابن منظور (٤٨٥/٢)"سفح".

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (١١/٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٦١/٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣٦/٢).

جامعها مرة واحدة فقد وجب المهر كاملًا.[١] وهذا الحكم منسوخ.[٢]

وقوله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ﴾ أي: لا إثم عليكم في أن تهب المرأة للرجل مهرها، أو يهب الرجل للمرأة التي لم يدخل بها نصف المهر الذي لا يجب تسليمه إلا لمن دخل بها.[٣] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ أي: بما يصلح أمر العباد.

---

(١) هذا قول عامة المفسرين.وذهب ابن عباس رضي الله عنهما في رواية، والسدي أن المعنى: فما تمتعتم به منهنّ بأجر تمتع اللذة، لا بنكاح مطلق على وجه النكاح الذي يكون بوليّ، وشهود، ومهر.وهذا القول مخالف لما تقرر في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾[المعارج:٢٩-٣٠]. ونكاح المتعة محرم بإجماع المسلمين، كما أنه محرم بنص حديث رسول الله ﷺ كما في حديث الربيع بن سبرة الجهني عن أبيه ﷺ أن رسول الله ﷺ نهى عن المتعة وقال: «ألا إنها حرام من يومكم هذا إلى يوم القيامة، ومن كان أعطى شيئا فلا يأخذه». أخرجه مسلم في صحيحه (١٠٢٧/٢)، برقم: (١٤٠٦) كتاب النكاح/باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم فسخ واستقر تحريمه إلى يوم القيامة. قال ابن عبد البر رحمه الله:"اتفق أئمة علماء الأمصار من أهل الرأي، والآثار... على تحريم نكاح المتعة، لصحة نهي رسول الله ﷺ عندهم عنها". الاستذكار (٥٠٨/٥).

ينظر: جامع البيان للطبري (١١/٥)، وتفسير ابن المنذر (٦٤٥/٢)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٩١٩/٣)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (٣٢٤/١)، وأحكام القرآن للجصاص (٩٤/٣).

(٢) هذا قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ورواية عن ابن عباس رضي الله عنهما، وسعيد بن المسيب، رحمه الله.والصحيح ما عليه جمهور المفسرين من أن الآية محكمة، وأنّ المتعة إنما أبيحت بالسُنّة، ثم نسخت بالسُنّة. وبسط هذه المسألة في كتب الناسخ والمنسوخ، وأحكام القرآن، والفقه.

ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (٣٢٥/١)، وأحكام القرآن للجصاص (٩٤/٣)، وأحكام القرآن لابن العربي (٤٩٩/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢٩/٥).

(٣) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٣/٥)، ومعاني القرآن للزجاج (٣٩/٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٦٢/٢)، وأحكام القرآن لابن العربي (٥٠٠/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣٥/٥).

﴿حَكِيمًا﴾ أي: فيما فرض لهم من عقد النكاح الذي به حفظت الأنساب.

قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾ أي: فضلًا وسعة.(١)

﴿أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ أي: الحرائر.(٢)

﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ﴾ أي: إمائكم ﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾.(٣)

أي: من لا يقدر أن يتزوج الحرَّة جاز له أن يتزوج المملوكة، إذا خاف على نفسه الفجور، وهو قوله: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ﴾ وأصل العنت في اللغة: المشقة الشديدة، والمراد بالعنت هاهنا: الهلاك. أي: ذلك لمن خاف أن تحمله الشهوة على الزنا، فيلقى الإثم العظيم

---

(١) قاله عامة المفسرين، والفقهاء، وأهل اللغة.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/١٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/٦٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٤/١٤)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/٥٠٣)، والمفردات للراغب (ص٣١٢)"طول"، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/٥٥).

(٢) قاله أكثر المفسرين، والفقهاء.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/١٦)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٣/٩٢٠)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/٥٠١)، والتفسير الكبير للرازي (١٠/٤٧)، والمغني لابن قدامة (٧/١٠٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/١٣٦).

(٣) باتفاق المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/١٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/١٣٩)، ولسان العرب لابن منظور (١٥/١٤٥)"فتا"، ولباب التأويل للخازن (١/٥٠٩).

في الآخرة ويهلك به.[1] وإنما لا يجوز التزوج بالأمة إذا وجد إلى الحُرة سبيلًا بالنكاح؛[2] لأن ولد الأمة من الحُرّ يكون رقيقًا، ولأن الأمة مستخدمة في الحاجات ممتهنة، فتكثر ملاقاة الرجال، وذلك شاق على الزوج.

قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُم﴾ أي اعملوا على ظاهر الأمر في الإيمان، فإنكم متعبدون بما ظهر.[3] ﴿بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٍ﴾ أي: دينكم واحد.[4] سبب ذلك: أنّ [٢٩/أ] العرب كانت تطعن في الأنساب، وتفخر في الأحساب، وتُعيّر بالهُجْنة، ويسمي ابن الأَمَة: الهَجِين،[5] فأعلم الله تعالى أن أمر العبيد وغيرهم مستوٍ في باب الإيمان، فلا يُعيِّر بعضكم

---

(١) أكثر المفسرين على أن المراد بالعَنَت هنا: الزنا.قال الطبري رحمه الله:"وقد عمّ الله بقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ﴾ جميع معاني العَنَت، ويجمع جميع ذلك الزنا، لأنه يوجب العقوبة على صاحبه في الدنيا، بما يعنت بدنه ويكتسب به إثما ومضرة في دينه ودنياه، وقد اتفق أهل التأويل الذي هم أهله على أن ذلك معناه". جامع البيان (٥/٢٥).

ينظر: العين للخليل (٧٢/٢)"عنت"، ومعاني القرآن للنحاس (٦٧/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٦٢/٢)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٥٠/٤)"عنت".

(٢) هذا قول جمهور العلماء.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٦٨/٢)، وأحكام القرآن للجصاص (١٢٥/٣)، وأحكام القرآن لابن العربي (٥٢٠/١)، والمغني لابن قدامة (١٠٤/٧)، وأحكام القرآن للقرطبي (١٣٧/٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٧٩/١).

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٤٠/٢)، وتفسير السمرقندي (٣٢١/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤١٦/١)، والكشاف للزمخشري (٥٣١/١).

(٤) ينظر: معاني القرآن للنحاس (٦٣/٢)، والوجيز للواحدي (٢٦٠/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤١٦/١)، وأحكام القرآن لابن العربي (٥٠٧/١).

(٥) الهُجنة: أن يكون الأب كريماً والأم ليست كذلك، فيصير الولد هجيناً. والهَجين من الخيل: الذي ولدته بِرْذَوْنة من حصان عربيّ.

ينظر: العين للخليل (٣٩١/٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (٣٨/٦)، ولسان العرب لابن منظور (٤٣١/١٣)"هجن".

بعضًا.[١] ﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ أي: مواليهن.[٢] ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أي: مهورهن.[٣] ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ من غير مطل وضرار.[٤] ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾ أي: عفائف[٥] ﴿غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾ أي: زانيات. ﴿وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ أي: أحباب يزنون بهن في السر.[٦]

﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ﴾ أي: حفظن فروجهن بالنكاح.[٧] ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ﴾ يعني: الزنا.

---

(١) ذكره الزجاج في معاني القرآن (٢/٤١)، والنحاس في معاني القرآن (٢/٦٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/٥٧)، والرازي في التفسير الكبير (١٠/٥٠)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٥/١٤١)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٢/٣٨).

(٢) قال الخازن في تفسـيره: "واتفق العلماء على أن نكاح الأمة بغير إذن سـيدها باطل، لأن الله تعالى جعل إذنه السيد شرطاً في جواز نكاح الأمة". لباب التأويل في معاني التنزيل (١/٥١٠).

(٣) بالإجماع.

ينظر: معاني القرآن (٢/٦١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/٥٧)، والتفسير الكبير للرازي (١٠/٥٠)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/١٤١).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٥/١٩)، والتفسير الكبير للرازي (١٠/٥١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/١٤٢)، ولباب التأويل للخازن (١/٥١٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٤٧٦).

(٥) قاله عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/١٩)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٣/٩٢٢) وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٤٧٦)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/٢٣٢).

(٦) ﴿أَخْدَانٍ﴾: جمع خَدَن، أي: المصاحب، وأكثر ذلك يستعمل فيمن يصاحب شهوة، يقال: خَدَن المرأة وخدينها، أي: خليلها وصديقها. فحرم الله الجماع على جهة السفاح، وعلى جهة اتخاذ الصَّدِيق والصَّدِيقة، وأحله على جهة الإحصان، وهو: التزوج.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/١٩)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٣/٩٢٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٧/١٢٥)"خدن"، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٤١٦)، والمفردات للراغب (ص١٤٤) "خدن".

(٧) قاله جمهور المفسرين.

﴿فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ أي: الحرائر إذا زنين ﴿مِنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ يعني: الحدّ. المراد: نصف المائة، وتغريب نصف سنة.[1] ﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ﴾ ذكرنا معناه. قوله: ﴿وَأَن تَصۡبِرُواْ﴾ أي: عن نكاح الإماء متعففين ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾.[2] ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ﴾ أي: أن يبيّن. والمراد: أن يبين لكم شرائع دينكم، ومصالح أمركم.[3] ﴿وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: ويتجاوز عنكم ما أصبتم قبل أن يبين لكم.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ أي: بما يصلح عباده في أمر دينهم ودنياهم.

﴿حَكِيمٞ﴾ أي: في تدبيره فيهم. ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: إن وقع منكم تقصير في أمره. ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ﴾ أي: عن الحق.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/٢١)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٣/٩٢٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٢٨٩)، والمفردات للراغب (ص١٢١)"حصن"، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/٢٣٣).

(١) إذا زنى العبد والأمة فحدّ كل واحد منهما خمسون جلدة، بكرين كانا أو ثيبين في قول أكثر الفقهاء، ولا رجم عليهما لأن الرجم لا ينتصف. وقال الحسن، ومالك، وإسحاق: لا تغريب على عبد ولا أمة. وذهب الثوري وأبو ثور: بتغريبهما نصف عام، لهذه الآية الكريمة. وبسط هذه المسألة في كتب الفقه، وأحكام القرآن.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/٢٤)، وأحكام القرآن للجصاص (٣/١٢٣)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/٥١٧)، والمغني لابن قدامة (٩/٤٩)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/١٤٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٤٧٧)،

(٢) قاله عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/٢٥)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٣/٩٢٤)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/٣٩)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/١٤٧).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٥/٢٦)، وإعراب القرآن للنحاس (١/٤٤٧)، والكشاف للزمخشري (١/٥٣٣)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/٣٥٠).

﴿ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴾ بإتيانكم ما حرّم عليكم. يعني: الزناة يريدون أن تميلوا ميلًا عن الحق فتكونوا مثلهم، تزنون كما يزنون.(١) ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ ﴾ أي: في نكاح الأمة، إذا لم تجدوا طَوْل الحرة، وفي سائر أحكام الشرع.(٢)﴿ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴾ أي: لا يصبر عن النساء، ولا يكون الإنسان في شيء أضعف منه في أمر النساء.(٣)

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ أي: بالربا، والقمار، والقطع، والغصب، والسرقة، والخيانة، وكل نوع باطل.(٤)

---

(١) هذا قول مجاهد، ومقاتل بن سليمان. وقال ابن زيد: معنى ذلك : كل متبع شهوة في دينه لغير الذي أبيح له. وهذا هو الأظهر، لأنه يعم أهل الباطل وأهل الشهوات، فكل متبع ما نهاه الله عنه فهو متبع شهوة نفسه. وهذا هو اختيار الطبري رحمة الله على الجميع.

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢٢٥/١)، وجامع البيان للطبري (٢٨/٥)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٩٢٦/٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (٦٠/٢).

(٢) روي بنحوه عن مجاهد رحمه الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٩/٥)، وتفسير ابن المنذر (٦٥٨/٢)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٩٢٦/٣).

(٣) قاله جمهور المفسرين. وقال الثعلبي: في كل شيء. وهذا هو الأظهر، أن تكون الآية على العموم، أي: خلق هذا الإنسان عاجزا ضعيفا في خلقه وعن مخالفة هواه، لا يصبر على ترك الشهوات. وما سيقت الآية من أجله داخل في ذلك من باب أولى، ولحديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «ما تركت بعدي فتنةً هي أضرُّ على الرجال من النساء». أخرجه البخاري (١٩٥٩/٥)، برقم: (٤٨٠٨) كتاب النكاح/باب ما يُتّقى من شؤم المرأة، ومسلم (٢٠٩٧/٤)، برقم: (٢٧٤٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء.

ينظر: تفسير عبد الرزاق الصنعاني (١٥٤/١)، وتفسير ابن المنذر (٦٥٨/٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩٢٦/٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٩١/٣)، والتفسير الكبير للرازي (٥٦/١٠).

(٤) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، والسدي رحمه الله، وهو قول جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٠/٥)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٩٢٧/٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٩٢/٣).

﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً﴾ تقديره: إلا أن تكون المعاملة تجارة.(١)

وقوله: ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ أي: يرضى كل واحد منهما بما في يديه.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: لا تهلكوها بأن تغفلوا عن حظ أنفسكم، فمن غفل عن حظ نفسه فكأنه قتلها.(٢)

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا﴾ أي: ما ذكر من المحرمات.

﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ أي: ندخله فيها ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ أي: هينًا. قوله: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ الكبائر: كل ذنب لا يتجاوز الله عنه،(٣) كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢]،

---

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٤٤٩/١)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (٣٥١/١)، والبحر المحيط (٢٤١/٣).

(٢) قاله الفضيل بن عياض. وقال ابن عباس رضي الله عنهما، والحسن، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة، والسدي: أي: لا يقتل بعضكم بعضا. وقال أكثر العلماء: لا تقتلوا أنفسكم بفعل ما نهيتم عنه، وهذا اختيار الطبري. وقد جمع ابن عطية في تفسيره بين هذه الأقوال بقوله :"... فأجمع المتأولون أن المقصد بهذه الآية: النهي عن أن يقتل بعض الناس بعضها، ثم لفظها يتناول أن يقتل الرجل نفسه بقصد منه للقتل، أو بأن يحملها على غرر ربما مات منه، فهذا كله يتناوله النهي". المحرر الوجيز (٤٢/٢).

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢٩٣/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤١٨/١)، وأحكام القرآن لابن العربي (٥٢٤/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٦١/٢).

(٣) هذا قول ابن مسعود ﷺ في رواية عنه. وقد ذكر العلماء في حدّ الكبيرة عدة تعاريف، ومن أحسنها وأجمعها تعريف ابن كثير رحمه الله في تفسيره بقوله:" أنها المعصية التي يلحق صاحبها الوعيد الشديد بنص كتاب أو سنة". تفسير القرآن العظيم (٤٨٨/١). وأما الأقوال المنقولة عن السلف في عدد بعض الكبائر فهي من باب التفسير بالمثال أو الجزاء. قال ابن القيم:"وأما الكبائر: فاختلف السلف فيها اختلافا لا يرجع إلى تباين وتضاد، وأقوالهم متقاربة". مدارج السالكين (٣٢٠/١).

وكقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يوسف٨٧]، وكقوله: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر:٥٦]، وكقوله: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩].

﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ذلك أنه لما نزل قوله: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ قال الرجال: إنا لنرجو أن نُفضَّل على النساء بحسناتنا في الآخرة، كما فُضِّلنا عليهن في الميراث، فيكون أجرنا على الضِّعف من أجر النساء، وقالت النساء: إنا لنرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال في الآخرة، كما أنا في الميراث على النصف من نصيبهم في الدنيا، فأنزل الله هذه الآية: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟﴾، أي: من الثواب والعقاب ﴿وَلِلنِّسَآءِ﴾ كذلك.[١] فنهاهم الله تعالى عن التمني على هذا الوجه، لما فيه من دواعي الحسد.

لا ينبغي أن يتمنى الرجل مال أخيه، ولا امرأته، ولا خادمه، ولا دابته، ولكن ليقل: اللهم ارزقني مثله، وهو كذلك في التوراة،[٢] وكذلك قوله في القرآن: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ﴾.[٣]

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٦/٥)، وتفسـير القرآن لابن أبي حاتم (٩٢٩/٣)، والكشـف والبيان للثعلبي (٢٩٤/٣)، والاستذكار لابن عبد البر (٥٦٥/٨)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٦٥٠/١١)، والكبائر للذهبي (ص٨).

(١)رواه الطبري بنحوه في جامع البيان (٤٨/٥)، عن قتادة. وأورده النحاس في معاني القرآن (٧٤/٢)، والجصاص في أحكام القرآن (١٤١/٣)، والواحدي في أسباب النزول (ص٢٨٥)، والبغوي في معالم التنزيل (٤٢٠/١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦٨/٢). عن قتادة، والسدي.

(٢) ذكر السيوطي في الدر المنثور (٥٥٢/٣) ونسبه إلى أبي الشيخ، عن ميمون بن مهران قال:" مما كتب الله لموسى في الألواح: لا تتمنَّ مال أخيك ولا امرأة أخيك".

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، والكلبي رحمه الله.

قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ ﴾ أي: جعلنا لكل واحد من الرجال والنساء عَصَبة يرثونه.(١)

﴿مِمَّا تَرَكَ ﴾ والداه وأقربوه من ميراثهم له.

ثم فسر الموالي فقال: ﴿ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾ أي: هم الوالدان والأقربون.(٢)

﴿ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ ابتداء، أي: عاهدت.(٣) وإنما أضاف المعاهدة إلى اليمين لأنهم كانوا يضربون لصفقة البيعة أيمانهم، فيأخذ بعضهم بيد بعض على الوفاء والتمسك بالعهد، ويتحالفون عليه، والمراد بهم الحلفاء،(٤) وذلك أن الرجل في الجاهلية كان يعاقد الرجل فيقول: سِلْمي سِلْمك، وحربي حربك [٢٩/ب]وترثني وأرثك، وتطلب بي

ينظر: تفسير السمرقندي (١/٣٢٤)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٣٠٠)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٤٢١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/١٦٣).

(١) الموالي: الأولياء، وهم: الورثة من العصبة وغيرهم، والمولى في كلام العرب لفظة يشترك فيها القريب، والصديق، والحليف، والمعتِق، والوارث، والعبد، ويحسن هنا من هذا الاشتراك: الورثة، وبذلك فسر أكثر المفسرين، وأهل اللغة.

ينظر: العين للخليل (١/٣٠٨)"عصب"، وجامع البيان للطبري (٥/٥٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/٧٥)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/٤٦)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/٧١).

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (١/٤٥١)، والكشاف للزمخشري (١/٥٣٥)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/٤٦)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/٢٤٧).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٥/٥١)، وتهذيب اللغة للأزهري (١/١٣٤)، ولسان العرب لابن منظور (٣/٢٩٦)"عقد".

(٤) الحلفاء: جمع حليف، والحِلْف: العهد، يقال: تحالف القوم محالفة: إذا تحالفوا على النصرة. والحلفاء: الذين تعاقدوا على التناصر والتمالؤ على من خالفهم.

ينظر: العين للخليل (٣/٢٣١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٥/٤٣)، ولسان العرب لابن منظور (٩/٥٣)"حلف".

وأطلب بك، وتعقل عني وأعقل عنك،(١) فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف.

ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب:٦]. وعلى هذا قوله: ﴿فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ أي: أعطوهم حظَّهم من الميراث.(٢) قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ أي: البالغون في القيام عليهن بتعليمهن وتأديبهن وإصلاح أمورهن.(٣)﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي:

---

(١) العَقْل: هي الدية، يقال: عقَلْتُ القتيل أَعقِلُه عَقْلًا إذا أديت ديته. وأصله: أن القاتل كان إذا قتل قتيلا جمع الدية من الإبل فعقلها، أي: شدها بفناء أولياء المقتول ليسلمها إليهم، فسميت الدية عقلا بالمصـــدر. والعاقلة: القوم تقســـم عليهم الدية في أموالهم، إذا كان قتيل خطأ، وهم: بنو عم القاتل الأدنون وإخوته.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١/١٥٨)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/٦٩)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٣/٢٧٨)"عقل".

(٢) هذا قول ابن عباس رضـي الله عنهما، وقتادة، وعكرمة، والحسـن، والضـحاك.وذهب الجمهور إلى أن الآية محكمة غير منسوخة، وأن المعنى: فآتوهم نصيبهم من العون والنُّصرة، والنصيحة، والرأي دون الميراث. وذلك لأن الشـــريعة بيَّنت أهـل المواريـث، وليس الحلفـاء منهم، بـدليل حـديث جبير بن مطعم ﷺ قال: قال رســـول اللّهِ ﷺ :«لا حلف في الإســـلام، وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة». أخرجه مسلم (٤/١٩٦١)، برقم: (٢٥٣٠) كتاب فضائل الصحابة/باب مؤاخاة النبي ﷺ بين أصحابه رضي الله تعالى عنهم.وأما ما روي عن بعض السـلف من أن الآية منسـوخة بآية الفرائض فهو محمول على البيان.

ينظر: تفسير عبد الرزاق الصنعاني (١/١٥٧)، وجامع البيان للطبري (٥/٥١)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٣/٩٣٧)، والناســـخ والمنســـوخ للنحاس (١/٣٣١)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/٥٢٩)، والمغني لابن قدامة (٦/٢٩٩)، وقواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (١/٧١).

(٣) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/٥٧)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٣٠٢)، ولسان العرب لابن منظور (١٢/٤٩٦)"قوم"، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/٢٤٨).

بزيادة العقل.[١] ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ أي: من المهر والنفقة.[٢] وقوله: ﴿قَٰنِتَٰتٌ﴾ أي: مطيعات.[٣] ﴿حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ﴾ أي: لغيب أزواجهن إذا غابوا.[٤] ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ أي: كراهتهن إياكم.[٥] وهو من النشز، وهو: المكان المرتفع من الأرض.[٦] ﴿فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ يعني: إن لم تنفع

---

(١) قال الخازن رحمه الله:"يعني أن الله تعالى فضل الرجال على النساء بأمورٍ منها: زيادة العقل، والدِّين، والولاية، والشهادة، والجهاد، والجمعة، والجماعات، وبالإمامة، لأن منهم الأنبياء والخلفاء والأئمة، ومنها: أن الرجل يتزوج بأربع نسوة ولا يجوز للمرأة غير زوج واحد، ومنها: زيادة النصيب في الميراث، والتعصيب في الميراث، وبيده الطلاق والنكاح والرجعة، وإليه الانتساب، فكل هذا يدل على فضل الرجل على النساء". لباب التأويل (١/٥١٨).

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٣/٣٠٢)، وتفسير الهداية لمكي (٢/١٣١٢)، والنكت والعيون للماوردي (١/٤٨٠)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٤٢٢).

(٢) قاله عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/٥٩)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٣/٩٤٠)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/٤٢٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/٧٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٤٩٢).

(٣) روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، وعطاء، والسدي.

وحسن إسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٢/١٦٤).

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/٥٩)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٣/٩٤٠)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٤٢٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/٢٤٨).

(٤) قاله قتادة، والسدي، وعطاء، ومجاهد.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/٥٩)، وتفسير ابن المنذر (٢/٦٨٧)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٤٢٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/٤٧).

(٥) قاله عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/٦٢).

(٦) أصل النشوز في اللغة: الارتفاع، نَشَزَت المرأة إذا ترفَّعت على زوجها، وعصت أمره.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٤٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (١١/٢٠٨)، والمفردات للراغب

المواعظ. ﴿وَٱضۡرِبُوهُنَّ﴾ إن لم ينجع[١] الوعظ والهجران، والمأمور به ضرب غير مبرّح.[٢] ﴿فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًا﴾ أي: لا تتجنّوا عليهن، ولا تطلبوا عليهن طريق عنت.[٣] وقوله: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا﴾ معناه: إن اتقيتم وقوع العداوة بين المرء وزوجه.[٤] ﴿فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ﴾ أي: فيما يُستَند إليه.[٥]

(ص٤٩٣)، ولسان العرب لابن منظور (٥/٤١٧)"نشز".

(١) أي: لم ينفع. يقال: أنجعَ: إذا نفع.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١/٢٤٤)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/٣٩٥)"نجع".

(٢) قاله عامة المفسرين، ويؤيد ذلك ما جاء في صحيح مسلم من حديث جابر ﷺ الطويل في صفة حجة الوداع، وفيه قال رسول الله ﷺ:«....ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربًا غير مبرّح...». الحديث. (صحيح مسلم (٢/٨٩٠) برقم: (١٢١٨)، كتاب الحج/باب حجة النبي ﷺ). والمبرّح: الشديد.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/٦٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/٧٩)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٤٢٣)، والتفسير الكبير للرازي (١٠/٧٣).

(٣) قاله ابن جريج.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٢/٨٠)، وتفسير الهداية لمكي (٢/١٣١٧)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٤٢٣)، والكشاف للزمخشري (١/٥٣٩).

(٤) الشقاق: مصدر من: شاقَّ فلانٌ فلانًا إذا أتى كل واحد منهما إلى صاحبه ما يشق عليه من الأمور، والشقاق: العداوة، وحقيقته: أن كل واحد من المعادَيين في شق خلاف شق صاحبه. والشقاق من المرأة: نشوزها وتركها أداء حق زوجها عليها. وأما من الزوج: فتركه إمساكها بالمعروف أو تسريحها بإحسان.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/٧٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/٨١)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٣٠٣)، والمفردات للراغب (ص٢٦٤)"شق".

(٥) اختلف الأئمة في الحكمين، هل هما منصوبان من جهة الحاكم فيحكمان وإن لم يرض الزوجان؛ أو هما وكيلان من جهة الزوجين؛ على قولين: وجمهور العلماء على القول الأول، لظاهر هذه الآية، فإن الله جل وعلا سماهما حَكَمَين، ومن شأن الحكم أن يحكم بغير رضا المحكوم عليه.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/٧٠)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/٥٣٧)، والمغني لابن قدامة

وقوله: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا﴾ يعني: الزوجين.(١) ﴿يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ﴾ أي: بالصلاح والألفة. وقوله: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: وحّدوه وأطيعوه.

﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ أي: أحسنوا بالوالدين إحسانًا.

﴿وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ أي: القرابة. وقوله: ﴿وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ أي: الذي يقاربك.(٢) ﴿وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ﴾ أي: المتباعد.(٣) ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ﴾ أي: الرفيق في

(٢٤٣/٧)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧٥/٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٩٤/١).

(١) هذا قول الثعلبي رحمه الله.

وذهب أكثر المفسرين بأن المراد بـ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا﴾ يعني: الحكمين. وكلا القولين محتمل.

ينظر: جامع البيان للطبري (٧٦/٥)، والكشف والبيان للثعلبي (٣٠٣/٣)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٤٩/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٧٧/٢).

(٢) بمعنى: الجار الذي يقاربك في المسكن. وهذا قول الزجاج، والزمخشري، والشوكاني.

وذهب أكثر المفسرين أن المراد بالآية: الجار الذي بينك وبينه قرابة ورحم. وهذا القول هو أولى بالصحة والقبول، لأن لفظ «القربى» في جميع مواردها في القرآن الكريم جاءت بمعنى مَن بينك وبينه قرابة ورحم، نحو قوله تعالى: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[البقرة:٨٣]، ونحو قوله تعالى: ﴿فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ﴾[المائدة:١٠٦]، ونحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[النحل:٩٠].

والقاعدة الترجيحية المعتبرة عند أئمة العلم ناطقة بأنّ «حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك».

ينظر: جامع البيان للطبري (٧٧/٥)، ومعاني القرآن للزجاج (٥٠/٢)، والكشاف للزمخشري (٥٤١/١)، وفتح القدير للشوكاني (٤٦٤/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (١٧٢/١).

(٣) بمعنى: الذي جواره بعيد. وهذا قول الزجاج، والزمخشري، والشوكاني. وذهب جماهير المفسرين أن المراد بالآية: الجار البعيد الذي لا قرابة بينك وبينه، مسلمًا كان أو مشركًا، يهوديًا كان أو نصرانيًا. وهذا القول هو الأظهر عند التأمل، فقد تقرر أن معنى: ﴿وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ الجار ذو القرابة والرحم،

السفر.[١]

وقوله: ﴿فَسَآءَ قَرِينًا﴾ أي: فبئس الشيطان قرينًا.[٢]

وقوله: ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي: وزن ذرة.[٣] والمراد بالآية: أنه لا يظلم الناس شيئًا لا كثيرًا ولا قليلًا، لأن الظلم مثقال ذرة لا يتبين ضرره في المظلوم. والذرة هي: النملة الحمراء الصغيرة، التي لا تكاد تبين في رأي العين.[٤]

﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً﴾ أي: زنة الذرة حسنةً ﴿يُضَٰعِفْهَا﴾ أي: يكثرها.

﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ﴾ أي: من عنده ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾. إذا قال الله: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾

وبناء عليه يكون معنى: ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ الجار البعيد الذي لا قرابة بينك وبينه؛ ليكون ذلك وصية بجميع أصناف الجيران قريبهم وبعيدهم.

ينظر: العين للخليل (١٣٦/٦)"جنب"، وجامع البيان للطبري (٧٩/٥)، ومعاني القرآن للزجاج (٥٠/٢)، والكشاف للزمخشري (٥٤١/١)، وفتح القدير للشوكاني (٤٦٤/١).

(١) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة، ومجاهد، والضحاك .وقال علي بن أبي طالب، وابن مسعود رضي الله عنهما، والحسن: زوجة الرجل التي تكون في جنبه. وقال ابن زيد: الذي يلزمك ويصحبك رجاء نفعك. والصحيح أن الآية تتناول الجميع بالعموم، وهو اختيار الطبري، والقرطبي، رحمة الله على الجميع.

ينظر: جامع البيان للطبري (٨٠/٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩٤٩/٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (٨٠/٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨٩/٥).

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٤٥٥/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٢٧/١)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (٣٥٧/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٥٨/٣).

(٣) ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١٢٧/١)، وجامع البيان للطبري (٨٨/٥)، وتفسير الهداية لمكي (١٣٢٨/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٨٣/٢)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٢١٦/١)"ثقل".

(٤) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٨٨/٥)، وتفسير مقاتل بن سليمان (٢٦٢/٢)، وتفسير السمرقندي (٣٢٩/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٨٤/٢).

فمن يقدّر قدره؟ ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾ أي: كيف يصنعون ﴿إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ يعني: نبيَّها يشهد عليهم بما عملوا.

﴿وَجِئْنَا بِكَ ﴾ أي: يا محمد ﷺ ﴿عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ أي: شاهدًا.(١)

قوله: ﴿لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ ﴾ معناه: ودوا لو أنهم لم يبعثوا، لأنهم إنما نقلوا من التراب، وكانت الأرض مستوية بهم.(٢) ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ هو كلام مستأنف، يعني: ما عملوه لا يخفى على الله، فلا يقدرون على كتمانه.(٣)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾ الآية، نزلت في ناسٍ من أصحاب رسول الله ﷺ، كانوا يشربون الخمر ويشهدون الصلاة وهم سكارى، فلا يَدرون كم

---

(١) قاله عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٩٢/٥)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٢٩/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٥٥/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٩٩/١).

(٢) قاله ابن كيسان، والزجاج.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٥٤/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٣١٠/٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (٨٧/٢)، والتفسير الكبير للرازي (٨٦/١٠).

(٣) قاله الفراء، والزجاج.

ينظر: معاني القرآن للفراء (٢٠٧/١)، ومعاني القرآن للزجاج (٥٤/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٣١٠/٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (٨٨/٢).

يصلون، ولا ما يقرأون ويقولون في صلاتهم.(١) وسكارى: جمع سكران،(٢) وكان هذا قبل نزول تحريم الخمر.(٣)

---

(١) أخرج الترمذي في سننه عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: "صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعامًا فدعانا وسقانا من الخمر، فأخذت الخمر منا، وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾[الكافرون١-٢]، ونحن نعبد ما تعبدون. قال: فأنزل الله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾". قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب». (سنن الترمذي (٥/٢٣٨)، برقم: (٣٠٢٦) كتاب تفسير القرآن/باب سورة النساء). وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي: (٣/٢١٨).

(٢) ينظر: العين للخليل (٥/٣٠٩)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٠/٣٤)، والمفردات للراغب (ص٢٣٦)"سكر".

(٣) باتفاق العلماء. قال ابن تيمية:"وهذه الآية نزلت باتفاق العلماء قبل أن تحرم الخمر". مجموع الفتاوى (١٠/٤٣٧). وأخرج الطبري في جامع البيان (٥/٩٥)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٣/٩٥٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما:"﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ ﴾ قبل أن تحرّم الخمر". كما روي ذلك عن عكرمة، ومجاهد، والحسن، والضحاك، وقتادة، وعطاء الخراساني، وزيد بن أسلم، أنهم قالوا: منسوخة.

ويؤيد ذلك ما رواه الترمذي عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال:" اللهم بيِّنْ لنا في الخمر بيان شفاءٍ فنزلت التي في البقرة:﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾[البقرة:٢١٩]، الآية، فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيان شفاء، فنزلت التي في النساء: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ ﴾[النساء:٤٣]، فدعي عمر فقرئت عليه، ثم قال: اللهم بين لنا في الخمر بيان شفاء، فنزلت التي في المائدة:﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١]، فدعي عمر فقرئت عليه فقال: انتهينا انتهينا". (سنن الترمذي (٥/٢٥٣)، برقم: (٣٠٤٩) كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ/باب ومن سورة المائدة). وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٣٠٥)، برقم: (٣١٠١) وقال:" هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه". وصححه علي بن المديني ،كما نقل ذلك عنه الحافظ بن حجر في

قوله: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ أي: ولا تغتسلوا حتى تقربوا الصلاة وأنتم جنب.
﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ أي: إلا مسافرين؛(١) لأن المسافر قد يعوزه الماء فيتيمّم ويُصلي والجنابة باقية عليه بعد، ولأنه يجب عليه أن يغتسل إذا وجد الماء. وأصل الجنابة: البُعد.(٢)

الفتح (٢٧٩/٨).

ينظر: تفسير ابن المنذر (٧١٧/٢)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (٣٣٦/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٣١/١)، وأحكام القرآن لابن العربي (٥٥١/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠٠/٥).

(١) أي: لا تقربوا الصلاة وأنتم جنب إلا أن تكونوا مسافرين غير واجدين للماء فتيمموا وتصلوا. وهذا المعنى مروي عن علي، وابن عباس ﷺ، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد، وهو مذهب أبي حنيفة. رحمة الله على الجميع. وذهب ابن عباس في رواية، وابن مسعود، وأنس بن مالك ﷺ، والحسن، وسعيد بن المسيب، وعكرمة، وعطاء الخراساني، وأحمد، والشافعي، بأن المعنى: لا تقربوا مواضع الصلاة، وهي المساجد، وأنتم جنب، إلا مجتازين ولا تقعدوا. فعلى القول الأول، عابر السبيل: المسافر، وقربان الصلاة: فعلها. وعلى القول الثاني عابر السبيل: المجتاز في المسجد، وقربان الصلاة: دخول المسجد الذي تفعل فيه الصلاة. وهذا القول هو الأولى، لأن الله تعالى قد بين بعدها حكم المسافر إذا عدم الماء وهو جنب، في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾[النساء:٤٣]، فلو كان قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾، لو كان معنيا به المسافر، لم يكن لإعادة ذكره في قوله: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ معنى مفهوم. وهذا هو اختيار الطبري، والرازي.

ينظر: جامع البيان للطبري (٩٧/٥)، وأحكام القرآن لابن العربي (٥٥٥/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٩٠/٢)، والتفسير الكبير للرازي (٨٧/١٠)، والمغني لابن قدامة (٩٧/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠٤/٥).

(٢) ينظر: العين للخليل (١٤٦/٦)، وتهذيب اللغة للأزهري (٨٠/١١)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (١٥٥/١)"جنب".

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ هو جمع مريض،[١] وأراد به مرضًا يضره امساس الماء.[٢]

قوله: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ هو كناية عن قضاء الحاجة، والغائط من الأرض.[٣]

﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ هو التقاء البشرتين، سواء كان بجماع أو بغير جماع.[٤]

---

(١) ينظر: تاج العروس للزبيدي (٥٣/١٩)، ولسان العرب لابن منظور (٢٣١/٧)"مرض".

(٢) هذا قول أكثر أهل العلم.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٠٠/٥)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٩٦٠/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٣٢/١)، وأحكام القرآن لابن العربي (٥٦٠/١)، والمغني لابن قدامة (١٦١/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢١٤/٥).

(٣) أصل الغائط: اسم للمطمئن من الأرض؛ فلما جرت عادة العرب بإتيان الغائط للحدث؛ سمي الحدث غائطا باسم المكان .

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١٥٥/١)، والعين للخليل (٤٣٥/٤)، ولسان العرب لابن منظور (٣٦٤/٧)"غوط".

(٤) هذا قول ابن مسعود، وابن عمر ﷺ، وأبي عثمان النهدي، وأبي عبيدة، والشعبي، وإبراهيم النخعي، وزيد بن أسلم، وسعيد بن جبير، وعطاء. رحمة الله على الجميع.وذهب علي بن أبي طالب، وابن عباس ﷺ، وعبيد بن عمير، بأن اللمس هو: الجماع دون غيره من معاني اللمس. وهذا القول هو الأصح، وهو مذهب الجمهور، واختيار الطبري رحمه الله، لصحة الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قبّل بعض نسائه ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ. أخرجه أحمد في مسنده (٢١٠/٦)، برقم: (٢٥٨٠٧)، والترمذي في سننه (١٣٣/١)، برقم: (٨٦) أبواب الطهارة/باب ما جاء في ترك الوضوء من القبلة، وابن ماجه في سننه (١٦٨/١)، برقم: (٥٠٢) كتاب الطهارة وسننها/باب الوضوء من القُبْلة، من حديث عائشة رضي الله عنها. وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم: (٨٦). وبسط هذه المسألة في كتب الفقه وأحكام القرآن.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٠١/٥)، وأحكام القرآن للجصاص (٣/٤)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢١٠/٥)"لمس"، والاستذكار لابن عبد البر (٢٥٢/١)، والمغني لابن قدامة (١٢٤/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢١٤/٥)، والمجموع للنووي (٣٠/٢).

﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾ أي: اقصدوا.[١] ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ أي: ترابًا[٢] نظيفًا طاهرًا.[٣] ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ أي: ألم تخبر؟[٤] وعني بهؤلاء: أهل الكتاب، أعطاهم الله في كتابه علم نبوة محمد ﷺ.[٥]

---

(١) التيمم في كلام العرب: القصد، يقال: تيممت فلانا، أي: قصدته. وشرعا: قصد شيء مخصوص، -وهو التراب الطاهر- على وجه مخصوص، -وهو مسح الوجه واليدين- من شخص مخصوص، -وهو العادم للماء، أو من يتضرر باستعماله-.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٢/٩٧)، وأحكام القرآن للجصاص (٣/٣٣٨)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦/١٥٢)"يم"، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٥/٢٩٩)"يمم"، والمغني لابن قدامة (١/١٤٨).

(٢) هذا قول علي، وابن مسعود رضي الله عنهما، وهو مذهب أحمد، والشافعي. وذهب مالك: أن الصعيد: كل ما صعد على وجه الأرض، فيدخل فيه التراب والرمل والشجر والحجر والنبات.

وقال أبو حنيفة: الصعيد: ما كان من جنس التراب كالرمل والزرنيخ والنورة. وبسط المسألة في كتب الفقه وأحكام القرآن.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/١٠٨)، وأحكام القرآن للجصاص (٤/٢٩)، والمغني لابن قدامة (١/١٥٥)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/٢٣٦)، والمجموع للنووي (٢/٢٤٤)، ولسان العرب لابن منظور (٣/٢٥١)"صعد".

(٣) هذا قول جمهور العلماء.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/١٠٩)، وأحكام القرآن للجصاص (٤/٣٠)، والمغني لابن قدامة (١/١٦٠)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/٢٣٧)، والمجموع للنووي (٢/٢٣٧)، ولسان العرب لابن منظور (١/٥٦٣)"طيب".

(٤) قاله الفراء، وابن قتيبة. ومعناه التعجب.

ينظر: معاني القرآن للفراء (١/٢٠٨)، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٢٨)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/٦١).

(٥) قاله جمهور المفسرين.

﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾ أي: يؤثرون التكذيب بالنبي ﷺ ليأخذوا على ذلك الرِّشا، ويثبت لهم الرياسة.[١] ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ أي: تضلوا طريق الهدى.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾ أي: هو أعلم بهم منكم، فلا تستصحبوهم فإنهم أعداؤكم.

﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ أي: وكفى الله نصيراً.

أعلمهم الله تعالى أن عداوة اليهود وغيرهم من الكفار [٣٠/أ] لا تضرهم شيئًا، إذ ضمن لهم النصر والولاية، وإنما دخلت الباء في الكلام لأن معناه: الأمر، أي: اكتفوا بالله.[٢]

﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ تقديره: من الذين هادوا قومٌ ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾.[٣] يعني: صفة محمد ﷺ، وذلك أنَّ اليهود كانوا يأتون رسول الله ﷺ فيسألونه عن الأمر فيخبرهم، ويرى أنهم يأخذون بقوله، فإذا انصرفوا من عنده حرَّفوا كلامه.[٤]

وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا﴾ أي: قولك. ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أي: أمرك.

ينظر: جامع البيان للطبري (١١٥/٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٩٩/٢)، ومعاني القرآن للزجاج (٥٦/٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٧١/٣).

(١) قاله الزجاج.

ينظر: جامع البيان للطبري (١١٦/٥)، ومعاني القرآن للزجاج (٥٧/٢)، والتفسير الكبير للرازي (٩٣/١٠).

(٢) قاله الزجاج.

ينظر: جامع البيان للطبري (١١٦/٥)، ومعاني القرآن للزجاج (٥٧/٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (٤٣٣/١).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (١١٧/٥)، ومعاني القرآن للزجاج (٥٧/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٣٢٣/٣)، وتفسير الهداية لمكي (١٣٤٥/٢).

(٤) قاله ابن عباس رضي الله عنهما. ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٣٢٣/٣)، والخازن في لباب التأويل (٥٤١/١)، وأبو حيان في البحر المحيط (٢٧٣/٣).

﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ كانوا يقولون في أنفسهم: لا أُسْمِعْتَ.[١]

﴿وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ وذلك كانوا يسبُّون النبي ﷺ بهذه الكلمة، ويعيّرون بها عن سبه اصطلاحًا منهم على ذلك، وكانوا ينوون به: يا راعي مواشينا.[٢]

﴿وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾ أي: قدحًا فيه.[٣] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا﴾ أي: انتظرنا حتى نفهم عنك.[٤] ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾ وليس لهم على الأول خيرٌ، فيكون هذا أكثر خيرًا، كقوله: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾[الفرقان: ٢٤].[٥] ومعنى: (أقوم) أدخل في الاستقامة.[٦] ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ أبعدهم من خيراته

---

(١) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وابن زيد، وابن قتيبة، والزجاج.

ينظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٢٨)، وجامع البيان للطبري (١١٨/٥)، ومعاني القرآن للزجاج (٥٨/٢)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٩٦٦/٣).

(٢) قاله الزجاج. وأخرج ابن أبي حاتم بنحوه في تفسير القرآن (٩٦٣/٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان رفاعة بن زيد بن التابوت من عظماء اليهود، إذا كلَّم رسول الله ﷺ لوى لسانه وقال: ارعنا سمعك يا محمد حتى نفهمك، ثم طعن في الإسلام وعابه". وحسّن إسناده الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (١٨١/٢).

ينظر: جامع البيان للطبري (١١٩/٥)، ومعاني القرآن للزجاج (٥٨/٢)، وتفسير الهداية لمكي (١٣٤٧/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٣٨/١)، والتفسير الكبير للرازي (٩٦/١٠).

(٣) ينظر: العين للخليل (١٥/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٠٥/٢)، والمفردات للراغب (ص٣٠٤) "طعن"، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٧٥/٣).

(٤) قاله جمهور المفسرين وأهل اللغة.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٢٠/٥)، ومعاني القرآن للنحاس (١٠٤/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٦٤/١٤)"نظر"، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٧٥/٣).

(٥) ينظر: جامع البيان للطبري (١٢٠/٥)، ومعاني القرآن للنحاس (١٠٤/٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٧٥/٣)، والدر المصون للسمين الحلبي (٦٩٩/٣).

(٦) ينظر: جامع البيان للطبري (١٢٠/٥)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٣٨/١)، والتبيان في إعراب القرآن

بسبب كفرهم. ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: إلا إيمانا قليلًا.(١)

قوله تعالى:﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾ أي: نجعلها كخف البعير، أو كحافر الدابة.(٢) ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾ أي: نصيرها كالأقفاء.(٣) ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ﴾ أي: فنجعلهم قردة.(٤) ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ أي: ما يريد أن يفعله فإنه مفعول، إذ لا مانع منه.(٥) وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ أي: لا يغفر الشرك. ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ أن يغفر له. ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ﴾ أي:

للعكبري (١/٣٦٤).

(١) قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ نعت لمصدر محذوف، تقديره: إلا إيمانا قليلا. وإنما قلَّ لأنهم يتمادون عليه، ولأن باطنهم خلاف ما يظهرون.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/١٢١)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٥٩)، والتفسير الكبير للرازي (١٠/٩٦)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/٣٦٤)، والدر المصون للسمين الحلبي (٣/٦٩٩).

(٢) قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٣/٣٢٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٤٣٨)، ولباب التأويل للخازن (١/٥٤٢).

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنهما في رواية، وقتادة، وعطية العوفي، وأبو عبيدة.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/١٢٩)، وجامع البيان للطبري (٥/١٢١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/٩٦٩)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٥٩).

(٤) قاله قتادة، والسدي، والحسن، والضحاك، وهو قول جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/١٢٤)، وتفسير ابن المنذر (٢/٧٣٨)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٣/٩٧٠)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/١٠٢).

(٥) قال الطبري رحمه الله:"والأمر في هذا الموضع: المأمور، سمي أمر الله، لأنه عن أمره كان وبأمره، والمعنى: وكان ما أمر الله مفعولا". جامع البيان (٥/١٢٥).

ينظر: تفسير الهداية لمكي (٢/١٣٥٠)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/١٠٣)، والتفسير الكبير للرازي (١٠/٩٩).

اختلق[1] ﴿إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ أي: غير مغفور.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ نزلت في رجال من اليهود، قالوا: ما عملنا بالنهار كفّر عنا بالليل، وما عملنا بالليل كفّر عنا بالنهار، فكذبهم الله ﷻ بهذه الآية.[2]

وقوله: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ أي: كل معبود من حجر أو مَدَر[3] أو شيطان.[4]

﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾ هذا إخبار عن معاندة اليهود، إذ زعموا أنَّ الذين لم يصدِّقوا بشيء من الكتب، وعبدوا الأصنام أهدى طريقًا من المسلمين المؤمنين بالله وحده، وملائكته، ورسله.[5] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: باعدهم من رحمته.[6] ﴿وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ أي: هو مخذولٌ مغلوب، لا

---

(١) يقال: فرى فلانٌ كذباً: خلَقَه، وافتراه: اختلقه. ومنه افترى فلانٌ على فلانٍ، أي: رماه بما ليس فيه،وفريت الشيء: قطعته. واستُعمل الافتراء في القرآ ن في الكذب، وللظلم، والشرك.

ينظر: المفردات للراغب (ص٣٧٩)"فرى"، ولســـان العرب لابن منظور (١٥/١٥١)، وتاج العروس للزبيدي (٣٩/٢٣٠)"فرا".

(٢) هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، والسدي، وابن زيد.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/١٢٧)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٣/٩٧٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٣٢٥)، وأسباب النزول للواحدي (ص٢٩٢).

(٣) المدَر: قطع الطين اليابس، الواحدة مَدَرة.

ينظر: العين للخليل (٨/٣٨)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٤/٨٦)"مدَر".

(٤) قاله الإمام مالك، وقرره الطبري، والنحاس، وهو قول جمهور اللغويين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/١٣٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/١١٠)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٦١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٨/١٥٣، ١١/٨)"طغا، جبت"، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٥١٣).

(٥) ينظر: جامع البيان للطبري (٥/١٣٣)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٦١)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٣٢٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/٤٣٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٥١٤).

(٦) أصل اللعن: الطرد والإبعاد من الخير، يقال: لعنه الله، أي: باعده. ولَعَن الله الشيطان: أبعده عن

يُنصَر ولا يُمنع من عذاب الله. قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾ تقديره: ألهم نصيب من الملك، فلزم الناس طاعتُهم؛[1] يعني: ما يدَّعيه اليهود من أنَّ الملك آخر الزمان يصير إليهم.[2] ثم أخبر عن بخلهم بقوله: ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ هو النقطة في ظهر النواة.[3] قوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ أي: محمدًا ﷺ وأتباعه.[4]

﴿عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي النبوة، والكتاب والحكمة، وقد علموا أنه كانت النبـــوة في آل إبراهيم، ومحمد من آل إبراهيم.[5] قولـــــه: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ أي:

رحمته والجنة.

ينظر: العين للخليل (١٤١/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٤٠/٢)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٥٢/٥)"لعن".

(١) ﴿أَمْ﴾ هاهنا منقطعة، والاستفهام بمعنى الإنكار، فالتقدير: ليس لهم شيء من الملك ألبتة. ولو أن لهم نصيبًا في ملك الله، لما أعطوا أحدا شيئًا ولا مقدار نقير.

ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٤٦٣/١)، ومعاني القرآن للزجاج (٦٢/٢)، والكشاف للزمخشري (٥٥٤/١)، والدر المصون للسمين الحلبي (٦/٤).

(٢) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٣٢٨/٣)، والتفسير الكبير للرازي (١٠٥/١٠)، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٤٢٤/٦).

(٣) قاله أكثر المفسرين وأهل اللغة.

ينظر: العين للخليل (١٤٤/٥)"نقر"، وجامع البيان للطبري (١٣٧/٥)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٩٧٧/٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (٩١/٩)"نقر"، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٤٢/١).

(٤) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٣٨/٥)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٩٧٨/٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (٤٣٦/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٦٨/٢).

(٥) ينظر: جامع البيان للطبري (١٣٩/٥)، ومعاني القرآن للزجاج (٦٤/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (١١٠/٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٥١/٥).

بمحمد ﷺ.(١) ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾ أي: أعرض فلم يؤمن به. ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ أي: شدَّةَ توقُّدٍ.(٢)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾ أي: ندخلهم.

﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم﴾ أي: احترقت ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ هذا غير المتبدَّل، مثل قولك للصائغ: صُغ لي من هذا الخاتم خاتمًا غيره، فيكسره ويصوغ ذلك منه خاتمًا، فالخاتم المصوغ هو الأول، إلا أنَّ الصياغة قد تغيرت، والفضة واحدة.(٣)

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ العزيز: البالغ إرادته، الذي لا يغلبه شيء،(٤) وهو حكيم مع ذلك فيما يدبِّر، فَعَل ما فَعَله بحكمته جل جلاله وعظم شأنه.

وقوله: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ معنى ظليل: يُظل من الريح والحر، وليس كل ظلٍّ كذلك.

---

(١) هذا قول الزجاج، والثعلبي. لأنه تقدم ذكره وهو المحسود ﷺ .وذهب الجمهور بأن الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ عائد على القرآن الذي في قوله تعالى:﴿ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾[النساء:٤٧]. ولا منافاة بين القولين فكلاهما متلازمان.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٦٤)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٣٢٩)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/٦٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/٢٥٣).

(٢) السَّعَر: وَقُود النار. يقال: سعَرت النار أُسْعرها سعْراً إذا أوقدتها، وهي مسعورة.

ينظر: العين للخليل (١/٣٢٩)"س ع ر، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٦٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢/٥٣)"سعر".

(٣) أي: أن يجعل النضج غير النضيج، فالذات واحدة والمتبدَّل هو الصفة، فإذا كانت الذات واحدة كان العذاب لم يصل إلا إلى العاصي، وعلى هذا يكون المراد: تبديل الصفة لا تبديل الذات.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/١٤٢)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٦٥)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٣٣٠)، والتفسير الكبير للرازي (١٠/١٠٨).

(٤) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٦٦)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٣٨)، والمفردات للراغب (ص٣٣٢)"عزّ"، ومجموع فتاوى ابن تيمية (١٤/١٨٠).

أعلم الله أنَّ ظل الجنة ظليلٌ، لا حرَّ معه ولا برد، ولا ريح ولا سموم.(١)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ نزلت هذه الآية في عثمان بن طلحة الحَجَبيّ من بني عبد الدار،(٢) وكان سادن الكعبة، فلما دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح أَغلَقَ عثمانُ باب البيت، وصعد السطح، فطلب رسول الله ﷺ المفتاح، فقيل: إنه مع عثمان، فطُلب منه فأبى، وقال: لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه المفتاح،[٣٠/ب] فلوى عليٌّ بن أبي طالب ﷺ يده وأخذ منه المفتاح وفتح الباب، فدخل رسول الله ﷺ البيت، وصلى فيه ركعتين، فلما خرج سأله العباس ﷺ(٣) أنْ يعطيه المفتاح، ويجمع له بين السِّقاية(٤)

---

(١) ينظر: معاني القرآن للنحاس (١١٩/٢)، ومعاني القرآن للزجاج (٦٦/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٥٥/١٤)"ظل"، والتفسير الكبير للرازي (١١٠/١٠).

(٢) هو عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، الحَجَبي -بفتح الحاء والجيم- منسوب إلى حجابة الكعبة، -وهي ولايتها وفتحها وإغلاقها وخدمتها-، واسم أبي طلحة: عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي القرشي، أسلم يوم الفتح، ودفع إليه مفتاح الكعبة يوم الفتح، وأقام عثمان بالمدينة، فلما توفي رسول الله ﷺ انتقل إلى مكة، وأقام بها حتى توفي سنة ٣٢ هـ ﷺ .

ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٤٤٨/٥)، والاستيعاب لابن عبد البر (١٠٣٤/٣)، وأسد الغابة لابن الأثير (٥٩٩/٣).

(٣) هو العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو الفضل الهاشمي، عم النبي ﷺ، ولد قبل رسول الله ﷺ بسنتين، حضر بيعة العقبة مع الأنصار قبل أن يسلم، وكانت إليه سقاية الحاج، وشهد بدرًا مع المشركين مكرها فأسر فافتدى نفسه، ورجع وأسلم، ثم هاجر قبل الفتح بقليل وشهد الفتح، وثبت يوم حنين، مات بالمدينة سنة ٣٢ هـ ﷺ.

ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/٤)، والاستيعاب لابن عبد البر (٨١٠/٢)، والإصابة لابن حجر (٦٣١/٣).

(٤) السِّقاية: موضع يُتَّخذ لسقي الناس، والمراد هنا: الوضع المتَّخَذ لسقاية الحاج. وكان العباس ابن عبد المطلب ﷺ بيده سقاية الحاج، وكان يليها في الجاهلية، فلما جاء الإسلام وأسلم العباس ﷺ أقره رسول الله ﷺ على ذلك.

والسِّدانة،(١) فأنزل الله هذه الآية. فأمر رسول الله ﷺ عليًّا أنْ يَرُدَّ المفتاح إلى عثمان، ويعتذر إليه، ففعل ذلك عليٌّ ﷺ، فقال له عثمان بن طلحة: يا عليّ أَكْرَهتَ وآذيت، ثم جئت ترفق؟ فقال: لقد أنزل الله في شأنك، وقرأ عليه هذه الآية، فقال عثمان بن طلحة: أشهد أن محمدًا رسول الله، وأسلم.(٢)

قوله: ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ هم أصحاب النبي ﷺ، ومن اتَّبعهم من أهل العلم.(٣)

ينظر: العين للخليل (١٨٩/٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٨١/٩)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٨٤/٣)"سقى".

(١) السِّدانة: خدمة الكعبة. تقول: سَدَنْتُ الكعبة أَسْدُنُها سَدْنًا إذا خدمتُها، فالواحد سادنٌ والجمع سَدَنَة.

ينظر: العين للخليل (٢٢٨/٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٥٣/١٢)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٣٥٥/٢)"سدن".

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٣٣٢/٣)، والواحدي في أسباب النزول (ص٢٩٥)، والبغوي في معالم التنزيل (٤٤٣/١)، والزمخشري في الكشاف (٥٥٥/١) من غير سند. واستغربه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف (٣٢٩/١).

(٣) وبه قال جابر بن عبد الله ﷺ، والحسن، ومجاهد، وعطاء. وقال جمهور العلماء: هم من أوجب الله طاعته من الولاة والأمراء. وهذا اختيار الطبري. وذهب الزجاج، وابن العربي، واختاره ابن تيمية، وابن كثير: بأن الآية عامة في جميع أولي الأمر من الأمراء، والعلماء. وهذا القول أشمل وأحسن. قال ابن العربي:"والصحيح عندي: أنهم الأمراء والعلماء جميعا، أما الأمراء فلأن أصل الأمر منهم والحكم إليهم، وأما العلماء فلأن سؤالهم واجب متعين على الخلق، وجوابهم لازم، وامتثال فتواهم واجب". أحكام القرآن (٥٧٤/١).

ينظر: جامع البيان للطبري (١٤٧/٥)، ومعاني القرآن للزجاج (٦٧/٢)، وتفسير ابن المنذر (٧٦٥/٢)، ومعاني القرآن للنحاس (١٢٢/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٤٤/١)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (١٥٨/١٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥١٩/١).

﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ﴾ أي: اختلفتم[1] ﴿فِي شَيۡءٖ﴾ أي: من أمر دينكم.[2]

﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ يعني: إلى كتاب الله، وقول الرسول ﷺ.[3]

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ أي: تفسيراً.[4] والتأويل: ما يؤول إليه الأمر، وآل: رجع، والمآل: المرجع.[5] قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ كان بين رجلٍ من اليهود ورجلٍ من المنافقين خصـومة، فقال اليهودي: أ-حاكمك إلى محمد ﷺ، وقال المنافق:

---

(١) قاله جمهور المفسرين.والتنازع والمنازعة: المجاذبة، ويعبر بهما عن المخاصمة والمجادلة، فكأن كل واحد ينتزع حجة الآخر ويذهبها. ينظر: جامع البيان للطبري (١٥٠/٥)، والكشف والبيان للثعلبي (٣٣٦/٣)، والمفردات للراغب (ص٤٨٨)"نزع". والبحر المحيط لأبي حيان (٣٠٥/٣).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (١٥٠/٥)، والتفسير الكبير للرازي (١١٧/١٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥١٩/١).

(٣) قاله عامة المفسرين.قال ابن القيم رحمه الله:"... أن الناس أجمعوا أن الردّ إلى الله سبحانه وتعالى هو الردّ إلى كتابه، والردّ إلى الرسول ﷺ هو الردّ إليه نفسِهِ في حياته وإلى سنته بعد وفاته". إعلام الموقعين (٤٩/١).

ينظر: جامع البيان للطبري (١٥٠/٥)، ومعاني القرآن للزجاج (٦٨/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (١١٧/٢).

(٤) هذا قول جمهور المفسرين المتقدمين. وقال مجاهد، وقتادة: جزاء وثوابا. وقال السدي، وابن زيد، والزجاج: عاقبة. وكل هذه الأقوال صحيحة والمعنى واحد، فإن عواقب الأمور هي حقائقها التي تؤول إليها، وتفسير الكلام هو بيان معناه وحقيقته التي يراد منه.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٣٢٨/١٥)، ولسان العرب لابن منظور (٣٢/١١)"أول"، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٣٦٦/١٧ ، ٣٦٨).

(٥) حقيقة التأويل: هو الذي إليه مرجع الشيء وتفسيره، من قولهم: آل يؤول أوْلا إذا رجع.

ينظر: المفردات للراغب (ص٣١)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٥٨/١)"أوْل"، والدر المصون للسمين الحلبي (٢٨/٣).

لا، فجعل اليهودي يدعو إلى المسـلمين؛ لأنه علم أنهم لا يقبلون الرِّشـوة،[١] ولا يجورون في الحكم، وجعل المنافق يدعو إلى اليهود؛ لأنه علم أنهم يقبلون الرشـوة ويميلون في الحكم، فاختلفا ثم اتفقا على أن يأتيا كاهنًا[٢] في جُهَينة،[٣] فيتحاكما إليه، فأنزل الله تعالى هذه الآية.[٤] وعلى هذا سمي حاكم اليهود طاغوتا؛ لأنه لِكُفْرِهِ كان شـيطانًا من شـياطين الإنـس،[٥] كـمـا قـال تـعـالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾[البقرة:٢٥٧].

وقوله:﴿يَصُدُّونَ عَنكَ﴾ أي: يعرضون. وأكّد الفعل بالمصدر فقال:﴿صُدُودًا ﴾.[٦]

---

(١) الرِّشوة والرُّشوة: الوصلة إلى الحاجة بالمصانعة، وأصله من الرِّشاء الذي يتوصل به إلى الماء. فالراشي: من يعطي الذي يعينه على الباطل. والمرتشي: الآخذ. والرائش: الذي يسعى بينهما.

ينظر: العين للخليل (٦/٢٨١)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (١/٣٠٠)، ولسان العرب لابن منظور (١٤/٣٢٢)"رشو".

(٢) الكاهن: الذي يتعاطى الأخبار عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار.

ينظر: النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٤/٢١٤)، وتهذيب الأسماء للنووي (٣/٢٩٨)، ولسان العرب لابن منظور (١٣/٣٦٢)"كهن".

(٣) جُهَينَة: -بلفظ التصغير- اسم قبيلة من قضاعة، نسبة إلى جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافي بن قضاعة.

ينظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم (٢/٤٤٤)، والأنساب للسمعاني (٤/٥١٦)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (٢/٩٨).

(٤) رواه الطبري في جامع البيان (٥/١٥٢)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢/٦٥٨)، والواحدي في أسباب النزول (ص٢٩٩)، وأورده البغوي في معالم التنزيل (١/٤٤٦) عن عامر الشعبي مرسلا.

(٥) أصل الطاغوت: تجاوز الحد في العصيان. وكل شيء يجاوز القدر فقد طغى، والطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حدَّه من معبود أو متبوع أو مطاع. وعلى رأسهم إبليس ومن عُبد من دون الله وهو راض.

ينظر: العين للخليـل (٤/٤٣٥)، والمفردات للراغـب (ص٣٠٤)"طغى"، وإعلام الموقعين لابن القيم (١/٥٠).

(٦) ينظر: معالم التنزيل للبغوي (١/٤٤٧)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/٧٣)، والبحر المحيط لأبي

قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ ﴾ هي: فضيحتهم إذا نزل القرآن بحالهم ففضحهم، أي: فكيف حالهم في الافتضاح إذا كان كذلك.(١)

قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ أي: من النفاق ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ أي: لا تقبل قولهم ﴿وَعِظْهُمْ ﴾ أي: بعقوبات الله ﷻ في الدنيا والآخرة.

﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ أي: في الخلوة.(٢)

﴿قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ هو أن يزجرهم عما فعلوه غاية ما يمكنه من الزجر في القول. (٣)

قوله: ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا ﴾ أي: ضيقًا وشكًّا﴿ مِّمَّا قَضَيْتَ ﴾.(٤)

﴿ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ أي: ينقادوا ويخضعوا لأمرك.(٥)

حيان (٣/٢٩٣).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٥/١٥٦)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٦٩)، ولباب التأويل للخازن (١/٥٥٣).

(٢) ينظر: معالم التنزيل للبغوي (١/٤٤٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/٢٦٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٥٢٠).

(٣) ينظر: الوجيز للواحدي (١/٢٧٢)، والكشاف للزمخشري (١/٥٥٨)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/١٢٢).

(٤) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، وقتادة.

ينظر: العين للخليل (٣/٧٦)"حرج"، وجامع البيان للطبري (٥/١٥٨)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٣/٩٩٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/١٢٩)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/٢٦٩).

(٥) أصل الإسلام: الطاعة والانقياد. وأسلم: أي: انقاد. يقال: فلانٌ مسلم، أي: مستسلم لأمر الله، والمخلص لله العبادة.

ينظر: العين للخليل (٧/٢٦٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٢/٣٠٩)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٢/٢١٧)"سلم".

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ الآية، المراد بهم: المنافقون،[١] لأن المهاجرين قد خرجوا من ديارهم من مكة، وعرضوا أنفسهم للقتل بتجردهم لاستنزال العرب قاطبة عن دين آبائهم.

وعلى هذا: الاستثناء من المنافقين لقومٍ عَلِم الله منهم أنهم لو كُلفوا ذلك لفعلوا.

ومعنى ﴿كَتَبْنَا﴾: فرضنا وأوجبنا.[٢]

وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ أي: تحقيقا لإيمانهم.[٣]قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ نزلت في ثوبان مولى رسول الله ﷺ،[٤] وكان شديد الحب لرسول الله ﷺ، قليل الصبر عنه، فآتاه ذات يوم وقد تغيَّر لونه، ونحل جسمه، ويُعرف الحزن في وجهه، فقال له رسول ﷺ: «يا ثوبان ما غيَّر لونك؟» فقال: يا رسول الله ما بي من مرض ولا وجع، غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك، واستوحشت وحشة

---

(١) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، وأبو بكر الأصم، وأبو بكر القفال.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٦٠/٥)، والوجيز للواحدي (٢٧٢/١)، والتفسير الكبير للرازي (١٣٤/١٠)، ولباب التأويل للخازن (٥٥٦/١).

(٢) قاله عامة المفسرين، وأهل اللغة.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٦٠/٥)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١٣٨٠/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٨٧/١٠)"كتب"، والكشف والبيان للثعلبي (٣٤١/٣)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٣٣٥/١)"كتب".

(٣) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٦١/٥)، والكشف والبيان للثعلبي (٣٤١/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٤٩/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٧٥/٢).

(٤) هو ثوبان بن بُجْدُد -بضم الباء الموحدة وسكون الجيم وضم الدال المهملة الأولى-، أبو عبد الله، من أهل السراة -موضع بين مكة واليمن- اشتراه رسول الله ﷺ وأعتقه، ولم يزل معه سفراً وحضراً إلى أن توفي النبي ﷺ، فخرج إلى الشام، وتوفى بها سنة ٥٤ هـ ﷺ.

ينظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني (٥٠١/١)، والاستيعاب لابن عبد البر (٢١٨/١)، وأسد الغابة لابن الأثير (٣٦٦/١).

شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة، فأخاف أن لا أراك هناك، لأني عرفت أنك ترفع مع النبيين، وإني إن أُدخلت الجنة كنتُ في منزلة أدنى من منزلك، وإن لم أُدخل الجنة فذاك حين لا أراك أبدا، فأنزل الله تعالى هذه الآية.(١)

وقوله: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ المراد به: رفقاء، وَضَع الواحد موضع الجمع.(٢)

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ هذا دليل على أنهم نالوا الدرجات بفضل الله، وإن كان لهم أعمال حسنة قبلت، إنه لا يجب على الله إثابة المطيع، كما يقوله بعض الناس.(٣)

---

(١) أخرجه الطبري بنحوه في جامع البيان (١٦٣/٥) مرسلا عن سعيد بن جبير، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (٣٤١/٣) بغير إسناد، والواحدي في أسباب النزول (ص٣٠٣) عن الكلبي.

وله شاهد من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: "جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! إنك لأحب إلي من نفسي وأهلي وولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك، فلم يرد رسول الله ﷺ عليه شيئا حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾الآية". رواه الطبراني في الأوسط (١٥٢/١)، والواحدي في أسباب النزول (ص٣٠٤). وقال ابن حجر في العجاب (٩١٤/٢):"رجاله موثقون". وقال الهيثمي في المجمع (٧/٧):" رجاله رجال الصحيح غير عبدالله بن عمران العابدي وهو ثقة".

(٢) ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١٣١/١)، وجامع البيان للطبري (١٦٣/٥)، وإعراب القرآن للنحاس (٤٦٩/١).

(٣) القائلون بذلك هم المعتزلة، والقدرية، فإنهم يرون أن الثواب على الأعمال واجب على الله تعالى بالقياس على المخلوق، وأن العباد هم الذين أطاعوه بدون أن يجعلهم مطيعين له، وليس له في ذلك فضل ولا منّة – تعالى الله عن ذلك –. وقولهم ظاهر الفساد، مخالف للأدلة من الكتاب والسنة، فإن الله جل وعلا هو الذي وفق عباده للطاعة، وأعانهم عليه، وأعطاهم من الثواب ما لا تبلغه أعمالهم، وكون المطيع يستحق الجزاء هو استحقاق إنعام وفضل، وليس هو استحقاق مقابلة، كما يستحق المخلوق على المخلوق، ومذهب أهل السنة أن الله تعالى لا يجب عليه شيء، بل العالم ملكه، والدنيا والآخرة في سلطانه يفعل فيهما ما يشاء، وهو الذي كتب على نفسه الرحمة، وأوجب على نفسه الحق، لم يوجبه

قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾ أي: سلاحكم؛[(١)] لأنه يُحذر به من مكايد العدو، وهذا لا يدل أنَّ الحذر يغني عن القدر، بل أمروا بذلك لئلا يلقوا أنفسهم بأيديهم في التهلكة.[(٢)] ﴿ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ ﴾ أي: اخرجوا إلى الجهاد جماعات.

﴿ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴾[٣١/أ] أي: مجتمعين كلُّكم، أي: اخرجوا سرايا أو مجتمعين.[(٣)]

عليه مخلوق، والأعمال سبب في حصول الثواب والعقاب، كما قال تعالى في غير ما آية: ﴿ ..جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[السجدة:١٧]، أي: بسبب ما كانوا يعملون. وهذه الأسباب لا تستقل بالحكم، بل لا بد من عفو الله ورحمته، فإن الله تعالى لو جازى كلاً بعمله، أو بما يستحق، لما نجا أحد من خلقه، ولذلك قال رسول الله ﷺ:«لا يدخل الجنة أحد بعمله، قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته» الحديث في الصحيحين من رواية عائشة رضي الله عنها. (صحيح البخاري (٢٣٧٣/٥)، برقم: (٦١٠٢) كتاب الرقاق/باب القصد والمداومة على العمل، وصحيح مسلم (٢١٧١/٤)، برقم: (٢٨١٨) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم/باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى).

ينظر الفصل في الملل لابن حزم (٩٦/٤)، والكشاف للزمخشري (٥٦٣/١)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٧٠/٨)، ومدارج السالكين لابن القيم (٩٣/١)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص٤٩٤)، وتسير العزيز الحميد لسليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب (ص٥٠).

(١) قاله مقاتل بن سليمان، والطبري، والواحدي.وقال ابن عطية:"معناه: احزموا واستعدوا بأنواع الاستعداد، فهنا يدخل أخذ السلاح وغيره". المحرر الوجيز (٧٧/٢). وهذا هو الأظهر والأعم.

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢٤١/١)، وجامع البيان للطبري (١٦٤/٥)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٩٩٨/٣)، والوجيز للواحدي (٢٧٤/١)، والتفسير الكبير للرازي (١٤١/١٠).

(٢) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٣٤٣/٣)، والتفسير الكبير للرازي (١٤١/١٠)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٧٣/٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٠٠/١).

(٣) قاله عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٦٤/٥)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٩٩٨/٣)، ومعاني القرآن للنحاس (١٣١/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٢٩/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٢٥/١).

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ أي: يبطئ مرة بعد أخرى، أي: يتأخر.(١) هذا صفة المنافق، وأراد ممن معكم في الظاهر وحكم الإسلام في حقن الدماء.(٢)

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ﴾ أي: هذا المبطئ ﴿قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾ أي: لم أشركهم في مصيبتهم.

﴿وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: إن ظفرتم وغنمتم.

وقوله: ﴿لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ﴾ هذا متعلق بقوله: ﴿إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾.(٣) وقوله: ﴿فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ أي: أخذ نصيبًا وافرًا من الغنيمة.(٤) وقوله: ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ كانوا بمكة، يلقون من المشركين فيها أذى كثيرًا،

---

(١) التبطئة والإبطاء: التأخر، يقال: ما أبطأك عنا، فهو لازم، ويجوز: بطَّأْتُ فلانًا عن كذا، أي: أخرتُه، فهو متعدّ، والمعنيان مراد في الآية، فكانوا يَقعُدون عن الخروج ويُقعِدون غيرهم.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢٨/١٤)"بطأ"، والمفردات للراغب (ص٥٢)"بطؤ"، ولسان العرب لابن منظور (٣٤/١)"بطأ"، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٢٥/١).

(٢) قاله أكثر المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٦٥/٥)، ومعاني القرآن للزجاج (٧٥/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٣٤٣/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٥١/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٧٦/٥).

(٣) قال الطبري رحمه الله:"وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المنافقين أن شهودهم الحرب مع المسلمين إن شهدوها لطلب الغنيمة، وإن تخلفوا عنها فللشك الذي في قلوبهم، وأنهم لا يرجون لحضورها ثوابًا ولا يخافون بالتخلف عنها من الله عقابًا، وكان قتادة وابن جريج يقولان: إنما قال من قال من المنافقين إذا كان الظفر للمسلمين: ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ﴾ حسدًا منهم لهم". جامع البيان (١٦٦/٥). وما قاله الطبري هو قول جمهور المفسرين.

ينظر: معالم التنزيل للبغوي (٤٥١/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٧٧/٢)، والتفسير الكبير للرازي (١٤٣/١٠)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣٠٤/٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٢٥/١).

(٤) قاله مقاتل بن سليمان.

وكانوا يدعون ويقولون:﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا ﴾.(١)

وقوله: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ ﴾ أي: أيُّ شيء لكم تاركين القتال.(٢)

﴿وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ أي: وليًّا، أي: فيما أمّرنا حتى يستنقذنا من ظلم الظلمة، ونصيرًا عليهم، وقد أجابهم الله بفتح على رسوله ﷺ مكة، واستعمل عليهم الرسول ﷺ عتاب بن أسيد،(٣) فجعلهم الله لهم نصيرًا وأغاثهم.(٤)

قوله تعالى:﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ الطاغوت: الشيطان وكل معبود من دون الله.(٥)

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢٤١/١)، وتفسير ابن المنذر (٧٩٠/٢)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٠٠٠/٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٣٤٣/٣)، والدر المنثور للسيوطي (٥٩٢/٢).

(١) قاله عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٦٧/٥)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٠٠٢/٣)، والنكت والعيون للماوردي (٥٠٦/١)، وتفسير القرآن للسمعاني (٤٤٧/١).

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٧٧/٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣٠٧/٣)، والدر المصون للسمين الحلبي (٣٦/٤).

(٣) هو عتَّاب بن أُسَيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، أسلم يوم الفتح، فلما خرج رسول الله ﷺ من مكة إلى حنين استعمله على مكة يصلي بالناس، فلم يزل عتاب أميرا على مكة حتى قُبض رسول الله ﷺ، وأقره أبو بكر ﷺ عليها، فلم يزل إلى أن مات، وكانت وفاته يوم توفي أبو بكر الصديق رضي الله عنهما.

ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٤٤٦/٥)، والاستيعاب لابن عبد البر (١٠٢٣/٣)، وأسد الغابة لابن الأثير (٥٧٥/٣).

(٤) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (١٠٨/٥)، وأخبار مكة للأزرقي (١٨٥/١)، والبداية والنهاية لابن كثير (٣٤/٧).

(٥) أصل الطاغوت: تجاوز الحد في العصيان. وكل شيء يجاوز القدر فقد طغى، والطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حدَّه من معبود أو متبوع أو مطاع. وعلى رأسهم إبليس ومن عُبد من دون الله وهو راض.

ينظر: العين للخليل (٤٣٥/٤)، والمفردات للراغب (ص٣٠٤)"طغى"، والكشاف للزمخشري (٥٥٧/١)، وإعلام الموقعين لابن القيم (٥٠/١).

﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ أي: حزبه وجنوده.(١) ﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ أي: مَكْرَه ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾.(٢)

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ﴾ نزلت في قوم كانوا يلقون من المشركين أذى شديدًا وهم بمكة، ويقولون لرسول الله ﷺ: ائذن لنا في قتالهم، فيقول لهم رسول الله ﷺ: كفُّوا أيديكم، فإني لم أومر بقتالهم، فلما هاجروا إلى المدينة وأمرهم الله ﷻ بقتال المشركين، كرهه بعضهم وشق عليهم.(٣)

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٥/١٦٩)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٣٤٥)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٤٥٢).

(٢) أصل الكيد: السعي في فساد الحال على جهة الاحتيال عليه، يقال: كاده يكيده إذا سعى في إيقاع الضرر على جهة الحيلة عليه. قال الرازي رحمه الله:"وفائدة إدخال (كَانَ) في قوله: ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ للتأكيد، لضعف كيده، يعني: أنه منذ كان، كان موصوفًا بالضعف والذلة". التفسير الكبير (١٠/١٤٧). ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٠/١٧٨)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/١٤٩)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٤/٢١٦)"كيد". والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/٢٨٠)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/٣٠٨).

(٣) اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية على قولين: فذهب ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة، والحسن، والسدي، ومقاتل بن سليمان، واختاره الطبري، والمصنف أنها نزلت في ناس من الصحابة استأذنوا النبي ﷺ بمكة في قتال المشركين فلم يأذن لهم، فلما كُتِبَ عليهم القتال وهم بالمدينة قال فريق منهم ما ذكره الله عنهم. بدليل ما جاء من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن عبد الرحمن بن عوف ﷺ وأصحابا له أتوا النبي ﷺ بمكة فقالوا: يا نبي الله، إنا كنا في عِزٍّ ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة؛ فقال: أني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم، فلما حوَّله الله إلى المدينة أُمر بالقتال فكفّوا، فأنزل الله ﷻ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ﴾ الآية". أخرجه النسائي (٦/٢)، برقم: (٣٠٨٦) كتاب الجهاد/ باب وجوب الجهاد، والطبري في جامع البيان (٥/١٧٠)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٣/١٠٠٥)، والحاكم في المستدرك (٢/٦٧)، وقال:"وإسناده صحيح". وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢/٣٦٥).

وأهل الإيمان يتفاضلون في الإيمان، فمنهم الكامل الذي لا يخرجه إيمانه من غلبة الطبع عليه، ومنهم من ينقص عن تلك الحالة، فتنفر نفسه عما يؤمر به فيما يلحقه فيه الشدة.(١)

وقوله: ﴿أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗ﴾ يعني: وأشد خشية.(٢) وقوله: ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: منفعتها والاستمتاع بها. والفتيل: ما في شق النواة، كأنه خيط مفتول.(٣)

قوله تعالى: ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖ﴾ أي: قصور مجصَّصة.(٤) ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ﴾ أي: خصب وريف ورخصٌ في السعر، ﴿يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ

وذهب ابن عطية، والرازي والقرطبي وغيرهم أنها نزلت في المنافقين. وذلك بدلالة السياق حيث أورد في الآية عدد من المقالات التي لا يليق صدورها إلا من المنافقين. والذي يظهر -والعلم عند الله- أن الجمع بين القولين ممكنٌ؛ وذلك أن ما أخبر به ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت فيما كان من بعض الصحابة من تمني قتال الكفار يكون قد شاركهم في قول هذه المقالة بعض المنافقين بعد أن هاجروا إلى المدينة، وأعاد النبي ﷺ تهدئتهم زمانًا، وأن المنافقين تظاهروا بالرغبة في ذلك تمويهًا للنفاق، فلما كتب القتال على المسلمين جَبُنَ المنافقون، وهو ما أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ﴾. وقد ذكر معنى هذا التوجيه العلامة ابن عاشور ثم عقب بقوله: "هو الذي ينسجم مع أسلوب بقية الكلام". التحرير والتنوير (١٢٥/٥).

ينظر: جامع البيان للطبري (١٧٠/٥)، وتفسير ابن المنذر (٧٩٣/٢)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٠٠٣/٣)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٧٩/٢)، والتفسير الكبير للرازي (١٤٨/١٠)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٨١/٥).

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٧٨/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٣٤٥/٣)، والنكت والعيون للماوردي (٥٠٨/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٧٩/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٣٤/٢).

(٢) ينظر: تفسير السمرقندي (٣٤٤/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١٦٦/١)، والتفسير الكبير للرازي (١٤٨/١٠)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣١٠/٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١١٤/١).

(٣) ينظر: العين للخليل (١٢٣/٨)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٠٥/١٤)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٧٢/٤)"فتل".

(٤) قاله عكرمة، وهلال بن خباب. والبروج في كلام العرب هي: القصور والحصون، وأصلها في اللغة من: الظهور، يقال: تبرجت المرأة، إذا أظهرت محاسنها. والمشَيَّدَة: المرتفعة، من: شاد إذا رفعه أو طلاه

﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ لنا ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ يعني: جدب وغلاء الأسعار وقحط الأمطار، ﴿يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾ أي: يقولون: يا محمد هذه بقدومك، وتشاءموا به.(١)

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، وقائلوا هذا الكلام اليهود والمنافقون.(٢)

قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ معنى الرسول هاهنا تأكيد؛ لأن قوله ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ﴾ يدل على أنه رسول.(٣) قوله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ أي: ما أتى به الرسول فإنما أتى به من قبل الله. ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ أي: رقيبًا،(٤) أي:

بالشِّيد وهو الجِصّ. قال ابن كثير رحمه الله: "أي: حصينة منيعة عالية رفيعة... أي: لا يغني حذر وتحصن من الموت". تفسير القرآن العظيم (١/٥٢٧).

ينظر: جامع البيان للطبري (١٧٢/٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (٣٩/١١)، والمفردات للراغب (ص٤١)"برج"، والمحرر الوجيز لابن عطية (٨٠/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٣٧/٢).

(١) قاله عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٧٣/٥)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٠٠٩/٣)، ومعاني القرآن للنحاس (١٣٥/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٣٤٦/٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٣٧/٢)، والحسنة والسيئة لابن تيمية (ص١٩).

(٢) قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

ينظر: الوجيز للواحدي (٢٧٦/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٥٤/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٣٧/٢)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (١١٢/٨).

(٣) قاله الزجاج.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٨٠/٢)، والكشاف للزمخشري (٥٧٠/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٨٢/١).

(٤) قاله مقاتل بن سليمان، والثعلبي، والبغوي.

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢٤٤/١)، والكشف والبيان للثعلبي (٣٤٩/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٢١/٢)، والمفردات للراغب (ص١٢٤)"حفظ".

لا تعلم غيبهم، إنما لك ما ظهر منهم.(١) ﴿فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ﴾ أي: خرجوا.(٢) ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ يقال لكل أمر قُضي بليل: بيَّت.(٣)

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ أي: يأمر الملائكة بكتب ذلك وحفظه ليجازوا عليه.(٤) وقوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: لا تُسَمِّ هؤلاء بأعيانهم، وذلك لما أحبَّ الله من ستر أمر المنافقين حتى يتم أمر الإسلام.(٥) قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ يعني به المنافقين.(٦) أي: ما يجهرون به مما

---

(١) قاله الزجاج.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٨٠)، ولباب التأويل للخازن (١/٥٦٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٥٣٠).

(٢) قاله عامة المفسرين، وأهل اللغة.

ينظر: العين للخليل (٧/٣٦٤)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (١/٨٤)، والمفردات للراغب (ص٤٣)"برز"، والتفسير الكبير للرازي (١٠/١٥٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٥٣٠).

(٣) معنى ﴿بَيَّتَ﴾ عند أهل اللغة: أحكم الأمر بليل وفكر فيه. أي: أظهر المعصية في بيته، والعرب، تقول: أَمْرٌ بُيِّتَ بليل إذا أُحكم، وإنما خص الليل بذلك لأنه وقت يتفرغ فيه.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/١٣٢)، وجامع البيان للطبري (٥/١٧٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/١٣٧)، والمفردات للراغب (ص٦٤)"بيت".

(٤) قاله مقاتل بن سليمان.

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٢٤٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/١٣٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/٤٥٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/١٤٣).

(٥) قاله الزجاج.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٨١)، والمفردات للراغب (ص٣٣٠)"عرض"، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٤٥٥)، والتفسير الكبير للرازي (١٠/١٥٦).

(٦) قاله أكثر المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/١٧٩)، والوجيز للواحدي (١/٢٧٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي

يبيتون وما يُسِرُّون فيوحى إلى النبي ﷺ به، لولا أنه من عند الله لما كان الإخبار غير مختلف؛ لأن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى.(١)

وهذا من آيات النبي ﷺ البيِّنة. (٢) ومعنى تدبرت الشيء في الأصل: نظرت في عاقبته وآخره، ثم يستعمل في التفكر والتأمل. (٣)

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ﴾ أي: أظهروه ونادوا به.(٤) سبب نزولها:" أنه لما اعتزل نبي الله ﷺ نساءه، دخل عمر ﷺ المسجد والناس ينكتون بالحصى(٥) ويقولون: طلَّق رسول الله ﷺ نساءه، وذلك قبل أن يؤمرن بالحجاب، فقال عمر ﷺ: لأعلمنّ ذلك اليوم، فدخل على عائشة رضي الله عنها فقال: يا ابنة أبي بكر أقد

(٥/٢٩٠)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٥/١٥٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٥٣٠).

(١) يريد أن ما أخبرهم به النبي ﷺ من شؤونهم التي يسرون ويعلنون إنما هو وحي من الله تعالى، بدليل أنه لا اختلاف فيه.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/١٧٩)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٨٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٣٥٠)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٤٥٦).

(٢) ينظر: تفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢/١٣٩٧)، والتفسير الكبير للرازي (١٠/١٥٦)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/٢٩٠).

(٣) يقال: تدبرت الأمر، أي: نظرت في عاقبته. والتدبر: التفكر والتأمل الذي يبلغ به صاحبه معرفة المراد من المعاني.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٢/١٣٩)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٤/٧٨)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/٣٢٤)"دبر"، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢٣/٢٥٢).

(٤) قاله عامة المفسرين وأهل اللغة.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/١٣٣)، وجامع البيان للطبري (٥/١٨٠)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٨٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (٣/٩٤)"ذيع"، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/٨٤).

(٥) أي: يضربون به الأرض، كفعل المهموم المفكر.

ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٠/٨٢)، ولسان العرب لابن منظور (٢/١٠٠)"نكت".

بلغ من شأنك أن تؤذي الله ورسوله، قالت: مالي وما لك يا بن الخطاب؟ عليك بعيبتك،[١] فدخل على حفصة وقال لها: يا حفصة أقد بلغ [٣١/ب] من شأنك أن تؤذي الله ورسوله، ولقد علمتِ أنّ رسول الله ﷺ لا يحبُّكِ، ولولا أنا لطلقك، فبكت أشدّ البكاء، فقال: أين رسول الله ؟ قالت: هو في خَزَانتِه[٢] في المشْرَبة،[٣] فدخل عمر فإذا برباح[٤] غلامٌ لرسول الله ﷺ قاعد على أُسْكُفَّة[٥] المشربة، مُدلٌّ رجليه على نقير من خشب، -وهو جذع يَرقى عليه رسول الله ﷺ وينحدر-،[٦] فناديت: يا رباح! استأذن لي رسول الله ﷺ، فنظر إلى الغرفة ثم نظر إلى عمر ﷺ فلم يقل شيئًا، ثم قال: يا رباح! استأذن لي على رسول الله ﷺ، فقال عمر: ظننت أن رسول الله ﷺ ظن أني جئت من أجل حفصة، والله لئن أمرني

---

(١) أي: خاصتك، تريد: ابنته. والمراد: عليك بوعظ بنتك حفصة ودعني.
ينظر: النهاية وفي غريب الأثر لابن الأثير (٣/٣٢٧)"عيب"، وشرح النووي على صحيح مسلم (١٠/٨٢).

(٢) الخزانة: الموضع الذي يُخْزَن فيه الشيء.
ينظر: العين للخليل (٤/٢٠٩)، وتهذيب اللغة للأزهري (٧/٩٥)"خزن".

(٣) المشرَبة: بفتح الميم، وفي الراء لغتان: الضم والفتح، وهي كالغرفة يخزن فيها الطعام.
ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١١/٢٤١)"شرب"، وشرح النووي على صحيح مسلم (١٢/٢٩).

(٤) هو رباح مولى النبي ﷺ كان أسود، وربما أذِن على النبي ﷺ أحيانًا إذا انفرد رسول الله ﷺ كان يأخذ عليه الإذن ﷺ و ﷺ.
ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٢/٤٨٧)، وأسد الغابة لابن الأثير (٢/٢٣٨)، والإصابة لابن حجر (٢/٤٥٢).

(٥) أُسْكُفَّةُ: بضم الهمزة والكاف وتشديد الفاء، عتَبَةُ الباب السفلى التي توطأُ، وهو موضع الدخول والخروج.
ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٠/٤٧)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/٩٠)"سكف"، وشرح النووي على صحيح مسلم (١/٩٢).

(٦) أي: جِذْعٌ فيه درج.
ينظر: النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٥/١٠٣)"نقر"، وشرح النووي على صحيح مسلم (١٠/٨٣).

رسول الله ﷺ بضرب عنقها لأضربن عنقها، ورفع صوته فأومأ إلي بيده، فدخل عمر على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على حصير، قال: فجلست فإذا عليه إزاره ليس عليه غيره، وإذا الحصير قد أثر في جنبه، فنظرت ببصري في خزانة رسول الله ﷺ فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع، ومثلِها قَرَظًا[١] في ناحية الغرفة، وإذا أفيقٌ معلّقٌ، -الأفيق: الإهاب الذي ذهب شعره-[٢] فابتدرت عيناي، فقال: «ما يبكيك يا ابن الخطاب»؟ قلت: يا نبي الله، مالي لا أبكي وهذا الحصير قد أثّر في جنبك، وهذه خزانتك، لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار، وأنت رسول الله وصفوته، وهذه خزانتك؛ قال: «يا ابن الخطاب، ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟» قال: بلى، قال: فدخلت عليه وأنا أرى في وجهه الغضب، فقلت: يا رسول الله، ما يشق عليك من شأن النساء، فإن كنت طلقتهن فإن الله مَعَك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون مَعَك، وقَلَّما تكلّمتُ وأحمدُ الله بكلامٍ إلا رجوتُ أن يكون الله قد صدَّق قولي، ونزلت هذه الآية: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا﴾[التحريم:٥]،﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾ [التحريم:٤] الآية، وكانت عائشة وحفصة تَظاهَران[٣] على سائر نساء النبي ﷺ، فقال عمر: يا رسول الله أطلَّقتَهن؟ فقال: «لا»، قلت: يا رسول الله أفأنزل وأُخبر أنك لم تطلقهن؟ قال: «نعم إن

---

(١) القَرَظ: ورق السَّلَم يدبغ به الأدم، يقال: أديم مقروظ، أي: مدبوغ بالقَرَظ، وقد قرظته أقرظه قَرظًا. ينظر: العين للخليل (١٣٣/٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (٧٠/٩)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٤٣/٤)"قرظ".

(٢) الأَفِيقُ: بفتح الهمزة وكسر الفاء، وهو الجلد الذي ذهب شعره ولم يتم دباغه، وجمعه أَفَق بفتحها كأديم وأَدَم.

ينظر: العين للخليل (٢٢٧/٥)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (١١٤/١)"أفق"، وشرح النووي على صحيح مسلم (٨٣/١٠).

(٣) أي: تتعاونا على النبي ﷺ في إفشاء سره والإفراط في الغيرة.

ينظر: المفردات للراغب (ص٣١٧)، ولسان العرب لابن منظور (٥٢٠/٤)"ظهر"، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٨٦/٨).

شئت»، فلم أزل أحدثه حتى تحسَّر[١] الغضب عن وجهه، وحتى كَشَر[٢] فضحك، وكان من أحسن الناس ثَغْرًا،[٣] فنزل نبي الله ﷺ ونَزَلتُ، ونزل رسولُ الله ﷺ كأنما يمشي على الأرض ما يمسه بيده، فقال عمر: يا رسول الله، كنتَ في الغرفة تسعا وعشرين،[٤] قال: «إن الشهر يكون تسعًا وعشرين»، فقمتُ على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي: لم يُطلّق النبي ﷺ نساءه، ونزلت هذه الآية: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾، فكنت أنا الذي استنبطت ذلك الأمر، وأنزل الله آية التخيير.[٥]

وقوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ ﴾ يعني: لو ردّوا ذلك إلى أن تأخذوه من قِبَل الرسول ومن قِبَل أولي العلم والرأي منهم.

---

(١) أي: زال وانكشف.

ينظر: العين للخليل (٣/١٣٣)"حسر"، وشرح النووي على صحيح مسلم (١٠/٨٤).

(٢) كشَرَ: بفتح الشين المعجمة المخففة، أي: أبدى أسنانه تبسما.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٠/٨)"كشر"، وشرح النووي على صحيح مسلم (١٠/٨٤).

(٣) الثغر هنا: الفم. وقيل: ما تقدم من الأسنان.

ينظر: العين للخليل (٤/٤٠٠)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/٣٧٨)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (١/٢١٣)"ثغر".

(٤) قال الحافظ ابن حجر:" ظاهره أن النبي ﷺ نزل عقب ما خاطبه عمر، فيلزم منه أن يكون عمر تأخر كلامه معه تسعا وعشرين يوما، وسياق غيره ظاهر في أنه تكلم معه في ذلك اليوم، وكيف يمهل عمر تسعا وعشرين يومًا لا يتكلم في ذلك؛ وهو مصرح بأنه لم يصبر ساعة في المسجد حتى يقوم ويرجع إلى الغرفة ويستأذن، ولكن تأويل هذا سهل، وهو أن يحمل قوله: (فنزل) أي: بعد أن مضت المدة، ويستفاد منه أنه كان يتردد إلي النبي ﷺ في تلك المدة التي حلف عليها، فاتفق أنه كان عنده عند إرادته النزول فنزل معه ثم خشي أن يكون نسي فذكره". فتح الباري (٩/٢٨٦).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (٢/١١٠٥) برقم (١٤٧٩)، كتاب الطلاق/باب في الإيلاء واعتزال النساء، وأخرجه البخاري بنحوه (٥/١٩٩١)، برقم: (٤٨٩٥) كتاب النكاح/باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها، من حديث عمر بن الخطاب ﷺ.

﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ أي: يستخرجون حقيقته وعلمه، وأصله من النبط وهو: الماء الذي يخرج من البئر في أول ما تُحفر.[١]

﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ أي: بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

﴿لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ وهم الذين هداهم الله من غير واسطة رسول وإنزال كتاب، كقُسُ بن ساعدة،[٢] وورقة بن نوفل،[٣] وزيد بن عمرو بن نُفيل،[٤] وسائر طلاب

---

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٨٣/٢)، وتهذيب الأسماء للنووي (٣٣٤/٣)، ولسان العرب لابن منظور (٤١٠/٧)"نبط".

(٢) هو قُسُّ بنُ ساعدة بن عمرو بن عدي من بني إياد، أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم في الجاهلية، وهو أول من آمن بالبعث من أهل الجاهلية، أدركه النبي ﷺ قبل النبوة ورآه في عكاظ، وسمع النبي ﷺ شِعره وعجب منه، توفي نحو سنة: (٢٣ ق هـ).

ينظر: أسد الغابة لابن الأثير (٤٢٦/٤)، ونهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري (١٣٣/٢)، والبداية والنهاية لابن كثير (٢٣٠/٢).

(٣) هو ورقة بن نوفل بن أسد القرشي، كان امرأً تنصر في الجاهلية، ابن عم خديجة رضي الله عنها، وهو الذي أتته بالنبي ﷺ في حديث المبعث، وقال للنبي ﷺ: هذا الناموس الذي أُنزل على موسى، يا ليتني فيها جذعا، يا ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك، فقال النبي ﷺ: "أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت أحد قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا. ثم لم يلبث ورقة بن نوفل أن توفي.

ينظر: صحيح البخاري (٤/١) حديث رقم: (٣) كتاب الوحي/باب بدء الوحي، والمنتظم لابن الجوزي (٣٧٣/٢)، وأسد الغابة لابن الأثير (٤٦٣/٥)، وتهذيب الأسماء للنووي (٤٤١/٢).

(٤) هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى، والد الصحابي الجليل أحد العشرة المبشرين بالجنة سعيد بن زيد، كان قد ترك عبادة الأوثان في الجاهلية، ولا يأكل إلا ما ذكر اسم الله عليه، توفي قبل مبعث النبي ﷺ وقد آمن بالنبي عليه الصلاة والسلام.

ينظر: أسد الغابة لابن الأثير (٣٥٣/٢)، والبداية والنهاية لابن كثير (٢٣٧/٢)، والإصابة لابن حجر (٦١٣/٢).

الحق الذين هداهم الله من غير واسطة رسول وكتاب.[١] ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أمـــره الله ﷻ بالجهاد ولو وحده؛ لأنه قد ضمن له النصر.[٢]

﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَ﴾ أي: لا تلزم فعل غيرك ولا تؤخذ به.

﴿وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي: حضهم على الجهاد،[٣] ورغبهم في الثواب، وعرِّفهم فضل الشهادة. ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ كلمة عسى للطمع، وإذا أطمع الله عباده في شيء فإنه يحققه لهم.[٤] قوله تعالى: ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَا﴾ أي: من يسأل إنسانا لينال شخصًا بخير حصل له من أجل ذلك نصيبٌ من

---

(١) قاله الواحدي، وابن جزي، والبقاعي.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/١٨٣)، والوجيز للواحدي (١/٢٧٨)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/٨٥)، والتسهيل لابن جزي (١/١٥٠)، ونظم الدرر للبقاعي (٢/٢٨٨).

(٢) قاله الزجاج.

وقال ابن عطية: "هذا أمرٌ في ظاهر اللفظ للنبي ﷺ وحده، لكن لم نجد قط في خبر أن القتال فرض على النبي ﷺ دون الأمة مدة ما، فالمعنى والله أعلم: أنه خطاب للنبي ﷺ في اللفظ، وهو مثال ما يقال لكل واحد في خاصة نفسه، أي: أنت يا محمد وكل واحد من أمتك". المحرر الوجيز (٢/٨٦).

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٨٥)، وتفسـير السـمرقندي (١/٣٤٧)، والكشـف والبيان للثعلبي (٣/٣٥٢).

(٣) التحريض: ضرب من الحثّ في السير والسوق وكلّ شيء. يقال: حرضت فلانا على كذا: إذا أمرته به، وحضَّضتَ القوم على القتال تحضيضاً: إذا حرَّضتَهم.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٣/٢٥٦)"حض"، مشارق الأنوار للقاضي عياض (١/٢٠٧)، ولسان العرب لابن منظور (٧/١٣٦)"حضض"،

(٤) عسى: من أفعال المقاربة، وفيه طمع وإشفاق، ولا يتصرف، لأنه وقع بلفظ الماضي، وهي من الله التحقيق ومن العباد الظن.

ينظر: العين للخليل (٢/٢٠٠)، وتهذيب اللغة للأزهري (٣/٥٥)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٢/١٠١)"عسا".

الثواب.(١) ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً﴾ أي: غير جائزة في الشرع ﴿يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ أي: حظ ونصيب من الإثم حاصل من تلك الشفاعة.(٢) ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ أي قديرًا. (٣) ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ هذا كقول القائل: سلام عليكم، فيقول [٣٢/أ] المجيب: وعليكم السلام ورحمة الله.(٤) وإنما يرد بالأحسن على المسلم لا على الكافر.(٥) والرَّد أن يقول: وعليكم السلام. (٦)

---

(١) قاله الحسن، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد.

والشفاعة: في اللغة من مادة (شَفَعَ) يقال: اسْتَشْفَعْتُ به: إذا طلبت منه الشفاعة. والشفاعة هنا: التوسط للغير في وصول شخص إلى منفعة أو إلى خلاص من مضرة.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٨٥/٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٧٧/١)، والمفردات للراغب (ص٢٦٣)"شفع"، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٥٧/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٥٠/٢).

(٢) قاله عامة المفسرين.

ينظر: تفســـير القرآن لابن أبي حاتم (١٠١٨/٣)، والوجيز للواحدي (٢٧٩/١)، والمفردات للراغب (ص٤٣٦)"كفل"، والتفسير الكبير للرازي (١٦٤/١٠).

(٣) قاله السدي، وسعيد بن جبير، والفراء. وقال ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، وقتادة: المقيت: الحافظ.وقال عبد الله بن كثير: قيماً بالأمور. والأظهر ما قاله أبو حيان في تفسيره بقوله:"وهذه أقوال متقاربة، لاستلزام بعضها معنى بعض". البحر المحيط (٣٢٢/٣).

ينظر: معاني القرآن للفراء (٢١٤/١)، وجامع البيان للطبري (١٨٧/٥)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٠٢٠/٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٩٧/٩)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٨/٥)"قوت".

(٤) ينظر: تفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٠٢٠/٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٣٥٤/٣)،

(٥) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وعطاء، وقتادة.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٨٩/٥)، والنكت والعيون للماوردي (٥١٣/١)، والوجيز للواحدي (٢٧٩/١)، وأحكام القرآن لابن العربي (٥٩٠/١).

(٦) قاله عامة العلماء.

ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٨٧/٢)، والتفسير الكبير للرازي (١٦٩/١٠)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٩٧/٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٣٢/١).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ أي: مجازيًا.[1] قوله: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ أي: في الموت وفي القبور.[2] ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ سمي يوم القيامة: لقيام الناس من قبورهم.

﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟﴾ الآية.

ذكر في التفسير: أنَّ هذه الآية نزلت في ناس من قريش، قدموا على رسول الله ﷺ المدينة، فأسلموا وأقاموا، ثم ندموا على ذلك، وأرادوا الرجعة، فقال بعضهم لبعض: كيف نخرج؟ قالوا نخرج على سبيل السرّ، فإن فطن بنا أحد قلنا نتنزَّه، وإن غفل عنا مضينا، فخرجوا كهيئة المتنزهين حتى تباعدوا من المدينة، ثم كتبوا كتابا إلى رسول الله: إنَّا على الذي فارقناك عليه من الإيمان والتصديق بالله وبرسوله، ولكنا اجتوينا المدينة،[3] واشتقنا إلى أرضنا، ثم إنهم خرجوا في تجارة لهم نحو الشام، فبلغ ذلك المسلمين، فقال بعضهم: ما يمنعنا أن نخرج إلى هؤلاء الذين رغبوا عن ديننا، وتركوا هجرتنا، وظاهروا عداوتنا، فنقتلهم ونأخذ ما معهم، وقالت طائفة: كيف يُقتل قوم على دينكم، وإن لم يذروا ديارهم، فنزلت هذه الآية والآيات التي بعدها.[4] قوله: ﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ رجع ناس من أصحاب رسول الله ﷺ يوم أُحد،

---

(١) هذا قول أكثر المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٩١/٥)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٥٨/١)، والكشاف للزمخشري (٥٧٧/١)، التفسير الكبير للرازي (١٧٢/١٠)، ولسان العرب لابن منظور (٣١٠/١)"حسب".

(٢) قاله الزجاج، والقرطبي، والرازي.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٨٧/٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٠٥/٥)، والتفسير الكبير للرازي (١٧٢/١٠).

(٣) اجتوينا: من الجوى: وهو كلُّ داء يأخذ في البطن لا يستمرأ معه الطعام. ويقال: اجتويت البلد: إذا كرهت المقام فيه وإن كنت في نعمة.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٥٦/١١)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٩١/١)"جوى"، والطب النبوي لابن القيم (ص٣٦)،

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٣٥٥/٣)، والبغوي في معالم التنزيل (٤٥٩/١)، والخازن في لباب التأويل (٥٧٠/١) بغير سند.

وكان الناس فيهم فريقين، فريق منهم يقول: أقتلهم، وفريق يقول: لا، فنزلت هذه الآية.(١)

﴿وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم﴾ أي: نكسهم وردهم إلى ضلالتهم بأعمالهم السيئة.(٢)

﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ﴾ أي: ترشدوا إلى الهدى.(٣)

﴿مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ أي: والله قد أضلهم. ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ﴾ أي: عن الهدى.

﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ أي: طريقًا إلى الهدى ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ أي: ودوا لو تكفرون، وودوا لو تكونون سواء.(٤) ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/١٦٧٦)، برقم: (٤٣١٣) كتاب تفسير القرآن/باب ﴿فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾ عن زيد بن ثابت ﷺ.

(٢) أصل الرَّكس: قلب الشيء على آخره، أو رد أوله إلى آخره، وارتكس الرجل: إذا وقع في أمر بعد ما نجا منه، والمنافقون أركسهم الله، أي: ردهم إلى أحكام أهل الشرك في إباحة دمائهم وسبي ذراريهم.
ينظر: جامع البيان للطبري (٥/١٩٢)، وغريب القرآن لابن عزيز (ص٥٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/١٥٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٠/٣٦)"ركس".

(٣) ذكره السمرقندي في تفسيره (١/٣٥٠)، والثعلبي في الكشف والبيان (٣/٣٥٦)، والسمعاني في تفسير القرآن (١/٤٥٩)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٥/٣٠٧). وذهب البيضاوي، والخازن، وأبو حيان، والشوكاني، والشنقيطي: بأن المراد بالهداية هنا هداية التوفيق، فإن هداية الإرشاد باقية حتى لو ضلوا، ولكن هداية التوفيق لا تكون إلا لله، كما كما قال ﷻ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [القصص:٥٦]. وهذا القول هو الأظهر. قال الشوكاني رحمه الله:" وفيه دليل على أن من أضله الله لا تنجع فيه هداية البشر". فتح القدير (١/٤٩٥).
ينظر: تفسير البيضاوي (٢/٢٣١)، ولباب التأويل للخازن (١/٥٧٠)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/٣٢٧)، وأضواء البيان للشنقيطي (١/٢٤٧).

(٤) ينظر: التفسير الكبير للرازي (١٠/١٧٦)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/٣٢٧)، والدر المصون للسمين الحلبي (٤/٦٢).

﴿يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: مع رسول الله ﷺ صابرين محتسبين.[(١)] ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أي: عـن التوحيد ﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ﴾ أي: يلجون إليهم ويصلون ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ أي: عهد.[(٢)] هم بنو بكر بن زيد بن مناة.[(٣) (٤)]

﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ﴾ أي: أو يصـــلون إلى قوم ضـــاقت

---

(١) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٣/٣٥٦)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٤٦٠)، ولباب التأويل للخازن (١/٥٧٠).

(٢) الميثاق من المواثقة والمعاهدة، وأصله بالواو: موثاق، قلبت الواو ياءً لكسره ما قبلها، ووثَّقْت الشيء: أحكمته، وأخذتُ الأمر بالأوثق، أي: الشديد المحكم. والميثاق: العهد المحكم.

ينظر: العين للخليل (٥/٢٠٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٩/٢٠٥)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦/٨٥)"وثق".

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٣/٣٥٧)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٤٦٠)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/١٥٨).

(٤) هم بنو بكر بن زيد بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة التميمي، حلفاء بني نوفل بن عبد مناف. منهم الصحابي الجليل: يعلى بن أمية ﷺ، كانوا في صلح وهدنة مع المسلمين، ولم يكونوا آمنوا يومئذٍ.

ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/٢٤٤)، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم (١/٢١٣).

صدورهم(١) عن قتالكم.(٢)

وقوله: ﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ أي: المقادة والاستسلام، أي: سالموكم وصالحوكم.(٣)

﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ أي: في سفك دمائهم.(٤)

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ﴾ أي: بعد هذا ﴿يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ﴾ ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ﴾ أي: كلما سألهم قوم الكفر ودعوا إليه عادوا كافرين.

---

(١) أصل الحصر: التضييق، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَٱحْصُرُوهُمْ﴾[التوبة:٥]، أي: ضيقوا عليهم. ومنه الحصر في القول، وهو ضيق الكلام على المتكلم.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١٣٦/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٣٥/٤)، والمفردات للراغب (ص١٢٠)"حصر".

(٢) قرر هذا المعنى جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان (١٩٧/٥)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٠٢٨/٣)، ومعاني القرآن للنحاس (١٥٥/٢)، والتفسير الكبير للرازي (١٧٨/١٠).

(٣) المراد بالسلام هنا: الاستسلام والانقياد والمصالحة على قول جمهور المفسرين.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١٣٦/١)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٠٢٨/٣)، ومعاني القرآن للنحاس (١٥٧/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٣٥٨/٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (٤٦٥/١)، ولسان العرب لابن منظور (٢٨٩/١٢)"سلم".

(٤) قال القرطبي رحمه الله:"ووجه النظم والاتصال بما قبل: أي اقتلوا المنافقين الذين اختلفتم فيهم إلا أن يهاجروا، وإلا أن يتصلوا بمن بينكم وبينهم ميثاق، فيدخلون فيما دخلوا فيه، فلهم حكمهم، وإلا الذين جاءوكم قد حصرت صدورهم عن أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم، فدخلوا فيكم، فلا تقتلوهم". الجامع لأحكام القرآن (٣١٠/٥).

ينظر: جامع البيان للطبري (١٩٥/٥)، وأحكام القرآن للجصاص (١٨٨/٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٣٥٧/٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٣٤/١).

و﴿ٱلْفِتْنَةِ﴾ بمعنى: الكفر.[(١)] ﴿أُرْكِسُواْ فِيهَا﴾ أي: وُجدُوا مرتكسين.[(٢)]

وقوله: ﴿جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ أي: حجة بينة في قتالهم.[(٣)]

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾

نزلت في عيَّاش ابن أبي ربيعة المخزومي،[(٤)] وذلك أنه أتى النبي ﷺ بمكة قبل أن يهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة فأسلم معه، ثم خاف أن يُظهر إسلامه لأهله، وأنْ يبلغ أهل مكة إسلامه، فخرج هاربًا من مكة إلى المدينة، فقدمها ثم أتى أُطُمًا من آطَامها فتحصَّن فيه، فجزعت لذلك أمّه جزعًا شديدًا، حين بلغها إسلامه، وخروجه إلى المدينة، فقالت لابنيها الحارث[(٥)] وأبي جهل بن هشام، وهما أخواه لأمه: والله لا يظلني سقف ولا أذوق طعامًا ولا شرابًا حتى

---

(١) هذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، والسدي.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/١٩٦)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٣/١٠٢٩)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/٣١١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٥٣٤).

(٢) تقدم معنى الركس ص: ٥٤٠ .

(٣) قاله عامة المفسرين.

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/١٤٨)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم: (٣/١٠٣٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/١٥٨)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٤٦١).

(٤) هو عياش بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم القرشي، له صحبة ورواية عن النبي ﷺ، أسلم قديمًا وهاجر الهجرتين، وكان أحد من يدعو له النبي ﷺ من المستضعفين، مات سنة: ١٥ هـ.

ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/١٢٩)، والمنتظم لابن الجوزي (٤/٢٩٠)، وتقريب التهذيب لابن حجر (ص٤٣٦).

(٥) هو الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، شقيق أبي جهل، أسلم يوم الفتح، وشهد مع رسول الله ﷺ حنينًا وأعطاه رسول الله ﷺ من غنائم حنين مائة من الإبل، فلم يزل مقيمًا بمكة حتى قبض رسول الله ﷺ، وخرج إلى الشام في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ، ومات في طاعون عمواس سنة: ١٨ هـ ﷺ.

ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/٤٤٤)، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (٢/٧٦٢)، والاستيعاب لابن عبد البر (١/٣٠١).

تأتوني به، فخرجا في طلبه، وخرج معهما الحارث بن يزيد بن أبي أنيسة،[١] حتى أتوا المدينة، فأتوا عياشًا وهو في الأُطم،- يعني: الجبل-،[٢] فقالا له: انزل فإن أمّك لم يؤوها سقف بيت بعدك، وقد حلفت أن لا تأكل طعامًا ولا تشرب شرابًا حتى ترجع إليها، ولك عهد الله علينا أن لا نكرهك على شيء، ولا نحول بينك وبين دينك، فلما ذكروا له جزع أمّه وأوثقوا له بالله، نزل إليهم فأخرجوه من المدينة، ثم أوثقوه بنسع،[٣] فجلده كل واحد منهم مائة جلدة، ثم قدموا به على أمّه، وهي[٣٢/ب]أسماء بنت مخرمة،[٤] فلما أتاها قالت: لا والله لا أحلّك من وثاقك حتى تكفر بالذي آمنت به، ثم تركوه مطروحًا موثقا في الشمس ما شاء الله، ثم أعطاهم الذي أرادوا، فأتاه الحارث بن يزيد فقال له: يا عياش؛ إن كان ما كنت عليه هدىً لقد تركته، وإن كان ضلالاً لقد ركبته، فغضب عيّاش من مقالته وقال: والله لا ألقاك خاليًا

---

(١) هو الحارث بن يزيد بن أنيسة، ويقال: ابن نبيشة، من بني معيص بن عامر بن لؤي، كان يؤذي المسلمين بمكة وهو كافر، فلما هاجر الصحابة أسلم ولم يعلموا بإسلامه، وأقبل مهاجرًا حتى إذا كان بظاهر الحرة لقيه عياش بن أبي ربيعة، وظنه على شركه فعلاه بالسف حتى قتله.

ينظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٨١٣/٢)، و،أسد الغابة لابن الأثير (٤٨٢/١)، والإصابة لابن حجر (٦٠٩/١).

(٢) أصل الأُطُم: الحصن، وجمعه آطام. وكل بناء مرتفع فهو أُطُم، ومنه الجبل.

ينظر: العين للخليل (٤٦٣/٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (٣٢/١٤)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (١١٢/١)"أطم".

(٣) النِّسْع: حبل من سيور مضفورة تشد به الرحال.

ينظر: العين للخليل (٣٣٨/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٦٣/٢)، ولسان العرب لابن منظور (٣٥٢/٨)"نسع".

(٤) هي: أسماء بنت مخرمة بن جندل بن نهشل التميمي، أم عياش ابن أبي ربيعة، وأم أبي جهل، والحارث ابني هشام بن المغيرة، وهي أيضًا أم عبد الله بن أبي ربيعة أخي عياش بن أبي ربيعة. قال عنها ابن عبد البر:" وما أظن أنها أسلمت".

ينظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٣٢٦١/٦)، والاستيعاب لابن عد البر (١٧٨٣/٤)، والمنتظم لابن الجوزي (٢٩٠/٤).

أبدًا إلا قتلتك، ثم إنَّ الحارث بن يزيد أسلم بعد ذلك، وهاجر إلى رسول الله ﷺ بالمدينة، وليس عياش يومئذ حاضرًا، ولم يشعر بإسلامه، فبينما عياش يسير بطرقها إذ لقي الحارث بن يزيد، فلما رآه حمل عليه فقتله، فقال الناس: ويحك أيّ شيء صنعته؟ إنه قد أسلم، فرجع عياش إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، قد كان من أمري وأمر الحارث ما قد علمت، وإني لم أشعر بإسلامه حتى قتلته، فنزل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾.[1] أي: لا ينبغي لمؤمن أن يقتل مؤمنًا، وليس هذا على النفي، بل هو على التحريم والنهي، ولو كان على النفي لما وجد مؤمن قَتَل مؤمنًا أبدًا؛ لأن ما نفى الله سبحانه لم يجز وجوده.[2] ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ الآية.

المعنى: وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنًا، لكن لو يَقتله خطأ فكفارة خطئه كذا.

والتحرير: هو الإعتاق، أي: فعليه إعتاق رقبة مؤمنة.[3] ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ أي: الذين يرثونه.[4] ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾ أي: إلا أن يتصدقوا، فيعفوا ويتركوا الدية.[5]

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٥/٢٠٣)، وابن المنذر في تفسيره (٢/٨٢٩) عن السدي، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٣/١٠٣١) بنحوه عن سعيد بن جبير، ومجاهد، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (٣/٣٥٩)، والواحدي في أسباب النزول (ص٣٠٩) عن الكلبي، والبغوي في معالم التنزيل (١/٤٦٢) بغير سند. وقال الدكتور حكمت بشير في تحقيقه على تفسير ابن كثير (٣/١٧٨):"أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، لكنه مرسل ويتقوى بمرسل رواه ابن أبي حاتم بسند حسن عن سعيد بن جبير".

(٢) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٣/٣٥٩)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٤٦٢)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/٥٩٦)، والتسهيل لابن جزي (١/١٥٢).

(٣) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٢/١٦٣)، والتفسير الكبير للرازي (١٠/١٨٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/٣١٤)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/٣٣٤).

(٤) ينظر: تفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢/١٤١٧)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٤٦٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٥٣٥).

(٥) قاله عامة المفسرين.

﴿ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ وذلك أنه إذا رَمَى إلى صفِّ الكفار ولم يَدْرِ أنَّ فيهم مسلمًا فأصابه، فعليه: الكفارة ولا دية.(١)

وإن علم أنَّ فيهم مسلمًا ولم يقصده، بل قصد الكفار فأصابه برميه: الدية.(٢)

وقيل: قولان، كما لو قصد شخصًا بعينه وكان قد أسلم قبل الرمي، ففي ديته قولان إذا كان في صفِّ الكفار.(٣) ﴿ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ ﴾ أي: وإن كان المقتول ﴿ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ إذ تجب الكفارة في قتل المعاهد.(٤) ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ ﴾ أي: ويتوب مع تحرير الرقبة إلى الله.(٥) ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا ﴾ أي:

ينظر: تفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٠٣٣/٣)، ومعاني القرآن للنحاس (١٦١/٢)، والوجيز للواحدي (٢٨١/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٦٢/١)، والتفسير الكبير للرازي (١٨٦/١٠).

(١) هذا قول عامة الفقهاء.

ينظر: أحكام القرآن للشافعي (٢٨٥/١)، وجامع البيان للطبري (٢٠٦/٥)، وأحكام القرآن للجصاص (٢١٥/٣)، وأحكام القرآن لابن العربي (٦٠٢/١)، والتفسير الكبير للرازي (١٨٦/١٠)، والمغني لابن قدامة (٢٣١/٩)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٢٣/٥).

(٢) هذا قول الجمهور.

ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٢١٥/٣)، وأحكام القرآن لابن العربي (٦٠٢/١)، والمغني لابن قدامة (٢١٧/٨)، وأحكام أهل الذمة لابن القيم (٨٥٧/٢).

(٣) ينظر بسط هذه المسألة في: أحكام القرآن للشافعي (٢٨٥/١)، وأحكام القرآن للجصاص (٢١٥/٣)، وأحكام القرآن لابن العربي (٦٠٢/١)، والمغني لابن قدامة (٢٣١/٩)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٢٣/٥)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٢٢١/١٩).

(٤) هذا قول أكثر أهل العلم.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٠٨/٥)، وأحكام القرآن للجصاص (٢٢٠/٣)، وأحكام القرآن لابن العربي (٦٠٣/١)، والمغني لابن قدامة (٤٠٠/٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٢٥/٥).

(٥) قال الرازي رحمه الله: "فقوله: ﴿ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ ﴾ تنبيه على أنه كان مقصرًا في ترك الاحتياط".

لمن قتل خطأ ﴿حَكِيمًا﴾ فيما حكم عليه.

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ نزلت هذه الآية في مقيس بن صُبَابَة الكناني،(١) وذلك أنه وجد أخاه مقتولًا في بني النجار،(٢) وكان مسلمًا، فأتى رسول الله ﷺ فذكر له ذلك، فأرسل رسول الله ﷺ معه رسولًا من بني فِهْر،(٣) وقال: «ائت بني النجار، فأقرئهم مني السلام، وقل لهم: إن رسول الله يأمركم إن علمتم قاتل هشام بن صُبَابة(٤) أن تدفعوه إلى

التفسير الكبير (١٠/١٨٨).

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/٢١٥)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/٤٦٢)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/٣٨١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/٣٣٨).

(١) هو مقيس بن صَبَابَة بن حَزَن بن يسار بن عبد الله بن كُليب، أسلم ثم أرتد، فأهدر النبي ﷺ دمه فقتله نُمَيْلَة بن عبد الله رجل من قومه يوم فتح مكة.

ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤/٢٥٦)، وتاريخ الطبري (٢/١١٠)، والكامل في التاريخ لابن الأثير (٢/٨١).

(٢) بنو النجار: قبيلة من العرب، وهم من الأنصار، والنجار بطن من الخزرج، واسمه: تيم اللات بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج، كانوا أخوال جد رسول الله ﷺ لأن والدة عبد المطلب منهم، وعليهم نزل لما قدم المدينة فلهم مزية على غيرهم، وكان أنس بن مالك ﷺ منهم.

ينظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم (٢/٤٧٢)، ونهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري (٢/٣٣)، والبداية والنهاية لابن كثير (٣/٢٠٣).

(٣) هو فِهْر -بكسر الفاء وسكون الهاء بعده الراء- ابن مالك بن النضر بن كنانة، وإليه تنسب قريش ومحارب والحارث بن فِهْر.

ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (١/٢٢١)، والطبقات الكبرى لابن سعد (١/٥٥)، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم (١/١٢).

(٤) هو هشام بن صُبَابة الليثي، أخو مقيس بن صُبَابة، قُتِل في غزوة ذي قَرَد مسلمًا، وذلك سنة ست من الهجرة، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت وهو يرى أنه من العدوّ فقتله خطأ.

ينظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٥/٢٧٤٣)، والاستيعاب لابن عبد البر (٤/١٥٣٩)، وأسد الغابة لابن الأثير (٥/٤١٦).

مقيس بن صُبابة فيقتص منه، وإن لم تعلموا له قاتلا فادفعوا إليه ديته»، فأبلغهم الفِهْري ذلك عن النبي ﷺ، فقالوا: سمعنا، وطاعةً لله ولرسوله، والله ما نعلم له قاتلا، ولكنا نؤدِّي ديته، قال: فأعطوه مائة من الإبل، ثم انصرفا راجعين، وأتى الشيطان مقيسًا فقال: أيّ شيء صنعت؟ تقبل دية أخيك فيكون عليك مسبَّة؛ أقتل الذي معك، فتكون نفسٌ مكان نفس وفضل الدية، قال: فيعقل مقيسٌ الفهريَّ، فرماه بصخر فشدخ رأسه،(١) ثم ركب بعيرًا منها وساقها راجعًا إلى مكة كافرًا.(٢) فعلى هذا قوله: ﴿خَٰلِدًا فِيهَا﴾ إثبات العذاب المؤبَّد، ولئن وردت في مؤمنٍ قَتَل مؤمنًا فمعناه: مدَّة مديدة، ولأن قوله: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ لا يقتضي تحقيق ذلك البتة، وربما لا يحققه الله تعالى.(٣)

---

(١) الشَّدْخ: فضخ الشيء الرطب بالشيء اليابس حتى ينشدخ. يقال: شدخت رأسه فانشدخ إذا انكسر.

ينظر: العين للخليل (١٦٦/٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (٣٧/٧)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٢٤٦/٢)"شدخ".

(٢) أخرج هذا السبب الطبري في جامع البيان (٢١٧/٥) عن عكرمة، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١٠٣٧/٣) عن سعيد بن جبير، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٧٧/١) والواحدي في أسباب النزول (ص٣١٠)، وأورده البغوي في معالم التنزيل (٤٦٤/١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢٦٦/٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أكثر العلماء وهو مذهب أهل السنة: أن قاتل المسلم عمدًا توبته مقبولة، لقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾[طه:٨٢]، وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء:٤٨]، وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما بأن القاتل لا تقبل له توبة؛ فهو تشديد ومبالغة في الزجر عن القتل، وليس في الآية متعلق للمعتزلة الذين يقولون بالتخليد في النار بارتكاب الكبائر؛ لأن الآية نزلت في قاتلٍ وهو كافر، وهو مقيس بن صُبَابة، أو إنه وعيد لمن قَتَل مؤمنًا مستحلًا لقتله بسبب إيمانه، ومن استحل قتل أهل الإيمان لإيمانهم كان كافرًا مخلدًا في النار. وبتقدير دخول القاتل المسلم في النار فليس بمخلَّد فيها أبدًا بل الخلود هو المكث الطويل. قال الطبري رحمه الله:"معناه: ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه إن جزاه جهنم خالدًا فيها، ولكنه يعفو أو

وقوله: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ يدل على أنه يعذّب، ولا يدل على التخليد، ومع هذا قتل المؤمن من أعظم الكبائر.(١)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ كان رجل في غُنَيمَةٍ له فلحقه ناس من المسلمين، فقال: السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا غُنَيْمَته، فأنزل الله هذه الآية.(٢)

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ﴾[٣٣/أ]

أي: تخفون إيمانكم من المشركين.(٣) ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: بأن أظهر الله

يتفضل على أهل الإيمان به وبرسوله فلا يجازيهم بالخلود فيها، ولكنه عز ذكره إما أن يعفو بفضله فلا يدخله النار، وإما أن يدخله إياها ثم يخرجه منها بفضل رحمته". جامع البيان (٥/٢٢١).

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٢/١٦٣)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٦/١٠٥٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٤٦٥)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٣٤/١٣٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٥٣٨).

(١) يؤيد ذلك ما أخرجه البخاري عن أنس بن مالك ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «أكبر الكبائر: الإشراك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وقول الزور، - أو قال: وشهادة الزور-».

(صحيح البخاري، (٦/٢٥١٩)، برقم: (٦٤٧٧) كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ﴾[المائدة:٣٢]).

ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٢/٨١)، والكبائر للذهبي (ص١٢)، والزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيثمي (٢/٦٩١).

(٢) أخرج ذلك البخاري (٤/١٦٧٧)، برقم: (٤٣١٥) كتاب تفسير القرآن/باب ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا﴾، ومسلم (٤/٢٣١٩)، برقم: (٣٠٢٥) كتاب التفسير، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) قاله سعيد بن جبير. رواه عنه الطبري في جامع البيان (٥/٢٢٦)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٣/١٠٤١)، والنحاس في معاني القرآن (٢/١٦٨). وصحح إسناده الدكتور حكمت بشير في التفسير

الإسلام.(١) ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ أي: تَعْرِفُوا.(٢) ومعنى ﴿تَبۡتَغُونَ﴾: تطلبون.

و﴿عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ منافعها ومتاعها.

قوله: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ أي: الأصحّاء ﴿وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.(٣) وقوله: ﴿دَرَجَةٗ﴾ أي: ارتفاع المنزلة.(٤)

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: تتوفاهم، يعني: المستقبل.(٥)

﴿ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ نزلت في جماعة من أهل مكة، تكلموا بالإسلام ولم يهاجروا، وأظهروا الإسلام وأسروا خلافه، فلما كان يوم بدر خرجوا مع المشركين إلى حرب المسلمين، فقُتلوا يوم

الصحيح (٢/٢١٩).

(١) قاله سعيد بن جبير. رواه عنه الطبري في جامع البيان (٥/٢٢٧)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٣/١٠٤٢). وصححه الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٢/٢٢٠).

(٢) أي: حتى تَعْرفوا المؤمن من الكافر. من التبيين للأمر قبل الإقدام عليه، والتبين: التعرف والتثبت والتفحص ليُعْلَم.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/٢٢٥)، والكشف والبيان للثعلبي (٣٦٨)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (١/١٠٦)"ب ي ن"، والتفسير الكبير للرازي (١١/٥).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٥/٢٢٧)، ومعاني القرآن ٢/١٧٠)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٣٧٠).

(٤) قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

والدرجة: المنزلة الرفيعة، وأصله: من درجت الشيء وأدرجته: طويته، وأدرجهم الله فهو كطي الشيء منزلة منزلة، ومنه الدرجة التي يرتقى إليها، ودرجات الجنان: منازل.

ينظر: العين للخليل (٦/٧٧)، والمفردات للراغب (ص١٦٧)"درج"، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/١٧٦)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢/١٨٧).

(٥) ينظر: جامع البيان للطبري (٥/٢٣٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/٩٤)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/٣٤٨).

بدر[١]. ﴿قَالُوٓاْ﴾ يعني: الملائكة ﴿فِيمَ كُنتُمۡ﴾ أي: في ماذا كنتم؟ وهو سؤال تقريع وتوبيخ.[٢] ﴿قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ﴾ أي: مقهورين في أرض مكة فأخرجونا كارهين.[٣] ﴿قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ وفي هذا تكذيبهم في أنهم لم يستطيعوا الهجرة. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾.

﴿إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ﴾ يعني: المؤمنين المخلصين المقهورين بمكة، لم يستطيعوا الهجرة ومُنعوا من اللُّحوق بالنبي ﷺ وهم يريدون اللُّحوق به.[٤]

قوله: ﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ أي: لا يقدرون على حيلة ﴿وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلًا﴾ أي: لا يعرفون طريقًا إلى الخروج منها. وقوله: ﴿وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: في طاعته.[٥]

---

(١) أخرج الطبري بنحوه في جامع البيان (٥/٢٣٣)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٣/١٠٤٦)، والبيهقي في السنن (٩/١٢)، ولفظه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان قوم من أهل مكة أسلموا وكانوا يستخفون بالإسلام، فأخرجهم المشركون معهم يوم بدر، فأصيب بعضهم وقُتل بعض، فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين، وأُكرهوا فاستغفروا لهم، فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ إلى آخر الآية. قال الهيثمي: "رجاله رجال الصحيح غير محمد بن شريك، وهو ثقة". مجمع الزوائد (٧/١٠). وصححه الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٢/٢٢٣).

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٩٥)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٣٧٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٤٦٩).

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٢٥٢)، وجامع البيان للطبري (٥/٢٣٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٣٧٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٤٦٩).

(٤) ينظر: معاني القرآن للنحاس (٢/١٧٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٣٧٢)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢/١٤٤١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/١٠٠).

(٥) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٢٥٢)، وجامع البيان للطبري (٥/٢٣٨)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٣٧٢)، وروح البيان للألوسي (٢/٢١٥).

﴿يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا﴾ أي: متزحزحًا عما يكره،(١) ومتحولًا إليه،(٢) والمذهب في الأرض. وأصله: أن الرجل إذا أسلم خرج عن قومه ﴿مُرَٰغَمٗا﴾ لهم، أي: مُغاضِبًا.(٣)

﴿وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ الآية، وذلك أن جندع بن ضُمرة(٤) كان شيخًا كبيرًا مريضًا، فلما سمع ﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ﴾ فقال: والله ما أنا ممن استثنى الله، وإني لأجد حيلة، وإن لي من المال ما يبلغني المدينة وأبعد منها، والله لا أبيت الليلة بمكة، أخرجوني، فخرجوا به يحملونه على سرير حتى أتوا به التنعيم،(٥) فأدركه الموت بها، فصفق بيمينه على

(١) قاله مجاهد. رواه عنه الطبري في جامع البيان (٥/٢٤١)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٣/١٠٤٩)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (٣/٣٧٢)، والسمعاني في تفسير القرآن (١/٤٧٠). وصحح إسناده الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٢/٢٢٥).

(٢) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، والضحاك، والربيع، وقتادة، والحسن.
ينظر: تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني (١/١٦٩)، وجامع البيان للطبري (٥/٢٤١)، وتفسير ابن أبي حاتم: (٣/١٠٤٩).

(٣) لـ"رغم" معنيان في اللغة: أحدهما: التراب، ومنه أرغم الله أنفه، أي: ألصقه بالرغام. والآخر: المراغم، وهو المذهب والمهرب. والمراد كلا المعنيين، أي: المنع والمذهب الذي يتخلص به، ويراغم به الأعداء.
ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٨/١٢٩)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/٤١٣)"رغم"، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٣٧٢)، والنكت والعيون للماوردي (١/٥٢٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٥٤٤).

(٤) هو جندع بن ضمرة بن أبي العاص الجندعي الضمري، وقيل: ضمرة بن جندب الضمري، وقيل غير ذلك، كان جندع من المستضعفين بمكة، فلما سمع ما أنزل الله في الهجرة أمر بنيه أن يخرجوه إلى المدينة، فمات في الطريق.
ينظر: صفة الصفوة لابن الجوزي (١/٦٧٣)، وأسد الغابة لابن الأثير (١/٤٥٠)، والإصابة لابن حجر (١/٥١٥).

(٥) التنعيم: موضع بمكة في الحل، على أربعة أميال منها إلى جهة المدينة. قيل سمي بذلك: لأن عن يمينه جبلًا يقال له: نَعيم، وعن شماله جبل يقال له: ناعم، والوادي نُعمان، وفيه مسجد عائشة رضي الله عنها الذي يحرم منه من أقام بمكة.

شماله ثم قال: اللهم هذه لك، وهذه لرسولك، أبايعك على ما بايعك عليه رسولك، فمات حميدًا، فأنزل الله هذه الآية.(١)

وقوله: ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: استحق الأجر من الله بذلك.

وقوله: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: سافرتم فيها.(٢) ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ أي: حرج وإثم.(٣) ﴿أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: صلاة رباعية.

﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ فتنة الكافرين كان سبب هذه الرخصة، ثم بقيت الرخصة في السفر، إذ لا يخلو عن خوف ما في الغالب.(٤)وقوله: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ أي: في

ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٢/٤٩)، وتاج العروس للزبيدي (٣٣/٥١٨)"نعم".

(١) أخرجه بنحوه أبو يعلى في مسنده (٥/٨١)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعبد الرزاق الصنعاني في تفسير القرآن (١/١٧٠) عن قتادة، والطبري في جامع البيان (٥/٢٣٨)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٣/١٠٥١)، والطبراني في المعجم الكبير (١١/٢٧٢)، والبيهقي في السنن (٩/١٤) عن سعيد بن جبير. قال الهيثمي عن سند أبي يعلى:"رجاله ثقات". مجمع الزوائد (٧/١٠). وصحح إسناد ابن أبي حاتم الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٢/٢٢٥).

(٢) باتفاق المفسرين وأهل اللغة.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٢/١٤)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/٣٩٧)"ضرب"، وتفسير القرآن للسمعاني (١/٤٧١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٥٤٥).

(٣) قاله عامة المفسرين.

ينظر: جـامع البيـان للطبري (٥/٢٤٢)، ومعـاني القرآن للزجـاج (٢/٩٩)، ومعـالم التنزيـل للبغوي (٢/٤٤٥)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/١٨١).

(٤) هذا قول أكثر الفقهاء، وعامة المفسرين، بأن القصر رخصة من الله تعالى، ويؤيد ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه عن يعلى بن أمية، قال: قلت لعمر بن الخطاب ﷺ: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ فقد أَمِنَ الناس، فقال: عجبت مما عجبت منه، فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال «صدقة تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته». (صحيح مسلم، (١/٤٧٨)، برقم: (٦٨٦) كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة المسافرين وقصرها). وبسط هذه المسألة

المؤمنين.

﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ﴾ أي: الباقون. ﴿فَإِذَا سَجَدُوا۟﴾ أي: الطائفة التي قامت معك.

﴿فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ﴾ أي: الذين في وجه العدوّ من ورائكم، فإذا فرغ أولئك من الركعة الثانية وسلموا اجتازوا إلى مكان الآخرين، وجاء أولئك، وهو قوله: ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ﴾ أي: الركعة الثانية معك، ثم ليتموا لأنفسهم إذا جلست للتشهد، ثم سلِّم بهم، فهذا معنى الآية.(١)

في كتب الفقه، وأحكام القرآن.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/٢٤٢)، وأحكام القرآن للجصاص (٣/٢٢٩)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/٦٠٩)، والمغني لابن قدامة (٢/٤٧)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/٣٥١)، والمجموع للنووي (٤/٢٧٣)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٢٤/١٠٥).

(١) هذه الصفة هي إحدى صفات صلاة الخوف، واختارها الشافعي، ومالك، لأنه أشد موافقة لظاهر القرآن وأحوط للصلاة وأبلغ في حراسة العدو، وهي الصفة التي أخرجها البخاري ومسلم عن صالح بن خوّات، عمّن شهد رسول الله ﷺ يوم ذات الرقاع صلى صلاة الخوف: "أن طائفةً صفّت معه، وطائفةٌ وجاه العدو، فصلى بالتي معه ركعة، ثم ثبت قائمًا، وأتموا لأنفسهم ثم انصرفوا، فصفوا وجاه العدو، وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته ثم ثبت جالسا، وأتموا لأنفسهم، ثم سلم بهم". (صحيح البخاري (٤/١٥١٢)، برقم: (٣٨٩٨) كتاب المغازي/ باب غزوة ذات الرقاع، وصحيح مسلم، (١/٥٧٥)، برقم: (٨٤٢) كتاب صلاة المسافرين/ باب صلاة الخوف. قال البغوي رحمه الله:"واعلم أن صلاة الخوف جائزة بعد الرسول ﷺ عند عامة أهل العلم، ويحكى عن بعضهم عدم الجواز ولا وجه له، وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه: كل حديث روي في أبواب صلاة الخوف فالعمل به جائز، روي فيها ستة أوجه أو سبعة أوجه". معالم التنزيل (١/٤٧٤).

ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٣/٢٣٦)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/٦١٨)، والتفسير الكبير للرازي (١١/١٩)، والمغني لابن قدامة (٢/١٣٠)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/٣٦٣)، والمجموع للنووي (٤/٣٥٠)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٢٢/٥٤١).

﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ يحتمل أن يكون الجميع يأخذون أسلحتهم، ويحتمل أن يكون الذين هم وُجَاه العدو يأخذون أسلحتهم، وإنْ كان المصلُّون لا يقاتلون، لأنه أدخل في الحذر، وأرهب للعدو.(١)

﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾ ذكرنا معناه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾[النساء: ٨٩].(٢)

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى﴾ هو ترخيص في وضع السلاح لمن شق عليه حمله من مريض وممطور،(٣) وذلك إذا لم يَخَفْ من وضعه ضرر عظيم، لأنه قال بعد الترخيص:[٣٣/ب]﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ وكأنه قال: ضَعُوا السلاح، ومع ذلك فلا تتركوا الحذر.(٤) قوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ يعني: بها صلاة الخوف.(٥)

﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ أي: أذكروه بتوحيده وشكره وتسبيحه وبكل ما يمكن أن يتقرب به.(٦) ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ﴾ أي: سكنت قلوبكم.

---

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٩٧)، وأحكام القرآن للجصاص (٢٤٦/٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٨٧/٢).

(٢) ينظر: ص.

(٣) الممطور: الذي أصابه المطر. يقال: يوم مطير وماطر وممطر وواد مطير، أي: ممطور.
ينظر: العين للخليل (٤٢٥/٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٣١/١٣)"مطر".

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (١٥٩/٥)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٧٥/١)، وأحكام القرآن لابن العربي (٦٢٤/١)، والتفسير الكبير للرازي (٢١/١١).

(٥) قاله جمهور المفسرين.
ينظر: جامع البيان للطبري (٢٥٩/٥)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٠٥٥/٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (٤٧٤/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٨٧/٢).

(٦) قاله جمهور المفسرين.
ينظر: جامع البيان للطبري (٢٥٩/٥)، ومعاني القرآن للزجاج (٩٩/٢)، ومعاني القرآن للنحاس

﴿ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي: فأتموها على عادتها.(١)

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾ أي: فرضًا مؤقتًا.(٢)

﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ ﴾ أي: لا تُضعفوا في طلبهم.(٣)

﴿إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ ﴾ أي: تتوجعون وتشتكون من الجراح.(٤)

﴿ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ ﴾ يعني: وأنتم مع

(١٨٢/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٨٧/٢).

(١) قاله جمهور المفسرين.يقال: اطمأنّ الشيء إذا سكن، وطَامَنْتُه وطَمْأَنْتُه: إذا سكنته، والاطمئنان: السكون بعد الانزعاج. قال ابن كثير رحمه الله:"﴿فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ﴾ أي: فإذا أمنتم وذهب الخوف وحصلت الطمأنينة، ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: فأتموها وأقيموها كما أُمرتم بحدودها، وخشوعها، وركوعها، وسجودها، وجميع شؤونها". تفسير القرآن العظيم (٥٥١/١).

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٦٠/٥)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٠٥٦/٤)، ومعاني القرآن للزجاج (٩٩/٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (٤٧٤/١)، والمفردات للراغب (ص٣٠٧)"طمن".

(٢) هذا قول ابن مسعود، وابن عباس ﷺ، ومجاهد، والسدي، وقتادة، وزيد بن أسلم.وقال الحسن، ومقاتل: ﴿مَّوۡقُوتٗا﴾ مفروضًا.

والقول الأول أولى، والقاعدة: إذا احتمل اللفظ معاني عدة، ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها.قال ابن تيمية رحمه الله:"والموقوت: قد فسره السلف بالمفروض، وفسروه بماله وقت. والمفروض هو المقدر المحدد، فإن التوقيت والتقدير والتحديد والفرض ألفاظ متقاربة، وذلك يوجب أن الصلاة مقدرة محدودة مفروضة موقوتة، وذلك في زمانها وأفعالها". مجموع فتاوى ابن تيمية (٥٤٣/٢٢).

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٦١/٥)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٠٥٧/٤)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٩٩/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٩٨/٩)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٧٤/٥).

(٣) ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١٠٤/١)، وجامع البيان للطبري (٢٦٢/٥)، ومعاني القرآن للزجاج (١٠٠/٢)، والمفردات للرغب (ص٥٣٥)"وهن"، والكشاف للزمخشري (٥٩٤/١).

(٤) الأَلَم: الوجع الشديد، يقال: أَلِمَ يَأْلَمُ أَلَمًا فهو آلِم.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٠٠/٢)، والمفردات للراغب (ص٢١)"الألم".

ذلك ترجون من الأجر والثواب والنصر الذي وعدكم الله، وإظهار دينكم.

﴿مَا لَا يَرْجُونَ﴾ لأن المشركين لا يرجون الثواب؛ لأنهم لم يقرّوا بالبعث.(١)

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ أي: بمصالحكم. ﴿حَكِيمًا﴾ أي: في تدبير أموركم.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية، نزلت في رجلٍ سرقَ درعًا وجعلها في غِرارَةِ دقيق،(٢) وكان فيها خَرْق، فانتثر الدقيق من مكان سرقته إلى باب منزله، فأظَنَّ به(٣) أنه سارق الدرع، وخيض في أمره،(٤) فمضى بالدِّرع إلى رجل من اليهود فأودعها إياه، ثم صار إلى قومه، فأعلمهم أنه لما اتُّهم بالدرع اتبع أثرها، فعلَّم أنها عند اليهودي، وأن اليهودي سارقها، فجاء قوم هذا الشخص إلى النبي ﷺ فسألوه أن يعذره عند الناس، وأعلموه أن اليهودي صاحب الدرع، وكان بعضهم قد عَلم أن اليهودي بريء من الدرع، فهمَّ النبي ﷺ أن يعذره، فأوحى الله تعالى إليه، وعرَّفه قصة ذلك السارق، وأعلمه أنه خائن، ونهاه عن الاحتجاج له، وأمره بالاستغفار عما همَّ به، وأن يحكم بما أنزل الله في كتابه.(٥)

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٦٢/٥)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١٠٨/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٥١/١).

(٢) الغِرَارَة: وعاء من جلد.

ينظر: العين للخليل (٣٤٦/٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٥/٨)"غر".

(٣) أي: اتهمه به، والظَّن، والظِنَّة: الشك والتهمة. وفلان ظنين، أي: متهم.

ينظر: النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (١٦٣/٣)، ولسان العرب لابن منظور (٢٧٢/١٣)، وتاج العروس للزبيدي (٣٦٥/٣٥)"ظنن".

(٤) من خاض في الأمر يخوض، والأمر مخوض فيه، والخوض: اللبس في الأمر، وخاضوا في كذا، أي: كثروا فيه الكلام وخلطوا به الكذب.

ينظر: المفردات للراغب (ص١٦١)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٢٤٨/١)"خوض".

(٥) أخرج هذا السبب الطبري في جامع البيان (٢٦٧/٥)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (٣٨٠/٣)، والواحدي في أسباب النزول (ص٣٢١)، والبغوي في معالم التنزيل (٤٧٧/١)، وابن الجوزي في زاد المسير (١٩٠/٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وضعف إسناده الدكتور حكمت بشير في تحقيقه على تفسير

وقوله: ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ أي: بما علَّمك الله وأوحاه إليك.(١) ثم أكد النهي عن مخاصمة له بقوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾. ﴿يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: يستترون خيانتهم،(٢) ولا يمكنهم أن يستتروا عن الله. ﴿وَهُوَ مَعَهُمۡ﴾ أي: علمه محيط بهم.(٣)

﴿إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ كل ما فُكِّر فيه، أو خِيض فيه بليلٍ فقد بُيِّت.(٤) ﴿مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ أن قال: أرمي اليهودي بأنه سارق، وأحلف أني لم أسرقها، فيقبلون يميني ولا

ابن كثير (٣/٢١١).

(١) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٣/٣٨١)، والنكت والعيون للماوردي (١/٥٢٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/٤٧٥)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٤٧٧)، والتفسير الكبير للرازي (١١/٢٧).

(٢) الاستخفاء: الاستتار، وأخفيت الشيء أي: سترته.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٧/٢٤٢)، وتاج العروس للزبيدي (٣٧/٥٦٢)"خفي".

(٣) قاله عامة المفسرين. وهذا قول أهل السنة. وقالت الجهمية والقدرية والمعتزلة: هو تعالى بكل مكان، -تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا-. قال ابن تيمية يرحمه الله:"وليس معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ﴾ [الحديد:٤]، أنه مختلط بالخلق، فإن هذا لا توجبه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق". العقيدة الواسطية (ص٢٨).

ينظر: السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (١/٣٠٦)، وجامع البيان للطبري (٥/٢٧١)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٥/٤٩٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٥٥٣)، والعلو للعلي الغفار للذهبي (ص٢٣٤).

(٤) يقال: باتَ الرجلُ إذا سهر الليلَ كله في طاعة أو معْصية. والبيتوتة: دخولُك في الليل. ويقال: هذا أمرٌ دبِّر بليل وبُيِّتَ بليل بمعنى واحد.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/٢٧١)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/١٠١)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٤/٢٣٨)"بيت".

يقبلون يمين اليهودي. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ أي: علمه أحاط بأقوالهم وأفعالهم، فلم يَخْفَ عليه منها شيء. ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ﴾ خطاب لمن جادل لقوم هذا السارق.[١] أي: يا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ﴾ أي: خاصمتم أشدّ خصومة، إذ المجادَلة مشتقة من الجدْل، وهو شدة الفتل.[٢]

وقوله: ﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ أي: من يقوم بدفع عذاب الله عنهم؟ والوكيل: من جُعل إليه القيامَ بالأمور،[٣] ويوصف الله تعالى بالوكيل؛ لأن حكمته اقتضت أن يتولى تدبير الخلق. وقوله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ إنما فرّق بينهما؛ لأن المراد بعامل السوء: المجادل عن الخائن، وبالظالم نفسه: الخائن.[٤] ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾. قوله: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا﴾ إنما فرّق الله بينهما؛ لأن الله تعالى سمى بعض المعاصي خطيئةً، وبعضها إثمًا، فأعلم أن من كسب معصية واقعًا عليها اسم الإثم أو اسم الخطيئة.[٥] ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾ أي: بما كسبه من لم يعمله وهو منه بريء.

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٧٢/٥)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٠٦٢/٤)، والتفسير الكبير للرازي (٣٠/١١).

(٢) المجادلة: المخاصمة، يقال: جادَلَه: خاصمه، مجادَلةً وجدَالًا، والاسم: الجدَل، وهو: شدة الخصومة، قال ابن منظور (الجدل): "شدة الفتل، وجدلت الحبل أجدله إذا شددت فتله". لسان العرب ١٠٣/١١ (جدل)

ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٠٢/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٣٤٢/١٠)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (١٤١/١)"جدل"، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (٢٦٩/١).

(٣) يقال: واكلت فلانًا مواكلةً: إذا اتكلت عليه وفوضته إليه، والوَكيل في صفته سبحانه وتعالى بمعنى: الموكول إليه بتدبير خلقه والقيام بمصالحهم.

ينظر: العين للخليل (٤٠٥/٥)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٣٦/٦)، وتاج العروس للزبيدي (٩٦/٣١)"وكل".

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٧٢/٥)، والكشف والبيان للثعلبي (٣٨٣/٣)، والكشاف للزمخشري (٥٩٧/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٩٤/٢).

(٥) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٠٣/٢)، والتفسير الكبير للرازي (٣٠/١١)، والجامع لأحكام القرآن

﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ أي: وزرًا ظاهرًا.(١) والبهتان: الذي تُحيِّر المكذوب عليه فيه، لأنه تُكُذِّبَ في وجهه مغالبة ووقاحة.(٢)﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ أي: بالنبوة والوحي والعصمة. ﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ أي: لتَمَّ ما همُّوا به، لأن همَّهم قد وقع.(٣) ﴿أَن يُضِلُّوكَ﴾ يعني: أن يُخطِّئُوك في الحكم.(٤)

﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: وما يهلكون.(٥)[٣٤/أ]

﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ﴾ أي: لأن الله يعصمك ويُطلعك على ما هو الصواب والرشد.

وقوله: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾ معنى النجوى في الكلام: ما تنفردُ به الجماعة أو الاثنان سرًّا كان أو ظاهرًا،(٦) أي: لا خير فيما يدبرونه بينهم من الكلام.

للقرطبي (٣٨٠/٥)، ولباب التأويل للخازن (٥٩٦/١).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٧٤/٥)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٧٩/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣٦١/٣).

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٠٣/٢)، ومعاني القرآن للنحاس (١٨٨/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٣٢/٦)، ولسان العرب لابن منظور (١٢/٢)"بهت".

(٣) ينظر: معاني القرآن للنحاس (١٨٨/٢)، والمفردات للراغب (ص٥٤٥)"همم"، والبحر المحيط لأبي حيان (٣٦٢/٣).

(٤) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٠٤/٢)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٥٨/٢)، وتاج العروس للزبيدي (٣٤٣/٢٩)"ض ل ل".

(٥) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٧٥/٥)، ومعاني القرآن للزجاج (١٠٤/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٣٨٣/٣)، والمفردات للرغب (ص٢٩٨)"ضل".

(٦) قاله الزجاج. يقال: نجوت الشيء: إذا خَلَّصتُه وألقَيتُه، ونجوت الجلْد إذا ألقيتُه عن البعير وغيره. وأصل النجوى: السرّ بين اثنين أو أكثر.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٠٤/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٣٥/١١)"نجا"، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٩٩/٥)"نجو".

﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ المعروف: كل ما كان من أعمال البرّ.(١)

وقوله: ﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ أي: طلب مرضات الله.

وقوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾ أي: يخالف.(٢)

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ﴾ أي: بالآيات والمعجزات.

﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيه دليل أن الإجماع حجة.(٣)

قوله: ﴿مَا تَوَلَّىٰ﴾ أي: نَكِلُه في الآخرة إلى ما تولّى في الدنيا، ولا يُغنيه ذلك شيئًا، ولا يدفع عذاب الله.(٤) ﴿وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾.

---

(١) قاله الطبري والبغوي. وقال الراغب:"والمعروف: اسم لكل فعلٍ يعرف بالعقل أو الشرع حسنُه". المفردات (ص٣٣١) "عرف".

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/٢٧٦)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٤٧٩)، ولسان العرب لابن منظور (٩/٢٣٦)، وتاج العروس للزبيدي (٢٤/١٣٣)"عرف".

(٢) قاله جمهور المفسرين، وأهل اللغة.وأصله من: المشاقة، وهي كون كل واحد من المخالفين في شقٍّ غير شق الآخر. والشقاق: العداوة.قال ابن كثير رحمه الله:" أي: ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ فصار في شقٍّ والشرع في شقٍّ، وذلك عن عمدٍ منه بعد ما ظهر له الحق وتبين له واتضح له". تفسير القرآن العظيم (١/٥٥٥).

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/٢٧٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/١٩٠)، والمفردات للراغب (ص٢٦٤)"شق".

(٣) وممن استدل بها الإمام الشافعي رحمه الله.

ينظر: الأم للشافعي (٦/٢٠٠)، وأحكام القرآن للشافعي (١/٣٩)، وقواطع الأدلة في الأصول للسمعاني (١/٤٦٤)، وروضة الناظر لابن قدامة (ص١٣١)، وإعلام الموقعين لابن القيم (٤/١٥١).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٥/٢٧٧)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/١٠٧)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٤٨٠)، ولباب التأويل للخازن (١/٥٩٨).

وفي قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ ردٌّ على الوعيدية[١] الذين يقولون بتخليد مرتكبي الكبائر في النار إذا لم يتوبوا.[٢]

قوله تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: ما يعبدون من دون الله ﴿إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ يعني: اللات[٣]والعزى[٤]وأشباههما من الأصنام التي كانوا يعبدونها ويدعونها في حوادثهم.[٥]

---

(١) الوعيدية: هم الخورج والمعتزلة، أفرطوا في الوعيد فقالوا بخلود الفساق في النار، وأخرجوهم من الإيمان بالكلية، وكذَّبوا بشفاعة النبي ﷺ.

ينظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/١١٤)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٣/٣٧٤)، والصواعق المرسلة لابن القيم (٢/٤٥٤)، وتاج العروس للزبيدي (٩/٣١٠)"وعد".

(٢) ينظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة (٢/٨٣٦)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٧/٤٨٣)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص٣٦٠).

(٣) اللات: صنم لثقيف كان بالطائف، سمي برجل كان يلتّ عنده السمن ويطعمه الحجاج، فلما مات عكفوا على قبره، فجعلوه وثناً.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٧/٥٨)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٤/١٧٩)"لت"، ولسان العرب لابن منظور (٢/٨٢)"لتت"، وتيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبد الله (ص١٤٤).

(٤) العزَّى: كانت صخرة بيضاء منقوشة عليها بيت بالطائف، له أستار وسدنة، وحوله فناء معظم عند أهل الطائف.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٧/٥٩)، والمفردات للراغب (ص٣٣٣)"عز"، وتيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبد الله (ص١٤٤).

(٥) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/٢٧٨)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٤/١٠٦٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/١٩١)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٣٨٧)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/٢٠٣).

وكان في كل واحدة منهن شيطان يتراءى للسدنة[1] والكهنة[2] يكلمهم، فذلك قوله: ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾[3] أي: عاتيًا خارجًا من الطاعة.[4]

﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ﴾ أي: وقال الشيطان: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ يعني: حظًّا معلومًا،[5] فما أُطيع فيه إبليس حظٌّ مفروض، ونصيبه من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون.[6] ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ يعني: عن الحق.

---

(١) السَّدَنة: جمع سادن، وهو الذي يخدم الأصنام. ومنه سدَانة الكعبة: خدمتها وتولي أمرها.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٢/٢٥٣)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٢/٣٥٥)، وتاج العروس للزبيدي (٣٥/١٨٠)"سدن".

(٢) الكهنة: جمع كاهن، والكاهن: الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدَّعي معرفة الأسرار.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٦/١٨)، وتهذيب الأسماء للنووي (٣/٢٩٨)، ولسان العرب لابن منظور (١٣/٣٦٣) "كهن".

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

ينظر: معالم التنزيل للبغوي (١/٤٨١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/٢٠٣)، ولباب التأويل للخازن (١/٥٩٨)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/٢٠٣).

(٤) أصل الْمَرِيْد: المارد، وهو المتمرد العاتي الخارج عن الطاعة. يقال: مَارِدٌ ومَرِيد، ومَرَدَ على الشيء، أي: عتا وطغى، فمن كان شديد البعد عن الطاعة يقال له مَرِيْد ومَارِد.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٢/١٩٣)، ولسان العرب لابن منظور (٣/٤٠٠)، وتاج العروس للزبيدي (٩/١٦٤)"مرد".

(٥) قاله جمهور المفسرين وأهل اللغة.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/٢٨١)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/١٠٨)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٣٨٨)، والمفردات للراغب (ص٣٧٦)، ولسان العرب لابن منظور (٧/٢٠٢)"فرض".

(٦) قاله الحسن، وقتادة، ومقاتل بن سليمان. وهذا صحيح، يعضده ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله ﷻ يوم القيامة: يا آدم، يقول: لبيك ربنا وسعديك، فينادَى بصوت: إن الله يأمرك أن تُخرِج من ذريتك بعثًا إلى النار، قال: يا رب وما بعث

﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ أي: لأعدنهم طول العمر، ونيل كل مراد، ليغتروا بآمالهم وأمانيهم.[١]

﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ أي: يشقّقن.[٢]

وهذا في البَحِيرة.[٣] ﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ معناه: أنَّ الله ﷻ خلق الأنعام ليركبوها ويأكلوها، فحرَّموها على أنفسهم، وخلق الشمس والقمر والحجارة والأرض مسخرة للناس في منافعهم، فعبدها المشركون وغيَّروا خلق الله.[٤]

النار؟ قال: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين... » الحديث. (صحيح البخاري (٤/١٧٦٧)، برقم: (٤٤٦٤) كتاب تفسير القرآن/باب ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾[الحج:٢]، وصحيح مسلم، (١/٢٠١)، برقم: (٢٢٢) كتاب الإيمان/باب قوله: يقول الله لآدم: أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين.

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٢٥٧)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٤/١٠٦٩)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٤٨١)، والكشاف للزمخشري (١/٥٩٩)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/٣٨٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٥٥٧).

(١) ينظر: النكت والعيون للماوردي (١/٥٣٠)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٤٨١)، ولباب التأويل للخازن (١/٥٩٩).

(٢) البَتْكُ: قطع الأذن من أصلها. يقال: بَتَكْتُ الشيء أي: قطعتُه، وسيف باتك أي: قاطع للأعضاء. ينظر: العين للخليل (٥/٣٤٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٠/٨٩)، والمفردات للراغب (ص٣٦)"بتك".

(٣) قاله جمهور المفسرين. والبَحِيرَة: الناقة إذا أُنتِجت خمسة أبطن وكان آخرها ذكَرًا شقُّوا آذانها ولم ينتفعوا بها.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/٢٨١)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٤/١٠٦٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/١٩٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/٤٨١)، وإغاثة اللهفان لابن القيم (١/١٠٦).

(٤) قاله الزجاج رحمه الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/٢٨٢)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/١١٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/١٩٥)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٣٨٩)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٤٨٢)، وإغاثة اللهفان لابن القيم (١/١٠٦).

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من سنة الله تعالى في كتابه المنزَّل أن يُتبع الوعيد بالوعد، والوعد بالوعيد، وإذا قصَّ قصة الفرقة العاصية، ووصف ما ينالها من العقوبات الهائلة، أعقبها بوصف أحوال الجماعة المطيعة، وما أعدَّ لها من أنواع نعيمه: الجنان، وما لا يُدركه الوصف، ولا يناله الوهم من صنوف السعادات؛ ليقترن الوعد بالوعيد، والرهبة بالرغبة.(١) قوله: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ كأنه ذكر الفعل مؤكدًا بالمصدر، ووصف بكونه حقًّا زيادةً في التوكيد والتحقيق.(٢)

قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾وذلك أن قريشًا قالت: لا نُبعث ولا نُحاسب، وقالت أهل الكتاب:﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة:٨٠]، فأنزل الله هذه الآية: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾.(٣) لما نزلت هذه قال أهل الكتاب: نحن وأنتم سواء، حتى نزلت: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾.(٤) وفي الحديث: «إنَّ المؤمن إذا مرض أو حزن أو أصابه لَأْواء فهو ما يُجْزَى به».(٥) ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ أي: في دفع

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٢/١١٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٥٥٧)، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (٢/٣٢٢)، وروح المعاني للألوسي (٥/١٥١).

(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري (١/٦٠٠)، والتفسير الكبير للرازي (١١/٣٦)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/٣٩٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/٣٧١).

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤/١٣٧٦) برقم (٦٩٢)، والطبري في جامع البيان (٥/٢٩٠)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٤/١٠٧٠)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (٣/٣٨٩) عن مجاهد. وصححه الدكتور حكمت بشير في تحقيقه على تفسير ابن كثير (٣/٢٢٢).

(٤) رواه الطبري في جامع البيان (٥/٢٨٨)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٤/١٠٧٢)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (٣/٣٩١)، والبغوي في معالم التنزيل (١/٤٨٤)، والرازي في التفسير الكبير (١١/٤٤) عن مسروق مرسلًا.

(٥) لم أقف عليه بهذا اللفظ، ولكن أخرج مسلم في صحيحه بمعناه عن أبي هريرة ﷺ قال: لما نزلت:

جزاء عمله عنه.وقوله: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ أي: لا يُظلمون مقدار النقطة التي في ظهر النواة،(١) وهي منبت النخلة.

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ أي: توجَّه بعبادته إلى الله تعالى خالصًا، وأخلص له دينه.(٢) ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: موحِّدٌ.(٣) ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ أي:

﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ بلغت من المسلمين مبلغًا شديدًا، فقال رسول اللهِ ﷺ: «قاربوا، وسددوا، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة، حتى النكبة يُنكَبُها، أو الشوكة يُشاكُها». (صحيح مسلم (١٩٩٣/٤)، برقم: (٢٥٧٤)كتاب البر والصلة والآداب/باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض). وفي مسند الإمام أحمد (١١/١)، برقم: (٦٨) عن أبي بكر الصديق ﷺ قال: يا رسول الله، كيف الصلاح بعد هذه الآية: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾، فكل سوء عملنا جُزينا به؟ فقال رسول الله ﷺ:«غفر الله لك يا أبا بكر، ألست تمرض؟ ألست تَنصَب؟ ألست تحزَن؟ ألست تصيبُك اللَّأْواء؟ قال: بلى، قال: فهو ما تُجزَونَ به». وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم: (٣٤٣٠).

(١) قاله أكثر المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٩٦/٥)، ومعاني القرآن للزجاج (١١٢/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٩١/٩)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٦٨/٥)"نقر"، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٨٣/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٠٩/٢).

(٢) قاله مقاتل بن سليمان، وأبو العالية، والربيع، وسعيد بن جبير.

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٧٢/١)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٠٧٣/٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٩٩/٥).

(٣) قاله الثعلبي في الكشف والبيان (٣٩٢/٣)، والواحدي في الوجيز (٢٩٢/١)، وذكره الخازن في لباب التأويل (٦٠٢/١) ونسبه إلى ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال ابن كثير:"﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ أي: أخلص العمل لربه ﷻ فعمل إيمانًا وإحتسابًا. ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: اتبع في عمله ما شرعه الله له وما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق، وهذان الشرطان لا يصح عمل عامل بدونهما، أي: يكون خالصًا صوابًا، والخالص:

مسلمًا مخلصًا.[١] ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ أي: صفيًا.[٢]

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: إبراهيم الذي جعله الله خليله هو عبد الله ﷺ، فهو له وكل ما في السماوات والأرض، لا يخرج شيء عن مِلكه ومُلكه.[٣]

وقوله: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ أي: يستخبرونك.[٤][٣٤/ب]

﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا

أن يكون لله، والصواب: أن يكون متابعًا للشريعة، فيصح ظاهره بالمتابعة وباطنه بالإخلاص، فمتى فقد العمل أحد هذين الشرطين فسد، فمتى فقد الإخلاص كان منافقًا وهم الذين يراؤون الناس ،ومن فقد المتابعة كان ضالًا جاهلًا، ومتى جمعهما كان عمل المؤمنين". تفسير القرآن العظيم (١/٥٦٠).

(١) هذا قول السدي، ومجاهد. وأصل الحنيف: المائل، ومعناه: المائل عن الشرك قصدًا، أي: تاركًا له عن بصيرة، ومقبل على الحق بكليته لا يصده عنه صاد ولا يرده عنه راد.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٥٦٤)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٤/١٠٧٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (٥/٧١)"حنف"، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٣٩٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/١٨٧).

(٢) قاله ابن عباس رضي الله عنهما. وأصل الخليل: المحب الذي ليس في محبته خلل، وسمي إبراهيم خليل الله لأنه تخللت محبته جميع أجزاء القلب والروح، فلم يبق فيها موضع خال من حبه.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/١١٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٣٩٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٤٨٤)، ولباب التأويل للخازن (١/٦٠٣)، ومفتاح دار السعادة لابن القيم (٢/٣٢).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٥/٢٩٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/١١٤)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢/١٤٨١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/٤٠٢).

(٤) قاله جمهور المفسرين. وأصل الإفتاء والفتيا: تبيين المشكل من الأحكام. يقال: أفتى الفقيه في المسألة: إذا بيَّن حكمها، واستفتيتُ إذا سألتُ عن الحكم.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٤/٢٣٤)"فتا"، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/٤٧٤)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٢/١٤٦)"فتى".

﴿تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ كانوا في الجاهلية لا يؤتون النساء والصبيان شيئًا.[(١)]

وقوله: ﴿وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ﴾ أي: ويفتيكم أن تقوموا ﴿لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ أي: بالعدل.[(٢)] ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا﴾ لم يخفَ عليه ذلك، وجازاكم عليه الجنة.

﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا﴾ وتعاليًا عن صحبتها كراهةً لها وبغضًا.

أصل النُشوز في اللغة: التعالي والارتفاع، من النشز للمكان المرتفع.[(٣)]

والبَعْل: الزوج، وأصلُه السيد.[(٤)]

وقوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا﴾ أي: أن يُصلحا فيما بينهما على شيء يُبقي الزوجية والأُلفة بينهما ويُزيل النُّشوز. وكانت اليتيمة إذا كانت دميمة في الجاهلية ولها مالٌ، لا يتزوجها وليها لدمامتها، ولا يزوّجها غيره من أجل مالها.[(٥)]

---

(١) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، وسعيد بن جبير، والكلبي.

ينظر: تفسير عبد الرزاق الصنعاني (١/١٧٤)، وجامع البيان للطبري (٥/٣٠٠)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٤/١٠٧٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٥٦٢).

(٢) (القِسْطُ) بكسر القاف: العدل، والفعل منه (أَقسَطَ) بالألف. و(القَسْطُ) بفتح القاف: الجورُ، والفعل منه (قَسَطَ) إذا جار وظلم فهو قاسط.

ينظر: العين للخليل (٥/٧١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٨/٢٩٨)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٢/١٩٢)"قسط".

(٣) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١١/٢٠٨)، والمفردات للراغب (ص٤٩٣)، ولسان العرب لابن منظور (٥/٤١٧)"نشز".

(٤) ينظر: العين للخليل (٢/١٤٩)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (١/٩٧)، وتاج العروس للزبيدي (٢٨/٩٨)"بعل".

(٥) قاله بنحوه ابن عباس رضي الله عنهما، ولفظه:"فكان الرجل في الجاهلية تكون عنده اليتيمة فيلقي عليها ثوبه، فإذا فعل بها ذلك لم يقدر أحد أن يتزوجها أبدا، فإن كانت جميلة وهويها تزوجها وأكل مالها، وإن كانت دميمة منعها الرجل أبدًا حتى تموت فإذا ماتت ورثها، فحرم الله ذلك ونهى عنه". رواه

قوله:﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ أي: تشحُّ كل واحد منهما بحقه الذي عند صاحبه.[١]

﴿وَإِن تُحْسِنُوا۟﴾ أي: إن أحسنتم إلى النساء بترك النشوز أو بالمصالحة.

﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ أي: تحرَّزتم من سخط الله، فلم تتعدّوا ما حدَّه لكم في أمرهنّ.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ أي: علم الله ذلك منكم وأثابكم عليه.

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ أي: لن تقدروا على التسوية في الحب بينهن ولو اجتهدتم؛[٢] لأنَّ ميل الطباع والشهوة ليستا إليكم.

﴿فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ أي: لا تنقادوا لطباعكم كل الانقياد، بل جاهدوا شهواتكم بعقولكم، وتحرَّوا النَّصَفة[٣] طاقتكم. ﴿فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ أي: لا

الطبري في جامع البيان (٣٠٤/٥)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١٠٧٧/٤)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (٣٩٣/٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢١٣/٢). وحسن إسناده الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٢٤٤/٢).

(١) قاله الحسن، وابن زيد، والزجاج. والشُّح: البخل مع الحرص. وتشاح الرجلان على الأمر: لا يريدان أن يفوتهما.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣١١/٥)، ومعاني القرآن للزجاج (١١٦/٢)، والنكت والعيون للماوردي (٥٣٣/١)، والمفردات للراغب (ص٢٥٦)"شح".

(٢) روى الطبري في جامع البيان (٣١٤/٥)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١٠٨٣/٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعبيدة السلماني، والحسن في قوله تعالى:﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ يعني: في الحب والجماع. وحسن إسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٢٤٦/٢).

(٣) النَّصَفَة: العدل. والإنصاف في المعاملة: العدالة.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٤٢/١٢) والمفردات للراغب (ص٤٩٥)"نصف".

أيّمًا[(١)] ولا ذات زوج.[(٢)] ﴿وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ أي: إن أصلحتم ما أفسدتم بظلم النساء إلى هذه الغاية بترك ما نهيتم عنه في بابهن، واتقيتم الله فلم تعاودوا.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ غفر الله لكم ما سلف منكم.

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ أي: يبدل عن صاحبه ويتسلى قلبه عنه.[(٣)]

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا﴾ أي: جوادًا.[(٤)] وهو واسع الفضل، واسع الرزق، واسع الرحمة، واسع القدرة، يصح وصفه تعالى بالواسع؛ لما فيه في المبالغة في الصفة.[(٥)]

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: ﴿يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ إذ كل ما في السموات وما في الأرض فهو له، فهو الغني المغني مطلقًا.

﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فالوصية بالتقوى

---

(١) الأيِّم: من لا زوج لها، بكرًا كانت أم ثيبًا. يقال آم الرجل يئيم أيمةً، إذا لم تكن له زوجة، وكذلك المرأة إذا لم يكن لها زوج.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٥/٤٤٦)"آم"، والمفردات للراغب (ص٣٢)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (١/٥٥)"أيم".

(٢) قاله عامة المفسرين.

ينظر: صحيح البخاري (٤/١٦٨٠) باب ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا﴾، وجامع البيان للطبري (٥/٣١٦)، ومصنف ابن أبي شيبة (٣/٥١٩)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٤/١٠٨٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/١/٤٨٧).

(٣) ينظر: معالم التنزيل للبغوي (١/٤٨٧)، والتفسير الكبير للرازي (١١/٥٥)، ولباب التأويل للخازن (١/٦٠٧).

(٤) ينظر: غريب القرآن لابن عزيز السجستاني (ص٤٧٨)، وتهذيب اللغة للأزهري (٣/٦١)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٢/٢٩٦)"وسع".

(٥) ينظر: جامع البيان للطبري (٥/٣١٧)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢/١٤٩٠)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٤٨٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٥٦٥).

وصية الأولين والآخرين. ﴿وَإِن تَكۡفُرُواْ﴾ يعني: فأنفسكم ضررتم.

﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا﴾ يعني: عن الأولين والآخرين، قديرٌ على ما يشاء. وقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ أي: قيِّمًا بالتدبير،[1] فتدبيره فوق كل تدبير. ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ﴾ أي: يُفنيكم[2] ﴿أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾ أي: وينشئ أممًا بدلا منكم. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: من كان يريد ثواب الدنيا فليطلبْه عند الله؛ لأنَّ الملك له في الدنيا والآخرة، لا ينقص أحدهما بالآخر.[3]

قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا﴾ أي: يسمع ما يقال باللسان. ﴿بَصِيرًا﴾ أي: يُبصر ما يُسرّ في الجنان.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ أي: الزموا العدل.[4]
والقوَّام: بناء مبالغةٍ على تدبير الخلق، من أقام كذا: إذا ثبت عليه.[5]

---

(١) الوكيل في صفته سبحانه وتعالى بمعنى: الموكول إليه بتدبير خلقه والقيام بمصالحهم. يقال: وأكلت فلانًا مواكلةً: إذا اتكلت عليه وفوضته إليه، والتوكل: الاعتماد.

ينظر: العين للخليل (٥/٤٠٥)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦/١٣٦)، والمفردات للراغب (ص٥٣١)، وتاج العروس للزبيدي (٣١/٩٦)"وكل".

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٥/٣١٩)، والمفردات للراغب (ص١٨١)"ذهب"، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٤٨٨)، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص٤٢٤).

(٣) ينظر: معاني القرآن للنحاس (٢/٢١٠)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/٢٢١)، والتفسير الكبير للرازي (١١/٥٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٥٦٥).

(٤) قاله عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/٣٢٠)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٤/١٠٨٦)، والنكت والعيون للماوردي (١/٥٣٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٥٦٦).

(٥) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/١١٧)، والمفردات للراغب (ص٤١٦)"قوم"، والمحرر الوجيز لابن

﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ المعنى: كونوا شهداء لله. أي: في رضا الله على عباده.(١)

﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ ذلك هو الإقرار على النفس بما يتوجه من الحق عليها.

﴿أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ أي: اشهدوا على آبائكم وأمهاتكم وأقربائكم.

﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ يعني: المشهود عليه، فلا تتركوا القسط تقربًا إلى الغني، ولا رحمة إلى الفقير، بل ليستويا عندكم في الشهادة عليهما. ﴿فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾أي: أرفق بالفقير وأعرف بالغنيّ.(٢) ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟﴾ أي: اجتنبوا الهوى [٣٥/أ] لتكونوا عُدولًا مقبولي الشهادة.

﴿وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟﴾ هو من لويتُ الشيء، أي: قلبت عن وجهه.(٣)

وليّ الشاهدين: أن يقلبا الشهادة بالحق إلى الباطل، يعني: إن قلبتم إقامة العدل في الشهادة أو أعرضتم عن ذلك بالتحريف والكتمان جازاكم الله عايه.(٤)

عطية (٢/١٢٢)، ولسان العرب لابن منظور (١٢/٤٩٦)"قوم".

(١) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٣/٣٩٩)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٤٨٩)، والكشاف للزمخشري (١/٦٠٨).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٥/٣٢١)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٤/١٠٨٦)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٣٩٩).

(٣) أصل اللّي: تحريف الكلام. قال ابن تيمية رحمه الله:"واللي هو: الكذب، والإعراض: كتمان الحق". مجموع الفتاوى
(٢٨/٢٣٥).

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٢/٢١٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٥/٣٣٢)، ولسان العرب لابن منظور (١٥/٤١٣)"تلو".

(٤) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/٣٢٣)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٤/١٠٨٩)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/٤٨٩)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/١٢٣).

قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُ ﴾ هو خطاب للمؤمنين، والمعنى لقوله: ﴿ءَامِنُواْ ﴾ اثبتوا على الإيمان.(١) ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ المعنى: من يكفر بواحدٍ فقد كفر واستحق من العقوبة ما يستحق به على الكفر بالكل، تعظيما لذنب الكفر على الإطلاق.(٢) نزلت في عبد الله بن سلام ﷺ(٣)وجماعة، قالوا لرسول الله ﷺ: نؤمن بك، وبكتابك، وبموسى، والتوراة، وبعُزَير، ونكفر بما سوى ذلك من الكتب والرسل، فأنزل الله هذه الآية.

فآمَنوا بالكلّ، ودخلوا في الإسلام.(٤) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ﴾ نزلت في المنافقين الذين كانوا إذا لقوا المؤمنين ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴾[البقرة:١٤].(٥) وازْديادهم كُفرًا موتهم عليه.(٦)

---

(١) قاله أكثر المفسرين.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٢/٢١٥)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٤٩٠)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/٢٢٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٥٦٧).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٥/٣٢٦)، والتفسير الكبير للرازي (١١/٦١)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٧/١٧٢).

(٣) تقدم ترجمته ص : ٣٩٥

(٤) ذكره السمرقندي في تفسيره (١/٣٧٢)، والثعلبي في الكشف والبيان (٣/٤٠١)، والواحدي في أسباب النزول (ص٣٢٨)، والبغوي في معالم التنزيل (١/٤٨٩) معلقًا عن الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) قاله مجاهد رحمه الله. رواه عنه الطبري في جامع البيان (٥/٣٢٧)، وأورده النحاس في معاني القرآن (٢/٢١٦).

(٦) قاله مجاهد رحمه الله. رواه عنه الطبري في جامع البيان (٥/٣٢٧)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٤/١٠٩١)، وصحح إسناده عنه الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٢/٢٤٩).

قوله: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ إنما قال ذلك مع أنه لا يغفر الشرك والكفر أصلًا إذا مات عليه صاحبه؛ تفحيشًا لحالهم، وتقبيحًا لعملهم السيء، وتخصيصًا لهم بالذكر في نفي الغفران والرحمة عنهم.(١) ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ أي: لا يهديهم إلى طريق من طرق الجنة.

﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ البشارة: هي الإخبار بما يظهر تأثيره في بشرة الوجه سارًا كان أو غامًّا، ثم كثر في السرور حتى غلب عليه، فردَّ هاهنا إلى الأصل.(٢)

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾ هذا استفهام على معنى الإنكار.(٣)

﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ أي: فهو العزيز بذاته، وعِزُّ غيره بإعزازه، فكيف يطلب هؤلاء العزة من عند غيره؟ ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا﴾ يعني: بذلك قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾[الأنعام:٦٨] الآية.(٤)

قوله: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ أي: في استحقاق عذاب الله تعالى.(٥)

---

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/١٢٠)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٤٩٠)، والتفسير الكبير للرازي (١١/٦٢).

(٢) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١١/٢٤٥)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/٢٥١)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (١/١٠١)"بشر".

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/١٢٠)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/٣٨٩)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٥/٢٣٤).

(٤) ينظر: تفسير السمرقندي (١/٣٧٤)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٤٠٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/٤٩٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٤٩١).

(٥) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٢/١٢٥)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/٢٢٨)، والتفسير الكبير للرازي (١١/٦٥)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/٤١٨).

وقوله: ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ أي: ألم نغلب عليكم.(١) ﴿وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: أن تكونوا في جملة أصحاب محمد. ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: يفصل بين أهل الإيمان وبين أهل النفاق والكفر، وهذا تطييب لقلوب المؤمنين بأنه ينتصف لهم منهم. ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ أي: في الآخرة.(٢)

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ أي: يعملون عمل من يخادع غيره بما يُظهره ويبطن خلافه.(٣) ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ أي: يجازيهم على خِداعهم.(٤)

وقوله:﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ التذبذب: الاضطراب والانزعاج، وذَبْذَبَه: جعله يضطرب.(٥)

---

(١) قاله جمهور المفسرين.وأصل الاستحواذ في كلام العرب: الغلبة. يقال: استحوذ على كذا أي غلب عليه. والمعنى: ألم نغلب عليكم حتى قهرتم المؤمنين، ونمنعكم منهم بتخذيلنا إياهم حتى امتنعوا منكم فانصرفوا.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٣١/٥)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٠٩٤/٤)، ومعاني القرآن للزجاج (١٢٢/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٣٣/٥)"حذا"، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤١٩/٥).

(٢) قاله أكثر المفسرين، وهو مروي عن علي بن أبي طالب، وابن عباس ، والسدي .

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٣٣/٥)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٠٩٥/٤)، والمحرر الوجيز ابن عطية (١٢٦/٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤١٩/٥).

(٣) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١١٨/١)، ومعاني القرآن للنحاس (٢٢١/٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (٤٩٣/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٩٢/١).

(٤) قاله أكثر المفسرين.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٢٣/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٣١/٢)، والتفسير الكبير للرازي (٦٦/١١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٦٩/١).

(٥) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢٩٧/١٤)"ذب"، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (١٥٤/٢) "دبذب"، ولسان العرب لابن منظور (٣٨٠/١)، وتاج العروس للزبيدي (٤١٩/٢) "ذبب".

يعني: مرَدَّدين بين الكفر والإيمان، لا إلى الإيمان بإخلاص الإيمان على الإظهار والإبطان، ولا إلى الكفر في الظاهر والباطن، بل هم مضطربون متحيِّرون بما هم عليه من النفاق.

والمجاهرُ أحسن حالًا من المنافق، لأن المجاهر يُرجى فلاحُه بالاستدعاء إلى الحق، والمنافق مأيوس عن دعوته، لإسراره الكفر.(١)

قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا﴾ أي: حجة ظاهرة(٢) في استحقاقكم العقوبة منه، فموالاة الكفار تلزمكم حجة الله في عذابكم.

﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ الدَّرْك في النار كالدرجة [٣٥/ب] في الجنة.(٣) واعلم أنَّ في هذا الدَّرْك توابيت من حديد مُقفَلة في النار، يُطبق عليهم.(٤)

قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ أي: عن النفاق. ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ أي: أعمالهم.(٥)

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٣٥/٥)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٠٩٧/٤)، والكشف والبيان للثعلبي (٤٠٥/٣).

(٢) قاله عامة المفسرين، وأهل اللغة.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٣٧/٥)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٠٩٧/٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٢٢٤/٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (٤٩٥/١)، والمفردات للراغب (ص٢٣٨)"سلط".

(٣) الدَّرْك: كالدَّرَج، لكن الدَّرَج يقال اعتبارا بالصعود، والدَّرْك اعتبارًا بالحدور، ولهذا قيل درجات الجنة ودركات النار، ولتصور الحدور في النار سميت هاوية، والدَّرْك: أقصى قعر البحر.

ينظر: العين للخليل (٣٢٧/٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (٦٥/١٠)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٦٩/٢)"درك".

(٤) أخرج الطبري في جامع البيان (٣٣٨/٥)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١٠٩٨/٤) عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «إن المنافقين في توابيت من حديد مقفلة عليهم في النار». وصحح إسناده الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٢٥٥/٢).

(٥) قاله عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٣٩/٥)، والكشف والبيان للثعلبي (٤٠٦/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي

﴿وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ أي: وثقوا.[١] وقوله:﴿ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ﴾ أي: بلا نفاق. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ أي: هم منهم.

قوله: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ﴾ أي: إن شكرتم نعماءه.

﴿وَءَامَنتُمۡۚ﴾ أي: بالله، فإنه لا يعذبكم.[٢]﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا﴾ أي: يرضى من عباده بالقليل، وهذا من قولهم: ناقة شكور، إذا كان يظهر سمنها عن القليل من العَلَف.[٣]

﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ﴾ هذا لأن المظلوم يجوز له أن يجهر بظلامته تَشكيًا، والظالم يجهر بالسوء من القول ظلمًا واعتداءً.[٤] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا﴾ أي:

(٤٩٣/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٣٥/٢)، والتفسير الكبير للرازي (٧٠/١١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٧١/١).

(١) قاله مقاتل بن سليمان، والربيع ابن أنس.

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣٩١/٢)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٠٩٩/٤)، والكشف والبيان للثعلبي (٤٠٦/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٩٣/١).

(٢) أخرج الطبري في جامع البيان (٣٤٠/٥)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١١٠٠/٤) عن قتادة: قال: «إن الله جل ثناؤه لا يعذِّب شاكرًا ولا مؤمنًا». وحسن إسناده الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٢٥٥/٣).

(٣) الشاكر: من أسماء الله تعالى وصفاته، ومعناه: معطى الجزيل على العمل القليل. ومنه الشكور من الدّوابّ: ما يكفيهِ للسمَن العلف القليل.

ينظر: العين للخليل (٢٩٢/٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٠/١٠)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٢٥١/٢)"شكر".

(٤) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة، ومجاهد رحمهم الله.بسط المسألة في: جامع البيان للطبري (١/٦)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١٥١٠/٢)، والنكت والعيون للماوردي (٥٤٠/١)، والتفسير الكبير للرازي (٧٢/١١).

يسمع تشكي المظلوم. ﴿عَلِيمًا﴾ أي: يعلم ظلم الظالم، وما يستحقه من العذاب.

﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ أراد به الصدقة سرًّا أو علانية.(١) ﴿أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ﴾ أي: عن مظلمة. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ يعني: فإن الله أولى أن يتجاوز عنكم؛ لأنه عفو يقدر على ما يشاء.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ الآية، أراد بهم اليهود والنصارى، قالوا: ﴿نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ فاليهود آمنوا بموسى، وكفروا بعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، والنصارى كفروا بمحمد ﷺ، وأرادوا أن يضعوا دينًا ومذهبًا ينالون معه ما يشتهونه، فيكونون مع ذلك مؤمنين وألحق الله ذلك، فحكم بأنهم كافرون حقًّا.(٢)

وإنما لم يصح الإيمان بالبعض مع الكفر بالبعض؛ لأنَّ كل نبي داعٍ إلى تصديق غيره من الأنبياء، فمن كذَّب واحدًا منهم فقد كذَّب الجميع.(٣)

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ العذاب: إيجاع، وإنما يكون لتأديب، كإيجاع الأولاد لا لإهانة، فمن أجل هذا قال: ﴿مُّهِينًا﴾.(٤)

---

(١) قاله الثعلبي في الكشف والبيان (٣/٤٠٨)، والسمعاني في تفسير القرآن (١/٤٩٦). والأظهر أن الآية عامة في جميع أنواع الخير وأعمال البر. كما قرر ذلك الرازي في التفسير الكبير (١١/٧٣).

(٢) هذا مروي عن قتادة، وقال به عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦/٥)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٤/١١٠٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/٢٢٨)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٤٩٤).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٦/٥)، ولباب التأويل للخازن (١/٦١٦)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (١٢/١١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٥٧٣)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص٤١٦).

(٤) أصل العذاب في كلام العرب: من العَذْب وهو المنع، يقال: عذَّبته عذْبا إذا منعته، وسمي الماء عَذْبا لأنه يمنع العطش، فسمي العذاب عذابًا لأنه يمنع المعاقب من معاودة مثل جرمه، ويمنع غيره من مثل فعله.

قوله: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية، ورد في التفسير: أنَّ يهود المدينة قالوا لنبينا محمد ﷺ: إن كان القرآن كتابَ الله فهلا أنزله جملة واحدة؟ كما أنزل التوراة والزبور وصحف إبراهيم؛[1] فأنكر ذلك منهم؛ لأنه تحكم على الله في طلب المعجزات، لأن حكم العبودية يمنع من إجابتهم، لأن المعجزة إذا أقيمت وظهرت وجب التسليم لها، ومن كابر مكابر فلا يؤمن مكابرته فيما يقترح ما يضاد مسألته.[2]

وقوله: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ صفة للرؤية، أي: رؤية ظاهرة منكشفة.[3]

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ الصاعقة في الأصل: نارٌ يسقط من رعد يحرق ما يُصيبه، ثم صارت اسمًا لكل عذاب شديد وبلاء عظيم.[4]

والمراد به: الموت.[5] لأن الله أماتهم ثم أحياهم بدعاء موسى عليه السلام.

ينظر: العين للخليل (١٠٢/٢)، وتهذيب الأسماء للأزهري (١٩٣/٢)، وتهذيب الأسماء للنووي (١٩٥/٣)"عذب"، والصارم السلول على شاتم الرسول لابن تيمية (١٠٩/٢).

(١) قاله مقاتل بن سليمان في تفسيره (٢٦٨/١)، ورواه الطبري في جامع البيان (٧/٦)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١١٠٣/٤)، عن السدي، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (٤٠٨/٣)، والواحدي في أسباب النزول (ص٣٢٩) بدون سند.

(٢) ينظر: النكت والعيون للماوردي (١٥٦/٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣٣٣/٢)، والتفسير الكبير للرازي (١١٧/١٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٦٦/٢).

(٣) قاله جماهير المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٦)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١١٠٣/٤)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١٥١٤/٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١٣١/٢).

(٤) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٢٢/١)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٨٥/٣)، والمفردات للراغب (ص٢٨١)، وتاج العروس للزبيدي (٢١/٢٦)"صعق".

(٥) هذا قول عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٩٠/١)، والنكت والعيون للماوردي (١٢٣/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٧٤/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٨٣/١).

﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾ أي سمّوا العجل إلهًا بعد أن جاءتهم التوراة التي فيها بيان الحق من الباطل، وذلك غاية التجاهل.

﴿فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا﴾ أي: حجّة ظاهرة من كتاب الله،[١] والعجائب التي أعطاها. ﴿وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمۡ﴾ الطور: الجبل.[٢] هو أنهم امتنعوا من قبول التوراة، والتزام أحكامها، فنُتِق[٣] الجبلُ فوقهم، وقيل: إن قبلتموها وإلا أُرسِل عليكم.[٤] والإلجاء[٥]: إنما لا يكون في ابتداء دعوى النبوة، فأما بعد الإيمان فلله أن يتعبّد بما يشاء، ويلزمهم قبول ذلك.[٦] ﴿وَقُلۡنَا لَهُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾ هذا مفسَّرٌ في سورة

---

(١) قاله عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٩/٦)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١١٠٥/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٩٥/١)، ولباب التأويل للخازن (٦١٧/١).

(٢) باتفاق المفسرين، وأهل اللغة.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢٣٠/٢)، وجامع البيان للطبري (٣٢٥/١)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٣٠/٣)"طور"، والكشف والبيان للثعلبي (١٢٣/٩)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤٥/٨).

(٣) أصل النَّتْق: الجذب والنزع. يقال: نَتَقْنا الجبل: اقتلعناه من أصله، فجعلناه كالمظلة على رؤوسهم، وكل ما اقتلعته فقد نَتَقْتَه، ومنه نَتَقَت المرأة إذا أكثرت الولد، أي: اقتلعت ما في رحمها.

ينظر: العين للخليل (١٢٩/٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (٦٦/٩)، والمفردات للراغب (ص٤٨٢) "نتق".

(٤) روي بمعناه عن ابن عباس رضي الله عنهما، كما في جامع البيان للطبري (١٠٩/٩)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٦١٠/٥). وحسن إسناده الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٧٢/٣).

(٥) الإلجاء هو الإكراه والاضطرار، يقال: أَلجأْتُ فلاناً إلى الشيء إلجاءً إذا اضطررته.

ينظر: العين للخليل (١٧٨/٦)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٣١/١١)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٣٥/٥)"لجأ".

(٦) هذا الإلجاء ليس في أصل الإيمان وإنما هو في بعض الشرائع.قال ابن كثير رحمه الله:"وذلك حين امتنعوا من الالتزام بأحكام التوراة، وظهر منهم إباء عما جاءهم به موسى عليه السلام، رفع الله على رؤسهم جبلا ثم ألزموا فالتزموا". تفسير ابن كثير (٥٧٤/١). وقال السعدي رحمه الله:"حين امتنعوا من قبول ما

البقرة.[1] ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ أي: لا تتجاوزوا في أحكام السبت ما أمرتكم، وهو أن لا تشتغلوا فيه بالاصطياد.[2] ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ الوصف بالغلظ مبالغة في أحكامه وتشديده.[3] ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ﴾ أي: فبنقضهم.[4]

وقوله: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ هو جمع الأغلف، وهو ما صار في غلاف أو وعاء.[5] المعنى: في

في التوراة، فألزمهم الله العمل ونتق فوق رؤسهم الجبل، فصار فوقهم". تفسير السعدي (ص٣٠٨).

وبسط المسألة في جامع البيان للطبري (٩/٦)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٣٧/١)، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢٩٦/١)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص٢٧٧)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤٠٧/١).

(١) تقدم ذلك عند ص : ١٠٦

(٢) قاله عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٩/٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٢٣٠/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٤٠٩/٣)، والتفسير الكبير للرازي (٧٦/١١).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (١٠/٦)، ولباب التأويل للخازن (٦١٧/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤٠٣/٣).

(٤) قاله جمهور المفسرين، وأهل اللغة. والعرب تستعمل (ما) في كلامها توكيداً، وإن كان الذي قبلها يجرّ جررتَ الاسم الذي بعدها، وإن كان مرفوعاً رفعت الاسم، وإن كان منصوباً نصبت الاسم.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١٤٢/١)، وجامع البيان للطبري (١١/٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٢٣١/٢)، والكشاف للزمخشري (٦١٩/١)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (٤٠٤/١).

(٥)ومنه يقال للرجل الذي لم يختتن: أغلف، والمرأة غلفاء، ويقال للسيف إذا كان في غلافه: سيفٌ أغلف وقوس غلفاء.

ينظر: العين للخليل (٤١٩/٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٣٨/٨)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (١٣٤/٢)"غلف".

غطاء أنْ تفهم ما تدَّعيه يا محمد.(١) ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾[٣٦/أ] أي: مجازاة لهم على عنادهم. ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: إلا إيمانًا قليلًا، وهو الإيمان بالبعض.(٢)

﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾ إذ اليهود رمت مريم، وهي صفوة الله على نساء العالمين بالأمر العظيم.(٣)

﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ﴾ هو من المسح، وهو المسير في الأرض لأنه مسح الأرض بسيره.(٤)

قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ جاء في التفسير: أنَّ عيسى صلوات الله عليه، لما أراد الله رفعه إليه وتطهيره منهم، قال لأصحابه: أيُّكم يرضى أنْ يُلقى عليه شبهي، فيُقتل أو يُصلب ويدخل الجنة؟ فقال رجل منهم: أنا، فألقي عليه شهبه، فقُتل وصُلب.(٥)

---

(١) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤٠٦/١)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١١٠٨/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٩٢/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١٣٢/٢).

(٢) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٠/٦)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١٥١٦/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٠٠/٢)، والتفسير الكبير للرازي (٩٦/١٠).

(٣) قال به عامة المفسرين.

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٤٠٩/٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (٤٩٩/١)، والتفسير الكبير للرازي (٧٨/١١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٧٤/١).

(٤) قاله النخعي، وثعلب.

ينظر: العين للخليل (١٥٦/٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٠١/٤)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٣٨٦/١)"مسح"، وتفسير القرآن للسمعاني (٥٤/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٨٩/١).

(٥) روى النسائي في السنن بنحوه مطولا (٤٨٩/٦)، برقم: (١١٥٩١)، كتاب التفسير/تفسير سورة الصف، والطبري في جامع البيان (٩٢/٢٨)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١١١٠/٤)، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:" لما أراد الله ﷻ أن يرفع عيسى عليه السلام إلى السماء، خرج على أصحابه وهم في بيتٍ اثنا عشر رجلا ورأسه يقطر ماء، فقال: أيكم يُلقى شبهي عليه فيقتل مكاني فيكون معي في

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ﴾ وذلك أنَّ الله تعالى ألقى شبه عيسى ﵇ على وجه ذلك الشخص، لا على جسده، فلما نظروا إليه بعد أن قتلوه قالوا: الوجه وجه عيسى، والجسد جسد فلان.(١)

وقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا﴾ أي: ما قتلوا عيسى قتلًا ذا يقين.(٢)

﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ أي: إلى موضع ليس لأحد من الخلق حكمٌ عليه، وهو السماء.(٣)

درجتي؛ فقام شاب من أحدثهم سنًّا فقال: أنا، فقال: اجلس، ثم أعاد عليهم، فقام الشاب فقال: أنا، فقال: اجلس، ثم أعاد عليهم الثالثة فقال الشاب: أنا، فقال عيسى ﵇: نعم أنت، فأُلقي عليه شبه عيسى ﵇، ثم رفع عيسى من روزنة كانت في البيت إلى السماء، وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشاب للشبه فقتلوه ثم صلبوه، فتفرقوا ثلاث فرق، فقالت فرقة: كان فينا الله ﷻ ما شاء ثم صعد إلى السماء، وهؤلاء: اليعقوبية، وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء الله، ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء: النسطورية، وقالت طائفة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله، ثم رفعه، فهؤلاء المسلمون، فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها، فلم يزل الإسلام طامسًا حتى بعث الله محمدًا ﷺ". قال ابن كثير رحمه الله:"وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس". تفسير القرآن العظيم (١/٥٧٦).

(١) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٣/٤١٠)، والوجيز للواحدي (١/٣٠١)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٤٩٦)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/٢٤٥).

(٢) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦/١٧)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٤/١١١١)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢/١٥١٩)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/٤٩٩).

(٣) وهو حيّ في السماء الثانية لما ثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك ﵁ عن النبي ﷺ قال: «... ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خَلَصْتُ إذا يحيى وعيسى، وهما ابنا الخالة، قال: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما؟ فسلمت فردًا ثم قالا: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح... ». الحديث. (صحيح البخاري (٣/١٤١٠)، برقم: (٣٦٧٤) كتب فضائل الصحابة/باب المعراج، وصحيح مسلم (١/١٤٥)، برقم: (١٦٢) كتاب الإيمان/باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات. قال ابن تيمية رحمه الله:"وأجمعت الأمة على أن الله ﷻ رفع عيسى إليه إلى

قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ فكأنه قال: لا أحد من أهل الكتاب إلا والله ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾[1] أي: عند المعاينة حتى لا ينفعه إيمانه.[2]

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ أي: على الذين كان فيهم.

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ أي: بظلمهم أنفسهم بالذنوب التي ذكرناها، من نقض عهدهم، وكفرهم بالآيات، وبهتانهم على مريم.

قوله: ﴿وَبِصَدِّهِمْ﴾ أي: بصرفهم أنفسهم وغيرهم ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: عن دين الله

السماء". بيان تلبيس الجهمية (٢/٤١٩).

ينظر: جامع البيان للطبري (٦/١٧)، والنكت والعيون للماوردي (١/٥٤٤)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/١٣٤)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/٤٠٧).

(١) (إنْ) هنا نافيةٌ بمعنى (ما)، و(من أهل) صفة لمبتدأ محذوف، والخبر الجملة القسمية المحذوفة وجوابها، والتقدير: وما أحد من أهل الكتاب إلا والله ليؤمننَّ به.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/١٣١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/١٣٤)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/٤٠٦)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/٤٠٧)، والدر المصون للسمين الحلبي (٤/١٤٨).

(٢) هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، وعكرمة، والحسن، والسدي.

وروي عن ابن عباس أيضًا، وأبي هريرة ﷺ، وقتادة، وابن زيد، بأن الضميرين في (به) و (موته) عائدان على عيسى عليه السلام، والمعنى: أنه لا يبقى من أهل الكتاب أحدٌ إذا نزل عيسى عليه السلام إلى الأرض في آخر الزمان إلا يؤمن بعيسى عليه السلام قبل موت عيسى عليه السلام إذا قتل الدجال، كما يؤمن سائر البشر، وترجع الأديان كلها واحدًا، وهو دين الإسلام. وهذا القول هو الأقرب، واختاره الطبري، وابن تيمية، وابن كثير، والشوكاني وغيرهم. قال ابن كثير رحمه الله:"ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح، لأنه المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه، وتسليم من سلَّم لهم من النصارى الجهلة ذلك... فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذٍ، ولا يتخلف عن التصديق به واحدٌ منهم". تفسير القرآن العظيم (١/٥٧٨).

ينظر: جامع البيان للطبري (٦/١٨)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٥٠٠)، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٤/٣٥)، وفتح القدير للشوكاني (١/٥٣٤).

﴿كَثِيرًا﴾ أي: صدًّا كثيراً.[١] ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَوٰا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾ أي: في التوراة.[٢] ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ النَّاسِ بِالْبَٰطِلِ﴾ مثل المآكل التي كان يصيبوا بها من عوامهم، وما كانوا يأخذونها في أثمان كتبهم التي كتبوها، وقالوا: هذا من عند الله، وما كانوا يأخذون من الرّشا في الحكم.[٣]

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي: مؤلما.[٤] ﴿لَّٰكِنِ الرَّٰسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ أي: الثابتون في العلم منهم.[٥]

قوله:﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَوٰةَ﴾ أي: يؤمنون بما أنزل إليك وإلى المقيمين الصلاة، وهم الأنبياء.[٦] قوله: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ﴾ جعله الله ثاني المصطفى عليهما

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٤/٦)، وإعراب القرآن للنحاس (٥٠٤/١)، والكشاف للزمخشري (٦٢٣/١)، والدر المصون للسمين الحلبي (١٥١/٤).

(٢) ينظر: تفسير القرآن لابن أبي حاتم (١١١٥/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٩٨/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٨٥/١).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٤/٦)، والكشف والبيان للثعلبي (٤١٣/٣)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١٥٢٧/٢).

(٤) الأليم: المؤلم ، كالسميع بمعنى :المسمع، والألم: الوجع، و التألم: التوجع، والإيلام: الإيجاع.
ينظر: العين للخليل (٣٤٧/٨)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٨٩/١٥)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٣١/١)"ألم".

(٥) رُسُوخ الشيء: ثباته ثباتًا متمكّنًا، يقال: رَسَخَ الشيء رُسوخًا: إذا ثبت في موضعه، والعلم يرسخ في القلب إذا دخل فيه مدخلًا ثابتًا، والراسخ في العلم: المتحقق به الذي لا يعرضه شبهة.
ينظر: العين للخليل (١٩٦/٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (٧٧/٧)، والمفردات للراغب (ص١٩٥) "رسخ".

(٦) قاله الزجاج، والكسائي. وذهب سيبويه، وقال به أكثر المفسرين بأنه نصب على المدح، أي: وأعني المقيمين. فإن العرب تنصب الكلام على المدح والذم، كأنهم يريدون أفراد الممدوح والمذموم فلا يتبعونه أول الكلام بل ينصبونه، وهذا هو الأظهر.

الصلاة والسلام في هذه الآية، والحكمة فيه أنه كان أبو البشر.[١]

قوله: ﴿وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾ أي: أولاد يعقوب.[٢]

وقوله: ﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ هو كتابه المنزل عليه،[٣] وهو من الزُّبُر وهو الكتابة.[٤] كان داود عليه السلام يبرز إلى البرية، فيدعوا بالزَّبور فيقوم ويقرأ، ويقوم معه عُلماء بني إسرائيل فيقومون خلفه، ويقوم الناس خلف العلماء، ويقوم الجن خلف الناس، الأعظم فالأعظم، ويقوم الشياطين خلف الجن، الأعظم فالأعظم، وتجيء الدواب التي هي في الجبال إذا سمعن صوت داود عليه السلام، فيقمن بين يديه تعجبًا لما سمعن منه، وتجيء الطير حتى تظللن على داود وسليمان والجن والإنس، في كثرةٍ لا يحصيها إلا الله، يرفرفن على رؤوسهم، ثم تجيء السباع حتى تخالط الدواب والوحش لما يسمعن.[٥] ﴿وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ﴾ أي: أوردنا

ينظر: كتاب سيبويه (٦٢/٢)، وجامع البيان للطبري (٢٥/٦)، ومعاني القرآن للزجاج (١٣٠/٢)،ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/٦)، والدر المصون للسمين الحلبي (١٥٣/٤).

(١) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٤١٥/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٩٩/١)، والتفسير الكبير للرازي (٨٦/١١)، ولباب التأويل للخازن (٦٢٣/١).

(٢) السِّبط في اللغة يطلق على: شجرة أصلها واحد ولها أغصان كثيرة. والأسباط: هو يوسف عليه السلام وأخوته بنو يعقوب اثنا عشر رجلا، ولد كل رجل منهم أمة من الناس فسموا الأسباط.
ينظر: جامع البيان للطبري (٥٦٦/١)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١١١٨/٤)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٨٣/١)، والمفردات للراغب (ص٣٩٤)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٣٣٤/٢)"سبط".

(٣) قاله عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٨/٦)، وتفسير القرآن للسمعاني (٥٠٢/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٩٩/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٥٥/٢).

(٤) ينظر: العين للخليل (٣٦٢/٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٣٥/١٣)، والمفردات للراغب (ص٢١١)، ولسان العرب لابن منظور (٣١٥/٤)"زبر".

(٥) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤١٥/٣)، والبغوي في معالم التنزيل (٥٠٠/١) بدون سند.

أخبارهم عليك. وقوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ أي: بلا واسطة مَلَك، وكلَّم غيره بواسطة ملائكته، فخصَّ بأنه كليمه على هذا المعنى.(١) وأكَّده بالمصدر؛ تحقيقًا لوقوع المذكور عليه دون شيء ينوب منابه.(٢)

﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ أي: من أطاعهم بالجنة، ومن عصاهم بالنار.

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ يدل على أن الوجوب يكون بالشرع.(٣)

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ أي: في اقتداره على إيجاد موعوده على ألسنة أنبيائه.

﴿حَكِيمٗا﴾ في التكليف وإرسال الرسل وجمع التدبير.

﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَ﴾ وذلك أن رؤساء مكة أتوا رسول الله ﷺ وقالوا: يا محمد سألنا عنك اليهود، وعن صفتك في كتابهم فزعموا [٣٦/ب] أنهم لا يعرفونك، فأنزل

---

(١) قاله عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٩/٦)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١١١٩/٤)؛ وتفسير السمرقندي (٣٨٢/١)، وتفسير القرآن للسمعاني (٥٠٣/١)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٤٧٧/٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٨٨/١).

(٢) قال النحاس رحمه الله: "﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾: مصدر مؤكد؛ وأجمع النحويون على أنك إذا أكدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازًا ... فكذا لما قال: ﴿تَكۡلِيمٗا﴾ وجب أن يكون كلامًا على الحقيقة من الكلام الذي يعقل". إعراب القرآن (٥٠٧/١).

ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٣٣/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٤٧/١٠)"كلم"، ومعالم التنزيل للبغوي (٥٠٠/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١٣٧/٢)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٥١٥/١٢).

(٣) قاله جمهور الأصوليين.

ينظر: قواطع الأدلة في الأصول للسمعاني (٤٦/٢)، والمحصول في أصول الفقه للرازي (١٩٤/١)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٢٨٨/٣)، ومفتاح دار السعادة لابن القيم (٣٩/٢)، والبحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (١٠٧/١).

الله هذه الآية.(١) ومعنى شهادة الله: تبيين صدق رسوله بإنزال الكتاب المُعجز عليه.(٢)

قوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ أي: بذلك؛ لأنهم علموا في السماء ذلك.

﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ أي: أنزله إليك معجزة لك، وشهادة لصدقك.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ﴾ أي: غيرهم. ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: عن دين الله. وردت في اليهود -والله أعلم-.(٣)

وقوله: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ لما وصف العذاب بأنه مخلدٌ لا نهاية له بقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ بيَّن أنه لا يتعذر عليه إيقاع شيء بعد شيء، على جهة الدوام؛ لأنه

---

(١) ذكره السمرقندي في تفسيره (٣٨٣/١)، والثعلبي في الكشف والبيان (٤١٧/٣)، والواحدي في أسباب النزول (ص٣٢٩)، والبغوي في معالم التنزيل (٥٠١/١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢٥٧/٢)، والخازن في لباب التأويل (٦٢٥/١) عن ابن عباس رضي الله عنهما بدون سند. وأخرج الطبري في جامع البيان (٣١/٦)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١١٢٠/٤) عن ابن إسحاق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "دخل على رسول الله ﷺ جماعة من يهود، فقال لهم: «إني والله أعلم أنكم لتعلمون أني رسول الله» فقالوا: ما نعلم ذلك. فأنزل الله:﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾". وحسن إسناده الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٢٦٦/٢). ونزول السورة في المدينة يقوي هذا السبب.

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٣٤/٢)، والوجيز للواحدي (٣٠٢/١)، والتفسير الكبير للرازي (٨٨/١١).

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤١٨/٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢٥٨/٢)، والرسعني في رموز الكنوز (٦٧٠/١)، والرازي في التفسير الكبير (٨٩/١١)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٩/٦)، والألوسي في روح المعاني (٢٢/٦). والأظهر أن الآية عامة، تشمل اليهود وغيرهم ممن اتصف بهذا الوصف.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣١/٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٩٠/١)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٤٦/٦).

قدير لا يعجزه شيء.[١] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ أي: محقًا.[٢] ﴿فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ أي: فآمنوا وأنيبوا خيرًا لكم.

﴿وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: إنْ آمنتم كان خيرًا لكم، وإن تكفروا لم تضروا إلا أنفسكم؛ لأن الله الذي له مُلك السماوات والأرض غنيٌّ عنكم لا يضره كفركم. قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ خطاب للنصارى.[٣] وغلوُّهم هو: إفراطهم وتجاوزهم في أمر عيسى عليه السلام إلى أن ادَّعوا أنه ابن الله، -تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرا-.[٤] ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ أي: لا تصفوه إلا بما يليق به. قوله: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ إنما قال ذلك؛ لأنه خَلَقَه بقوله: كُنْ،

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٢/٦)، ومعالم التنزيل للبغوي (٥٠١/١)، والتفسير الكبير للرازي (٩٠/١١).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٣/٦)، وتفسير السمرقندي (٣٨٤/١)، والتفسير الكبير للرازي (٩٠/١١)، ولباب التأويل للخازن (٦٢٦/١).

(٣) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٤/٦)، ومعالم التنزيل للبغوي (٥٠٢/١)، وزاد المسير المسير لابن الجوزي (٢٦٠/٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤١٦/٣).

(٤) حقيقة الغُلُوّ: التجاوز في الحد، ومنه: غلا السعر يغلو غلاءً. والغلو: مجاوزة القدر في الظلم. وغُلوّ النصارى في عيسى عليه السلام: قول بعضهم: هو الله، وقول بعضهم: هو ابن الله، وقول بعضهم: هو ثالث ثلاثة، -تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا-.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٣٥/٢)، والمفردات للراغب (ص٣٦٤)"غلا"، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (١٣٤/٢)"غلو"، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١٥/٢).

بلا والد.[١] ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أي: خَلَقَه من رُوحٍ هو من خلقه وإنشائه.[٢]

وقوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ﴾ أي: لا تقولوا آلهتنا ثلاثة.[٣] ﴿ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ أي: وانتهوا خيرًا لكم.[٤]

قوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ كثر استعمال: سبحان، حتى يقال عند التعجب من الشيء: يا سبحان الله، أي: ما أعجب هذا؛[٥] كأنَّه قال: موضع التعجُّب أن

---

(١) قاله أكثر المفسرين، وهو مروي عن قتادة، رواه الطبري في جامع البيان (٣٥/٦)، وحسن إسناده الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٢٦٨/٢).

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٤١٨/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٥٠٢/١/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١٣٩/٢)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٤١٨/٨)، والجواب الصحيح لمن بدل المسيح (١٩/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٩١/١).

(٢) قاله جمهور المفسرين.قال ابن تيمية رحمه الله:"خص المسيح بذلك لأنه نُفِخَ في أُمه من الروح فحبلت به من ذلك النفخ، وذلك غير روحه التي يشاركه فيها سائر البشر، فامتاز بأن حُبلت به من نفخ الروح، فلهذا سمي روحًا منه... وعلى هذا فيقال: لما خلُق من نفخ الروح ومن مريم سمي روحًا، بخلاف سائر الآدميين فإنه يخلق من ذكر وأنثى ثم ينفخ فيه الروح بعد مضي أربعة أشهر". الجواب الصحيح (٦٩/٤).

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٥/٦)، والكشف والبيان للثعلبي (٤١٩/٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (٥٠٦/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٥٠٢/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١٣٩/٢).

(٣) قاله الزجاج، ومكي بن أبي طالب.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٣٥/٢)، وإعراب القرآن للنحاس (٥٠٩/١)، والكشف والبيان للثعلبي (٤٢٠/٣)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١٥٣٨/٢).

(٤) ينظر: تفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١٥٣٨/٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤١٦/٣)، والدر المصون للسمين الحلبي (١٦٧/٤).

(٥) (سبحان): اسم علم للتسبيح، يقال: سبحت تسبيحاً، فالتسبيح هو المصدر، ومعناه: تنزيه الله عن كل سوء. هذا أصل هذه الكلمة، ثم أنها يؤتى بها للتعجب ومن ذلك قول الله ﷻ: ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾[النور:١٦]، والأصل في ذلك أن يسبح الله تعالى عند رؤية العجيب من صنائعه، ثم كثر

يوصف الله بالولد.[1] ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: فكيف يتخذ ولدًا، والكلّ عبيده وملكه؟ ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ أي: يكفي بنفسه في تدبير ما في السماوات وما في الأرض، فلا يحتاج إلى مُعِين فيتخذ الولد ليتحمل عنه تدبير بعضها.[2]

والوكيل: من وكل إليه التدبير.[3] ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ﴾ أي: غاية ما يُمدح به غيره نبيًا أو مَلَكًا أن يكون الله أهّله لأن يكون عبدًا له، والوجه أن يقال: إنَّ عيسى والملائكة عليهم السلام لكيسهم وعقلهم يعرفون قدر أنفسهم، ويؤثرون شرفها وسعادتها، فلا يمتنعون من عبادة الله، فمن أين ادَّعيتم شيئًا لا يليق بهم وهم أخضع الخلق لله، وأشدهم استسعادًا بالعبادة إليه؟[4] قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ المراد به: محمد ﷺ.[5]

حتى استعمل في كل متعجب.

ينظر: العين للخليل (٣/١٥١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٤/١٩٥)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٢/٢٠٣)، والمفردات للراغب (ص٢٢١)، وتهذيب الأسماء للنووي (٣/١٣٥)"سبح"، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٢/١٩٣).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٦/٣٧)، والتفسير الكبير للرازي (١١/٩٢)، ولباب التأويل للخازن (١/٦٢٧)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/٤١٨).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٦/٣٧)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/٢٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٥٩٢).

(٣) الوكيل في صفته سبحانه بمعنى: الموكول إليه بتدبير خلقه والقيام بمصالحهم. يقال: واكلت فلانًا مواكلةً: إذا اتكلت عليه وفوضته إليه، والتوكل: الاعتماد.

ينظر: العين للخليل (٥/٤٠٥)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦/١٣٦)، والمفردات للراغب (ص٥٣١)، وتاج العروس للزبيدي (٣١/٩٦)"وكل".

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٦/٣٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/١٣٦)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٤٢٠)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٥٠٣)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/١٤٠).

(٥) هذا قول أكثر المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦/٣٩)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٤/١١٢٥)، ومعاني القرآن للنحاس

سمَّاه بُرهانا لأنَّ أحواله دلائل صدقه، سوى ما أُيِّد به من المعجزات.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ أي: القرآن.[١] ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ﴾ أي: بالقرآن.[٢]

وقوله: ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى ثوابه وفضله.[٣] ﴿صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ هو طريق الجنة.[٤] ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ أي: يسألونك عن الحكم. والفتيا: بيان الحكم.[٥]

(٢٤٢/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٥٠٣/١)، والتفسير الكبير للرازي (٩٤/١١).

(١) قاله عامة المفسرين، وهو مروي عن قتادة، أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٣٩/٦)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١١٢٥/٤)، وحسن إسناده الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٢٦٨/٢).

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٢٤٢/٢)، والنكت والعيون للماوردي (٥٤٧/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٦٤/٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٧/٦).

(٢) قاله ابن جريج رحمه الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤٠/٦)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١٥٤٣/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٦٤/٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤٢١/٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٩٣/١).

(٣) قاله النحاس في إعراب القرآن (٥١٠/١)، وذكره مكي بن أبي طالب في تفسير الهداية (١٥٤٣/٢)، وأبو حيان في البحر المحيط (٤٢١/٣)، وابن عادل في اللباب في علوم الكتاب (١٥٢/٧).

(٤) قال ابن كثير رحمه الله:" أي: طريقًا واضحًا قصدًا قوامًا لا اعوجاج فيه ولا انحراف، وهذه صفة المؤمنين في الدنيا والآخرة، فهم في الدنيا على منهاج الإستقامة وطريق السلامة في جميع الإعتقادات والعمليات، وفي الآخرة على صراط الله المستقيم المفضي إلى روضات الجنات". تفسير القرآن العظيم (٥٩٣/١).

(٥) أصل الفتْيا: تبيين المشكل من الأحكام. يقال: أفتى الفقيه في المسألة: إذا بيَّن حكمها، واستفتيتُ إذا سألتُ عن الحكم.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢٣٤/١٤)"فتا"، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٧٤/٤)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (١٤٦/٢)"فتى".

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ الكلالة: أن يرث الميت غير الولد والوالدين. والمعنيّ بها ههنا: الإخوان، الإخوة من الأب والأم.(١) ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ﴾ تقديره: إن هلك امرؤ.(٢) وقوله: ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ يفيد أنهما ترثان صغيرتين كانتا، أو كبيرتين، صالحتين كانتا، أو فاسقتين، أو إحداهما بصفة، والأخرى بصفة أخرى.(٣)

وقوله: ﴿رِّجَالًا وَنِسَآءً﴾ بدل من الإخوة.(٤) وقوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟﴾ معناه: كراهة أن تضلوا.(٥)

---

(١) قاله عامة العلماء. والكلالة: مأخوذة من تكَلَّل النسب، أي: أحاط، لأن الرجل إذا لم يترك والدا ولا ولدا فقد انقطع عمودا نسبه، وبقي الذي يرثه من يتكلّله، أي: يحيط به من جوانبه، كالإكليل على الرأس، وكالنبات إذا أحاط بالشيء.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦/٤٠)، وتهذيب اللغة للأزهري (٩/٣٣٠)، والمفردات للراغب (ص٤٣٧)"كل"، والفرائض للسهيلي (ص٦٩)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/١٨)، والمغني لابن قدامة (٦/١٦٣)، والدر المصون للسمين الحلبي (٣/٦٠٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٥٩٣).

(٢) ارتفع ﴿ٱمْرُؤٌا۟﴾ بمضمر يفسره الظاهر، ومحل ﴿لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ الرفع على الصفة، أي: إن هلك امرؤ غير ذي ولد.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/١٣٦)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/٤١٣)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/٤٢٢)، والدر المصون للسمين الحلبي (٤/١٧٢).

(٣) ينظر: تفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢/١٥٤٥)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/٢٦٦)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/٤١٤)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/٤٢٣)، والدر المصون للسمين الحلبي (٤/١٧٤).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٦/٤٥)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/٤١٤)، والبحر البحر المحيط لأبي حيان (٣/٤٢٤)، والدر المصون للسمين الحلبي (٤/١٧٥).

(٥) هذا تقدير المبرّد. وذهب الكسائي والفراء بأن (لا) محذوفة بعد (أن) والتقدير: لئلا تضلوا. قالوا: "وحَذْفُ "لا" ورجح الفارسي قول المبرّد، فإن حذف المضاف أشيع من حذف (لا) النافية.ينظر: معاني القرآن للفراء (١/٢٢٦)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/١٣٦)، والتفسير الكبير للرازي (١١/٩٦)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/٤٢٤)، والدر المصون للسمين الحلبي (٤/١٧٦).

تفسير سورة المائدة

سورة المائدة مدنية[(١)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ الإيفاء بالشيء: إيقاعه على ما تقدَّم الوعد والضمان به.[(٢)] والعقود [٣٧/أ] جمع العقد، وهو ضد الحَلّ. ويدخل فيه كل ما أمر الله تعالى به، ونهى عنه، وكذا ما يُوجبه المرء على نفسه لله تعالى مما لا يتضمن معصيته.[(٣)]

وعقدت عليه: أي ألزمته تثبتا باستيثاق، وأصله عقد الشيء لغيره، كما يعقد الحبل بالحبل إذا وصل به شدًّا.[(٤)]

---

(١) أجمع المفسرون على ذلك، ونقل الإجماع على مدنيتها ابن عطية في المحرر الوجيز (١٤٣/٢)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٣٠/٦).

(٢) يقال: وفا يفي وفاءً؛ فهو وافٍ، وكل شيء بلغ تمام الكمال فقد وفى وتمّ، وأوفا حقّه، أي: أتمَّه ولم ينقص منه شيئاً، يقال: أوفيت بالعهد، ووفيت بالعهد بنعنى واحد.

ينظر: العين للخليل (٤٠٩/٨)، وتهذيب اللغة للأزهري (٤١٩/١٥)، ولسان العرب لابن منظور (٣٩٨/١٥)"وفى".

(٣) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٢٤٦/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٦/٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (٥/٢).

(٤) أصل العقد: عقد الشيء بغيره، إذا وصله به، كما تُعقد الحبل بالحبل إذا وصل به شدًّا، يقال منه عقد فلان بينه وبين فلان عقدًا فهو يعقده. وأجمع العلماء على أن معنى العقود هنا: العهود. أي: أوفوا بالعهود التي عاهدتموها ربكم، والعقود التي أوجبتم بها على أنفسكم، حقوقا وألزمتم أنفسكم بها لله فروضًا، فأتموها بالوفاء والكمال والتمام.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤٦/٦)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٣٤/١)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٨٦/٤)"عقد".

﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ هي اسم الإبل والبقر والغنم،[١] وأراد بهذا تحليل ما حرّم أهل الجاهلية على أنفسهم منها.[٢]

وقوله: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ أي: إلا إذا كنتم مُحْرِمين، يعني: كلوا لحوم الأنعام مُحرَّمين للصيد، إذا كنتم حرُمًا.[٣] ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ وهو قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ الآية.[٤] قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ الآية، نزلت في الحُطَم،[٥] واسمه شريح بن ضُبيعة بن منذر بن شُرَحْبيل البكري، وذلك أنه أتى

---

(١) قاله الحسن، وقتادة، والسدي، وهو الذي جرت عليه عبارات عامة المفسرين.

وإضافة البهيمة إلى الأنعام من باب إضافة الشيء إلى ما هو أخص منه، لأن البهيمة تقع على الأنعام وغيرها، أي: البهيمة من الأنعام.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦/٤٩)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/١٤٠)، وتهذيب اللغة للأزهري (٦/١٧٧)"بهم"، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٦)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/٢٦٨).

(٢) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٤/٧)، والتفسير الكبير للرازي (١١/٩٨)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/٤٢٩).

(٣) الحُرُم: جمع حرام، وحُرُم هنا بمعنى مُحرمين، سواء كانوا داخل حدود الحرم أو داخلين في النسك.

ينظر: العين للخليل (٣/٢٢١)"حرم"، وجامع البيان للطبري (٦/٥٢)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/١٤١).

(٤) قاله عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦/٥١)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٧)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٦)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/٢٦٩).

(٥) الحُطَم لقب له، وهو شُريح بن ضُبَيعة بن شُرَحْبيل بن عمرو بن مرثَد، من بكر بن وائل، خرج في في الردة سنة ١١ هـ، مع من تبعه من بكر بن وائل، ونزل القطيف وهجر، وحاصر المسلمين حصارًا شديدًا، ثم تجمع المسمون إلى العلاء بن الحضرمي، وبيَّتوا المرتدين وقتلوا الحُطم ومن معه.

ينظر: جمهرة النسب لابن الكلبي (ص٥٣٦)، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم (٢/٣٢٠)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (١/٣٤٩).

المدينة، فخلف خيله خارج المدينة، ودخل وحده على النبي ﷺ فقال له: إلى ما تدعو الناس؟ فقال: «إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة»، فقال: حسن، إلا أنَّ لي أمراء لا أقطع أمرًا دونهم، ولعلي أسلم وآتي بهم، وقد كان النبي ﷺ قال لأصحابه: «يدخل عليكم رجلٌ من ربيعة، يتكلم بلسان شيطان»، ثم خرج شريح من عنده، فقال رسول الله ﷺ: «لقد دخل بوجهٍ كافر، وخرج بقفا غادر، وما الرجل بمسلم»، فلما كان في العام القابل، خرج حاجًا في حجاج بكر بن وائل[١] من اليمامة،[٢] ومعه تجارة عظيمة، وقد قلَّدوا الهدي،[٣] فقالوا: يا رسول الله! هذا شيء كنا نفعله في الجاهلية، فأبى النبي ﷺ عليهم، فأنزل الله هذه الآية.[٤] والشعائر: جمع شعيرة، وهي كل شيء جُعل علمًا من أعلام طاعته.[٥]

---

(١) هو بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْبِ بن أَفْصَى بن دُعْمِيّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة، فهم ربعيون، قبيلٌ منهم الصحابة والتابعين وجماعة من أهل العلم، وكان غالب هذه القبيلة باليمامة في أوائل الإسلام ثم تفرقوا.

ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/٥٤٩)، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم (٢/٣٠٧)، وتهذيب الأسماء للنووي (٢/٥٦١).

(٢) اليمامة: تقع شرق الحجاز، وهي الآن الرياض، عاصمة المملكة العربية السعودية، فتحت سنة: ١٢ هـ، في عهد أبي بكر الصديق ﷺ بعد قتل مسيلمة الكذاب.

ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (١/٣٤٧)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٥/٢٩٩)، ولسان العرب لابن منظور (١٢/٦٤٧)"يمم".

(٣) تقليد الهدي: أن يُعلَّق في عنقه نعل أو جلدة أو شبه ذلك ليُعلم أنه هدي فلا يُتعرض له.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٩/٤٧)، والمفردات للراغب (ص٤١١)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٢/١٨٤)"قلد".

(٤) أخرجه الفاكهي في أخبار مكة (٢/٢٥٨)، والطبري في جامع البيان (٦/٥٨) عن السدي، وعكرمة، وذكره مكي بن أبي طالب في تفسير الهداية (٣/١٥٧٠) عن ابن جريج، وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص٣٣٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما بدون إسناد. وضعف إسناده الدكتور حكمت بشير في تحقيقه على تفسير ابن كثير (٣/٢٩٩).

(٥) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦/٥٤)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/١٤٢)، والكشف والبيان للثعلبي

﴿وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾ يعني: بالقتال فيه.(١)

﴿وَلَا ٱلۡهَدۡيَ﴾ وهو كل ما يُهدى إلى بيت الله من بعير أو بقرة أو شاة وغيرها.(٢)

﴿وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ﴾ كانوا إذا خرجوا قلَّدوا إبلهم من لحاء(٣) شجر الحرم، فلا يتعرض لهم.(٤) فكأنَّه قال: لا تتعرضوا القلائد بطرحها ونزعها عن الهدي، ليستحلها من يراها غير مقلدة، والله أعلم.(٥) ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ﴾ أي: قاصدين له.(٦) ﴿يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ أي: رزقًا للمؤمنين والمشركين عامة.

(٤/٨)، والمفردات للراغب (ص٢٦٢)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٢/٢٥٥)"ش ع ر".

(١) قاله عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦/٥٥)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٩)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/٧)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/٣٩).

(٢) قاله عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦/٥٥)، وغريب القرآن لابن عزيز السجستاني (ص٢٨٦)، وأحكام القرآن لابن العربي (٢/١٩)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/١٤٦)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/٤٣٤).

(٣) اللِّحَاء: القشر الرقيق الذي يلي صميم العود. يقال: لَحَيت الشجرة ولَحَوتها: إذا قَشَرتها.

ينظر: العين للخليل (٣/٢٩٦)، وتهذيب اللغة للأزهري (٥/١٥٤)"لحى"، ولسان العرب لابن منظور (١٥/٢٤١)"لحا".

(٤) قاله مجاهد، والسدي، وعطاء.

ينظر: أخبار مكة للأزرقي (٢/٢٨٣)، وجامع البيان للطبري (٦/٥٧)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٩).

(٥) ينظر: تفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٣/١٥٦٨)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٧)، والتفسير الكبير للرازي (١١/١٠٢).

(٦) قاله عامة المفسرين، وأهل اللغة. يقال: أممت كذا: إذا قصدته وعمدته.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦/٥٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/٢٥١)، ومقيس اللغة لابن فارس (١/٣٠)، والمفردات للراغب (ص٢٢)"أم".

﴿وَرِضْوَٰنًا﴾ أي: للمؤمنين خاصة، لأن الناس كانوا يحجُّون من بين مسلم وكافر.[١]

﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟﴾ أي: إذا حللتم من إحرامكم فاصطادوا، هو أمر إباحة وتخيير.[٢]

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟﴾ أي: لا يحملنَّكم بغض قوم بسبب أنْ صدُّوكم عن المسجد الحرام على الاعتداء. يقال: جرمني زيد على بغضك، أي: حملني عليه.[٣] والشنآن: البغض والعداوة.[٤]

قوله: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: ذكر عليه غير اسم الله.[٥]

---

(١) ذكره الثعلبي، ومكي بن أبي طالب، وابن الجوزي.وجمهور المفسرين أن الآية في المشركين، فالمعنى: يبتغون الفضل في الأرباح في التجارة، ويبتغون مع ذلك رضوانه في ظنهم وطمعهم. قال مكي:" وكونها في المشركين أبين في أقوال المفسرين وأكثر". تفسير الهداية الى بلوغ النهاية (١٥٧٦/٣).

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (١٠/٤)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١٤٧/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٧٤/٢).

(٢) قاله عامة المفسرين، والأصوليين، سواء قيل بأن الأمر بعد الحضر يدل على الإباحة، أو أنه يعود إلى ما كان عليه قبل الحضر؛ لأن الأصل إباحة الصيد.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦٢/٦)، وقواطع الأدلة للسمعاني (٦١/١)، والمستصفى للغزالي (٢١١/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٨/٢)، وأحكام القرآن لابن العربي (٢٠/٢).

(٣) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١٤٧/١)، وجامع البيان للطبري (٦٣/٦)، ومعاني القرآن للزجاج (١٤٣/٢)، والمفردات للراغب (ص٩١)"جرم".

(٤) قاله عامة المفسرين، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة، وابن زيد.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦٥/٦)، وتفسير السمرقندي (٣٩١/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٨٩/١١)، والمفردات للراغب (ص٢٦٧)"شنأ"، والمحرر الوجيز لابن عطية (١٤٩/٢).

(٥) باتفاق المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦٨/٦)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٤٠٧/٥)، ومعالم التنزيل للبغوي (٨/٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١٥٠/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٩/٢).

وأصل الإهلال: رفع الصوت بالشيء.[١] ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾ هي: التي تموت، بأن تقع في حبالة الصائد، فيقع الحبل في عنقها فتخنقها، أو ينالها ذلك من وثاقها، أو بإدخال رأسها حيث لا تقدر على إخراجه، أو بأن تبتلع ما لا تسيغه، وما أشبه ذلك.[٢]

﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾ هي التي تُقتل إثخانًا بالضرب بالعصا والحجر والكف.[٣]

﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾ التي تسقط في بئر، أو من مكان عال فتموت.[٤] ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ هي التي نُطحت فماتت.[٥] ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ أي: ما أكل السبع منه، أي ما فرسه الأسد أو غيره، فأكل بعضه لا يحل الباقي.[٦]

---

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/١٤٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (٥/٢٣٧)"هل"، ولسان العرب لابن منظور (١١/٧٠١)"هلل".

(٢) قال ابن عطية رحمه الله:"﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾ معناه: التي تموت خنقًا، وهو حبس النفس سواء فعل بها ذلك آدمي أو اتفق لها ذلك في حجر أو شجرة أو بحبل أو نحوه، وهذا إجماع". المحرر الوجيز (٢/١٥٠).

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/١٥١)، وجامع البيان للطبري (٦/٦٨)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٣/١٥٧٨)، وأحكام القرآن لابن العربي (٢/٢٢).

(٣) قاله عامة المفسرين.يقال: وَقَذَه وأَقَذَه فهو مَوقُوذ ومَوقِذ، إذا ضربه حتى يشفى على الهلاك.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦/٦٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/٢٥٦)، وتهذيب اللغة للأزهري (٩/٢٠٢)"وقذ"، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٩).

(٤) قاله عامة المفسرين.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/١٥١)، وجامع البيان للطبري (٦/٧٠)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٤/١١٨)"ردأ"، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/٤٩).

(٥) أي: الشاة التي تنطحها أخرى فتموت من النطاح بغير تذكية. وعلى هذا عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦/٧٠)، والمفردات للراغب (ص٤٩٦)"نطح"، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/١٥١)، والتفسير الكبير للرازي (١١/١٠٥).

(٦) يريد كل ما افترسه ذو ناب وأظفار من الحيوان، كالأسد والنمر والثعلب والذئب والضبع ونحوه، هذه

﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ أي: إلا ما أدركتم ذكاته، وسميت التذكية تذكية: لأنها تمام قطع المريء[(١)] والحلقوم،[(٢)] ومنه الذكاة في السِّنّ، وهو حدثها.[(٣)]

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ هي حجارة كانت حول [٣٧/ب] البيت، وكانوا يذبحون عليها باسم الصنم،[(٤)] ويشرحون اللحم عليها، وكانوا يعظمون هذه الحجارة، ولم تكن أصنامًا، إنما الصنم ما يُصوَّر ويُنقَّش.[(٥)]

كلها سباع. وعلى هذا جمهور المفسرين.

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (١٣/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٩/٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١٥١/٢)، والتفسير الكبير للرازي (١٠٦/١١).

(١) المريء: مجرى الطعام والشراب إلى الجوف.

ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣١٥/٥)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٢١٣/٤)، ولسان العرب لابن منظور (١٥٤/١)"مرأ".

(٢) الحُلْقُوم: الحلق، وهو مجرى النفس خروجًا ودخولًا.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٩٥/٥)، وتهذيب الأسماء للنووي (٦٥/٣)، ولسان العرب لابن منظور (١٥٠/١٢)"حلقم".

(٣) أصل الذكاة: تمام الشيء، ومنه الذكاة في السِّنّ وهو تمام السِّنّ، وسمي الذبح ذكاة: لأنه إتمام الزهوق.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٤٥/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٨٤/١٠)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (١٦٤/٢)، ولسان العرب لابن منظور (٢٨٧/١٤)"ذكا".

(٤) قاله مجاهد، رواه عنه الطبري في جامع البيان (٧٥/٦)، وذكره النحاس في معاني القرآن (٢٥٨/٢). وصححه الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٢٧٨/٢).

(٥) الصنم هو التمثال المصور، وما لم يكن صنمًا فهو وثن، والوثن: اسم يقع على ما ليس بمصوَّر، ويسمى نَصْبًا، وجمعه نُصُب، فبينهما عموم وخصوص، فإن كان مصوَّرا فهو وثن وصنم. وعلى هذا جمهور العلماء.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٢٨/١٣)، وغريب القرآن لابن عزيز السجستاني (ص٦٦)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (١٥٠/٥)"وثن"، وتيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبد الله (ص٢٩٤).

﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ أي: وحرّم عليكم الاستقسام، وهو طلب القَسَم والحُكْم بالأزلام، وهي: القداح[١] التي لا ريش لها[٢] ولا نصل،[٣] واحدها زَلَم.[٤]

قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ﴾ يعني: أن ترجعوا إلى دينهم كفارًا.[٥] ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ نزلت يوم الجمعة يوم عرفة، بعد العصر في حجة الوداع، سنة عشر، والنبي ﷺ بعرفات على ناقته العضباء،[٦] فكادت عضد

---

(١) القداح: جمع قدح، وهو السهم قبل أن يعمل فيه الريش والنصل.

ينظر: العين للخليل (٤٠/٣)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (١٧٢/٢)"قدح".

(٢) أصل الريش: كسوة الطائر، الواحدة ريشة، وراش السهم إذا ألزق عليه الريش فهو مريش، وأبرئ النبل وأريشها، أي: أنحتها وأقوّمها وأجعل فيها ريشها التي ترمي بها.

ينظر: العين للخليل (٢٨٣/٦)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٨٠/١١)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٣٠٤/١)"ريش".

(٣) النصل: حديدة السهم الذي يُرمَى به.

ينظر: العين للخليل (١٢٤/٧)، وتاج العروس للزبيدي (٤٩٤/٣٠)"نصل".

(٤) قال الزجاج رحمه الله:"والأزلام: سهامٌ كانت للجاهلية مكتوب على بعضها: أمرني ربي وعلى بعضها: نهاني ربي، فإذا أراد الرجل سفراً أو أمراً ضرب تلك القداح، فإن خرج السهم الذي عليه أمرني ربي مضى لحاجته، وإن خرج الذي عليه نهاني ربي لم يمض في أمره، فأعلم الله أن ذلك حرام". معاني القرآن (١٤٦/٢). وقد أبدل الله المسلمين خيرًا منها، وهي: الاستخارة.

ينظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٤١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٣١٩/٨)"قسم"، (١٤٩/١٣)"زلم"، ومعالم التنزيل للبغوي (٩/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٢/٢).

(٥) ذكره الطبري بنحوه في جامع البيان (٧٨/٦)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وحسن إسناده الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٢٧٩/٢).

(٦) العَضْبَاء: اسم ناقة النبي ﷺ، يقال: ناقة عضباء أي: مشقوقة الأذن.

ينظر: العين للخليل (٢٨٣/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٣٠٦/١)"عضب".

الناقة تدقُّ من ثقل الوحي فبركت.(١) وكانت هذه الآية نعي رسول الله ﷺ،(٢) وعاش بعدها واحد وثمانين يومًا.(٣) ومعناها: أكملت لكم الفرائض والسنن والحدود والأحكام والحلال

---

(١) يشهد لذلك ما أخرجه البخاري ومسلم عن طارق بن شهاب، قالت اليهود لعمر ﷺ: إنكم تقرءون آيةً لو نزلت فينا لاتخذناها عيدًا، فقال عمر ﷺ: "إني لأعلم حيث أنزلت، وأين أنزلت، وأين رسول الله ﷺ حين أنزلت: يوم عرفة وإنا والله بعرفة- قال سفيان: وأشك -كان يوم الجمعة أم لا ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾". (صحيح البخاري (٤/١٦٨٣)، برقم: (٤٣٣٠) كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾، وصحيح مسلم (٤/٢٣١٢)، برقم: (٣٠١٧)، كتاب التفسير.

وأخرج الإمام أحمد في مسنده (٦/٤٥٥)، برقم: (٢٧٦١٦) والطبري في جامع البيان (٦/٨٣)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٤/١٧٨)، برقم: (٤٤٨) عن أسماء بنت يزيد، قالت: "نزلت سورة المائدة جميعا وأنا آخذة، بزمام ناقة رسول الله ﷺ العضباء؛ قالت: فكادت من ثقلها أن يدق عضد الناقة". قال الهيثمي: "وفيه شهر بن حوشب وهو ضعيف وقد وُثّق". مجمع الزوائد (٧/١٣).

(٢) يشهد لهذا ما جاء عن هارون بن أبي وكيع عن أبيه عنترة بن عبد الرحمن الكوفي قال: " لما نزلت هذه الآية: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾، قال: يوم الحج الأكبر، قال: فبكى عمر ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ «ما يبكيك»؟ قال: يا رسول الله، أبكاني أنّا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذا كمل فإنه لم يكمل قط شيء إلا نقص؛ قال: «صدقت». أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/٨٨)، برقم: (٣٤٤٠٨)، والفاكهي في أخبار مكة (١/٣٧٢)، برقم: (٧٨٠)، والطبري في جامع البيان (٦/٨٠). والخبر مرسل؛ لأن عنترة تابعي، قال ابن حجر: " وَهِمَ من زعم أن له صحبة ". تقريب التهذيب (ص٤٣٣). لكن يشهد له حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: « بدأ الإسلام غريبًا وسيعود كما بدأ غريبًا، فطوبى للغرباء ». أخرجه مسلم في صحيحه (١/١٣٠)، برقم: (١٤٥) كتاب الإيمان/باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا، وإنه يأرز بين المسجدين.

(٣) قاله مقاتل بن سليمان، وابن جريج.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦/٨٠)، وزاد المعاد لابن القيم (٥/٤٩٠)، والبداية والنهاية لابن كثير (٥/٢١٤)، وفتح الباري لابن حجر (٨/٧٣٤).

والحرام، فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام ولا شيء من الفرائض.(١)

قوله: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ﴾ أي: مجاعة.(٢) ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾ أي: غير مائل منحرف، أي: عن زائد على قدر الحاجة.(٣) ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾ الآية، أوردوا في التفسير: أنها نزلت في عدي بن حاتم(٤) وزيد بن المهلهل الطائيين، وهو زيد الخيل الذي سماه النبي ﷺ زيد الخير،(٥) وذلك أنهما جاءا إلى

---

(١) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، والسدي.

ينظر: جامع البيان للطبري (٧٩/٦)، والكشف والبيان للثعلبي (١٦/٤)، والنكت والعيون للماوردي (١٣/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٠/٢).

(٢) قاله عامة المفسرين، وأهل اللغة.قال أهل اللغة: الخَمْص والمخْمَصَة: خلو البطن من الطعام عند الجوع، وأصله من الخمص الذي هو ضمور البطن، يقال: رجل خميص البطن إذا كان طاويًا خاويًا.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١٥٣/١)، وجامع البيان للطبري (٨٤/٦)، والمفردات للراغب (ص١٥٩)"خمص"، والمحرر الوجيز لابن عطية (١٥٥/٢).

(٣) قاله جمهور المفسرين. والجنَفُ: الميل في الكلام، وفي الأمور كلها، يقال: جنف القوم عليّ إذا مالوا، وكل أعوج فهو أجنف عند العرب.

ينظر: العين للخليل (١٤٣/٦)، وتهذيب اللغة للأزهري (٧٦/١١)، والمفردات للراغب (ص١٠١)"جنف"، ومعالم التنزيل للبغوي (١١/٢)، والتفسير الكبير للرازي (١١١/١١).

(٤) هو عدي بن حاتم بن عبد الله بن الحشرج بن امرئ القيس الطائي، الجواد ابن الجواد، يكنى أبا طريف، وفد على رسول الله ﷺ فأكرمه في شعبان سنة عشرة، ثم قدم على أبي بكر الصديق رضي الله عنه بصدقات قومه زمن الردة، ومنع قومه من الردة بثبوته على الإسلام وحسن رأيه، شهد الجمل وصفين، ومات بالكوفة سنة: ٦٦ هـ، وهو ابن ١٢٠ سنة.

ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١٠٥٧/٣)، وأسد الغابة لابن الأثير (١٠/٤)، وتهذيب الأسماء للنووي (٣٠١/١).

(٥) هو زيد بن مهلهل بن زيد الطائي، قدم على رسول الله ﷺ في وفد طيء سنة تسع، وأسلم وسماه رسول الله ﷺ زيد الخير، وكان شاعرًا خطيبًا شجاعًا كريمًا، مات في آخر خلافة عمر رضي الله عنه.

ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٥٥٩/٢)، وأسد الغابة لابن الأثير (٣٦٠/٢)، والإصابة لابن حجر

النبي ﷺ فقالا : يا رسول الله، إنا قوم نصيد بالكلاب وبالبُزَاة،[١] وإن كلاب آل ذَرِيْح[٢] وآل أبي حُذَافَة[٣] تأخذ البقر والحُمُر والظِّباء والضَّب، فمنها ما يُدرك ذكاته، ومنها ما تُقتل ولا يُدرك ذكاته، وقد حرَّم الله تعالى الميتة، فماذا يحل لنا منه؟ فنزلت هذه الآية.[٤]

﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ يعني: الذبائح على اسم الله تعالى.[٥]

﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾ يعني: وصيد ما علَّمتم من الجوارح، أي: الكواسب من سباع البهائم ومن الطير، مثل الفهد والكلب والصقر والبازي والشاهين ونحوها مما تقبل التعليم.[٦]

(٦٢٢/٢).

(١) البُزَاة: جمع البَازِي، والبَازِي: ضرب من الصقور التي تصيد.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٨٣/١٣)"بزي"، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٤٥/١)"بزو"، وتهذيب الأسماء للنووي (٣٢/٣)"بوز".

(٢) آل ذَرِيْح: بطن مشهور في العرب، من طيء.

ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (٣٣٥/٢)، والإصابة لابن حجر (٤٠٤/٢).

(٣) نسبة إلى أبي حذافة عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد السهمي، أسلم قديمًا وهاجر إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية، وسكن المدينة، ومات بمصر في خلافة عثمان ﷺ.

ينظر: التاريخ الكبير للبخاري (٨/٥)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١١/٢)، والإصابة لابن حجر (٥٧/٤).

(٤) أورده مقاتل بن سليمان في تفسيره (٢٨١/١)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٩/٤)، والبغوي في معالم التنزيل (١١/٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢٩١/٢). والواحدي في أسباب النزول (ص٣٣٧)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٦٥/٦)، وذكره ابن كثير في تفسيره (١٦/٢)، وزاد نسبته لابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير عن عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين.

(٥) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٤٩/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١٩/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٢/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٦/٢).

(٦) قاله جمهور المفسرين، والفقهاء.

ينظر: جامع البيان للطبري (٨٨/٦)، وأحكام القرآن للجصاص (٣٠٩/٣)، والكشف والبيان للثعلبي

سُميت جوارح: لأنها كواسب لأصحابها.(١) ﴿ مُكَلِّبِينَ ﴾ حالٌ للمعلِّمين، أي: في حال مصيركم أصحاب كلاب.(٢) والتكليب: إغراء السبع على الصيد. (٣)

﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي: من العلم الذي علَّمكموه الله. ﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ﴾ قال بعض الفقهاء: إذا أكل الكلب من الصيد لا يحل أكله؛ لأنه أمسَك على نفسه، وقال بعضهم: يحل؛ لأنه أمسكه لصاحبه.(٤)

(٢٠/٤)، وأحكام القرآن لابن العربي (٣٥/٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (١٣/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٢/٢)، والمغني لابن قدامة (٢٩٦/٩)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦٦/٦).

(١) ينظر: العين للخليل (٧٧/٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (٨٦/٤)، والمفردات للراغب (ص٩٠) "جرح".

(٢) قال ابن كثير رحمه الله: "وقوله تعالى: ﴿مُكَلِّبِينَ ﴾ يحتمل أن يكون حالًا من الضمير في ﴿عَلَّمْتُم ﴾، فيكون حالًا من الفاعل، ويحتمل أن يكون حالًا من المفعول، وهو الجوارح، أي: وما علمتم من الجوارح في حال كونهن مكلبات للصيد، وذلك أن تقتنصه بمخالبها أو أظفارها، فيستدل بذلك والحالة هذه: أن الجارح إذا قتل الصيد بصدمته ولا بمخلابه وظفره أنه لا يحل ،كما هو أحد قولي الشافعي وطائفة من العلماء". تفسير القرآن العظيم (١٧/٢).

ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٨/٢)، ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب (٢١٩/١)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (٤١٩/١).

(٣) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢٠/٤)، والمفردات للراغب (ص٤٣٨)"كلب"، والمحرر الوجيز لابن عطية (١٥٦/٢)، ولسان العرب لابن منظور (٧٢١/١)"كلب"، ولباب التأويل للخازن (١٢/٢).

(٤) ذهب ابن عباس رضي الله عنهما، والشعبي، وعطاء، والسدي: أنه لا يحل أكله، وهو قول أبي حنيفة، وأظهر قولي الشافعي، وأصح الروايتين عن أحمد. وذهب سلمان الفارسي، وسعد بن أبي وقاص، وابن عمر، وأبو هريرة ﷺ، وبه قال مالك، والقول الثاني للشافعي، ورواية أخرى عن أحمد: بأنه يحل أكله وإن أكل. وبسط هذه المسألة بأدلتها في كتب الفقه وأحكام القرآن.

ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٣١١/٣)، وأحكام القرآن لابن العربي (٣٤/٢)، والمغني لابن قدامة (٢٩٥/٩)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦٩/٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٧/٢).

﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ أي: عند إرسال الجوارح.(١)

قوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ يعني: ما استطابته العرب، وهذا أصل في التحليل قرَّره الشرع.(٢) ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي: ذبائحهم ﴿حِلّٞ لَّكُمۡ﴾.(٣)

﴿وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡ﴾ أي: أن يطعموهم.

﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ أراد بالإحصان هاهنا: الحُرِّيَّة، فيجوز نكاح الحرَّة، مؤمنة كانت أو كتابية، فاجرة كانت أو عفيفة،

---

(١) قاله جمهور المفسرين، والفقهاء. ويشهد لذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عدي بن حاتم ﷺ، وفيه قال النبي ﷺ: «...إذا أرسلت كلبك المعلَّم وذكرت اسم الله عليه فكل... ». الحديث. (صحيح مسلم (١٥٢٩/٣)، برقم: (١٩٢٩) كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان/باب الصيد بالكلاب المعلَّمة).

ينظر: جامع البيان للطبري (٩٩/٦)، وأحكام القرآن للجصاص (٣١٥/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٢/٢)، والمغني لابن قدامة (٢٩٢/٩)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧٤/٦)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٢٣٩/٣٥).

(٢) قال الخازن رحمه الله:"الطيبات: كل ما تستطيبه العرب وتستلذّه من غير أن يَرِد بتحريمه نصّ من كتاب أو سنة. واعلم: أن العبرة في الاستطابة والاستلذاذ بأهل المروءة والأخلاق الجميلة من العرب، فإن أهل البادية منهم يستطيبون أكل جميع الحيوانات فلا عبرة بهم". لباب التأويل (١٢/٢).

ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٤٩/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٩/١٤)، والمفردات للراغب (ص٣٠٨)، والمغني لابن قدامة (٣٢٣/٩)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (١٨٠/١٧).

(٣) قاله عامة المفسرين. وروي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، وقتادة، والحسن، والسدي.

قال ابن قدامة رحمه الله:"وأجمع أهل العلم على إباحة ذبائح أهل الكتاب، لقول الله تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ﴾ يعني: ذبائحهم". المغني (٣١١/٩).

ينظر: جامع البيان للطبري (١٠٢/٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٢٦٦/٢)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١٦٠٥/٣)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١٥٨/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٩٥/٢).

وعلى هذا تحريم إماء أهل الكتاب.(١) ﴿ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ ﴾ أي: إذا أعطيتموهن الأجور على جهة التزوج لا على جهة السِّفاح وهو

(١) اختلف العلماء في معنى الآية وحكمها: فذهب مجاهد، وهو قول مالك، ومذهب الشافعي، ورجحه الطبري، واختاره المؤلف: بأن المراد بالإحصان في هذه الآية: الحُرِّيَّة، وأجازوا نكاح كل حُرّة، مؤمنة كانت أو كتابية، فاجرة كانت أو عفيفة، وحرّموا إماء أهل الكتاب أن يتزوجهن المسلم بحال، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾[النساء:٢٥]، فشرط في نكاح الإماء الإيمان. وقال الحسن، والشعبي، والسدي، والضحاك، وهو مذهب أبي حنيفة، واختاره ابن تيمية، وابن كثير: إنما عنى اللّه تعالى بالمحصنات في هذه الآية: العفائف من الفريقين إماءً كنّ أو حرائر، فأجازوا نكاح إماء أهل الكتاب بهذه الآية، وحرّموا البغايا من المؤمنات والكتابيات. وهذا القول هو الأظهر. قال ابن كثير رحمه الله:"والظاهر من الآية أن المراد بالمحصنات: العفيفات عن الزنا، كما قال تعالى في الآية الأخرى:﴿ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٍ ﴾[النساء:٢٥]، وهو قول الجمهور، لئلا يجتمع فيها أن تكون ذمية وهي مع ذلك غير عفيفة فيفسد حالها بالكلية، ويتحصل زوجها على ما قيل في المثل: حشفًا وسوء كِيلة". تفسير القرآن العظيم (٢١/٢). وقال ابن تيمية رحمه الله:"ولفظ: (المحصنات) إن أريد به الحرائر فالعفة داخلة في الإحصان بطريق الأولى؛ فإن أصل المحصنة هي: العفيفة التي أُحصِن فرجها، قال الله تعالى:﴿ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا ﴾[التحريم:١٢]، وقال ﷻ:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾[النور:٢٣]، وهن العفائف ... ثم عادة العرب أن الحُرة عندهم لا تعرف الزنا؛ وإنما تعرف بالزنا الإماء...". مجموع الفتاوى (١٢١/٣٢).

ينظر: أحكام القرآن للشافعي (١٨٤/٢)، وجامع البيان للطبري (١٠٣/٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٢٦٦/٢)، وأحكام القرآن للجصاص (٣٢٣/٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٢/٤)، والمغني لابن قدامة (٩٩/٧)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧٩/٦).

الزنا.(١) ﴿وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٍ﴾ الأخدان: الصديقات والأصدقاء،(٢) فحرم الله الجماع على جهة السفاح، أو على جهة اتخاذ الصديقة، وأحلَّه على جهة الإحصان، وهو التزويج.(٣)

﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ معناه: من بدَّل شيئًا مما أحلَّ الله فجعله حرامًا، أو أحلَّ شيئًا مما حرَّم الله فهو كافر بإجماع، وقد بطل عمله.(٤)

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: إذا أردتم القيام إلى الصلاة.(٥)

---

(١) الأصل في السفاح: إراقة الشيء، يقال: سفح الدم: إذا صبّه، وسمي الزنا بالسفاح: لأن فيه صب الماء بلا عقد نكاح، فهو كالشيء يسفح ضياعًا.

ينظر: العين للخليل (١٤٧/٣)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٨١/٣)، ولسان العرب لابن منظور (٤٨٥/٢)"سفح".

(٢) أصل الخِدْن: الصاحب، والخِدْنُ و الخَدِين: الصديق، يقال: خَادَنْت الرجل مخَادَنَةً: إذا صادقته، وأكثر ذلك يستعمل فيمن يصاحب شهوة.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٢٥/٧)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٦٣/٢)، والمفردات للراغب (ص١٤٤)"خدن"،

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (١٠٨/٦)، ومعاني القرآن للزجاج (١٥٢/٢)، ولباب التأويل للخازن (١٦/٢).

(٤) قاله الزجاج، والزمخشري، وأبو السعود. وقال السمعاني: "وهذا أقرب إلى نظم الآية في الإباحات، وتحليل المحرمات". تفسير القرآن (١٥/٢).

ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٥٢/٢)، والكشاف للزمخشري (٦٤٢/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٩٧/٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤٤٨/٣)، وتفسير أبي السعود (٩/٣).

(٥) قاله عامة المفسرين. قال ابن كثير رحمه الله: "فالآية آمرة بالوضوء عند القيام إلى الصلاة، ولكن هو في حق المحدث واجب وفي حق المتطهر ندب". تفسير القرآن العظيم (٢٢/٢).

ينظر: جامع البيان للطبري (١١٠/٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٢٦٨/٢)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٤٠٨٤/٦)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٤/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٩٨/٢).

وقوله: ﴿إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ أي: مع المرافق.(١) [٣٨/أ] وقوله: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ أي: واغسلوا أرجلكم مع الكعبين.(٢) ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ﴾ الجميع والواحد والإثنين في لفظ الجُنُب سواء.(٣) ومعنى: ﴿فَٱطَّهَّرُواْ﴾ أي: فتطهروا.(٤)

وقوله: ﴿مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ كناية عن مكان الحدث، والغِيطَانُ: ما انخفض من الأرض.(٥)

---

(١) قاله أكثر العلماء.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٣٠٧/١٥)"إلى"، والكشف والبيان للثعلبي (٢٦/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٥/٢)، وأحكام القرآن لابن العربي (٥٩/٢)، والمغني لابن قدامة (٨٥/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨٦/٦).

(٢) قاله عامة العلماء.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٥٢/٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (١٨/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٧/٢)، والمغني لابن قدامة (٩٢/١)، وتهذيب الأسماء للنووي (٩/٣)"إلى".

(٣) يقال: هو جُنُب، وهي جُنُب، وهما جُنُب، وهم جُنُب، وهنّ جُنُب.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١٥٥/١)، وجامع البيان للطبري (١٣٦/٦)، ومعاني القرآن للزجاج (١٥٤/٢)، ولسان العرب لابن منظور (٢٧٩/١)"جنب".

(٤) الأصل في قوله تعالى: ﴿فَٱطَّهَّرُواْ﴾: فتطهروا، فأدغمت التاء في الطاء لأنها من أصول الثنايا العليا وطرف اللسان. وجيء بألف الوصل ليوصل إلى الساكن.

ينظر: إعراب القرآن للنحاس (١٠/٢)، وجامع البيان للطبري (١٣٦/٦)، ومعاني القرآن للزجاج (١٥٥/٢).

(٥) ينظر: العين للخليل (٤٣٥/٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٥١/٨)، ولسان العرب لابن منظور (٣٦٤/٧)"غوط".

وقوله: ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ أي: اقصدوا[(١)] ترابًا طاهرًا.[(٢)]

وقوله: ﴿مِّنْ حَرَجٍ﴾ أي: من ضيق.[(٣)] ﴿وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ يعني إرادته الوضوء والغسل ﴿لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ أي: يريد بتطهيركم إتمام النعمة عليكم. ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ﴾ أي: عهده.[(٤)] ﴿الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾ أي: عاهدكم به أيها المؤمنون. ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ وذلك حين بايعوا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، فيما أحبوا وكرهوا.[(٥)]

---

(١) التيمم في كلام العرب: القصد، يقال: تيممت فلانا، أي: قصدته. وشرعا: قصد شيء مخصوص، -وهو التراب الطاهر- على وجه مخصوص، -وهو مسح الوجه واليدين- من شخص مخصوص، -وهو العادم للماء، أو من يتضرر باستعماله-.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٢/٩٧)، وأحكام القرآن للجصاص (٣/٣٣٨)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦/١٥٢)"يم"، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٥/٢٩٩)"يمم"، والمغني لابن قدامة (١/١٤٨).

(٢) هذا قول علي، وابن مسعود رضي الله عنهما، وهو مذهب أحمد، والشافعي. وذهب مالك: أن الصعيد: كل ما صعد على وجه الأرض، فيدخل فيه التراب والرمل والشجر والحجر والنبات. وقال أبو حنيفة: الصعيد: ما كان من جنس التراب كالرمل والزرنيخ والنورة. وبسط المسألة في كتب الفقه وأحكام القرآن.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥/١٠٨)، وأحكام القرآن للجصاص (٤/٢٩)، والمغني لابن قدامة (١/١٥٥)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/٢٣٦)، والمجموع للنووي (٢/٢٤٤)، ولسان العرب لابن منظور (٣/٢٥١)"صعد".

(٣) ينظر: العين للخليل (٣/٧٦)، والمفردات للراغب (ص١١٢)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (١/١٨٦)"حرج".

(٤) ينظر: العين للخليل (٥/٢٠٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٩/٢٠٦)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦/٨٥)"وثق".

(٥) يشهد لذلك ما أخرجه البخاري من حديث عبادة بن الصامت ﷺ، قال: «بايعنا رسول الله ﷺ

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: بما في الصدور من خير وشر.

قوله: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ﴾ مضى تفسيره من قبل،[١] وكذا قوله: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ﴾.[٢] وقوله: ﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ أي: إلى التقوى.[٣]

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ هذا كلام تام، وقوله: ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٌ﴾ كلام مستأنف؛ وذلك أن كلمة الوعد والوصف بالإيمان وعمل الصالحات يقتضيان الجزاء بالخير.[٤] وقوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ الجحيم: اسم من أسماء نار الآخرة، وجحيمة النار: معظمها، فالجحيم موقع تعْظُم فيه النار.[٥]

على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم». (صحيح البخاري (٦/٢٦٣٣)، برقم: (٦٧٧٤) كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمامُ الناسَ).

(١) وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ [النساء:١٣٥].

(٢) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْ﴾ [المائدة:٢].

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٦/١٤٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٨)، والتفسير الكبير للرازي (١١/١٤٣).

(٤) قاله أبو عبيدة، والزجاج.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/١٥٦)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/١٥٦)، والتفسير الكبير للرازي (١١/١٤٣).

(٥) أصل الجحيم: شدة توقد النار، ومنه قيل لعين الأسد: "جَحْمة" لشدة توقُّدها، يقال: جَحِمَتِ النارُ تَجْحَمُ، ويقال لشدة الحر: "جاحم".

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ الآية، نزلت على رسول الله ﷺ وهو في بطن نخل[١] في الغزوة السابعة،[٢]فأراد بنو ثعلبة[٣] وبنو محارب[٤] أن يفتكوا به[٥] وبأصحابه إذا اشتغلوا بالصلاة، وقالوا: إن لهم صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأمهاتهم، فإذا سجدوا فيها أوقعنا بهم، فأطلع الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام على ذلك،

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٠١/٤)، والمفردات للراغب (ص٨٨)، ولسان العرب لابن منظور (٨٤/١٢)"جحم".

(١) بطن نخل: قرية قريبة من المدينة، على خمسين ميلًا منها، وهي من منازل بني ثعلبة.

ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٤٤٩/١)، وتهذيب الأسماء للنووي (٣٥/٣)"بطن نخل"، ولسان العرب لابن منظور (٦٥٣/١١)"نخل".

(٢) وهي غزوة ذات الرقاع. لما جاء في صحيح البخاري عن جابر ﷺ أن النبي ﷺ صلى بأصحابه في الخوف في غزوته السابعة غزوة ذات الرقاع. (صحيح البخاري (١٥١٢/٤)، برقم: (٣٨٩٨) كتاب المغازي/باب غزوة ذات الرقاع).

ينظر: تاريخ الطبري (٨٥/٢)، وزاد المعاد لابن القيم (٢٥٠/٣)، والبداية والنهاية لابن كثير (٨٣/٤).

(٣) هم بنو ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غَطَفَان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (١٥٧/٤)، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم (٤٨١/٢).

(٤) هم بنو محارب بن خَصَفَة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. فمحارب وغطفان ابنا عم.

ينظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم (٤٨١/٢)، والأنساب للسمعاني (٣٧٨/٢)، واللباب في تهذيب الأنساب لابن الجزري (١٧٠/٣).

(٥) أصل الفَتْك: الأخذ في غفلة وخديعة. وهو أن يأتي الرجل صاحبه وهو غافلٌ حتى يشدَّ عليه فيقتله، وكلُّ من قتل رجلاً غاراً فهو فاتك.

ينظر: العين للخليل (٣٤٠/٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (٨٦/١٠)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (١٤٥/٢)"فتك".

وأنزل صلاة الخوف.(١)

قوله تعالى: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ أي: كفيلًا (٢)على قومه بالوفاء بما أُمِرُوا به. ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ﴾ أي: ناصركم على عدوكم.(٣)

ثم ابتدأ الكلام فقال: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ أي: نصرتموهم ووقّرتموهم.(٤) ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ أي:

---

(١) أخرجه بنحوه الطبري في جامع البيان (١٤٦/٦)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (٣٤/٤)، والبغوي في معالم التنزيل (١٩/٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣٠٩/٢) عن قتادة مرسلاً.

وبنحوه أخرج مسلم في صحيحه عن جابر ﷺ قال: "غزونا مع رسول الله ﷺ قومًا من جُهَينة، فقاتلونا قتالًا شديدًا، فلما صلينا الظهر قال المشركون: لو ملنا عليهم ميلة لاقتطعناهم، فأخبر جبريل رسول الله ﷺ ذلك، فذكر ذلك لنا رسول الله ﷺ، قال: وقالوا: إنه ستأتيهم صلاة هي أحب إليهم من الأولاد، فلما حضرت العصر قال: صفنا صفين، والمشركون بيننا وبين القبلة..." الحديث. (صحيح مسلم (٥٧٥/١)، برقم: (٨٤٠)،كتاب صلاة المسافرين وقصرها/باب صلاة الخوف.

(٢) قاله جمهور المفسرين.وأصل النقيب في اللغة: الأمين والكفيل الذي يعرف مداخل القوم، والنقيب: كبير القوم القائم بأمورهم، وإنما قيل للنقيب نقيبٌ لأنه يعلم دخِيلة القوم ويعرف مناقبهم، وهو الطريق إلى معرفة أمورهم.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١٥٦/١)، وجامع البيان للطبري (١٤٨/٦)، ومعاني القرآن للزجاج (١٥٧/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري ١٥٩/٩)"نقب".

(٣) قاله عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٥٠/٦)، والكشف والبيان للثعلبي (٣٧/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢١/٢)، والتفسير الكبير للرازي (١٤٦/١١).

(٤) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٥٩/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٧٨/٢)، والمفردات للراغب (ص٣٣٣)"عزر"، ومعالم التنزيل للبغوي (٢١/٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١٦٨/٢).

إقراضًا.(١)

وقوله: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: أخطأ قصد الطريق.(٢)

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ أي: فبنقضهم،(٣) وذلك أنهم نقضوه من وجوه: كذبوا الرسل، وقتلوا الأنبياء، ونبذوا كتابه، وضيعوا فرائضه.(٤) ﴿لَعَنَّٰهُمْ﴾ أي: عذبناهم

---

(١) قال الطبري رحمه الله:"وكيف قال: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، ولم يقل: إقراضًا حسنًا؛ وقد علمت أن مصدر أقرضت: الإقراض؟ قيل: لو قيل ذلك كان صوابًا، ولكن قوله:﴿ قَرْضًا حَسَنًا﴾ أخرج مصدرًا من معناه لا من لفظه، وذلك أن في قوله: أَقْرَضَ معنى: قَرَضَ، كما في معنى أعطى: أخذ، فكان معنى الكلام: وقرضتم الله قرضًا حسنًا. ونظير ذلك:﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾[نوح:١٧]، إذ كان في ﴿أَنۢبَتَكُم﴾ معنى فَنَبَتُّم". جامع البيان (١٥٢/٦).

ينظر: التفسير الكبير للرازي (١٤٧/١١)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (٤٢٦/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤٦٠/٣).

(٢) أصل السواء: الوسط. والسواء: القصد والمنهج. والسبيل: الطريق المسبول، صُرف من مسبول إلى سبيل.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٥٣/٦)، والوجيز للواحدي (٣١٢/١)، وتفسير القرآن للسمعاني (١٢٥/١)، والمفردات للراغب (ص٢٥١)"سوا".

(٣) قاله جمهور المفسرين، وأهل اللغة. والعرب تستعمل (ما) في كلامها توكيداً، وإن كان الذي قبلها يَجُرّ جررتَ الاسم الذي بعدها، وإن كان مرفوعاً رفعت الاسم، وإن كان منصوباً نصبت الاسم.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١٥٧/١)، وجامع البيان للطبري (١٥٤/٦)، ومعاني القرآن للزجاج (١٥٩/٢)، والكشاف للزمخشري (٦١٩/١).

(٤) قاله قتادة رحمه الله.

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٣٨/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢١/٢)، والتفسير الكبير للرازي (٧٧/١١).

بالجزية.[(١)] ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ غليظة لا تلين.

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ تحريف الشيء عدولٌ به عن الجهة المستقيمة إلى الاعوجاج، وحدّ كل شيء حرفه؛ لأنه من الأطراف، والاستقامة ما في الأوساط،[(٢)] وذلك أنهم كانوا يحرفون من التوراة كلمات، ويكتبون بأيديهم كلمات ليبطلوا أحكام الله، ويلبسوا أمر محمد ﷺ.[(٣)] ﴿وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ أي: تركوا بعض ما أُمِرُوا به.[(٤)] ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ معناه: على فرقة خائنة.[(٥)]

---

(١) قاله ابن عباس رضي الله عنهما. ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٤/٣٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/٣١٣)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٦/١١٥).وأصل اللعن: الطرد والإبعاد عن رحمة الله، ثم يوضع في معنى السبّ والتعذيب، ومن ذلك: دفع الجزية.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢/٢٤٠)، والمفردات للراغب (ص٤٥١)، وتهذيب الأسماء للنووي (٣/٣٠٤)"لعن".

(٢) ينظر: العين للخليل (٣/٢١٠)، وتهذيب اللغة للأزهري (٥/١٠)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/٤٢)"حرف".

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٦/١٥٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/٢٨٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/٢٢).

(٤) قاله جمهور المفسرين. وقال ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، وقتادة: نسوا الكتاب. وكلا المعنيين مراد، فإن الله تعالى أوكل حفظ التوراة إليهم ولم يتكفل بحفظه كما تكفل بحفظ القرآن الكريم. والحظ هو النصيب المقدَّر.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦/١٥٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/٢٨٣)، وتفسير السمرقندي (١/٤٠١)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٣/١٦٤٥)، والمفردات للراغب (ص١٢٣) "حظ"، والدر المنثور للسيوطي (٣/٤١).

(٥) قاله مجاهد رحمه الله.قال الرازي رحمه الله:"وفي الخائنة وجهان: الأول: أن الخائنة بمعنى المصدر، ونظيره كثير، كالكافية والعافية، وقال تعالى:﴿فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾[الحاقة:٥]، أي بالطغيان. وقال:﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾[الواقعة:٢]، أي: كذب. وقال:﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً﴾ [الغاشية:١١]، أي: لغواً.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ تقديره: يخونونك إلا قليلًا.(١) ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ منسوخ بآية القتال.(٢) قوله: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ تقديره: ومن الذين قالوا إنا نصارى قومٌ أخذنا ميثاقهم.(٣)

والثاني: أن يقال: الخائنة صفة، والمعنى: تطلع على فرقة خائنة، أو نفس خائنة، أو على فعلة ذات خيانة". التفسير الكبير (١٤٨/١١).

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٢٨٢/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٣٨/٤)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١٦٩/٢)،

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٦١/٢)، وإعراب القرآن للنحاس (١١/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٣٨/٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢٢/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢١/٢)،

(٢) هذا قول قتادة رحمه الله.وذهب ابن عباس وعائشة ﷺ: بأن الآية محكمة غير منسوخة، وهذا هو الأظهر، وهو اختيار الطبري رحمه الله، فإن النسخ لا بد فيه من إثبات الناسخ على وجه يتنافى الجمع بينهما مع تأخر الناسخ عن المنسوخ، وكلاهما منتف ههنا، بل إن البعض من العلماء ذهب إلى أن سورة المائدة ليس فيها حكم منسوخ، وذلك لتأخر نزولها، يقول جبير بن نفير: دخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت لي: يا جبير، هل تقرأ المائدة؟ قلت: نعم، قالت: « أما إنها من آخر سورة نزلت، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم فيها من حرام فحرموه ». أخرجه أحمد في مسنده (١٨٨/٦)، برقم: (٢٥٥٨٨)، والنسائي في السنن الكبرى (٣٣٣/٦)، برقم: (١١١٣٨) كتاب التفسير/تفسير سورة المائدة، والحاكم في مستدركه (٣٤٠/٢)، برقم: (٣٢١٠) تفسير سورة المائدة، وقال:" هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه". قال ابن حجر رحمه الله:" حتى صح عن ابن عباس وعائشة وعمرو بن شرحبيل وجمع من السلف أن سورة المائدة محكمة". فتح الباري (٤١٢/٥). قال الخازن رحمه الله:"وعلى هذا القول: بأنها غير منسوخة، يكون معنى الآية: فاعفُ عن مؤمنهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم قبل ذلك". لباب التأويل (٢٧/٢).

ينظر: جامع البيان للطبري (١٥٨/٦)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (٣٨١/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢١/٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١٧٠/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣١٤/٢).

(٣) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٢٩٣/١)، ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب (٢٢١/١)، والدر المصون للسمين الحلبي (٢٢٥/٤).

﴿فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ أي: أُمروا بتوحيد الله، واعتقاد أن عيسى عليه السلام عبدٌ مرسلٌ، فتركوا ذلك وقالوا: هو إله وابن إله.(١) -تعالى من قولهم-.[٣٨/ب]

﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ أغرينا: ألصقنا، يقال: غرى الشيء بالشيء، إذا لصق به،(٢) وهم اليهود والنصارى أغرى بينهم فيما بغوا وعادوا.(٣)

قوله ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ هذا وعيد شديد، أي: ما الله بغافل عن فعلهم، وأمهلهم يتحالفون ويتمادون في باطلهم، وعند المحاسبة وتوفية جزاء الأعمال يذكّرهم ما قالوه وما فعلوه، ويعاقبهم أشدّ العقاب كما استحقّوه.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: من أمر محمد ﷺ.(٤)

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١٥٩/٦)، وتفسير السمرقندي (٤٠١/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٢/٢)، والدر المنثور للسيوطي (٤٢/٣).

(٢) مأخوذ من: الغِرَاء، وهو ما يلصق الشيء بالشيء كالصمغ وشبهه، يقال: غَرَى بالشيء يغرَى غَرَا -بفتح الغين مقصورا- وغِرَاء -بكسر الغين ممدودا- إذا أولع به، كأنه التصق به، والإغراء: التحريض.
ينظر: معاني القرآن للنحاس (٢٨٣/٢)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١٦٤٨/٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٦٠/٨)، والمفردات للراغب (ص٣٦٠)"غرا".

(٣) قاله مجاهد، والسدي، وابن زيد.وذهب الربيع بن أنس، واختاره الطبري، والزجاج، والنحاس، وابن كثير: بأن الهاء والميم في قوله تعالى:﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾عائدتان على النصارى دون اليهود، لأنهم أقرب المذكورين، والأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه. خصوصًا أن الخبر عن اليهود قد تقضى وانتهى سياقه، ثم ذكر الله جل ثناؤه الخبر عن النصارى، فيرجع الضمير إليهم أولى من رجوعه إلى غيرهم. والله تعالى أعلم.
ينظر: جامع البيان للطبري (١٥٩/٦)، ومعاني القرآن للزجاج (١٦١/٢)، وإعراب القرآن للنحاس (١٢/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٤/٢).

(٤) كإخفاء اليهود من صفات الرسول ﷺ في كتابهم، وإنكارهم أنهم يعرفون أنه هو الرسول، كما

وآية الرجم.(١) ﴿وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾ أي: يعرض عن كثير مما في قلوبهم في

بينه ﷺ بقوله:﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[البقرة:٨٩]. وكتم النصارى بشارة عيسى ابن مريم عليه السلام لهم بمحمد ﷺ كما في قوله تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[الصف:٦].

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٢/٢٨٤)، وتفسير السمرقندي (١/٤٠٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٣٩)، والنكت والعيون للماوردي (٢/٢٢).

(١) يشهد لذلك ما ثبت عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: "مُرَّ على النبي ﷺ بيهودي مُحَمَّمًا مجلودًا فدعاهم ﷺ فقال:«هكذا تجدون حدّ الزاني في كتابكم»؟ قالوا: نعم، فدعا رجلا من علمائهم فقال: «أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى؛ أهكذا تجدون حدّ الزاني في كتابكم؟» قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحدّ، قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله ﷺ:«اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه»، فأَمَرَ به فرُجم". أخرجه مسلم في صحيحه (٣/١٣٢٧)، برقم: (١٧٠٠) كتاب الحدود/باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنا.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:" من كفر بالرجم فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحتسب، وذلك قول الله تعالى:﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾، فكان مما أخفوا الرجم". أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٦/٣٣٣)، برقم: (١١١٣٩)، كتاب التفسير/سورة المائدة، قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾، وابن حبان في صحيحه (١٠/٢٧٦)، برقم: (٤٤٣٠) كتاب الحدود/ ذكر إخفاء أهل الكتاب آية الرجم حين أنزل الله فيه ما أنزل، والحاكم في مستدركه (٤/٤٠٠)، برقم: (٨٠٦٩)، وقال:" حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

ينظر: جامع البيان للطبري (٦/١٦٠)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/٢٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٢٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/٣١٦).

عداوته.[١] ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ أي: محمد ﷺ.[٢]
﴿وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ أي: بيِّن.[٣] ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ﴾ أي: يهدي بهما الله، فاكتفى برجوعها إلى الأقرب من رجوعها إلى الأبعد.[٤] ﴿مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ أي: طريق الجنة، فهي طرق السلام من المكاره.[٥]
﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ﴾ أي: بتوفيقه وتسديده.
﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: طريق الحق وإلى الحق.
﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٦/١٦١)، والوجيز للواحدي (١/٣١٣)، والمحرر لوجيز لابن عطية (٢/١٧٠)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/٣١٦).

(٢) قاله جمهور المفسرين.
ينظر: جامع البيان للطبري (٦/١٦١)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/١٦١)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٣٩)، والتفسير الكبير للرازي (١١/١٥٠).

(٣) قاله عامة المفسرين.
ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٢٨٨)، وجامع البيان للطبري (٦/١٦١)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٣٩)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/١١٨).

(٤) قال السمين الحلبي:" إن الضمير في "به" أتى به مفردًا، وقد تقدمه شيئان، وهما: ﴿نُورٌ وَكِتَابٌ﴾، ولكن لما قصد بالجملة من قوله:﴿ يَهْدِي ﴾ الحالَ أو الوصفَ من أحدهما أفردَ الضمير". الدر المصون (٤/٢٢٩).
ينظر: تفسير البيضاوي (٢/٣٠٧)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/٤٦٣)، وروح البيان للألوسي (٢/٢٩٦).

(٥) قاله الزجاج، والراغب، والقرطبي.
ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/١٦١)، والمفردات للراغب (ص٢٢٣)"سبل"، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٢٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/١١٨).

﴿مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ أي: من يطيق أن يدفع من أمر الله شيئا، فيردّه إذا قضاه.(١)

وقوله: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: ما بين النوعين من المخلوقات.(٢)

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾ وذلك أن نعمان بن أضاء، وبحر بن عمرو، وشاس بن عدي،(٣) أتوا النبي ﷺ فكلموه، فكلمهم رسول الله ﷺ، ودعاهم إلى الله وحذرهم نقمته، فقالوا: ما تخوفنا يا محمد، نحن والله أبناء الله وأحباؤه، فنزلت الآية.(٤) ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ والحبيب لا يعذب حبيبه، والأب لا يعذب ابنه، وأنتم مقرُّون بأنواع العذاب المذكورة في التوراة والإنجيل التي أوعد الله العصاة بها.(٥) ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ مجزيون بالإحسان والإساءة.

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١٦٣/٦)، والكشف والبيان للثعلبي (٣٩/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٢/٢).

(٢) قال الطبري رحمه الله: "وقد ذكر ﴿ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ بلفظ الجمع ولم يقل: وما بينهن؛ لأن المعنى: وما بين هذين النوعين من الأشياء". جامع البيان للطبري (١٦٣/٦).

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٤٠/٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣١٧/٢)، ولباب التأويل للخازن (٢٨/٢).

(٣) نعمان بن أضاء، وبحري بن عمرو، وشاس بن عدي، هؤلاء من يهود بني قينقاع، وكانوا أشد اليهود عداء للنبي ﷺ.

ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (١٠١/٣)، ونهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري (٢٧٠/١٦)، والسيرة النبوية لابن كثير (٣٤٣/٢).

(٤) ذكره ابن هشام في السيرة النبوية (١٠١/٣)، والطبري في جامع البيان (١٦٤/٦)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥٣٥/٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وحسن إسناده الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٢٩٦/٢).

(٥) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٤٠/٤)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١٦٥٢/٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢٤/٢).

﴿يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ أي: فضلًا ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ أي: عدلًا.

وقوله: ﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا﴾ أي: محمد عليه الصلاة والسلام. ﴿يُبَيِّنُ لَكُمۡ﴾ أي: أعلام الهدى وشرائع الدين.(١) ﴿عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي: انقطاع من الرسل،(٢) وهي فيما بين عيسى وبين نبينا محمد عليهما السلام ستمائة سنة.(٣)

﴿أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ﴾ أي: كراهة أن تقولوا، وحَذْف المضاف كثير في الكلام.(٤)

قوله: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا﴾ وذلك أنه إذا كان لأحد من بني إسرائيل خادم وامرأة ودابة كتب مَلِكًا.(٥)

---

(١) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٤/٤٠)، والتفسير الكبير للرازي (١١/١٥٣)، ولباب التأويل للخازن (٢/٣٠).

(٢) أصل الفترة: سكون بعد حركة في جرم، ويستعار ذلك في المعاني، وسميت فترة: لأن الرسل كانت تترى بعد موسى عليه السلام من غير انقطاع إلى زمن عيسى عليه السلام، ولم يكن بعد عيسى عليه السلام سوى رسولنا ﷺ.

ينظر: غريب القرآن لابن عزيز السجستاني (ص٣٦٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/٢٨٥)، والمفردات للراغب (ص٣٧١)"فتر".

(٣) يشهد لذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال:" فترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم ستمائة سنة". (صحيح البخاري (٣/١٤٣٥)، برقم: (٣٧٣٢) كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم/باب إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه.

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٦/١٦٩)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/١٦٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/٢٤)، والتفسير الكبير للرازي (١١/١٥٤).

(٥) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة، والحسن، ومجاهد، وعكرمة.

ينظر: تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني (١/١٨٧)، وسنن سعيد بن منصور (٤/١٤٥٠)، وجامع البيان للطبري (٦/١٦٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/٢٨٦). وصحح إسناده عن ابن عباس رضي الله

﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ يعني: عالمي زمانكم.[(١)]

﴿يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ أي: الشام. [(٢)] ﴿ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: أمركم بدخولها. ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾ أي: أعقابكم بخلاف أمر الله ﴿فَتَنقَلِبُوا خَـٰسِرِينَ﴾.

﴿قَالُوا يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ وذلك أنهم كانوا ذوي أجسام عظيمة قوية، وكانوا يسمَّون العمالقة، وكان فيه عُوَج بن عِناق[(٣)] وأُمُّه عُنُق، كان يتناول الحوت من قرار البحر،

عنهما: الحاكم في المستدرك (٢/٣٤١) برقم: (٣٢٤١)، وقال:"صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه". وصححه عن قتادة: الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٢/٢٩٨).

(١) قاله جمهور المفسرين. قال ابن كثير رحمه الله:"يعني: عالمي زمانكم، فإنهم كانوا أشرف الناس في زمانهم من اليونان والقبط وسائر أصناف بني آدم... وإلا فهذه الأمة أشرف منهم وأفضل عند الله، وأكمل شريعة، وأقوم منهاجًا، وأكرم نبيًا، وأعظم مُلْكًا، وأغزر أرزاقًا، وأكثر أموالًا، وأولادًا، وأوسع مملكة، وأدوم عزًا". تفسير القرآن العظيم (٢/٣٨).

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٤/٤٢)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٣/١٦٥٩)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٢٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/٣٢٢).

(٢) قاله قتادة رحمه الله، رواه عنه عبد الرزاق في تفسير القرآن (١/١٨٦)، والطبري في جامع البيان (٦/١٧٢)، وذكره النحاس في معاني القرآن (٢/٢٨٨)، والثعلبي في الكشف والبيان (٤/٤٢)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/٢٤).

(٣) قيل: هو عُوَج بن عِنَاق بن آدم، يُذكر أنه عاش في الأرض ثلاثة آلآف سنة، ويذكرون أنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاث مئة وثلاثة وثلاثين ذراعًا وثُلُثًا، يصطاد الحيتان فيشويها في عين الشمس، وأنه بقي من زمن نوح إلى زمن موسى عليهما السلام، وكان كافرًا متمردًا جبارً عنيدًا، إلى غير ذلك من الإسرائيليات. وهي في الحقيقة شخصية وهمية، لا وجود لها بهذا الوصف الذي وصفه الواصفون، إلا في الخيال الجامح، والإسرائيليات المغرقة في المبالغة والتهويل، وأخباره مع نبي الله نوح ونبي الله موسى عليهما السلام، فباطل محال، وقد ردّ ذلك المحققون من أهل العلم، كابن عطية، وابن القيم، وابن كثير، رحمهم الله، ولا يمكن أن يكون قد بقي من زمن نوح إلى زمن موسى عليهما السلام؛ لأن الله تعالى يقول:

فيشويه بعين الشمس، ثم يأكله، وكان لموسى عليه السلام عسكر فرسخًا، فجاء عوج حتى نظر إليهم، ثم جاء الجبل وقوّر(١) منه صخرة على قدر العسكر، ثم حملها ليطبقها عليهم، فانثقبت الصخرة(٢) بإذن الله، ووقعت في عُنق عِوَج فصرعته، وأقبلت جماعة كثيرة ومعهم الخناجر، حتى حزّوا رأسه.(٣)

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴾[الشعراء:١١٩-١٢٠]، وقال تعالى:﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾[نوح:٢٦]، ثم إن هذا الطول الذي ذكروه مخالف لما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:« خلق الله آدم وطوله ستون ذراعًا، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن ». (صحيح البخاري (٣/١٢١٠)، برقم: (٣١٤٨) كتاب الأنبياء / باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، ومسلم (٤/٢١٨٣)، برقم: (٢٨٤١) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها). وهذا يقتضي أنه لم يوجد من ذرية آدم عليه السلام من كان أطول منه. قال ابن كثير رحمه الله:"وما أظن أن هذا الخبر عن عُوج بن عِنَاق إلا اختلاقًا من بعض زنادقتهم وفجارهم، الذين كانوا أعداء الأنبياء، والله أعلم". البداية والنهاية (١/١١٤).

ينظر: تاريخ الطبري (١/١١٥)، وحلية الأولياء لأبي نعيم (٨/٣٥١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/١٧٧)، والمنار المنيف لابن القيم (ص٧٦)، والأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة للملا علي القاري (ص٤٤٧).

(١) كل شيء قطعت من وسطه خرقًا مستديرا فقد قوّرته.

ينظر: العين للخليل (٥/٢٠٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (٩/٢١١)، ولسان العرب لابن منظور (٥/١٢١)"قور".

(٢) أي: انخرقت، من الثُّقب، مصدر ثَقبْت الشيء أَثقُبه ثُقْبًا، والثُّقب: اسم لما نَفَذ.

ينظر: العين للخليل (٥/١٣٩)، وتهذيب اللغة للأزهري (٩/٨١)"ثقب".

(٣) رواه الطبري في جامع البيان (٦/١٧٤) عن السدي، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (٤/٣٦)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٦/١٢٦) بدون سند. وضعف القصة ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/١٧٧). وقال ابن القيم رحمه الله:"ولا ريب أن هذا وأمثاله من وضع زنادقة أهل الكتاب الذين قصدوا السخرية والاستهزاء بالرسل وأتباعهم". المنار المنيف (ص٧٧). وقال ابن كثير رحمه الله:"ذكر كثير من المفسرين ها هنا أخبارًا من موضع بني إسرائيل في عظمة خلق هؤلاء الجبارين، وأن منهم عُوَج بن عِنَاق،

قوله: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ ﴾ هما يوشع،(١) وكالب.(٢)(٣)

﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ﴾ أي: لأنّ قلوبهم ضعيفة وإن كانت أجسامهم [٣٩/أ] عظيمة.(٤)

قوله: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ فلما قالوا ذلك غضب موسى عليه السلام ودعا: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ

وأنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاث مئة وثلاثة وثلاثون ذراعا وثلث ذراع، وهذا شيء يستحى من ذكره،.... هذا لا يسوغ في عقل ولا شرع، ثم في وجود رجل يقال له: عوج بن عنق نظر؛ والله أعلم". تفسير القرآن العظيم (٢/٣٩).

ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (١/٢٧٨)، ومقدمة ابن خلدون (ص١٧٧)، والحاوي للفتاوى للسيوطي (٢/٣٢٨).

(١) هو يوشع بن نون بن أفراييم بن يوسف بن يعقوب عليهم السلام، صاحب موسى عليه السلام وفتاه، من سادات بني إسرائيل وعلمائهم وعبادهم الكبار، وقد أوحى الله تعالى إليه وجعله نبيًا بعد موسى وهارون عليهما السلام.

ينظر: تاريخ الطبري (١/٢٥٧)، والمنتظم لابن الجوزي (١/٣٧٧)، والبداية والنهاية لابن كثير (١/٢٧١).

(٢) هو كالب بن يوقنا بن بارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام، كان من الاثني عشر نقيبًا، خَلَفَ بعد يوشع بن نون في بني اسرائيل، يقيم فيهم التوارة وأمر الله حتى قبضه الله تعالى.

ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري (١٤/٦)، والبداية والنهاية لابن كثير (١/٣١٨)،). ومفحمات الإقران في مبهمات القرآن للسيوطي (ص٨٣).

(٣) قاله أكثر المفسرين، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، والسدي، وقتادة.وحسن إسناده عن السدي: الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٢/٢٩٩).

ينظر: جامع البيان للطبري (٦/١٧٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/٢٨٨)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٣/١٦٦٤)، والنكت والعيون للماوردي (٢/٢٦)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/١٧٥).

(٤) ينظر: تفسير السمرقندي (١/٤٠٦)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٤٣)، ولباب التأويل للخازن (٢/٣٢).

أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: فافصل واقض.[(١)]
﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: يتحيرون،[(٢)] فلبثوا أربعين سنة يسيرون كل يوم جادّين،حتى إذا سئموا وأمسوا إذا هم في الموضع الذي ارتحلوا منه، ولم يدخل أريحا[(٣)] أحد ممن قالوا: ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا﴾، فلما هلكوا وانقضت أربعون سنة، ونشأت النواشئ من ذراريهم ساروا إلى حرب الجبارين، ثم فتح موسى عليه السلام أريحا، وكان يوشع على مقدمته، فسار موسى إليهم بمن بقي من بني إسرائيل، فدخلها بهم يوشع، وقاتل الجبابرة الذين كانوا بها، ثم دخلها موسى ببني إسرائيل، فأقام فيها ما شاء الله أن يقيم، ثم قبضه الله إليه.[(٤)]

قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾ الآية، قال أهل العلم بالأخبار: كان

---

(١) قاله جمهور المفسرين وأهل اللغة.وفَرَقْتُ بين الشيئين: إذا فصلت بينهما، سواء كان ذلك بفصلٍ يدركه البصر أو بفصلٍ تدركه البصيرة.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦/١٨١)، والمفردات للراغب (ص٣٧٧)، ولسان العرب لابن منظور (١٠/٣٠٠)"فرق"، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٤٠).

(٢) يقال: تَاهَ يَتِيْه إذا تحيَّر وضلّ، والتِّيه: الذهاب في الأرض إلى غير مقصود، ومن ذلك قيل للرجل الضالّ عن سبيل الحق: تائه.

ينظر: العين للخليل (٤/٨٠)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/٣٦١)، والمفردات للراغب (ص٧٦)"تيه".

(٣) أَرِيْحَا: مدينة فلسطينية، تقع على الضفة الغربية بالقرب من نهر الأردن، عند شمال البحر الميت، وشرق بيت المقدس.

ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (١/١٦٥)، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان (٧/٢٢٨).

(٤) ذكره الطبري بنحوه مطولا في جامع البيان (٦/١٨٣) عن ابن إسحاق، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (٤/٤٤)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/٢٦) بدون سند. وهي أخبار مأخوذة عن بني إسرائيل غير موثوق بها؛ إذ ليس فيه شيء مرفوع ثابت إلى النبي ﷺ.

سبب تقريبهما القُربان(١) أن حوّاء كانت تلد لآدم عليه السلام توأمين، في كل بطن غلامًا وجاريةً إلا شِيْثًا، فإنها ولدته مفردًا، وكان جميع ما ولدته حواء أربعين من ذكر وأنثى، في عشرين بطنًا، أولهم قابيل وتوأمته أقليما، وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أَمَة المغيث، ثم بارك الله في نسل آدم حتى انتشروا، وكان آدم عليه السلام إذا شبَّ أولاده يزوِّج غلام هذا البطن جارية البطن الآخر، ويزوِّج جارية هذا البطن غلام البطن الآخر، وكان الرجل يتزوَّج أيَّ أخواته شاء، إلا توأمته التي ولدت معه؛ فإنها لا تحل له، وذلك أنه لم يكن نساء يومئذ إلا أخواتهم وأمهم حواء، فلما ولد قابيل وأقليما في بطن، ثم هابيل وتوأمته ليوذا في بطن، وأدركوا أمر الله عز وجل آدم عليه السلام أنْ يُنكح قابيل ليوذا أخت هابيل، ويُنكح هابيل أقليما أخت قابيل، وكانت أخت قابيل من أحسن الناس، فذكر آدم لولده، فرضي هابيل، وسخط قابيل وقال: هي أختي ولدت معي، وهي أحسن من أخت هابيل، فأنا أحق بها منه، فقال له أبوه: إنها لا تحل لك، فأبى أن يقبل ذلك منه، وقال: إن الله لم يأمره بهذا، وإنما هو من رأيه، فقال لهما آدم: فقرِّبا قربانًا، فأيهما يقبل قربانه فهو أحق بها، وكانت القرابين إذا كانت مقبولة نزلت نار بيضاء من السماء فأكلتها، وإذا لم تكن مقبولة لم تنزل النار، وأكلتها الطيور والسباع، فخرجا ليقربا، وكان قابيل صاحب زرع، فقرَّب صُبْرَةً من طعام(٢)من أردى زرعه، وكان هابيل صاحب ماشية، فقرَّب حملًا سمينًا من خير غنمه، ولبنًا وزُبْدًا،(٣) فوضعا قربانهما على الجبل، ثم دعا آدم عليه السلام،

---

(١) القُربان: من التقرب، وهو التدني والتواصل. والقُربان: ما قرَّبتَ إلى الله تبتغي بذلك قربة عند الله. ينظر: العين للخليل (١٥٢/٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (١١٠/٩)، وتاج العروس للزبيدي (٣٦١/١٦)"قرب".

(٢) الصُّبْرة من الطعام هي: الكومة المجموعة من الطعام، سميت بذلك: لإفراغ بعضها على بعض، يقال: صبرت المتاع وغيره إذا جمعته وضممت بعضها إلى بعض.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٢٠/١٢)، وتهذيب الأسماء للنووي (١٦٣/٣)"صبر".

(٣) الزُّبْد: زُبْد السمن قبل أن يسلأ، والقطعة منه زُبْدَة، وهو ما خلَص من اللّبن إذا مخِض، وإذا أخذ الرجلُ صفو الشيء قيل: قد تزبّده.

ينظر: العين للخليل (٣٥٧/٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٢٧/١٣)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس

فنزلت، نار من السماء، وأكلت الحمل والزبد واللبن، ولم تأكل من قربان قابيل حبًا، فذلك قوله تعالى: ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ﴾ فنزلوا عن الجبل وتفرقوا، وقد غضب قابيل لما ردَّ الله قربانه، وظهر فيه الحسد والبغي، وكان يُضمر ذلك قابيل في نفسه، إلى أن أتى آدم مكة ليزور البيت، فلما أراد أن يأتي مكة قال للسماء: احفظي ولدي بالأمانة فأبت، وقال ذلك للأرض فأبت، وللجبال فأبت، فقال ذلك لقابيل فقبل، وقال: نعم، ترجع وترى أهلك كما يسرك، [٣٩/ب] فرجع آدم وقد قَتل قابيل أخاه، فذلك قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[الأحزاب:٧٢]، حين حمل أمانة أبيه، ثم خانه ظلما، وسار آدم أتى قابيلُ هابيلَ وهو في غنمه، فقال له: لأقتلنّك، قال: ولم؟ قال: لأن الله قبل قربانك وردَّ علي قرباني، فقال له هابيل: وما ذنبي؟ ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.[1] ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ﴾ أي: مددت إلي يدك ﴿لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ﴾ أي: مادٌّ ﴿يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ﴾ أي: ترجع[2] ﴿بِإِثْمِى﴾ يعني: بإثم قتلي.

(٤٣/٣)"زبد".

(١) أخرج هذه القصة الطبري في جامع البيان (١٨٦/٦) عن السدي، وابن إسحاق، وأوردها الثعلبي في الكشف والبيان (٤٨/٤)، والبغوي في معالم التنزيل (٢٨/٢)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٣٣/٦)، والخازن في لباب التأويل (٣٨/٢). وهي من قصص أهل الكتاب، ليس له أصل صحيح يعتمد عليه، وضعف القصة الدكتور حكمت بشير في تحقيقه على تفسير ابن كثير (٣٦٩/٣).

(٢) يقال: باءَ إلى الشيء يَبُوءُ بَوْءًا: إذا رجع.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٦٧/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٤٢٦/١٥)"باء"، والمفردات للراغب (ص٦٩)"بواء".

﴿وَإِثْمِكَ﴾ أي: إلى إثمك الذي عملته قبل قتلي هذا[١] ﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاؤُا الظَّالِمِينَ﴾.

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ أي: سوَّلت نفسه ذلك.[٢] ﴿فَقَتَلَهُ﴾ أي: شدخ رأسه بالحجر.[٣] وهو أول قتيل من بين آدم.[٤]

﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ خسر أمر آخرته، وخسر أخاه، وخسر رضا والديه.

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾ لما قَتَله لم يدر كيف يدفنه، إذ لم يُعهد الدفن

---

(١) قاله عامة المفسرين، وهو المروي عن ابن عباس، وابن مسعود ﷺ، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والضحاك.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٩٢/٦)، وأحكام القرآن للجصاص (٣٨/٤)، والكشف والبيان للثعلبي (٥٠/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٩/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٣٥/٢).

(٢) وأصل الطوع: الانقياد. ويضاده: الكَرْه.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٩٥/٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٢٩٧/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٦٦/٣)، والمفردات للراغب (ص٣١٠)"طوع".

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنهما. وذهب الطبري رحمه الله: بأنه ليس هناك خبر يقطع العذر بصفة قتله إياه. قال أبو حيان رحمه الله:"وتكلم المفسرون في أشياء من كيفيته، ومكان قتله وعمره حين قُتل، وهم في ذلك اختلاف، ولم تتعرض الآية لشيء من ذلك". البحر المحيط (٤٧٩/٣).

ينظر: جامع البيان للطبري (١٩٥/٦)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٣٧/٢)، والتفسير الكبير للرازي (١٦٤/١١)،

(٤) يشهد لذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« لا تُقْتَلُ نفسٌ ظلمًا إلا كان على بن آدم الأول كفلٌ من دمها، لأنه أول من سنّ القتل». (صحيح البخاري (١٢١٣/٣)، برقم: (٣١٥٧) كتاب الأنبياء/ باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، ومسلم (١٣٠٣/٣)، برقم: (١٦٧٧)، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والدّيات).

ينظر: جامع البيان للطبري (١٩٤/٦)، والنكت والعيون للماوردي (٣٠/٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (٣١/٢)، وأحكام القرآن لابن العربي (٨٥/٢).

قبل ذلك، وأما القتل وكان عرفه بذبح الغنم، فبعث الله غرابَيْن فاقتتلا، فقَتَل أحدهما صاحبه، ثم حفر له بمنقاره وبرجله حتى مكَّن له، ثم ألقاه في الحُفيرة، وقابيل ينظر إليه، فتعلَّم منه قابيل مواراة أخيه.(١) ﴿قَالَ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ أي: يا حسـرتا ويا عجبا(٢)﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلْغُرَابِ﴾. وقوله: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ﴾ لأنه لم يظفر بمراده من أخيه، وتبرَّأ منه أبواه، ولامه كل من عرفه، فودّ لو لم يفعل، وندم لأنه عصى.(٣)

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: من جهة ذلك وسبب ذلك ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي: بغير قودٍ.(٤)

﴿أَوْ فَسَادٍ﴾ أي: بفسادٍ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ أي: المؤمنون كلهم خُصَماء القاتل؛ لأن المؤمنين كنفس واحدة.(٥)

---

(١) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦/١٩٦)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٥١)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٣/١٦٨٤)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/١٨٠).

(٢) أصل ﴿يَـٰوَيْلَتَىٰٓ﴾: يا ويلتي، ثم أبدل من الياء ألف وفتحت التاء لأنها أخف من الياء والكسرة، وهي كلمة تحسر وتلهف وتستعمل عند وقوع الداهية العظيمة. وأصل الويل: الخزي، ثم شاع في كل أمر فظيع.

ينظر: العين للخليل (٨/٣٦٦)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٥/٣٢٦)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٥/٢٣٥)"ويل".

(٣) ينظر: تفسير السمرقندي (١/٤٠٩)، وأحكام القرآن للجصاص (٤/٤٩)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٥١)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/٣٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/٣٣٩).

(٤) أي: بغير أن تقتل نفسًا فتستحق القتل فيقاد منه.

ينظر: الوجيز للواحدي (١/٣١٧)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٣١)، والكشاف للزمخشري (١/٦٦٠)، وأحكام القرآن لابن العربي (٢/٨٩)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/١٤٦).

(٥) قاله الزجاج رحمه الله.قال ابن عطية رحمه الله:"إن الشَّبه بين قاتل النفس وقاتل الكلّ لا يطرد من

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ أي: استنقذها من غرق، أو حرق، أو هدم، أو خصمٍ يقصد قتله ظلمًا، ﴿فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ أي: هو في إسدائه المعروف إليهم بإحيائه أخاهم المؤمن بمنزلة من أحيا كل واحد منهم.(١)

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ نزلت في الكفار،(٢) لأن قومًا من عُرينة(٣) أتوا المدينة وأظهروا الإسلام، وأقاموا ما شاء الله، ثم شكوا إلى النبي ﷺ اجتواء(٤)

جميع الجهات، لكن الشَّبه قد تحصل من ثلاث جهات: إحداها: القود، فإنه واحد. والثانية: الوعيد، فقد توعد الله قاتل النفس بالخلود في النار، وتلك غاية العذاب، فإن فرضناه يخرج من النار بعد بسبب التوحيد، فكذلك قاتل الجميع أن لو اتفق ذلك. والثالثة: انتهاك الحرمة، فإن نفسًا واحدة في ذلك وجميع الأنفس سواء". المحرر الوجيز (١٨٢/٢).

ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٦٨/٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (٣٣/٢)، وأحكام القرآن لابن العربي (٨٨/٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤٦/٦).

(١) هذا قول مجاهد، والضحاك، وقتادة، والحسن، والزجاج.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٠٠/٦)، ومعاني القرآن للزجاج (١٦٩/٢)، وتفسير السمرقندي (٤٠٩/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤٧/٦).

(٢) قاله جمهور العلماء. قال ابن تيمية رحمه الله: "وجمهور السلف والخلف على أنها تتناول قطاع الطريق من المسلمين". مجموع الفتاوى (٨٥/٧).

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٠٥/٦)، وتفسير السمرقندي (٤١٠/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤٨/٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٩/٢).

(٣) عُرَيْنَة: بطن من بَجِيْلَة، حلفاء في بني كلاب، من قحطان، نسبة إلى عُرَيْنَة بن نذير بن قسر بن عبقر بن أنمار بن ياراش بن عمرو بن الغوث.

ينظر: الأنساب للسمعاني (١٨٢/٤)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (١٢٦/٢)"العربي"، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (١٠٤/٢).

(٤) أي: أصابهم الجوى، وهو كل داء يأخذ في الباطن لا يُستمرأ معه الطعام، وذلك إذا لم يوافقهم هواؤها واستوخموها، يقال: اجتويت البلاد: إذا كرهتها، وإن كانت موافقةً لك في بدنك.

ينظر: العين للخليل (١٩٦/٦)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٩٦/١١)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس

المدينة، واستأذنوه في الخروج إلى لقاح الصدقة[1] ليقيموا فيها إلى أن يصحوا، وأذن لهم، فنالوا من ألبان اللقاح، وثبت قواهم ثم ارتدوا وقتلوا الرعاء، وساقوا اللقاح، فبعث رسول الله ﷺ في طلبهم، فأُخذوا وقطّعت أيديهم وأرجلهم، وسملت أعينهم[2] فلم يحسم دماؤهم[3] حتى ماتوا.[4] وهذه العقوبة في حق قطّاع الطريق على ترتيب: إن قَتلوا ولم يأخذوا المال قُتلوا، وإن قَتلوا وأخذوا المال صُلبوا، وإذا أخذوا المال ولم يَقتُلوا يقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وإذا

(٤٩١/١)"جوى".

(١) لقاح الصدقة: إبل الصدقة. وأصل اللقاح: الناقة التي بها حمل، واللقاح: ذوات الألبان من النوق أيضًا، الواحدة لقوح، والجمع لقاح.

ينظر: العين للخليل (٤٧/٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (٣٣/٤)، والمفردات للراغب (ص٣٥٢) "لقح".

(٢) سمل العين: فقؤها بحديدة محماة.

ينظر: العين للخليل (٢٦٦/٧)، وتاج العروس للزبيدي (٢٢٢/٢٩)، ولسان العرب لابن منظور (٣٤٥/١١)"سمل".

(٣) أصل الحَسْم: القطع، والحَسْم: أن تقطع عِرقًا فتكويه بالنار كيلا يسيل دمه.

ينظر: العين للخليل (١٥٣/٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٩٩/٤)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥٧/٢)"حسم".

(٤) وقصتهم ثابتة في الصحيحين من حديث أنس ﷺ:"أن ناسًا من عُكْل وعُرَيْنَة قدموا المدينة على النبي ﷺ وتكلموا بالإسلام، فقالوا يا نبي الله، إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف، واستوخموا المدينة، فأمر لهم رسول الله ﷺ بذودٍ وراعٍ، وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها، فانطلقوا حتى إذا كانوا ناحية الحرَّة كفروا بعد إسلامهم، وقتلوا راعي النبي ﷺ، واستاقوا الذَّود، فبلغ النبي ﷺ فبعث الطلب في آثارهم فأمر بهم فسَمَرُوا أعينَهم وقطَعوا أيديهم، وتُرِكوا في ناحية الحرَّة حتى ماتوا على حالهم". (صحيح البخاري (١٥٣٥/٤)، برقم: (٣٩٥٦) كتاب المغازي/باب قصة عُكْل وعُرَيْنَة، وصحيح مسلم (١٢٩٦/٣)، برقم: (١٦٧١)، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات/باب حكم المحاربين والمرتدين). قال قتادة:"فبلغنا أن هــذه الآية نزلت فيهم:﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾". رواه أحمد في مسنده (١٦٣/٣)، برقم: (١٢٦٩٠).

أخافوا ولم يفعلوا سواه يُنْفوا من الأرض-.[١]

وفي حق الكفار مفوض إلى رأي الإمام، إن شاء قتلهم، وإن شاء صلبهم، وإن شاء قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ولم يحسمها حتى ماتوا،[٢] فإن لم يجدهم طلبهم حتى ينزعجوا وهو النفي.[٣]

وقوله: ﴿مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡ﴾ يعني: إذا تاب الكافر قبلت توبته وهي: الإسلام. وتوبة قاطع الطريق مقبولة، ولم يؤاخذ فيما يتعلق بحقوق الله.[٤]

---

(١) هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة، وهو مذهب الشافعي، وأحمد، وقريب من قول أبي حنيفة. والنظر في هذه المسألة يعود للحاكم الشرعي وتقديره بجلب المصلحة ودفع المفسدة.

ينظر: أحكام القرآن للشافعي (٣١٣/١)، وجامع البيان للطبري (٢١١/٦)، وأحكام القرآن للجصاص (٥١/٤)، والمغني لابن قدامة (١٢٥/٩)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥١/٦)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٣١٠/٢٨)، وشرح الزركشي على مختصر الخرقي (١٣٨/٣).

(٢) هذا قول سعيد بن المسيب، ومجاهد، وعطاء، والحسن البصري، وإبراهيم النخعي، والضحاك، وهو مذهب مالك رحمة الله على الجميع.وبسط المسألة ينظر في: أحكام القرآن لابن العربي (٩٧/٢)، واختلاف الأئمة العلماء لابن هبيرة (٢٨٥/٢)، والمغني لابن قدامة (١٢٥/٩)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥١/٦).

(٣) هذا قول ابن عباس، والنخعي، وقتادة، والحسن. وقال أبو حنيفة: النفي: السجن، وذلك إخراجه من الأرض. وقال مالك: يحبس في البلد الذي ينفى إليه. وقال الشافعي: النفي: طلبهم لإقامة الحدود عليهم فيبعدوا. وبسط هذه المسألة بأدلتها ينظر في : أحكام القرآن للجصاص (٥٤/٤)، والحاوي الكبير للماوردي (٣٥٥/١٣)، والاستذكار لابن عبد البر (٥٥٠/٧)، وأحكام القرآن لابن العربي (٩٩/٢)، واختلاف الأئمة العلماء لابن هبيرة (٢٨٦/٢)، والمغني لابن قدامة (١٢٩/٩).

(٤) هذا قول أكثر العلماء.

قال ابن قدامة رحمه الله:" فإن تابوا من قبل أن يُقدر عليهم سقطت عنهم حدود الله تعالى، وأُخذوا بحقوق الآدميين من الأنفس والجراح والأموال إلا أن يعفى لهم عنها، لا نعلم في هذا خلافا بين أهل العلم". المغني (١٢٩/٩).

ينظر: أحكام القرآن للشافعي (٣١٤/١)، وجامع البيان للطبري (٢٢٠/٦)، وأحكام القرآن للجصاص

قوله:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾.[1] [٤١/أ]

﴿ءَاثَـٰرِهِم ﴾ أي: على آثار النبيين.[2] ﴿بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ أي: مؤمنًا بها.[3] وباقي الآية ظاهر. وقوله: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ إنما قال في الأول: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ لأن المراد بهم اليهود الذين كفروا بحكم التوراة، وفي الثانية: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ لأن كل كافر ظالم لنفسه، إلا أنه قد يكون كافرًا غير ظالم لغيره، وأما في الثالثة: هو بمعنى المجازاة؛ لأن من لا يحكم بما أنزل الله عصيانًا فهو فاسق لا

(٥٢/٤)، وأحكام القرآن لابن العربي (١٠١/٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥٨/٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٣/٢).

(١) من هنا يوجد سقط في المخطوط في لوحة كاملة برقم: (٤٠)، من تفسير قوله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾[المائدة:٣٥] الآية، إلى نهاية تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾[المائدة:٤٥] الآية.

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٦٤/٦)، والكشف والبيان للثعلبي (٧٣/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٢/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٦٩/٢).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٦٤/٦)، وتفسير السمرقندي (٤١٩/١)، والتفسير الكبير للرازي (٩/١٢).

كافر.[١] قوله: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ أي: شاهدًا.[٢]

قوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ أي: سبيلًا وسنّة،[٣] وكل ما شرعت فيه فهو.

---

(١) هذه الآية نزلت في اليهود وهي عامة في كل من حكم بغير ما أنزل الله، لأن الآيات قبل هذه الآية وبعدها في أهل الكتاب، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. والقول بأن الآية عامة في كل من حكم بغير ما أنزل الله هو الذي جرت عليه عبارات جمهور المفسرين. قال ابن الجوزي رحمه الله:" وفصل الخطاب: أن من لم يحكم بما أنزل الله جاحدًا له، وهو يعلم أن الله أنزله، كما فعلت اليهود فهو كافر، ومن لم يحكم به ميلًا إلى الهوى من غير جحود فهو ظالم وفاسق". زاد المسير (٣٦٦/٢). وقال ابن القيم رحمه الله:" والصحيح: أن الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكفرين الأصغر والأكبر بحسب حال الحاكم، فإنه إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة، وعدل عنه عصيانًا، لأنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فهذا كفر أصغر، وإن اعتقد أنه غير واجب وأنه مخير فيه، مع تيقنه أنه حكم الله تعالى، فهذا كفر أكبر، وإن جهله وأخطأه فهذا مخطىء، له حكم المخطئين". مدارج السالكين (٣٣٦/١).

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٥١/٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٣١٥/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٧٠/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٠/٢)، وأحكام القرآن لابن العربي (١٢٧/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٦٦/٢)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٣٢٦/٧).

(٢) قاله عامة المفسرين. قال ابن تيمية رحمه الله: "فالسلف كلهم متفقون على أن القرآن هو المهيمنَ: المؤتمن، الشاهد على ما بين يديه من الكتب". مجموع الفتاوى (٤٣/١٧).

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١٦٨/١)، وجامع البيان للطبري (٢٦٦/٦)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٧٦/٦)"همن"، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٧١/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦٦/٢).

(٣) قاله أكثر المفسرين. وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة، والضحاك، والحسن، ومجاهد. قال ابن كثير رحمه الله:"وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي، فقد يكون الشيء في هذه الشريعة حرامًا ثم يحل في الشريعة الأخرى، وبالعكس، وخفيفًا فيزاد في الشدة في هذه دون هذه، وذلك لما له تعالى في ذلك من الحكمة البالغة... ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، والدِّين الذي لا يقبل الله غيره: التوحيد والإخلاص لله الذي جاءت به جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام". تفسير القرآن العظيم (٦٧/٢).

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٧٠/٦)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١١٥٢/٤)، وتفسير الهداية لمكي

شرعة وشريعة.(١) والمنهاج: الطريق البيِّن الواضح.(٢)

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ﴾ أي: كلّكم ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على ملة واحدة.(٣)

﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ أي: ليختبركم(٤)﴿فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ وهو أعلم ليتبيَّن المطيع من العاصي، والموافق من المخالف. ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أي: فبادروا بالطاعات، وسارعوا إلى الأعمال الصالحات. ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

بن أبي طالب (١٧٧١/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٣/٢).

(١) ومن ذلك قيل لشريعة الماء: شريعة؛ لأنه يُشرع منها إلى الماء، ومنه سميت شرائع الإسلام شرائع: لشروع أهله فيه. والشريعة والشرائع: ما شرع الله للعباد من أمر الدِّين، وأمرهم بالتمسك به من الصلاة والصوم والحج وشبهه.

ينظر: العين للخليل (٢٥٢/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٧٠/١)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٦٢/٣)"شرع".

(٢) قاله أهل اللغة.

ينظر: العين للخليل (٣٩٢/٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (٤١/٦)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٦١/٥)"نهج".

(٣) قاله جمهور المفسرين.قال ابن كثير رحمه الله:"هذا خطاب لجميع الأمم، وإخبار عن قدرته تعالى العظيمة التي لو شاء لجمع الناس كلهم على دين واحد وشريعة واحدة لا ينسخ شيء منها، ولكنه تعالى شرع لكل رسول شريعة على حدة، ثم نسخها أو بعضها برسالة الآخر الذي بعده، حتى نسخ الجميع بما بعث به عبده ورسوله محمدًا ﷺ الذي ابتعثه إلى أهل الأرض قاطبة وجعله خاتم الأنبياء كلهم". تفسير القرآن العظيم (٦٧/٢).

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٧٢/٦)، وتفسير السمرقندي (٢٨٩/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٧٤/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٣/٢).

(٤) قاله عامة المفسرين وأهل اللغة.

ينظر: العين للخليل (٣٣٩/٨)"بلو"، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١٠٥/١)، ومعاني القرآن للنحاس (٣٢٠/٢)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٩٢/١)"بلوى"، وتفسير القرآن للسمعاني (٤٤/٢).

قوله: ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ وذلك أنَّ جماعة من اليهود قال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد، لعلنا نفتنه عن دينه، فأتوه فقالوا: يا محمد! قد عرفت أنَّا أحبار اليهود وأشرافهم، وإنا إن تبعناك اتبعنا اليهود ولم يخالفونا، وإن بيننا وبين قومنا خصومة، فنحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم، ونحن نؤمن بك ونصدقك، فأبى ذلك رسول الله ﷺ، وأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية.[1] ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أي: أعرضوا عن الإيمان والحكم بالقرآن. ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ أي: يعجل لهم العقوبة بشؤم عصيانهم، فيخذلهم ولا يهديهم. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَـٰسِقُونَ﴾.

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ أي: يبغونه.[2]

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ أي: في العون والنصرة، ويدهم واحدة على المسلمين،[3] وذلك أن عبادة بن الصامت الخزرجي ﷺ[4] جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنَّ لي أولياء من اليهود كثيرٌ عددهم، قوية

---

(١) رواه ابن هشام في السيرة النبوية (٣/١٠٥)، والطبري في جامع البيان (٦/٢٧٣)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٤/١١٥٤)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (٤/٧٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/٥٣٦)، والواحدي في أسباب النزول (ص٣٤٦) عن محمد بن إسحاق عن ابن عباس رضي الله عنهما. وحسن إسناده الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٢/٣١٨).

(٢) قال الرازي رحمه الله:"والمراد: أن هذا الحكم الذي يبغونه إنما يحكم به حكام بالجاهلية، فأرادوا بشهيتهم أن يكون محمدٌ خاتم النبيّين حَكَماً كأولئك الحكام". التفسير الكبير (١٢/١٤).

ينظر: الكشاف للزمخشري (١/٦٧٥)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/٢٠٢)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/٤٤٢).

(٣) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦/٢٧٦)، وتفسير السمرقندي (١/٤٢٠)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٧٦)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٤٤).

(٤) هو عبادة بن الصامت بن قيس، الأنصاري، الخزرجي، أبو الوليد، شهد بدراً، وكان أحد النقباء

أنفسهم، شديدة شوكتهم، كثير سلاحهم، فإني أبرأ إلى الله وإلى رسوله من ولايتهم، ولا مولى لي إلا الله ورسوله، فقال عبد الله بن أبي[(١)]: لكني لا أبرأ من ولاية اليهود؛ لأني أخاف الدوائر، ولا بدَّ لي منهم، فقال رسول الله ﷺ:«يا أبا الحباب ما نَفِسْتَ به[(٢)] من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه»، قال: إذًا أقبل. فأنزل الله هذه الآية.[(٣)]

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾ أي: فيوافقهم على دينهم ويعينهم ﴿فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾.[(٤)]

بالعقبة، وآخى النبي ﷺ بينه وبين أبي مرثد الغنوي، مات بالرملة سنة: ٣٤ هـ ﷺ.

ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/٦٢١)، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (٤/١٩١٩)، والاستيعاب لابن عبد البر (٢/٨٠٧).

(١) هو عبد الله بن أبي بن مالك بن الخزرج، يقال له: ابن سلول، امرأة من خزاعة، وهي أم أبيّ، يكنى أبا الحباب، وكان رأس المنافقين وممن تولى كبر الإفك في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، كان من أشراف الخزرج، وكانت الخزرج قد اجتمعت على أن يتوجوه ويسندوا أمرهم إليه قبل هجرة النبي ﷺ، فلما جاء الله بالإسلام أخذته العزة فأسلم ظاهرًا وأضمر النفاق حسدًا وبغيًا، فلما مات سأل ابنه النبي ﷺ أن يصلي عليه. وفي شأنه نزل قوله تعالى:﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[التوبة:٨٤].

ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٣/٩٤٠)، وأسد الغابة لابن الأثير (٣/٣٠٢)، والبداية والنهاية لابن كثير (٣/٢٣٩).

(٢) نَفِسْتَ به: أي بخلت به.

ينظر: النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٥/٩٤)، ولسان العرب لابن منظور (٦/٢٣٨)"نفس".

(٣) روى ذلك الطبري في جامع البيان (٦/٢٧٥) عن الزهري، وبنحوه رواه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٤/١١٥٥) عن محمد بن إسحاق، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (٤/٧٥)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/٤٤)، والواحدي في أسباب النزول (ص٣٤٧). وحسن إسناده من طريق محمد بن إسحاق: الدكتور حكمت بشير في تحقيقه على تفسير ابن كثير (٣/٤٢٠).

(٤) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦/٢٧٧)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٧٦)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٣/١٧٧٨)، والتفسير الكبير للرازي (١٢/١٥)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/٢١٧).

قوله تعالى: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ يعني: المنافقون.(١) ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ ﴾ أي: في موالاتهم.(٢) ﴿يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ﴾ أي: نخشى أن يدور الأمر عن حاله، ولا يتم الأمر بمحمد ﷺ.(٣) ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ ﴾ أي: عذاب له من عنده.(٤) ﴿فَيُصۡبِحُواْ ﴾ يعني: هؤلاء المنافقون.

﴿عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾ من موالاة اليهود ودسّ الأخبار إليهم ﴿ نَٰدِمِينَ ﴾.(٥)

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ هم أبو

---

(١) قاله عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦/٢٧٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/٣٢١)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٧٦)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٤٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/٣٧٨).

(٢) قاله مجاهد، وقتادة.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦/٢٧٩)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/٤٥)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٤٤)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/٢٠٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/٣٧٩).

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، وقتادة، والسدي، والزجاج رحمهم الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦/٢٧٩)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٤/١١٥٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/١٨١)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/٤٥)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٤٤).

(٤) ينظر: تفسير السمرقندي (١/٤٢١)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/٤٥)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٤٤)،والتفسير الكبير للرازي (١٢/١٦).

(٥) قاله عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦/٢٨٠)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٤/١١٥٩)، والوجيز للواحدي (١/٣٢٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/٢١٨).

بكر وأصحابه؛ لأن قتال أهل الردة وقع في خلافته.(١) ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني: أرقَّاء رحماء.(٢) ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: أشداء غلظاء.(٣)

---

(١) هذا قول علي بن أبي طالب ﷺ، والحسن، وقتادة، والضحاك، وابن جريج.

وقال مجاهد، وشريح: أنهم قوم أبي موسى الأشعري ﷺ من أهل اليمن، لأنه كان لهم في نصرة الإسلام أثر حسن. وقد روى ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/٣٨٧)، برقم: (٣٢٢٦١)، والطبري في جامع البيان (٦/٢٨٤)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٤/١١٦٠)، والطبراني في الكبير (١٧/٣٧١)، برقم: (١٠١٦)، والحاكم في المستدرك (٢/٣٤٢)، برقم: (٣٢٢٠) عن عياض الأشعري قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ قال: أومأ رسول الله ﷺ إلى أبي موسى ﷺ بشيء كان معه فقال: «هم قوم هذا». قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وقال الهيثمي:"رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح". مجمع الزوائد (٧/١٦). وهذا القول هو اختيار الطبري رحمه الله، لصحة الخبر الذي ورد فيه عن رسول الله ﷺ، ولكن حصر الحق في هذا القول فيه نظر؛ خاصة وأن الآية نزلت خطاباً للمؤمنين عامة إلى يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴾[محمد:٣٨]، وقال تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [فاطر:١٦-١٧].

ينظر: جامع البيان للطبري (٦/٢٨٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٧٨)، والنكت والعيون للماوردي (٢/٤٨)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٤٦)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/٢٠٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٧٠).

(٢) قاله علي بن أبي طالب، وابن عباس ﷺ، وابن جريج.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦/٢٨٦)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٧٩)، والمفردات للراغب (ص١٨٠)"ذل"، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/٣٨١)، والتفسير الكبير للرازي (١٢/٢١).

(٣) قاله علي بن أبي طالب ﷺ، ومجاهد، وابن جريج.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦/٢٨٦)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٤/١١٦١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٤٧)، ولسان العرب لابن منظور (٥/٣٧٤)"عزز".

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ الآية، نزلت في عبد الله بن سلام ﷺ،[١] قال: يا رسول الله: إن قومنا من قريظة[٢] والنضير[٣] هجرونا وفارقونا، وأقسموا أن لا يجالسونا، ولا نستطيع مجالسة أصحابك لبعد المنازل، وشكا ما يلقى من اليهود من الأذى، فنزلت هذه الآية، فقرأها عليه رسول الله ﷺ، فقال: رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين أولياء.[٤] والمعنى بقوله: ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ صلاة التطوع بالليل والنهار.[٥]

---

(١) تقدم ترجمته ص: ٣٩٥

(٢) بنو قريظة: بطن من يهود خيبر، كانوا بالمدينة حلفاء الأوس، أُبيدوا لنقضهم العهد ومظاهرتهم المشركين على رسول الله ﷺ في غزوة الأحزاب، فأمر بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم.
ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١٣١٧/٣)، وأسد الغابة لابن الأثير (٥٠٥/٤)، والبداية والنهاية لابن كثير (٢٢٤/٣).

(٣) بنو النضير: بطن من يهود خيبر، كانوا حلفاء الأوس في المدينة، وَادَعَهُم النبي ﷺ بعد قدومه إلى المدينة على أن لا يحاربوه وأن لا يعينوا عليه عدوه، فنكثوا العهد، فأجلاهم النبي ﷺ إلى الشام، وفيهم نزلت سورة الحشر.

ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (١٤٤/٤)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (١٩٠/٥)، والبداية والنهاية لابن كثير (٧٤/٤).

(٤) أورده مقاتل بن سليمان في تفسيره (٣٠٧/١)، والثعلبي في الكشف والبيان (٨٠/٤)، والواحدي في أسباب النزول (ص٣٤٧)، والبغوي في معالم التنزيل (٤٧/٢)، والرازي في التفسير الكبير (٢٢/١٢)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٢١/٦) بدون سند.

(٥) قاله ابن عباس رضي الله عنهما. قال ابن عطية رحمه الله:"وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ جملة معطوفة على جملة، ومعناها: وصفهم بتكثير الصلاة، وخص الركوع بالذكر لكونه من أعظم أركان الصلاة، وهو هيئة تواضع، فعبر به عن جميع الصلاة ، كما قال:﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[البقرة:١٢٥]، وهي عبارة عن المصلين، وهذا قول جمهور المفسرين". المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢٠٨/٢).
ينظر: أحكام القرآن للجصاص (١٠٢/٤)، والكشف والبيان للثعلبي (٨٠/٤)، والنكت والعيون

وقوله: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ﴾ يعني: أنصار دينه.(١)

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوٗا وَلَعِبٗا﴾ أي: بإظهار الإسلام بألسنتهم، وهم للكفر مُستَبْطِنون.(٢)

قوله: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗا﴾ ذلك أنه إذا نادى منادي رسول الله ﷺ بالصلاة وقاموا إليها، قالت اليهود: قد قاموا لا قاموا، وصلوا [٤١/ب] لا صلوا، واستهزؤوا وضحكوا، فأنزل الله هذه الآية.(٣) ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٞ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ أي: لا يعلمون ما للمطيع، ولا ما على العاصي فلهذا يستهزؤون. ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ﴾ الآية، معناه: هل تسخطون؟ (٤) وقوله: ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ أي: ولأن أكثركم فاسقون نقمتم، أي: إنما

للماوردي (٤٩/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٧/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٨٤/٢).

(١) قاله جمهور المفسرين، وأهل اللغة.

ينظر: العين للخليل (١٦٤/٣)"حزب"، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١٦٩/١)، وجامع البيان للطبري (٢٨٩/٦)، والمفردات للراغب (ص١١٥)"حزب"، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٢٢/٦).

(٢) قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٩٠/٦)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤٨/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٨٥/٢)، والتفسير الكبير للرازي (٢٨/١٢).

(٣) ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره (٣٠٨/١)، والثعلبي في الكشف والبيان (٨٢/٤)، ومكي بن أبي طالب في تفسير الهداية (١٧٩٠/٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢٧٥/٦)، والواحدي في أسباب النزول (ص٣٤٩)، والبغوي في معالم التنزيل (٤٨/٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣٨٥/٢) عن الكلبي.

(٤) يقال: نَقَمتُ منه كذا وكذا، أي: بلَغَتْ مني الكراهه لفعله منتهاه. والنقمة: الكراهة والسخط، والنقمة: الإنكار.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٩١/٦)، ومعاني القرآن للزجاج (١٨٦/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٦٢/٩)، والمفردات للراغب (ص٥٠٤)"نقم".

كرهتم إيماننا وأنتم تعلمون أنا على الحق؛ لأنكم فسقتم بأن أقمتم على دينكم لمحبتكم الرياسة، وكسبكم بها الأموال.(١) ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ أي: بإنسانٍ شرٍ من ذلك ﴿مَثُوبَةً﴾.(٢) قوله: ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ تقدير الآية: هل أنبئكم من هو أسوأ عاقبة مع أنه فاسقٌ هو: ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾ وكل هذا يرجع إليهم، فهم في الحقيقة شر مثوبة.(٣)

قوله: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ أي: وجعل منهم من عَبَدَ الطاغوت.

فلما نزلت هذه الآية عيَّر المسلمون اليهود وقالوا: يا إخوان القردة والخنازير؛ فسكتوا.(٤)

﴿أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ﴾ هذا توكيد وتفظيع لحالهم، أعاذنا الله من أسباب النقم.

﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ هو صفة المنافقين.(٥)

---

(١) قاله الزجاج رحمه الله.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/١٨٦)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٤٨)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/٤٤٧)، والدر المصون للسمين الحلبي (٤/٣١٩).

(٢) ﴿مَثُوبَةً﴾: أي: ثوابًا وجزاءً، منصوب على التمييز، وأصلها: مثووبة، على وزن مفعوله، وقد جاءت مصادر على وزن المفعول، نحو المفعول، والميسور، فأسقط عين الفعل استثقالًا على الواو ونقلت حركتها إلى فاء الفعل، وهي الثاء فصار مثوبة، مثل معونة، ومغوثة، ومقولة. والثواب يقال في الخير والشر، لكن الأكثر المتعارف في الخير.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦/٢٩٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٨٥)، والمفردات للراغب (ص٨٣)"ثوب"، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/٤٤٨).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٦/٢٩٥)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/١٨٧)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٤٩)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/٤٤٨).

(٤) ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره (١/٣٠٩)، والثعلبي في الكشف والبيان (٤/٨٦)، والواحدي في الوجيز (١/٣٢٦)، والرازي في التفسير الكبير (١٢/٣٢) بدون سند.

(٥) قاله أكثر المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦/٢٩٦)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٨٦)، والمحرر الوجيز لابن عطية

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ﴾ وعيدٌ لهم، أي: ما يضمرونه.

قوله: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾ أي: هلَّا.(١) الربَّاني: العالِم.(٢)

والمراد بهم هاهنا: علماء أهل الإنجيل، ﴿وَٱلْأَحْبَارُ﴾ أي: علماء أهل التوراة.(٣)

و﴿قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ﴾ أي: قولهم ما يأثمون به، وهو كذبهم وتبديلهم أحكام الله.(٤)

﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ جاء في التفسير: أنَّ القوم قد أجدبوا، وشملهم القحط، وانقطع المطر عنهم، فنسبوه إلى البخل.(٥)

(٢/٢١٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٧٥).

(١) قاله عامة المفسرين، وأهل اللغة. وهو حرف تحضيض، ومعناه: التوبيخ.

ينظر: العين للخليل (٨/٣٥٠)"لولا"، وكتاب سيبويه (١/٩٨)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١/١٣٢)، وجامع البيان للطبري (٦/٢٩٨)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٣/١٧٩٦)، والدر المصون للسمين الحلبي (٤/٣٤٢).

(٢) الرباني عند أهل اللغة: ربّ العلم، أي: صاحب العلم، وجيء بالألف والنون كما جيء في: ريّان، وعطشان، وشبعان. وقيل للعلماء: ربانيون، لأنهم يَربُّون العلم، أي: يقومون به عملًا وتعليمًا.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٥/١٢٨)، والمفردات للراغب (ص١٨٤)"رب"، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٢/١٨٠)"ربا".

(٣) قاله الحسن رحمه الله.

ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٤/١٠٤)، والتفسير الكبير للرازي (١٢/٣٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/٢٣٧)، ولباب التأويل للخازن (٢/٧٠).

(٤) قال الطبري رحمه الله:"وكان العلماء يقولون: ما في القرآن آية أشد توبيخًا للعلماء من هذه الآية، ولا أخوف عليهم منها". جامع البيان (٦/٢٩٨).

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٢/٣٣٤)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٣/١٧٩٦)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/٢١٤).

(٥) ذكره بنحوه الثعلبي في الكشف والبيان (٤/٨٧)، ومكي بن أبي طالب في تفسير الهداية

قوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ عبارة عن الجُود،[1] أي: لا يبخل في حال من الأحوال.

وقوله: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ دعاء عليهم على طريقة العرب.[2] وقوله: ﴿وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾ أي: أُبعدوا بسبب هذا القول وطُردوا.[3] قوله: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يزيد

(١٧٩٩/٣)، والسمعاني في تفسير القرآن (٥/٢) بدون سند. وأخرج الطبراني عن بن عباس رضي الله عنهما قال:" قال رجل من اليهود يقال له: الشاس بن قيس: إن ربك بخيل لا ينفق، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾". (المعجم الكبير (٦٧/١٢)، برقم: (١٢٤٩٧). قال الهيثمي:" ورجاله ثقات". مجمع الزوائد (١٧/٧).

(١) هذا مذهب المؤولة لصفة اليدين لله ﷻ، ويقررون أن معنى غلّها وبسطها إنما هو مجاز عن البخل والجود، وأن ظاهر لفظها غير مراد، لأنه يستلزم التشبيه والتجسيم بزعمهم! ولا شك أن هذا المذهب باطل، وأن الصواب ما عليه أهل السنة والجماعة من إثبات صفة اليدين لله تعالى حقيقة من غير تمثيل ولا تحريف، ولا تعطيل ولا تكييف، وأن له تعالى يدين مبسوطتين يليق بجلاله، فإن الأصل الحقيقة ودعوى المجاز مخالفة للأصل، ولأن الله تعالى أنكر على اليهود نسبة يده إلى النقص والعيب، ولم ينكر عليهم إثبات اليد له تعالى فلعنهم على وصف يده بالعيب، وأثبت له يدين مبسوطتين، وقد دل على ذلك تشريفه تعالى لآدم عليه السلام حيث خلقه بيده، وتقريعه لإبليس على الاستكبار عن السجود، مع ما شرفه به بقوله: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص:٧٥].قال ابن تيمية رحمه الله بعد أن ذكر النصوص الواردة في إثبات صفة اليدين لله تعالى:"فالمفهوم من هذا الكلام أن لله تعالى يدين مختصتين به ذاتيتين له كما يليق بجلاله، وأنه سبحانه خلق آدم بيده دون الملائكة وإبليس، وأنه سبحانه يقبض الأرض ويطوي السماوات بيده اليمنى، وأن يديه مبسوطتان،- ومعنى بسطهما: بذل الجود وسعة العطاء، لأن العطاء والجود في الغالب يكون ببسط اليد ومدِّها، وتركه يكون ضمًّا لليد إلى العنق، صار من الحقائق العرفية إذا قيل هو مبسوط اليد فهم منه يد حقيقة ". مجموع الفتاوى (٣٦٣/٦).

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٩٩/٦)، وكتاب التوحيد لابن خزيمة (١١٨/١)، والرد على الجهمية لابن منده (٣٩/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٥٠/٢)، والصواعق المرسلة لابن القيم (٢٦٨/١).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٢١٥/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٩٢/٢)، والتفسير الكبير للرازي (٣٥/١٢).

(٣) أصل اللعن: الطرد والإبعاد، وفلان لعين أي: مكروه القرب يستحق الإبعاد. واللعن من الله تعالى

بذلك كفرهم. قوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ أي: بين اليهود والنصارى؛ لأنهم ذُكروا في قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ﴾[المائدة: ٥١]، وهم متباغضون فيما بينهم.(١)

﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ هذا مثلٌ،(٢) أي: كلّما جمعوا على النبي ﷺ وعلى المسلمين وأعدُّوا لحربهم فرّق الله جمعهم، وأفسد ذات بينهم.(٣)

قوله: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ أي: يجتهدون في دفع الإسلام ومحو ذكر النبي ﷺ

في الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه، وفي الآخرة عقوبة، ومن الإنسان دعاء على غيره.

ينظر: العين للخليل (١٤١/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٤٠/٢)، والمفردات للراغب (ص٤٥١) "لعن".

(١) هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، والحسن، واختاره الطبري، والثعلبي، وقال به المؤلف رحمة الله على الجميع . وروي عن قتادة أن المعنيّ بالآية هم اليهود، وأن العداوة ظاهرة بين طوائفها المختلفة. واختار هذا القول الزجاج، وابن كثير، وهذا هو الأظهر، فإن الأصل عود الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٠٢/٦)، ومعاني القرآن للزجاج (١٩٠/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٩٠/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٥٠/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧٧/٢)، وقواعد الترجيح عند المفسرين للحربي (٦٢١/٢).

(٢) أي: ذكر النار للاستعداد للحرب تمثيل.قال ابن تيمية رحمه الله:"فهذا اللفظ أصله: أن المحاربين يوقدون نارا يجتمع إليها أعوانهم وينصرون وليهم على عدوهم، فلا تتم محاربتهم إلا بها، فإذا طفئت لم يجتمع أمرهم، ثم صار هذا كما تستعمل الأمثال في كل محارب بطل كيده، كما يقال: يَدَاكَ أَوْكَتَا وَفُوكَ نَفَخ. ومعناه: أنت الجاني على نفسك". مجموع الفتاوى (٤٧١/٢٠).

ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٩٠/٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢١٦/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٩٤/٢).

(٣) قاله الحسن، والزجاج.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٩٠/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٥٠/٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٤٠/٦).

من كتبهم.[١] قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ أي: أثبتوا أحكامها في أصول الدين، ملتزمين لها وعاملين بها.[٢] ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أي: القرآن.[٣]

﴿لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ هذا كناية عن توسعة النعم، أي: مع إدخالهم جنات النعيم متعناهم بالنعيم العاجل.[٤]

﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ هم المؤمنون بمحمد ﷺ منهم،[٥] إذ المقتصد من يطلب القصد

---

(١) قاله الزجاج، والواحدي.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٩٠/٢)، والوجيز للواحدي (٣٢٨/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٩٤/٢).

(٢) قاله عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٠٤/٦)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١١٧٠/٤)، والكشف والبيان للثعلبي (٩٠/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٥١/٢).

(٣) قاله جمهور المفسرين، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما. ووجه ذلك: أنهم لما خوطبوا به كان نازلًا إليهم.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٠٤/٦)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١١٧٠/٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٣٣٧/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٩٥/٢).

(٤) قاله الفراء، والزجاج. وذهب جمهور المفسرين، واختاره الطبري: بأنه يعني بذلك: كثرة الرزق النازل عليهم من السماء، والنابت لهم من الأرض، فأكلوا بقطر السماء ونبات الأرض. وهذا القول هو الأظهر، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦] الآية.

ينظر: معاني القرآن للفراء (٢٤٠/١)، وجامع البيان للطبري (٣٠٥/٦)، ومعاني القرآن للزجاج (١٩١/٢)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١١٧١/٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧٧/٢).

(٥) قاله عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٠٦/٦)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١١٧١/٤)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١٨٠٤/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٥١/٢).

والاستقامة في الأمور، ويجانب الإفراط فيها والتقصير، فبيَّن أنَّ هؤلاء قانعون راضون عن الله بما رزقهم، وليس يُفْرِطون في طلب الأموال، ولا يبخلون الله إذا لم يؤتهم منها ما يحبون.(١)

﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ أي: أساءوا أعمالهم، فضرب الله عليهم الذلة في الدنيا، والعذاب الأليم في العقبى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ هذا لا يدل على أنه ﷺ كان مُقصّرًا في التبليغ، بل أمره بذلك مع كونه مقيمًا على التبليغ مظاهرةً في التوكيد، وتحذيرًا من إيقاع الفترة(٢) والتضجيع.(٣) ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ أي: إن قصَّرت في رسالة واحدة كأنك لم تبلغ الكلّ. وقال العلماء: الدعوة بمنزلة الصلاة، إذا نقص ركن من أركانها بطل الكلّ.(٤) ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: يحفظك فيمنعك منهم.(٥)

---

(١) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٤/٩٠)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/٢١٧)، والتفسير الكبير للرازي (١٢/٤٠)، ولباب التأويل للخازن (٢/٧٣).

(٢) الفَتْرَة: الضعفة، يقال: فَتَرَ فلانٌ يَفْتُر فُتُورًا: إذا سكن عن حدته وضعف. قال ابن فارس:"الفاء والتاء والراء: أصل صحيح يدل على ضعفٍ في الشيء". معجم مقاييس اللغة (٤/٤٧٠)"فتر".

(٣) التضجيع في الأمر: التقصير فيه، وضجع في أمره واضجع وأضجع: إذا وهن، والضجوع: الضعيف الرأي.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١/٢١٦)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/٣٩٠)، ولسان العرب لابن منظور (٨/٢٢٠)"ضجع".

ينظر: العين للخليل (٨/١١٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٤/١٩٣)"فتر".

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٦/٣٠٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/٣٣٨)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٩٣)، والوجيز للواحدي (١/٣٢٨)، والتفسير الكبير للرازي (١٢/٤١).

(٥) أصل العصمة: الامتناع، مشتق من عصام القِرْبَة وهو ما تشدّ به، ومنه يقال: عصمك الله، أي: منع السوء عنك.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/١٧١)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/٣٣٩)، والمفردات للراغب (ص٣٣٦)"عصم".

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: لا يهدهم إلى جنته التي هي دار نعيمه.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ أي: حتى تعملوا بمضمونها من الإيمان بمحمد ﷺ واتّباعه، والتدين بالكتاب الذي أنزل إليه.(١)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي:[٤٢/أ] ظاهرًا بالألسنة، وهم: المنافقون.(٢)

﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ معطوف على الضمير الذي في ﴿هَادُوا۟﴾ أي: الذين هادوا والصابئون.(٣)

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: في التوحيد والإيمان بالأنبياء.(٤)

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٠٩/٦)، ومعالم التنزيل للبغوي (٥٣/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٩٨/٢).

(٢) هذا قول سفيان الثوري، والزجاج. وهو قول مرجوح، والراجح القول الثاني: أنهم المسلمون الذين آمنوا برسول الله ﷺ، فقد ذكر الله تعالى الله في الآية الملل والنحل:"الإسلام، واليهودية، والصابئة، والنصرانية"، ثم أخبر أن من آمن من أصحاب هذه الملل إيمانًا صادقًا وثبت على إيمانه، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون. وهذا ما رجحه الطبري، وابن كثير، رحمة الله على الجميع

ينظر: جامع البيان للطبري (٣١١/٦)، ومعاني القرآن للزجاج (١٩٤/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٩١/١)، والتفسير الكبير للرازي (٤٦/١٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨١/٢).

(٣) هذا الوجه محكي عن الأخفش، والكسائي، ورُدَّ بأنّ العطف عليه يقتضي أنّ الصابئين تهودوا، وليس الأمر كذلك.والأظهر ما ذهب إليه الخليل وسيبويه أن قوله:﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ محمول على التأخير، ومرفوع بالابتداء، والمعنى: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والصائبون والنصارى كذلك أيضًا. وأنشدوا:

وإلا فاعلَموا أنَّا وأنتم ... بغاةٌ ما بقِينا في شِقَاقِ.

المعنى: فاعلموا أنا بغاة ما بقينا في شقاقٍ، وأنتم أيضًا كذلك.

ينظر: كتاب سيبويه (١٥٦/٢)، ومعاني القرآن للزجاج (١٩٢/٢)، ومعاني القرآن للأخفش (٢٨٥/١)، وإعراب القرآن للنحاس (٣١/٢)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (٤٥١/١)، والدر المصون للسمين الحلبي (٣٥٣/٤).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٣١١/٦)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١٨١٠/٣)، ولباب

قوله: ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولُۢ﴾ أي: كل وقت جاءهم فيه رسولٌ.(١)

﴿بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ﴾ أي: بما لا يوافق شهواتهم. ﴿فَرِيقًا كَذَّبُواْ﴾ فريق: اسم لجماعة من الناس.(٢) قوله: ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: وحسبوا أن لا يقع فتنة، أي: ابتلاء واختبار.(٣) ﴿فَعَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ أي: ابتغوا ما أحبوا، دون ما يوجبه الدليل، فخفي عليهم وجه رشدهم، فصاروا كالعُمْي الصُّمّ.(٤)

وقوله: ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ أي: ذوو العمي والصمم كثيرٌ منهم.

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ أي: محيط بجميع أعمالهم، فيعاقِب المسيء، ويثيب المحسن على قدر استحقاقهم. ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ فرقة من النصارى قالوا: صار ناسوت المسيح لاهوتا،(٥) أي: صار الله بعينه، ويقال لهم:

التأويل للخازن (٧٦/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨١/٢).

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري (٦٩٤/١)، والتفسير الكبير للرازي (٤٧/١٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٥٤١/٣).

(٢) ينظر: العين للخليل (١٤٧/٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (٩٦/٩)، والمفردات للراغب (ص٣٧٧) "فرق".

(٣) أصل معنى الفتنة في كلام العرب: الابتلاء والامتحان، يقال: فتنتُ الذهب في النار، أي: اختبرته لأعلم خالصٌ هو أم مشوب، وفتنتُ الرغيف في النار إذا أحرقته. وللفتنة معاني كثيرة، وموضع بسطها كتب المعاجم واللغة.

ينظر: العين للخليل (١٢٧/٨)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢١١/١٤)، والمفردات للراغب (ص٣٧١)"فتن".

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٣١٢/٦)، ومعاني القرآن للزجاج (١٩٥/٢)، والتفسير الكبير للرازي (٤٩/١٢).

(٥) الناسوت: الإنسان، بلغة النصارى. واللاهوت: الإله، بلغتهم. قال ابن تيمية رحمه الله:"...فإن المسيح عندهم اسمٌ لمجموع: اللاهوت، والناسوت، وهو عندهم إله تام، وإنسان تام، فلاهوته من الله،

اليعقوبية، وقالت فرقة: الله اسم لمجموع ثلاثة: أب، وابن، وروح القدس. فالأب: الله، والابن: عيسى، وروح القدس: الكلمة، ومن عَبَد واحدًا من الثلاثة فقد عبدَ الله، تعالى الله عن كفرهم.(١) قوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ بين الله ضلالتهم، وإنما قال:﴿ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ لأن معناه: أحد الثلاثة.(٢)

وقوله: ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ أي: ليمسنَّهم بنياتهم على الكفر ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.(٣)

وقوله: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ إنما قال ذلك إعلامًا أنَّ إبراء الأكمه والأبرص،(٤) وإحياء الموتى لم يكن منه لأنه إله؛ بل كان ذلك كانقلاب الحصا حية لموسى، وكفلق البحر، وسائر المعجزات.(٥)

وناسوته من مريم، فهو من أصلين: لاهوت وناسوت". الجواب الصحيح (١٩٣/٣).

ينظر: الفصل في الملل لابن حزم (٥٨/١)، والملل والنحل للشهرستاني (٢٢٥/١)، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (ص٨٤)، وهداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم (١٦٥/١).

(١) ينظر: الفصل في الملل لابن حزم (٤٨/١)، والملل والنحل للشهرستاني (٢٢٠/١)، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٥٣/٤).

(٢) ولذلك منع الجمهور أن يُنصب ما بعده، فلا تقول: ثالثٌ ثلاثةً ولا رابعٌ أربعةً، قالوا: لأنه اسم فاعل ويعمل عمل فعله، وهنا لا يقع موقعه فعلٌ إذ لا يقال: ربَّعت لأربعة ولا ثلَّثت الثلاثة.

ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٢٢٢/٢)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (٤٥٣/١)، والدر المصون للسمين الحلبي (٣٧٣/٤).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٣١٣/٦)، والكشاف للزمخشري (٦٩٧/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٥٤٤/٣).

(٤) تقدم تعريف الأكمه والأبرص ص : ٣٧٨

(٥) ينظر: جامع البيان للطبري (٣١٥/٦)، وتفسير القرآن للسمعاني (٥٥/٢)، والكشاف للزمخشري

﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞ﴾ وقع اسم الصِّدِّيقة عليها لأنها صدَّقت بكلمات ربها وكتبه.(١)

﴿كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ هذا احتجاج بيِّن، أي: كيف يكون إلهًا من لا يقيمه إلا أكلُ الطعام كسائر الحيوان؟ (٢) ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ هذا تعجيب للنبي ﷺ من الذين علموا أنَّ عيسى عليه السلام كان بعد أن لم يكن، وكان لحمًا ودمًا، يأكل ويُحْدِث، ثم لا يعودون إلى الحق.(٣)

ومعنى: ﴿يُؤۡفَكُونَ﴾ يصرفون عن وجه الحق.(٤)

وأصل الإفك: القلب من وجه إلى وجه، ومن حالة إلى حالة.(٥)

(٦٩٧/١)، والتفسير الكبير للرازي (٥١/١٢).

(١) ينظر: معاني القرآن للنحاس (٣٤٣/٢)، والوجيز للواحدي (٣٣٠/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٥٤/٢).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٣١٥/٦)، ومعاني القرآن للزجاج (١٩٧/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٩٦/٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (٥٦/٢).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٣١٥/٦)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢٢٢/٢)، ولباب التأويل للخازن (٧٨/٢).

(٤) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣١٥/٦)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١٨١٦/٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (٥٦/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٥٥/٢).

(٥) تقول العرب لكل مصروف عن شيء: هو مأفوك عنه، يقال: قد أفكتُ فلانًا عن كذا، أي: صرفته عنه، ويقال: أرضٌ مأفوكة: إذا لم يصبها مطر، ولم يكن بها نبات. ومنه قيل للكذب: إفك؛ لأنه مصروف عن الصدق ومقلوب عنه.

ينظر: العين للخليل (٤١٥/٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢١٥/١٠)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (١١٨/١)، والمفردات للراغب (ص١٩)"أفك".

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ إنما ذكر بكلمة ﴿مَا لَا﴾ بـ﴿مِن﴾ لأنه الجنس، كأنه قال: الجنس الذي منه عيسى عليه السلام لا يستحق الإلهية، لعجزه عن الضر والنفع.(١)

قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ الغلو: تجاوز الحق.(٢) وإنما ذكر ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾: لأنَّ الغلوّ في الدِّين هاهنا: ترك الحق بالقول في عيسى عليه السلام أنه إله. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ﴾ أي: لا تقتدوا بأسلافكم فيما قالوا؛ لأنهم ﴿ضَلُّوا۟﴾ بهذه الكلمة. ﴿وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾، وهم الذين تبعوهم واقتدوا بهم.

﴿وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ هذا ليس تكرارًا، بل هو بيان الأول، إذ الضلال يكون عن أشياء، فبيَّن بالثاني ما ضلُّوا عنه،(٣) وهو: ﴿سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾، أي: قصده ووسطه.(٤)

---

(١) ينظر: التبيان في إعراب القرآن للعكبري (٤٥٤/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٥٤٦/٣)، والدر المصون للسمين الحلبي (٣٧٩/٤).

(٢) حقيقة الغُلُوّ: التجاوز في الحد، ومنه: غلا السعر يغلو غلاءً. والغلو: مجاوزة الحق إلى الباطل. وغُلُوّ النصارى في عيسى عليه السلام: قول بعضهم: هو الله، وقول بعضهم: هو ابن الله، وقول بعضهم: هو ثالث ثلاثة، -تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا-.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣١٦/٦)، ومعاني القرآن للزجاج (١٣٥/٢)، والمفردات للراغب (ص٣٦٤)"غلا"، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (١٣٤/٢)"غلو"، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١٥/٢).

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٩٧/٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (٥٦/٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٥٢/٦)، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (١٧٤/٣).

(٤) ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١٥٧/١)، ومعاني القرآن للنحاس (٣٤٦/٢)، والمفردات للراغب (ص٢٥١)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٢٣١/٢)"سوا".

قوله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾ لعن الله أصحاب الصيد في السبت على لسان داود عليه السلام، وأصحاب المائدة على لسان عيسى عليه السلام، فجعل أصحاب السبت قردةً، وأصحاب المائدة خنازير.(١)

وقوله: ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ أي: لبئس شيئًا فعلهم.(٢)

وقوله: ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: لأَنْ سخط الله، وذلك أنْ أكسبهم سخطه.(٣)

قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾ لأنهم كانوا أكثر مظاهرة، والنصارى أقل مظاهرة.(٤)

والقسيس: العالم في لغة الروم.(٥) والرهبان: العبّاد، جمع راهب.(٦)

---

(١) قاله مجاهد، وقتادة، وأبو مالك الغفاري، ومقاتل بن سليمان،

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣١٥/١)، وجامع البيان للطبري (٣١٧/٦)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١١٨٢/٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٣٤٦/٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢٢٣/٢).

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٩٩/٢)، وإعراب القرآن للنحاس (٣٥/٢)، ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب (٢٣٥/١).

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٩٩/٢)، وإعراب القرآن للنحاس (٣٦/٢)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١٨٢٣/٣)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (٤٥٤/١).

(٤) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢٠٠/٢)، وتفسير السمرقندي (٤٣٤/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٥٦/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤٠٨/٢).

(٥) أصل القَسّ: تتبع الشيء وطلبه بالليل، يقال: تقسستُ أصواتهم بالليل، أي: تتبعتها، والقُسْقَاس: الدليل بالليل، والقُسّ والقِسّيس: العالم من رؤوس النصارى.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢٠٠/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢١٢/٨)، والمفردات للراغب (ص٤٠٣)"قس".

(٦) الرهبان: جمع راهب، وهو: العابد، مشتق من الرهبة، وهي: الخوف. والرهبان: عباد النصارى الذين زهدوا في الدنيا وانقطعوا عن الخلق في الصوامع.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٥٥/٦)، والمفردات للراغب (ص٢٠٤)، والنهاية في غريب الأثر

وقوله: ﴿تَفِيضُ﴾ أي: تسيل.[١] وقوله: ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ يعني: أمة محمد ﷺ، دليله قوله تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[البقرة:١٤٣].[٢]

قوله: ﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا﴾ أي: جازاهم.[٣]

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ وذلك" أنَّ رجلا أتى النبيَّ ﷺ فقال: إني إذا أصبت من اللحم [٤٢/ب] انتشرتُ للنساء، وأخذتني شهوتي، فحرّمتُ عليَّ اللَّحم، فأنزل الله:﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ الآية ".[٤]

﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ يعني بالطيبات: اللَّذات التي تشتهيها النفوس، وتميل إليها القلوب.[٥]قوله: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ نزلت في قول الرجل: بلى

(٢٨٠/٢)"رهب".

(١) قاله عامة المفسرين.يقال: فاض الماء والدمع ونحوهما يَفِيضُ فَيْضاً و فُيُوضةً، أَي: كثر حتى سال.
ينظر: العين للخليل (٦٥/٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (٥٥/١٢)، ولسان العرب لابن منظور (٢١٠/٧)"فيض".

(٢) قاله ابن عباس رضي الله عنهما. رواه ذلك عنه الطبري في جامع البيان (٦/٧)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١١٨٥/٤)، والحاكم في المستدرك (٣٤٣/٢)، برقم: (٣٢٢٢)، وقال:"هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". وجود إسناده ابن كثير في تفسيره (٣٦٦/١).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٧)، والكشف والبيان للثعلبي (١٠٠/٤)، والمفردات للراغب (ص٨٣)"ثوب".

(٤) روى ذلك الترمذي في سننه (٢٥٥/٥)، برقم: (٣٠٥٤) كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ/ باب ومن سورة المائدة، والطبري في جامع البيان (١١/٧)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١١٨٦/٤)، والطبراني في الكبير (٣٥٠/١١)، برقم: (١١٩٨١)، والواحدي في أسباب النزول (ص٣٥٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وضعف إسناده الدكتور حكمت بشير في تحقيقه على تفسير ابن كثير (٤٥٢/٣).

(٥) ينظر: جامع البيان للطبري (٨/٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٩/١٤)، ومشارق الأنوار للقاضي

والله، ولا والله، ما لم يعقد عليه قلبه.(١) ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَ﴾ أي: وكّدتُّم، يعني: ما قصدتم وتعمدتم.(٢)

﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ عند الشافعي ﷺ: لكل مسكين رِطْلٌ(٣) وثلث.(٤)

عياض (٣٢٣/١)"طيب".

(١) هذا مروي عن عائشة رضي الله عنها، كما في صحيح البخاري (١٦٨٦/٤)، برقم: (٤٣٣٧) كتاب التفسير/باب ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾، وقال به ابن عمر، وابن عباس ﷺ في أحد قوليه، والضحاك، وطاووس، والشعبي، وعكرمة، ومجاهد، وعروة، وهو قول الشافعي رحمهم الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٣/٧)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١١٨٩/٤)، والنكت والعيون للماوردي (٢٨٦/١)، وأحكام القرآن لابن العربي (٢٤١/١).

(٢) ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾[النحل:٩١]، والتوكيد: هو ضد اللغو في اليمين، واللغو ما لم يكن باعتقاد.

ينظر: العين للخليل (١٤٠/١)"عقد"، وجامع البيان للطبري (١٣/٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٣٥٢/٢)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٨٦/٤)"عقد"، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١٨٥١/٣).

(٣) الرِّطْل: ٩٠ مثقالًا، والرِّطْل والثلث يعني: ١٢٠ مثقالًا. وهو يعادل المدّ النبوي، والمدّ: ملء كفي الرجل المعتاد، ويساوي الآن ٦٥٠ جرام تقريبًا.

ينظر: العين للخليل (٤١٣/٧)، وتهذيب الأسماء للنووي (١١٦/٣)، والمعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى ومن معه (٣٥٢/١)"رطل"، والموسوعة الكويتية (٣٠٥/٢٦).

(٤) قاله ابن عباس، وابن عمر، وعائشة، وزيد بن ثابت ﷺ، وعطاء، وقتادة، وهو مذهب مالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة : إن أطعم من الحنطة فنصف صاع، وإن أطعم من غيرها فصاع، وهو قول الشعبي، والنخعي، وسعيد بن جبير، ومجاهد. وقال أحمد بن حنبل: يطعم لكل مسكين مُدّ من البر أو نصف صاع من غيرها، مثل التمر والشعير. والقول الأول هو الأظهر. وبسط هذه المسألة في كتب الفقه، وأحكام القرآن.

ينظر: كتاب الأم للشافعي (٢٥٧/٧)، والحاوي الكبير للماوردي (٥١٥/١٠)، والمغني لابن قدامة (٢٨/٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٧٥/٦)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٣٤٩/٣٥).

﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ﴾ أي: دون الرفيع، وفوق الوضيع.(١)

قوله:﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ أي: يعطى كل فقير من العشرة لباسًا يلبسه، من قميصٍ أو نحوه.(٢)

قوله: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ أي: احترزوا عن الحنث ما أمكنكم ذلكم.(٣)

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ أي: القمار.(٤) ﴿وَالْأَنْصَابُ﴾ أي: الأحجار التي كانت للعبادة.(٥) ﴿وَالْأَزْلَامُ﴾ أي: القداح المكتوب على بعضها "افعل"،

---

(١) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٤/١١٨)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/٤١٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/٢٧٦)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٣٥/٣٥٠)، والدر المنثور للسيوطي (٣/١٥٢).

(٢) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، والحسن، وطاووس، وسعيد بن المسيب، والسدي، وهو قول الشافعي وأبي حنيفة.

ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٢٣)، وأحكام القرآن للجصاص (٤/١١٩)، والحاوي الكبير للماوردي (١٥/٣٠٦)، وأحكام القرآن لابن العربي (٢/١٦٩)، والمغني لابن قدامة (١٠/٨).

(٣) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٣١)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/٦١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٦٢).

(٤) قاله عامة المفسرين، وأهل اللغة. والميسر: مصدر من يُسْر، يقال: يسرته إذا قمرته، واشتقاقه من اليُسر، لأنه أخذ مال الرجل بيُسر وسهولة من غير كدّ ولا تعب، والقمار هو: تعليق تمليك المال على خطر من أن يغنم أو يغرم.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٧٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٣/٤١)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦/١٥٦)"يسر"، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٣/١٨٦١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/٢٣٢).

(٥) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/١٥٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/١٠٨)، والمفردات للراغب (ص٤٩٤)"نصب"، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٦٢)، والتفسير الكبير للرازي (١٢/٦٦).

وعلى بعضها "لا تفعل"، كان من أراد سفرًا أو عملًا ضرب بها، فعمل بما خرج من ذلك، واحدها زُلَم.[(١)] ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ هو كل ما يُستقذر من عمل وما كُدِّر،[(٢)] يعني: هو الذي يدعو إليه الشيطان ويزينه. ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ أي: اجتنبوا ما ذكرتُ ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ أي: ما يولِّد السُّكر من: العَربَدَة،[(٣)] وسوء الخلق والأدب، وإفحاش الأصدقاء، ولا مقمورٌ إلا وتجد من نفسه بغضًا وعداوة لمن قمره؛ وما أكثر ما يترك الإنسان الصلاة لانهماكه في الشُّرب والقمار.

وقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ أي: الانتهاء واجب جدًا، فما حالكم فيه؟.[(٤)]

قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ إيجاز فيه بلاغة حسنة، والتقدير: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ وجبت عليكم كلمة العذاب؛ لأن رسولنا قد أبلغكم كل ما وجبت به الحجة عليكم، وأمركم ووعدكم وأوعدكم، وعلى رسوله أن يبلِّغ عن الله تعالى ذلك، وقد فعل، فإن توليتم بعد ذلك لم يكن لكم عذر، واستحققتم العذاب.[(٥)]

---

(١) ينظر: العين للخليل (٧/٣٧٠)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٣/١٤٩)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/١٨)"زلم".

(٢) أصل الرِّجْس: الشيء القذر. يقال : رجُسَ الرجلُ رجْساً، ورَجِسَ يرْجَسُ إذا عمِلَ عمَلاً قبيحاً. والرَّجسُ بفتح الراء: شدة الصوت، فكأن الرِّجسَ: العمل الذي يقبح ذكره ويرتفع في القبح.
ينظر: العين للخليل (٦/٥٢)، معاني القرآن للزجاج (٢/٢٠٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٠/٣٠٦)، والمفردات للراغب (ص١٨٨)"رجس".

(٣) العَرْبَدَة: من العِربِيد وهو الشرِّير ومن يؤذي الناس في سكره.
ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٣/٢٢٥)، ولسان العرب لابن منظور (٣/٢٨٩)"عربد".

(٤) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني (٢/٦٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٦٢)، ولباب التأويل للخازن (٢/٩٠).

(٥) ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٣٥)، والتفسير الكبير للرازي (١٢/٦٩)، ولباب التأويل للخازن

"لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة ﷺ: فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر؟ ويأكلون مال الميسر؟ فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾".(١) أي: شربوا من الخمر، وأكلوا من الميسر؛ لأن الطعم جامع الأكل والشرب.(٢) ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟﴾ أي: الشرك.(٣)

قوله: ﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا۟﴾ أي: الخمر والميسر بعد تحريمها، ﴿وَءَامَنُوا۟﴾ أي: بتحريمهما.

﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا۟﴾ أي: ما حرَّم الله عليهم كله، ﴿وَأَحْسَنُوا۟﴾ أي: وعملوا الأعمال الحسنة.(٤)

(٢/٩٠).

(١) روى ذلك ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لما نزل تحريم الخمر قالوا: يا رسول الله، أرأيت الذين ماتوا وهم يشربون الخمر؟ فنزلت: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ الآية". أخرجه أحمد في مسنده (١/٣٠٤)، والترمذي في سننه وصححه (٥/٢٥٥)، برقم: (٣٠٥٢) كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ/باب ومن سورة المائدة، والبزار في مسنده (١١/٦٨)، برقم: (٤٧٧٠)، والطبري في جامع البيان (٧/٣٧)، والحاكم في المستدرك (٤/١٦٠)، برقم: (٧٢٢٥)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وأصل الحديث في الصحيحين من حديث أنس ﷺ في قصة تحريم الخمر قال:"... فقال بعض القوم: قد قُتل قوم وهي في بطونهم؛ فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ الآية". (صحيح البخاري (٤/١٦٨٨)، برقم: (٤٣٤٤) كتاب التفسير/باب ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ الآية، وصحيح مسلم (٣/١٥٧٠)، برقم: (١٩٨٠)، كتاب الأشربة/باب تحريم الخمر وبيان أنها تكون من عصير العنب ومن التمر والبسر والزبيب وغيرها مما يسكر).

(٢) ينظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٤٦)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/١٠٨)، والتفسير الكبير للرازي (١٢/٧٠).

(٣) قاله النحاس في معاني القرآن (٢/٣٥٨)، والسمرقندي في تفسيره (١/٤٣٩)، والسمعاني في تفسير القرآن (٢/٦٥).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٣٦)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/٤٢٠)، والجامع لأحكام القرآن

قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ﴾ المعنى: يختبركم[١] ليظهر طاعتكم من معصيتكم. ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: ليعلم ذلك علم مشاهدة، بأن يوجد فيعلمه معمولًا مستحقًا عليه الثواب.[٢]

قوله: ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ أي: محرمون بالحج والعمرة،[٣] جمع حَرام.[٤] ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا﴾ إنما قيده بالعمد مع أن قاتل الصيد خطأً ضامنٌ أيضًا؛ لأن الآية سيقت لبيان الإثم واستحقاق العقوبة، بدليل قوله في آخرها: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾، والإثم واستحقاق العقوبة في العمد لا في الخطأ، والله أعلم.[٥] ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾

للقرطبي (٦/٢٩٦)، ولباب التأويل للخازن (٢/٩١).

(١) يقال: بَلاه الله بَلاءً وابتلاه، أي: اختبره، والبلاء والتبالي: الاختبار، ويكون بالخير والشر.
ينظر: العين للخليل (٨/٣٣٩)"بلو"، وتهذيب اللغة للأزهري (١٥/٢٨٠)"بلا"، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/٢٩٢)"بلوى".

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٤٠)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٣/١٨٧٠)، والتفسير الكبير للرازي (١٢/٧٢).

(٣) قاله أكثر المفسرين.
ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٤٠)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/١٠٩)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/٤٢٢).

(٤) يقال: رجلٌ حَرام، وامرأةٌ حرام، والإحرام هو: الدخول فيه، يقال: أحرم القوم إذا دخلوا في الشهر الحرام، أو في الحَرَم، أو في النُّسك. وقيل له مُحرم وحَرام: لما حَرُم عليه من المحظورات من النكاح وغيره.
ينظر: العين للخليل (٣/٢٢١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٥/٢٩)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (١/١٨٧)"حرم".

(٥) أكثر الفقهاء على أن قاتل الصيد في حال إحرامه عليه الجزاء، سواء كان متعمدًا أو مخطئًا. وذهب ابن عباس رضي الله عنهما، وسعيد بن جبير، وبه قال طاوس، وهو مذهب الظاهرية، وبه قال الطبري، وأحمد بن حنبل في إحدى روايتيه: أنه لا شيء على المخطئ والناسي. وبسط هذه المسألة بأدلتها في كتب الفقه وأحكام القرآن.

أي: فعليه أن يجزى.(١) ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ أي: بالمثل.(٢)

﴿هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ أي: يهدي به إلى الكعبة، ليُفرّق على المساكين.

﴿أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾ أي: يُقوَّم الصيد المقتول دراهم، ثم تُقوَّم الدراهم طعامًا، فيُصدَّق به على مساكين الحرم.(٣)﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ أي: يصوم لكل مدٍّ يومًا،(٤)

ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٤٠)، وأحكام القرآن للجصاص (٤/١٣٣)، والحاوي الكبير للماوردي (٤/٢٨٣)، والمحلى لابن حزم (٧/٢١٦)، والاستذكار لابن عبد البر (٤/٣٧٨)، والمغني لابن قدامة (٣/٢٦٥)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/٣٠٧).

(١) ووجه ذلك: أنّ الجزاء هنا بمعنى: القضاء، والأصل: فعليه أن يُجْزى المقتولُ من الصيد مثلَه من النَّعم. ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/٤٠)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/٤٦٠)، والدر المصون للسمين الحلبي (٤/٤١٩).

(٢) قاله أكثر العلماء. إلا أنهم اختلفوا في المثل، فقال الشافعي ومحمد بن الحسن: الصيد ضربان: منه ما له مثل، ومنه ما لا مثل له، فما له مثل يضمن بمثله من النَّعم، وما لا مثل له يضمن بالقيمة. وقال أبو حنيفة وأبو يوسف: المثل الواجب هو القيمة. وبسط المسألة في كتب الفقه وأحكام القرآن.
ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٤٧)، وأحكام القرآن للجصاص (٤/١٣٧)، وأحكام القرآن لابن العربي (٢/١٨١)، والمغني لابن قدامة (٣/٢٩٠)، والمجموع للنووي (٧/٣٧٨).

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، وقتادة، وهو مذهب أبي حنيفة، ومالك. وقال الشافعي، وأحمد: يقوَّم المثل بدراهم والدراهم بطعام، ويتصدق به على المساكين. وهذا هو الأظهر من الآية الكريمة، وهو اختيار الطبري. وبسط هذه المسألة في كتب الفقه وأحكام القرآن.
ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٥٤)، وأحكام القرآن للجصاص (٤/١٤٠)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/٤٢٥)، والمغني لابن قدامة (٣/٢٧٥)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/٣١٥).

(٤) قاله عطاء، وهو مذهب مالك، والشافعي.
ينظر: كتاب الأم للشافعي (٢/١٨٥)، والاستذكار لابن عبد البر (٤/١٤٩)، وأحكام القرآن لابن العربي (٢/١٩٢)، والمغني لابن قدامة (٣/٣٧٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/٣١٦).

فإن انكسر مُدٌّ يكمل صوم يوم.(١) قوله: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ أي: يُعاقبه.

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ﴾ أي: منفعةً.(٢) ﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ يعني: وللمارّة.(٣) ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ أعاد ذكر تحريمه ليُعلم أنّ [٤٣/أ] تحريمه لم ينسخ.(٤) قوله: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ أي: قوامًا لهم.(٥) ﴿وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ علم الله من العرب كثرة فسادهم، فحرَّم [ ] (٦) القتال في الحرم، والشهر الحرام، والتعرض للهدي، والقلائد، وأن من دخل الحرم لا يُتعرض له، وأوقع في نفوس العرب تعظيم ذلك، وفظاعة انتهاك هذه الحُرُم، حتى صلح بذلك معاشهم بعض

---

(١) وذلك لأن الصوم لا يتبعض. والكسر من الحساب: ما لم يكن سهما تامًا، وجمعه: كُسُور.
ينظر: العين للخليل (٥/٣٠٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٠/٣٠)"كسر"، والمجموع للنووي (٧/٣٦٠).

(٢) قاله جمهور المفسرين.
ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٦٩)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٣/١٨٨١)، والنكت والعيون للماوردي (٢/٦٩)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/٦٨).

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنهما. والسيارة: بناء مبالغة، وأصله: السير المضي في الأرض، ورجل سائر وسيار، وهو الكثير السير في الأرض، والسيارة: الجماعة.
ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٦٩)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٦٦)، والمفردات للراغب (ص٢٤٧)"سار"، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١١/٢٩).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٧٠)، وأحكام القرآن لابن العربي (٢/١٧٥)، والمغني لابن قدامة (٣/١٤٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/٣٢١).

(٥) ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/١٧٧)، وجامع البيان للطبري (٧/٧٦)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/١١٢)، والمفردات للراغب (ص٤١٧)"قوم".

(٦) ما بين المعكوفتين جملة غير واضحة في المخطوط، ولعله: (بسنّة إبراهيم).

الصلاح.(١) وأردف ذكر هذا بقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعني: لم يخفَ عليه وجه صلاح الخلق، كما لم يخفَ عليه غيب السموات والأرض، ودبَّر كل ما دبَّر بالحكمة البالغة، عن علم كامل بوجوه التدبيرات.

وقوله: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ﴾ أي: التبليغ.(٢)

وقوله: ﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ أي: الحلال والحرام،(٣) يقول: فكيف بحلال الدنيا خيرٌ من كثير حرامها؟.

﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِ﴾ يعني: وإن أعجبتك كثرتها، فهي مضمحلة عن قريب، والعذاب عليها شديد. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ﴾ وذلك أنه لما نزلت:﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗا﴾[آل عمران:٩٧]، قالوا: يا رسول الله! أفي كل عام؟ فسكت، فقالوا: يا رسول الله! أفي كل عام؟ قال: «لا، ولو قلت: نعم لوجبت»، فأنزل الله هذه الآية.(٤) وقوله: ﴿تَسُؤۡكُمۡ﴾ أي: يحزنكم.

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٧٦)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/٦٩)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٦٨)، والتفسير الكبير للرازي (١٢/٨٤).

(٢) ينظر: الوجيز للواحدي (١/٦٠٦)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٦٩)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/٢٤٤).

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، والحسن، ومقاتل بن سليمان.وقال السدي: المؤمن والكافر.
وهذا من تفسير اللفظ بالمثال، وإلا فإن الخبيث والطيب عامان، فيندرج تحتهما حلال المال وحرامه، وصالح العمل وفاسده، وجيد الناس ورديئهم، وصحيح العقائد وفاسدها. وبه قال الطبري، والقرطبي، وابن سعدي.

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٣٢٣)، وجامع البيان للطبري (٧/٧٩)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/٤٣٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/٣٢٧)، وتيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (ص٢٤٥).

(٤) روى ذلك أحمد في مسنده (١/١١٣)، برقم: (٩٠٥)، والترمذي في سننه (٥/٢٥٦)، برقم: (٣٠٥٥)، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ/باب ومن سورة المائدة، وابن ماجة في سننه (٢/٩٦٣)،

﴿وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ أي: لأنكم إذا سألتم أُجِبْتُم، وبُيِّن لكم حقيقة ذلك، وفي ذلكم سيئاتكم، فافتضح قوم أو واحد.[1]

قوله: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ أي: كسؤال قوم صالح الناقة، وقوم عيسى المائدة. [2] قوله: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾ أي: ما أمر الله بذلك ولا شرعه.[3] وهي: أنهم كانوا إذا نتجت الناقة خمسة أبطن نظروا في البطن الخامس: فإن كان ذكرًا نحروه فأكله الرجال والنساء جميعًا، وإن كانت أنثى شقُّوا أُذنها، ثم لا يُجَزّ منها وَبَرٌ،[4] وحَرُمَتْ على النساء، لا يذُقنَ من لبنها شيئًا، ولا ينتفعن بها، وكان لبنها ومنافعها للرجال دون النساء، فإذا ماتت اشترك الرجال والنساء في أكلها، فهذه هي البحيرة. [5] وأما السائبة: فكان الرجل

برقم: (٢٨٨٤) كتاب المناسك/باب فرض الحج، والبزار في مسنده (١٢٧/٣)، برقم: (٩١٣)، والطبري في جامع البيان (٨٢/٧)، والطبراني في الكبير (١٥٩/٨)، برقم: (٧٦٧١)، والحاكم في المستدرك (٣٢٢/٢)، برقم: (٣١٥٧) من حديث علي بن أبي طالب، وأبي أمامة رضي الله عنهما. وحسن إسناده الهيثمي في المجمع (٢٠٤/٣).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٨٤/٧)، والكشف والبيان للثعلبي (١١٤/٤)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢٤٦/٢)، ولباب التأويل للخازن (٩٩/٢).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٨٥/٧)، والكشف والبيان للثعلبي (١١٤/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٧٠/٢).

(٣) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (١١٤/٤)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١٨٩٣/٣)، والتفسير الكبير للرازي (٩٤/٤).

(٤) الوَبَر: ما نبت على جلد الإبل، وجمعه: الأوبار.

ينظر: العين للخليل (٢٨٦/٨)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٨٩/١٥)، والمفردات للراغب (ص٥١١)"وبر".

(٥) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، والضحاك.

ينظر: تفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٢٢٠/٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٣٧٠/٢)، وتفسير السمرقندي (٤٤٤/١)، والكشف والبيان للثعلبي (١١٤/٤).

يُسيِّب من ماله،(١) فيجيء به إلى السَّدَنة(٢) فيدفعه إليهم، فيُطعمون منه أبناء السبيل من ألبانها ولحمانها، إلا النساء فإنهم كانوا لا يعطونهن منها شيئًا حتى تموت، فإذا ماتت أكلها الرجال والنساء جميعًا.(٣) وأما الوصيلة: فهي الشاة إذا ولدت سبعة أبطن، نظروا: فإن كان البطن السابع ذكرًا ذبحوه وأهدوه الآلهة، وإن كانت أنثى استحيوها، وإن كانت ذكرًا وأنثى استحيوا الذكر من أجل الأنثى وقالوا: وصلت أخاها، فلم يذبحوه.(٤) وأما الحامي: فهو الفحل إذا ركب ولد ولده قيل: حَمَى ظهره، فلا يُركب ولا يحمل عليه، ولا يمنع من ماء، ولا رعي إلى أن يموت، فيأكله الرجال والنساء. (٥) ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ﴾ أي: يختلقون(٦)﴿عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ في قولهم: ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾[الأعراف:٢٨]، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ

---

(١) أي: يخلي من ماله ويتركه، والمسِيَّبة: المخلاة. يقال: سَيَّب الدابة أو الشيء: إذا تركه و خلاه يسيب حيث شاء.

ينظر: العين للخليل (٣١٣/٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (٦٧/١٣)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (١١٩/٣)"سيب".

(٢) السَّدَنة: الذين يقومون على الأصنام، جمع سادن، وهو الخادم.

ينظر: العين للخليل (٢٢٨/٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٥٣/١٢)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٣٥٥/٢)"سدن".

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، والسدي.

ينظر: جامع البيان للطبري (٩٠/٧)، والكشف والبيان للثعلبي (١١٥/٤)، والتفسير الكبير للرازي (٩١/١٢)، والدر المنثور للسيوطي (٢١٢/٣).

(٤) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، والسدي.

ينظر: جامع البيان للطبري (٩١/٧)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٢٢٢/٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٣٧٢/٢).

(٥) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وسعيد بن المسيب، والشعبي.

ينظر: تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني (١٩٦/١)، وجامع البيان للطبري (٩١/٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٣٧٢/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤٣٩/٢).

(٦) قاله عامة المفسرين، وأهل اللغة.

﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾.[(١)]

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: فاعملوا بطاعة الله.

﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ أي: إذا أمرتم بالمعروف، ونهيتم عن المنكر.[(٢)]

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ أي: الضال والمهتدي ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ الآية، هذا: أن رجلًا من بني سهم[(٣)] خرج مع تميم

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/١٨١)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/١١٥)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٣٤)، والمفردات للراغب (ص٣٧٩)"فرى".

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٩٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/١١٥)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٧١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/٢٤٧).

(٢) قاله أبو بكر الصديق، وحذيفة ابن اليمان، وأبو ثعلبة الخشني ﵁، والسدي، وسعيد بن المسيب.
فعن أبي بكر الصديق ﵁ أنه خطب فقال: يا أيها الناس! إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها على غير ما وضعها الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا المنكر بينهم فلم ينكروه، يوشك أن يعمهم الله بعقابه». أخرجه أحمد في المسند (١/٩)، برقم: (٥٣)، وأبو داود في سننه (٤/١٢٢)، برقم: (٤٣٣٨) كتاب الملاحم/باب الأمر والنهي، والترمذي في سننه (٤/٤٦٧)، برقم: (٢١٦٨) كتاب الفتن/باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر، والنسائي في السنن الكبرى (٦/٣٣٨)، برقم: (١١١٥٧) كتاب التفسير/قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾، وابن ماجة في سننه (٢/١٣٢٧)، برقم: (٤٠٠٥) كتاب الفتن/باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وصححه النووي في الأذكار (ص٢٦٢).
ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٩٨)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٤/١٢٢٦)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٧٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/٤٤٢).

(٣) اسمه: بديل بن أبي مارية، مولى العاص بن وائل السهمي: نسبة إلى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب القريشي، ومنهم الصحابي الجليل عمرو بن العاص بن وائل بن سهم ﵁.
ينظر: الأنساب للسمعاني (٣/٣٤٣)، وتهذيب الأسماء للنووي (١/٢٦٤)، وغوامض الأسماء المبهمة

الداري،[١] وعَدِيّ،[٢] فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم، فلما قدما بتركته فَقَدُوا جامًا[٣] من فضةٍ مُخَوَّصاً، -أي: عليه صفائح من ذهب كالخُوص من خُوص النخل-،[٤] فأحلفهما رسول الله ﷺ، ثم وُجِدَ الجام بمكة فقالوا: اشتريناه من تميمٍ وعَدِيّ، فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا بالله:﴿لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا﴾، وإنَّ الجام لصاحبهم، فنزلت هذه الآية.[٥] قوله: ﴿شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ﴾ أي: الشهادة فيما بينكم على وصية

الواقعة في متون الأحاديث المسندة لخلف بن عبد الملك بن بشكوال (٣٣٧/٥).

(١) هو تميم بن أوس بن خارجة بن سود بن جذيمة بن دارع بن عدي بن الدار، وفد على رسول الله ﷺ ومعه أخوه نعيم بن أوس، فأسلما، وصحب تميم رسول الله ﷺ وغزا معه، وروى عنه، ولم يزل بالمدينة حتى تحول إلى الشام بعد قتل عثمان بن عفان ﷺ، ومات سنة ٤٠ هـ.

ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٤٠٨/٧)، والاستيعاب لابن عبد البر (١٩٣/١)، وأسد الغابة لابن الأثير (٣١٩/١).

(٢) هو عَديّ بن بَدَّاء، أثبت له ابن حبان له صحبة، وأنكر عليه ذلك أبو نعيم وقال:"لا يعرف لعدي إسلام". وقوى ذلك ابن الأثير. وقال ابن حجر:"وإنما أخرجته في هذا القسم؛ لقول ابن حبان، فقد يجوز أن يكون اطلع على أنه أسلم بعد ذلك".

ينظر ترجمته في: الثقات لابن حبان (٣١٨/٣)، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (٢١٩٦/٤)، وأسد الغابة لابن الأثير (٧/٤)، والإصابة لابن حجر (٤٦٨/٤).

(٣) الجام: إناء من فضة، وهو مستدير لا قعر له غالبا.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٥٣/١١)، ولسان العرب لابن منظور (١١٢/١٢)"جوم".

(٤) يقال: ديباج مُخَوَّص، أي: منسوج بالذهب، ويقال: خوَّصه الشيب، أي :ظهر فيه.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٩٨/٧)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٨٧/٢)"خوص".

(٥) روى هذا السبب البخاري في صحيحه (١٠٢٢/٣)، برقم: (٢٦٢٨) كتاب الوصايا/باب قول الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ ﴾ الآية.

الميت.[١] ﴿حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ﴾ وصانا أو أوصى بها. ﴿ٱثْنَانِ﴾ شهادة اثنين.[٢] ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ أي: من قبيلتكم؛ لأنهم أعلم بكم وبأحوالكم. ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [٤٣:ب] أي: من غير قبيلتكم.[٣]

﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: سرتم وسافرتم[٤]﴿فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ﴾

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١٠٠/٧)، ومعاني القرآن للزجاج (٢١٤/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١١٩/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٧٣/٢).

(٢) بمعنى أنه رُفع بالابتداء، وخبره: ﴿ٱثْنَانِ﴾، والتقدير: شهادة اثنين. ويجوز أن يكون ﴿ٱثْنَانِ﴾ رفعا بفعلهما، أي: ليكن منكم أن يشهد اثنان.

ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٤٥/٢)، ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب (٢٤١/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢٥٢/٢).

(٣) قاله الحسن، وعكرمة، والسدي، وهو قول جمهور الفقهاء. وذهب جمهور المفسرين، وهو قول الإمام أحمد، بأن المراد: ليشهد بينكم إذا حضر أحدكم الموت عدلان من المسلمين، أو آخران من غير المسلمين. واختاره الطبري، وابن تيمية، وهذا هو الأظهر، فإن الخطاب في الآية توجه إليهم بلفظ الإيمان من غير ذكر للقبيلة، ثم قال بعده: ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ يعني: من غير المؤمنين. وبسط هذه المسألة في كتب الفقه وأحكام القرآن. قال مكي بن أبي طالب: "وهذه الآية - عند أهل المعاني - من أشكل ما في القرآن إعرابا ومعنى وحكما". تفسير الهداية الى بلوغ النهاية (١٩٠٦/٣).

ينظر: جامع البيان للطبري (١٠٣/٧)، وأحكام القرآن للجصاص (١٦٤/٤)، وأحكام القرآن لابن العربي (٢٤٠/٢)، والتفسير الكبير للرازي (٩٥/١٢)، والمغني لابن قدامة (١٨٠/١٠)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٤٩/٦)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٢٩٩/١٥).

(٤) باتفاق المفسرين وأهل اللغة.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٠٧/٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٤/١٢)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٩٧/٣)"ضـرب"، وتفسـير القرآن للسـمعاني (٧٥/٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٥١/٦).

﴿تَحۡبِسُونَهُمَا﴾ أي: الوصيين. ﴿مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ صلاة العصر، لتأكيد اليمين.[(١)] ﴿فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ أي: يحلفان بالله. ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ أنهما خانا وكتما شيئًا مما دفع الميت إليهما ليُوصلاه إلى ورثته. ﴿لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا﴾ كأنه يتعلق بالشهادة على الوصية، لا بالحلف على نفي الخيانة، أي: لا نشتري بما شهدنا به ثمنًا.[(٢)] ﴿وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ﴾ أي: لو كان المشهود له من أقربائنا. ﴿وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ﴾ أي: إن فعلنا ذلك كنا آثمين. ﴿فَإِنۡ عُثِرَ﴾ أي: اطُّلِع[(٣)] ﴿عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا﴾ يعني: الموصيين.

---

(١) قاله أكثر المفسرين. ويدل على صحة ذلك: أن الله تعالى عرّف الصلاة في هذا الموضع بإدخال الألف واللام فيها، ولا تدخلهما العرب إلا في معروفٍ إما في جنس، أو في واحد معهود معروفٍ عند المتخاطبين. ولما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء بطريق يمنع منه ابن السبيل، ورجل بايع رجلًا لا يبايعه إلا للدنيا، فإن أعطاه ما يريد وفى له وإلا لم يفِ له، ورجل ساوم رجلًا بسلعةٍ بعد العصر فحلف بالله لقد أعطي بها كذا وكذا فأخذها». (صحيح البخاري (٩٥٠/٢)، برقم: (٢٥٢٧) كتاب الشهادات/باب اليمين بعد العصر، وصحيح مسلم (١٠٣/١)، برقم: (١٠٨) كتاب الإيمان/ باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمنّ بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف، وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم). وفي راية معلقة عند البخاري: قال النبي ﷺ: «ورجل حلف بالله كاذبًا بعد العصر». (صحيح البخاري (٩٥١/٢) كتاب الشهادات/باب كيف يستحلف؟).

ينظر: جامع البيان للطبري (١١١/٧)، والكشف والبيان للثعلبي (١٢٠/٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (٧٥/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٧٤/٢).

(٢) قاله النحاس، وابن كثير.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٣٧٨/٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢٥٣/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١١٥/٢).

(٣) يقال: عَثَر الرجلُ الأمر يَعثُر عَثْرًا وعُثُورًا: إذا اطّلَع على شيء لم يطَّلِع عليه غيره، وأَعْثَرْتُه عليه: أَطْلَعتُه.

﴿ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾ أي: استوجبا إثمًا بأيمانهما الكاذبة وخيانتهما. ﴿فَـَٔاخَرَانِ﴾ أي: من أولياء الميت.[(١)] ﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ أي: مقام الوصيين.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ أي حقَّ ووجب عليهم الوصية بإيصاء الميت، وذلك أنَّ تميمًا وعَديًّا بعد ما اطُّلِع على الإناء قالا: اشتريناه من الميت، فأنكره ورثة الميت، وحلف عمرو بن العاص،[(٢)] والمطلب ابن أبي وداعة[(٣)] السهميان أنهما خانا وكذبا.[(٤)]

﴿ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾ يعني: الأوليان بالميت، وهما صفة لقوله: ﴿فَـَٔاخَرَانِ﴾، وكان الميت مولى عمرو بن العاص.[(٥)]

ينظر: العين للخليل (١٠٥/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٩٥/٢)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٢٨/٤)"عثر".

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١١٣/٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (٧٦/٢)، والتفسير الكبير للرازي (٩٩/١٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤٥٠/٢).

(٢) هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم، ويكنى أبا عبد الله، أسلم بأرض الحبشة عند النجاشي، ثم قدم المدينة على رسول الله ﷺ مهاجرًا، وصحب رسول الله ﷺ، واستعمله على غزوة ذات السلاسل، شهد معركة اليرموك وولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلسطين، وولاه معاوية رضي الله عنه مصر فلم يزل بها إلى أن مات بها سنة: ٤٣ هـ رضي الله عنه.

ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٤٩٣/٧)، والاستيعاب لابن عبد البر (١١٨٤/٣)، وأسد الغابة لابن الأثير (٢٥٩/٤).

(٣) هو المطلب بن أبي وداعة ابن صبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم، السهمي القرشي، من أصحاب رسول الله ﷺ، أسلم يوم الفتح، ثم سكن المدينة ومات بها، وروى عن النبي ﷺ أحاديث، رضي الله عنه.

ينظر: الثقات لابن حبان (٤٠٠/٣)، وأسد الغابة لابن الأثير (٢٠٠/٥)، والإصابة لابن حجر (١٣٢/٦).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (١١٢/٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٣٨٠/٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (٧٦/٢).

(٥) ينظر: جامع البيان للطبري (١١٥/٧)، ومعاني القرآن للزجاج (٢١٧/٢)، وإعراب القرآن للنحاس

قوله ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ ﴾ أي: أجدر وأقرب.(١) أي: الوصيان وغيرهما. ﴿أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾ أي: اليمين إلى الورثة فيحلفوا ويستحقّوا.(٢) ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ أي: اتقوا عقاب الله. ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ ﴾ أي: عقاب يوم صفته هذا.(٣) ﴿فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ﴾ أي: ما الذي أجابتكم أُمّتكم حين دعوتموهم؟

﴿قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ وذلك أنهم من هول ذلك اليوم يفزعون ويذهلون عن الجواب، ثم يجيبون بعد ما تثوب إليهم(٤) عقولهم بالشهادة على أمتهم.(٥)

(٤٧/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١٢١/٤).

(١) أصل الدنوّ: المقاربة، ومن ذلك الدَّنِي وهو: القريب، من دَنَا يدنُو، ودانيتُ بين الشيئين: قاربْت بينهما، وسميت الدُّنيا: لدنوّها وقربها من الآخرة.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٣٢/١٤)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٠٣/٢)، والمفردات للراغب (ص١٧٢)"دنا".

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (١٢٣/٧)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٢٣٥/٤)، والكشف والبيان للثعلبي (١٢٣/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٧٦/٢).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (١٢٤/٧)، ومعاني القرآن للزجاج (٢١٨/٢)، وإعراب القرآن للنحاس (٤٨/٢).

(٤) أي ترجع إليهم عقولهم. يقال: ثاب يثُوب ثؤوبًا، أي: رجع بعد ذهابه، وثاب البئر إلى مثابه، أي: استفرغ الناس ماءه إلى موضع وسطه، والمثابة: الذي يثوب إليه الناس، كالبيت جعله الله للناس مثابةً، أي: مجتمعًا بعد التفريق.

ينظر: العين للخليل (٢٤٦/٨)، وتهذيب اللغة للأزهري (١١٠/١٥)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٩٣/١)"ثوب".

(٥) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، والحسن، ومجاهد، والسدي.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٢٥/٧)، وتفسير السمرقندي (٤٤٩/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤٥٣/٢)، والتفسير الكبير للرازي (١٠١/١٢)، والجامع للأحكام القرآن للقرطبي (٣٦١/٦).

قوله: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾ أي: اذكروا حين قال الله: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾.[١]

قوله: ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ﴾ أي: قوّيتك وأعنتك[٢] ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ أي: بجبريل عليه السلام.[٣]

﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ﴾ أي: صبيًّا.[٤] ﴿وَكَهْلًا﴾ أي: في حال كُهولتك.[٥]

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١٢٧/٧)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢٥٧/٢)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (٤٧١/١).

(٢) التأييد: مصدر أيّدْته، أي: قوّيتُه، يقال: رجل أيِّد، أي: شديدٌ قويٌّ.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١٨١/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٦٠/١٤)، والمفردات للراغب (ص٣٠)"أيد".

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة، والسدي، والضحاك، وعطية العوفي، والربيع.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤٠٤/١)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٢٣٨/٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (١١٢/١)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٢٢٨/٤).

(٤) أصل المهد: ما تُهَيَّئ للصبي لينام فيه، يقال: مهدت لنفسي خيرًا، أي: هيأته، والمهْد والمهاد: المكان المَمَهَّد الموطأ.

ينظر: العين للخليل (٣١/٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٢٧/٦)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٨٠/٥)"مهد".

(٥) الكَهْل من الرجال: المجاوز حدّ الشباب، يقال: رجل كَهْل وامرأة كَهْلَة: إذا استحكم سنّهما، والجمع كُهول، ومنه: اكتهلَ النّبت، إذا استحكم. والعرب تمدح بالكهولة لأنها الحالة الوسطى في احتناك السنّ، واستحكام العقل، وجودة الرأي والتجربة.

ينظر: غريب القرآن لابن عزيز السجستاني (ص٥٣٠)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٤/٦)"كهل"، ومعالم التنزيل للبغوي (٧٧/٢).

ينظر: العين للخليل (٣٧٨/٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٤/٦)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٤٤/٥)"كهل".

﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: الخط.[١] ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ يعني: العلم والفهم،[٢] ﴿وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾.

﴿وَإِذْ تَخْلُقُ﴾ أي: تصوِّر وتقدِّر.[٣] وباقي الآية مفسَّرٌ في آل عمران.

وقوله: ﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: ما هذا إلا سحر مبين.[٤] يعني: ما جاءهم به من البينات. ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾ أي: ألهمتُهم وقذفتُ

---

(١) قاله جمهور المفسرين، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومقاتل بن سليمان.
ينظر: جامع البيان للطبري (١٢٧/٧)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٢٣٩/٤)، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٤٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١١٦/٢).

(٢) قاله جمهور المفسرين.
ينظر: جامع البيان للطبري (١٢٧/٧)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١٩٢٥/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٧٧/٢)، ولباب التأويل للخازن (١٠٨/٢)،

(٣) أصل الخَلْق: التقدير المستقيم، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء. وليس الخلق الذي هو الإبداع إلا لله تعالى، ولهذا قال في الفصل بينه تعالى وبين غيره: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[النحل:١٧]، وأما الخلق في كافة الناس فلا يستعمل إلا على وجهين: أحدهما: في معنى: التقدير، كهذه الآية، ومنه قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤]، معناه: أحسن المقدِّرين. وكقول الشاعر:

فلأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

والثاني: في الكذب نحو قوله: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾[العنكبوت:١٧].
ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (١٢٣/٤)، والمفردات للراغب (ص١٥٧)"خلق"، والتفسير الكبير للرازي (٤٩/٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١١٦/٢).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (١٢٨/٧)، ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب (٢٤٤/١)، والدر المصون للسمين الحلبي (٤٩٧/٤)،

في قلوبهم.(١) والحواريُّون: خواص أصحاب عيسى عليه السلام،(٢) كانوا قصَّارين.(٣) قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ لم يشكُّوا في قدرة الله تعالى، وإنما معناه: هل يُنزل أم لا؟.(٤)

قوله: ﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: من أن تشكّوا في قدرة الله، أو تنسبوه إلى عجز أو نقصان. والمائدة: هي: الخِوان الذي عليه الطعام، وهي فاعلة من مادة: يميدُهُ: إذا أعطاه وأطعمه.(٥) ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾ فنستيقن قدرته.

---

(١) أصل الوحي: الإعلام على سبيل الخفاء. قال ابن منظور:" الوحي: الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك. يقال: وحَيتُ إليه الكلام وأوحيتُ". لسان العرب (١٥/٣٧٩).

ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٢٦٦)، وغريب القرآن لابن عزيز السجستاني (ص٥٦)، وتهذيب اللغة للأزهري (٥/١٩٢)، والمفردات للراغب (ص٥١٥)"وحي".

(٢) قاله أكثر المفسرين. والحواريون: أصفياؤه، وأول من آمن به، وحواري الرجل: صفيّه وخلصاؤه، من: الحُور، وهو: البياض الخالص.

ينظر: العين للخليل (٣/٢٨٧)"حور"، والكشف والبيان للثعلبي (٤/١٢٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٧٧)، والتفسير الكبير للرازي (٢٩/٢٧٦).

(٣) قاله الحسن، وابن أبي نجيح. والقصَّار: غسَّال الثياب. والمقصِّر: المحوِّر للثياب، أي: مبيِّضها، لأنه يدقها بالقَصْرة، وهي: القطعة من الخشبة.

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٤/١٢٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (٨/٢٧٨)"قصر"، والنكت والعيون للماوردي (١/٣٩٦)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/٣٢٢).

(٤) قاله علي بن أبي طالب، وعائشة رضي الله عنهما، والحسن، وابن الأنباري.

ينظر: جامع البيان للطبري (٧/١٢٩)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/٤٥٦)، والدر المنثور للسيوطي (٣/٢٣١).

(٥) الخِوان: بكسر الخاء وضمها لغتان، والكسر أفصح، وهو شيء من نحو السُّفرة التي يوضع عليها الطعام. وتسمى: (مائدة) إذا كان عليها طعام، وإلا فهي خِوان.

﴿وَتَطْمَئِنَّ﴾ وتسكن ﴿قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ بأنك رسولَ الله.

﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّٰهِدِينَ﴾ لله بالوحدانية والقدرة، ولك بالنبوة والرسالة.

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا﴾ أي: أهل زماننا ﴿وَءَاخِرِنَا﴾ ولمن يجيء بعدنا.(١)

﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾ أي: دلالةً وحجةً، (٢) ﴿وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّٰزِقِينَ﴾.

﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ﴾ أي: بعد نزول المائدة.

﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَٰلَمِينَ﴾ ورد في التفسير: أنهم شكُّوا وشكَّكوا الناس فيها، فمسخ الله منهم ثلاثة وثلاثين ألفًا خنازير، أعاذنا الله من أسباب الشقاوة.

ثم لما سأل الحواريُّون عيسى عليه السلام أن يُنزل الله تعالى لهم المائدة، قام عيسى عليه السلام فألقى الصوف عنه، ولبس الشعر والتحفَه، ووضع يمينه على شماله، ووضعهما على صدره، وصفّ بين قدميه، وألزق الكعب بالكعب، والإبهام بالإبهام، وخفض برأسه خاشعًا، ثم أرسل عينيه بالبكاء حتى سالت الدموع على لحيته، فجعلت تقطر على صدره، فقال: ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ أي: تكون عطيَّةً منك لنا، علامة منك بيننا وبينك، ﴿وَارْزُقْنَا﴾ أي: عليها طعامًا نأكله، فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين، غمامة فوقها، وغمامة تحتها [٤٤/أ] وهم ينظرون إليها تهوي في الهواء، وعيسى

ينظر: العين للخليل (٨/٨٩)"ميد"، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/٢٨٨)، ولسان العرب لابن منظور (٣/٤١١)"ميد".

(١) قاله مقاتل بن سليمان، والسدي، وقتادة، وابن جريج.

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٣٣٢)، وجامع البيان للطبري (٧/١٣٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/١٢٦)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/٤٥٨).

(٢) ينظر: العين للخليل (٨/٤٤١)"أيا"، وجامع البيان للطبري (٧/١٣٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/١٢٧)، والمفردات للراغب (ص٣٢)"أي".

الطَّيْئِلاً يبكي ويقول: إلهي اجعلنا لك من الشاكرين، إلهي اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابًا، إلهي أعوذ بك من أن تكون أنزلتها غضبًا وزجرًا، اللهم اجعلها عافية وسلامة ولا تجعلها فتنةً، حتى استقرت بين يدي عيسى الطَّيْئِلاً، والناس حوله يجدون ريحًا طيبةً لم يجدوا مثلها، وخرَّ عيسى الطَّيْئِلاً لله تعالى ساجدًا، وخرَّ الحواريون معه، فبلغ اليهود ذلك، فأقبلوا غمًّا وكيدًا ينظرون، فرأوا أمرًا عجبيًا، وإذا منديل على السفرة، وجاء عيسى الطَّيْئِلاً فجلس وقال: من كان أجرأنا وأوثَقَنا بنفسه، وأحسنَنَا بلاءً عند ربه، فليكشف عن هذه الآية حتى ننظر ونأكل ونسمي اسم ربنا ونحمد إلهنا. قال الحواريون: أنت أولى بذلك يا روح الله وكلمته، قال: فتوضأ عيسى الطَّيْئِلاً وضوءً جيّدًا، وصلى صلاةً طويلةً، ودعا ربه دعاءً كثيرًا، وبكى بُكاءً طويلًا، ثم قام حتى جلس عند السفرة ثم قال: بسم الله خير الرازقين، وكشف المنديل، فإذا سمكة مشوية، ليس عليها قشورها، وليس لها شوك، وتسيل سيلًا من الدسم، وقد نُصب حولها من البقول، وإذا خلٌّ عند رأسها، وعند ذَنَبِها مِلح، وسبعة أرغفة على كل واحد منها زيت، وخمس رُمَّانات، وخمس تمرات، قال شمعون رأس الحواريين-: يا روح الله وكلمته، أَمِن طعام الدنيا هذا أم من طعام الجنة؟ فقال عيسى الطَّيْئِلاً: نزلت وما عليها من السماء شيء، وليس شيء مما ترون عليها من طعام الدنيا، ولا من طعام الآخرة، هي وما عليها: شيءٌ ابتدعه الله عَجَّلَ بالقدرة الغالبة، إنما قال الله عَجَّلَ له: (كُنْ)، فكان، فكلوا ما سألتم واحمدوا عليه ربكم، يمددكم ويزدكم، فإنه القادر البديع لما شاء، إذا شاء يقول له: (كُنْ) فيكون، قالوا: يا روح الله وكلمته، لو أَرَيتنا اليوم آية من هذه الآية، فقال عيسى: احْيِي بإذن الله، فاضطربت السمكة حيَّة طريَّة تدور عيناها، ولها وبيص(١) تتلمّط(٢) بفيها كما يتلمَّط السبع، وعاد عليها قشورها، ففزع القوم، فقال عيسى الطَّيْئِلاً: مالكم تسألون عن أشياء إذا أُعطيتموها كرهتموها؟ ما أخوفني عليكم أن تُعذَّبوا، يا سمكةُ عودي كما كنتِ بإذن الله، فعادت السمكة مشوية كما كانت،

---

(١) الوبيص: البريق. يقال: وبَصَ الشيء يَبِصُ وَبْصًا ووبيصًا وَبِصَة: إذا بَرَق ولمع.
ينظر: العين للخليل (١٦٩/٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٧٨/١٢)"وبص".

(٢) الَّلمْط: الاضطراب.
ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢٤١/١٣)، ولسان العرب لابن منظور (٣٩٤/٧)"لمط".

ليس عليها قشور بإذن الله. فقالوا: كن أنت -يا روح الله- أوَّل من يأكل منها ثم نأكل نحن، قال عيسى عليه السلام: معاذ الله، بل يأكل منها من طلبها وسألها. فَفَرِق الحواريون من أن يكون نزولها سخطًا ومَثُلة[1] فلم يأكلوا منها، فدعا

عيسى عليه السلام أهل الفاقة والزَّمانة،[2] من العميان والمجذُومين[3] والبُرْص[4] والمُقْعدين وأصحاب الماء الأصفر[5] والمجانين والمخبَّلين،[6] فقال لهم: كلوا من رزق ربكم، وادعوه يزدكم، واذكروا اسم الله وكلوا. ففعلوا وصدروا عن تلك السمكة والأرغفة والرمَّانات والتمرات والبقول ألف وثلاثمائة بين رجل وامرأة، وبين فقير وجائع وزمِنٍ وذو عيب، كلهم شباعًا يتجشَّؤون،[7]

---

(١) المثُلَة: العقوبة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾[الرعد:٦]، أي: العقوبات.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٧٢/١٥)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٩٥/٥)"مثل".

(٢) الزَّمانة هي: العاهة، زَمِن يَزمَن زَمَنًا زُمْنَة وزَمَانةً، فهو زَمِن، والجمع زَمْنَى، لأنه جنس للبلايا التي يصابون بها ويدخلون فيها وهم لها كارهون.

ينظر: العين للخليل (٣٧٥/٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٥٩/١٣)"زمن".

(٣) المجذوم: الذي به جُذَام، وهو: داء يشق الجلد ويقطع اللحم ويتساقط منه. من الجَذْم وهو: القطع.
ينظر: العين للخليل (٩٦/٦)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٤/١١)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٣٩/١)"جذم".

(٤) البُرْص: جمع البَرَص، والأنثى بَرصاء، وبَرِصَ بَرَصًا، وهو داء معروف وهو: بياض يقع في الجسد.
ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٢٧/١٢)، ولسان العرب لابن منظور (٥/٧)"برص".

(٥) الماء الأصفر: صفرة تعلو اللون والبشرة من داءٍ يصيب البطن، يقال له: الصُّفَار، وصاحبه مصفُور.
ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١١٧/١٢)، ولسان العرب لابن منظور (٤٦٠/٤)"صفر".

(٦) المخَبَّل: المجنون. يقال: رجلٌ مخبُول وبه خَبَل ورجل مُخَبَّل: لا فؤاد معه. وقد خبَله الدَّهر والحزن والسلطان والحبّ والدّاء. والخَبَال: داء يصيب الإنسان تسترخي منه مفاصله.

ينظر: العين للخليل (٢٧٢/٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٨٠/٧)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٤٢/٢)"خبل".

(٧) من الجُشاء وهو: صوت يخرج من الفم عند امتلاء المعدة. وأصله: ريح تحتبس فوق المعدة فتطلب

فنظر عيسى عليه السلام فإذا المائدة كهيئتها حين نزلت من السماء، فرُفعت السفرة إلى السماء وهم ينظرون إليها، فاستغنى كل فقير أكل منها يومئذ، فلم يزل غنيًّا حتى مات، وندم الحواريون وسائر الناس ممن أبى أنْ يأكل منها. فكانت إذا نزلت بعد ذلك أقبلوا إليها من كل مكان يسعون، الأغنياء والفقراء والرجال والنساء، والضعفاء والأشداء، والصغار والكبار، والأصحاء والمرضى، يزاحم بعضهم بعضًا، فلما رأى عيسى بن مريم عليه السلام ذلك جعلها نُوَبًا(١) بينهم، فكانت تنزل غِبًّا(٢) تنزل يومًا ولا تنزل يومًا، كناقة ثمود ترعى يومًا وتَرِد يومًا، يؤكل منها حتى إذا فاء الفيء(٣) طارت صاعدة ينظرون إلى ظلها في الأرض حتى تتوارى عنهم، وأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام أن اجعل مائدتي رزقًا لليتامى والزَّمنى دون الأغنياء من الناس. فلما فعل ذلك عظم ذلك على الأغنياء، وأذاعوا القبيح حتى شكّوا وشكّكوا الناس، فوقعت الفتنة

الصعود.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١١/٩٤)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/٤٥٩)، ولسان العرب لابن منظور (١/٤٨)"جشأ".

(١) من النَّوبة: واحدة النَّوب يقال: جاءت نوبتك ونيابتك، وهم يتناوبون النوبة فيما بينهم في الماء وغيره. والنَّوب: رجوع الشيء مرة بعد أخرى، وسمي النحل نوبًا: لرجوعها إلى مقارها. قال ابن فارس رحمه الله:" النون والواو والباء: كلمة واحدة تدل على اعتياد مكان ورجوع إليه". معجم مقاييس اللغة (٥/٣٦٧)"نوب".

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٥/٣٥٠)، والمفردات للراغب (ص٥٠٧)"نوب".

(٢) الغِبّ من أوراد الإبل: أن ترد الماء يومًا وتدعه يومًا ثم تعود. وغبّ الرّجل: إذا جاء زائراً يوماً بعد أيّام.

ينظر: العين للخليل (٤/٣٤٩)، وتهذيب اللغة للأزهري (٨/٢٥)"غب"، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٣/٣٣٦)"غبب".

(٣) الفيء: الظلّ. والجمع الأفياء، يقال: فاء الفيء: إذا رجع الظل من جانب المغرب إلى جانب المشرق. وكل رجوع فيء.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٥/٤١٤)"فاء"، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/٤٣٥)"فأ"، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٢/١٦٥)"فيء".

في قلوب الشاكين، قال عيسى عليه السلام: ويحكم هلكتم؛ سترون العذاب إن لم يرحمكم الله، فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: إني آخذ شرطي من الكاذبين، وقد اشترطت عليهم أن أعذِّب من كفرَ منهم بعد نزولها عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين. فقال عيسى عليه السلام: ربِّ ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨]، فمسخهم الله خنازير من ليلتهم، فأصبحوا يأكلون ما في الحشوش، ويتبعون ما في الكناسة والطرق، وناموا أول الليل على فُرشهم، ونساؤهم في ديارهم بأحسن صورة وأوسع رزق،[٤٤/ب] فأصبح الناس يغدون إلى عيسى عليه السلام فزعًا

وخوفًا من عقوبة الله عز وجل، وعيسى عليه السلام يبكي عليهم، وأهلوهم يبكون معه، وجاءت الخنازير تسعى إلى عيسى عليه السلام حين أبصرته ينظرون إليه، ويشمُّون ريحه، ويسجدون له، وأعينهم تسيل دموعًا لا يستطيعون الكلام، ثم قام عيسى عليه السلام يناديهم بأسمائهم: يا فلان، فيقول برأسه: نعم، فيقول: قد كنتُ أحذركم عذاب الله وعقوبته، وكأني كنت أنظر إليكم ممثلًا بكم في غير صوركم. قال الله لقوم محمد ﷺ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[الرعد:٦]، وقال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾[المائدة:٧٨]، الآية، ثم سأل عيسى عليه السلام ربه عز وجل أن يميتهم، فأماتهم الله تعالى بعد ثلاثة أيام، فما رأى أحدٌ من الناس منهم جيفةً في الأرض، والله أعلم كيف كان.(١)

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن مقطعًا في مواضع من هذه القصة (١٢٤٩/٤)، وأوردها الثعلبي في الكشف والبيان (١٢٨/٤)، ومكي بن أبي طالب في تفسير الهداية (١٩٣٣/٣)، والبغوي في معالم التنزيل (٧٩/٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤٥٩/٢)، وجمعها ابن كثير في تفسيره (١١٨/٢) في سياق واحد، عن سلمان الفارسي، والسدي. وهو من أخبار أهل الكتاب التي لم أجد عليها دليلًا من الكتاب والسنة. قال القرطبي رحمه الله: "في هذا الحديث مقال، ولا يصح من قِبَل إسناده". الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٧٢/٦). وقال ابن كثير رحمه الله:" هذا أثر غريب جدًا". تفسير القرآن العظيم (١٢٠/٢).

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ الآية.

قال هذا القول لعيسى عليه السلام إذ رفعه إليه، وقالت النصارى فيه ما قالت.(١) ﴿ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ﴾ أي: معبودين ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؟ والحكمة في هذا السؤال: أن يقرَّ عيسى عليه السلام على نفسه بالعبودية، ويظهر منه تكذيبهم وتخطيئهم، وأنه لم يأمرهم بذلك، فيكون حجة عليهم.(٢) ﴿قَالَ﴾ أي: عيسى عليه السلام بعد أن ارتعدت مفاصله، وانفجر من كل شعرة دمٌ مجيبًا لله ﷻ.(٣) ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ أي: تنزيهًا وتعظيمًا لك.(٤)

وقال أبو حيان رحمه الله: "واختلفوا في كيفية نزولها، وفيما كان عليها، وفي عدد من أكل منها، وفيما آل إليه حال من أكل منها، اختلافاً مضطرباً متعارضاً، ذكره المفسرون، ضربت عن ذكره صفحاً إذ ليس منه شيء يدل عليه لفظ الآية". تفسير البحر المحيط (٤/٦١).

(١) قاله السدي، واختاره الطبري، والسمين الحلبي. واحتجوا بأن (إذْ) في كلام العرب لما مضى. وذهب أكثر المفسرين: إلى أن ذلك إنما يكون يوم القيامة. وهذا القول هو الأظهر، بدلالة سياق الآيات، حيث قال قبلها: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ [المائدة:١٠٩]، وقال بعدها: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة:١١٩]، وأراد بهما يوم القيامة. وإنما عبر بلفظ الماضي في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾ الآية، ليدل على الوقوع والثبوت.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٣٧/٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٣٨٩/٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (٨٢/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤٦٣/٢)، والدر المصون للسمين الحلبي (٥١١/٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٢١/٢).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (١٣٨/٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (٨٢/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٨٠/٢)، والتفسير الكبير للرازي (١١١/١٢).

(٣) قاله أبو روق عطية بن الحارث الهمداني، ذكره عنه البغوي في معالم التنزيل (٨١/٢)، وأخرجه بنحوه الطبري في جامع البيان (١٤٠/٧)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١٢٥٢/٤) عن ميسرة.

(٤) أصل التسبيح: التنزيه. وسبحان الله معناه: تنزيه الله ﷻ عن كل ما لا ينبغي أن يوصف به. ينظر: العين للخليل (١٥١/٣)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٢٠٣/٢)"سبح"

قوله: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾ أي: في غيبي، ولا أعلم ما في غيبك.[(١)]
وقوله: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي﴾ أي: قبضتني إليك حيث أردت.[(٢)]
﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: الحفيظ عليهم.[(٣)] ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ أي: من

---

(١) قاله ابن عباس رضي الله عنهما. ذكره عنه البغوي في معالم التنزيل (٢/٨١)، والخازن في لباب التأويل (٢/١١٤). وقرر هذا التفسير الزجاج في معاني القرآن (٢/٢٢٢)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٦/٣٧٦).

واختلف العلماء في معنى (النَّفْس) هنا، هل هي صفة لله ﷻ أم بمعنى: الذات؟ فذهب ابن خزيمة وغيره إلى أنها صفة لله ﷻ. وذهب ابن مندة، والراغب، والقاضي عياض، وابن تيمية وغيرهم رحمهم الله، بأن المراد بالنفس ها هنا: الذات، ونفس الشيء: ذاته. قال ابن تيمية رحمه الله: "ومعلوم أن (نفس الله) التي هي: ذاته المقدسة، الموصوفة بصفات الكمال ليست مثل نفس أحد من المخلوقين، وقد ذهب طائفة من المنتسبين إلى السنّة من أهل الحديث وغيرهم، وفيهم طائفة من أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهما إلى: أن (النَّفْس) صفة من الصفات؛ والصواب: أنها ليست صفة؛ بل (نفس الله) هي: ذاته سبحانه، الموصوفة بصفاته سبحانه، وذلك لأنه بإضافته إليه قطع المشاركة، فكذلك لما أضاف إليه علمه وقوته ووجهه ويديه وغير ذلك، قطع بإضافته إليه المشاركة، فامتنع أنّ شيئًا من ذلك من جنس صفات المخلوقين، كما امتنع أن تكون ذاته من جنس ذوات المخلوقين". درء تعارض العقل والنقل (١٠/٣٠٨).

ينظر: جامع البيان للطبري (٧/١٣٨)، وكتاب التوحيد لابن خزيمة (١/١١)، والتوحيد لابن مندة (ص٤٦٨)، والمفردات للراغب (ص٥٠١)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٢/٢٢)"نفس". والتفسير الكبير للرازي (١٢/١١٢).

(٢) أي: قبضتني إلى السماء وأنا حيّ؛ فالمراد: وفاة الرفع إلى السماء، لا وفاة الموت عند انتهاء الأجل، لأن قومه إنما تنصّروا بعد رفعه لا بعد موته. وهذا قول جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٧/١٣٩)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/١٢٩)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/٨٣)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/٢٦٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/٣٧٧).

(٣) قاله جمهور المفسرين، وكذلك هو عند أهل اللغة.

ينظر: العين للخليل (٥/١٥٥)"رقب"، وجامع البيان للطبري (٧/١٣٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/٣٩١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٩/١١٢)"رقب"، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٨١).

مقالته ومقالتهم ﴿شَهِيدٌ﴾.

قوله: ﴿يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ أي: الذين صدقوا في دار الدنيا، لأن عدوّ الله يصدق في ذلك اليوم بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾[إبراهيم:٢٢]، ثم لا ينفعه؛ لأنه لم يصدق في الدنيا.(١) ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ هي أشرف الجنات، لجريان الأنهار والعيون من تحتها، وباقي السورة ظاهر، والله أعلم.

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١٤١/٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٣٩٤/٢)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١٩٥٣/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٨٢/٢).

تفسير سورة الأنعام

سورة الأنعام مدنية [١]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حمد نفسه دالًا بصنعه على توحيده.[٢] وقوله:﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ أي: أنشأهما،[٣] وهما: الليل والنهار.[٤] وذكر في هذه الآية خلْق ما هو من أعظم المخلوقات، وهو السماء والأرض؛ لأن السماء ثابتة بغير عمد، والأرض كذلك، غير مائلة بنا، ثم ذكر أمر الليل والنهار، وهو مما به قوام الخلق، فأعلم الله أن ذلك كله خلْقٌ له.[٥]

---

(١) هكذا في الأصل، ولعله وهم من المصنف، أو خطأ من الناسخ، وإلا فهي مكية في قول جماهير المفسرين. فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «نزلت سورة الأنعام بمكة ليلًا جملة». رواه القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص٢٤٠)، وابن الضريس في فضائل القرآن (ص٩٤)، والطبراني في الكبير (٢١٥/١٢)، برقم: (١٢٩٣٠)، وأبو عمرو الداني في البيان في عد آي القرآن (ص١٥١)، وأورده النحاس في معاني القرآن (٥٢٨/٢)، والسمعاني في تفسير القرآن (٨٥/٢).قال القرطبي رحمه الله:"وهي مكية في قول الأكثرين". الجامع لأحكام القرآن (٣٨٢/٦). بل نقل ابن عبد البر الإجماع على مكيتها فقال:" وقد أجمع العلماء أن سورة الانعام مكية". التمهيد (١٤٦/١).

ينظر: جامع البيان للطبري (١٤٢/٧)، والكشف والبيان للثعلبي (١٣١/٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٢٣/٢)، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٤٨/١)، المكي والمدني في القرآن الكريم لعبد الرزاق حسين أحمد (٢٨٨/١).

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣٣٦/١)، وجامع البيان للطبري (١٤٣/٧)، وتفسير السمرقندي (٤٥٥/١)، والكشف والبيان للثعلبي (١٣٢/٤).

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢٢٧/٢)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١٩٥٦/٣)، والمفردات للراغب (ص٩٤)"جعل"، والتفسير الكبير للرازي (١٢٥/١٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٧٢/٤).

(٤) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٤٣/٧)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٢٥٩/٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/٣)، والتفسير الكبير للرازي (١٢٥/١٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٨٦/٦).

(٥) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢٢٧/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١٣٣/٤)، ومعالم التنزيل

وأعلم أنّ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ مع ذلك ﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ أي: يجعلون له عديلًا[(١)] فيعبدون الحجارة الموات، وهم مقرّون بأن الله خالقٌ ما وَصف. واعلم أنَّ الله خلق مكانًا مظلمًا، ثم خلق جوهرة فأضاءت ذلك المكان، ثم نظر إلى الجوهرة نظر الهيبة فصارت ماءً، فارتفع بخارها وزبْدها، فخلق من البخار: السماوات، ومن الزَّبْد: الأرضين.[(٢)] ثم أعلم الله أنه خلقنا ﴿مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ أي: وقتاً نحيا فيه. وقوله: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ يعني: أمر الساعة والبعث.[(٣)] وقوله: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ أي بعد هذا البيان تشكون.[(٤)] وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ المعنى: هو المتفرد بالتدبير في

للبغوي (٢/٨٣).

(١) أي: شريكًا، يقال: عدل الكافر بربه عدلًا وعدولًا: إذا سوى به غيره فعبده.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٢/٣٩٨)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢/١٢٣)، والمفردات للراغب (ص٣٢٥)"عدل".

(٢) قاله وهب بن منبّه. وهذا من الإسرائيليات التي لا يعتمد عليها في صحة الأخبار.قال الذهبي رحمه الله عن وهب بن منبّه:" وروايته للمسند قليلة، وإنما غزارة علمه في الإسرائيليات، ومن صحائف أهل الكتاب". سير أعلام النبلاء (٤/٥٤٥).

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٤/١٣٣)، والتفسير الكبير للرازي (٢٢/١٤٠)، وتفسير غرائب القرآن للقمي (٦/٣٣٤)، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٣/٤٨٣).

(٣) قاله الحسن، والضحاك، وقتادة، والسدي.

ينظر: جامع البيان للطبري (٧/١٤٦)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٤/١٢٦١)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/١٣٤)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٣/١٩٥٩).

(٤) قاله جمهور المفسرين.قال الراغب:"المرية: التردد في الأمر، وهو أخص من الشك، والممارة: المحاجة فيما فيه مرية". المفردات في غريب القرآن (ص٤٦٧)"مرى".

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/١٨٥)، وجامع البيان للطبري (٧/١٤٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/٣٩٩)، ولسان العرب لابن منظور (١٥/٢٧٥)"مرا".

السماوات وفي الأرض.[1] وقوله: ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ تقديره: لأعرضوا كما عُلم منهم ذلك قديمًا.[2] والإعراض: ترك النظر والاستدلال.[3] ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ﴾ أي: القرآن.[4]

﴿ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ أي: سيعلمون ما يؤول إليه عاقبة استهزائهم.

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ ﴾ القرن: الجماعة من الناس، وجمعه: قرون.[5]

---

(١) قاله الزجاج رحمه الله.واختلف المفسرون في معنى هذه الآية على أقوال؛ بعد اتفاقهم على إنكار قول الجهمية القائلين -تعالى عن قولهم علوًا كبيرًا- بأنه في كل مكان؛ حيث حملوا الآية على ذلك، فالأصح من الأقوال: أنه الإله المعبود، المدبر، المالك، المتصرف في السموات والأرض، فيعبده، ويوحده، ويقرّ له بالإلهية من في السموات ومن في الأرض، إلا من كفر من الجن والإنس. وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ [الزخرف:٨٤]، أي: هو إله من في السماء وإله من في الأرض. وعلى هذا فيكون قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ خبرًا أو حالًا. وعلى هذا المعنى جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٤٨/٧)، ومعاني القرآن للزجاج (٢٢٨/٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (٨٧/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤/٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٩٠/٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٢٤/٢).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٤٥٥/٤)، والبحر المحيط لأبي حيان (٧٩/٤)، والدر المصون للسمين الحلبي (٢٧٣/٩).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (١٤٨/٧)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢٦٨/٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٧٩/٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٢٤/٢).

(٤) قاله مقاتل بن سليمان، والسمرقندي، والثعلبي، وابن الجوزي،

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣٣٦/١)، وتفسير السمرقندي (٤٥٦/١)، والكشف والبيان للثعلبي (١٣٥/٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤/٣).

(٥) القرن: اسم يطلق على أهل كل عصر، وأصله: مدة من الزمان. وأهل كل مدة قرن. واختلف

وقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾ [٤٥/أ] الإرسال: الإنزال.(١)

و﴿ٱلسَّمَآءَ﴾: المطر.(٢) والمدرار: الدائم الكثير، من درور اللبن من الضرع.(٣)

﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى﴾ في بطن الأرض وهم فوقها، فهي ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ﴾.(٤)

﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ أي: أحدثنا.(٥)

المفســرون في مدّة القرن على أقوال؛ أصــحها أن القرن: الأمة من الناس مقترنين في زمن واحد، قلّت السنون أو كثرت. قال النحاس: "القرن: كل عالم في عصر، لأنه مأخوذ من الاقتران، أي: عالم مقترن بعضــهم إلى بعض". معاني القرآن (٢/٤٠٠). ويؤيد ذلك حديث ابن مسـعود ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: « خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ». (صــحيح البخاري (٢/٩٣٨)، برقم: (٢٥٠٩) كتاب الشهادات/باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، وصحيح مسلم (٤/١٩٦٣)، برقم: (٢٥٣٣) كتاب فضائل الصحابة ﷺ/باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم).

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٢٢٩)، وتهذيب اللغة للأزهري ٨٤/٩)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/٧٦)"قرن"، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/٤).

(١) ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/١٨٦)، والمفردات للراغب (ص١٩٥)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (١/٢٩٩)"رسل".

(٢) هذا من الاستعارات التي جرت على لسان العرب،، يقولون: السماء ما علاك، ثم توسعوا فيه حتى سمّوا المطر سماء، فقالوا: ما زلنا نطأُ السماء حتى أتيناكم، أي: نطأُ مواضع المطر.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/١٨٦)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/٩٨)"سمو".

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٢٢٩)، والمفردات للراغب (ص١٦٦)"در"، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/٢٦٩).

(٤) ينظر: التفســير الكبير للرازي (١٢/١٣٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/٣٩٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤/٨١).

(٥) ومنه النّشَـأُ: أحداث النّاس. يقولون: غلام ناشـيء وجارية ناشـئة. ويقال: ما نشـأ منه، أي: ما حدث.

ينظر: جامع البيان للطبري (٧/١٤٩)، وتهذيب اللغة للأزهري (١١/٢٨٦)، والمفردات للراغب (ص٤٩٣)"نشأ".

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ ﴾ الآية، أي: لغلبة العناد عليهم عدّوه سحْرًا.(١)

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ أي: لَحَقَّ عذابهم ولم يُمهَلوا كما هو سنة الله؛ لأن الله حذّر من الآية المقترحة؛ إذا لم يؤمن معها لم يقع عندها إمهال، وكان يجب إن لم يؤمنوا أن يعاقَبوا في الحال بعذاب الاستئصال؛ كما فَعَل بقوم صالح عليه السلام؛ لِزَجْرِ الناس عن التحكم على الله في طلب الآيات والمعجزات، ولم يُرِد الله تعالى استئصالهم، إذ عَلِمَ أن أكثرهم سيؤمنون.(٢)

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا ﴾ أي: لو أرسلنا إليهم مَلَكًا لم نرسله إلا في صورة إنسان؛ لأن المَلَك لو نَظَرَ إليه على هيئته ناظرٌ لصُعق، وكان المَلَك يأتي الأنبياء في صورة إنسان، كما أتى جبريلُ النبيَّ عليهما السلام في صورة دِحْيَة،(٣) وجاء المَلَكان

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٧/١٥٠)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٨٦)، ولباب التأويل للخازن للخازن (٢/١٢٠).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٧/١٥١)، والنكت والعيون للماوردي (٢/٩٥)، ومعالم النزيل للبغوي (٢/٨٦)، والتفسير الكبير للرازي (١٢/١٣٤).

(٣) هو دِحْيَة بن خليفة بن فضالة بن فروة الكلبي، صاحِبَ النبيَّ ﷺ، وشهد معه المشاهد كلها بعد بدر، كان جميلًا، يضرب به المثل في حسن الصورة، وأرسله رسول الله ﷺ بكتاب إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى هرقل، وشهد اليرموك، وبقي إلى خلافة معاوية رضي الله عنهما. وفي مجيء جبريل عليه السلام بصورة دحية، جاء ذلك في الصحيحين عن أبي عثمان قال: " أُنبئت أن جبريل عليه السلام أتى النبيَّ ﷺ وعنده أم سلمة، فجعل يحدّث ثم قام، فقال النبي ﷺ لأم سلمة: «من هذا»؟ أو كما قال، قالت: هذا دحية؛ قالت أم سلمة: أيم الله ما حسبته إلا إياه؛ حتى سمعت خطبة نبي الله ﷺ بخبر جبريل". (صحيح البخاري (٣/١٣٣٠)، برقم: (٣٤٣٥) كتاب المناقب/باب علامات النبوة في الإسلام، وصحيح مسلم (٤/١٩٠٦)، برقم: (٢٤٥١)، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم/باب من فضائل أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها).

ينظر في ترجمة دِحْيَة رضي الله عنه في: الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/٢٤٩)، والاستيعاب لابن عبد البر

داود عليه السلام في صورة رجلين يختصمان.(١)

وقوله: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم﴾ أي لشبَّهنا عليهم ما كانوا يشبِّهون على أنفسهم؛(٢) جزاءً على عنادهم حتى يشكُّوا. وهؤلاء أهل الكتاب فرَّقوا دينهم، وكذبوا رسلهم، وحرَّفوا الكلم عن مواضعه، فلبَّس الله عليهم بتلبيسهم على أنفسهم.(٣)

قوله: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ يعزي نبيه ﷺ بذلك.(٤)

﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم﴾ أي: حلَّ (٥) ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: جزاء استهزائهم من العذاب والنقمة.

(٤٦١/٢)، وتهذيب الأسماء للنووي (١٨٤/١).

(١) قال السمعاني رحمه الله: "واتفقت عامة المفسرين على أن الذين دخلوا كانوا مَلَكَين". تفسير القرآن (٤٣١/٤)،

ينظر: جامع البيان للطبري (١٤١/٢٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٩٤/٦)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٦٢١٨/١٠)، وزاد المسير لابن الجوزي (١١٨/٧).

(٢) قاله جمهور المفسرين، وأهل اللغة. واللَّبْس: مصدر من قولك: لبَسْتُ عليهم الأمر ألْبِسُه لَبْسًا: إذا شبّهتُه عليهم، وجعلته مشكِلًا.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٥٢/٧)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٢٦٦/٤)، ومعاني القرآن للزجاج (٢٣١/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٣٠٧/١٢)"لبس".

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (١٥٣/٧)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٢٦٧/٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٤٠٣/٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٨٤/٤).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (١٥٣/٧)، والكشف والبيان للثعلبي (١٣٦/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٨٦/٢).

(٥) الحَيْق: ما حاق بالإنسان من مكر أو سوء عمل يعمله فينزل ذلك به، تقول: أحاق الله بهم مكرهم. و حاق به الشيء يحيق حيقًا: نزل به وأحاط به.

ينظر: العين للخليل (٢٥٦/٣)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٢٥/٢)، ولسان العرب (٧١/١٠)"حيق".

﴿قُلْ﴾ أي: يا محمد، لهؤلاء المكذبين المستهزئين ﴿سِيرُواْ﴾ أي: سافروا ﴿فِي الأَرْضِ﴾ معتبرين. [١] ﴿ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: جزاء أمرهم، وكيف أورثهم الكفرُ والكذبُ الهلاكَ والعطبَ، يحذِّر كفارَ مكة عذابَ الأمم الخالية. وإنما أمرهم بالسير؛ لأن بلاد عاد[٢] وثمود[٣] الذين أهلكهم الله في ناحية الشام واليمن، فأراد أن يشاهدوا عيانًا آثارهم وآثار نقم الله فيهم؛ من كون ديارهم خراباً يبابًا[٤] خاوية على عروشها بعد أن كانت نزهة الأنظار.[٥]

قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِلّهِ﴾

---

(١) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: تفسير السمرقندي (٤٥٨/١)، والكشف والبيان للثعلبي (١٣٦/٤)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١٩٦٦/٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (٣٤/١٣)"سير"، والمفردات للراغب (ص٢٤٧)"سار".

(٢) عاد: قبيلة، وتنسب إلى هو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، كانت مساكنهم ما بين عمان وحضرموت بالأحقاف، كانوا جبارين طوال القامة، وأصحاب أوثان يعبدونها من دون الله، فبعث الله إليهم هودًا عليه السلام، فكذبوه، فأهلكهم الله بريح صرصر عاتية.

ينظر: البدء والتاريخ لابن طاهر المقدسي (٣١/٣)، والمنتظم لابن الجوزي (٢٥٢/١)، والكامل في التاريخ لابن الأثير (٦٥/١).

(٣) ثمود: قبيلة، سميت باسم جدّهم: ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح، وكانت مساكنهم: الحِجْر، بين الحجاز والشام، إلى وادي القُرى وما حوله، وتقع شمال محافظة العُلا بنحو ٥٠ كم، كانوا من العرب العارية، يعبدون الأصنام، فبعث الله إليهم صالحًا نبيًّا عليه السلام، فسألوه أن يأتيهم بآية؛ فأخرج الله لهم ناقة من الأرض معها فصيلها، فكذبوه فعقروها، فأخذهم العذاب.

ينظر: البدء والتاريخ لابن طاهر المقدسي (٣٧/٣)، والكامل في التاريخ لابن الأثير (٦٨/١)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٣٠/١).

(٤) اليباب: الخراب الذي ليس به أحد.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٤٣٩/١٥)"يبب"، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٥١/٦) "يب".

(٥) ينظر: جامع البيان للطبري (١٥٤/٧)، والكشف والبيان للثعلبي (١٣٦/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٨٦/٢).

فائدة هذا السؤال: أخذُ إقرارهم بما يوجب عليهم أن لا يتخذوا له شريكًا في العبادة؛ لأن الكفار كانوا مقرّين بأن السماوات والأرض لله، وأنه لا مالك لهما ولا مدبر ولا مصرف سواه، وإذا اعترفوا بذلك فالعبادة حُقّت له، وإثبات شريك له في العبادة لا حجة لهم عليه، ولا عذر لهم فيه. وإنما أمَرَه أن يجيب هو فيقول: ﴿لِلَّهِ﴾ فيكون سائلًا ومجيبًا؛ لأن السؤال ليس هو سؤال استفهام؛ وإنما هو إلجاء، أي: اعتراف، أي: قل أنت هو ﴿لِلَّهِ﴾ ؛ لأنه لا يخالفك فيه أحد، فكأنه قال: قل لهم أني أقول: إن السماوات والأرض لله، فما قولكم فيما أقول؟ فإنهم لا يجدون بدأ من موافقتك عليه.(١)

﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ ذِكرُ النفس هاهنا تأكيد وعده ورفع الوسائط دونه،(٢) وهذا استعطاف منه للمتولِّين عنه إلى الإقبال إليه، وإخبارٌ بأنه رحيمٌ بعباده لا يعجِّل عليهم بالعقوبة، ويقبل الإنابة والتوبة.(٣)

وقوله:﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ أي: والله(٤) ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: فيه، يعني: تُجمعون من الأماكن المتفرقة، وتُحشرون بأجمعكم إلى أرض المحشر.

---

(١) ينظر: معالم التنزيل للبغوي (٨٧/٢)، والتفسير الكبير للرازي (١٣٦/١٢)، ولباب التأويل للخازن (١٢١/٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٨٥/٤).

(٢) اختلف علماء أهل السنة في معنى (النَّفْس) هنا، هل هي صفة لله ﷻ أم بمعنى: الذات؟ وقد تقدم الكلام على هذه المسألة في سورة الأنعام ص : ٦٨١

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (١٥٥/٧)، والكشف والبيان للثعلبي (١٣٧/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٨٧/٢).

(٤) قوله تعالى: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ في موضع نصب على البدل من ﴿ٱلرَّحْمَةَ﴾، واللام لام القسم؛ فهي جواب ﴿كَتَبَ﴾، لأنه بمعنى: أوجب ذلك على نفسه، ففيه معنى القسم.
ينظر: جامع البيان للطبري (١٥٦/٧)، ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب (٢٤٦/١)، والدر المصون للسمين الحلبي (٥٤٩/٤).

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ الخسران: ذهاب رأس المال، والمراد: أهلكوها[1] باستخفافهم المصير إلى عذاب الله بكفرهم وعنادهم.

قوله: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ أي: هو المالك لجميع الحيوانات والتصرف فيها بالقدرة والاختيار.[2] و﴿سَكَنَ﴾ ضد تحرّك،[3] وكل الحيوانات تتحرك نهارًا، وتسكن ليلًا، والقليل منها يهْدأ نهارًا ويطلب المعاش ليلًا، فقد استغرق بذلك جميع الحيوانات.[4] ودلّ بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ أي: لا يخفى عليه شيء من أحوالهم وأقوالهم وأفعالهم.

قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا﴾ هذا حين دُعي إلى دين آبائه؛ فأنزل الله ﷻ.[5]

---

(١) الخُسْر والخُسْرَان: انتقاص رأس المال، وينسب ذلك إلى الإنسان فيقال: خسر فلان، وإلى الفعل فيقال: خسرت تجارته. والخسارة: الضلال والهلاك.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٧/٧٦)، والمفردات للراغب (ص١٤٧)، ولسان العرب لابن منظور (٤/٢٣٨)"خسر".

(٢) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٧/١٥٨)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/١٣٧)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٨٧)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/١٠).

(٣) السكون: ثبوت الشيء بعد تحرّك، يقال: سكَنَ الشيءُ يسكُنُ سكوناً إذا ذهبت حركته.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٠/٤٠)، والمفردات للراغب (ص٢٣٦)"سكن".

(٤) الأظهر العموم، وليس هناك دليل يدل على تخصيصه بالحيوانات.قال ابن عطية رحمه الله:" والمقصد في الآية: عموم كل شيء". المحرر الوجيز (٢/٢٧٢).

ينظر: التفسير الكبير للرازي (١٢/١٣٩)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/٣٩٦)، ولباب التأويل للخازن (٢/١٢٢).

(٥) ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره (١/٣٣٨)، والثعلبي في الكشف والبيان (٤/١٣٧)، عن الكلبي، والبغوي في معالم التنزيل (٢/٨٨)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٦/٣٩٧). قال ابن عطية رحمه الله:" وهذا التأويل يحتاج إلى سند في أن هذا نزل جوابًا؛ وإلا فظاهر الآية لا يتضمنه ". المحرر الوجيز (٢/٢٧٣).

﴿ قُلْ ﴾ يا محمد [٤٥/ب]﴿ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا ﴾ أي: ربًّا ومعبودًا وناصرًا.(١)

﴿ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: خالقهما ومبتدعهما ومبتدئهما.(٢) وأصل الفطر: الشقّ والابتداء.(٣)

﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ أي: يَرزُق ولا يُرزَق.(٤)

﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ أي : من أخْلَص.(٥)

---

(١) الولاية: النصرة، وأصلها من: "الوَلْيْ" الذي هو القرب، ومنه يقال: للمحب المعاون: وليّ، لأنه يقرب منك بالمحبة والنصرة، والوليّ: الذي يتولى الإصلاح والحياطة والنصر والمعونة، والله تعالى وليّ المؤمنين، بأن يتولى نصرهم وإرشادهم ﷺ.

ينظر: المفردات للراغب (ص٥٣٣)، ولسان العرب لابن منظور (٤٠٦/١٥)"ولي".

(٢) قاله عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٥٨/٧)، والكشف والبيان للثعلبي (١٣٨/٤)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (١٩٧٢/٣)، والنكت والعيون للماوردي (٩٧/٢).

(٣) ومنه قوله تعالى: ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾[الممتحنة:٣]، يعني: شقوقًا وصدوعًا. يقال: سيفٌ فِطَار: إذا كثر فيه التشقق، وفَطَر نابُ الجمل، أي: انشقّ فخرج.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢٢٢/١٣)، والمفردات للراغب (ص٣٨٢)، وتاج العروس للزبيدي (٣٢٥/١٣)"فطر".

(٤) قاله أكثر المفسرين. كما قال الله تعالى:﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾ [الذاريات:٥٧].

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣٣٩/١)، وجامع البيان للطبري (١٥٩/٧)، ومعالم التنزيل للبغوي (٨٨/٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢٧٣/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (١١/٣).

(٥) قاله الحسن.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٦٠/٧)، والكشف والبيان للثعلبي (١٣٨/٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٩٧/٦).

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: وقيل لي ذلك.(١)

قوله تعالى: ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: من يصرف الله العذاب عنه يومئذٍ ﴿فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾.

قوله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ أي: يُصيبك بشدةٍ وبليةٍ وفقرٍ ومرضٍ.

﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾ أي: فلا دافع ولا صارف له ﴿إِلَّا هُوَ﴾.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ﴾ الله ﴿بِخَيْرٍ﴾ أي يصيبك بعافيةٍ ونجاةٍ ونعمةٍ ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.(٢)

قوله تعالى:﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾ أي: القادر والغالب. وفي القهر زيادة معنى على القدرة.(٣)

﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ أي: مستعلٍ عليهم بالقدرة على تصريفهم كيف شاء.(٤)

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٧/١٦٠)، وتفسير السمرقندي (١/٤٥٩)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/١٣٨)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٨٨).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٧/١٦٠)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٣/١٩٧٦)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٨٨)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/٢٧٤)،

(٣) القاهر هو: الغالب جميع الخلق. يقال: قَهَرَه يَقْهَرُه قَهْراً: غلبه.

ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٢١٦)، وتهذيب اللغة للأزهري (٥/٢٥٧)، والمفردات للراغب (ص٤١٤)، ولسان العرب لابن منظور (٥/١٢٠)"قهر".

(٤) هذا مذهب المؤولة ، كالأشاعرة والماتوريدية والمعتزلة ونحوهم الذين ينكرون صفة الفوقية لله تعالى، ويقولون بأن الفوقية هنا: فوقية استعلاء وقهر لا فوقية مكان؛ كما تقول: السلطان فوق رعيته، أي: بالمنزلة والرفعة، وحجتهم في ذلك: إن قلنا إن المراد من الآية فوقية مكان؛ فهذا يقتضي القول بالجهة، وأنه تعالى حال في الجهة التي فوق العالم وذلك يقتضي الجسيم، والله تعالى منزه عنه. وأهل السنة والجماعة يقولون بأن الفوقية هنا: فوقية علو وقهر وغلبة، وأثبتوا أن الله تعالى فوق سماواته مستو عرشه بائن من خلقه. قال ابن تيمية رحمه الله:" القول بأن الله تعالى فوق العالم معلوم بالاضطرار من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة لمن تدبر ذلك... بل نصوص العلو قد قيل: إنها تبلغ مئين من المواضع،

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ هذا يدل أن القوم كانوا مقرّين بأن الله تعالى أكبر الأشـــياء شـــهادة. وتقديره: فإنهم يقولون: ﴿ٱللَّهُ﴾ فإذا قالوها فقل: هو ﴿شَهِيدٌۢ﴾ بإبلاغي إليكم وبراءتي من شرككم.(١)

والشهيد: هو الْمُبَيِّن للدعوى.(٢) وأمر الله نبيه أن يحتج عليهم بالله الذي بيَّن وحدانيَّته بخلق السماوات والأرض، وجعل الظلمات والنور، وبيَّن بأن القرآن الذي آتى محمدًا ﷺ وعجزوا جميعًا عن الإتيان بمثله أنَّ محمدًا رسوله ﷺ.(٣)

والأحاديث عن النبي ﷺ والصـــحابة والتابعين متواترة موافقة لذلك ... ولهذا لم يكن بين الصـــحابة والتابعين نزاع في ذلك، كما تنطق بذلك كتب الآثار المســـتفيضـــة المتواترة في ذلك، وهذا يعلمه من له عناية بهذا الشـــأن". درء التعارض (٢٦/٧). وقال رحمه الله:" فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره وســـنة رسـوله ﷺ من أولها إلى آخرها، ثم عامة كلام الصـحابة والتابعين، ثم كلام سـائر الأئمة مملوء بما هو إما نص، وإما ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى هو العلي الأعلى، وهو فوق كل شيء، وهو على كل شيء، وأنه فوق العرش، وأنه فوق الســـــماء". مجموع الفتاوى (١٢/٥). وقال ابن القيم رحمه الله:" وقد أجمع المســـلمون أن الله ســـبحانه العلي الأعلى، ونطق بذلك القرآن فزعم هؤلاء أن ذلك بمعنى علو الغلبة لا علو الذات، وعند المســلمين أن لله ﷻ علو الغلبة والعلو من سـائر وجوه العلو، لأن العلو صـفة مدح فنثبت أن لله تعالى علو الذات، وعلو الصـــفات، وعلو القهر والغلبة ". اجتماع الجيوش الإســـلامية (١٠٧/١).

ينظر: التوحيد لابن مندة (ص٧٦١)، واعتقاد أهل الســـنة للالكائي (٣٨٧/٣)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (١٣٦/٥)، والعلو للعلي الغفار للذهبي (ص٢٥٢)، وشـــرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص٣١٥).

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٥٩/٢)، والتفســـير الكبير للرازي (١٤٥/١٢)، والدر المصـــون للسمين الحلبي (٥٦٦/٤).

(٢) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٤٧/٦)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٢١/٣)، والمفردات للراغب (٢٦٧)"شهد".

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢٣٤/٢)، وتفســـير الســـمرقندي (٤٦٠/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٨٩/٢).

وقوله: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى﴾ يعني: بعد قيام هذه الدلالات الواضحات تشهدون أنتم بأنَّ ﴿مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى﴾؟ ﴿قُل لَّا أَشْهَدُ﴾ فإني لا أشهد بمثل ذلك، بل أشهد بأنه إله واحد لا شريك له، وأبرأ من الإشراك به إليه.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ أي: يعرفون محمدًا ﷺ.[(١)]

وقوله: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ أي أهلكوها ومنعوها عن الملاذِّ والشهوات في الآخرة.

﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لعنادهم وحسدهم.

قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: لا أحد أظلم منه؛ فإن عرفت أنت أيها المخاطَب أظلم منه فاذكره؟[(٢)] وافتراء الكذب: اختلاقه من غير أن يكون له أصل.[(٣)]

قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ أي: وأنذرهم حالهم يوم ﴿نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾.[(٤)]

وقوله: ﴿أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ﴾ أضاف الشركاء إليهم؛ لأنهم سموهم شركاء، فكأنه قال: أين معبوداتكم اللاتي سميتموها شركاء؟ وهذا السؤال نوع من العذاب؛ لأنه إلجاء إلى الإقرار بما فيه الفضيحة.[(٥)]

---

(١) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٦٤/٧)، ومعاني القرآن للزجاج (٢٣٤/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٨٩/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٤/٣).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (١٦٥/٧)، والكشف والبيان للطبري (١٤١/٤)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢٧٧/٢).

(٣) يقال: فَرَى فلانٌ كذبًا يفريه: إذا اختلقه. والفرية: الكذب.

ينظر: العين للخليل (٢٨٠/٨)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٩٦/٤)، والمفردات للراغب (ص٣٧٩) "فرى"

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (١٦٥/٧)، ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب (٢٧٠/١)، والتفسير الكبير للرازي (١٥٠/١٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٩٨/٤).

(٥) ينظر: الكشاف للزمخشري (١٣/٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢٧٧/٢)، والتفسير الكبير للرازي

قوله: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ ﴾ أي: حجتهم.[١] أعلم الله أنه لم يكن افتتانهم بشركهم، وإقامتهم عليه إلا أن تبرَّأوا منه، فحلفوا أنهم ما كانوا مشركين.[٢]

وقوله: ﴿ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾ معنى الأمر: التنبيه على شناعة ما كان منهم. قوله: ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ أي: ضاع عنهم[٣] ما كانوا في الدنيا يثبتونه بكذبهم، فبطل ولم ينفعهم. ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ اجتمع الوليد بن المغيرة،[٤] والنضر بن الحارث،[٥]

(٥٠١/١٢).

(١) أصل الفتنة: الاختبار والامتحان، يقال: فتنتُ الفضة على النار: إذا خلصتها، ثم استعمل فيما أخرجه الاختبار للمكروه، ثم كثر استعماله في أبواب المكروه. ولما كان سؤالهم هنا يخبر به لإظهار ما في قلوبهم قيل: فتنة.

ينظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٥٢)، وجامع البيان للطبري (١٦٦/٧)، والمفردات للراغب (ص٣٧١)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (١٤٦/٢)"فتن".

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢٣٥/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١٤١/٤)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢٧٨/٢)،

(٣) حقيقة الضلال: الضياع والهلاك. يقال: ضَللتُ الشيء أضِلُّه: إذا جعلته في مكان ولم تدر أين هو، وأضللتُه، أي: أضعته.

ينظر: العين للخليل (٨/٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (٣١٨/١١)"ضل".

(٤) هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أبو عبد الشمس، أحد رؤساء قريش، من مشركي مكة، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾[المدثر: ١١]، الآيات، قتل يوم بدر كافرا.

ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (١٠٥/٢)، والكامل في التاريخ لابن الأثير (٥٩٢/١)، وسبل الهدى والرشاد للصالحي (٣٥٤/٢).

(٥) هو: النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، كان شديد العداوة لرسول الله ﷺ، هو الذي نزلت فيه آيات أساطير الأولين، وسأل سائل. قتل يوم بدر كافرا.

ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (١٣٧/٢)، والكامل في التاريخ لابن الأثير (٥٩٤/١)، وسبل الهدى

وعتبة وشيبة ابنا ربيعة،[١] وأمية وأبي ابنا خلف،[٢] وسمعوا حديث رسول الله ﷺ فقالوا للنضر: يا أبا قتيلة ما يقول محمد؟ قال: أساطير الأولين، مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية. وكان النضر كثير الحديث عن القرون وأخبارها؛ فأنزل الله هذه الآية.[٣]

وقوله: ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗا﴾ الوَقْر -بالفتح- ثقل الأذن.[٤]

﴿وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ﴾ أي: كل علامة تدلهم على نبوتك ﴿لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا﴾.[٥]

والرشاد للصالحي (٢/٤٦٥).

(١) هما: عتبة وشيبة ولدا ربيعة بن عبد شمس، كانا من أشد المحاربين للنبي ﷺ، قتلا يوم بدر كافرين، دعوا إلى البراز، ومعهما الوليد بن عقبة؛ فخرجوا ثلاثتهم بين الصفين؛ فخرج إليهم حمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث بن المطلب ﷺ: فقتلوهم.

ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/٢٣)، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم (١/٧٦).

(٢) هما: ابنا خلف بن وهب الجمحي، وكانا من المحاربين للرسول ﷺ، أما أبي بن خلف فقتله رسول الله ﷺ يوم أحد، وقُتل أخوه أمية بن خلف ببدر.

ينظر: أنساب الأشراف للبلاذري (١/١٣٧)، والكامل في التاريخ لابن الأثير (١/٥٩٣).

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/١٤١)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/٩٠)، والواحدي في أسباب النزول (ص٣٦٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/١٨)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٦/٤٠٥)، والخازن في لباب التأويل (٢/١٢٦). وهو من طريق الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما، فلا يصح. قال النحاس رحمه الله:" وقد سكت العلماء عن كل ما رواه الكلبي فلم يحتجوا بشيء منه". الناسخ والمنسوخ (١/١٨٤). وقال ابن تيمية يرحمه الله:" ومعلوم أن في كتب التفسير من النقل عن ابن عباس رضي الله عنهما من الكذب شيء كثير من رواية الكلبي عن أبي صالح وغيره ". مجموع الفتاوى (٦/٣٨٩).

(٤) يقال: من قد وقِرَتْ أذنُه توقَر وقرًا فهي موقورة. يقال: هذه نخلة موقِرة وموقَرة: إذا حملت حملاً ثقيلاً .

ينظر: العين للخليل (٥/٢٠٦)، وتهذيب اللغة للأزهري (٩/٢١٥)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦/١٣٢)"وقر".

(٥) ينظر: جامع البيان للطبري (٧/١٧٠)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٢٣٧)، وزاد المسير لابن الجوزي

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ﴾ أي: لو رأوا كل آية لما آمنوا، وكانت غاية ما يفعلونه أن يأخذوا معك في الجدال بالباطل ويقولوا: ما أتيت به ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ هي جمع إسطارٍ، وأُسطُورة، وتأويل السَّطر في اللغة: أن تجعل شيئًا ممتدًّا مؤلَّفاً، ومنه سطرُ الكتاب.(١)

قوله ﷻ: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ أي: ينهون عن [٤٦/أ] النبي ﷺ أن يُتَّبع.(٢)

﴿وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ أي: يتباعدون.(٣)

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟﴾ أي: حُبسوا(٤)﴿عَلَى ٱلنَّارِ﴾ يعني: في النار.

أو معنى الوقف على النار: الإعلام مشاهدة، أي: عاينوها.(٥)

(١٩/٣)، ولباب التأويل للخازن (١٢٦/٢).

(١) يقال: سـطَّر فلان علينا تسـطيراً: إذا جاء بأحاديث تشـبِه الباطل، وسـطَر يَسْـطُر: إذا كتب؛ وأساطير الأولين: ما سطره الأولون من الأباطيل والترّهات.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١٨٩/١)، ومعاني القرآن للزجاج (٢٣٧/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٢٩/١٢)، والمفردات للراغب (ص٢٣٢)"سطر".

(٢) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٧١/٧)، وتفسـير القرآن لابن أبي حاتم (١٢٧٧/٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٤١٠/٢)، وحسن إسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٣٦٩/٢).

(٣) النَّأْي: البُعد. يقال: نَأَيْتُ عن الشـيء أَنَأَى نَأْيًا: إذا بعدتُ عنه، ومنه النُّؤى: حاجز يُجعل حول البيت لئلا يدخله الماء من خارج.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢٣٨/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٣٨٩/١٥)، ولسـان العرب لابن منظور (٣٠٠/١٥)"نأى".

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (١٧٤/٧)، والكشاف للزمخشري (١٦/٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢٨١/٢)، ولسان العرب لابن منظور (٣٥٩/٩)"وقف".

(٥) يحتمل قوله تعالى: ﴿وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ أن يكون دخلوها، فكان وقوفهم عليها؛ أي: فيها. كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾[البقرة:١٠٢]، يعني: في ملك سـليمان.

﴿فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ يعني: يا ليتنا نردّ ونحن لا نكذب بآيات ربنا. ﴿بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُ﴾ أي: يُسرُّون في الدنيا من كفرهم، وعلى هذا: الآية في المنافقين خاصة.(١)

قوله: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ معناه: لو رأيتهم إذ جُمعوا بعد ما نُشروا؛ ليحاسبهم ربهم على أعمالهم؛ ويجازيهم على معاصيهم.

قوله تعالى: ﴿قَدۡ خَسِرَ﴾ أي: غَبِن وهلك ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾.

وإلى ذلك ذهب الطبري، والزجاج، والثعلبي، وغيرهم. ويحتمل أن يكون أشرفوا عليها ووقفوا بقربها وهم يعاينوها. وبهذا قال العز بن عبد السلام، وابن كثير. قال الزجاج:" والأجود أن يكون معنى: أُدخلوها فعرفوا مقدار عذابها، كما تقول في الكلام: قد وقفتُ على ما عند فلان، تريد قد فهمتُه وتبيَّنْتُه". معاني القرآن (٢٣٩/٢).وما قاله الزجاج هو الذي يدل عليه سياق الآية:﴿فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾، وهذا يعني أنهم ذاقوا عذابها فتمنوا أن يردهم الله تعالى. وقال سبحانه في لحاقها: ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ [الأنعام:٣٠].

ينظر: جامع البيان للطبري (١٧٤/٧)، والكشف والبيان للثعلبي (١٤٢/٤)، وتفسير العز بن عبد السلام (٤٣٤/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٢٩/٢).

(١) هذا قول النحاس، والثعلبي، وابن كثير.وذهب الطبري، وابن عطية، والفخر الرازي: إلى أن المراد في الآية: هم الكفار، وهذا القول هو الأظهر، وذلك أن السياق القرآني في المشركين الكافرين، وليس في المنافقين؛ والضمير في قوله تعالى: ﴿لَهُم﴾ يعود على الذين ﴿وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ وهم الكفار الذين قالوا: ﴿يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ﴾.

ولأن ظهور النفاق إنما كان في المدينة ومن حولها من الأعراب، وهذه السورة مكية؛ فلم يكن في مكة نفاق حينئذ؛ فلا يتناسب هذا القول ومضمون السورة المكية.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٧٦/٧)، وإعراب القرآن للنحاس (٦٢/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١٤٢/٤)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣٨٢/٢)، والتفسير الكبير للرازي (١٦٠/١٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٣٢/٢)،

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ أي: القيامة ﴿بَغۡتَةً﴾ أي: فجأة.[١]

﴿قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا﴾ أي: يا حزينا وندامتنا.[٢]

﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا﴾ أي: قصَّرنا[٣] ﴿فِيهَا﴾ في الطاعة.[٤] ﴿وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ﴾ أي: آثامهم وأثقالهم.[٥]

قوله: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ﴾ أي: باطل وغرور لا يبقى.

قوله تعالى: ﴿قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَ﴾ هذا: أن الأخنس بن شَرِيق[٦] التقى أبا

---

(١) البَغْت: مفاجأة الشيء من حيث لا يحتسب. يقال: البَغْتُ والبَغْتة، وقد باغتَه: إذا فاجأه.
ينظر: العين للخليل (٤/٣٩٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (٨/٩٨)، والمفردات للراغب (ص٥٥)"بغت".

(٢) قال ابن عاشور رحمه الله:"﴿قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا﴾: نداء مقصود به التعجب والتندّم، وهو في أصل الوضع نداء للحسرة بتنزيلها منزلة شخص يَسمَعُ ويُنادَى ليحضُر؛ كأنّه يقول: يا حسرة احضري فهذا أوان حضورك، ومنه قولهم: يا ليتني فعلت كذا، ويا أسفي أو يا أسفاً،وأضافوا الحسرة إلى أنفسهم؛ ليكون تحسّرهم لأجل أنفسهم، فهم المتحسّرون والمتحسَّر عليهم". تفسير التحرير والتنوير(٧/١٩٠).

(٣) التفريط: أن يقصِّر في الشيء مع القدرة على ترك التقصير فيه، يقال: ما فرطّت في كذا، أي: ما قصّرت. والفَرَطُ: الأمر الذي يفرِّط فيه صاحبه، أي: يضيّع. وفرَّط في جَنْب الله: ضيَّع ما عنده فلم يعمل له. و تفارَطَت الصلاة عن وقتها: تأخّرت.
ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٣/٢٢٥)، والمفردات للراغب (ص٣٧٧)، ولسان العرب لابن منظور (٧/٣٧٠)"فرط".

(٤) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني (٢/٩٨)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٩٣)، والتفسير الكبير للرازي (١٢/١٦٤).

(٥) الأوزار هي: الآثام، واحدها وِزْر. وأصل الوزر في اللغة: الحمل الثقيل، ويعبر بذلك عن الإثم كما يعبر عنه بالثقل، لعظيم ثقل الذنوب، ومنه الوزير؛ لأنه يحمل أثقال ما يسند إليه من تدبير الولاية.
ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٣٥٨)، وغريب القرآن لابن عزيز (ص٥٧)، والمفردات للراغب (ص٥٢١)"وزر".

(٦) تقدم ترجمته ص: ٢١٧.

جهل بن هشام[١] فقال له: يا أبا الحكم، أخبرني عن محمد، أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس ها هنا أحد يسمع كلامك غيري، فقال أبو جهل: والله إن محمدا لصادق، وما كذب محمد قطّ، ولكن إذا ذهب بنو قصي[٢] باللواء[٣] والسقاية[٤] والحجابة[٥] والندوة[٦] والنبوّة فماذا

---

(١) هو: عمرو بن هشـام بن المغيرة المخزومي القرشـي، أشـد الناس عداوة لرسـول الله ﷺ في صـدر الإسـلام، أحد سـادات قريش وأبطالها ودهاتها في الجاهلية، كان يقال له "أبو الحكم" فدعاه المسـلمون "أبا جهل"، وهو فرعون هذه الأمة، قتل في غزوة بدر الكبرى سنة ٢ هـ.

ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣/٢٦٦)، وتهذيب الأسماء للنووي (٢/٤٩٢)، والبداية والنهاية لابن كثير (٢/٣٩٧).

(٢) بنو قصـــي: بطن من قريش، وهم: عبد مناف، وعبد العزى، وعبد الدار. وهم ســـدنة البيت وأصحاب الألوية.

ينظر: أخبار مكة للأزرقي (٢/٢٥٢)، ونســـب عدنان وقحطان لابن المبرد (ص٣)، وجمهرة أنســـاب العرب لابن حزم (١/١٢٥).

(٣) اللواء: عَلَم الجيش. وهو يعقد للأمير، ولا يمسكه إلاَّ صاحب جيش الحرب، ويكون الناس تبعاً له. واللواء علامة كبكبة الأمير تدور معه حيث دار.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٥/٣١٩)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (١/٣٦٦) "لوى".

(٤) تقدم تعريف السقاية في سورة النساء : ص٥١٨

(٥) الحجابة: حجابة الكعبة: تولي حفظها، وحُجّابها: الذين بأيديهم مفاتيحها، والحاجب: البواب.

ينظر: العين للخليل (٣/٨٦)، وتهذيب اللغة للأزهري (٤/٩٧)، وتاج العروس (٢/٢٣٩) "حجب".

(٦) الندوة: الاجتماع للمشاورة، وبذلك سميت دار الندوة بمكة؛ لأن قريشًا كانت تجتمع فيها للتشاور، وتنادى القوم: إذا اجتمعوا في النادي، ويقال: أناديك، أي: أشاورك وأجالسك في النادي.

ينظر: العين للخليل (٨/٧٦)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٤/١٣٤)"ندو".

يكون لسائر قريش؟ فأنزل الله هذه الآية. (١)

﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ أي: لا ينسبونك إلى الكذب فيما بينهم، أو عند أنفسهم. قوله: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾ يعزّي نبيه ﷺ يقول: كذَّبهم قومهم كما كذبتْك قريشٌ ﴿ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ﴾. (٢)

﴿ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾ يعني: القرآن. (٣) ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ أي: ما تعلم به أن الله ينصر أولياءه، ويهلك أعداءه.

﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ ﴾ يعني: إن شقَّ عليك كل المشقة كفرهم وإعراضهم عن قبول ذلك فهوِّن عليك؛ فإنك لو قدرت، وسُخْت في الأرض، (٤) أو رقيت بسُلّم في السماء

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧/١٨١)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (٤/١٤٤)، ومكي بن أبي طالب في تفسير الهداية (٣/٢٠٠٨)، والواحدي في أسباب النزول (ص٣٧٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/٢٨) عن السدي مرسلًا. وحسن إسناده عن السدي الدكتور حكمت بشير في تحقيقه على تفسير ابن كثير (٣//٥٣٠).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٧/١٨٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٩٤)، والتفسير الكبير للرازي (١٢/١٧٠).

(٣) قاله الكلبي.وذهب جمهور المفسرين بأن المراد بكلمات الله: التي كتبها بالنصر في الدنيا والآخرة لعباده المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الصافات:١٦٧-١٧٣]، وقال تعالى: ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[المجادلة:٢١]. وهذا هو الأظهر.

ينظر: جامع البيان للطبري (٧/١٨٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/١٤٥)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/٢٨٧)، وتفسير القرآن العظيم (٢/١٣١)، وروح المعاني للألوسي (٧/١٣٧).

(٤) السوخ في الأرض: الذهاب فيها، يقال: ساخ يسوخ سوخًا في الأرض: إذا غاب فيها، وساخت يدا فرسه في الأرض، أي: غابت وغاصت، وسَخَتِ الجرادة: إذا غرزت بذَنَبها في الأرض.

ينظر: العين للخليل (٤/٢٩٠)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/١١٤)، ولسان العرب لابن

وحصلت آية يؤمنون عندها بظنِّك لما آمنوا؛ لأنهم منافقون.[١]

والنَفَق: السَّرَب في الأرض له مخلصٌ إلى مكان آخر.[٢]

وقوله:﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ أي: يطْبَعهم على الهدى.[٣]

﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ أي: بأنه لا يؤمن بك إلا بعضهم.

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ أي: هم كالموتى الذين لا يسمعون ولا يبصرون.[٤]

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ هذه الآية التي التمس الكفار إنزالها،

منظور (٣/٢٧)"سوخ".

(١) هذا ما ذهب إليه المصنف رحمه الله.وذهب جماهير المفسرين إلى أن الآية في المشركين الكفار، وهذا القول هو الأظهر، وذلك أن السياق القرآني في المشركين، وليس في المنافقين.ولأن ظهور النفاق إنما كان في المدينة، وهذه السورة مكية؛ فلم يكن في مكة نفاق حينئذ؛ فلا يتناسب هذا القول ومضمون السورة المكية.

ينظر:جامع البيان (١٨٤/٧)، ومعاني القرآن للزجاج (٢٤٣/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١٤٦/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٩٤/٢).

(٢) أصـل النَّفَق: المسـلك النافذ الذي يمكن الخروج منه، ومنه اشـتقاق النفاق، لأن صـاحبه يكتم خلاف ما يُظهر؛ فكأن الإيمان يخرج منه أو يخرج هو من الإيمان في خفاء، فا الأصـل في الباب واحد وهو: الخروج.

ينظر: العين للخليل (١٧٧/٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٥٦/٩)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٥٤/٥)، "نفق".

(٣) ذكر هذا المعنى: النحاس، وابن الجوزي، ورجحه السمعاني.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٨٤/٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٤٢٠/٢)، وتفسـير القرآن للسـمعاني (١٠٠/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٣/٣).

(٤) قاله مجاهد، والحسن، وقتادة.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٨٥/٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٤٢٠/٢)، والكشـف والبيان للثعلبي (١٤٦/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٩٥/٢).

وأبى الله إجابتهم إليه.

﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ أي: إن الله قادر على أن ينزل آية، وأنا لا أقدر، وهو لا ينزلها؛ لأن فيما أنزله كفايةً وتبيانًا يُغني عن غيرها.(١)

قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ أي: مخلوقة محتاجة لخالقها ورازقها.(٢) ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ أي: كل ما يحتاج إليه المتعبدون به أثبتناه في القرآن.(٣) ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ أي: ثم يحشر الجميع إلى

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١٨٥/٧)، والتفسير الكبير للرازي (١٧٣/١٢)، ولباب التأويل للخازن (١٣١/٢).

(٢) قاله السدي، والزجاج، والطبري.قال النحاس رحمه الله:" وأكثر أهل التفسير يذهب إلى أن المعنى: أنهم يخلقون كما يخلقون ويبعثون كما يبعثون". معاني القرآن (٤٢١/٢).

ينظر: جامع البيان للطبري (١٨٨/٧)، ومعاني القرآن للزجاج (٢٤٥/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٩٥/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٥/٣).

(٣) قاله النحاس، والثعلبي، والبغوي.وذهب ابن عباس رضي الله عنهما، وابن زيد، وقتادة، واختاره الطبري، وابن كثير، إلى أن المقصود بالكتاب: اللوح المحفوظ، وهذا القول أظهر في الآية، بدلالة النظير القرآني لهذه الآية، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[هود:٦]، فهذه الآية تفسير لها، وقد اتفق المفسرون على أن المراد بالكتاب المبين في هذه الآية: اللوح المحفوظ. كما أن السياق يدل عليه، فإنه لما ذكر الدواب والطيور وأنهما أمم أمثالنا قال:﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ فالكتاب هنا بمعنى المكتوب، أي: ما فرطنا فيما كتبنا في اللوح المحفوظ من شيء، بل كتبنا فيه كل شيء، ومن ذلك: آجال الطيور، وأعمارها، وأرزاقها، وألوانها، وأحوالها وما كان منها وما يكون، فالاستغراق على ظاهره.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٨٧/٧)، والكشف والبيان للثعلبي (١٤٦/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٩٥/٢)، ودرء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٣٩/٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٣٢/٢).

الموقف الذي لا يملك فيه أحدٌ شيئًا إلا الله تعالى، ويجازي كل واحد على عمله.(١)

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكۡمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ أي: لما لم يُوفُّوا السمع والبصر حقّها في أهم الأشياء إليهم وهو أمر الآخرة التي لا انقضاء لثوابها وعذابها بأن يُصغوا فيستمعوا، ثم يَعُوا ويفكروا فيما أنذروا وبُشروا، صاروا بمنزلة من لا سمع له ولا بصر.(٢)

وقوله: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ أي: قل لهم أخبروني إن جاءكم عذاب الله كالذي جاء من قبلكم، أو جاءتكم الساعة أغير الله هنالك تدعون فيكشف ما نزل بكم، أم إلى الله تفزعون؟

قوله: ﴿ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ ﴾ أي: لا تدعون إلا الله ﷻ الذي تعلمون أنه القادر على الضُّر والنفع دون آلهتكم، فأخبروني[٤٦/ب] لم تعبدون غير الله في سرّائكم، وتدعون الله إذا نالتكم ضراء؟ وقوله: ﴿ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ﴾ أي: تتركون.(٣)

---

(١) على هذا جمهور المفسرين، ويشهد له قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ﴾[التكوير:٥]. وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: « لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقادَ للشاة الجلحاءِ من الشاة القرناء ». (صحيح مسلم (٤/١٩٩٧)، برقم: (٢٥٨٢)، كتاب البر والصلة والآداب/باب تحريم الظلم).

ينظر: جامع البيان للطبري (٧/١٨٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/١٠٢)، والتفسير الكبير للرازي (١٢/١٨٠)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/٤٢١).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٧/١٩٠)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/٣٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/١٣٢).

(٣) يعني: تَتْرُكون دعاء الآلهة عند نزول الشدة. والنسيان له معنيان في اللغة: أحدهما: إغفال الشيء، تقول: نسيت الشيء إذا لم تذكره نسيانًا. والثاني: ترك الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ﴾[طه:١١٥]، أراد: فترك العهد. قال الزجاج رحمه الله: "﴿ وَتَنسَوۡنَ ﴾ ههنا على ضربين: جائز أن يكون تنسون: تَتْرُكون، وجائز أن يكون المعنى: إنكم في تركِكم دعاءَهم بمنزلة من يسهون". معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٤٧).

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ ﴾ أي: الجوع.(١)

﴿ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ أي: النقص في الأموال والأنفس.(٢)

أعلم الله نبيه ﷺ أنه قد أرسل الرسل من قبله إلى قوم بلغوا من القسوة إلى أن أُخذوا بالشدة في أنفسهم وأموالهم ليخضعوا ويذلوا لأمر الله؛ لأن القلوب تخشع والنفوس تضرع عندما يكون من أمر الله في البأساء والضراء، فلم تخشع ولم تضرع.(٣)

وقال: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ ﴾ أي: كان الواجب أن يتضرعوا عند تنبيه الله تعالى إياهم بإنزال بأسه على سخطه عليهم؛ فلم يفعلوا الواجب.

﴿ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي: لقساوة قلوبهم بكثرة معاصيهم وتمرّنهم عليها.

﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ أي: ولأن الشيطان زَيَّن لهم معصية الله بأن خَيَّل إليهم أنها تقربهم من الله.(٤)

ينظر: جامع البيان للطبري (١٩٢/٧)، وإعراب القرآن للنحاس (٦٧/٢)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٢١/٥)، والمفردات للراغب (ص٤٩١)"نسي".

(١) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٩٢/٧)، ومعاني القرآن للزجاج (٢٤٨/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٩٦/٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢٢٩١/٢)، والمفردات للراغب (ص٦٦) "بؤس".

(٢) قاله النحاس، والزجاج، ومكي بن أبي طالب.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٤٢٣/٢)، ومعاني القرآن للزجاج (٢٤٨/٢)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢٠٢١/٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٨/٣)، ولسان العرب لابن منظور (٤٨٣/٤)"ضرر".

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (١٩٢/٧)، ومعاني القرآن للزجاج (٢٤٨/٢)، وتفسير الهداية لمكي أبي طالب (٢٠٢٠/٣)،

(٤) ينظر: معالم التنزيل للبغوي (٩٦/٢)، والتفسير الكبير للرازي (١٨٦/١٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٣٣/٢).

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي: لما تركوا ما أُمروا به من طاعتنا، ولم ينتهوا ولم يتعظوا بما ابتليناهم به من بأسنا وعقوبتنا ابتليناهم وعرضناهم للتذكر والتنبُّه على وجوب الرجوع إلينا، والإيمان بنا بعد البأس والشدة، وهو الرخاء والنعمة حتى مكناهم من جميع ملاذ دنياهم، لأن النافر إنما يُستَعْطَفُ إما بالوعد وإما بالوعيد، فلما لم ينجع فيهم هذا النوع أيضًا؛ وما ازدادوا به إلا تماديًا في الغفلة؛ وإدمان أشر وبطر بالنعمة؛ حقّ عليهم كلمة العذاب على سُنّة الله في أمثالهم فأهلكناهم غافلين.(١)

وقوله: ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ أي مخذولون متروكون.(٢)

﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أي: أهلكوا على آخرهم، واستؤصلوا.(٣)

﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أي: حمد الله ﷻ نفسه على أن استأصلهم؛ لأنه أرسل إليهم الرسل، وأنظرهم بعد كفرهم، وبالغ في إنذارهم وإمهالهم، وأزاح العلل، وأعذر بإقامة الحجج، فكان في إهلاكهم محمودًا.(٤)

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ﴾

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٧/١٩٣)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٤/١٢٩٠)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٢٤٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/١٠٤).

(٢) الإبلاس: الحزن المعترض من شدة البأس، يقال أبلس فلان: إذا سكت وانقطعت حجته. قال الزجاج: المبلس: الشديد الحسرة الحزين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٧/١٩٥)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/٢٩٩)، والمفردات للراغب (ص٦٠)"بلس".

(٣) قاله جمهور المفسرين، وأهل اللغة. يقال: دَبَرَهُ يَدْبُرُه دُبُوراً: إذا تبعه من ورائه، و دابِرُ الشيء: آخره، ومنه الدَّابِرَة: آخر الرمل. وقطع الله دابِرَهم، أَي: آخر من بقي منهم. ينظر: جامع البيان للطبري (٧/١٩٥)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٤/١٢٩٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/٤٢٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٤/٧٨)، والمفردات للراغب (ص١٦٤)"دبر".

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٧/١٩٦)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/١٠٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٩٧)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/٢٩٢).

أي: يأتيكم بهذا المذكور الذي هو السمع والأبصار والقلوب.

﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ أي: نكررها ونقلب معانيها في وجوه الدلالات.(١)

﴿ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ﴾ أي: يعرضون،(٢) وهذا تعجيب من إعراضهم مع وضوح الحجج.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغۡتَةً﴾ أي: لم يتقدمه أمارة.

﴿أَوۡ جَهۡرَةً﴾ أي: بعد أمارة.(٣) ﴿هَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: لا يهلك في عذاب الله إلا أنتم أشباهُكم.(٤)

قوله: ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: حين يخاف أهل النار.

﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ إذا حزن غيرهم في النار.

قوله: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ أي: لست أدَّعي أنْ أقدر على ما يقدر الله عليه من إنزال الآيات. ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ أي: ولا أدَّعي أنّ الله عالم الغيب أطلعني على

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٧/١٩٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/٤٢٦)، والكشـــف والبيان للثعلبي (٤/١٤٨)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٩٧).

(٢) قاله مجاهد، وقتادة، وابن قتيبة. يقال: صَدف عني بوجهه، أي: أعرض.

ينظر: تفســير غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٥٤)، وجامع البيان للطبري (٧/١٩٦)، وتفســير القرآن لابن أبي حاتم (٤/١٢٩٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٢/١٠٣)"صدف".

(٣) قال الرازي رحمه الله:" العذاب الذي يجيئهم: إما أن يجيئهم من غير ســبق علامة تدلهم على مجيء ذلك العذاب؛ أو مع ســبق هذه العلامة. فالأول: هو البغتة. والثاني: هو الجهرة. والأول سماه الله تعالى بالبغتة، لأنه فاجأهم بها، وسمى الثاني: جهرة، لأن نفس العذاب وقع بهم وقد عرفوه". التفســير الكبير (١٢/١٨٨).

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٢/٤٢٦)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٣/٢٠٢٧).

(٤) ينظر: معاني القرآن للنحاس (٢/٤٢٧)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٢٥٠)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤/١٣٦).

كل غيب، بل إنما أعلم منه ما علَّمنيه. ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌ﴾ ولا أدَّعي أني مَلَك، بل أقول: أنا بشر مثلكم، خصَّني الله بأن جعلني رسولًا إليكم مبشرًا ونذيرًا أتّبعه ما يأمرني به بوحيه وليس فيّ غيره.(١)

وقوله: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ﴾ أي: الجاهل والعالم.(٢)

قوله: ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ أي: أنذر بالقرآن(٣) وخُصّ بالإنذار الذين يخافون أن يحشروا؛ لأن الذين يخافون الحشر فالحجة عليهم أوجب لاعترافهم بالمعاد، فهم أحد رجلين: إما رجل مسلم فيُنْذَر ليؤدي حق الله تعالى في إسلامه، وإما رجل من أهل الكتاب وهم أجمعون معترفون بأن الله خالقهم، وأنهم مبعوثون.(٤)

﴿لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ﴾ أي: مُعين يتولى المعونة والنصرة.(٥)

﴿وَلَا شَفِيعٞ﴾ أي: سائل في حاجةٍ لتحقيق مطلوب، أو عفوٍ عن ذنب.(٦)

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١٩٩/٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (١٠٥/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٩٨/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤٣/٣).

(٢) ينظر: النكت والعيون للماوردي (١١٧/٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (١٠٦/٢)، ولباب التأويل للخازن (١٣٥/٢).

(٣) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٠٠/٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٤٢٨/٢)، ومعاني القرآن للزجاج (٢٥١/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١٤٩/٤)،

(٤) قاله الزجاج، والنحاس، وابن الجوزي.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٤٢٨/٢)، ومعاني القرآن للزجاج (٢٥١/٢)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢٠٣٠/٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤٣/٣)، والتفسير الكبير للرازي (١٩٢/١٢).

(٥) الولي: المتولي للأمر والقائم به، وأصله من: الولي، وهو القريب والنصير والمعين، فعيل بمعنى: فاعل. ينظر: العين للخليل (٣٦٥/٨)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٤١/٦)، والمفردات للراغب (ص٥٣٣)"ولي".

(٦) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٠٠/٧)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢٠٣١/٣)، وتفسير

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: لكي يتقون.[١] ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ وذلك أن ملأً من قريش مرُّوا على رسول الله ﷺ وعنده صهيب[٢] وخباب[٣] وعمار[٤] وغيرهم من ضعفاء المسلمين ﷺ فقالوا: يا محمد أرضيتَ بهؤلاء من قومك؟ أفنحن نكون تبعًا لهؤلاء؟ أهؤلاء الذين منَّ الله عليهم من بيننا؟ اطردهم عنك، فلعلك [٤٧/أ] إن طردتهم اتَّبعناك، فأنزل الله تعالى هذه الآية.[٥]

قوله: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ أي: ليس عليك من حساب أعمالهم من

القرآن للسمعاني (١٠٦/٢)، والمفردات للراغب (ص٢٦٣)"شفع".

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٠٠/٧)، والتفسير الكبير للرازي (١٩٣/١٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (١٣٨/٤).

(٢) هو أبو يحيى، صهيب بن سنان النمري، عربي أقام بالروم فترة، وكان من كبار السابقين الأولين البدريين، وكان فاضلاً وافر الحرمة موصوفًا بالكرم، توفي بالمدينة سنة ٣٨ هـ.
ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٢٦/٣)، والاستيعاب لابن عبد البر (٧٢٧/٢)، وأسد الغابة لابن الأثير (١٥٥/٥).

(٣) هو أبو عبد الله، خباب بن الأرت التميمي، وهو عربي، لحقه سباء في الجاهلية فبيع بمكة، من نجباء السابقين الأولين في الإسلام، شهد بدرًا والمشاهد، ومات بالكوفة سنة ٣٧ هـ.
ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٤٣٨/٢)، وأسد الغابة لابن الأثير (١٤١/٢)، وتهذيب الأسماء للنووي (١٧٥/١).

(٤) هو أبو اليقظان، عمار بن ياسر العنسي، كان من السابقين الأولين هو وأبوه، وكان ﷺ ممن يعذَّب في الله تعالى، هاجر وشهد المشاهد كلها، وقتل مع علي ﷺ بصفين سنة ٣٧ هـ.
ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٤٦/٣)، والاستيعاب لابن عبد البر (١١٣٥/٣)، وأسد الغابة لابن الأثير (١٣٩/٤).

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٤٢٠/١)، برقم: (٣٩٨٥)، والبزار في مسنده (٤٠٩/٥)، برقم: (٢٠٤١)، والطبري في جامع البيان (٢٠٠/٧)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١٢٩٦/٤)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (١٥٠/٤)، والواحدي في أسباب النزول (ص٣٧٢) عن ابن مسعود ﷺ. قال الهيثمي:" ورجال أحمد رجال الصحيح غير كردوس وهو ثقة". مجمع الزوائد (٢١/٧).

شيء. ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾ أي: وليس عليهم من حساب عملك شيء، وكل واحد إنما يؤجر وحده بعمله، ولا يؤجر سواه.[١]

﴿فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: ولا تطردهم فتكون ظالماً لهم. ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي: ابتلينا وامتحنا، فجعلنا بعض عبادنا أغنياء، وبعضهم فقراء، فقال الأغنياء إذا رأوا الضعفاء:﴿أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا﴾ مع ضعفهم وشرفنا؟. فأجابهم الله ﷻ بقوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ أي: هو يعلم من يشكر نعمته.[٢] ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾ وردت في هؤلاء الذين مضى ذكرهم.[٣] ﴿فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: لكم السلامة من تبعة ذنوبكم بعد توبتكم

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٠٦)، والكشـاف للزمخشـري (٢٨/٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢٩٥/٢).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٠٦/٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٤٣٠/٢)، وتفسـير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢٠٣٧/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٠٠/٢).

(٣) قاله جمهور المفسرين.

وذهب ابن عطية، وأبو حيان، والفخر الرازي إلى: حمل الآية على العموم، فكل من آمن داخل في هذه الآية. وهذا هو الظاهر من الآية، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قال أبو حيان رحمه الله: " والظاهر أنه يراد به المؤمنون من غير تخصيص ". البحر المحيط (١٤٣/٤).

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٠٧/٧)، والكشف والبيان للثعلبي (١٥١/٤)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢٩٦/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤٨/٣)، والتفسير الكبير للرازي (٣/١٣).

منها.(١) ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ أي: قضى بالمغفرة للمؤمنين التائبين.(٢) ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ أي: علم بأن عاقبته مكروهة، فآثر العاجل، فسمي جاهلًا؛ لأنه آثر القليل على الكثير الدائم.(٣)

وقوله: ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: المغفرة منه.(٤)

---

(١) قال الرازي رحمه الله: "قوله: ﴿سَلَٰمٌ﴾ السلام ههنا يحتمل تأويلين: أحدهما: أن يكون مصدر سلمتُ تسليماً وسلاماً مثل السراح من التسريح، ومعنى سلمتُ عليه سلاماً: دعوت له بأن يسلم من الآفات في دينه ونفسه. فالسلام بمعنى التسليم. والثاني: أن يكون السلام جمع السلامة، فمعنى قولك: السلام عليكم: السلامة عليكم". التفسير الكبير (١٣/٤).

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٢/٤٣١)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٢/٣٠٩)، ولسان العرب لابن منظور (١٢/٢٨٩)"سلم".

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٢٠٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٢٥٣)، ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب (١/٢٥٣).

(٣) قاله جمهور المفسرين. قال ابن تيمية رحمه الله: "الجهل هو عدم العلم، أو عدم اتّباع العلم، فإن من لم يعلم الحق فهو جاهل جهلًا بسيطًا، فإن اعتقد خلافه فهو جاهل جهلًا مركبًا، فإن قال خلاف الحق عالماً بالحق أو غير عالم فهو جاهل أيضًا... وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل؛ فمتى صدر خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه، أو ضعف القلب عن مقاومة ما يعارضه، وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم فيصير جهلًا بهذا الاعتبار". اقتضاء الصراط المستقيم (١/٧٧).

(٤) قال الزجاج رحمه الله:"وقوله:﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. بفتحهما جميعًا..فأما فتح الأولى والثانية فعلى أن موضع (أنَّ) الأولى نصب، المعنى: كتب ربكم على نفسه المغفرة، وهي بدل من الرحمة، كأنه قال: كتب ربكم على نفسه الرحمة، وهي: المغفرة للمذنبين التائبين، لأن معنى: ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ المغفرة منه. ويجوز أن تكون الثانية وقعت مؤكدة للأولى، لأن المعنى: كتب ربكم أنه ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فلما طال الكلام أُعيد ذكر إنَّ . معاني القرآن (٢/٢٥٣).

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ أي: كما فصلنا لك في هذه السورة دلائلنا وإعلامنا على المشركين والمتكبرين كذلك ﴿نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ أي: نميّز ونبيّن لك حجتنا وأدلتنا في كل حق ينكره أهل الباطل.[1] ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: ليظهر ويتضح طرق المجرمين.[2] قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ﴾ أي: مُنعت. ومعنى ﴿تَدْعُونَ﴾: تعبدون.[3] ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾ أُمِرَ بأن يقول: إن فعلتُ ما يريدون مني فقد ﴿ضَلَلْتُ﴾؛ لأنكم تعبدون ما تعبدونه من دون الله بلا برهان قام، ولا حجة اتضحت، بل هو شيء هوته أنفسكم الأمارة بالسوء والفحشاء واتّباع الهوى، وليس من فعل ذوي النُهى.[4] وقوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ أراد: إن ضللتُ بهذا مع وضوح أعلامه، وكثرة شواهده، وبيان براهينه، لم أهتد لشيء من مراشدي.

ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٦٩/٢)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (٥٠٠/١)، والدر المصون للسمين الحلبي (٦٥٠/٤).

(١) ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١٩٣/١)، وجامع البيان للطبري (٢٠٩/٧)، والكشـف والبيان للثعلبي (١٥٢/٤)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢٠٣٩/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٠١/٢).

(٢) يقال: بان الشيء وأبان وتبيَّن: إذا ظهر ووضح، واستبنتُ الشيء: إذا تأمّلته حتى تبيَّن لي. ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٣٥٦/١٥)، والمفردات للراغب (ص٦٨"بان"، والبحر المحيط لأبي حيان (١٤٤/٤).

(٣) قاله جمهور المفسرين. قال ابن تيمية رحمه الله:"وكل موضع ذكر فيه دعاء المشركين لأوثانهم؛ فالمراد به دعاء العبادة". مجموع الفتاوى (١٣/١٥).

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢٥٥/٢)، وزاد المسـير لابن الجوزي (٥١/٣)، ولباب التأويل للخازن (١٣٩/٢).

(٤) ينظر: الكشـف والبيان للثعلبي (١٥٢/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٠١/٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (١٤٥/٤).

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ أي: على بيان،(١) أي بُيِّن لي الحق في عبادة ربي، فأنا أعبده وحده على بصيرة ويقين ومعرفة. ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾ أي: كذبتم بربي.(٢)

﴿مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ أي: الذي تطلبون مني تعجيله لكم ليس عندي، ولا في قدرتي وطاقتي؛ وهو أحد شيئين: إما العذاب، أو آية مقترحة.(٣)

﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ﴾ أي: ما الحكم ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾.(٤)

﴿يَقْضِي الْحَقّ﴾ أي: يقضي القضاء الحقّ.(٥) وقوله: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ أي:

---

(١) تقول العرب: فلان على بينة من هذا الأمر: إذا كان على بيان منه.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/١٩٣)، والمفردات للراغب (ص٦٨)"بان"، والدر المصون للسمين الحلبي (٤/٦٥٧).

(٢) قاله الطبري، والثعلبي، والواحدي، والفخر الرازي، لأن الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور.

ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٢١١)، والكشف والبيان (٤/١٥٣)، والوجيز للواحدي (١/٣٥٦)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/٥١)، والتفسير الكبير للرازي (١٣/٧)، وقواعد الترجيح عند المفسرين للحربي (٢/٦١٢).

(٣) قال بالأول: الحسن، والطبري، والثعلبي. وبالثاني: الزجاج. والآية تحتمل المعنيين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٢١١)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/٤٣٣)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٢٥٦)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/١٥٣).

(٤) قال الشنقيطي رحمه الله:" وعموم الآية يقتضي أن الحكم من حيث هو: هو لله ﷻ وحده... سواء كان شرعيًا أو قدريًا فإنه لله وحده ". العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (١/٣٦٩).

ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٢١١)، والتفسير الكبير للرازي (١٣/٧)، ولباب التأويل للخازن (٢/١٤٠)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤/١٤٦).

(٥) قرأ أبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿يَقْضِي الْحَقَّ﴾ من القضاء، والمعنى: يقضي القضاء الحق. ويشهد لهذا قوله تعالى عند تمام الآية: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾، والفصل لا يكون إلا في القضاء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠]. وقرأ ابن كثير، وعاصم، ونافع: ﴿يَقُصُّ

الحاكمين. قوله: ﴿قُل لَّوۡ أَنَّ عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ﴾ أي: لو كان ما تطلبونه من العذاب عاجلًا بيدي وفي مقدرتي لكان ينفصل ما بيني وبينكم؛ ولكن ليس ذلك إليَّ، وإنما هو إلى الله. ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فيعلم من ينبغي إمهاله، ومن ينبغي أن ينزل العذاب به، فهو يدبر ذلك فيهم، على ما يعرفه من وجه الصواب والحكمة.(١)

قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ جمع مَفْتَح، وهو ما يُفتح به، أي: من عنده معرفة الغيب، وهو يفتح ذلك لخلقه، وإذا علَّم الرجل أخاه شيئًا فتح عليه.(٢)

ٱلۡحَقَّ﴾ بالصاد المشددة، من القَصَص، والمعنى: أن كل ما أخبر به فهو حق. ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى:﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾[يوسف:٣]، يريد به القرآن. والقراءتان سبعيتان متواترتان. ينظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص٢٥٩)، والحجة في القراءات السبع لابن خالويه (ص١٤٠)، وحجة القراءات لابن زنجلة (ص٢٥٤).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٢١٢/٧)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٠٢/٢)، والتفسير الكبير للرازي (٨/١٣).

(٢) يقال: مَفْتَح ومِفْتَاح، فمن قال: مَفْتَح جمعه: مَفَاتِح، ومن قال: مِفْتَاح جمعه مَفَاتِيح، والمفتاح: ما يفتح به. ومفاتح الغيب: هي الخمسة الواردة في آخر سورة لقمان في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾ [لقمان:٣٤]. وروى البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس، لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما في غدٍ إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأيّ أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله ». صحيح البخاري (١٧٣٣/٤) برقم: (٤٤٢٠)، كتاب التفسير/ باب قوله: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ﴾ [الرعد:٨]. ينظر: جامع البيان للطبري (٢١٢/٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٥٧/٤)، والمفردات للراغب (ص٣٧١)"فتح"، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢٩٩/٢).

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ يعني: يقبضكم عن التصرفات.[١]

ومعنى ﴿جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾: كسبْتم.[٢]

وقوله: ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ لما شبَّه النوم بالموت، شبَّه الإيقاظ بالبعث، والبعث: إزالة المانع والحابس عن التصرف.

ومعنى ﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: ليبلغ آخر أجله المسمى له في الدنيا.[٣]

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ أي: ابتداء إنشائكم في الدنيا، ثم يعيدكم، أي: في الآخرة، وكان رجوعكم إلى حال الحياة في الآخرة. ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وعيدٌ لهم على مجازاتهم على جميع ما عملوا من الأعمال. قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ أي: الغالب العالي عليهم؛ بأنه ربّهم ومالك تصريفهم في موجبات حكمته، من إعزازهم وإذلالهم، وإغنائهم وإفقارهم، وضرّهم ونفعهم، فلا أحدٌ يقهره مما أراده فيهم، بل هو القهار لكل قاهر منهم ومتغلّب، فهو ربٌّ قادر، وهم عبيدٌ لا يقدرون إلا على ما أقدرهم عليه.[٤]

---

(١) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢١٤/٧)، والكشف والبيان للثعلبي (١٥٥/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٠٢/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٥٥/٣).

(٢) قاله عامة المفسرين وأهل اللغة.وأصل الاجتراح: عمل الرجل بجارحة من جوارحه: يده أو رجليه، فكثر ذلك حتى قيل لكل مكتسب شيئًا بأيّ أعضاء جسمه كان: (مجترح)، ولكل مكتسب عملاً: جارح.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢١٤/٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٤٣٨/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٨٦/٤)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٥١/١) "جرح"، والتفسير الكبير للرازي (١١/١٣)، والبحر المحيط لأبي حيان (١٥٠/٤).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٢١٥/٧)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢٠٤٧/٣)، والكشاف للزمخشري (٣١/٢).

(٤) كلام المؤلف رحمه الله لـ صفة "الفوقية" بفوقية استعلاء وقهر وقدرة لا فوقية مكان؛ هو قول معطلي

﴿ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ أي: ملائكة يحفظون [٤٧/ب] أعمالكم عليكم.(١) والملائكة مع المكلف مدة حياته إلى أن يأتيه الموت فيتوفاه الملائكة.(٢)

﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ أي: لا يتوانون ولا يقصِّرون.(٣)

قوله: ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ ﴾ تقديره: لا تعلمون، ولا تقرّون بأن الحكم يوم القيامة له وحده، ولا يملك الحكم في ذلك اليوم سواه.(٤) ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ أي: أسرع حسابًا من كل حاسب؛ لأنه لا ينسى فيحتاج إلى تذكير، ولا يشغله فصل عن فصل، ولا حساب

صفة علوه بذاته تبارك وتعالى، والصواب ما عليه أهل السنة والجماعة من أن الفوقية هنا عامة لفوقية المكان والقهر والغلبة، وإثبات أن الله تعالى فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه عالٍ عليهم غير مختلط بهم. وقد تقدم الرد على المؤلف رحمه الله في هذه المسألة عند ص: ٧١٧.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢١٦/٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (٩٣/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٨٩/٢)، والعلو للعلي الغفار للذهبي (ص٢٥٢)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص٣١٥).

(١) قاله جمهور المفسرين.

والملائكة يحفظون بدن الإنسان من الآفات، كقوله تعالى: ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾[الرعد:١١]، وحفظة يحفظون عمله ويحصونه، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[الانفطار:١٠-١٢].

ينظر: جامع البيان للطبري (٢١٦/٧)، والكشف والبيان للثعلبي (١٥٥/٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (٥٥/٣)، والتفسير الكبير للرازي (١٣/١٣).

(٢) ينظر: معالم التنزيل للبغوي (١٠٣/٢)، ولباب التأويل للخازن (١٤٢/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٣٩/٢).

(٣) أصل التفريط: التقصير، يقال: ما فرطتّ في كذا، أي: ما قصّرت.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١٩٤/١)، ومعاني القرآن للزجاج (٢٥٨/٢)، وغريب القرآن لابن عزيز السجستاني (ص٥٣١)، والمفردات للراغب (ص٣٧٧)"فرط".

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٢١٨/٧)، وإعراب القرآن للنحاس (٧٢/٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (١٥٣/٤).

واحد عن حساب آخر.[١]

قوله تعالى: ﴿مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ يعني: شدائد البر والبحر.[٢] ﴿تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ أي: داعين مظهرين الضراعة ومخفين في أنفسكم.[٣] وقوله: ﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ﴾ يعني: الظلمات ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ أي المؤمنين.[٤] ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ أي: ثم أنتم بعد ذلك وبعد أن ضمنتم الشكر لا تشكرون؛ بل تشركون.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ أي: مثل الحجارة التي أمطرت على قوم لوط، والمطر الذي غرق بكثرته قوم نوح، وكالصواعق والصيحة التي أُهلك بها آخرون، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ أي: الخسف والرجفة.[٥]

---

(١) ينظر: تفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢٠٥٢/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٠٣/٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣٠١/٢).

(٢) الظلمات هنا: الشدائد. والعرب تقول: يوم مظلم إذا كان شديدًا فإذا عظمت ذلك قالت: يوم ذو كواكب.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٤٣٩/٢)، ومعاني القرآن للزجاج (٢٥٨/٢)، والكشاف للزمخشري (٣٢/٢)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٣٢٨/١)"ظلم".

(٣) ينظر: معاني القرآن للنحاس (٤٤٠/٢)، ومعاني القرآن للزجاج (٢٥٩/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٩٧/١)"ضرع".

(٤) قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢١٩/٧)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢٠٥٣/٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (٥٨/٣).

(٥) قاله مجاهد، والسدي، وابن زيد، والطبري.قال ابن عطية رحمه الله: وهذه كلها أمثلة لا أنها هي المقصود؛ إذ هذه وغيرها من القحوط والغرق وغير ذلك داخل في عموم اللفظ". المحرر الوجيز (٣٠٣/٢).

ينظر: جامع البيان للطبري (٢١٩/٧)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٣٠٩/٤)، والكشف والبيان للثعلبي (١٥٥/٤)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢٠٥٣/٣).

﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ أي تُفرّق كلمتكم، ويوقع البأس بينكم حتى تتقاتلوا بسيوفكم.(١) ومعنى ﴿يَلْبِسَكُمْ﴾: يَخْلِطَكُم.(٢) والشِّيَع: أحزاب مختلفة، واحدها: شِيْعَة.(٣) وإذا اختلط بعضهم ببعض وهم متباغضون متعادون بقلوبهم، كثر الخلاف والقتال بينهم، فأفنى بعضهم بعضاً. ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ﴾ تصريف الآيات تكرير معانيها في عبارات، تارة بتصريح، وتارة بتعريض، ومرة بذكر أمثال، ومرة بالوعد، ومرة بالوعيد، والتقليب في فنون البيان، أي: تأمّل كيف نكرر الحجج عليهم، ونوضح الآيات، ونصرف صنوف البيان، فلا يؤمنون.(٤)

قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ﴾ أي: بالقرآن(٥) ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾.

﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ أي: لم يوكل إليَّ أن أحملكم على التصديق، إنما أنا بشير ونذير، وعليَّ أداء الرسالة.(٦) ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ أي: لكل خبر يخبره الله تعالى في وقتٍ

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٢٢١)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/١١٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٠٤).

(٢) اللَّبس: اختلاط الأمر، يقال: لَبَسْتُ الأمر أَلبَسُه لَبسًا: إذا خلطتُ بعضه ببعض. ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/١٩٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٢/٣٠٧)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٤/٢٢٥)"لبس".

(٣) ينظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٥٤)، ومعاني القرآن للزجاج (١/٢٦٠)، ولسان العرب لابن منظور (٨/١٨٨)"شيع".

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٢٢٦)، والتفسير الكبير للرازي (١٣/٢٠)، ولباب التأويل للخازن (٢/١٤٤).

(٥) قاله جمهور المفسرين، وهو مروي عن السدي. ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٢٢٧)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٤/١٣١٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/١٥٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/١٤٤).

(٦) ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٢٢٧)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٢٦٠)، ومعالم التنزيل للبغوي

ومكانٍ يقع فيه من غير خلف، ولا تأخير.(١)

قوله تعالى:﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ يعني: في القرآن، بالاستهزاء والتكذيب. ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ أي: فاتركهم، ولا تجالســهم. ﴿ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ ﴾ أي: يدخلوا(٢) ﴿ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾ غير القرآن. ﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ أي: نهى الله إياك عن مجالســة الخائضـين في آيات الله فإذا جلسـتَ عندهم، ثم تذكرت النهي، فقم سـريعًا ولا تجلس بعد التـذكر معهم؛ فـإنهم ظـالمون.(٣) ﴿ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ أي: لا يحاسبون على أعمال أولئك، ولا يؤاخذون بذنوبهم. ﴿ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ ﴾ أي: ذكّـروهـم ذكـرى.(٤) ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ أي: لـترجـى منـهـم الـتـقـوى. قولـه: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا ﴾ أي: نزَّلوا أمر الدِّين منزلة مـا لا

.(١٠٥/٢)

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٢٧/٧)، والكشف والبيان للثعلبي (١٤٦/٤)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢٠٥٨/٣).

(٢) أصل الخوض هو: الشروع في الماء والمرور فيه، ويستعار في الأمور، والخوض من الكلام: ما فيه من الكذب، وأكثر ما ورد في القرآن ورد فيما يذم الشـروع فيه. والمراد هنا: حتى يأخذوا في كلامٍ آخر غير ما كانوا فيه من التكذيب.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٩٦/٧)، والمفردات للراغب (ص١٦١)"خوض".

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٢٨/٧)، وتفسـير القرآن لابن أبي حاتم (١٣١٤/٤)، والكشـف والبيان للثعلبي (١٥٧/٤)، وأحكام القرآن لابن العربي (٢٦٠/٢).

(٤) أي: قوله تعالى:﴿ ذِكْرَىٰ ﴾ منصـوبٌ على المصـدر بفعلٍ مضـمر، تقديره: ولكن ذكّروهم ذكرى.

ينظر: مشـكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالـب (٢٥٦/١)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (٥٠٦/١)، والدر المصون للسمين الحلبي (٦٧٦/٤).

حقيقة له، وذلك لا يكون إلا باعتقاد بطلان الأديان.(١)

﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾ أي: تُسَلَّم للهلكة، أي: من حيث يختص.(٢)

قوله تعالى: ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ أي: نرجع إلى خلف.(٣)

﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ﴾ أي: فيكون مثلها إذًا؛ كمثل الذي ﴿ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: استمالته وذهبتْ به. وهوى نحوه يهوي: إذا أسرع. واستهوى: استفعل منه،(٤) أي: كالذي استتبعه الشيطان في حال حيرته.(٥)

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٢٣١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٠٦)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/٣٠٥).

(٢) أي: تُسَلَّم بعملها ولا تقدر على التخلّص؛ لأنه يقال: اسْتَبْسَل فلان للموت؛ أي: رأى ما لا يقدر على دفعه، والْمُسْتَبْسِل: الْمُسْتَسْلِم الذي يعلم أنه لا يقدر على التخلّص. وهذا معنى قول مجاهد، وعكرمة، والحسن، وابن قتيبة، والزجاج.ومعنى الآية: وذكِّر به ليؤمنوا ويتبعوا ما جاءهم من عند الله من الحق، فلا تبسل أنفسهم بما كسبت من الأوزار. وحذفت (لا) لدلالة الكلام عليها.
ينظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٥٥)، وجامع البيان للطبري (٧/٢٣١)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٤/١٣١٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٢٦١).

(٣) أي: نرجع إلى الكفر، ويقال لكل من أدبر: قد رجع إلى خلفٍ ورجع القهقرى. والعرب تقول لكل من لم يظفر بحاجته: قد رُدَّ على عقبيه. والمعنى: ونُرَدُّ من الإسلام إلى الكفر بعد إذ هدانا الله فوفَّقنا له؛ فيكون مثلنا في ذلك مثل الرجل الذي استتبعه الشيطان يهوى في الأرض حيران.
ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٢٣٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/٤٤٥)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٢٦٢).

(٤) ينظر: العين للخليل (٣/١٠٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (٦/٢٥٨)، والمفردات للراغب (ص٥٤٨)"هوى".

(٥) قال الطبري رحمه الله:" وهذا مثل ضربه الله تعالى لمن كفر بالله بعد إيمانه فاتبع الشياطين من أهل الشرك بالله، وأصحابه الذين كانوا أصحابه في حال إسلامه، المقيمون على الدين الحق، يدعونه إلى الهدى الذي هم عليه مقيمون، والصواب الذي هم به متمسكون، وهو له مفارق وعنه زائل، يقولون له: ائتنا فكن معنا على استقامة وهدى، وهو يأبى ذلك ويتبع دواعي الشيطان ويعبد الآلهة والأوثان".

قوله: ﴿ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ ﴾ المعنى: أمرنا للإستسلام.(١)

وقوله:﴿ وَيَوۡمَ يَقُولُ ﴾ أي: واذكر يوم ﴿ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ﴾.(٢)

وقوله:﴿ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ ﴾ أي: لا يظهر من أحدٍ نفعٌ لأحدٍ ولا ضر.

﴿ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ﴾ والصور: قرن ينفخ فيه.(٣)

قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾ كان من كوثَى: قرية من سـواد الكوفة.(٤)

جامع البيان (٧/٢٣٥).

ينظر: تفسـير غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٥٥)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٠٦)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/٣٠٦).

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/٧٤)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٢٦٢)، والكشـاف للزمخشـري (٢/٣٦).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٢٣٩)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٢٦٣)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/٥٠٨).

(٣) قاله جمهور المفسـرين، ويشـهد لهذا ما ثبت في من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضـي الله عنهما قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور؟ قال: « قرنٌ يُنفخ فيه ». أخرجه أحمد في المسند (٢/١٦٢)، برقم: (٦٥٠٧)، وأبو داود في سننه (٤/٢٢٣٦)، برقم: (٤٧٤٢) كتاب السـنة/باب في ذكر البعث والصـور، والترمذي في سـننه (٤/٦٢٠)، برقم: (٢٤٣٠) كتاب صـفة القيامة والرقائق والورع/ باب ما جاء في شأن الصور، وقال: "هذا حديث حسـن"، والنسـائي في الكبرى (٦/٣٩٢)، برقم: (١١٣١٢)، كتاب التفسـير/ سـورة الكهف، قوله تعالى:﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴾[الكهف:٩٩]، والحاكم في المستدرك (٢/٤٧٣)، برقم: (٣٦٣١)، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". وصححه ابن كثير في تفسيره (٣/١٦٦)، وابن حجر في الفتح (٨/٢٨٩).

ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٢٤١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٠٧)، وزاد المسـير لابن الجوزي (٣/٦٨).

(٤) كوثَى: قرية تقع على نهر دجلة، وهي مركز محافظة واسط تقع في الشمال الشرقي من مدينة بغداد، والكوفة إلى الجنوب من بغداد.

قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي: وكما أريناه البصيرة في دينه، والحق في مخالفته أباه وقومه، أريناه ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: خَلْق السموات والأرض،(١) أي: نبّهناه لكونهما خلقًا من خلقنا؛ ليعلم أنهما محتاجة إلى خالق. ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ أي: ليحاج بها قومه، ويُقيم البراهين بها لديهم، وليزداد بصيرة وعلمًا، فيكون موقنًا في اعتقاده. ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ ﴾ أي: ستره بظلامه.(٢) ﴿رَءَا كَوۡكَبٗا ﴾ أي: الزهرة.(٣) ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي ﴾ أي: هذا ربي في زعمكم.(٤) [٤٨/أ]

ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٤/٤٨٧)، ولسان العرب لابن منظور (٢/١٨١) "كوث".

(١) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة.

ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٢٤٤)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٤/١٣٢٦)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/١٦٠).

(٢) قاله عامة المفسرين، وأهل اللغة. يقال: جَنَّ جَنَانًا وجُنُونًا وأَجَنَّه الليل إجنَانًا إذا أظلم حتى يستتر بظلمته، ويقال لكل ما سَتَر قد جَنَّ.

ينظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٥٦)، وجامع البيان للطبري (٧/٢٤٧)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٢٦٦)، والمفردات للراغب (ص٩٨)"جن".

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وزيد بن علي، وقتادة. وقال السدي: هو المشتري. وتنكير ﴿كَوۡكَبٗا﴾ يحتملهما ويحتمل غيرهما من الكواكب بخلاف الشمس والقمر.

ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٢٤٩)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٤/١٣٢٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/٤٥٠)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/٧٣).

(٤) قاله جمهور المفسرين.

قال ابن كثير رحمه الله:"والحقّ أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان في هذا المقام مناظرًا لقومه مبينًا لهم بطلان ماكانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام...". تفسير القرآن العظيم (٢/١٥٢). وقال أبو حيان يرحمه الله:"... فيستحيل عليه أن يكون هذا الإخبار على سبيل الاعتقاد والتصميم؛ لعصمة الأنبياء من المعاصي، فضلاً عن الشرك بالله، وما روي عن ابن عباس أنّ ذلك وقع له في حال صباه وقبل بلوغه؛ وأنه عَبَدَه حتى غاب، وعَبَدَ القمر حتى غاب، وعَبَدَ الشمس حتى غابت فلعله لا يصح،....

﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ أي: غاب.[1] ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ﴾ لأن من يغيب عني كيف يقف على شأن تدبيري، وتدبير ما يتعلق بمصالحي.

وقوله:﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا﴾ طالعاً.[2] ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ وذلك أنه يحتمل أنه رأى كوكبًا في أُفق المغرب قريبًا من الأفول، فلما وقع بَصـــرُه عليه قال ما قال، ثم لما أَفَل فكأنه تحول نظره عن المغرب إلى جانب المشـــرق، فرأى القمر في جانب المشـــرق بازغًا، وكان قد طَلَع قبل ذلك بساعات، لكنه كان يعبُد في الجانب الشرقي الذي يختص الطلوع به، ثم أَفَل قبل الشمس، ثم رأى الشمس بازغة.[3]

وقوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ أي: قصـــدت بعبادتي توحيدي لله ﷻ.[4]

فيكون هذا القول منه استدراجاً لقومه وتنزلًا معهم لإظهار الحجة وتوسلاً إليها، كما توسل إلى كسر الأصنام بقوله: ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾[الصافات:٨٨-٨٩]، فوافقهم ظاهراً على النظر في النجوم وأوهمهم أن قوله: ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ ناشـىء عن نظره فيها...". البحر المحيط (١٧١/٤).

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٢٦٦)، وتفســير الهداية لمكي بن أبي طالب (٣/٢٠٨١)، وتفســير القرآن للسمعاني (٢/١١٩)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١١٠).

(١) أصل الأفول: الذهاب، يقال: أَفَلَ النّجم يَأْفَل أفُولًا: إذا ذهب وغاب.

ينظر: العين للخليل (٨/٣٣٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٥/٢٧١)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/١١٩)"أفل".

(٢) البُزُوغ: الطلوع، يقال: بَزَغَ القمر بفتح الزاي، يبزُغ بضمّها بُزُوغاً: إذا ابتدأ في الطلوع.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٨/٨٠)، والمفردات للراغب (ص٤٥)"بزغ".

(٣) ينظر: الكشــف والبيان للثعلبي (٤/١٦٤)، والتفســير الكبير للرازي (١٣/٤٣)، ولباب التأويل للخازن (٢/١٥٣).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٢٥١)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٢٦٨)، وتفســير الهداية لمكي أبي طالب (٢٠٨٥).

﴿لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أي: خلقهما.(١) ﴿حَنِيفًا﴾ أي: مائلًا إلى التوحيد ميلاً لا رجوع معه.(٢) ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: لا أشرك كما يشركون، وأخرجتُ نفسي من جملتكم، وتفردتُ بعبادة الله ﷻ.

قوله: ﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ﴾ ليس نهيًا عن طلب الحجّة، وإنما أنكر عليهم أن يطمعوا في أن يزيلوه بالحجة عن دينه، وحاله أن الله هداه، وجعله على يقين بأن أراه الآيات الباهرة في السماوات والأرض.

وقوله: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ﴾ هذا يدل على أنهم خوَّفوه بالأصنام.

وقوله: ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾ أي: حجّة وبرهانًا.(٣)

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ أي: بشرك.(٤)

---

(١) أصل الفَطْر: الشقّ طولا، وفَطَر الله الخلق وهو: إيجاده الشيء وإبداعه.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٢/٤٥٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٣/٢٢٢)، والمفردات للراغب (ص٣٨٢)"فطر".

(٢) أصل الحَنْف: الميل، ومنه: الأحنف لمن مالت إحدى قدميه إلى الأخرى، والحنيف في الدين:الذي مال عن كل دين باطل إلى دين الحق، وسمي المعوج القدمين: أحنف، تفاؤلًا، والحنيف عند العرب: من كان على دين إبراهيم عليه السلام.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٢٦٨)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/١١٠)، والمفردات للراغب (ص١٣٣)"حنف".

(٣) السلطان عند العرب: الحجّة الواضحة، وهو بمعنى: البرهان.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٢/٢٣٥)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/٩٥)، والمفردات للراغب (ص٢٣٨)"سلط".

(٤) قاله عامة المفسرين.ويشهد لهذا ما ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شقّ ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله! أينا لا يظلم نفســه؟ قال: « ليس ذلك؛ إنما هو: الشـرك، ألم تسـمعوا ما قال لقمان لابنه وهو

قوله: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ أي: يرفع من يطلب الدرجات لمسارعته إلى الطاعات وتوفُّره[1] على العبادات.[2] وقوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ أي: ومن ذرية نوح.[3] وقوله: ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ أي: هدينا هؤلاء، وهدينا بعض آبائهم وذرياتهم. ومعنى: اجتبيناهم: اخترناهم.[4] وقوله: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا﴾ أي: بآياتنا[5]

يعظه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:١٣] ». (صحيح البخاري (١٢٦٢/٣)، برقم: (٣٢٤٦) كتاب الأنبياء/ باب قول الله تعالى:﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾، وصحيح مسلم (١١٤/١)، برقم: (١٢٤) كتاب الإيمان/باب صدق الإيمان وإخلاصه.

ينظر: ينظر: جامع البيان للطبري (٢٥٤/٧)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٣٣٣/٤)، والكشف والبيان للثعلبي (١٦٦/٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١٢١/٢).

(١) التوفر على الشيء: صرف الهمة له.

ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٢٩/٦)"وفر"، والتعاريف للمناوي (ص٢١٥).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٥٩/٧)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٣٣٥/٤)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢٠٩٠/٣).

(٣) قاله الطبري، والثعلبي، والسمعاني، وغيرهم. وذلك لأن الأصل عود الضمير إلى الأقرب ونوح عليه السلام أقرب المذكورين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٦٠/٧)، والكشف والبيان للثعلبي (١٦٦/٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١٢٢/٢).

(٤) قاله عامة المفسرين وأهل اللغة.يقال: اجتبى فلان كذا لنفسه، أي: اختاره واصطفاه.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢٠٠/١)، وجامع البيان للطبري (٢٦٣/٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٤٥٥/٢)، والمفردات للراغب (ص٨٨)"جبى".

(٥) قاله عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٦٣/٧)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٣٣٨/٤)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢٠٩٥/٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (٨١/٣).

﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ أي: المنكرون لها. ﴿ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا ﴾ وهم المؤمنون.[١]

وقوله:﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ أي: اصـبر كما صـبروا؛ فإن قومهم قد كذبوهم فصـبروا على ما كُذبوا وأوذوا، فاقتد بهم.[٢]

قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ ﴾ أي: ما عظَّموه حق عظمته[٣] إذ جحدوا تنزيل كتابه على الناس. سـبب نزولها: أن رجلًا من اليهود يقال له: مالك بن الصـيف[٤] جاء يخاصـم النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: «أنشـدك بالذي أنزل التوراة على موسـى، أما تجد في التوراة: أن الله يُبغض الحبر السـمين»، وكان حبرًا سمينًا، فغضـب فقال: والله ﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖ ﴾، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ

---

(١) قاله ابن عطية، وأبو حيان، وابن القيم.قال ابن القيم رحمه الله:" والقوم الموكلون بها هم الأنبياء أصـلا، والمؤمنون بهم تبعًا، فيدخل كل من قام بحفظها والذب عنها والدعوة إليها، ولا ريب في أن هذا للأنبياء أصـلًا وللمؤمنين بهم تبعًا، وأحق من دخل فيها من أتباع الرسـول ﷺ خلفاؤه في أمته وورثته، فهم الموكلون بها ". مفتاح دار السعادة (١/١٦١).

ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٢٦٣)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/٣١٨)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤/١٧٩).

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٢٧٠)، والكشـف والبيان للثعلبي (٤/١٦٧)، وتفسـير الوجيز للواحدي (١/٣٦٤)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/٣١٨).

(٣) قاله أكثر المفسرين.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٢٧١)، وتفسـير الهداية لمكي بن أبي طالب (١٠/٦٣٧٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١١٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/٣٧).

(٤) هو مالك بن الصـيف اليهودي، كان من قريظة ومن أحبار اليهود ورؤسـائهم، وكان رجلاً سميناً، مفتخراً بكونه يهودياً متظاهراً بذلك، شديد الخصومة لرسول الله ﷺ.

ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣/٨٤)، وجامع البيان للطبري (٧/٢٦٧)، وهداية الحيارى لابن القيم (١/١٨٥).

بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾".[(١)] ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ﴾ أي: دفاتر وكُتبًا، أي: يكتبونها في دفاتر مقطعة، حتى لا تكون مجموعة لتُخفوا منها ما شئتم، ولا يشعر بها العوام. وقد يجيء القرطاس بمعنى: الصحيفة.[(٢)] ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ أي: لاعبين،[(٣)] وإنما ذكر جوابهم لأنه احتجاج بما يعلم أن الخصم مقرٌّ به، لا يستطيع دفعه؛ فكأنه قال: لا جواب

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧/٢٦٧)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٤/١٣٤٢)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (٤/١٦٨)، ومكي بن أبي طالب في تفسير الهداية (٣/٢٠٩٩)، والواحدي في أسباب النزول (ص٣٧٥) عن سعيد بن جبير مرسلًا.قال الشنقيطي رحمه الله:" فيه نظر؛ لأنه لم يصح مرفوعاً". أضواء البيان (٣/٣٥٤). وقال الألوسي رحمه الله:" أن هذه السورة مكية، والمناظرات التي وقعت بين رسول الله ﷺ وبين اليهود كلها مدنية، فلا يتأتى القول بأن الآية نزلت في اليهود". روح المعاني (٧/٢١٩). وعند النظر فيما سبق يتبين ترجيح ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما في رواية، ومجاهد، وعبد الله بن كثير، وهو اختيار الطبري، وابن كثير: من أن الآية نزلت في قريش، لأن السورة مكية والمخاطبون في ذلك الوقت هم المشركون في مكة، ولأن اليهود لا ينكرون إنزال الكتب من السماء؛ وقريش والعرب وطائفة قاطبة كانوا ينكرون إرسال محمد ﷺ لأنه من البشر، وكذلك السياق القرآني، فإن الحديث من أول السورة إلى هذا الموضع خبرًا عن المشركين من عبدة الأوثان، وإدخال الكلام في معاني ما قبله أولى من الخروج عنه.ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٢٦٦)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/١٦٨)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١١٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/١٥٧)، وقواعد الترجيح عند المفسرين للحربي (١/١٢٥).

(٢) القِرْطاس والقُرطاس والقِرْطَس والقَرْطاس: الصحيفة الثابتة التي يكتب فيها.
ينظر: العين للخليل (٥/٢٥٠)، وتهذيب اللغة للأزهري (٩/٢٩١)، والمفردات للراغب (ص٤٠٠)"قرطس".

(٣) معناه: ثم ذرهم في خوضهم لاعبين، فـ﴿يَلْعَبُونَ﴾ حالاً من ضمير ﴿خَوْضِهِمْ﴾، وليسبجواب، وجاز ذلك لأنه في قوة الفاعل، لأنَّ المصدر مضاف لفاعله؛ فصُرف من النصب إلى الرفع، ولو كان جوابًا للأمر لقال: (يلعبوا) جزمًا على جواب الأمر. ومعنى الكلام التهديد
ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٥/٣٤)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/٥١٩)، والدر المصون للسمين الحلبي (٥/٣٧).

إلا هذا، فإن كان لك سواه فأورده؟ وفي هذا أبلغ وعيد، أي: لا تعجل بإهلاكهم؛ فإن لهم أجلًا لذلك، إذا جاء لا يستأخرون ساعة، وكان هذا حين لم يؤمر بقتالهم.(١)

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: اختلق(٢) فزعم أنه بعثه نبيًا. نزلت في مسيلمة الكذّاب.(٣) (٤)

---

(١) فيه نظر؛ لأن الآية مذكورة لأجل التهديد، فلم يكن الأمر بالقتال رافعاً لشيء من مدلولات هذه الآية. والأصل عدم النسخ حتى يثبت النسخ.قال أبو حيان رحمه الله:"وإن جُعل تهديداً أو وعيداً خالياً من موادعة فلا نسخ". تفسير البحر المحيط (١٨٢/٤).

ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص٤١٨)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص٣٧)، والتفسير الكبير للرازي (٦٥/١٣).

(٢) يقال: اختلق فلان على فلان كذبا: إذا افتعله وافتراه. ومنه افترى فلان على فلان، أي: رماه بما ليس فيه.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٩٧/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٧٥/١٥)"فرا"، والمفردات للراغب (ص٣٧٩)"فرى".

(٣) هو مسيلمة بن ثمامة بن كبير، من بني حنيفة، ويكنى أبا ثمامة، قدم على رسول الله ﷺ في وفد بني حنيفة، فلما عاد الوفد ارتدّ، وكان فيه دهاء فكذب لهم وادّعى النبوة وتسمى برحمن اليمامة وقتله وحشيُّ بن حرب، وهو من الجيش الذي جهزه أبو بكر الصديق ﷺ بقيادة خالد بن الوليد ﷺ فقاتلوه فظهروا على مسيلمة فقتلوه كافرًا، وذلك سنة (١١هـ).ينظر: الروض الأنف للسهيلي (٢٢٥/٤)، ، والمنتظم لابن الجوزي (٢٠/٤)، وتهذيب الأسماء للنووي (٤٠٠/٢).

(٤) قاله قتادة، وعكرمة، وابن جريج. والمراد أن مسيلمة يدخل في عمومها، وأما كونها نزلت فيه أصلًا فهو بعيد؛ لأن السورة مكية ومسيلمة لم يظهر أمره إلا في آخر البعثة، فهي شاملة لكل من ادّعى مثل دعواه، وبهذا قال الطبري، وابن عطية، وابن تيمية، وغيرهم.قال الطبري رحمه الله:" فقد دخل في هذه الآية كل من كان مختلقًا على الله كذبًا وقائلًا في ذلك الزمان وفي غيره: أوحى الله إليه وهو في قيله كاذب لم يوح الله إليه شيئًا، فأما التنزيل فإنه جائز أن يكون نزل بسبب بعضهم، وجائز أن يكون نزل بسبب جميعهم، وجائز أن يكون عني به جميع المشركين من العرب". جامع البيان (٢٧٤/٧).

ينظر: تفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٣٤٦/٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٤٥٨/٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣٢٣/٢)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٢٦/١٢).

وقوله: ﴿فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ أي: سكراته، وغمرة كل شيء كثرته ومعظمه، وأصلها: الشيء الذي يغمر الأشياء فيغطيها، ثم وضعت في معنى الشدائد والمكاره.(١)

﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بالعذاب والضرب.(٢) ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾ أي: أرواحكم كرها؛ لأن نفس المؤمن هي التي تنشط للخروج للقاء ربه، يعني: ولو تراهم في هذه الحال لرأيت عجبًا.(٣) ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾ أي: تُثابون ﴿عَذَابَ الْهُونِ﴾ أي: الهوان.(٤) ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ﴾ يعني: محمدًا ﷺ والقرآن.(٥) ﴿تَسْتَكْبِرُونَ﴾ تتعظّمون.(٦)

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٢٧/٨)، والمفردات للراغب (ص٣٦٥)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (١٣٥/٢)"غمر".

(٢) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٧٤/٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٤٥٩/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١٧٠/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (١١٦/٢).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٧٦/٧)، والكشف والبيان للثعلبي (١٧٠/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (١١٦/٢).

(٤) إذا أرادت العرب معنى: الهوان ضمت الهاء فقالوا: (الهُون)، وإذا أرادت الرفق والدعة وخفة المؤنة فتحت الهاء (الهَون)، وقالوا: هو قليل هَون المؤنة، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان:٦٣]، يعني بالرفق والوقار والوقار.

ينظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٥٦)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (٢٠٠/١)، وجامع البيان للطبري (٢٧٦/٧)، والمفردات للراغب (ص٥٤٧)"هان".

(٥) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (١٧٠/٤)، ولباب التأويل للخازن (١٦١/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٥٨/٢).

(٦) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٧٦/٧)، والمفردات للراغب (ص٤٢٠)"كبر"، والبحر المحيط لأبي حيان (١٨٥/٤).

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ ﴾ هذا خبرٌ من الله ﷻ، أنَّه يقول للكفار يوم القيامة على ألسنة الملائكة.(١) وقوله: ﴿ فُرَادَىٰ ﴾ أي: وحدانًا لا مال معكم ولا زوج ولا ولد ولا حشم.(٢)

﴿ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ أي: عُراة حُفاة غُرْلاً.(٣)

﴿ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ ﴾[٤٨/ب] أي: أعطيناكم وملّكناكم من الأموال والأولاد والخدم.(٤)

---

(١) قال أبو حيان رحمه الله:"ويظهر أن هذا الكلام هو من خطاب الملائكة الموكلين بعقابهم، وقيل: هو كلام الله لهم، وهذا مبني على أن الله تعالى يكلم الكفار، وهو ظاهر من قوله: ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف:٦]، ومن قوله: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[الحجر:٩٢]". تفسير البحر المحيط (١٨٥/٤).

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (١٧٠/٤)، والتفسير الكبير للرازي (٧١/١٣).

(٢) الحشَم: خدم الرجل، وقيل حشَم الرجل: قرَابته وعياله ومن يغضب له.

ينظر: العين للخليل (٩٩/٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (١١٥/٤)، وتهذيب الأسماء للنووي (٦١/٣)"حشم".

(٣) غُرلا: بضم المعجمة وسكون الراء جمع أغرل: وهو الأقلف الذي لا يختتن، وهو من بقيت غرلته وهي الجلدة التي يقطعها الخاتن من الذكر.

ينظر: العين للخليل (٤٠٤/٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٠٧/٨)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤١٩/٤)"غرل".

(٤) قاله عامة المفسرين وأهل اللغة.قال الرازي رحمه الله:"وهذا يدل على أن كل مال يكتسبه الإنسان ولم يصرفه في مصارف الخيرات فصفته هذه التي ذكرها الله تعالى في هذه الآية، أما إذا صرفها إلى الجهات الموجبة للتعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله فما ترك تلك الأموال وراء ظهره ولكنه قدمها تلقاء وجهه، كما قال تعالى:﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ ﴾[البقرة:١١٠]". التفسير الكبير (٧٣/١٣).

ينظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٥٧)، وجامع البيان للطبري (٢٧٨/٧)، والكشف والبيان للثعلبي (١٧١/٤)، والمفردات للراغب (ص١٦٣)"خول".

﴿وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ أي: خلف ظهوركم في الدنيا.

﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟﴾ وذلك أن المشـركين زعموا أنهم يعبدون الأصنام؛ لأنهم شركاؤهم وشفعاؤهم عنده.

﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ أي: وصـلتكم،(١) والبين من الأضـداد، يكون وصـلًا ويكون هجراً.(٢) ﴿وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أي: ضـاع،(٣) ولم تجدوا ما زعمتم أنه يكون لكم حين تحتاجون إليه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ الفلق: الشقُّ،(٤) أي: يفلق الحبة ويخرج منها السـنبلة، ويفلق النواة ويخرج منها النخلة. ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ أي: الحيوان من

---

(١) قاله جمهور المفسرين. وهذا اللفظ يستعمل في الشيئين اللذين بينهما مشاركة ومواصلة من بعض الوجوه، كقولهم: بيني وبينه شركة، وبيني وبينه رحم، فلهذا السبب حسن استعمال هذا اللفظ في معنى الوصلة.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٧٩/٧)، وتفسـير القرآن لابن أبي حاتم (١٣٥٠/٤)، وتفسـير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢١٠٨/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (١١٦/٢).

(٢) ينظر: العين للخليـل (٣٨٠/٨)، وتهـذيـب اللغـة للأزهري (٣٥٧/١٥)، والمفردات للراغـب (ص٦٧)"بين".

(٣) حقيقة الضـلال: الضـياع والهلاك. يقال: ضَـللتُ الشـيء أضِـلُّه: إذا جعلته في مكان ولم تدر أين هو، وأضللتُه، أي: أضعته.

ينظر: العين للخليل (٨/٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (٣١٨/١١)"ضل".

(٤) قاله جمهور المفسرين.

قال الراغب رحمه الله:"الفَلْق: شـق الشـيء وإبانة بعضـه عن بعض، يقال: فلقته فانفلق". المفردات (ص٣٨٥)"فلق". وقال الشنقيطي رحمه الله:" وهـذا هـو التفسـير الـذي عليـه جمهـور المفسرين، وهـو المعروف عن علماء السلف والخلف". العذب النمير (٥٣٣/١).

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٨٠/٧)، ومعاني القرآن للزجاج (٢٧٣/٢)، وتفسـير القرآن للسـمعاني (١٢٨/٢)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٤٧١/٣)"فلق".

النُطفة، ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ أي: البيْض من الطير.[١]

قوله تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ لما ذكر الله تعالى ما به قوام الحيوان فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ ويندرج تحت هذين ما يتغذون به، ويتفكهون به، أعقبه بقوله: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ إذ لولا تعاقب الضياء والظلمة، وتعاقب الحرّ والبرد على التزايد والتناقص ما كان نبات، ولولا تعاقب الظلام والضوء ليدأب[٢] الإنسان بالنهار، ويهدأ بالليل لما كان له ثبات وقرار. ومعنى ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾: شـــاقّ عمود الصـــبح عن ظلمة الليل وكاشـــفه.[٣]

﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾ ليسكن ما سكن إليه أو فيه، فالصديق سكنٌ لأنه يسكن إلى مودته، وموثق به، والليل ســكنٌ لأن جُلَّ الحيوان يســكنون فيه بالنوم وترك التصــرف.[٤]

---

(١) قاله جمهور المفسرين.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما، والحسن، وعطاء: إخراج المؤمن الحي بالإيمان من الكافر الميت بالكفر، وإخراج الكافر الميت بالكفر من المؤمن الحي بالإيمان. والأظهر العموم، وذلك لأن اللفظ صالح للمعنيين وإذا صلح اللفظ للمعنيين دون تناف بينهما، فالواجب حمله عليهما، وخلاف السلف محمول على جهة التمثيل لا الحصر. وهو اختيار ابن كثير رحمه الله في تفسيره.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٨١/٧)، وتفســير القرآن لابن أبي حاتم (١٣٥١/٤)، والتفســير الكبير للرازي (٧٦/١٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٥٩/٢).

(٢) أصـل الدَّأْب: إدامة السـير، والدَّأْب: الملازمة للشـيء والاعتناء به، والمراد: السـعي والاجتهاد في النهار.

ينظر: المفردات للراغب (ص١٧٤)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (ص٢٥٢)"دأب".

(٣) ينظر: جامع البيـان للطبري (٢٨٢/٧)، ومعـاني القرآن للزجاج (٢٧٤/٢)، والكشـــف والبيـان للثعلبي (١٧٢/٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (٩٠/٣).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٨٤/٧)، وغريـب القرآن لابن عزيز الســـجســـتاني (ص١٧٥)، والمفردات للراغب (ص٢٣٦)"سكن"، والكشاف للزمخشري (٤٧/٢).

﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗا﴾ أي: جعل سيرهما بحساب، ومقدار؛[1] وإلا فهما ليسا نفس الحساب، فإذاً المعنى: جعلهما بحساب. ﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ أي: قدّر الكل على نظام حَسَن، لكونه عالما بكل شيء من المصالح والحاجات والأحوال، جل جلاله، وعظم شأنه، ولا إله غيره. قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ﴾ ليس في الآية أنه لم يخلقها لغير هذه المنفعة؛ وإنما هي إحدى منافعها التي خلقت لنا.[2] وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم﴾ أي: خلقكم وابتدأكم.[3] ﴿مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ يعني: آدم عليه السلام.[4] ﴿فَمُسۡتَقَرّٞ﴾ المعنى: فلكم مستقر، أي: استقرار وموضع قرار ﴿وَمُسۡتَوۡدَعٞ﴾ أي: حيث يموت.[5] وقوله: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ﴾ أي: من الماء، ﴿خَضِرٗا﴾ يعني: أخضر،

---

(١) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٨٤/٧)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٣٥٤/٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٤٦٠/٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (١٢٨/٢).

(٢) قال السمعاني رحمه الله: " هذه إحدى فوائد النجوم، والله - تعالى - خلق النجوم لفوائد: منها: تزيين السماء، كما قال - عز وعلا -: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [فصلت:١٢]، ومنها: رمي الشياطين بها ، كما قال: ﴿وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك:٥]، ومنها الاهتداء في ظلمات البر والبحر، كما قال هاهنا ". تفسير القرآن (١٢٩/٢).

(٣) الإنشاء: ابتداء الخلق. يقال: أنشأ الله الخلق: إذا خلقه وأبدأه، وكل من ابتدأ شيئًا فقد أنشأه، ومنه يقال للصغار: نَشءٌ حسن، أي: قد ظهر له ابتداء حسن. ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢٩١/١)، وجامع البيان للطبري (٢٨٦/٧)، وغريب القرآن لابن عزيز السجستاني (ص٥٨)، والمفردات للراغب (ص٤٩٣)"نشأ".

(٤) باتفاق المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٨٦/٧)، ومعالم التنزيل للبغوي (١١٧/٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣٢٦/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٠٠/٣).

(٥) قاله ابن عباس رضي الله عنهما في رواية، وسعيد بن جبير. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: مستقرها في

وهو رطْب البقول.[١] ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ قد ركب بعضه بعضًا.[٢]

قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا﴾ أي: ما يبدو ويطلع من ثمرها.

﴿قِنْوَانٌ﴾ جمع قِنوٍ، وهو عنقود التمر.[٣] وقوله: ﴿دَانِيَةٌ﴾ أي: قريبة.[٤]

الدنيا ومستودعها في الآخرة.وقال قتادة: مستقر في الرحم ومستودع في الصُلب. وقيل غير ذلك.والأظهر حمل الآية على العموم، كما قال الطبري رحمه الله:" وأولى التأويلات في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله – جل ثناؤه – عمّ بقوله: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ كلّ خلقِه الذي أنشأ من نفس واحدة مستقرًا ومستودعًا، ولم يخصص من ذلك معنى دون معنى، ولا شك أن من بني آدم من له مستقرًا في الرحم ومستودعًا في الصلب، ومنهم من هو مستقر على ظهر الأرض أو بطنها، ومستودع في أصلاب الرجال، ومنهم مستقر في القبر مستودع على ظهر الأرض، فكل مستقر أو مستودع بمعنى من هذه المعاني فداخل في عموم قوله: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ ومراد به؛ إلا أن يأتي خبر يجب التسليم له بأنه معني به معنى دون معنى وخاص دون عام". جامع البيان (٧/٢٩١).

ينظر: تفسير القرآن للصنعاني (٢/٢١٥)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/٩٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (١٩٢/٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/١٦٠).

(١) قاله عامة المفسرين وأهل اللغة.

ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٢٩٢)، ومعاني القرآن للزجاج (٢٧٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (٤٨/٧)، ولسان العرب لابن منظور (٢٤٣/٤)"خضر"، ولباب التأويل للخازن (٢/١٦٤).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٩٢/٧)، والمفردات للراغب (ص٢٠٢)"ركب"، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١١٨).

(٣) القِنْوُ: العذق، والاثنان: قِنْوَانِ، والجماعَة: قُنْوَانٌ، مثل: صِنْوٍ وصِنْوَانٍ، فيستوي فيه التثنية والجمع في اللفظ؛ وليس لهما في كلام العرب نظير؛ ويقع الفرق بينهما: بأن نون التثنية مكسورة ونون الجمع تجري عليه أنواع الإعراب.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٢٠٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٩/٢٣٧)"قنا"، والمفردات للراغب (ص٤١٤)"قنو".

(٤) قال الراغب رحمه الله :" الدنو: القرب بالذات أو بالحكم، ويستعمل في المكان والزمان والمنزلة". المفردات في غريب القرآن (ص١٧٢)"دنا".

﴿وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ أي: وأخرجنا منه جنات. ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾ أي: وأخرجهما، وإنما قرن بينهما لأنهما شجرتان يشتمل ورقهما على أول الغصن إلى آخره.(١)
﴿مُشْتَبِهًا﴾ أي: في المنظر ﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ أي: في الطعم.(٢) ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾ جمع ثمرة. ﴿وَيَنْعِهِۦٓ﴾ أي: نضجه وإدراكه.(٣)

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ﴾ يعني: وهو خلقهم وخلق الجن.(٤) نزلت في الزنادقة(٥) قالوا: إن الله تعالى وإبليس شريكان، فالله خالق النور والناس والدواب والأنعام، وإبليس خالق الظلمة والسباع والعقارب.(٦) وإبليس من الجِنّة، وهم صنف من

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٩٣/٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٤٦٤/٢)، ومعاني القرآن للزجاج (٢٧٥/٢).

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢٧٦/٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (١٣٠/٢)، والكشاف للزمخشري (٤٩/٢).

(٢) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وابن جريج.
ينظر: جامع البيان للطبري (٢٩٤/٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٤٦٤/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٩٤/٣)، والتفسير الكبير للرازي (٩٠/١٣)، والبحر المحيط لأبي حيان (١٩٤/٤).

(٣) قاله عامة المفسرين، وأهل اللغة. وأصل الينع: النضج. يقال: يَنَع الشجر يَيْنَع يَنعاً وأينع إذا أدرك.
ينظر: جامع البيان للطبري (٢٩٥/٧)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٣٦٠/٤)، ومعاني القرآن للزجاج (٢٧٦/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٤٠/٣)"ينع".

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٩٦/٧)، والكشاف للزمخشري (٥٠/٢)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (٥٢٦/١).

(٥) الزنادقة: هم الذين يظهرون الإسلام ويخفون الكفر، وكان يسمى منافقًا ويسمى اليوم زنديقًا.
ينظر: كشف المشكل لابن الجوزي (٤٢٧/٢)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٢١٥/٧)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص٣٥٨).

(٦) ذكر ذلك السمرقندي في تفسيره (٤٩٠/١)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٧٥/٤)، والواحدي في أسباب النزول (ص٣٧٦)، والبغوي في معالم التنزيل (١١٩/٢)، والرازي في التفسير الكبير

الملائكة خُزّان الجنان فيما قيل.[١] ﴿وَخَرَقُواْ﴾ أي: اختلقوا وخرّصوا،[٢] فقال كفار العرب: الملائكة والأصنام: بناتُ الله. ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].[٣] ثم نزَّه نفسه فقال: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾. وقوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ أي: حافظ له ومدبّر.[٤]

(٩٢/١٣) عن الكلبي.وذهب الجمهور إلى أن الآية نزلت في مشـركي العرب، وهذا هو الأظهر بدلالة السياق، وذلك لأن السورة مكية؛ وهي من أولها في خطاب للمشركين العادلين برهم. كما يعترض على القول الأول بأنه لم يكن في وقت نزول الآية قـوم يسـمون بالزنادقـة، وعلى فرض أن الرواية واردة فالكلبي قـد ضعفه علـماء الجرح، والأولى عدم الأخذ بمروياته. قال ابن حجر عنه: « متهم بالكذب ورمي بالرفض » تقريب التهذيب (ص٤٧٩).

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٩٧/٧)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣٢٩/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٩٦/٣)، والبحر المحيط لأبي حيان (١٩٦/٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٦١/٢).

(١) ذكره السمرقندي في تفسيره (٣٥٠/٢)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٧٥/٤)، والبغوي في معالم التنزيل (٦٠/١)، وابن كثير في تفسيره (٩٠/٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.وهو من الإسرائيليات التي ليس له أصل صحيح يعتمد عليه.

(٢) الاختراق: الاختلاق، وتخرق الكـذب كتخلقـه، والمخـارق: الأكـاذيـب. والاختلاق والاختراص والافتراء: واحد. ويقال: خلق الكلمة واختلقها، وخرقها واخترقها: إذا ابتدعها كذبا.

ينظر: العين للخليل (١٥٠/٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٤/٧)، والمفردات للراغب (ص١٤٦)"خرق".

(٣) الغرض من الآية الردّ على المشـركين، الذين نسـبوا لله الولد من وجهين اثنين:الأول: أن الولد لا يكون إلا من جنس والده، والله تعالى متعالٍ عن الأجناس، فلا يصـح أن يكون له ولد.الثاني: أن الله تعالى خلق السوات والأرض، ومن كان بهذه العظمة، فهو غني عن الولد، وعن الزوجة وعن كل شيء.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٩٧/٧)، والكشـف والبيان للثعلبي (١٧٥/٤)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢١٢٢/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (١١٩/٢).

(٤) الوكيل: فعيل بمعنى: المفعول، وهو: الحافظ القائم بالأمر، الذي يوكل اليه الأشياء.

ينظر: العين للخليل (٤٠٥/٥)، والمفردات للراغب (ص٥٣١)"وكل".

قوله: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ أي: لا تحيط به[١] وإن رأته، كما نعرفه في الدنيا ولا نحيط به، ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ ﴾ أي: لا يخفى عليه شيء ولا يفوته.[٢]

﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ﴾ أي: باستخراج الأشياء.[٣] ﴿ٱلۡخَبِيرُ ﴾ بمكانها.[٤]

---

(١) أصل الإدراك: الإحاطة بحقيقة الشيء على وجه المعرفة والشمول، والوصول إلى أعماقه وحوزه من جميع جهاته، فهو تعالى لا تحيط بحقيقته الأبصار، وهو محيطٌ بحقيقتها.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٠/٦٥)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/٢٦٩)، والمفردات للراغب (ص١٦٧)"درك".

(٢) هذا قول جمهور المفسرين، وهو المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، والحسن، وإسماعيل بن علية، فأثبتوا الرؤية للمؤمنين في الآخرة، وهو مذهب أهل السنة والجماعة، والأئمة المنصفين، ورجحه غير واحد المفسرين، كالطبري، والزجاج، والسمعاني، والبغوي، وابن تيمية، وغيرهم. خلافًا للمؤولة الذين قالوا: لا تراه الأبصار لا في الدنيا ولا في الآخرة، تعالى الله عما يقولون. قال ابن كثير رحمه الله:" فيه أقوال للأئمة من السلف: أحدهما: لا تدركه في الدنيا وإن كانت تراه في الآخرة ، كما تواترت به الأخبار عن رسول الله ﷺ،... ونفي الإدراك الخاص لا ينفي الرؤية يوم القيامة، فهو تعالى يتجلى لعباده المؤمنين كما يشاء، فأما جلاله وعظمته على ما هو عليه تعالى وتقدس وتنزه، فلا تدركه الأبصار، ولهذا كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تثبتُ الرؤية في الدار الآخرة وتنفيها في الدنيا وتحتج بهذه الآية.... ". تفسير القرآن العظيم (٢/١٦٣). وقال ابن القيم رحمه الله: "لا تدركه الأبصار على عمومه وإطلاقه في الدنيا والآخرة، ولا يلزم من ذلك أن لا يُرى؛ بل يَرى في الآخرة بالأبصار من غير إدراك ". التبيان في أقسام القرآن (ص٢٧٤). وللمزيد في بسط المسألة وأدلتها ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٢٩٩)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٤/١٣٦٣)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٢٧٨)، واعتقاد أهل السنة للالكائي (٣/٥٢٠)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/١٣٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٢٠)، والكشف للزمخشري (٢/٥١)، ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية (٢/٣١٧).

(٣) اللطيف: المحكم للأمور برفق. يقال: لطَف الله لك، أي: أوصل إليك ما تحب برفق.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٣/٢٣٥)، والمفردات للراغب (ص٤٥٠)"لطف".

(٤) أصل الخبير: العالم بالأمر، والخبر: العلم بالأشياء المعلومة من جهة الخبر، يقال: خبرت بالأمر، أي: علمته، والله تعالى خبير، أي: عالم بما كان، وما يكون، وهذه الصفة لا تكون إلا لله تبارك وتعالى.

قوله: ﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ﴾ يعني: الحجج البيِّنة التي يُبصِرون بها الهدى من الضلال، والحق من الباطل. ﴿فَمَنۡ أَبۡصَرَ﴾ يعني: فمن عَرفها وآمن بها ﴿فَلِنَفۡسِهِۦ﴾ عمل، وحظّه أصاب، وإيَّاها بغى الخير. ﴿وَمَنۡ عَمِيَ﴾ عنها فلم يعرفها [٤٩/أ] ولم يُصدّق بها ﴿فَعَلَيۡهَا﴾ أي: فنفسه ضرَّ وأساء إليها، لا إلى غيرها.

﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٍ﴾ أي: برقيب أُحصي عليكم أعمالكم،[1] وإنما أنا رسول أبلغكم رسالات ربي، وهو الحفيظ عليكم، الذي لا يخفى عليه شيء من أفعالكم.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ أي: نُبيّنها،[2] أي: ومثل ما بيّنّا نبيّن الآيات. ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ﴾ أي: قرأت كتب أهل الكتاب.[3] ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري ١٥٨/٧)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٣٩/٢)، والمفردات للراغب (ص١٤١)"خبر".

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢٧٩/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٦٥/٤)، وتاج العروس للزبيدي (٢١٨/٢٠)"حفظ".

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٠٥/٧)، ومعاني القرآن للزجاج (٢٧٩/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٢٠/٢).

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، والضحاك. قال الزجاج رحمه الله: "وهذه اللام في ﴿وَلِيَقُولُواْ﴾ يسميها أهل اللغة: لام الصيرورة؛ والمعنى: أن السبب الذي أداهم إلى أن يقولوا: ﴿دَرَسۡتَ﴾ هو تلاوة الآيات، وهذا كقوله: ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًا﴾[القصص:٨]، فهم لم يلتقطوه يطلبون بأخذه أن يعاديهم؛ ولكن كان عاقبة الأمر أن صار لهم عدوًا وحزنًا. وكما تقول: كتب فلانٌ هذا الكتاب لحتفِه - أي: لهلاكه -، فهو لم يقصد أن يهلك نفسه بالكتاب، ولكن العاقبة كانت الهلاك. معاني القرآن (٢٨٠/٢).

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٠٦/٧)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٣٦٥/٤)، والنكت والعيون للماوردي (١٥٤/٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣٣١/٢).

أي: نبيِّن التصريف والقرآن للمؤمنين الذين يعملون ذلك ويهتدون به.[(١)]

﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ أي: اعمل به. ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ أي: فلا تعاقبهم، وهذا منسوخ بآية السيف.[(٢)]

﴿ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ أي رقيبًا.[(٣)] ﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ أي: ما وكل إليك تدبيرهم في أبدانهم وأديانهم، فيلزمك إصلاحهم لدنياهم ومعادهم. قوله: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ سبب نزولها: أن المشركين قالوا: يا محمد! لتَنْتهينَّ عن سبّ آلهتنا، أو لنهجُونَّ ربك، فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم.[(٤)]

﴿ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا ﴾ أي: اعتداءً وظلمًا[(٥)] ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾.

---

(١) ينظر: تفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٣/٢١٤٠)، والتفسير الكبير للرازي (١٣/١١٢)، ولباب التأويل للخازن (٢/١٦٩).

(٢) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، والسدي، واختاره الطبري، والثعلبي.وذهب النحاس، والرازي، وغيرهما: بأن القول بالنسخ ضعيف، وهذا هو الأظهر، فإن الأصل عدم النسخ، حتى يثبت النسخ. قال الخازن رحمه الله:" المراد منه في الحال لا الدوام؛ وإذا كان كذلك لم يكن النسخ ". لباب التأويل في معاني التنزيل (٢/١٧٠).

ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٣٠٨)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (ص٤٤٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/١٧٧)، والتفسير الكبير للرازي (١٣/١١٣)، والدر المنثور للسيوطي (٣/٣٣٨).

(٣) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٤/١٧٧)، والمفردات للراغب (ص١٢٤)"حفظ"، والبحر المحيط لأبي حيان (٤/٢٠١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/١٦٤).

(٤) روى ذلك الطبري في جامع البيان (٧/٣٠٩)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٤/١٣٦٦)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان(٤/١٧٨)، ومكي بن أبي طالب في تفسير الهدية (٣/٢١٤٢)، والواحدي في أسباب النزول (ص٣٧٧)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/١٢١) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وحسن سنده الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٢/٤٠٦).

(٥) يقال: عَدَا يعْدُو عَدْوًا وهو عَادٍ: إذا تجاوز ما ينبغي أن يقتصر عليه، والعادي: الذي يعدُو على الناس ظلمًا وعدوانًا.

﴿ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾ يعني: كما زينا لهؤلاء المشركين عبادتهم الأصنام جزاء على عنادهم وترفهم ﴿ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾ من الخير والشر.(١)

﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾ قال بعض قريش: يا محمد! تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر، فتنفجر منه اثنتا عشرة عينًا، وتخبرنا أن عيسى كان يُحْيي الموتى، وتخبرنا أن ثمود كانت لهم ناقة، فآتنا من الآيات حتى نصدقك؟ فقال رسول الله ﷺ: «أي شيء تحبون أن آتيكم به؟» قالوا: تجعل لنا الصفا ذهباً، أو ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم عنك أحقٌّ ما تقول أم باطل؟ وأَرِنا الملائكة يشهدون لك؟ والله إن فعلت لنتبعنَّك أجمعون، فقام رسول الله ﷺ يدعو الله أن يجعل الصفا ذهبًا، فجاءه جبرئيل عليه السلام فقال له: إن شئت أَصبَح ذهبًا، ولكن إن لم يصدقوا ليعذبنهم، وإن شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم، فقال رسول الله ﷺ: «بل يتوب تائبهم»، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ ﴾ الآية.(٢) أي: حلفوا بالله ﴿ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ أي: بجَهْد أيمانهم، يعني:

ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٤٩/٤)"عدو"، والمفردات للراغب (ص٣٢٦) "عدا".

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٣١١/٧)، والكشف والبيان للثعلبي (١٧٩/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٢٢/٢).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٣١١/٧)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (١٧٩/٤)، ومكي بن أبي طالب في تفسير الهداية (٢١٤٥/٣)، والبغوي في معالم التنزيل (١٢٢/٢)، وأخرجه الواحدي في أسباب النزول (ص٣٧٨) عن محمد بن كعب القرظي. قال ابن كثير رحمه الله بعد إيراده:" وهذا مرسل، وله شواهد من وجوه أخر ". تفسير القرآن العظيم (١٦٦/٢). وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٤٢/١) برقم: (٢١٦٦) عن ابن عباس بنحوه ولفظه:" قالت قريش للنبي ﷺ: ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبًا؟ ونؤمن بك، قال: « وتفعلون »؟ قالوا: نعم، قال: فدعا فأتاه جبريل فقال إن ربك عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبًا، فمن كفر بعد ذلك منهم عذبته عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة، قال: « بل باب التوبة والرحمة ». قال الهيثمي:" ورجاله رجال الصحيح ". مجمع الزوائد (١٩٦/١٠). وله طريق آخر عن ابن عباس رضي

أوكد ما قدروا عليه من الأيمان وأشدّها[(١)] ﴿لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَا﴾.

﴿قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾ أي: هو القادر على الإتيان بها دوني، ودون كل أحد من خلقه. ثم قال:﴿وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ﴾ وما يدريكم،[(٢)] وهو خطاب لمحمد ﷺ وأصحابه ﷺ، أي: لستم تعلمون الغيب، ولا تدرون أنهم يؤمنون؛ ثم استأنف قوله:﴿أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.[(٣)] ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ أي: نحول بينهم وبين الإيمان جزاءً على

الله عنهما بلفظ:"سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا، وأن ينحي الجبال عنهم فيزرعوا، فقيل له: إن شئت أن تستأني بهم وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا أُهلكوا كما أهلكت من قبلهم، قال: « لا، بل أستأني بهم، فأنزل الله ﷻ هذه الآية:﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَ﴾[الإسراء:٥٩]". أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٥٨/١) برقم: (٢٣٣٣)، والنسائي في الكبرى (٣٨٠/٦)، برقم: (١١٢٩٠)، كتاب التفسير/ قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَ﴾[الإسراء:٥٩]، والحاكم في المستدرك، (١١٩/١)، برقم: (١٧٤). وهذا الحديث صححه ابن تيمية في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤٣٢/٦)، والهيثمي في المجمع (٥٠/٧)، والشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٣٨٨).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٣١١/٧)، والمفردات للراغب (ص١٠١)، ولسان العرب لابن منظور (١٣٣/٣)"جهد"، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٠٣/٤).

(٢) قاله مجاهد، ومقاتل بن سليمان.

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣٦٥/١)، وجامع البيان للطبري (٣١٢/٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٤٧٣/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٠٤/٣).

(٣) هذا قول الفراء في معاني القرآن (٢٦٤/١)، واختاره الطبري في جامع البيان (٣١٢/٧)، وذكر عليه شواهد من أشعار العرب، وعلى هذا قراءة العامة:﴿أَنَّهَآ﴾ بالفتح وجعلوا (لا) صلة، يعني: وما يدريكم يا معشر المؤمنين أنها إذا جاءت المشركين لا يؤمنون، كقوله تعالى:﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ﴾[الأعراف:١٢]، يعني: أن تسجد، وقوله تعالى:﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا

عنادهم ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، فمع إظهار الآيات والمعجزات تمرَّدوا وأصروا على جحودهم.[١] ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ أي: فرأوهم عياناً.

﴿وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ بإحيائنا إيّاهم، فشهدوا لك بالنبوة كما سألوا.

﴿وَحَشَرْنَا﴾ وجمعنا[٢] ﴿عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ أنّ ذلك كذلك.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا﴾ أي: أعداء، وهو تسْلية للنبي ﷺ، ثم فسَّر فقال: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ أي: الشياطين التي مع الإنس، والشياطين التي مع الجن، وذلك أن إبليس قسم جنده فريقين: فبعث منهم فريقًا إلى الإنس، وفريقًا إلى الجنّ.[٣]

يَرْجِعُونَ﴾[الأنبياء:٩٥]، يعني: إنهم يرجعون.وقال بعضهم: إن الخطاب للمشركين الذين أقسموا، وتمّ الكلام عند قوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾، ثم استأنف فقال: ﴿إِنَّهَا﴾ يعني: الآيات إذا جاءت لا يؤمنون. فحكم عليهم بأنهم لا يؤمنون. وقرؤوا: ﴿إِنَّهَا﴾ بالكسر على الابتداء، وهو في قراءة مجاهد، وابن كثير، وأبي عمرو، وأبي بكر بن عياش.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣١٢/٧)، والسبعة في القراءات لابن مجاهد (ص٢٦٥)، وحجة القراءات لابن زنجلة (ص٢٦٥)، والدر المصون للسمين الحلبي (١٠١/٥).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٣١٤/٧)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٢٣/٢)، والتفسير الكبير للرازي (١٢٢/١٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦٥/٧).

(٢) قاله جمهور المفسرين، وأهل اللغة.

وأصل الحشر: الجمع مع السوق، والمحشر: المجمع الذي يحشر إليه القوم، وكل جمع حشر.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢٠٤/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٠٥/٤)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦٦/٢)"حشر".

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٣/٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٢٨٤/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١٨١/٤).

و﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ أعداء رسوله ﷺ، فهم يلتقون في كل حين، ويلقي بعضهم إلى بعض ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾ مما يضلّون به الجن والإنس ﴿غُرُورًا﴾[٤٩/ب].

وزخرف القول هو: المموّه المزيّن بالباطل، وكل شيء حسَّنْتَه فقد زخرفته.(١)

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

قوله: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي لتميل إلى الزخرف والغرور.(٢)

قوله تعالى:﴿وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ أي: وليكتسبوا ما هم مكتسبون، ويُستعمل الاقتراف في الخير والشر جميعا.(٣) قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ أي: أطلب

---

(١) الزخرف في اللغة: الزينة. يقال: بنى داره فزخرفها، أي: زينها وحسنها. وأصل الزخرف: الذهب، ثم سمي كل زينة زخرفًا، ثم شُبِّه كل مموه مزوَّر به.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢٧١/٧)، ولسان العرب لابن منظور (١٣٢/٩)"زخرف".

(٢) يقال: صغيتُ إلى الشيء أصغى صَغْيًا: إذا مِلْتُ. والإصغاء: الميل.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢٨٤/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٤٨/٨)، والمفردات للراغب (ص٢٨٢)"صغا".

(٣) أصل الاقتراف: قشر اللِّحاء عن الشجر، والجلدة عن الجرح، وما يؤخذ منه قرف، واستعير الاقتراف للاكتساب حسنًا كان أو سوءًا.

ينظر: المفردات للراغب (ص٤٠١)، ولسان العرب لابن منظور (٢٧٩/٩)"قرف"، والدر المصون للسمين الحلبي (١٢٢/٥).

قاضيًا[١] بيني وبينكم. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ أي: مبيّناً،[٢] يعني: القرآن.[٣] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: مؤمنوا أهل الكتاب.[٤]

﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ أي: لا تشك[٥] في أن

---

(١) أصل الحُكم، بالضم: القضاء في الشيء. هذا قول أهل اللغة، وخصص بعضهم فقال: القضاء بالعدل، نقله الأزهري، يقال: حكَمَ عليه بالأمر يحكم حُكما وحُكومة: إذا قضى. والحاكم: منفِّذ الحكم بين الناس. والحُكم أيضًا: المنع، يقال: حَكَمت وأَحكمتُ وحكّمت بمعنى: مَنَعت، ومنه قيل للحاكم بين الناس حاكم: لأنه يمنع الظالم من الظلم.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٤/٦٨)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (١/١٩٤)، وتاج العروس للزبيدي (٣١/٥١٠)"حكم".

(٢) قاله قتادة، ومقاتل بن سليمان.

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٣٦٦)، وتفسير القرآن للصنعاني (٢/٢١٧)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٤/١٣٧٤).

(٣) قاله عامة المفسرين.

قال ابن تيمية رحمه الله:"والكتاب الذي أنزل مفصلًا هو: القرآن العربي باتفاق الناس". مجموع فتاوى ابن تيمية (١٢/٣٩).

ينظر: جامع البيان للطبري (٨/٨)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/١١٠)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤/٢١٢).

(٤) قاله الثعلبي، والبغوي، وابن عطية، وأبو حيان، وغيرهم.قال أبو حيان رحمه الله:"والمراد: علماء أهل الكتاب، فهو عام بمعنى الخصوص، وهذه الجملة تكون استئنافاً وتتضمن الاستشهاد بمؤمني أهل الكتاب، والطعن على مشركيهم وحسدتهم، والعضد في الدلالة بأن القرآن حق يعلم أهل الكتاب أنه حق لتصديقه كتبهم وموافقته لها".تفسير البحر المحيط (٤/٢١٢).

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٤/١٨٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٢٥)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/٣٣٧).

(٥) قاله أكثر المفسرين.الامتراء والممتري: مفتعل من المرية، والمرية هي: الشك.

ينظر: العين للخليل (٨/٢٩٤)"مري"، وجامع البيان للطبري (٨/٨)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم

أهل الكتاب يعلمون ذلك. وقوله: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ يعني: القرآن.[١] ﴿ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ أي: لا يزيد فيها المفترون ولا ينقصون.[٢]

قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: الكفار،[٣] ﴿ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ أي: يكذبون.[٤]

وإنما عُذِّبوا على الظن لأنهم اتبعوا أهواءهم، وتركوا التماس البصيرة من حيث يجب، واقتصروا على الظن والجهل. قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ ﴾ أيُّ الناسِ ﴿ يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾.[٥]

(١٣٧٤/٤)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢١٦٠/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٢٥/٢).

(١) قاله قتادة.

ينظر: جامع البيان للطبري (٩/٨)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٣٧٤/٤)، والكشف والبيان للثعلبي (١٨٤/٤).

(٢) ينظر: المصدر السابق.

(٣) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٠/٨)، والكشف والبيان للثعلبي (١٨٤/٤)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣٣٨/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (١١١/٣).

(٤) الخَرْص: التخمين. يقال: خَرَص يخرُص خَرْصا، وتخرّص: إذا خمن على الشيء ولم يقطع به، حيث إن صاحبه لم يقله عن علمٍ ولا غلبة ظن ولا سماع؛ بل اعتمد فيه على الظن والتخمين كفعل الخارص في خرصه.

ينظر: المفردات للراغب (ص١٤٦)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٢٣٣/١)"خرص".

(٥) أي: أنّ موضع ﴿ مَن ﴾ رفع بالابتداء، ولفظها لفظ الاستفهام، والخبر ﴿ يَضِلُّ ﴾، والجملة في موضع نصب بـ﴿ أَعْلَمُ ﴾، كقوله تعالى: ﴿ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴾[الكهف: ١٢]. قاله المبرد، والكسائي، والزجاج، ومكي.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢٨٦/٢)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢١٦٤/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٢٦/٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢١٣/٤).

قوله تعالى: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾ وذلك أنهم كانوا يحرمون أصنافًا من النَّعم، ويُحلون الميتات، فقيل لهم: أحلوا ما أحل الله، وحرّموا ما حرّم الله.(١)

ثم قال: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ أي: على ذبحه.(٢)

وقوله: ﴿ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ أي المجاوزين الحلال إلى الحرام.(٣)

قوله تعالى: ﴿ وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ﴾ أي: الذنوب كلها، سرّها وعلانيتها إذ لا يخلو عن هذين الوجهين.(٤) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ ﴾ أي: يكتسبون. قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ أي: مما قد مات ولم تدرَك ذكاته، أو ذُبح لغير الله،(٥) ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ يعني هذا الأكل ﴿ لَفِسْقٌ ﴾.

﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ ﴾ أي: ليُوَسْوِسون(٦) ﴿ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ ﴾ من المشركين.

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١١/٨)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٢٦/٢)، وأحكام القرآن لابن العربي (٢٦٩/٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧٢/٧).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (١٢/٨)، والكشف والبيان للثعلبي (١٨٤/٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٦٩/٢).

(٣) أصـــل الاعتداء: مجاوزة القدر والحق، يقال: تعديت الحقّ واعتديته، أي: جاوزته ، واعتدى فلان: إذا جاز عن الحقّ إلى الظلم، والاعتداء والتعدّي والعدوان: الظلم.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٧٠/٣)"عدا"، ومعجم مقاييس اللغة للأزهري (٢٤٩/٤)"عدو".

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (١٣/٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٤٨٠/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١٨٥/٤).

(٥) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٥/٨)، وأحكام القرآن لابن العربي (٢٧٠/٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧٤/٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٧٠/٢).

(٦) قاله جمهور المفسرين. قال ابن عطية رحمه الله:"ووحيهم إليهم كان بالوسوسة حتى ألهموهم لتلك الحجة، أو على ألسنة الكهان". المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣٤٠/٢).

﴿لِيُجَٰدِلُوكُمۡ﴾ وذلك أنَّ المشركين قالوا: يا محمد! أخبرنا عن الشاة إذا ماتت مَنْ قتَلَها؟ فقال: «الله قتلها»، قالوا: فتزعم أنّ ما قتلتَ أنت وأصحابك حلالٌ، وما قتل الصقر والكلب حلال، وما قتله الله حرام، فأنزل الله هذه الآية.(١)

وقال:﴿وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ﴾ أي: في أكل الميتة ﴿إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾ أي: اتبعتم غير أمر الله فأشركتم به غيره.(٢)

قوله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا﴾ أي: بالضلال فهديناه واجتبيناه، أي: بالإيمان، ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا﴾ يستضيء به و﴿يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾ على قصد السبيل ومنهج الطريق،

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٤٨٢/٢)، ومعاني القرآن للزجاج (٢٨٧/٢)، والكشــف والبيان للثعلبي (١٨٦/٤)، والمفردات للراغب (ص٥١٥)"وحي".

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٧/٨)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (١٨٦/٤)، والواحدي في أسباب النزول (ص٣٧٩) عن عكرمة مرسلا.وجاء بنحوه عن بن عباس رضي الله عنهما:" في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾ يقولون: ما ذبح الله فلا تأكلوا، وما ذبحتم أنتم فكلوا، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾". أخرجه أبو داود في سننه (١٠١/٣)، برقم: (٢٨١٨) كتاب الجهاد/باب في ذبائح أهل الكتاب. وعند النسائي والحاكم بلفظ: "خاصـمهم المشـركون فقالوا: ما ذبح الله فلا تأكلوه، وما ذبحتم أنتم أكلتموه !!". أخرجه النسـائي في الكبرى (٧١/٣)، برقم: (٤٥٢٦) كتاب الضـحايا / تأويل قول الله جل ثناؤه:﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢٦٠/٤)، برقم: (٧٥٧٣) وقال:" هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

(٢) قال الزجاج رحمه الله:" وفيه دليل على أن من أحل شـيئا مما حرم الله، أو حرم ما أحل الله فهو مشرك". معاني القرآن (٢٨٧/٢)

ينظر: جـامع البيـان للطبري (٢١/٨)، ومعـاني القرآن للنحـاس (٤٨٢/٢)، ومعـالم التنزيـل للبغوي (١٢٧/٢)، والتفسير الكبير للرازي (١٣٩/١٣).

﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾.(١)

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا﴾ أي: وكما زيَّن للكافرين أعمالهم جعلنا فساق كل قريةٍ ﴿أَكَٰبِرَ﴾ أي: عظماء، جمع أكبر، (٢) ﴿مُجْرِمِيهَا﴾ على التقديم، أي: جعلنا في كل قرية مجرميها أكابر.(٣) قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾ أي: حجة على صدق محمد ﷺ وصحة نبوته. ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ أي: من النبوة، وذلك أن الوليد بن المغيرة(٤) قال: والله لو كانت النبوة حقًا لكنتُ أولى بها منك؛ لأني أكبر منك شيبًا، وأكثر منك مالاً، فأنزل الله تعالى هذه الآية.(٥) ثم قال: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ

(١) قاله جمهور المفسرين.
ينظر: جامع البيان للطبري (٨/٢١)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/١٤١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/٧٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/١٧٣).

(٢) مثل أفضل وأفاضل، وأحمر وأحامر، وأسود وأساود.
ينظر: جامع البيان للطبري (٨/٢٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/٤٨٤)، والمفردات للراغب (ص٤٢٠)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (١/٣٣٣)"كبر".

(٣) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٤/١٨٧)، ومشكل إعرب القرآن لمكي بن أبي طالب (١/٢٦٨)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/٥٣٦)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤/٢١٧).

(٤) هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمير بن مخزوم، من صناديد قريش، كان من المستهزئين، وهو الوحيد المذكور في قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾، إلى قوله: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾[المدثر:١١-٢٦]، موصوف في القرآن بالحلاف، والمهانة، والعيب للناس، والمشي بالنميمة، مات بعد الهجرة بثلاثة أشهر وهو ابن ٩٥ سنة.
ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/١٠٥)، والطبقات الكبرى لابن سعد (١/١٤٥)، والبداية والنهاية لابن كثير (٣/١٠٥).

(٥) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٤/١٨٧)، والسمعاني في تفسير القرآن (٢/١٤٢)، والبغوي في

رِسَالَتَهُۥ﴾ فخصَّ بها محمدا ﷺ. ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي ذُلٌّ وهوان.[1] قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ أي: يوسعه وينوره لِيَقْبَل الإسلام. قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا﴾ يعني: يجعل قلبه ضيقًا حتى لا يدخله الإيمان. والحرج: أشد الضيق.[2] ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني: يشق عليه الإيمان، ويمتنع ويعجز عنه كما يشق عليه صعود السماء.

﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: العذاب.[3]

قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ أي: الذي بيَّنا لك من الحق هو طريق ربك ودينه الذي ارتضاه، وهو مستقيم لا عِوج فيه. ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ﴾ أي: بيَّنا أعلام هذا [٥٠/أ] الطريق؛ ليعرفه من تذكر أنه غير مُخَلٍّ سُدى، وطلب نجاته.[4]

معالم التنزيل (١٢٨/٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (١١٨/٣)، والرازي في التفسير الكبير (١٤٣/١٣) دون نسبة.

(١) أصل الصَّغَار: الذلة. وهو مصدر من قول القائل: صَغُرَ يصْغُر صَغَارًا وصَغَرًا، وهو أشد الذُّل.
ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٦٠/٨)، والمفردات للراغب (ص٢٨١)"صغر".

(٢) الحرَج في اللغة: أضيق الضّيق، ومعناه أنه ضيِّق جداً، يقال: رجل حرَجُ الصّدر، أي: ذو حرج في صدره.
ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢٩٠/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٨٤/٤)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥٠/٢)"حرج".

(٣) هذا مروي عن ابن زيد، وبه قال عطاء، وأبو عبيدة، والواحدي.
ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢٠٦/١)، وجامع البيان للطبري (٣١/٨)، والوجيز للواحدي (٣٧٤/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٣٠/٢).

(٤) ينظر: معاني القرآن للنحاس (٤٦٣/٢)، والتفسير الكبير للرازي (١٥٤/١٣)، ولباب التأويل للخازن (١٨٢/٢).

وقوله:﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ أي: الجنة،[١] سمّيت دار السلام لأنها سلمت من دخول أعداء الله؛ كيلا يتنغصَ عيشُ أولياء الله فيها كما تنغص بمجاورتهم في الدنيا.

﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾ أي: ناصرهم ومعينهم[٢] ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ يعني: الجن والإنس، أي: فيقول: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ أي: من إضلال الإنس وإغوائهم ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ يعني الذين أطاعوهم. ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ استمتاع الإنس بالجن هو: أن الرجل كان إذا سافر أو خرج فأمسى بأرض قفرة، وأصاب صيدًا فخاف على نفسه من الجنّ قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، فيبيت في جوارٍ منهم. واستمتاع الجنّ بالإنس هو: أن قالوا: قد سُدنا الإنس مع الجنّ حتى عاذوا بنا، فيزدادون شرَفًا في قومهم وعِظمًا في أنفسهم.[٣]

---

(١) قاله عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٢/٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١٤٤/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٣٠/٢).

(٢) الوليّ: فعيل من الموالاة، والوليّ: الناصر. فالله تعالى ولي المؤمنين يتولى نصرهم وإرشادهم في الدنيا ويتولى ثوابهم وجزاءهم يوم القيامة.

ينظر: العين للخليل (٣٦٥/٨)، و معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٤١/٦)، والمفردات للراغب (ص٥٣٣)"ولي".

(٣) هذا مروي عن ابن جريج. وبه قال الطبري، والثعلبي. وقد أورد عدد من المفسرين صورًا أخرى للاستمتاع من الطرفين، وهي في الحقيقة تمثيل في الاستمتاع لا حصر في واحد منها، وإلا فكل واحد مستمتع بالآخر على أيّ صورة كان هذا الاستمتاع. وهذا هو اختيار القرطبي، وابن تيمية. قال ابن تيمية رحمه الله :" فالجن والإنس قد استمتع بعضهم ببعض؛ فاستخدم هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء في أمور كثيرة، كل منهم فعل للآخر ما هو غرضه ليعينه على غرضه". النبوات (ص٢٢١).

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٣/٨)، والكشف والبيان للثعلبي (١٩٠/٤)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢١٨٣/٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨٤/٧).

قولـه: ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ يعني: الموت والبعـث.(١) ﴿قَالَ﴾ الله تعـالى: ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ معنى الاســـتثناء: قَدْر ومدَّة وقوفهم في القيامة إلى دخولهم النار.(٢) ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا﴾ يعني: نَكِلُ بعضَهم إلى بعض.(٣) قولـه تعـالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ أي: من الإنس.(٤) ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾ أي: يقرؤون.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ أي: بشرك مَن أشرك.(٥)

---

(١) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٤/٨)، وتفســـير القرآن لابن أبي حاتم (١٣٨٨/٤)، وزاد المســـير لابن الجوزي (١٢٤/٣).

(٢) قاله الطبري، والنحاس، والزجاج، وابن الجوزي، والقرطبي.

ينظر: جـامع البيـان للطبري (٣٤/٨)، ومعـاني القرآن للنحـاس (٤٩٠/٢)، ومعـاني القرآن للزجـاج (٢٩١/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٢٤/٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨٤/٧).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٤/٨)، والكشـــف والبيان للثعلبي (١٩١/٤)، وتفســـير القرآن للسمعاني (١٤٥/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٣١/٢).

(٤) هذا قول أكثر المفســـرين، وهو مروي عن مجاهد، وابن جريج. قال ابن تيمية رحمه الله: "...الرســـل من الإنس، والجنّ فيهم النذر، وهذا أشـــهر، فإنه أخبر عنهم بإتباع دين محمد ﷺ، وأنهم: ﴿وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾[الأحقاف:٢٩-٣٠] الآيــة، قــالوا: وقولـه:﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾[الأنعـام:١٣٠]، كقولـه:﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾[الرحمن:٢٢]، وإنما يخرج من المالح؛ وكقوله:﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾[نوح:١٦]، والقمر في واحدة ". مجموع الفتاوى (٢٣٤/٤).

ينظر: جـامع البيـان للطبري (٣٦/٨)، ومعـاني القرآن للنحـاس (٤٩٢/٢)، ومعـاني القرآن للزجـاج (٢٩٢/٢)، والتفسير الكبير للرازي (١٦٠/١٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٧٨/٢).

(٥) قاله جمهور المفسرين.

﴿وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ حتى يبعث إليهم رسلًا تُنذرهم، فهم مُنبَّهون بالإنذار والإعذار على ألسنة الرسل. قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ يعني: في الجزاء على قدر الأعمال.[1]

قوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أي: يُمتكم.

﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ أي: يخلق من بعدكم خلقًا غيركم.

﴿كَمَآ أَنشَأَكُم﴾ أي: خلقكم[2] ﴿مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ أي: أهل سفينة نوح عليه السلام.[3] قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: لن تعجزوا ربكم هرباً منه في الأرض فتفوتوه،[4] أو تدفعوا عذابه عنكم إن أراد بكم.

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٧/٨)، والكشف والبيان للثعلبي (١٩٢/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٣٢/٢)، ولباب التأويل للخازن (١٨٥/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٧٩/٢).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٨/٨)، والكشف والبيان للثعلبي (١٩٢/٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١٤٦/٢).

(٢) أصل الإنشاء: الإحداث، يقال: قد أنشأ فلان يحدِّث القوم، بمعنى: ابتدأ وأخذ فيه. وأنشأ الله الخلق: إذا خلقه وأبدأه، وكل من ابتدأ شيئًا فقد أنشأه، ومنه يقال للصغار: نَشءٌ حسن، أي: قد ظهر له ابتداء حسن.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٤٩٢/٢)، ومعاني القرآن للزجاج (٢٩٣/٢)، والمفردات للراغب (ص٤٩٣)"نشأ".

(٣) قاله مقاتل بن سليمان.وقال البغوي:" أي: من نسل آبائهم الماضين قرنًا بعد قرن". معالم التنزيل (١٣٢/٢).

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣٧١/١)، والكشف والبيان للثعلبي (١٩٢/٤)، ولباب التأويل للخازن (١٨٦/٢).

(٤) أصل الإعجاز: الفوت والسبق، يقال: أعجزني فلان، أي: فاتني وغلبني وسبقني، وعجزت عن طلبه وإدراكه.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢٠٦/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢١٩/١)، ومعجم مقاييس اللغة

قوله: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ أي: على قدر إمكانكم، أي ما تمكّنتم منه فافعلوه.(١) والمعنى: أن عملكم عائد عليكم بوبالٍ عظيم، وأنا عامل بخلاف عملكم، وسيتبيَّن في العاقبة أيُّنا أحسن عملًا. وقوله: ﴿مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ أي: يعلمون لمن يكون له الظفر آخر الأمر في الدنيا؟.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ في الآية اضمار واختصار تقديره: جعلوا لله نصيبًا، ولشركائهم نصيبًا،(٢) ﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ وذلك أنهم كانوا يجعلون لله من حروثهم وأنعامهم وثمارهم وسائر أموالهم نصيبًا، وللأوثان نصيبًا، فما كان للصنم أُنفِق على ما يتعلق به، وما كان لله أُطعم الضيفان والمساكين، ولا يأكلون من ذلك كله شيئًا، فما سقط مما جعلوا لله في نصيب الأوثان تركوه وقالوا: إن الله تعالى غني عن هذا، وإن سقط مما جعلوه للأوثان في نصيب الله التقطوه وردُّوه إلى نصيب الصنم وقالوا: إنه فقير. وكانوا إذا نذروا فما وقع من نذر الله في حصة الصنم تركوه، وما وقع من حصة الصنم في حصة الله ردُّوه، وإن انفجر من سَقْي ما جعلوه للشيطان في نصيب الله سدُّوه، وإن انفجر من سَقْي ما جعلوه لله في نصيب الشيطان

لابن فارس (٢٣٢/٤)"عجز".

(١) قاله الزجاج، والسمعاني، والبغوي، رحمهم الله. قال الزمخشري رحمه الله:" المكانة: تكون مصدراً، يقال: مَكِن مكانةً إذا تمكّن أبلغ التمكّن، وبمعنى المكان، يقال: مكان ومكانة، ومقام ومقامة، وقوله: ﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ يحتمل: اعملوا على تمكّنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وإمكانكم. ويحتمل أيضاً أن يراد: اعملوا على حالتكم التي أنتم عليها، يقال للرجل إذا أُمِر أن يثبت على حالة: على مكانتك يا فلان، أي: اثبت على ما أنت عليه لا تنحرف عنه". الكشاف (٦٤/٢).

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢٩٣/٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (١٤٦/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٩٩/٢)، والمفردات للراغب (ص٤٧١)"مكن".

(٢) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (١٩٤/٤)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٣٠/٤)، والدر المصون للسمين الحلبي (١٥٩/٥).

تركوه. وإذا هلك الذي سمّوا لشركائهم أو أجدب وكثر الذي لله قالوا: ليس لآلهتنا بدٌّ من نفقة، فأخذوا الذي لله، فأنفقوه على أمور أصنامهم، وإذا أجدب الذي جعلوه لله وكثر الذي لأصنامهم قالوا: لو شاء الله لأزكى الذي له، فلا يردُّون عليه شيئًا مما للأصنام.(١)

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ يعني: سدنة أصنامهم(٢) الذين كانوا يزيّنون للكفار قتل أولادهم. وكان الرجل في الجاهلية يحلف بالله: لئن وُلد له كذا غلامًا لينحرنَّ أحدهم، كما حلف عبد المطلب على ابنه عبد الله.(٣) وقوله: ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ أي: ليهلكوهم.(٤)

﴿وَلِيَلْبِسُواْ﴾ أي: ليخلطوا ويشبِّهوا عليهم دينهم،(٥) وكانوا على دين إسماعيل عليه السلام

---

(١) أخرجه بنحوه الطبري في جامع البيان (٨/٤٠)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٤/١٣٩٠)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (٤/١٩٣)، ومكي بن أبي طالب في تفسيرالهداية (٣/٢١٩٣)، كما رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/١٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وحسن إسناده من رواية الطبري الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٢/٤١٩).

(٢) أي: خزنة آلهتهم، والسادن هو الخادم، وسدنة الآلهة: هم قوم يخدمون آلهتهم.
ينظر: العين للخليل (٧/٢٢٨)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٢/٢٥٣)"سدن".

(٣) قاله الكلبي، وابن السائب، ومقاتل.
ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٤/١٩٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٣٤)، والكشاف للزمخشري (٢/٦٦)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/١٣٠).

(٤) الرَّدَى: الهلاك. يقال: رَدِيَ يردَى: إذا هلك، وأرداه الله: أهلكه، والتردِّي التهور في المهوى. ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٤/١١٩)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/٥٠٦)"ردى".

(٥) أصل اللّبس: خلط الأمور بعضها ببعض إذا التبست. يقال: في الأمر لبسة، أي: التباس. ولا بَسْتُ الأمر: إذا زاولته، ولابَسْتُ فلانًا: خالطته، وفي الأمر لَبْسٌ، أي: ليس بواضح.
ينظر: العين للخليل (٧/٢٦٢)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/٢٣٠)، والمفردات للراغب (ص٤٤٧)"لبس".

فرجعوا عنه.(١) ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ لهداهم وعصمهم حتى ما فعلوا ذلك؛ من تحريم الحرث والأنعام [٥٠/ب] وقتل الأولاد. ﴿فَذَرْهُمْ﴾ أي: يا محمد ﷺ ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ أي يختلقون على الله الكذب، فإن الله لهم بالمرصاد.

قوله: ﴿وَقَالُواْ﴾ يعني المشركين ﴿هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ أي: حرام،(٢) يعني ما كانوا جعلوه لأصنامهم. ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ﴾ يعنون الرجال دون النساء.(٣) ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ يعني: الحامي.(٤) ﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ كانت لهم من أنعامهم طائفة ﴿لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ في شيء من شأنها، لا في الركوب، ولا في الحلب، ولا في البيع، ولا في النتاج ولا في الحمل عليها.(٥)

---

(١) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (١٩٥/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٣٤/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٣١/٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩٤/٧).

(٢) أصل الحَجْر في اللغة: المنع، وكل ما مَنَعتَ منه فقد حَجَرت عليه، ومنه حَجْر الحكام على الأيتام منعُهم. والحِجْر بكسر الحاء: الحرام، لأنه منع عنه.

ينظر: العين للخليل (٧٣/٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (٨٢/٤)"حجر".

(٣) قاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وابن السائب.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤٦/٨)، والكشف والبيان للثعلبي (١٩٥/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٣٤/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٣١/٣).

(٤) قاله ابن عباس رضي الله عنهما. والحامي: البعير الذي حمى ظهره، وهو الذي قد ألقح ولد ولده، أو أنجبت منه عددًا يختلفون في تحديده فإنه لا يُركب ولا يُجزّ له وبر، ولا يُمنع من مرعى، وأيّ إبل ضَرَب فيها لم يُمنع منها.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤٦/٨)، والكشف والبيان للثعلبي (١٩٥/٤)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢٢٠١/٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٣٢/٣).

(٥) ينظر: جامع البيان للطبري (٤٦/٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٤٩٦/٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (١٤٨/٢)، والتفسير الكبير للرازي (١٧٠/١٣).

وقولـه: ﴿افْتِرَاءً عَلَيْهِ﴾ يعني: أنهم كـانوا يفعلون ذلـك ويزعمون أن الله أمرهم بـه.

﴿سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾

يعني: ألبان البحائر، [١] قالوا: هي للذكور منا دون الإناث، وإذا ماتت اشـترك في لحومها ذكورنا وإناثنا.[٢] ﴿وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا﴾ يعني: النساء.[٣]

﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ أي: بوصفهم، وعلى وصفهم الكذب على الله.

---

(١) البحائر: جمع بحيرة: فعيلة بمعنى: مفعولة، وهي: الناقة المشـقوقة الأذن، يقال: بَحَرْتُ أذن الناقة. وهي التي تلد عددًا من البطون يختلفون في تحديده فإنهم يشـقوا أذنها، ولا يجز وبرها، وحرمت على النساء، وإن كان ذكرًا ذبحوه للآلهة فأكله الرجال والنساء.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيـدة (١/١٧٧)، وتهـذيـب اللغـة للأزهري (٥/٢٥)، والمفردات للراغـب (ص٣٧)"بحر".

(٢) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، والشعبي، وقتادة. وقال السدي، ومجاهد: ما في بطون هذه الأنعام من الأجنّة. وذهب الطبري إلى أن اللفظ يعمُّ الأجنّة واللبن. والظاهر والله أعلم: الأجنَّة، لأنها التي في البطن حقيقة، وأما اللبن ففي الضرع لا في البطن، وهذا هو اختيار أبي حيان.

ينظر: تفسـير القرآن لعبد الرزاق الصـنعاني (٢/٢١٩)، وجامع البيان للطبري (٨/٤٧)، والكشـف والبيان للثعلبي (٤/١٩٦)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٣٤)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤/٢٣٤).

(٣) قاله جمهور المفسرين، وهو مروي عن مجاهد، وقتادة.

ينظر: جامع البيان للطبري (٨/٤٩)، تفسـير القرآن لابن أبي حاتم (٥/١٣٩٥)، والكشـف والبيان للثعلبي (٤/١٩٦)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٣٤).

قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَـٰدَهُمْ﴾ هم ربيعة،[١] ومضـر،[٢] وجماعة من الأعراب، كانوا يدفنون بناتهم في حياتهن مخافة السـبي[٣] والفقر، ولم تكن كِنانةُ[٤] تفعله.[٥]

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ﴾.

---

(١) ربيعة: قبيلة عظيمة من مشـاهير العرب المسـتعربة، وهم بنو ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان، والنسـبة إليهم: ربعي، ويقال له: ربيعة الفَرَس، لأن الذي أصـابه من ميراث أبيه بوصـية أبيه الخيل، وديارهم بين اليمامة والبحرين والعراق ومصر.

ينظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم (٢/٢٩٢)، والأنساب للصحاري (ص٥٧)، وقلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان لابن علي القلقشندي (ص١٢٩).

(٢) مُضَر: هي القبيلة العظيمة التي ينسب إليها قريش، وهم بنو مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان، أخو ربيعة بن نزار، يقال لها: مُضَـر الحمراء، ولأخيه ربيعة الفَرَس؛ لأنهما لما اقتسـما الميراث أُعطي مُضَـر الذهب، وربيعة الخيل. فيها جماعة من العلماء والمحدثين من المتقدمين والمتأخرين.

ينظر: الأنساب للسمعاني (٥/٣١٨)، وروض الأنف للسهيلي (١/١٠)، ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (١٦/٩).

(٣) السبي: الأسر والاسترقاق.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٣/٦٩)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/١٣٠)، وطلبة الطلبة لنجم الدين النسفي (ص١٩٩)"سبي".

(٤) كِنانة: هي قبيلة عظيمة من قبائل العرب، تنسب إلى كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان. منهم: غِفَارٌ، رهط أبي ذر الغفاري ﷺ صاحب رسول الله ﷺ.

ينظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم (١/١١)، واللباب في تهذيب الأنساب لابن الجزري (٣/١١١).

(٥) روى ذلك الطبري بنحوه في جامع البيان (٨/٥١) عن عكرمة، وأورده الثعلبي في الكشـف والبيان (٤/١٩٦)، ومكي بن أبي طالب في تفسير الهداية (٣/٢٢٠٨) عن قتادة، والسمعاني في تفسير القرآن (٢/١٤٩)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/١٣٥)، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/١٣٤) ونسبه إلى ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿أَنشَأَ﴾ أي: ابتدع.[١] ﴿جَنَّٰتٍ﴾ بساتين.[٢]

﴿مَّعۡرُوشَٰتٍ﴾ ما قام على ساق من الأشجار.[٣] ﴿وَٱلنَّخۡلَ﴾ يعني: وأنشأ النخل ﴿وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ ثمره وطعمه؛ الحامض والمرّ والحلو والجيّد والرّديء. ﴿وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا﴾ أي: في المنظر ﴿وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖ﴾ أي: في الطعم، مثل الرُّمانتين إحداهما حلو، والأخرى حامض.[٤] ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ أي: لا تحرّموه كفعل أهل الجاهلية. ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ﴾ أي: العُشر، أو نصف

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٥٢/٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٢٩٦/٢)، ولسان العرب لابن منظور (١٧٢/١)"أنشأ".

(٢) أصل الجَنَّة: كل بستان ذي شجر يستر بأشجاره الأرض. قال ابن فارس رحمه الله:"الجيم والنون: أصل واحد، وهو: السِّتْر والتَّسَتُّر، فالجنَّة ما يصير إليه المسلمون في الآخرة، وهو ثواب مستور عنهم اليوم، والجنة: البستان، لأن الشجر بورقة يستر". معجم مقاييس اللغة (٤٢١/١)"جن".
ينظر: العين للخليل (٢٢/٦)، والمفردات للراغب (ص٩٨)"جن".

(٣) قاله جمهور المفسرين.ومادة (عرش) تدل على ارتفاع في شيء مبني، والعرش في الأصل: شيء مسقّف، وجمعه عروش والمعروشات: اسم مفعول من عَرَش يعرِش ويعرُش عَرشًا. ومنه يقال: عَرَّشت العنب أعرِشه عرشًا، وعرشته تعريشًا؛ إذا جعلت له كهيئة سقف.
ينظر: جامع البيان للطبري (٥٢/٨)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٦٣/١)، والمفردات للراغب (ص٣٢٩)"عرش"، ومعالم التنزيل للبغوي (١٣٥/٢)، والكشاف للزمخشري (٦٨/٢).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٥٢/٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٤٦٤/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١٩٧/٤).

العُشر[١] من الزروع خاصة.[٢]

قوله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ كان رجال يتبرّعون عند الصِّرام،[٣] فيقول الرجل: لا أمنع سائلًا حتى أمسي، فعمد ثابت بن قيس بن شماس[٤] إلى خمسمائة

---

(١) قاله جمهور العلماء، وذلك أن ما في الآية مجمل، ثم بين بعد فرض الزكاة، لما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:« فيما سقت السماء والعيون، أو كان عثَريًّا العُشر، وما سُقي بالنَّضح نصف العُشر». (صحيح البخاري (٢/٥٤٠)، برقم: (١٤١٢) كتاب الزكاة/باب العُشر فيما يسقى من ماء السماء وبالماء الجاري، وصحيح مسلم (٢/٦٧٥)، برقم: (٩٨١) كتاب الزكاة/باب ما فيه العُشر أو نصف العُشر). وبسط هذه المسألة في كتب الفقه وأحكام القرآن.

ينظر: جامع البيان للطبري (٨/٥٣)، وأحكام القرآن للجصاص (٤/١٧٥)، وأحكام القرآن لابن العربي (٢/٢٨٢)، والمغني لابن قدامة (٢/٢٩٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/٩٩)، والمجموع للنووي (٥/٤٥٢).

(٢) أجمع أهل العلم على أن الصدقة واجبة في الحنطة والشعير والتمر، واختلفوا في ما عدا هذه الأصناف: فقال أبو حنيفة وأحمد: تجب الزكاة في الزروع خاصة. وقال مالك والشافعي: الزكاة واجبة في كل مقتات مدخر. وبسط المسألة وأدلتها في كتب الفقه وأحكام القرآن.

ينظر: أحكام القرآن للشافعي (١/١٠٣)، وأحكام القرآن للجصاص (٤/١٧٧)، والاستذكار لابن عبد البر (٣/٢٣١)، وأحكام القرآن لابن العربي (٢/٢٨٣)، والمغني لابن قدامة (٢/٢٩٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/١٠٠).

(٣) الصِّرام: أي: حين يقطع ثمر النخل ويجدّ. والصِّرام: قطع الثمرة واجتناؤها من النخلة، يقال: هذا وقت الصِّرام والجداد.

ينظر: العين للخليل (٧/١٢٠)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/٣٤٤)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٣/٢٦)"صرم".

(٤) هو ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأنصاري الخزرجي، خطيب الأنصار ﷺ، ومن شهد له الرسول ﷺ بالجنة، شهد أُحدًا وما بعدها من المشاهد، وقتل يوم اليمامة شهيدًا في خلافة أبي بكر رضي الله عن الصحابة أجمعين.

ينظر: الاستيعاب لا بن عبد البر (١/٢٠٠)، وتهذيب الأسماء للنووي (١/١٤٧)، والإصابة لابن حجر

نخلة، فجذّها ثم قسـمها في يوم أُحُد، ولم يترك لأهله شـيئًا، فنزلت.(١) ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ أي: لا تعطوا كلّه.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ يعني: وأنشأ من الأنعام ﴿حَمُولَةً﴾ هي: التي يحمل عليها ويركب، مثل كبار الإبل والبقر، والفَرْش: ما يؤكل ويُحلب ولا يُحمل عليه،(٢) مثل الغنم والفُصْلان(٣) والعجاجيل.(٤) وسميت فرشًا للطافة أجسامها وقربها من الفَرْش؛ وهي: الأرض المسـتوية.(٥) وقوله: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ أي: أنشـأ من الأنعام ثمانية أزواج. ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ الذكر زوج، والأنثى زوج، و﴿ٱلْمَعْزِ﴾ جمع لا واحد له من

(٣٩٥/١).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٦١/٨) عن ابن جريج، وأورده الثعلبي في الكشـف والبيان (١٩٨/٤)، والسـمعاني في تفسير القرآن (١٥٠/٢)، وذكره البغوي في معالم التنزيل (١٣٦/٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (١٣٦/٣) ونسباه إلى الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما. وضعفه الدكتور حكمت بشير في تحقيقه على تفسير ابن كثير (٦٢٣/٣).

(٢) قاله جمهور المفسرين وأهل اللغة.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦٢/٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٢٩٨)، والكشـف والبيان للثعلبي (١٩٩/٤)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٠٦/٢)"حمل"، والمفردات للراغب (ص٣٦٥) "فرش".

(٣) الفُصْلان: جمع الفصيل، وهو ولد الناقة بعد فطامه وفصله عن أمّه.

ينظر: العين للخليل (١٢٦/٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٣٥/١٢)"فصل".

(٤) العجاجيل: جمع عِجْل بكسر العين وسكون الجيم، وتجمع على عَجُول وعَجَاجِيل، وهو ولد البقرة حين تضعه أمه إلى شهر.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢٣٩/١)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٣٩/٤)"عجل".

(٥) ينظر: الكشـف والبيان للثعلبي (١٩٩/٤)، وتفسـير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢٢١٧/٣)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣٥٤/٢).

لفظه.(١) ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ ذكَري الضأن والمعز، أم أنثييْهما؟ (٢) وباقي الآية ظاهر.
وقوله: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ أي: حضورًا(٣) ﴿إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾.
قوله: ﴿عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ أي: مُهراقًا،(٤)
فعلى هذا لا بأس بالدم في عِرقٍ أو مخٍّ.(٥) قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ أي

---

(١) المعْز: ذوات الشعر من الغنم. والمعيز والمعْز والماعز واحد والمعنى جماعة.
ينظر: العين للخليل (١/٣٦٦)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢/٩٤)"معز".

(٢) أي: إن ادَّعوا تحريم الذكرين أوجبوا تحريم كل ذكر من ولد الضأن والمعز، وهم لا يفعلون ذلك؛ بل يستمتعون بلحوم بعض الذكران وظهورها، وإن قالوا: الأنثيين، أوجبوا تحريم كل أنثى من ولد الضأن والمعز على أنفسهم، وهم لا يفعلون ذلك؛ وإن ادّعوا تحريمه لاجتماع الذكر والأنثى وما اشتمل الرحم عليه، أوجبوا تحريم الذكر والأنثى والحي والميّت، وهم لا يفعلون ذلك؛ فَلِم يحرمون أجناسًا من النعم بعضها على الرجال والنساء وبعضها على النساء دون الرجال؟ وهذا إبطال لما ادَّعوا من تحريم الجاهلية.
ينظر: جامع البيان للطبري (٨/٦٥)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٥/١٤٠٢)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٣/٢٢٢١)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/١٥١).

(٣) الشهداء: جمع شهيد بمعنى الحاضر. يقال: شَهِدَه بالكسر شهودًا، أي: حضره، وقوم شهود، أي: حضور، وهو في الأصل مصدر.
ينظر: العين للخليل (٣/٣٩٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (٦/٤٧)"شهد".

(٤) يقال: سفحت دمه: إذا أرقته، أسفحُه سَفْحًا فهو دم مسفوح. ومنه قولهم: سَفَحَ دمعى، أي: سال.
ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٢٠٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (٤/١٨٩)"سفح".

(٥) قاله أكثر العلماء، وحملوا المطلق في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ﴾ [النحل:١١٥]، على مقيد هنا بالسفح فلا يحرّم إلا المسفوح، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعكرمة، وقتادة، وعندما سئل أبو مجلز عما يتلطخ من اللحم بالدم، وعن القدر تعلوها الحمرة من الدم؟ فقال: لا بأس به، إنما حرّم الله المسفوح. جامع البيان للطبري (٨/٧٠)
ينظر: جامع البيان للطبري (٨/٦٩)، وأحكام القرآن للجصاص (١/١٥١)، وأحكام القرآن لابن العربي (٢/٢٩٠)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/١٢٤)، والمغني لابن قدامة (١/٤٠٩)، والمجموع

تهوَّدوا.

﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ هو ما لم يكن منفرج الأصابع، مثل الإبل والنعامة والإوزّ[١] والبط. ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾ يعني: الثَّروب[٢] وشحم الكليتين.[٣]

﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ أي: ما عَلِق بالظهر.[٤] ﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾ يعني: المباعر.[٥] ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ نحو شحم الأَلْيَة.[٦]

للنووي (٢/٥١٥).

(١) الإوَزّ: نوع من الطيور يشبه البط ولكنه أكبر منه جسمًا وأطول عنقًا.

ينظر: العين للخليل (٧/٣٩٨)، ولسان العرب لابن منظور (٥/٣-٩)"أوز".

(٢) الثَّروب: جمع الثَّرْب، وهو: شحم رقيق يُغَشِّي الكرش والأمعاء، جمعه: ثُرُوبٌ وأَثْرُبٌ.

ينظر: العين للخليل (٨/٢٢٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٥/٥٩)"ثرب".

(٣) قاله السدي، وابن زيد.

ينظر: جامع البيان للطبري (٨/٧٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/٥١٠)، والنكت والعيون للماوردي (٢/١٨٣).

(٤) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، والضحاك، ومقاتل.

ينظر: جامع البيان للطبري (٨/٧٥)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٥/١٤١٠)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٢٠٢).

(٥) قاله جمهور المفسرين.

والمباعر: جمع مبْعَر، والمبْعَر: مجتمع الأمعاء في البطن. وتسمى: المرابض. قال ابن كثير رحمه الله:" الحوايا: المرابض: التي تكون فيها الأمعاء تكون وسطها، وهي بنات اللبن، وهي في كلام العرب تدعى: المرابض". تفسير القرآن العظيم (٢/١٨٦). وقال مكي: "وأكثرهم على أن الحوايا: المباعر، تدعى عند العرب: المرابض". تفسير الهداية (٣/٢٢٣٢).

ينظر: العين للخليل (٢/١٣٢)"بعر"، وجامع البيان للطبري (٨/٧٥)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٥/١٤١١)، والمفردات للراغب (ص٥٣)"بعر".

(٦) قاله أكثر المفسرين.والأَلْيَة: بفتح الهمز وسكون اللام، أي: المقعدة، أو العجيزة، هذا في البَشَر، أما

قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ لا يستأصلكم، وأمهلكم حتى يتوب تائبكم، لا لأنه رضي بقولكم وفعلكم.(١)

﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: من يُصِرّ منهم ولا ينتهي عن كفره.

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ أي: لما لزمتهم الحجة، وتيقنوا باطل ما كانوا عليه قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ وقالوا ذلك تعنتًا ومجادلة، لا إيمانًا؛ فلهذا قال: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: كذبوا وعاندوا وتعنتوا وجادلوا كالذين من قبلهم.(٢)

وقوله: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾ أي: من دليل على ما تدعونه؟.

وقوله: ﴿وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ أي: تُكذّبون.

قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ أي: التامة الكافية على خلقه، تُبيِّنه دلائل توحيده ومعجزات رسوله ﷺ.(٣) [٥١/أ] وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ﴾ أي: أحضروهم،

في الحيوان فهو: الشحم الذي يتدلى خلفه، وهو المقصود في الآية.

ينظر: جامع البيان للطبري (٧٦/٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٣٠١/٢)، والتفسير الكبير للرازي (١٨٣/١٣)، ولسان العرب لابن منظور (٤٢/١٤)"ألا".

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٧٧/٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١٥٣/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٣٩/٢).

(٢) قال ابن كثير رحمه الله:" أي: بهذه الشبهة ضلّ من ضلّ قبل هؤلاء، وهي حجة داحضة باطلة؛ لأنها لو كانت صحيحة لما أذاقهم الله بأسه ودمّر عليهم وأدال عليهم رسله الكرام، وأذاق المشركين من أليم الانتقام". تفسير القرآن العظيم (١٨٧/٢).

ينظر: جامع البيان للطبري (٧٨/٨)، وتفسير الوجيز للواحدي (٣٨١/١)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (١٦٧/١٠)، وشفاء العليل لابن القيم (ص١٥).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٧٩/٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٣٠٣/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي

وأتوا بهم؟. قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ أي: ما حرّم حقًّا وصدقًا كما أوحى إليَّ ربي وأمرني به، لا كذبًا وخرصًا وظنًا كما تزعمون. وفي هذا دليل أن التحريم من المحرّمات لا يتلقى من العقل، بل من النقل عن الرب تعالى.(١)

وقوله: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا﴾ معناه: حرّم أن تشركوا.(٢) قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ يعني: أوصيكم بالوالدين ﴿إِحْسَانًا﴾. وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ يعني: العلانية، ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ يعني: السرّ.(٣) وذلك أنهم كانوا في الجاهلية يستقبحون الزنا في العلانية، ولا يرون به بأسًا في السرّ، فحرم الله تعالى الزنا في العلانية والسرّ.(٤)

وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ يعني: بما فيه صلاحه وتثميره.(٥)

وقوله: ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ الأشدّ: الحُلُم،(٦) حيث تكتب له الحسنات، وتكتب عليه

(١٤٠/٢).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٨١/٨)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٤٠/٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣٦١/٢)، والتفسير الكبير للرازي (١٨٩/١٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣١/٧).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٨١/٨)، وإعراب القرآن للنحاس (١٠٦/٢)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (٥٤٨/١)، والدر المصون للسمين الحلبي (٢١٣/٥).

(٣) قاله عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٨٣/٨)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢٢٣٩/٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (١٥٦/٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣٦٢/٢).

(٤) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، والسدي، والضحاك.

ينظر: جامع البيان للطبري (٨٣/٨)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٤١٦/٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٥١٧/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٠٣/٤).

(٥) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٨٤/٨)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٠٤/٤)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢٢٤٠/٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٤٩/٣).

(٦) الأشدّ: مأخوذ من الشِّدَّة؛ وهو استحكام القوة، والشِّدَّة: القوة والجلادة في البدن والعقل،

السيئات.[١] والمعنى: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ فحينئذ ادفعوا إليه ماله إن كان موصوفًا بالرُّشد. ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ أي: بالعدل.[٢]والميزان هاهنا مصدر كالموزون.[٣] ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: طاقتها في إيفاء الكيل والوزن. ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ﴾ أي: فاصدقوا في الحكم والشهادة. ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ أي: المشهود عليه، أو المحكوم عليه. وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: تتعظون. وهذه

والأشدّ: مبلغ الرجل الحنكة والمعرفة، واستحكام قوة الشباب والسن، وهذا لا يكون إلا بعد بلوغ الحُلُم.

ينظر: العين للخليل (٢١٣/٦)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٨٢/١١)"شد".

(١) هذا مروي عن ابن زيد، ومجاهد، والشعبي، وبه قال الواحدي، وأبو حيان.وذهب الجمهور إلى أن الأشدّ هنا: أن يبلغ الحُلُم، ويؤنس منه الرشد؛ وهذا هو الأظهر، قال الشنقيطي رحمه الله:" الأشدّ هنا: التحقيق الذي لاشك فيه أنه بلوغ الحُلُم مع إيناس الرُّشد؛ لأن خير ما يفسر به القرآن القرآن؛ وقد قال الله تعالى:﴿ وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾[النساء:٦]. فدلت آية النساء على أن الأشدّ في الغاية هنا: أنه أن يبلغ الحُلُم، ويؤنس منه الرشد؛ لأن ببلوغ الحُلُم يتقوى بدنه ويكون في قوة الرجال، وبإيناس الرشد يتقوى عقله ونظره، فاجتمع أشدّه بدناً فاجتمع أشدّه بدناً وفكرًا ونظرًا، فعند ذلك يعطى ماله. وخير ما يفسر به القرآن القرآن". العذب النمير (٥٠٨/٢).

ينظر: جامع البيان للطبري (٨٥/٨)، وتفسير الوجيز للواحدي (٣٨١/١)، والمغني لابن قدامة (٢٩٦/٤)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٥٢/٤).

(٢) قاله عامة المفسرين وأهل اللغة.

ينظر: العين للخليل (٧١/٥)"قسط"، وجامع البيان للطبري (٨٦/٨)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٩٨/٨)"قسط"، والكشف والبيان للثعلبي (٢٠٤/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٤٢/٢)، والتفسير الكبير للرازي (١٩٢/١٣).

(٣) ينظر: العين للخليل (٣٨٦/٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٧٥/١٣)، والمفردات للراغب (ص٥٢٢)"وزن".

الآيات محكمات لم يَنسخهنّ شيءٌ في جميع الكتب، وهذه المحرَّمات محرّمات على بني آدم كلهم.(١) قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ أي: وأن هذا الذي بيّنتُه لكم ديني قويمًا.(٢) ﴿فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ يعني: الطرق المختلفة التي عداها، مثل اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات.(٣)

﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾ أي: تشتَّت(٤) ﴿عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أي: عن دينه الذي ارتضى. ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الذي ذكرت ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ ثم: بمعنى الواو.(٥)

---

(١) قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

ينظر: جامع البيان للطبري (٨/٨٦)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٢٠٥)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٤٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/١٨٨).

(٢) أصل الاستقامة: الاعتدال، يقال: أقمتُ الشيء و قوَّمته فقام بمعنى: استقام، والاستقامة: اعتدال الشيء واستواؤه، يقال: استقام له الأمر أي: اعتدل واستوى.

ينظر: العين للخليل (٥/٢٣١)، والمفردات للراغب (ص٤١٨)، ولسان العرب لابن منظور (١٢/٤٩٩)"قوم".

(٣) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٨/٨٧)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٢٠٥)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٤٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/١٣٨).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٨/٨٨)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٢٠٥)، ولباب التأويل للخازن (٢/٢٠١).

(٥) قال السعدي رحمه الله:"﴿ثُمَّ﴾ في هذا الموضع، ليس المراد منها الترتيب الزماني؛ فإن زمن موسى عليه السلام، متقدم على تلاوة الرسول محمد ﷺ هذا الكتاب، وإنما المراد: الترتيب الإخباري. فأخبر أنه آتى موسى الكتاب، وهو: التوراة ". تيسير الكريم الرحمن (ص٢٨٠).

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٣٠٥)، والدر المصون للسمين الحلبي (٥/٢٢٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/١٩٢).

﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ﴾ أي: تمامًا على المحســـنين،[١] ويكون ﴿ٱلَّذِىٓ﴾ بمعنى الذين.[٢] قوله: ﴿وَتَفۡصِيلًا﴾ أي: تبيانًا[٣] ﴿لِّكُلِّ شَىۡءٍ﴾ يحتاج إليه من شـــرائع الدين. ﴿وَهُدًى وَرَحۡمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا﴾ تقديره: كراهة أن تقولوا: إنما أنزل الكتاب على أصحاب موسى وعيسى عليهما السلام.[٤]

﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ﴾ أي: وما كنا إلا غافلين عن دراستهم.[٥]

---

(١) قاله مجاهد، والحسن.

ينظر: جامع البيان للطبري (٨/٩٠)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٢٠٥)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/١٥٨).

(٢) كما تقول: أُوصي بمال للذي غزا وحجّ، تريد الغازين والحاجّين، ويكون ﴿ٱلَّذِىٓ﴾ في موضع (مَن) كأنه قال: تمامًا على من أحسن. و﴿عَلَى﴾ في هذا الموضع بمعنى "لام الجر"، كما يقال: أتمّ الله عليه وأتمّ له. وهذا هو توجيه الكسائي، والفراء، والزجاج.

ينظر: معاني القرآن للفراء (١/٢٧٥)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/١٠٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٣٠٦).

(٣) قاله جمهور المفسرين، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ينظر : جامع البيان للطبري (٨/٩٢)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٥/١٥٦٥)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/١٥٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/١٩٢).

(٤) قاله النحاس، والزجاج، ومكي. وعللوا بأنّ ﴿أَن﴾ في موضع نصب ﴿عَلَىٰ﴾ تقديره: كراهية أن تقولوا. هذا على قول الكوفيين، وأما على قول البصريين: تقديره : أن لا تقولوا.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٢/٥٢١)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٣٠٦)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٣/٢٢٤٩).

(٥) ينظر: مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب (١/٢٧٨)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤/٢٥٧)، والدر المصون للسمين الحلبي (٥/٢٣٠).

-﴿ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ﴾ وإنما كانوا يقولون: ﴿ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ﴾ لأنهم كانوا أصحاب أذهان، يحفظون أشعارهم وأخبارهم وآثارهم، مع أنهم كانوا أميين لا يكتبون، وكانوا أغوصَ على المعاني من غيرهم، ومعنى الآية: لكنا أشدّ اهتداءً.(١) ﴿ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ أي: بيان ما يتعبدون به، وهذا كله يدل على أن قطع الاعتذار يكون بإرسال الرسل.(٢)

وقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ﴾ أي: أعرض.(٣)

قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾ أي: هل ينتظرون.(٤)

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٩٤/٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٥٢١/٢)، وروح المعاني للألوسي (٦١/٨).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٣٦٥/٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤٤/٧)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٢٨٨/٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٩٣/٢).

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، وقتادة، وعطاء.وقال السدي: أي: صَرَفَ الناس وصَدَّهم عن ذلك. وهذا هو الأظهر، وهو اختيار ابن كثير، وأبي حيان. قال ابن كثير رحمه الله: "...وكلام السدي أقوى وأظهر، والله أعلم، لأن الله قال: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ﴾، كقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾ [النحل:٨٨]". تفسير القرآن العظيم (١٩٤/٢).

ينظر: جامع البيان للطبري (٩٥/٨)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٤٢٦/٥)، والمفردات للراغب (٢٧٦)"صدف"، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٥٨/٤).

(٤) وبه قال عامة المفسرين، يقال: نظرته وانتظرته بمعنى واحد، تقول العرب: أنظرني: أي: انتظرني قليلاً، ويقول المتكلم لمن يعْجلُه: أنظرني أبتلع ريقي؛ أي: أمهلني، ويقال: بعثُ فلاناً شيئاً فأنظرته، أي: أمهلته، والاسم منه النَّظرة، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ [البقرة:٢٨٠]، أي: إنظاره، فإذا كان النظر مقروناً بذكر الوجه، أو "إلى" لم يكن إلا بمعنى الرؤية.

ينظر: جامع البيان للطبري (٩٦/٨)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٦٤/١٤)، والمفردات للراغب

﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: لقبض أرواحهم.(١) ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ أي: أمره وقضاؤه.(٢) قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَارَقُوا دِينَهُمْ﴾ أي: خرجوا من دينهم وتركوه.(٣) ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾ أي: وصاروا فرقًا مختلفة.(٤)

(ص٤٩٧)" نظر"، والتفسير الكبير للرازي (٦/١٤).

(١) هذا مروي عن عبد الله بن مسعود ﷺ، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وابن جريج.

ينظر: جامع البيان للطبري (٩٦/٨)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٤٢٦/٥)، وتفسير القرآن للسمعاني (١٥٩/٢).

(٢) هذا تأويل من المصنف رحمه الله لصفة الإتيان لله تعالى ؛ والصواب في ذلك مذهب السلف الصالح في إثبات صفة الإتيان لله تعالى كما يليق بجلاله، من غير تمثيل ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تشبيه، كما أثبت ذلك القرآن الكريم في قوله ﷻ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:٢٢]، فالإتيان صفة ثابتة لله تعالى نثبتها كما جاءت، ولا نؤولها بإتيان أمره وقضائه، وعلى هذا المعتقد مضت أئمة السلف وعلماء أهل السنة والجماعة. قال البغوي رحمه الله:"﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ بلا كيف لفصل القضاء بين خلقه في موقف القيامة ". معالم التنزيل (١٤٤/٢).

ينظر: جامع البيان للطبري (٩٦/٨)، والتوحيد لابن مندة (ص٨٠٣)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٥٧٧/٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٩٤/٢).

(٣) قرأ حمزة والكسائي:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَارَقُوا دِينَهُمْ﴾ بالألف، أي: تركوا دينهم الحق الذي أمرهم الله باتباعه ودعاهم إليه.

وقرأ الباقون: ﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ من التفريق، يقال: فرّقتَ المال تفريقًا، وحجتهم قوله بعد: ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾ أي: صاروا أحزابًا وفرقًا. والقراءتان متواترتان.

ينظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص٢٧٤)، وحجة القراءات لابن زنجلة (ص٢٧٨).

(٤) أصل الشيعة: الأتباع والأنصار، يقال: شَيَّعتُ أي: اتَّبعتُ، والعرب تقول: شاعكم السِّلْم، أي: تبعكم السِّلْم. ومعنى الشِّيَع: الفرقُ التي كل فرقة منهم يتبع بعضهم بعضاً وليس كلهم متفقين.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٤١/٣)، والمفردات للراغب (ص٢٧٠)"شيع".

﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ نزل قبل الحرب، أي: ليس عليك قتالهم.(١)

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ وفي هذه الآية حثٌّ على أن تكون كلمة المسلمين واحدة، وأن لا يتفرقوا في الدين، ولا يبتدعوا البدع.(٢) ومعنى قوله: ﴿أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ هو يتولى جزاءهم. وقوله: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ أي: يعاقبهم، وهو وعيدٌ شديد.

وقوله: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ أي: عشر حسنات أمثالها.

﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا﴾ أي: قويمًا.(٣)

﴿مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ أي: مائلًا إلى الإسلام ميلًا لا رجوع عنه.(٤)

---

(١) قاله السدي.وذهب الجمهور إلى أن الآية ليست بمنسوخة؛ لأنها خبر لا أمر، والنسخ إنما يكون في الأمر والنهي، وهذا هو الأظهر، وهو اختيار الطبري، والنحاس، وابن عطية. قال ابن عطية رحمه الله:" وهذا كلام غير متقن؛ فإن الآية خبر لا يدخله نسخ، ولكنها تضمنت بالمعنى أمرًا بموادعة، فيشبه أن يقال: إن النسخ وقع في ذلك المعنى ". المحرر الوجيز (٣٦٨/٢). وقال الرازي رحمه الله:" وهذا بعيد؛ لأن المعنى: لست من قتالهم في هذا الوقت في شيء. فورود الأمر بالقتال في وقت آخر لا يوجب النسخ ". التفسير الكبير (٨/١٤).

ينظر: جامع البيان للطبري (١٠٦/٨)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (ص٤٤٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٤٥/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٥٩/٣).

(٢) قاله الزجاج، والرازي، والخازن.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٣٠٨/٢)، والتفسير الكبير للرازي (٨/١٤)، ولباب التأويل للخازن (٢٠٥/٢).

(٣) القِيَم: مصدر كالصِّغَر والكِبَر، والقِيَم: الاستقامة. ودينًا قِيَمًا وقَيِّمًا أي: مستقيمًا ومستويًا، بمعنى: ثابتًا مقومًا لأمور معاشهم ومعادهم.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢٦٧/٩)، والمفردات للراغب (ص٤١٦)"قوم".

(٤) أصل الحنيف: المائل، ومعناه: المائل عن الشرك قصدًا، أي: تاركًا له عن بصيرة، ومقبل على الحق

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ أي كل ما فرض عليّ من العبادات.(١)

وقوله: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ﴾ أي: هو يحيني ويميتني، وهو مدبري في الحالتين، ليس لغيره فيه شـــرك. وهو مبالغة في بذل النفس لطاعته، والاســـتســـلام لحكمه، والانقياد لأمره.

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا ﴾ أي: أَسِوَى الله أطلب ربًّا(٢) ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾.

﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ أي: إثمًا ﴿إِلَّا عَلَيْهَا ﴾[٥١/ب]أي: لا يؤاخذ بما أتت من المعصـــية، وركبت من الخطيئة ســـواها. ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ أي: لا تحمل نفسٌ حاملة حِمل أخرى، أي: ما عليها من الذنوب، ولا تأثم نفسٌ آثمة بإثم أخرى، بل كلّ مأخوذٌ بجرمه ومعاقبٌ بإثمه. قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ ﴾ يعني: أهلك القرون الماضـــية، والأمم الخالية، وأورثكم الأرض من بعدهم، فجعلكم خلائف منهم،

بكليته لا يصده عنه صاد ولا يرده عنه راد.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥٦٤/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٧١/٥)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (١١٠/٢)"حنف".

(١) هذا رأي الزجاج، وبه قال السمرقندي، والسمعاني. من قولهم: نسَكَ فلانٌ فهو ناسكٌ إذا تعبَّد. وذهب الجمهور إلى أن المراد بالنسك هنا: الذبح لله تعالى. وهذا القول هو الأظهر، فقد ورد شاهد في القـرآن بلفـظ (نُسُـك) ويـراد بـه الذبـح. وهـــو قـوله تعـالى: ﴿ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾[البقرة:١٩٦]، والنُسُـــك هنا: الذبح. والســـياق القرآني مؤيد لذلك. قال ابن عطية رحمه الله:"ويحسن تخصيص الذبيحة بالذكر في هذه الآية أنها نازلة قد تقدم ذكرها والجدل فيها في السورة ". المحرر الوجيز (٣٦٩/٢).

ينظر: جامع البيان للطبري (١١٢/٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٣١١/٢)، وتفســـير الســـمرقندي (٥١٧/١)، وتفسير القرآن للسمعاني (١٦١/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٩٩/٢).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (١١٣/٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٥٢٦/٢)، والكشـــف والبيان للثعلبي (٢١٣/٤)، ولباب التأويل للخازن (٢٠٧/٢).

تخلفونهم فيها، وتعمرونها بعدهم.[١] وكل من جاء بعد من مضى وقام مقامه فهو خليفته.[٢]

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ أي: خلقًا ورزقًا وقوةً وبسطةً وعلمًا وفضلًا ومعاشًا، ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾.[٣]

﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ أي: لأعدائه.

﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: لأوليائه.

---

(١) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١١٤/٨)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٤٣٥/٥)، والكشف والبيان للثعلبي (٢١٣/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٤٧/٢).

(٢) ينظر: العين للخليل (٢٦٧/٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٧٤/٧)، والمفردات للراغب(ص١٥٥)"خلف".

(٣) قال ابن عطية رحمه الله:" وقوله:﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ لفظ عام في المال والقوة والجاه وجودة النفوس والأذهان وغير ذلك، وكل ذلك إنما هو ليختبر الله تعالى الخلق فيرى المحسن من المسيء". المحرر الوجيز (٣٧١/٢).

ينظر: جامع البيان للطبري (١١٤/٨)، والكشف والبيان للثعلبي (٢١٣/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٤٧/٢).

تفسير سورة الأعراف

سورة الأعراف مكية،[١] وهي مئتان وست آيات[٢]

﴿الٓمٓصٓ﴾ يعني: أنا الله أعلم وأَفْصِل.[٣] وقوله: ﴿كِتَٰبٌ﴾ أي: هذا كتاب.[٤] ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ﴾ أي: شكٌّ أنه من الله.[٥]

---

(١) عامة المفســرين على أنها مكية. فقد نقل الماوردي عن الحســن وعطاء وعكرمة وجابر بن زيد أن ســورة الأعراف مكية كلها. وأخرج النحاس بســنده عن ابن عباس رضــي الله عنهما قال:" وســورة الأعراف نزلت بمكة فهي مكية ". الناسخ والمنسوخ (١/٤٤٥).

وقال محمد رشيد رضا:" الأعراف مكية بالإجماع". تفسير المنار (٨/٢٦٠).

واستثنى قتادة رحمه الله خمس آيات، وهي قوله تعالى:﴿ وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ﴾ [الأعراف:١٦٣]، إلى آخر الخمس آيات.

ينظر: فضائل القرآن لابن الضريس (ص٣٣)، وجامع البيان للطبري (٨/١١٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/٧)، والنكت والعيون للماوردي (٢/١٩٨)، وتفسـير القرآن للسـمعاني (٢/١٦٣)، والمكي والمدني في القرآن الكريم لعبد الرزاق حسين أحمد (١/٣٠٩).

(٢) هي مئتان وست في المدني والمكي والكوفي، وخمس آيات في البصري والشامي.

ينظر: البيان في عدّ آي القرآن لأبي عمرو الداني (ص١٥٥)، والكشـــف والبيان للثعلبي (٤/٢١٤)، والكشاف للزمخشري (٢/٨٢).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (٨/١١٥)، وذكره النحاس في معاني القرآن (٣/٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وسعيد بن جبير. وقد تقدم الكلام عن الحروف المقطعة ص :٦٩

ينظر: جامع البيان للطبري (٨/١١٥)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٣١٣)، وزاد المســير لابن الجوزي (٣/١٦٤)، والتفسير الكبير للرازي (١٤/١٣)، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٣/٢١).

(٤)فقوله تعالى:﴿ كِتَٰبٌ ﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هذا كتاب.

ينظر: جامع البيان للطبري (٨/١١٧)، ومعـاني القرآن للزجاج (٢/٣١٤)، والتبيـان في إعراب القرآن للعكبري (١/٥٥٥).

(٥) هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، وقتادة، والسدي.

وذهب الجمهور إلى أن المراد بالحرج هو: الضِّيق، أي: لا يضق صدرك من تبليغك القرآن، خشية من

وقوله: ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ولتذكر به ذكرى.[(١)]

قوله: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: وقل لهم اتّبعوا.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ أي: لا تتولوا من عَدَل عن دين الحق، ومن ارتضى مذهبًا من المذاهب، فهو وليّ ذلك المذهب، والمؤمن وليّ المؤمن، ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[التوبة: ٧١].[(٢)] ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: قليلًا تتذكرون.[(٣)]

قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا﴾ المعنى: وكم من أهل قرية.[(٤)]

قومك الكفار. ورجحه الطبري، وابن عطية، وهو الأظهر، فإن الحرج في الأصل والحقيقة هو الضيق. قال ابن عطية رحمه الله:"وتفسيره بالشك قَلِقٌ". المحرر الوجيز (٢/٣٧٢).

ينظر: جامع البيان للطبري (٨/١١٦)، وتهذيب اللغة للأزهري (٤/٨٤)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/٥٠)"حرج"، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٤٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/١٦٠).

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/١١٤)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٣١٥)، والدر المصون للسمين الحلبي (٥/٢٤٤).

(٢) قاله النحاس، والزجاج، وابن الجوزي.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٣/٩)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٣١٦)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/١٦٧).

(٣) قال الزجاج رحمه الله:" الأصل: تتذكَّرون، إلا أنه حذف إحدى التائين، وهي التاء الثانية،.. إلا أن الأولى تدل على معنى الاستقبال فلا يجوز حذفها، والثانية إنما دخلت على معنى: فعلتُ الشيء على تمهُّل، نحو: تفهَّمت وتعَلَّمتُ، أي: أحدثت الشيء على مَهَلٍ... فإنما المحذوف من تتفعلون الثانية؛ لأن الباقي في الكلمة من تشديد العين من تفعّل يدل على معنى الكلمة، ولو حذفت تاء "استقبال" لبطل معنى الاستقبال". معاني القرآن (٢/٣١٦).

ينظر: مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب (١/٢٨١)، والدر المصون للسمين الحلبي (٥/٢٤٦).

(٤) ينظر: تفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٤/٢٢٧٧)، والوجيز للواحدي (١/٣٨٦)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٤٨).

وقوله: ﴿بَيَٰتًا﴾ أي: ليلًا.[١] ﴿أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾ أو جاءهم بأسنا نهارًا في وقت القائلة.[٢] فالمعنى: إنهم جاءهم بأسنا غفلة، وهم غير متوقعين له، إما ليلًا وهم نائمون، أو نهارًا وهم قائلون كأنهم غافلون.[٣] قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ المعنى-والله أعلم-: أنهم لم يحصلوا مما كانوا ينتحلونه من المذهب والدّين ويدعونه إلا على اعتراف بأنهم كانوا ظالمين، والدعوى هاهنا في معنى الدعاء.[٤] قوله تعالى: ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ أي: نقول لهم: ماذا عملتم فيما بلّغتكم الرسل؟. ﴿وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ ماذا أُجِبْتُم؟.[٥]

---

(١) أصـل البيات والتبييت: أن تأتي العدو ليلًا، كأنك أخذته في بيته، وبات فلانٌ يفعل كذا: إذا فعله ليلًا، كما يقال بالنهار: ظَلَّ، وبيَّت الرجلُ الأمر: إذا دبره ليلًا.

ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٢٤/١)، والمفردات للراغب (ص٦٥)"بيت".

(٢) أصل القائلة: نومة نصف النهار، والقيلولة: الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم، يقال: قَال يقِيلُ قيلُولةً فهو قائل. والمقيل أيضاً: الموضع.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢٣٢/٩)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (١٣٣/٤) "قيل".

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (١١٧/٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٩/٣)، ومعاني القرآن للزجاج (٣١٨/٢)، والوجيز للواحدي (٣٨٦/١).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (١١٩/٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٣١٨/٢)، تفسير القرآن للسمعاني (١٦٥/٢)، والمفردات للراغب (ص١٧٠)"دعا".

(٥) قال القرطبي رحمه الله:" قوله تعالى:﴿ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ﴾... وسؤالهم سؤال تقرير وتوبيخ وإفضـاح، وسؤال الرسُل سؤال استشهاد بهم وإفصاح، أي: عن جواب القوم لهم...". الجامع لأحكام القرآن (١٦٤/٧).

ينظر: معاني القرآن للنحاس (١٠/٣)، وتفسـير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢٢٨٣/٤)، والتفسـير الكبير للرازي (٢٠/١٤).

قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ أي: القضاء يومئذٍ العدل.(١)

قوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ صاحب الموازين جبرائيل يوم القيامة، يقول الله:" يا جبرائيل زِن بينهم فرُدَّ من بعض على بعض، وليس ثم ذهب ولا فضة، فإن كان للظالم

---

(١) هذا رأي مجاهد، والأعمش، والضحاك.

وذهب جماهير أهل العلم من المفسرين وغيرهم إلى أن المراد بالوزن وزن أعمال العباد بالميزان، وأن الميزان حقيقي، لظاهر النصـــوص الواردة في الكتاب والســـنة، كقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾[الأنبياء:٤٧]، وحديث البطاقة المشـــهور عن عبد الله بن عمرو رضـي الله عنهما قال: قال رسـول الله ﷺ: « يصـاح برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فينشر له تسعة وتسعون سجلًّا كل سجلٍّ مدَّ البصر، ثم يقول الله عز وجل: هل تنكر من هذا شيئًا؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أظلَمَتْكَ كتَبَتي الحافظون؟ ثم يقول: ألك عن ذلك حسـنةٌ؟ فيُهابُ الرجلُ فيقول: لا، فيقول: بلى، إنَّ لك عندنا حسنات، وإنه لا ظُلْم عليك اليوم، فتُخرَجُ له بطاقةٌ فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسـوله، قال: فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السـجلَّات؟ فيقول: إنك لا تظلم، فتوضــع الســجلَّات في كفَّة والبطاقة في كفَّة، فطاشـــت السـجلَّات وثقلت البطاقة». (أخرجه أحمد في المسند (٢/٢١٣)، برقم: (٦٩٩٤)، والترمذي في جامعه (٥/٢٤)، برقم: (٢٦٣٩) كتاب الإيمان/باب ما جاء فيمن يموت وهو يشـــهد أن لا إله إلا الله، وقال: "هذا حديث حسن غريب"، وابن ماجة في سننه (٢/١٤٣٧)، برقم: (٤٣٠٠) كتاب الزهد/باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، والحاكم في المستدرك (١/٧١٠)، برقم: (١٩٣٧) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وصـــححه الألباني في صـــحيح الترغيب والترهيب (٢/٢٢٣)، برقم: (١٥٣٣). قال ابن حجر رحمه الله:" قال أبو إسحاق الزجاج: أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال". فتح الباري (١٣/٥٣٨).

ينظر: جامع البيان للطبري (٨/١٢٢)، واعتقاد أهل الســـنة للالكائي (٦/١١٧٠)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٤٩)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٤/٣٠٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٢٠٣)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٤٧٢).

حسنات أُخذ من حسناته فيردّ على المظلوم، وإن لم يكن له حسنات حمل عليه من سيئات صاحبه، فيرجع الرجل وعليه مثل الجبال.(١)

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ وطأنا لكم، وجعلناها لكم قرارًا ومهادًا.(٢)

وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ أي: بدأنا خلق آدم، ثم صورناه، فابتداء خلق آدم من التراب.(٣)

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ أي: ثم أخبركم أيها المخاطَبون بأني كما أنعمتُ عليكم بالخلق والإيجاد أنعمتُ عليكم بأن أمرتُ الملائكة بالسجود لأبيكم.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ تقديره: ما منعك أن تسجد.(٤)

---

(١) رواه الطبري في جامع البيان (١٢٣/٨)، وذكره الثعلبي في الكشـف والبيان (٢١٦/٤)، وابن الجوزي في زاد المسـير (١٧١/٣)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٦٧/٧) موقوفا على حذيفة بن اليمان ﷺ. وفي إسـناده عبد العزيز بن أبان الأموي، تركه الإمام أحمد، وقال فيه الإمام ابن معين:" كذاب خبيث يضع الحديث". كما في تهذيب التهذيب لابن حجر (٢٩٤/٦).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (١٢٥/٨)، والكشـف والبيان للثعلبي (٢١٧/٤)، والمفردات للراغب (ص٤٧١)"مكن".

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنهما في رواية، وابن قتيبة، والطبري، والزجاج، والقرطبي.
ينظر: تأويل مشـكل القرآن لابن قتيبة (ص١٥٢)، وجامع البيان للطبري (١٢٦/٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٣٢١/٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦٩/٧).

(٤) قالـه الكسائي، والفـراء، والزجـاج. معللين بأن قـوله تعالى:﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾ في مـوضع نصب بـ﴿مَنَعَكَ﴾، مفعول بها، و(لا) صلة مزيدة للتأكيد. والتقدير: أيّ شيء منعك من أن تسجد. ففي ﴿مَنَعَكَ﴾ ضمير الفاعل يعود على (مَا)، و(إِذْ) ظرف زمان ماضٍ والعامل فيه (تَسْجُدَ).
ينظر: معـاني القرآن للفراء (٢٨٢/١)، ومعـاني القرآن للزجـاج (٣٢٢/٢)، وإعراب القرآن للنحـاس (١١٦/٢).

وقوله: ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ دليلٌ أن مطلق الأمر للوجوب؛ لأنه لامه لمخالفة مطلق الأمر، والله أعلم.[١]

وقوله: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ بيان أنّ عدوّ الله خالف أمر الله تعالى عنادًا لا جهالةً فلُعن، ولهذا قالت الحكماء: كذب عدوّ الله في تفضيل النار على الطين؛ لأن الطين أفضل من النار، إذ جوهر الطين: الرزانة والسكون والوقار والصبر، وذلك هو الداعي لإبليس بعد الشقاوة التي سبقت له إلى الاستكبار والإصرار فأورثه الهلاك والعذاب والشقاوة.[٢]

قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا ﴾ أي: من الجنة.[٣]

﴿ فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴾ أي: وليس لك أن تتكبر في الجنة، وليس ينبغي أن يسكن الجنةَ ولا السماءَ متكبرٌ مخالفٌ أمر الله.[٤]

---

(١) قاله أكثر أهل العلم.

ينظر: قواطع الأدلة في الأصول للسمعاني (١/٥٤)، وروضة الناظر لابن قدامة (ص١٩٣)، والإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٢/١٦٢)، والبحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (١/١٤٠).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٨/١٣٠)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٢١٩)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/٣٧٩).

(٣) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٨/١٣٢)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٤/٢٣٠١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٥١).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٨/١٣٠)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٢٢٠)، والتفسير الكبير للرازي (١٤/٣٠).

﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ أي: الأذلّاء. والصَّغار: الذُّلّ والمهانة.(١)

﴿قَالَ﴾ يعني: إبليس عند ذلك ﴿أَنظِرْنِي﴾ أي: أخرني وأمهلني،(٢) فلا تمتني.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي: عند [٥٢/أ] قيام الساعة، أراد الخبيث أن لا يذوق الموت.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ أي: من المؤخرين، وبيَّن مدة النَّظِرَة والمهلة في موضع آخر فقال:﴿ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾[الحِجر:٣٨]، وهو النفخة الأولى حين يموت الخلق كلهم.(٣) ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ معناه: فبأنك أغويتني، ومن أجل أنك أغويتني.(٤) والإغواء: الإضلال عن الهدى.(٥)

---

(١) أصل الصَّغَار: الذلة. وهو مصدر من قول القائل: صَغُرَ يصْغُر صَغَارًا وصَغَرًا، وهو أشد الذُّل. ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٦٠/٨)، والمفردات للراغب (ص٢٨١)"صغر".

(٢) قاله عامة المفسرين وأهل اللغة. والانظار في كلام العرب: التأخير والإمهال، يقال: أنْظَرْتُه أُنْظِرُه واستنْظَرْتُه: إذا طلبتُ منه أن يُنظِرك، أي: يمهلك. ونظرتُه وانتظرته، أي: أخرته، والنَّظِرَة: التأخير في الأمر.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٣٢/٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١٦٩/٢)، والمفردات للراغب (ص٤٩٧)، ولسان العرب لابن منظور (٢١٩/٥)"نظر".

(٣) قاله عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٣٣/٨)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٢٠/٤)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢٣٠٣/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٥١/٢).

(٤) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٣٣/٨)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٥١/٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧٤/٧)، والدر المصون للسمين الحلبي (٢٦٤/٥).

(٥) قاله جمهور المفسرين، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وابن زيد.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٣٣/٨)، ومعاني القرآن للنحاس (١٥/٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٢٠/٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٧٥/٣)، ولسان العرب لابن منظور (١٤٠/١٥)"غوى"

﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: لأجلسنّ لبني آدم على طريقك القويم،(١) وهو طريق الإسلام.(٢) ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: أشككهم في آخرتهم، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أرغّبهم في دنياهم، ﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ أي: أشبّهُ عليهم أمر دينهم، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ أي: أُشهّي لهم المعاصي.(٣) قوله: ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾ أي: مُعيبًا.(٤) والذم أشدّ العيب.(٥) ﴿مَّدْحُورًا﴾ أي: مُقْصى.(٦)

---

(١) الصراط في اللغة: الطريق. والاستقامة: لزوم المنهج القويم، من إقامة الشيء: توفية حقه.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٣٤/٨)، والمفردات للراغب (ص٤١٨)"قوم"، ولســـان العرب لابن منظور (٣٤٠/٧)"صرط".

(٢) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٣٤/٨)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٢١/٤)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢٣٠٥/٤).

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وعكرمة، وقد اختلف المفسرون في المراد من هذه الآية على سبعة أقوال، أظهرها ما اختاره الطبري رحمه الله بقوله:" وأولى هذه الأقوال عندي بالصــــواب: قول من قال معناه: ثم لآتينهم من جميع وجوه الحق والباطل، فأصـــدّهم عن الحق وأحسّـــن لهم الباطل ...". جامع البيان (١٣٧/٨).

ينظر: جامع البيان للطبري (١٣٥/٨)، وتفســـير القرآن لابن أبي حاتم (١٤٤٤/٥)، ومعاني القرآن للنحاس (١٧/٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٢١/٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٧٦/٣).

(٤) قاله قتادة، والطبري، والزجاج.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٣٨/٨)، وتفســـير القرآن لابن أبي حاتم (١٤٤٧/٥)، ومعاني القرآن للزجاج (٣٢٤/٢).

(٥) الذَّيم والذَّأم: أشدّ العيب، وهو أبلغ من الذّم، يقال: ذمَّه يذمُّه ذمّاً فهو مذموم، ويقال: ذأَمَه يَذْأَمُه ذَأْمًا فهو مَذْؤُومٌ: إذا عابه وحقّره.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢١/١٥)"ذأم"، والمفردات للراغب (ص١٨١)"ذم".

(٦) أصـل الدَّحْر: الطرد والإبعاد، ومنه يقال: ادْحَرَ عنك الشـيطان، أي: أبعده. والمدحور: المُقْصِـي،

قوله تعالى: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ الزوج بمعنى: الزوجة.[١]

قوله: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ الوسوسة: دعاء إلى أمرٍ بصوت خفي.[٢]

﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا﴾ أي: كانت عاقبة وسوسته أن عصيا فبدت عورتهما؛ لأنَّ لباسهما كان من الجنة، وهي وكلُّ ما فيها لا يليق بالعاصين، فلما عصيا تساقطت عنهما كسوتهما، وظهرت عورتهما. ومعنى ﴿وُۥرِيَ﴾: سُتر.[٣] والسوءة: الفَرْجُ، لأن ظهوره يسوء صاحبه، وكل ما قبح إظهاره فهو سوأةٌ.[٤]

﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ أي: إلا كراهة أن تكونا ملَكين من الملائكة،[٥] تَعْلَمَانِ ما يخفى على غير الملائكة.

يقال: دَحَره يدْحَره دَحْراً: إذا أبعده وطرده.

ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/٣٣١)، والمفردات للراغب (ص١٦٥)"دحر".

(١) يقال لامرأة الرجل: زوجَهُ وزوجَتَه، والزوجَةُ -بالهاء- أكثر في كلام العرب منها بغير الهاء، والزَّوج بغير الهاء هي الواردة في القرآن الكريم، ويقال إنها لغة لـــ أزد شنوءة. وأما الزوج فلا اختلاف فيه بين العرب بأنه زوجٌ للمرأة.

ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/٣٥)، والمفردات للراغب (ص٢١٥)"زوج".

(٢) أصل الوَسْوَسة: الحركة الخفية أو الصوت الخفيّ، ومنه الوِسْوَاس: حديث النفس، والوَسْوَاس: الشيطان، والوَسْوَسَة: ما يلقيه الشيطان في القلب. يقال: ووَسْوَسَ الرجُلَ إذا كلمه كلاماً خفيًّا.

ينظر: مشارق الأنوار للقاضي عياض (٢/٢٩٦)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٥/١٨٥)"وسوس".

(٣) المواراة: الستر. ومنه يقال: تواريت من فلان، أي: استترت منه.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٣/٢٠)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٥/٢٢١)"أور"،

(٤) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٣٢٧)، والمفردات للراغب (ص٢٥٣)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٢/٢٢٩)"سوأ".

(٥) قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا﴾ استثناءٌ مفرغ، وهو مفعول من أجله، فقدّره البصريون: إلا كراهة أن تكونا. وقدَّره الكوفيون: إلا أن لا تكونا. وقول البصريين أولى؛ لأن إضمار الاسم أحسن من

قوله: ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ ﴾ أي: أقسم لهما.[(١)]

قوله: ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ الإِدْلَاء والتَّدْلِيَة: إنزال الشيء من عُلو إلى سفل، كإدلاء الدَّلْو في البئر، أي: دلاَّهما في المعصية بأن غرّهما بيمينه الكاذبة.[(٢)]

﴿ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ﴾ أي: فارقهما ثيابُ الجنة، وظهرت عورتهما.

﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ طَفِق: كلمة يراد بها الأخذ في الفِعل، وإطالة مدته.[(٣)]

إضمار الحرف.

ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/١١٨)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤/٢٨٠)، والدر المصون للسمين الحلبي (٥/٢٧٨).

(١) قاله أكثر المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٨/١٤١)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٢٢٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/١٧١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٥٣).

(٢) ومنه يقال: ما زال فلان يُدْلي فلانًا بغرور، بمعنى: ما زال يخدعه بغرور ويكلمه بزخرف من القول باطل.

ينظر: جامع البيان للطبري (٨/١٤٢)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٣٢٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٤/١٢١)، ولسان العرب لابن منظور (١٤/٢٦٤)"دل".

(٣) يقال؛ طفقت أصنع كذا وكذا كقولك: ما زلت أصنع كذا وظللت أفعل كذا. ويستعمل في الإيجاب دون النفي، فلا يقال: ما طفق.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٢١٢)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/٤١٣)، والمفردات للراغب (ص٣٠٥)"طفق".

ومعنى ﴿يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِ﴾: يشدّان الورق(١) على فروجهما ليستراها، ويجعلان ورقة على ورقة، وكان ورق التين.(٢)

وكان آدم رجلًا طوالًا كأنه نخلةٌ ســحوقًا،(٣) كثير شــعر الرأس، فلما وقع بالخطيئة بدت له سوءته، فانطلق هاربًا في الجنة، فعرضت له شجرة من شجر الجنّة، فحَبَسَتْه بشعره، فقال لها: أرسليني، قالت: لست بمرسلتك، فناداه الله: يا آدم أمنّــي تفرُّ؟ قال: لا يا رب، ولكنّي استحييتُك.(٤)

﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ أي: أكلتُما منها، وقد نهيتكما؛ قال آدم: يا رب أَطْعَمَتْني حواء، فقال لحواء: لم أطعمتيه؟ قالت: أَمَرتْني الحيّة، قال للحيّة: لم

---

(١) أصل الخَصْف: الضم والجمع. و﴿يَخۡصِفَانِ﴾ أي: يلصقانها ويضمان بعضها إلى بعض، وضم الورق بعضـه إلى بعض أشبه بالخرز منه بالخياطة. ومنه قيل للذي يرقّع النعل: خصـاف. ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٧/٦٨)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/١٨٦)"خصف".

(٢) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، ومقاتل بن سليمان، والسدي. وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٢/٢٠٧).

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٣٨٦)، وجامع البيان للطبري (٨/١٤٣)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٥/١٤٥٢).

(٣) أي: طويلة، وبيّن النبي ﷺ ذلك في الحديث الثابت في الصـحيحين بقوله: « خلق الله آدم وطوله ستون ذراعا». (صحيح البخاري (٣/١٢١٠)، برقم: (٣١٤٨) كتاب الأنبياء/باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، وصحيح مسلم (٤/٢١٨٣)، برقم: (٢٨٤١) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، من حديث أبي هريرة ﷺ). وأصل السَّحْق: البُعد، والسَّحُوق: النخلة الطويلة، وسميت بذلك لبعد أعلاها عن الأرض، ومنه مكان سحيق، أي: بعيد.

ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/١٣٩)، والمفردات للراغب (ص٢٢٦)"سحق".

(٤) أخرجه ابن ســعد في الطبقات (١/٣١)، والطبري في جامع البيان (٨/١٤٢)، وابن أبي حاتم في تفســير القرآن (٥/١٤٥٣)، مرفوعـا وموقوفـا على أبي بن كعب ﷺ، وذكره ابن كثير في تفســيره (٢/٢٠٧) عن أبي بن كعب ﷺ موقوفا كذلك. وقال:" وقد رواه الطبري، وابن مردويه من طرق، عن الحسن، عن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ مرفوعا، والموقوف أصحّ إسنادا ".

أمرتِها؟ قالت: أمرني إبليس، فقال الله تعالى: أمّا أنت يا حواء فكما أدميت الشجرة تدمين كل شهر، وأمّا أنتِ يا حيّة فأقطع قوائمك فتمشي على وجهك، وسيشدخ رأسك[١] مَن لقيك، وأمّا أنتَ يا إبليس فملعون مدحور.[٢]

وقوله: ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا﴾ أي: أنزلنا لباسًا لتستروا به عوراتكم، وينفعكم منافع أخرى من دفع الحرّ والبرد.[٣]

وقوله: ﴿وَرِيشًا﴾ وأنزلنا لكم الريش، وهو: اسم لما يعيش به الإنسان، وبه نظام أموره في دنياه.[٤] ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ﴾ أي: السمت الحسن، والعمل الصالح ﴿خَيْرٌ﴾.[٥]

---

(١) الشدخ : كسر الشيء الأجوف كالرأس ونحوه.

ينظر: العين للخليل (٤/١٦٦)، وتهذيب اللغة للأزهري (٧/٣٧)"شدخ"

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٨/١٤٣)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/٢٢٥)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/١٥٤)، والخازن في لباب التأويل (٢/٢١٨) موقوفًا على محمد بن قيس. والقصص الواردة في كيفية وسبب أكل آدم عليه السلام من الشجرة المنهي عنها، والتي أوردها كثير من المفسرين، أكثرها من الإسـرائيليات؛ ولم يثبت في ذلك خبر صـحيح، وهو من علم الغيب الذي يحتاج إلى نقل ثابت بشأنه.

ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٢/٣٨٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٢٠٧)، والإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لمحمد أبو شهبة (ص١٧٨).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٨/١٤٦)، والكشـف والبيان للثعلبي (٤/٢٢٥)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٥٤).

(٤) أصل الرِّيش: اللباس، تقول العرب، أعطيتُه بريشته، أي: بكسوته، والرِّيش: كل ما ستر الرجلُ في جسمه ومعيشته، يقال: تَرَيَّشَ فلانٌ أي: صار له ما يعيش به. قال النحاس رحمه الله:" والرِّيش عند أكثر أهل اللغة: ما ستر من لباس أو معيشة ". معاني القرآن (٣/٢٣).

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٣٢٨)، وتهذيب اللغة للأزهري (١١/٢٨٠)، والمفردات للراغب (ص٢٠٧)"ريش".

(٥) قاله عثمان بن عفان رضي الله عنه، ورواية عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقال زيد بن علي، والسدي، وقتادة، وابن جريج: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ﴾: الإيمان. وعن عروة بن الزبير: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ﴾: خشية

قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ أي: لا يضلّنكم ولا يمنّينّكم ولا يَستزلنّكم الشيطان.(١)

وقوله: ﴿يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ أي: أخرج أبويكم من الجنة نازعًا عنهما لباسهما، أي: تسبَّب إلى ذلك بأن غرهما وأوقعهما في المعصية.(٢)

قوله: ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ ﴾ أي خيلُه ورَجلُه(٣) ﴿مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡ﴾ هذا تأكيد إيجاب الحذر منه، فإن العدو القاصد لك لا تراه؛ فالخوف منه والاحتراز من مكائده أشدّ.(٤)

الله. وهذه الأقوال وغيرها كلها متقاربة. قال ابن عطية رحمه الله:" وهذه كلها مثل، وهي من لباس التقوى". المحرر الوجيز (٢/٣٨٩).

ينظر: جامع البيان للطبري (٨/١٤٨)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/١٨٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٢٠٨).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٨/١٥١)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٢٢٦)، وتفسير الوجيز للواحدي (١/٣٩٠)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٥٥)،

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٨/١٥٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٢٢٦)، والكشاف للزمخشري (٢/٩٤)، والتفسير الكبير للرازي (١٤/٤٤).

(٣) خَيلُه: كل راكب في معصية الله. ورَجِلُه: كل ماشٍ في معصية الله. وهذا هو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، وقتادة.وأصل القَبِيْل: الجماعة يكونون من الثلاثة فصاعداً من قومٍ شتّى؛ وجمعه قُبُل. ومنه القبيلة: بنو أب واحد، وكلُّ جيل من الجنّ والناس قبِيل، وقبِيل الشيطان: صنفه وجنسه الذي هو منه. قال مجاهد: ﴿وَقَبِيلُهُۥ﴾ يعني: الجنّ والشياطين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٥/١١٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/٢٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (٩/١٣٧)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/٥١)"قبل".

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٨/١٥٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٢٢٦)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/٣٩١).

﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: سوينا بين الشياطين والكافرين في الذهاب عن الله.(١)

﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾ أي: طوافهم بالبيت عراةً الرجال والنساء،(٢) وكانت المرأة تضع على قُبُلها النِّسْعَة(٣) أو الشيء.(٤) وفي الآية إضمار تقديرها: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾ فنُهُوا عنها ﴿قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾.(٥)

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ الآية. [٥٢/ب]

قوله: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ﴾ أي: بالتوحيد.(٦)

---

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٣٢٩/٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (١٧٦/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٥٥/٢).

(٢) قاله أكثر المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٥٣/٨)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢٣٣٤/٤)، والنكت والعيون للماوردي (٢١٦/٢).

(٣) النِّسْعَة: - بكسر النون- هي: سير مضفور يجعل زمامًا للبعير وغيره، وقد تنسج عريضة تجعل على صدر البعير، والجمع نُسْعٌ ونُسُوعٌ وأَنْسَاع.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٦٣/٢)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٤٧/٥)"نسع".

(٤) قاله مجاهد.

ويشهد لهذا ما رواه الحاكم في المستدرك (٣٥٠/٢)، برقم: (٣٢٤٦) عن بن عباس رضي الله عنهما قال: كانت المرأة تطوف بالبيت في الجاهلية وهي عريانة، وعلى فرجها خرقة، وهي تقول: اليوم يبدو بعضه أو كلهفما بدا منه فلا أحله. قال الحاكم:" هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ".ينظر: جامع البيان للطبري (١٥٣/٨)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٢٧/٤)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٨٦/٤).

(٥) ينظر: تفسير السمرقندي (٥٢٦/١)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٢٧/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٥٥/٢).

(٦) قاله الضحاك، والسمرقندي.

﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي: توجهوا حيث ما كنتم في الصلاة إلى الكعبة.(١) ﴿وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: الطاعة والعبادة.(٢)

﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ أي: من ابتدأ الله خلقه على الشّقوة صار إلى ذلك، وإن عمل بأعمال السعداء، ومن ابتدأ خلقه على السعادة صار إلى ما ابتدأ عليه خلقه، وإن عمل بأعمال أهل الأشقياء.(٣) ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ أي: تعودون وهذه حالكم.(٤)

قوله ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ دليلٌ أن الظن والحسبان لا يمهّد العذر لهم، ولا يرفع اسم الكفر عنهم.(٥)

ينظر: تفسير السمرقندي (١/٥٢٦)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٢٢٧)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٥٦).

(١) قاله مجاهد، والسدي، وابن زيد.

ينظر: جامع البيان للطبري (٨/١٥٥)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٥/١٤٦٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/١٨٥). وصححه عن مجاهد: الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٣/١٨).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٨/١٥٦)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٢٢٨)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٤/٢٣٣٧).

(٣) قاله محمد بن كعب. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما، ومجاهد، والسدي نحو ذلك.

ينظر: جامع البيان للطبري (٨/١٥٦)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٥/١٤٦٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/٢٦)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٥٦).

(٤) ينظر: معاني القرآن للنحاس (٣/٢٦)، واعتقاد أهل السنة للالكائي (٣/٥٤٧)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٢٢٨)، والحجة في بيان المحجة لإسماعيل الأصبهاني (٢/١٦).

(٥) قاله الطبري، والزجاج، والسمعاني، والبغوي، وابن كثير. قال البغوي رحمه الله:" فيه دليل على أن الكافر الذي يظن أنه في دينه على الحق، والجاحد والمعاند سواء". معالم التنزيل (٢/١٥٦). وقال الشنقيطي رحمه الله:" هذه النصوص القرآنية تدل على أن الكافر لا ينفعه ظنه أنه على هدى، لأن

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ هذا أمر بالاستتار في الصلوات، وكان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت عراة، فأُمر المسلمين بالتستر في كل موضع يصلي فيه.(١)

﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾ الإسراف ها هنا: تحريم ما أحله الله،(٢) وذلك أنهم كانوا يحرمون الوَدَك(٣) على أنفسهم ما أقاموا بالموسم، فنُهوا عن ذلك.(٤)

الأدلة التي جاءت بها الرسل لم تترك في الحق لبساً ولا شبهة، ولكن الكافر لشدة تعصبه للكفر لا يكاد يفكر في الأدلة التي هي كالشمس في رابعة النهار لجاجاً في الباطل، وعناداً، فلذلك كان غير معذور. والعلم عند الله تعالى". أضواء البيان (٢/١٤).

ينظر: جامع البيان للطبري (٨/١٥٩)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٣٣١)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/١٧٧)، ومفتاح دار السعادة لابن القيم (١/٤٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٢١٠).

(١) قاله أكثر المفسرين.

والأولى عموم أخذ الزينة بما فيها ستر العورة، لأنه لو ستر عورته فإنه أتي بشرط صحة الصلاة ولا يقال إنه أخذ زينته؛ وهي تختلف باختلاف الزمان والمكان.

ينظر: جامع البيان للطبري (٨/١٥٩)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٢٢٩)؛ وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٤/٢٣٤٠)، وأحكام القرآن لابن العربي (٢/٣٠٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/١٨٦).

(٢) قاله ابن عباس رضي الله عنهما. قال السمعاني رحمه الله:" أي: بتحليل ما حرم الله، وبتحريم ما أحل الله، وكل مال أنفق في معصية الله فهو سرف، وأصل الإسراف: هو مجاوزة الحد بغلو أو تقصير". تفسير القرآن (٢/١٧٧).

ينظر: جامع البيان للطبري (٨/١٦٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٢٢٩)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/١٨٧)، ولسان العرب لابن منظور (٩/١٤٨)"سرف".

(٣) الوَدَك: دسم الشحم ودهنه الذي يستخرج منه.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٠/١٨١)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٥/١٦٨) "ودك".

(٤) قاله السدي.

ينظر: جامع البيان للطبري (٨/١٦٢)، وتفسير السمرقندي (١/٥٢٧)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٤/٢٣٤١).

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ يعني: الثياب.[١] ﴿وَالطَّيِّبَٰتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ يعني: ما كانوا يحرمونه على أنفسهم في مواسم الحج، وذلك أنهم كانوا إذا حجّوا واعتمروا حرّموا الشاة على أنفسهم وما يخرج منها- لبنها وسمنها-، فنزلت هذه الآية.[٢] ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ﴾ أي: هي ثابتة للمؤمنين مستقرة في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة.[٣]

---

(١) قاله عامة المفسرين. وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعطاء بن أبي رباح، وابن زيد.
قال أبو حيان رحمه الله:"﴿زِينَةَ اللَّهِ﴾: ما حسنته الشريعة وقررته مما يتجمل به من الثياب وغيرها، وأضيفت إلى الله لأنه هو الذي أباحها، والطيّبات هي: المستلذات من المأكول والمشروب بطريقه وهو الحل".
ينظر: جامع البيان للطبري (١٦٢/٨)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٤٦٤/٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٢٧/٣)، ولباب التأويل للخازن (٢٢٤/٢).

(٢) أخرجه الطبري عن ابن زيد في جامع البيان (١٦٣/٨)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢٣٠/٤).

(٣) أي: أن هذه الطيبات للذين آمنوا في الحياة الدنيا، مثل ما هي للكفار، خالصة يوم القيامة للمؤمنين، لا يشركهم فيها كافر. على هذا المعنى أكثر المفسرين.قال ابن عباس رضي الله عنهما في معناه: "يقول: قل هي في الآخرة خالصة لمن آمن بي في الدنيا لا يشركهم فيها أحد، وذلك أن الزينة في الدنيا لكل بني آدم، فجعلها الله خالصة لأوليائه في الآخرة". جامع البيان (١٦٤/٨).
ينظر: تفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٤٦٨/٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٢٨/٣)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢٣٤٤/٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١٧٨/٢).

قوله تعالى: ﴿وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ﴾ الإثم: الذنب والمعصية،(١) والبغي: الظلم،(٢) وإنما قال: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ مع أن الظلم لا يكون بحق؛ تأكيدًا لهذا التحريم، أي: اجتنبوا الظلم، فإنه لا يكون إلا بغير الحق، ولا يتصف بالحق.(٣)

﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ أي: حجةً،(٤) وليس معنى الكلام أن شيئًا من الإشراك فيه حجّة؛ ولكن المعنى: لا تشركوا بالله شيئًا؛ فإنه لا حجّة، والحكمة في أنه قال ذلك لهم أنهم كانوا يقولون: إنما نعبد الأوثان بأمر الله، فكذبهم الله في ذلك، وبيّن أنهم يعبدونها من تلقاء أنفسهم، ولا حجة لهم في ذلك.(٥)

---

(١) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان (١٦٦/٨)، والكشاف للزمخشري (٩٧/٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٩٤/٤)، ولسان العرب لابن منظور (٥/١٢)"أثم".

(٢) قاله جمهور المفسرين، وأهل اللغة.

وأصل البغي: الحسد، ثم سمي الظلم بغيًا لأن الحاسد ظالم، وكل من فعل فعلًا ليس له أن يفعله ليؤذي به غيره فقد بغى.

ينظر: جامع البيان (١٦٦/٨)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢٣٤٧/٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١٧٨/٢)، والمفردات للراغب (ص٥٥)"بغى".

(٣) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٣٩٥/٢)، والتفسير الكبير للرازي (٥٥/١٤)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٩٥/٤).

(٤) قاله عامة المفسرين، وأهل اللغة.وروى ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كل سلطان في القرآن حجّة. تفسير القرآن (١٤٧١/٥). ينظر: جامع البيان للطبري (١٦٦/٨)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٣١/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٥٨/٢)، والمفردات للراغب (ص٢٣٨)"سلط".

(٥) ينظر: التفسير الكبير للرازي (٥٥/١٤)، ولباب التأويل للخازن (٢٢٥/٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٩٥/٤).

قوله: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾ أي: مدَّة.[١] قوله تعالى: ﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ تقديره: إن يأتكم.[٢]

قوله: ﴿فَمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ أي: فمن اتقى منكم. ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ أي: عاقبتهم تؤول إلى الخير والكرامة.

قوله: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ يعني: ما كتب لهم من الأرزاق والأعمار والحوادث،[٣] فإذا نالهم ذلك ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ ﴾ أي: يقبضون أرواحهم، يعني: ملك الموت وأعوانه.[٤]

﴿قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ ﴾ أي: تعبدون[٥]﴿مِن دُونِ اللَّهِ ﴾.

---

(١) الأجل: المدة المضروبة للشيء، يقال: دينه مؤجَّل وقد أجَّلته جعلت له أجلا، ويقال للمدة المضروبة لحياة الإنسان: أَجَل، فيقال: دنا أجلُه عبارة عن دنو الموت، وأصله: استيفاء الأجل، أي: مدة الحياة.

ينظر: العين للخليل (١٧٨/٦)، والمفردات للراغب (ص١١)"أجل".

(٢) ينظر: مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب (٢٩٠/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٩٦/٤)، والدر المصون للسمين الحلبي (٣٠٨/٥).

(٣) قاله الربيع بن أنس، ومحمد بن كعب، وابن زيد.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٧١/٨)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٤٧٤/٥)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٣٢/٤).

(٤) قاله أكثر المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٧٢/٨)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٣٢/٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٩٣/٣).

(٥) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٧٢/٨)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٥٩/٢)، ولباب التأويل للخازن (٢٢٧/٢).

﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾ أي: بطلوا وذهبوا.(١) ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: أقرُّوا على أنفسهم ﴿أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾.

﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ﴾ يعني: مع جماعاتٍ ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ﴾ يعني: كفار الأمم الماضية.(٢) ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ أي: النار.

﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ أي: أختها في الدِّين والملة، ولم يقل أخاها؛ لأنه عنى بالأمة: الجماعة.(٣)

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا﴾ أي: تلاحقوا واجتمعوا في النار جميعًا.(٤)

﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ﴾ يعني: آخرهم دخولًا النار وهم الأتباع ﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾ دخولًا، وهم القادة.(٥)

---

(١) أصل الضلال: الضياع والذهاب عن القصد. يقال: أضْلَلْتُ بعيري وغيره، إذا ذهب مني، وقد ضلِلْتُ المسجدَ والدار، إذا لم أعرف موضعهما. ويقال: ضلَّني فلانٌ فلم أقدر عليه، أي: ذهب عني. والضلال: العدول عن الصراط المستقيم.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٣١٨/١١)"ضل"، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٥٨/٢)، وتاج العروس للزبيدي (٣٤٣/٢٩)"ضلل".

(٢) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٣٩٨/٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٩٧/٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢١٣/٢).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (١٧٣/٨)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٣٢/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٥٩/٢).

(٤) أصل الدَّرَك: اللحاق، وتدارك القوم: تلاحقوا، أي: لحق آخرُهم أولَهم. ويقال: تدارك لي عليه شيء، أي: اجتمع لي عنده شيء.

ينظر: العين للخليل (٢٢٧/٥)، والمفردات للراغب (ص١٦٧)، ولسان العرب لابن منظور (٤١٩/١٠)"درك".

(٥) قاله مقاتل بن سليمان، والطبري.

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣٩١/١)، وجامع البيان للطبري (١٧٣/٨)، والنكت والعيون

﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ أي: فأعطهم عذابًا مضعَّفًا ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ﴾.(١)

﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ أي: لكل من الدعاة والمضلين عذاب مضعَّفٌ.

﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ أي: أيها المخاطبون ما لكلٍّ فريق منكم من العذاب.(٢)

قوله تعالى: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: لا تصعد أعمالهم إلى السماء.(٣)

للماوردي (٢/٢٢٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٥٩).

(١) الضِّعْف في كلام العرب على ضربين: أحدهما: المثل، والآخر: أن يكون في معنى تضعيف الشيء. والثاني هو المراد.

ينظر: جامع البيان للطبري (٨/١٧٣)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٣٣٧)، والمفردات للراغب (ص٢٩٥)"ضعف".

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٨/١٧٤)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٣٣٧)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٤/٢٣٦٠).

(٣) هذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، وسعيد بن جبير، والنخعي.

ويشهد لهذا القول قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، وقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾[المطففين:١٨]. وقال ابن جريج ومقاتل: لا تفتح لأرواحهم ولا لأعمالهم، وهذا القول هو الأصح؛ لما فيه من الجمع بين القولين، وهو اختيار الطبري، وابن كثير، ويدل على صحة هذا التفسير على ما سبق من أدلة القول الأول ما رواه البراء بن عازب ﷺ في حديث طويل وفيه قال النبي ﷺ عن روح الكافر:«... ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمُرُّون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلانُ بن فلانٍ بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له؛ ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾، فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحًا ....» أخ الحديث. (أخرجه أحمد في المسند (٤/٢٨٧)، برقم: (١٨٥٥٧)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦/١١٣٥)، برقم: (٢١٤٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/٣٥٦)، برقم: (٣٩٥). قال الهيثمي:" رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح". مجمع الزوائد (٣/٥٠).

﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ أي: ثَقْب الإبْرة،(١) يعني: أبداً.(٢)

قوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ أي: فراش من النار.(٣)

﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ أي: ما يغشاهم فيغطيهم.(٤)

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾ [٥٣/أ] أي: بقدر طاقتهم؛ لأن معنى الوُسع ما يقدر عليه.(٥)

ينظر: جامع البيان للطبري (١٧٥/٨)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٤٧٧/٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢١٤/٢)، والدر المنثور للسيوطي (٤٥٢/٣).

(١) السَّـمّ: ثَقْب الإبرة، وكل ثَقْبٍ من عين أو أنف أو أذن أو غير ذلك فهو سَـمّ، والجمع سُموم. والخِيَاط والمِخْيَط: الإبرة التي يخاط بها.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٣٦/٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢١٠/٧، ٢٢٣/١٢) "خيط، سم"، والمفردات للراغب (ص١٦١، ٢٤١)"خيط، سمم".

(٢) قال البغوي رحمه الله:"..لأن الشـيء إذا عُلِّق بما يستحيل كونه دل ذلك على تأكيد المنع، كما يقال: لا أفعل ذلك حتى يشيب الغراب ويبيض القار، يريد: لا أفعله أبدًا". معالم التنزيل (١٦٠/٢).

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٣٣٨/٢)، والنكت والعيون للماوردي (٢٢٣/٢)، والتفسير الكبير للرازي (٦٤/١٤).

(٣) أصل المهد: المكان الممهد الموطأ، والمهاد: ما يقعد عليه ويضطجع، كالفراش الذي يفرش والبساط الذي يبسط.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢١٤/١)، والمفردات للراغب (ص٤٧٦)، ولسـان العرب لابن منظور (٤١٠/٣)"مهد".

(٤) غواش: جمع غاشية، وهي: ما يغشى الإنسان، أي: يغطيه ويستره من جهة فوق.

ينظر: المفردات للراغب (ص٣٦١)، ولسان العرب لابن منظور (١٢٦/١٥)"غشا".

(٥) الوسع: اسم لما يسع الإنسان ولا يضيق عليه ولا يعجز عنه، كما قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[البقرة:١٨٥].

ينظر: العين للخليل (٢٠٣/٢، ٣٧٢/٥)"وسع، كلف"، والمفردات للراغب (ص٤٣٨،

قوله: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ﴾ أي: أخرجنا وأذهبنا ما في صدورهم من غشٍّ وحقدٍ وعداوةٍ[١] كان من بعضهم على بعض في الدنيا، فجعلناهم إخواناً على سرر متقابلين، لا يحسد بعضهم بعضًا على شيء خص الله تعالى به بعضهم، وفضّله.[٢]

﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ أي: لعملٍ هذا ثوابُه.

﴿وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا﴾ المعنى: أنه قد وجدنا.[٣]

﴿وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ أي: من الثواب[٤] ﴿حَقًّا﴾ أي: صدقًا.

ص٥٢٣)"كلف، وسع"، وروضة الناظر لابن قدامة (٥١/١).

(١) الغِلّ والغَليل: الغِشّ والعداوة والضِّغْن والحسد، يقال: غَلَّ يغِلُّ غِلًّا: إذا كان ذا غِلٍّ، أي: غِشٍّ أو ضِغْن وحقد. وأغَلَّ، أي: صار ذا إغلال، أي: خيانة، وغَلَّ يَغِلُّ إذا خان.

ينظر: المفردات للراغب (ص٣٦٣)"غل"، ولسان العرب لابن منظور (٤٩٩/١١)"غلل".

(٢) قاله عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٨٣/٨)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢٣٦٩/٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١٨٣/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٦٠/٢).

(٣) قال الزجاج رحمه الله: معنى " أن " ههنا إن شئت كان مفسّرًا لما نادى به أصحاب الجنة، والمعنى: أي قد وجدنا. ويجوز أن تكون " أن " الشديدة وخففت، والمعنى: أنه قد وجدنا". معاني القرآن (٣٤٠/٢).

ينظر: إعراب القرآن للنحاس (١٢٦/٢)، والكشاف للزمخشري (١٠١/٢).

(٤) قاله أكثر المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٨٦/٨)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٣٤/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٦١/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢١٦/٢).

﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ أي: من العذاب ﴿حَقًّا﴾؟ وهو سؤال تعيير وتقرير.[١]
﴿قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾ أي: نادى منادٍ ﴿أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ أي: الكافرين.[٢] ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ أي: يصرفون[٣] ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: دين الله.
﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ أي: يطلبونها[٤] ﴿عِوَجًا﴾ أي: في الدين والكفر ﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾.
﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ يعني: بين الجنة والنار حجاب، أي: حاجز، وهو السُّور الذي ذكره الله تعالى في قوله:﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾[الحديد:١٣]، والله أعلم.[٥]

---

(١) قاله جمهور المفســرين. ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/٢٠٩)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤/٣٠٢)،وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٢١٦).

(٢) قاله عامة المفســرين. وذلك لأن المناظرة المتقدمة إنما وقعت بين أهل الجنة وبين الكفار، بدليل أن قول أهل الجنة ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾؟ لا يليق ذكره إلا مع الكفار.
ينظر: الكشـف والبيان للثعلبي (٤/٢٣٥)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٦١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/٤٠٣)، والتفسير الكبير للرازي (١٤/٧١).

(٣) الصُّدُود والصَّدّ: الإعراض عن الشيء والانصراف عنه، يقال: صددّت فلانًا عن الأمر: إذا صرفته عنه. وقد يكون انصــرافًا عن الشـــيء وامتناعًا نحو قوله تعالى:﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النســـاء:٦١]، ا وقد يكون صـــرفًا ومنعًا، كما في هذه الآية الكريمة. ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٢/٧٣)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/٢٨٢)"صد"، والمفردات للراغب (ص٢٧٥)"صدد".

(٤) البَغْي: طلب تجاوز الاقتصاد، يقال: بغيت الشـيء أبغيه إذا طلبت أكثر ما يجب، ويقال: بغيتك الشـيء إذا طلبته لك، وأبغيتك الشـيء إذا أعنتك على طلبه. ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/٢٧١)، والمفردات للراغب (ص٥٥)"بغي".

(٥) قاله أكثر المفسرين.
ينظر: جامع البيان للطبري (٨/١٨٨)، وتفســـير الهداية لمكي بن أبي طالب (٤/٢٣٧٧)، وتفســـير القرآن للسمعاني (٢/١٨٤)، والتفسير الكبير للرازي (١٤/٧٢).

﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ أي: يعرفون أهل الجنة ببياض وجوههم، ونضرة النعيم عليهم، ويعرفون أهل النار بسواد وجوههم، وزُرقة عيونهم.[١]

﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ يعني: أصحاب الأعراف،[٢] وهذا الطمع في قلوبهم؛ لأن الله سبحانه وتعالى سلب نور المنافقين وهم على الصراط، وبقي نورهم ولم ينطفئ.[٣] ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ﴾ أي: وِجاهَ ﴿أَصْحَابِ ٱلنَّارِ﴾ وحيالهم.[٤] ﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ﴾ أي: مع الكافرين في النار.

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾ أي: رجالًا كانوا عظماء من أهل النار جبّارين ﴿يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ﴾.

---

(١) قاله عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٩٤/٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٣٨/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٦٣/٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٤٠٥/٢).

(٢) قاله أكثر المفسرين.

قال ابن كثير رحمه الله:"واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم؟ وكلها قريبة ترجع إلى معنى واحد؛ وهو أنهم: قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم. نص عليه حذيفة، وابن عباس، وابن مسعود ﷺ، وغير واحد من السلف والخلف رحمهم الله". تفسير القرآن العظيم (٢١٧/٢).

ينظر: جامع البيان للطبري (١٩٦/٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٣٩/٣)، وزاد المسير لابن معجم الجوزي (٢٠٦/٣).

(٣) قاله ابن مسعود ﷺ.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٩٦/٨)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢٣٨٣/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٦٣/٢).

(٤) ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢١٥/١)، وجامع البيان للطبري (١٩٧/٨)، وغريب القرآن لابن عزيز السجستاني (ص١٦٦).

﴿قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ في الدنيا من المال والولد.(١)

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: عن الإيمان، وذلك ينادون وهم على السُّـور: يا وليد بن المغيرة،(٢) ويا أبا جهل بن هشام،(٣) ويا فلان؛ ثم ينظرون إلى الجنة فيرون فيها الضعفاء ممن كانوا يستهزؤون بهم في الدنيا مثل سلمان،(٤) وصُهيب،(٥) وخباب،(٦) وأشباههم، فينادونهم: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾ أي: حلفتم وأنتم في الدنيا ﴿لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ يعني: الجنة، ثم يقال لأصحاب الأعراف: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.(٧)

---

(١) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٩٨/٨)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٣٧/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٦٣/٢)، والتفسير الكبير للرازي (٧٥/١٤).

(٢) تقدم ترجمته ص: ٦٩٧

(٣) تقدم ترجمته ص : ٧٠٢

(٤) هو سلمان الفارسي ﷺ، أبو عبد الله، سابق الفرس إلى الإسلام، صحب النبي ﷺ وخدمه وحدَّث عنه، وكان لبيبًا حازما من عقلاء الرجال وعبادهم ونبلائهم، توفي ﷺ في آخر خلافة عثمان ﷺ سنة: ٣٥ هـ.

ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٦٣٤/٢)، وتهذيب الأسماء للنووي (٢١٨/١)، وسير أعلام النبلاء (٥٠٥/١).

(٥) تقدم ترجمته ص : ٢٢٠

(٦) تقدم ترجمته ص : ٧١١

(٧) هذا قول السدي، والكلبي، وابن السائب، والسمعاني، وأبي حيان.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٩٩/٨)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٤٩٠/٥)، والكشف والبيان للثعلبي (١٣٧/٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١٨٦/٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣٠٦/٤).

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ ﴾ أي: صبُّوا[١] ﴿عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾ من طعام الجنة.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٥٠ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا﴾ يعني: ما زين لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام،[٢] ومن المكاء[٣] والتصدية[٤] حول البيت، وسائر الخصال الرديئة الدنيئة التي كانوا يفعلونها في الجاهلية.[٥]

---

(١) أصل الفَيْض: جريان الشيء بسهولة، ثم يقاس عليه، من ذلك: فاض الماء يفيض: إذا سال منصبًا، ويقال: أفاض إناءه إذا ملأه حتى أساله، والفيض: الماء الكثير، يقال: إنه أعطاه غيضًا من فيض، أي: قليلًا من كثير، وأفاض القوم من عرفة: إذا دفعوا وذلك كجريان السيل.

ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/٤٦٥)، والمفردات للرغب (ص٣٨٧)"فيض".

(٢) تقدم تفسير ذلك في سورة المائدة ص : ٦٦٥

(٣) المكاء: الصفير.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٠/٢٢٢)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/٣٤٤)"مكا".

(٤) التصدية: التصفيق.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٢/١٥٢)، والمفردات للراغب (ص٢٧٨)"صدى".

(٥)ينظر: جامع البيان للطبري (٨/٢٠١)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٢٣٧)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٦٤).

قوله تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ﴾ أي: نتركهم في النار[١] ﴿كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾ أي: كجحدهم.[٢]

﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ﴾ يعني: القرآن ﴿فَصَّلۡنَٰهُ﴾أي: بيّناه[٣] ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ أي: منّا بذلك. ﴿هُدٗى وَرَحۡمَةٗ﴾ أي: ذا هدى وذا رحمة.

قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ﴾ أي: لا ينتظرون ﴿إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥ﴾ أي: تأويل القرآن، يعني ما يؤول إليه عاقبته في شأنهم،[٤] وهم لم ينتظروا على الحقيقة، ولكن المعنى أنه يُلحقهم لُحوق

---

(١) قاله أكثر المفسرين.

والنسـيان هنا بمعنى: الترك، والعرب تطلق النسـيان وتريد به الترك ولو عمداً، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ﴾[طه:١٢٦]، فالمراد من هذه الآية الترك قصـداً. قال الطبري رحمه الله في معنى الآية:" نتركهم في العذاب المبين جياعًا عطاشًا بغير طعام ولا شراب، كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا ورفضوا الاستعداد له". جامع البيان (٢٠٢/٨).

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٥٥/١٣)، والمفردات للراغب (ص٤٩١)"نسي". والتفسير الكبير للرازي (٧٧/١٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢١٦/٧)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣٠٧/٤)، وتفسير القرآن العظيم (لابن كثير (٢٢٠/٢).

(٢) أي: أنّ (مَا) مصدرية، والمعنى: ننساهم جزاء نسيانهم وجحدهم.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٣٤١/٢)، ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب (٢٩٣/١)، والدر المصون للسمين الحلبي (٣٣٦/٥).

(٣) قاله جمهور المفسرين، وأهل اللغة. وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما.ينظر: جامع البيان للطبري (٢٠٣/٨)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٤٩٣/٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٣٦/١٢)"فصل"، والكشف والبيان للثعلبي (٢٣٨/٤).

(٤) قاله قتادة، والسدي، والربيع، ومجاهد. والتأويل من الأَوْل، أي: الرجوع إلى الأصل، ومنه الموئل للموضع الذي يرجع إليه وذلك هو رد الشيء إلى الغاية المرادة منه علمًا كان أو فعلًا.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٠٣/٨)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٤٩٤/٥)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٦٢/١)، والمفردات للراغب (ص٣١)"أوْل".

المنتظر، وهذا أبلغ وأشدّ تأثيراً في النفس من أن يقال: إن تأويل ذلك يلحقهم، أي: ما يؤول إليه أمر تكليفات القرآن، وهو الجزاء على الأعمال بالجنة أو النار.(١)

وقوله: ﴿نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾ أي: صاروا في الإعراض عنه بمنزلة من نسي.(٢)

قوله: ﴿أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ﴾ كأنهم قالوا: هل يشفع لنا شافع؟ أو هل نُرَدّ فنعمل؟ (٣)

قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أول الأيام الستة: الأحد، وسادسها: الجمعة.(٤)

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ ذكر الله تعالى هذه الكلمة في وصفه [٥٣/ب] عز وجل في عدَّة آيات، ولم يبدلها بغيرها، وكأنه أشار إلى أن الاقتصار عليها منَّا متعين، فنؤمن به على

---

(١) ينظر: الكشـف والبيان للثعلبي (٢٣٨/٤)، وتفسـير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢٣٩٤/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٦٤/٢)

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٠٤/٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٤٢/٣)، والتفسير الكبير للرازي (٧٨/١٤).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٤٠٨/٢)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (٥٧٣/١)، والدر المصون للسمين الحلبي (٣٣٧/٥).

(٤) قاله ابن عباس، وعبد الله بن سلام ﷺ، والضحاك، ومجاهد، وعكرمة، والطبري.
ينظر: جامع البيان للطبري (٢٠٥/٨)، وتفسـير القرآن لابن أبي حاتم (١٤٩٧/٥)، وتفسـير الهداية لمكي بن أبي طالب (٦٤٨٦/١٠)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢١١/٣).

ما أراده.[١] وفي صحيح البخاري عن مجاهد[٢] أنه قال: استوى: علا. أورده في كتاب التوحيد، في باب:﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾[هود:٧].[٣] ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ

---

(١) ما ذكره المؤلف رحمه الله هو الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة من إثبات صفة الإستواء لله تعالى حقيقة كما يليق بجلاله، من غير تمثيل ولا تحريف، ولا تعطيل ولا تكييف. قال ابن كثير رحمه الله:" نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح، مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديمًا وحديثًا، وهو: إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبِّهين منفيٌّ عن الله، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الشورى:١١]،.... فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى". تفسير القرآن العظيم (٢/٢٢١).

ينظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة (١/٢٣١)، واعتقاد أهل السنة للالكائي (٣/٣٩٧)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٦٤)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٥/٥١٩)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص٣٠٩).

(٢) هو مجاهد بن جبر بن السائب المخزومي، أبو الحجاج، شيخ القراء والمفسرين، روى عن ابن عباس رضي الله عنهما فأكثر وأطاب، توفي سنة: ١٠٤ هـ.

ينظر: تهذيب الأسماء للنووي (٢/٣٩٠)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٤٤٩)،

(٣) (صحيح البخاري (٦/٢٦٩٨) كتاب التوحيد/ باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾[هود:٧]).

﴿ٱلنَّهَارَ﴾ أي: يغطِّيه.(١) ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ أي: مُسرعا،(٢) أي: يجيء عقيبه مسرعًا.(٣)

﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ خلقها جاريات، مجاريها بأمره.(٤)

ومعنى ﴿تَبَارَكَ﴾: تعظَّم.(٥)

قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ أي: تذلُّلاً واستكانة.(٦)

---

(١) أصل الغشاوة: الستر، يقال: غَشِيَه غِشَاوةً وغِشَاءً: إذا أتاه إتيان ما قد غشيه، أي: ستره، والغِشَاوَة: ما يغطى به الشيء.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٣٤٢/٢)، والمفردات للراغب (ص٣٦١)"غشي".

(٢) قاله عامة المفسرين.وأصل الحث: الحض على الشيء. يقال: حثثته على الشيء أحثّه، ومنه الحثيث، يقال: ولي حثيثًا، أي: مسرعًا. والحث : الإعجال والسرعة.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٠٥/٨)، تهذيب اللغة للأزهري (٢٧٤/٣)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٩/٢)"حث"، وتفسير القرآن للسمعاني (١٨٨/٢).

(٣) وذلك أنه لما كان الليل والنهار يعقب أحدهما الآخر ويخلفه على أثره فكأنه في طلبه، فسرعة تعاقب الليل والنهار تجعل كل واحد منهما كالطالب لصاحبه.

ينظر: النكت والعيون للماوردي (٢٣٠/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٦٥/٢).

(٤) ينظر: الكشاف للزمخشري (١٠٤/٢)، والتفسير الكبير للرازي (٩٨/١٤)، ولباب التأويل للخازن (٢٣٩/٢).

(٥) قاله الضحاك. وتبارك: تفاعل من البركة، والبركة: الكثرة في كل خيرٍ. وتبارك: تعالى وتعاظم. قال ابن الحسين بن الفضل: تبارك في ذاته وبارك فيمن شاء من خلق. وقال الليث: تبارك الله: تمجيد وتعظيم.

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢٤٠/٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٣٠/١٠)، والمفردات للراغب (ص٤٤)"برك".

(٦) قاله عامة المفسرين.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٣٤٤/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٤٠/٤)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢٤٠٥/٤)، والمفردات للراغب (ص٢٩٥)"ضرع".

﴿وَخُفْيَةً﴾ أي: سراً ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ من الاعتداء: رفع الصوت والنداء بالدُّعاء، والصياح.(١) ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: بالشرك والمعصية.

﴿بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا﴾ أي: بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسل، والأمر بالطاعة، والنهي عن المعصية.(٢) ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا﴾ أي: من عذابه ﴿وَطَمَعًا﴾ أي: فيما عنده من مغفرته وثوابه. ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: إن رحمة الله إتيانها قريب.(٣)

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا﴾ جمع بَشِير، وهي: الريح الطيبة.(٤)

---

(١) قاله ابن جريج.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٠٧/٨)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٤٠/٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١٨٩/٢).

(٢) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٠٧/٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٥٢/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٦٦/٢)، والتفسير الكبير للرازي (١٠٨/١٤).

(٣) هذا قول الكسائي، والمراد: أن رحمة الله مكانها قريب، كقوله سبحانه: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾[الشورى:١٧]. أي لعل إتيانها قريب.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٠٧/٨)، وإعراب القرآن للنحاس (١٣١/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٤١/٤)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (٥٧٥/١).

(٤) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٣٤٥/٢)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢٤٠٨/٤)، والمفردات للراغب (ص٤٧)"بشر".

﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ يعني: قدام المطر.[١] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ﴾ أي: حملت.[٢] ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ أي: ثقالًا بالمطر ﴿سُقْنَٰهُ﴾ أي: السحاب ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ يعني: إلى بلدٍ لا نباتَ فيه ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ﴾ أي: بالسحاب ﴿ٱلْمَآءَ﴾ يعني: المطر.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ هذا مثلٌ ضربه الله للمؤمن والكافر،[٣] مثل المؤمن مثل البلد الطيب الذي ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ﴾ أي: ريعه ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾، ومثل الكافر كمثل الأرض السَّبخة الخبيثة التي لا يخرج نباتها ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾ عسيرًا، يعني: بما لا منفعة فيه.

والنَّكِد: القليل النُّزُل والربيع.[٤]

قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ هو نوح بن لَمَك بن مُتُوَشْلِح بن أَخْنُوخ، وهو إدريس بن مهلائيل بن يِرْد بن قينان بن أَنوش بن شيث بن آدم، وهو أول نبي بعد إدريس.[٥]

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٨/٢١٠)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/١٩٠)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/٢٢٩).

(٢) أصل الإقلال: الحمل، كما يقال: استقَلَّ البعير بحمله وأَقَلَّه: إذا حمله فقام به، وأَقَلَّ فلان الشيء إذا هو حمله، وفلان لا يَسْتَقِلُّ بحمله.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٣٤٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (٨/٢٣٢)، والمفردات للراغب (ص٤١٠)"قل".

(٣) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٨/٢١١)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٥/١٥٠٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/٤٦)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٢٤٣).

(٤) النَّكَد :كل شيء خرج إلى طالبه بتعسر، يقال: رجلٌ نَكِدٌ ونَكْدٌ أي: عَسِرٌ، وناقة نَكْدَاء: طفيفة الدر صعبة الحلب.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٠/٧٢)، والمفردات للراغب (ص٥٠٥)"نكد".

(٥) ذكره ابن هشام في السيرة النبوية (١/١٠٥)، والطبري في جامع البيان (٧/٢٦١)، والبيهقي في دلائل النبوة (١/١٨٠)، والسمعاني في الأنساب (١/٢٥).

بعثه الله إلى قومه وهو ابن خمسين سنة،[١] فقال لهم:﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: إن لم تؤمنوا ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾.

﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ﴾ يعني: الأشراف والسادة.[٢]

﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ أي: زوال عن الحق بيّن.[٣]

﴿قَالَ﴾ أي: نوح ﴿يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

قوله:﴿أَوَعَجِبۡتُمۡ﴾ كأنه قال: أصنعتم كذا وكذا، أو عجبتم ﴿أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ أي: بيان[٤] ﴿عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ﴾ أي: عذاب الله ﴿وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ يعني نوحًا ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ﴾ أي: من الطوفان ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ يعني: بنيه الثلاثة: سام وحام ويافث وأزواجهم، وستة أناس ممن كان آمن به،[٥] وحملهم ﴿فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾

---

(١) ذكره ابن قتيبة في المعارف (ص٢١) عن وهب بن منبه، والطبري في التاريخ (١/١١٢)، والمسعودي في أخبار الزمان (ص٨٠)،

(٢) الملأ: أشـــراف القوم، سموا بذلك لملاءتهم بما يُلتمس عندهم من المعروف وجودة الرأي، أو لأنهم يملئون العيون أبَّهة، والصدور هيبة.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٥/٢٩٠)، والمفردات للراغب (ص٤٧٣)"ملأ".

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٨/٢١٣)، والكشـــف والبيان للثعلبي (٤/٢٤٤)، والمفردات للراغب (ص٢٩٧)"ضل".

(٤) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٣٤٦)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/٤١٦)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤/٣٢٥).

(٥) ذكره الطبري في جامع البيان (١٢/٣٦)، والثعلبي في الكشـــف والبيان (٤/٢٤٥)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/٣٨٤)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٩/٣٥) عن ابن إســـحاق. وهذا من الإسرائيليات التي يحتاج إلى نقل صحيح صريح.

وهو السفينة.(١) قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ أي: في البصائر.(٢)

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ﴾ يعني: وأرسلنا إلى عاد، وهو عاد بن عَوْص بن إرم بن سام بن نوح، وهي عاد الأولى.(٣) ﴿أَخَاهُمْ هُودًا﴾ أي: في النسب، لا في الدين،(٤) وهو هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح.(٥) وإنما قال: ﴿أَخَاهُمْ﴾ لأن المراد بعادٍ: قبيلة.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ فتوحِّدوه، وتعبدوه.

---

(١) الفُلْك في كلام العرب: كل شيء مستدير، وجمعه أفلاك، والفُلْك هنا: السفينة بالاتفاق، وتسمى فُلكًا لأنها تدار في الماء، وواحدها وجمعها سواء، فإذا أريد به الجمع يؤنث وفي الواحد يذكر.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢١٥/٨)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٥٢/٤)، والمفردات للراغب (ص٣٨٥)"فلك".

(٢) قاله الحسين بن الفضل.والعَمَى يقال في: افتقاد البصر والبصيرة، ويقال في الأول: أعمى، وفي الثاني: أعمى وعَمٍ، يقال: رجلٌ عَمٍ عن الحق، وهو من عمى القلب.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢١٥/٨)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٤٥/٤)، والمفردات للراغب (ص٣٤٨)، ولسان العرب لابن منظور (٩٥/١٥)"عمى".

(٣) ذكره ابن ابن هشام في السيرة النبوية (١١٤/١) عن ابن إسحاق، وابن قتيبة في المعارف (ص٢٧) عن وهب بن منبه، والطبري في تاريخه (١٣٣/١)، وابن الأثير في الكامل (٦٥/١)، وابن كثير في البداية والنهاية (١٢٠/١).

(٤) قال الرازي رحمه الله:" اتفقوا على أن هوداً ما كان أخاً لهم في الدين. واختلفوا في أنه: هل كان أخا قرابة قريبة أم لا؟ قال الكلبي: إنه كان واحداً من تلك القبيلة، وقال آخرون: إنه كان من بني آدم ومن جنسهم لا من جنس الملائكة ". التفسير الكبير (١٢٦/١٤).

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٣٤٧/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٤٥/٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١٩٢/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٦٩/٢).

(٥) ذكره ابن قتيبة في المعارف (ص٢٨)، والثعلبي في الكشف والبيان (٢٤٥/٤)، والسمعاني في الأنساب (٢٥/١).

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ ﴾ أي: جهالة[١] بتركك ديننا. ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ أنك رسول الله إلينا.

قوله: ﴿وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ﴾ أي: قوة وشدّة،[٢] كان رأس أحدهم مثل القبّة، وكان عين الرجل قِدْراً يُفرخ[٣] فيه الضباع، وكذلك مناخرهم.[٤]

﴿ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ ﴾ أي: نعم الله[٥] ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.

قوله: ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم ﴾ أي: وجب ونزل عليكم ﴿مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ ﴾ أي: عذاب.[٦]

---

(١) أصل السَّفَه: الخفّة، والسَّفيه: الخفيف العقل، ويقال: سَفِه فلان رأيه: إذا جهله، وكان رأيه مضطرباً لا استقامةَ له. ومن هنا قيل للسفيه: الجاهل، والسفاهة: الجهالة.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٨١/٦)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٧٩/٣)"سفه".

(٢) البسطة في كل شيء: الزيادة والسَّعَة، وزيادة البسطة هنا: الزيادة في القوة والمدّ والطول.

ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٤٧/١)، ولسان العرب لابن منظور (٢٥٨/٧)"بسط".

(٣) أي: تلد فيه الضباع، يقال: أفرخ الطائر: إذا خرج الفرخ عن البيضة، ويقولون: أفرخ الأمر: إذا استبان بعد اشتباه.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٥٢/٧)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥٠٠/٤)"فرخ".

(٤) قاله وهب بن منبه. وهذا من الإسرائيليات التي لا يعتمد عليها في نقل الأخبار.

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢٤٦/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٧٠/٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٣٧/٧).

(٥) باتفاق المفسرين، وأهل اللغة.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢١٧/٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٣٤٨/٢)، والنكت والعيون للماوردي (٢٣٣/٢)، والوجيز للواحدي (٤٠٠/١)، والمفردات للراغب (ص/٢٢)"إلى".

(٦) قاله جمهور المفسرين. ونقل أبو حيان عن زيد بن أسلم قوله:" والأكثرون (الرجس) هنا: العذاب، من الارتجاس، وهو الاضطراب". البحر المحيط (٣٢٩/٤).

ينظر: تفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٥١١/٥)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٤٦/٤)، وتفسير القرآن

قوله: ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ أي: نزول العذاب ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾.

قوله: ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: استأصلناهم وأهلكناهم عن آخرهم.[١]

وقصة عاد: أن عادًا كانوا ينزلون اليمن، وكانت مساكنهم منها بالشِّحْر [٥٤/أ] [٢] والأحقاف،[٣] وهي: رمال يقال لها: رَمل عالِج[٤] ودَهْناء[٥] ويبرين،[٦]

للسمعاني (٢/١٩٣).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٨/٢٢٤)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٢٤٦)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٤/٢٤٢٥)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٧٠).

(٢) الشِّحْرة: الشطّ الضيق، والشِّحْر: الشطّ، وهو ساحل اليمن، وهو ممتد بينها وبين عُمان.

ينظر: معجم ماستعجم للبكري (٣/٧٨٣)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (٣/٣٢٧).

(٣) الأحقاف: جمع حِقْف من الرمل، والعرب تسمي الرمل المعوج حِقَافًا وأحقافًا، وهي المنطقة التي حددها المصنف رحمه الله ما بين عُمان إلى حضرموت.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٤/٤٣)"حقف"، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (١/١١٥).

(٤) عالِج: رَمل عظيم يحيط بأكثر أرض العرب يمر في شمال نجد قرب مدينة حائل إلى شمال تَيْمَاء، ويسمى اليوم: (النفود).

ينظر: ومعجم البلدان لياقوت الحموي (٣/٩١٣)، وتهذيب الأسماء للنووي (٣/٢٣٦).

(٥) الدَّهْنَاء: تمد وتقصر، وهي: صحراء رملية حمراء في الجزيرة العربية تمتد من النفود شمالا إلى الربع الخالي. وإذا أخصبَت الدَّهناء ربَّعَت العرب جَمعاء لسَعتها وكثرة شجرها.

ينظر: معجم ماستعجم للبكري (٢/٩٥٩)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (٢/٤٩٣).

(٦) يَبْرِين: من بلاد بني تميم، موضع كثير الرمل، وتقع الآن في الجنوب الغربي من المنطقة الشرقية، وتبعد عن الأحساء ٢٥٠ كم تقريبا.

ينظر: معجم ماستعجم للبكري (٤/١٣٨٧)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (٥/٤٢٧).

ما بين عُمان[1] إلى حَضْرَمَوت،[2] وكانوا مع ذلك قد فشوا في الأرض كلها، وقهروا أهلها بفضل قوتهم، وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله، فصنم كان يسمى صُداء، وصنم صَمود، وصنم الهَبّار، فبعث الله عز وجل إليهم هودًا نبيًّا، وهو من
أوسطهم نسبًا،[3] وأفضلهم حسبًا،[4] فأمرهم أن يوحدوا الله فلا يجعلوا معه إلها غيره، وأن يكفوا عن ظلم الناس، فأبوا عليه، وكذبوه وقالوا ﴿وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾[فصلت:١٥]، فبنوا المصانع،[5] وبطشوا بطشة الجبارين كما ذكر الله تعالى، فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى جَهَدَهم ذلك، وكان الناس في ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء طلبوا إلى الله الفرج وكانت طلبتهم إلى الله عند بيته الحرام بمكة، مسلمهم ومشركهم، فتجتمع بمكة ناسٌ كثير شتى، مختلفة أديانهم، وكانوا معظّمي مكة، عارفين بحرمتها من الله عز وجل، وأهل مكة

---

(١) عُمَان: على ساحل بحر العرب، وهي اليوم دولة تعرف بسلطنة عُمان، عاصمتها (مَسْقَط).
ينظر: معجم ماستعجم للبكري (٣/٩٧٠)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (٤/١٥٠).

(٢) حَضْـرَمَوت: المنطقة المعروفة في جنوب جزيرة العرب، وهي من بلاد اليمن في أقصاها، بين رمل الأحقاف المتصل بما يعرف اليوم بالربع الخالي وبحر العرب.
ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٢/٢٦٩)، وتهذيب الأسماء للنووي (٣/٨٠).

(٣) أي: خيارهم نسبًا، والعرب تصف الفاضل النسب بأنه: من أوسط قومه. وأعدل الشيء: أوسطه ووسطه.
ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦/١٠٨)، ولسان العرب لابن منظور (٧/٤٣٠)"وسط".

(٤) أي: شرفًا وجاهًا. والحَسَب: الشرف الثابت في الآباء. وقيل: الحَسَب: الفِعَالُ مثل الشجاعة والجود وحُسن الخُلق والوفاء.
ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/٥٩)، والمفردات للراغب (ص١١٦)"حسب".

(٥) المصانع: ما يصنعه الناس من الآبار والأبنية وغيرها. واحدها: مصنعة ومصنع، وذكر الأزهري أنه يقال للقصور أيضًا مصانع.
ينظر: العين للخليل (١/٣٠٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢/٢٤)"صنع"، والكشف والبيان للثعلبي (٧/١٧٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣/٣٩٣).

يومئذ العماليق، وإنما سُمُّوا العماليق لأن أباهم عِمْلِيق بن لاوَذ بن سام بن نوح،[١] وكان سيد العماليق إذ ذاك بمكة رجل يقال له معاوية بن بكر،[٢] وكانت أم معاوية كَلْهَدَة بنت الخيبري،[٣] رجل من عاد، فلما قحط المطر عن عاد، وجُهِدُوا قالوا: جهزوا منكم وفدًا إلى مكة، فليستسقوا لكم، فبعثوا قَيْلَ بن عنز،[٤] ولَقِيم بن هُزَال بن هُزيل،[٥] وعَثِيل بن ضِدّ

---

(١) كان منزل عِمْلِيق الحرم وأكناف مكة، ولحق بعض ولده بالشام، ومصر، والأحقاف، فمنهم كانت العماليق، أمم تفرقوا في البلاد، ومنهم فراعنة مصر والجبابرة، ومنهم ملوك فارس وأهل خراسان.

ينظر: المعارف لابن قتيبة (ص٢٧)، وتاريخ الطبري (١/١٢٧)، ومروج الذهب للمسعودي (١/١١).

(٢) هو معاوية بن بكر بن معاوية بن الهواس بن ليث بن قادين جمرو بن عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام.

ينظر: جمهرة النسب لابن السائب الكلبي (ص٤٦٢)، والتعريف بالأنساب والتنويه لذوي الأحساب لابن إبراهيم الأشعري القرطبي الحنفي (ص٣٣٦).

(٣) كَلْهَدَة بنت الخيبري: هي أخت جَلْهَمَة بن الخيبري، كانت عند لَقِيم بن هُزَال بن هُزيل، فولدت له عُبَيد بن لَقِيم بن هُزَال، وعمرو بن لَقِيم بن هُزَال، وعامر بن لَقِيم بن هُزَال وعُمَير بن لَقِيم بن هُزَال، فكانوا في أخوالهم بمكة عند آل معاوية بن بكر، وهم عاد الأخيرة التي بقيت من عاد الأولى.

ينظر: تاريخ الطبري (١/١٣٥)، والأنساب للصحاري (ص٣٠).

(٤) هو قَيْلَ بن عنز بن عاد الأصغر بن عاديا بن عَوْص بن إرم ابن سام بن نوح. كان على رأس وفد عاد عند قدومهم مكة للاستسقاء.

ينظر: تاريخ الطبري (١/١٣٤)، والكامل في التاريخ لابن الأثير (١/٦٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٢٢٧).

(٥) هو لَقِيم بن هُزَال بن هُزيل بن ضِدّ، زوج كَلْهَدَة بنت الخيبري. من ولد عاد الأكبر، وكانوا بمكة في وقتٍ أهلكت عاد الأولى مع بني عملاق.

ينظر: تاريخ الطبري (١/١٣٥)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٢٤٨)، والأنساب للصحاري (ص٣٠).

بن عاد،[١] ومَرْثَد بن سعد بن عُفَير،[٢] وكان مسلماً يكتم إسلامه، وجَلْهَمَة بن الخيبري[٣] خال معاوية بن بكر، ثم بعثوا لقمان بن عاد الأكبر[٤] فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم ومعه رهط[٥] من قومه، حتى بلغ عُدّة وفدهم سبعين رجلا، فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارج الحرم، فأنزلهم وأكرمهم، وكانوا أخواله وأصهاره، فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر، وتغنيهم الجرادتان وهما: قَيْنَتان لمعاوية بن بكر، وكان مسيرهم شهرًا، ومقامهم شهرًا، فلما رأى معاوية بن بكر طول مقامهم، وقد بعثهم قومهم يَتَغَوَّثُون[٦] من البلاء الذي أصابهم شقَّ ذلك عليه وقال: هلك أخوالي وأصهاري، وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفي، والله ما أدري كيف أصنع بهم، أستحيي أن آمرهم بالخروج إلى ما بعثوا إليه،

---

(١) هو عَثِيل بن ضِدّ بن عاد الأكبر.

ينظر: تاريخ الطبري (١/١٣٤)، والكامل في التاريخ لابن الأثير (١/٦٥).

(٢) هو مَرْثَد بن سعد بن عُفَير، أحد وفد عاد، آمن بهود عليه السلام وصدّقه، وكان -على ما ذُكر- يكتم إيمانه، فلما عتوا على الله وكذبوا نبيهم، وأكثروا في الأرض الفساد وتجبروا، قام بنصحهم وأظهر إسلامه عند ذلك، فلما أظهر مَرْثَد إسلامه تخلّف عن الوفد؛ لأنهم لم يرئسوه ورأَّسُوا عليهم قَيْلاً.

ينظر: تاريخ الطبري (١/١٣٥)، ومروج الذهب للمسعودي (١/٢٢٧)، والأنساب للصحاري (ص٤٦).

(٣) هو جَلْهَمَة بن الخيبري خال معاوية بن بكر العمليقي أخا أمه.

ينظر: تاريخ الطبري (١/١٣٥)، والكامل في التاريخ لابن الأثير (١/٦٦).

(٤) هو لقمان بن عاد بن ضد بن عاد الأكبر بن إرم بن سام بن نوح، كان سيد عاد قد تخلف عن الوفد عند قدومهم مكة للاستسقاء، ثم قدم بعد الوفد.

ينظر: الأنساب للصحاري (ص٣٠)، والمنتظم لابن الجوزي (١/٢٥٤).

(٥) الرَّهْط: عدد يجمع من ثلاثة إلى عَشَرة.

ينظر: العين للخليل (٤/١٩)، وتهذيب اللغة للأزهري (٦/١٠١)"رهط".

(٦) يتَغَوَّثُون: من الغوث، يقال: ضَـــرَبَ فلانٌ فغَوَّث تغويثًا؛ أي: قال: واغوثاه، أي: من يغيثني؟ والغوث الاسم من ذلك. والغوث يقال في النصرة والغيث في المطر، واستغثته: إذا طلبت الغوث فأغاثني.

ينظر: العين للخليل (٨/٤٤٠)، والمفردات للراغب (ص٣٦٧)"غوث".

فيظنوا أنه ضيقٌ مني بمقامهم عندي، وقد هلك من وراءهم جَهْدًا وعطشًا نعوذ بالله من عذاب الله.(١)

قوله تعالى:﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾ وهو ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح،(٢) وهو أخو جدِيس.(٣) ومعناه إلى بني ثمود، وكانت مساكنهم الحِجْر بين الحجاز والشام إلى وادي القُرى.(٤) ﴿أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ أي: أخاهم في النَّسب، وهو صالح بن عَبِيدِ بن آسَفَ بن مَاشِج بن عَبِيد بن حَادِرِ بن ثَمُود.(٥)

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾ أي:

---

(١) رواه الطبري في تاريخه (١/١٣٣)، وفي جامع البيان (٨/٢١٧)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٥/١٥٠٨)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/٢٤٦)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/١٧١)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/٤٨٤) عن ابن إسحاق. وهي من الإسرائيليات التي لم يثبت لها دليل عليها من الكتاب والسنة. قال ابن كثير رحمه الله بعد إيراده:" وهو سياق غريب". تفسير القرآن العظيم (٢/٢٢٧). وقال أبو حيان رحمه الله:" وذكر المفسرون هنا قصة هلاك عاد، وذكروا فيها أشياء لا تعلق لها بلفظ القرآن، ولا صحّت عن الرسول ﷺ ". البحر المحيط (٤/٣٣٠).

(٢) ذكره ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/٥٤)، وابن قتيبة في المعارف (ص٢٧)، والطبري في تارخيه (١/١٣٨)، وفي جامع البيان (٨/٢٢٤).

(٣) هو جَدِيس بن عابر بن إرم بن سام بن نوح، من عرب عاد الأولى، وهم إخوة طَسْم، وكانت منازلهم اليمامة. فوالد ثمود وجَدِيس، ووالد طَسْم وعملاق إخوة.
ينظر: جامع البيان للطبري (٨/٢٢٤)، ومروج الذهب للمسعودي (١/٢٢٢)، وجمهرة لأنساب العرب لابن حزم (٢/٤٦٢).

(٤) ذكر ذلك الطبري في جامع البيان (٨/٢٢٤)، والثعلبي في الكشف والبيان (٤/٢٥١)، ومكي بن أبي طالب في تفسير الهداية (٤/٢٤٢٦). والحِجْر: على بعد ٢٢ كم إلى الشمال من مدينة العُلا الواقعة شمال المدينة المنورة بنحو ٤٥٠ كم، وأصبح وادي القُرى يسمى وادي العُلا.
ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٤/١٤٤)، ومعجم المعالم الجغرافية لعاتق البلادي (١/٤٤٥).

(٥) ذكره ابن قتيبة في المعارف (ص٢٩)، والطبري في تاريخه (١/١٣٨)، والثعلبي في الكشف والبيان (٤/٢٥١)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/١٧٤).

حجة ودلالة ﴿ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ على صِدقي.[١]

﴿ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ ﴾ أضافها إليه على التفضيل والتخصيص، كما يقال: بيت الله.[٢]

﴿لَكُمْ ءَايَةً ﴾ أي: علامة لنبوّتي ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ ﴾ أي: العُشب ﴿ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ ﴾ أي: ولا تصيبوها بعقرٍ ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ ﴾ أي: أسكنكم وأنزلكم[٣] ﴿فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ﴾ كانوا يَنْقُبون البيوت في الجبال.[٤] قوله: ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ ﴾ العُتُوّ: الإسراع في لفساد.[٥]

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١٢/٦٤)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٢٠٧)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٤/٢٤٢٦)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٧٤).

(٢) ينظر: معالم التنزيل للبغوي (٢/١٧٤)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/٤٢١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٥٩١).

(٣) أصل المباءة: المنزل في الأرض، وهو من: باء أي: رجع.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (/٢١٨)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٥/٤٢٦)"باء"، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/٣١٢)"بوأ".

(٤) أي: ينحتون في الجبال مساكن لهم.وأصل النَّقْب: التأثير الذي له عمْق ودخول. ومن ذلك يقال: نقَبْتُ الحائط، أي : بلغتُ في النّقب آخره، والنّقْب في الجبل أو الحائط كالثقب في الخشب.

ينظر: جامع البيان للطبري (٨/٢٣١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٩/١٥٩)، والمفردات للراغب (ص٥٠٣)"نقب".

(٥) أصل العثا: شدة الإفساد، يقال: عَثِيَ يَعْثَا عُثُوّاً وهو: أشدّ الفساد، وعثا فلان في الأرض: إذا تجاوز في الإفساد إلى غايته.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٣/٩٦)، ولسان العرب لابن منظور (١٥/٢٩)"عثا".

وقوله: ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ﴾ عقر الناقة: أن يضرب أخفافها لتسقط، ثم تُنحر.(١)

﴿وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي: جاوزوا الحدَّ في الكفر.(٢)

﴿وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ فاستعجلوا العذاب تكذيبًا واستهزاءً. ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ أي: الزلزلة الشديدة.(٣)

﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ أي: أماكنهم، والجاثم: الساكن الذي لا يتحرك شيء منه، كجثوم الطير بالليل.(٤) وكان من قصة ثمود أنَّ عادًا لما هلكت اسْتُخْلِفَتْ ثمود في الأرض، فكثروا وعُمّروا حتى جعل أحدهم يبني المسكن من المَدَرَ(٥) فينهدم، وصاحب البناء بعد حيٌّ، فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتًا، فنحتوها وجابوها وجوَّفوها، وكانوا في سَعَة معائشهم، فعتوا على الله، وأفسدوا في الأرض، وعبدوا غير الله، فبعث الله إليهم صالحًا، وكانوا

---

(١) العَقْر عند العرب: كسر عرقوب البعير، ثم جعل النّحر عقراً؛ لأن العَقْر سبب لنحره، وناحر البعير يعقره ثم ينحره. والعَقْر لا يكون إلاّ في القوائم، يقال: عقَره، إذا قطع قائمةً من قوائمه.

ينظر: العين للخليل (١/١٤٩)، وتهذيب اللغة للأزهري (١/١٤٥)"عقر".

(٢) يقال: عَتَا يَعْتُو عُتُوّا وعِتِيّا، وهو: مجاوزة الحدّ إذا استكبر. والعاتي: المبالغ في ركوب المعاصي الذي لا يقع الوعظ منه موقعًا.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٣/٩١)، والمفردات للراغب (ص٣٢١)"عتا".

(٣) قاله جمهور المفسرين.والرَّجْف: الاضطراب الشديد، يقال: رجَفَ الشيءُ يَرجُفُ رَجْفاً ورَجَفَاناً، كرَجَفَانِ البعير تحت الرحل، وأرجف الناس في الشيء: إذا خاضوا فيه واضطربوا، ورَجَفَت الأرض إذا تزلزلت.

ينظر: جامع البيان للطبري (٨/٢٣٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/٤٩)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٤/٢٤٣٥)، والمفردات للراغب (ص١٨٩)"رجف".

(٤) ينظر: العين للخليل (٦/١٠٠)، وتهذيب اللغة للأزهري (١١/٢٠)، والمفردات للراغب (ص٨٨)"جثم".

(٥) المَدَر: قطع الطين اليابس.

ينظر: العين للخليل (٨/٣٨)، ولسان العرب لابن منظور (٥/١٦٢)"مدر".

قومًا عَرَبا، وكان صالح من أوسطهم [٥٤/ب] نسبًا، وأفضلهم موضعًا، فبعثه الله إليهم شابًا، فدعاهم إلى الله حتى شَمِطَ،[1] لا يتبعه منهم إلا قليل مستضعفون، فلما ألحَّ عليهم صالح بالدعاء والتبليغ، وأكثر لهم التحذير والتخويف، قالوا: تخرج معنا إلى عيدنا هذا، وكان لهم عيد يخرجون فيه، فتدعو إلهك، وندعو آلهتنا، فإن استجيب لك اتبعناك، وإن استجيب لنا اتبعتَنا، فقال لهم صالح: نعم، فخرجوا بأوثانهم إلى عيدهم ذلك، وخرج صالح معهم، فدَعَوا أوثانهم وسألوها ألا يُستجاب لصالح في شيء مما يدعو به، ثم قال جُندَع بن عمرو بن حوَّاس[2] وهو يومئذ سيِّد ثمود: يا صالح أَخْرِج لنا من هذه الصخرة، لصخرة منفردة في ناحية الحِجْر يقال له الكاثبة- ناقة مُخْتَرِجَة جَوْفَاء[3] وَبْرَاء-،[4] والـمُخْتَرِجَة: ما شاكل البُخْت[5] من الإبل، فإن فعلت صدّقناك، وآمنَّا بك، فأخذ صالح مواثيقهم لئن فعلت لتصدقني ولتؤمنن بي؟ قالوا: نعم، فصلى صالح ركعتين، ودعا ربه، فتمخَّضَت[6] الصخرة

---

(١) الشَّمَطُ: بياض شعر الرأس يخالط سواده.

ينظر: العين للخليل (٦/٢٤٠)، وتهذيب اللغة للأزهري (١١/٢١٩)"شمط".

(٢) هو جُندَع بن عمرو بن حوَّاس بن عمرو بن الدميل، سيد ثمود وعظيمهم.

ينظر: مروج الذهب للمسعودي (١/١٨٥)، والكامل في التاريخ لابن الأثير (١/٦٨).

(٣) الجوفاء: الواسعة الجوف.

ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/٤٩٥)، وتاج العروس للزبيدي (٢٣/١٠٩)"جوف".

(٤) الوَبَرُ: صوف الإبل والأرانب ونحوها. يقال: جملٌ وبِر وأَوْبَر إذا كان كثير الوَبَر، وناقة وبِرَةٌ ووبْرَاءُ.

ينظر: العين للخليل (٨/٢٨٦)، ولسان العرب لابن منظور (٥/٢٧١)"وبر".

(٥) البُخْتِ: جِمالٌ طوالُ الأعناق، ويجمع على بُخْتٍ وبَخَاتٍ.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٧/١٣٧)، ولسان العرب لابن منظور (٢/٩)"بخت".

(٦) أي: أخذها الطلْق، والمِخَاض: وجع الولادة، وكل حامل ضربها الطلْق فهي ماخض.

ينظر: العين للخليل (٤/١٨٠)، ولسان العرب لابن منظور (٧/٢٢٨)"مخض".

تمخض النتوج بولدها، ثم تحركت الهَضَبَة(١) فانصدعت(٢) عن ناقة عُشَراء(٣) جَوْفَاء وَبْرَاء كما وصفوا، وهم ينظرون، ثم نتجت سَقَبًا(٤) مثلها في العِظم، فآمن به جُندع بن عمرو، ورهط من قومه، وأراد أشراف ثمود أن يؤمنوا به ويُصدقوه، فنهاهم ذؤاب بن عمرو بن لَبِيد، والحُباب صاحب أوثانهم، ورُبَاب بن صَمْعَر، وكانوا من أشراف ثمود، وكان لجُندع ابن عم يقال له: شهاب بن خليفة، وأراد أن يُسلِم فنهاهم أولئك الرهط، فأطاعهم، فلما خرجت الناقة قال صالح: ﴿ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾[الشعراء:١٥٥]، فمكثت الناقة ومعها سَقَبَها في أرض ثمود، ترعى الشجر، وتشرب الماء، وكانت ترد الماء غِبًّا،(٥) فإذا كان يومها وضعت رأسها في بئر في الحِجر يقال لها: بئر الناقة، فيرتفع الماء إليها، فما ترفعه حتى تشرب كل ماء فيها، ولا تدع قطرة ماء فيها، ثم ترفع رأسها فَتَفْشَج حتى تَفْحَج(٦) لهم، فيحتلبون ما شاءوا من لبن، فيشربون ويدخرون، ويملأون أوانيهم كلهم من اللَّبن، ثم تصدر من غير الفَجّ(٧) الذي منه وردت، لا تقدِرُ على أن تصدر من حيث ترِدُ تضيق عنها فلا ترجع

---

(١) الهَضَبَة: كل جبل من صخرة واحدة، وكل صخرة راسية ضخمة تسمى: هضبة: والجميع: الهضاب، والهَضَب: الشديد الصلب.

ينظر: العين للخليل (٤٠٨/٣)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥٥/٦)"هضب".

(٢) الصَّدْع: شقٌّ في شيء له صلابة.

ينظر: العين للخليل (٢٩١/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٦/٢)"صدع".

(٣) عُشَراء: هي الناقة التي أتت عليها من يوم أرسل فيها الفحل عشرةُ أشهر.

ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٢٥/٤)، والمفردات للراغب (ص٣٣٥)"عشر".

(٤) السَقْب: الذكر من ولد الناقة.

ينظر: العين للخليل (٨٤/٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (٣١٦/٨)"سقب".

(٥) الغِبّ: أن ترد الإبل الماء يومًا وتدعه يومًا.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢٦/٨)"غب"، وتهذيب الأسماء للنووي (٢٣٨/٣)"غبب".

(٦) الفَشْجُ والتَّفَاج: تفريج ما بين رجلي الناقة لتُحلب أو تبول، والفَشْج دون التَّفاج.

ينظر: العين للخليل (٣٨/٦)، ولسان العرب لابن منظور (٣٤٥/٢)"فشج".

(٧) الفَجُّ: الطريق الواسع بين جبلين، وقيل في جبل. ويستعمل في الطريق الواسع، وجمعه: فجاج.

منه.[١] وقد توفي صالح بمكة وهو ابن ثمان وخمسين، وأقام في قومه عشرين سنة.[٢] قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا﴾ يعني: وأرسلنا لوطًا، لوط بن هاران بن تارح ابن أخي إبراهيم عليهما السلام.[٣] ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ وهـــم أهل سَدُوم،[٤] وذلك أن لوطًا ذهـب من أرض بَابِل[٥] مع عمه إبراهيم مؤمنًا به، مهاجرًا معه إلى الشام، فنزل إبراهيم فلسطين، وأنزل ابن

ينظر: المفردات للراغب (ص٣٧٣)، ولسان العرب لابن منظور (٣٣٨/٢)"فجج".

(١) ذكر القصة الطبري في تاريخه (١٢٦/١)، وفي جامع البيان (٢٢٤/٨)، والثعلبي في الكشف والبيان (٢٥٢/٤)، وابن الأثير في الكامل في التاريخ (٦٨/١)، وابن كثير في البداية والنهاية (١٣٠/١) عن ابن إسحاق، والسدي، ووهب بن منبه. وهي أخبار مأخوذة عن بني إسرائيل غير موثوق بها؛ إذ ليس فيه شـــيء مرفوع ثابت إلى النبي ﷺ، إلا ما كان من ظاهر القرآن، كقوله تعالى: ﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾[الشعراء:١٥٥].

(٢) ذكره الطبري في تاريخه (١٤١/١)، والثعلبي في الكشـــف والبيان (٢٥٨/٤)، والبغوي في معالم التنزيل (١٧٩/٢)، وابن الجوزي في المنتظم (٢٥٦/١)، والنووي في تهذيب الأسماء (٢٣٦/١)، والخازن في لباب التأويل (٢٦٠/٢). وهذا أيضًـــا من أخبار أهل الكتاب التي لم أجد عليها دليلًا من الكتاب والسنة.

(٣) ذكره الطبري في تاريخه (١٤٨/١)، والمسعودي في مروج الذهب (١٢/١)، والثعلبي في الكشـف والبيان (٢٥٨/٤)، والبغوي في معالم التنزيل (١١٣/٢)، والنووي في تهذيب الأسماء (٣٨١/٢).

(٤) سَدُوم: القرية العظمى من قُرى قوم لوط، كان قاضيها يقال له سَدُوم، ويضرب به المثل في الجَور، وهي البحر الميت بأرض الشام، جنوب الأردن حاليًا، فإن الله تعالى قلب بلادهم إلى بحر لا حياة فيه.

ينظر: معجم ما استعجم للبكري (٧٢٩/٣)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (٢٠٠/٣).

(٥) بَابِل: اســـم ناحية من العراق، منها الكوفة، وهو من أقدم أبنية العراق. تقع على بعد "٩٠ "كم جنوب بغداد على مجرى قديم للفرات.

ينظر: معجم من استعجم للبكري (٢١٨/١)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (٣٠٩/١)، والموسوعة العربية (٥١٨/٤).

أخيه لوطاً الأردن، فأرسله الله عز وجل إلى أهل سَدُوم، فقال لهم: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ يعني: إتيان الذُكران.

﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾.

وقوله: ﴿مُّسْرِفُونَ﴾ أي: مشركون مجاوزون الحلال إلى الحرام.(١) وذلك أنه كانت لهم ثمار وقُرى لم يكن في الأرض مثلها، فقصدهم الناس فآذوهم، فعرض لهم إبليس في صورة شيخ فقال: إن فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فأبوا، فلما ألحَّ الناس عليهم قصدوهم فأصابوا غلمانًا صباحًا فأخبثوا، واستحكم ذلك فيهم.(٢)

قوله: ﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾ أي: يتنزهون ويتحرَّجون عن إتيان أدبار الرجال وأدبار النساء.(٣)

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ أي: المؤمنون به ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾ فإنها ﴿كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ أي: الباقين في العذاب.(٤)

---

(١) قال الرازي رحمه الله:" وإنما ذمهم وعيرهم ووبخهم بهذا الفعل الخبيث؛ لأن الله تبارك وتعالى خلق الإنسان وركب فيه شهوة النكاح لبقاء النسل وعمران الدنيا، وجعل النساء محلاً للشهوة وموضع النسل، فإذا تركهن الإنسان وعدل عنهن إلى غيرهن من الرجال فكأنما قد أسرف وجاوز واعتدى، لأنه وضع الشيء في غير محله وموضعه الذي خُلق له؛ لأن أبدان الرجال ليست محلاً للولادة التي هي مقصودة بتلك الشهوة المركبة في الإنسان". لباب التأويل (٢/٢٦٠).

ينظر: معالم التنزيل للبغوي (٢/١٧٩)، والتفسير الكبير للرازي (١٤/١٣٩)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤/٣٣٧).

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/٢٥٩)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/١٧٩) عن محمد بن إسحاق.

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، والسدي.والتطهّر: التنزّه عن الإثم وما لا يحمد.

ينظر: جامع البيان للطبري (٨/٢٣٥)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٥/١٥١٨)، وتهذيب اللغة للأزهري (٦/٩٩)"طهر".

(٤) قاله جمهور المفسرين. يقال: غَبَرَ إذا بقي. وغُبْرُ كل شيء: بقيته، و غُبَّرُ المرض: بقاياه، وجمعه: أغبار، والغُبَار: ما يبقى من التراب المثار.

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ﴾ أي: الحجارة.(١)

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ وسيأتي تمام القصة في موضعها إن شاء الله. قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ يعني: وأرسلنا إلى ولد مدين بن إبراهيم خليل الرحمن، وهم أصحاب الأيكة،(٢) وهو شعيب بن ميكائيل بن يشجن بن مدين بن إبراهيم عليه السلام.(٣)

ينظر: جامع البيان للطبري (٢٣٦/٨)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٥٩/٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١٩٦/٢)، والمفردات للراغب (ص٣٥٧)، ولسان العرب لابن منظور (٣/٥)"غبر".

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٣٧/٨)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٥٩/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٨٠/٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٤٢٥/٢).

(٢) قاله ابن زيد، والطبري، والبغوي.والأيكة: الشجر الملتف المجتمع. وكانوا أصحاب شجر ملتف. وذهب قتادة ومكي بن أبي طالب إلى أن نبي الله شعيباً عليه السلام أُرسل إلى أمتين من الناس، وعذبتا بعذابين. فأُرسل أولًا إلى قومه في مدين فلم يؤمنوا فأصابهم عذاب الرجفة، ثم أرسل إلى أصحاب الأيكة فلم يؤمنوا فأصابهم عذاب يوم الظلة، والأظهر القول الأول. قال ابن كثير رحمه الله:" وهم أصحاب الأيكة على الصحيح". البداية والنهاية (١٩١/١). وبسط المسألة في سورة الشعراء لأنه لم يوصف هناك بأنه أخاهم بخلاف غيره من الأنبياء عليهم جميعا أفضل صلاة وأزكى سلام.

ينظر: تاريخ الطبري في (١٩٧/١)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٦٠/٤)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٣٩٢٠/٦)، ومعجم ماستعجم للبكري (٢١٦/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٨٠/٢)، ولسان العرب لابن منظور (٣٩٤/١٠)"أيك".

(٣) ذكره الطبري في جامع البيان (٢٣٧/٨)، والثعلبي في الكشف والبيان (٢٦٠/٤)، والبغوي في معالم التنزيل (١٨٠/٢)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٤٧/٧)، وابن كثير في البداية والنهاية (١٨٥/١) عن ابن إسحاق.

واسمه بالسُّريانية: يَثْرُون، وأمّ ميكائيل بنت لوط،(١) وكان يقال لشعيب: خطيب الأنبياء؛(٢) لحسن مراجعته قومه، وكان قومه أهل كفر بالله، وبخس للمكيال والميزان فقال لهم: ﴿يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وهي الرسالة التي أُرسل بها. ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ أي: أتمّوا.(٣)

﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ أي: لا تنقصوهم حقوقهم.(٤)

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ وذلك أن الأرض كانت قبل أن يُبعث إليها شعيبٌ رسولًا يُعمل فيها بالمعاصي، ويُستحلّ فيها المحارم، ويُسفك الدماء بغير حقّها، فذلك فسادها، فلما بُعث شعيب ودعاهم إلى الله تعالى صلحت الأرض، وكل نبي بعث إلى قومه فهو صلاحهم.(٥)

---

(١) ذكره الطبري في تاريخه (١/١٩٦)، والثعلبي في الكشف والبيان (٤/٢٦٠)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/١٨٠).

(٢) ذكره ابن قتيبة في المعارف (ص٤١)، والطبري في جامع البيان (٩/٤)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٥/١٥٢٢)، والحاكم في المستدرك (٢/٦٢٠)، والثعلبي في الكشف والبيان (٤/٢٦٠) عن ابن إسحاق.

(٣) الإيفاء: الإتمام، يقال: وفَى الكيل، ووفَى الشيء: إذا تـمّ. وأوفيته أنا: أتْـمَمْته. وكل شيء بلغ تمام الكمال، فقد وفى وتمّ. ومنه الوفاء: إتمام العهد وإكمال الشرط.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٥/٤٢٠)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦/١٢٩)"وفا".

(٤) قاله جمهور المفسرين وأهل اللغة.والبَخْس: نقص الشيء على سبيل الظلم. ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٢١٩)، وجامع البيان للطبري (٨/٢٣٧)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٥/١٥٢٠)، وتهذيب اللغة للأزهري (٧/٨٨)"بخس"، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٨٠).

(٥) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/٢٦٠)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/١٨٠)، والقرطبيفي الجامع لأحكام القرآن (٧/٢٤٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قوله: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾ أي: طريقٍ ﴿تُوعِدُونَ﴾ أي: تُهدِّدون.(١) ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: وتمنعون من دين الله ﴿مَنْ آمَنَ بِهِ﴾. ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي: وتطلبون لها زيغًا.(٢) وذلك أنهم كانوا يجلسون على الطريق فيذكرون لمن قصد شعيبًا ليُؤمن به أن شعيبًا كذَّابٌ، فلا يفتننَّك عن دينك،[٥٥/أ] وكانوا يتوعَّدون المؤمنين بالقتل ويخوفونهم.(٣)

قوله: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ أي: قال الرؤساء الذين تعظّموا عن الإيمان به: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ أي: لترجِعُنَّ إلى ديننا الذي نحن عليه، وتَدَعُون دينكم.(٤)

---

(١) الوعد: يكون في الخير والشر، يقال: وعدته بنفع وضر، والوعيد في الشر خاصة، يقال: أوعدته بالعذاب، أي: هدَّدته.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٥٢٦)، وتهذيب اللغة للأزهري (٣/٨٥)، والمفردات للراغب (ص٥٢٦)"وعد".

(٢) قاله مجاهد.وعِوَج الطريق وعَوَجُه: زَيْغُه. وعِوَج الدِّين والخُلُق: فساده وميله عن الصراط المستقيم.

ينظر: جامع البيان للطبري (٨/٢٣٩)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٢٦١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٨١)، ولسان العرب لابن منظور (٢/٣٣٢)"عوج".

(٣) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٨/٢٣٩)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٢٦١)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٤/٢٤٤٦)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٨١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٢٣٢).

(٤) قاله جمهور المفسرين.وفي هذه الآية إشكال؛ وهو: أن شعيباً عليه الصلاة والسلام لم يكن قط على ملتهم حتى يرجع إلى ما كان عليه؛ فما معنى قوله: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾؟ وأجيب عن هذا الإشكال بوجوه، **أحدها**: أن أتباع شعيب عليه الصلاة والسلام كانوا قبل الإيمان به على ملة أولئك الكفار فخاطبوا شعيبًا وأتباعه جميعاً فدخل هو في الخطاب وإن لم يكن على ملتهم قط، من باب تغليب حكم الجماعة على الواحد. **الثاني**: معناه: لتصيرن إلى ملتنا، فوقع العود على معنى الابتداء كما

﴿قَالَ﴾ أي: شعيبٌ:﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ يعني: ولو كنا كارهين لذلك فتجبروننا عليه.(١)

قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ أي: إلا أن يكون قد سبق لنا في علم الله ومشيئته أنّا نعود فيها، فيمضي حينئذ قضاء الله فينا، وينفذ حكمه وعلمه علينا.(٢)

قوله: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ﴾ أي: اقض.(٣)

قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ أي: الزلزلة.(٤) وذلك أنه أُرسل إليهم وَمِدَةٌ(٥) وحرٌّ شديدٌ، فأخذ بأنفاسهم، فأخذوا أجواف البيوت فدخل عليهم البيوت فلم ينفعهم ظلٌّ ولا ماء،

تقول: قد عاد عليّ من فلان مكروه، بمعنى: قد لحقني منه ذلك وإن لم يكن قد سبق منه مكروه.
الثالث: أن رؤساءهم قالوا ذلك على سبيل التلبيس على العامّة والإيهام أنه كان منهم.
ينظر: جامع البيان للطبري (١/٩)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٦١/٤)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٤٢٧/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٣٠/٣)، وتفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء لابن تيمية (١٦٠/١).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١/٩)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (٥٨٢/١)، والدر المصون للسمين الحلبي (٣٨٠/٥).

(٢) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٩)، ومعاني القرآن للزجاج (٣٥٥/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٦١/٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (١٩٨/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٨١/٢).

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة، والسدي، والحسن. والفَتح: أن تحكم بين قوم يختصمون إليك، والفتاح: الحاكم.

ينظر: جامع البيان للطبري (٢/٩)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٥٢٣/٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٥٥/٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٥٧/٤)"فتح".

(٤) قاله جمهور المفسرين، كما تقدم ص : ٨١٨

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢٢١/١)، وجامع البيان للطبري (٣/٩)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٤٢٩/٢)، ولسان العرب لابن منظور (١١٢/٩)"رجف".

(٥) الوَمِدَة: سكون الريح مع شدّة الحر، يقال: ليلة ومِدَةٌ وقد ومِدَتْ. وإذا اشتدَّ حرُّ اليوم والليلة مع سكون الريح فهو وَمْدٌ. والوَمِدَة تجيء في صميم الحرّ من قبل البحر، حتى تقع على الناس ليلاً.

وأنضجهم الحرّ، فبعث الله عز وجل سحابة فيها ريح طيّبة، فوجدوا برد الريح وطيبها وظل السحابة، فتنادوا: عليكم بها، فخرجوا إلى البريَّة، فلما اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم ألهبها الله عليهم ناراً، ورجفت بهم الأرض، فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلي، وصاروا رمادًا، وهو﴿عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾[الشعراء:١٨٩].(١)

﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ أي: ميتين.(٢)

قوله: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا﴾ أي: كأن لم يقيموا فيها.(٣)

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ إلا المؤمنون، كما زعموا في قولهم:﴿لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ أي: ذهب من بين أظهرهم حين أتهم العذاب.

قوله:﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ أي: كيف أحزن.(٤)

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٥٣/١٤)، ولسان العرب لابن منظور (٤٧٠/٣)"ومد".

(١) أخرجه الطبري بنحوه في جامع البيان (٤/٩، ١١٠/١٩)، وابن أبي حاتم في تفسـير القرآن (٢٨١٥/٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، والسدي، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢٦٢/٤)، والبغوي في معالم التنزيل (١٨٢/٢).

(٢) قاله جمهور المفسرين، وهو مروي عن قتادة، وابن زيد.

ينظر: تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني (٣٠٥/٢)، وجامع البيان للطبري (٢٣٣/٨)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٥٢٤/٥)، ومعاني القرآن للزجاج (٣٥٨/٢).

(٣) قاله جمهور المفسـرين، وأهل اللغة.يقال: غَنَينا بمكان كذا: أقمنا، ويقال للمنازل: مَغَانٍ، واحدها: مَغْنى.

ينظر: تفسـير غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٧٠)، وجامع البيان للطبري (٥/٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٥٥/٣)، وتفسير السمرقندي (٥٤٨/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٧٥/٨)"غني".

(٤) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، والسدي.والأسى: أشدّ الحزن. يقال: أسيت على الشيء آسَى أَسًى، أي: حزنت عليه.

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ ﴾ يعني: فكذَّبوه ﴿إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا﴾ أي: عاقبنا أهلها حين لم يؤمنوا ﴿بِٱلۡبَأۡسَآءِ﴾ يعني: البؤس والشدّة وضيق العيش، ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ يعني: الضُّر وسوء الحال.(١) ﴿لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ﴾ أي: لكي يتضرعوا حينئذٍ فيُنيبوا ويتوبوا.

﴿ ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ﴾ أي: الجدب والجوع ﴿ ٱلۡحَسَنَةَ ﴾ يعني: النعمة والسعة والرخاء والخصْب.(٢) ﴿حَتَّىٰ عَفَواْ﴾ أي: كثروا وكثرت أموالهم.(٣)

﴿وَّقَالُواْ﴾ أي: من غِرّتهم(٤) وغفلتهم وجهلهم ﴿قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ﴾ أي: فـجْـأةً(٥) ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ أي: بـوقـت مجـيء العذاب.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢٢٢/١)، وجامع البيان للطبري (٦/٩)، ومعاني القرآن للزجاج (٣٥٩/٢)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٠٦/١)"أسي"، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٣٣/٣).

(١) قاله الطبري، والثعلبي، والراغب، والبغوي.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦/٩)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٦٤/٤)، والمفردات للراغب (ص٦٦ ، ٢٩٣)"بؤس، ضر"، ومعالم التنزيل للبغوي (١٨٣/٢).

(٢) قاله عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٥٦/٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٨٣/٢)، ولباب التأويل للخازن (٢٦٥/٢).

(٣) قاله جمهور المفسرين، وأهل اللغة، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد.

ينظر: جامع البيان للطبري (٧/٩)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٥٢٦/٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٥٦/٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٤٣/٣)"عفا".

(٤) الغِـرُّ: الذي لا يفطُن للشر ويغفل عنه. يقال: اغترَرْتُه واستغْرَرْتُه، أي: أتيته على غِرّة، أي: على غفلة. والغِرَّة: غفلة في اليقظة، والغِرَار: غفلة مع غفوة.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٦/٨)"غر"، والمفردات للراغب (ص٣٥٨)"غرر".

(٥) قاله عامة المفسرين. والبَغْتُ: مفاجأة الشيء من حيث لا يحتسب.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ﴾ أي: وحّدوه وأطاعوه ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني: المطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ يعني: النبات، وأراد: تابعنا عليهم بالمطر والنبات والخصـب، ورفعنا القحط والجدب.[١] ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم﴾ أي: فجعلنا لهم العقوبات ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ من الكفر والأعمال الخبيثة.

قوله: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ أي: أخذه وعذابه في حال تظاهر النعم عليهم وغفلتهم.[٢]

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: أو لم يبيّن[٣] للذين يستخلفون في الأرض بعد هلاك آخرين قبلهم، كانوا أهلها فساروا بسيرتهم، وعملوا أعمالهم، وعتوا على ربهم. ﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي: أهلكناهم كما أهلكنا من قبلهم.

ينظر: جامع البيان للطبري (٩/٩)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٣٦٠)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٤/٢٤٥٩)، والمفردات للراغب (ص٥٥)"بغت".

(١) ينظر: معاني القرآن للنحاس (٣/٥٧)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٢٦٥)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٨٣).

(٢) المكر: صرف الغير عما يقصده بحيلة، وذلك ضربان: مكر محمود، وذلك أن يفعل ذلك بمن يستحق أن يمكر به. ومذموم، وهو: أن يدبر ذلك بمن لا يستحقه. والمكر ثابت لله تعالى كما أثبته لنفسه العلية، وذلك على سبيل المقابلة، وعلى ما يليق بجلاله تعالى، وليس مكره كمكر المخلوقين، كما أن ذاته ليست كذات المخلوقين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٩/٩)، والتوحيد لابن منده (ص٧٤٧)، والمفردات للراغب (ص٤٧١)"مكر"، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٢٠/٤٧١)، وإعلام الموقعين لابن القيم (٣/٣٦٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٢٣٥).

(٣) قاله جمهور المفسرين، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، والسدي، وابن زيد.
ينظر: جامع البيان للطبري (٩/٩)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٣٦١)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٢٦٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٢٣٥).

﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: ونختم على قلوبهم[١] ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي: الهدى، فلا يقبلون الموعظة.

قوله: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ أي: قُرى قوم نوح وعاد وثمود، وقوم لوط وشعيب.

﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾ أي: نخبرك بأخبارها.

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بالآيات والعلامات والأوامر والنواهي.

﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ يعني: والله أعلم أنهم كذبوا الرسل في ابتداء دعوتهم.[٢]

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ﴾ كان اسم فرعون: الوليد بن مصعب بن الريان،[٣] وكان من القِبْط،[٤]

---

(١) معنى: (طبَعَ) في اللغة و(خَتَم) واحدٌ، وهو: التغطية على الشـــيء، يقال: طَبَعَ الله على قلب الكافر، أي: ختم عليه فلا يعي وعظاً ولا يوفَّق لخير. والطابَع: الخاتم.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢/١١٠)، والمفردات للراغب (ص٣٠١)"طبع".

(٢) ذكره الزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والرازي، واستظهره أبو حيان.

ينظر: الكشاف للزمخشري (٢/١٢٧)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/٤٣٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/٢٣٦)، والتفسير الكبير للرازي (١٤/١٥٣)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤/٣٥٤).

(٣) ذكره ابن قتيبة في المعارف (ص٤٣)، والطبري في جامع البيان (١/٢٧٠)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٩/٢٩٤٤)، والمســـعودي في مروج الذهب (١/١٤) عن ابن إســـحاق. ومثل هذا يحتاج إلى دليل.

(٤) القِبْط: أهل مصر، والنسبة إليهم قِبْطِيّ وقِبْطِيّة، ويجمع على: قِبَاطي، وهو: ثياب بيض من كتان يتخذ بمصر.

ينظر: العين للخليل (٥/١٠٩)، وتهذيب اللغة للأزهري (٩/٣٣)"قبط".

وعَمَّر أكثر من أربعمائة عام.(١) ﴿إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لما قال ذلك، قال فرعون: كَذَبْتَ، فقال موسى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: أطلقْهم وخلِّهم.

﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ أي: حيَّة عظيمة، توجهت نحو فرعون لتأخذه، فوثب فرعون من سريره وهرب منها، وأخذت وحملت على الناس فصاحوا وانهزموا، ودخل فرعون البيت وصاح: يا موسى خذها؟ وأنا أومن بك، وأرسل معك بني إسرائيل، فأخذها موسى وعادت عصًا كما كان، ثم قال له فرعون: هل معك آية أخرى؟ [٥٥/ب] قال: نعم، فأدخل يده جيبه، ثم نزعها منه فإذا هي بيضاء، لها شعاع غلب نور الشمس، وكان موسى آدم اللون، ثم أدخلها جيبه فصارت كما كان.(٢)

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ يعنون أنه يأخذ بأعين الناس، بأن يُخيِّل إليهم العصا حيَّة، وآدم أبيض.(٣)(٤)

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/٢٦٧)، ومكي بن أبي طالب في تفسير الهداية (٨/٥٤٨٥) عن وهب بن منبه، وأورده البغوي في معالم التنزيل (١/٦٩)، والرازي في التفسير الكبير (٣/٦٣) دون نسبة.

(٢) ذكره الطبري في جامع البيان (٩/١٤) وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٨/٢٧٥٩)، والثعلبي في الكشف والبيان (٤/٢٦٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/٥١٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، والسدي.

(٣) آدم: السُّمرة الشديدة، وآدم عليه السلام أبو البشر، قيل سمي بذلك لسمرة في لونه، يقال رجل آدم أي: أسمر. اشتقاقه من أُدْمة الأرض، وهو لونها، والأُدْمة في الناس: شُرْبة من سواد. والمعنى أن لونه الذي يميل للسواد أبيض.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٤/١٥٠)، والمفردات للراغب (ص١٤)"أدم".

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٩/١٦)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٢٦٨)، ومعالم التنزيل للبغوي

﴿ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم ﴾ أي: يا معشر القبْط ﴿مِّنۡ أَرۡضِكُمۡ﴾ أي: مصر.

﴿فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ﴾ هذا من قول فرعون وإن لم يذكر اسمه.[١]

﴿قَالُوٓاْ ﴾ يعني: الملأ ﴿أَرۡجِهۡ ﴾ أي: أخِّره[٢]﴿وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾ أي: الشُّرَط.[٣]

﴿ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ ثم بعث فرعون في مملكته، فلم يترك في سلطانه ساحرًا إلا أتى به، وكانوا اثنين وسبعين ساحرًا.[٤]

(١٨٦/٢).

(١) قاله الطبري، والثعلبي، ومكي، وابن الجوزي. ويؤيد كونها من كلام فرعون قوله تعالى بعده: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ ﴾.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٦/٩)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٦٨/٤)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢٤٨٧)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٣٨/٣).

(٢) قاله جمهور المفسرين، وأهل اللغة.والإرجاء في كلام العرب: التأخير، يقال: أرجيت هذا الأمر وأرجأته إذا أخرته. ومنه قول الله تعالى: ﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ ﴾[الأحزاب:٥١]، أي: تؤخر من تشاء منهن.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢٢٥/١)، وجامع البيان للطبري (١٦/٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٦٢/٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢٠٣/٢)، ولسان العرب لابن منظور (٨٣/١)"رجأ".

(٣) قاله جمهور المفسرين. والمراد: أرسِل الشُّرط في الأقاليم ومدائن ملكك يجمعون لك السحرة من سائر البلاد.

ينظر: جامع البيان للطبري (٨١/٩)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٦٨/٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢٠٣/٢)، والمفردات للراغب (ص١١٩)"حشر".

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢٦٨/٤)، والماوردي في النكت والعيون (٤١٣/٣)، والسمعاني في تفسير القرآن (٢٠٣/٢)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. واختلف المفسرون في عدد السحرة إلى أقوال، والصحيح عدم الجزم بعدد السحرة، لعدم ثبوت ذلك عن المعصوم ﷺ. قال ابن عطية رحمه الله:"وهذه الأقوال ليس لها سند يوقف عنده". المحرر الوجيز (٤٣٨/٢). وقال أبو حيان رحمه الله:"

قوله: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ﴾ أي: أرهبوهم وأفزعوهم.

﴿وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ﴾ وذلك لأنهم جاءوا بحبال وعصيٍّ كثيرة يتخيل إلى الناظرين أنها تسعى. ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَ﴾ فألقاها ﴿فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ﴾ أي: تبتلع.(١) ﴿مَا يَأۡفِكُونَ﴾ أي: يكذبون.(٢) ﴿فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ﴾ أي: ظهر.

قوله: ﴿صَٰغِرِينَ﴾ أي: ذليلين مقهورين.(٣) ﴿وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾ أي: ألقاهم الله،(٤) من سرعة ما سجدوا كأنهم أُلْقُوا.(٥) وباقي الآيات ظاهر التفسير.

واضطرب الناقلون للأخبار في عددهم اضطراباً متناقضاً يعجب العاقل من تسطيره في الكتب". تفسير البحر المحيط (٣٦٠/٤).

(١) اللَّقْف، مصدر لقفْتُ الشيء ألقَفُه لقْفاً: إذا أخذته فأكلته أو ابتلعته.

ينظر: العين للخليل (١٦٤/٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٣١/٩)"لقف".

(٢) الإفك: الكذب، يقال: أَفِكَ يَأفِكُ إِفْكًا: إذا كذب، وأصله صرف الكلام من الحق إلى الباطل، ومنه: الأَفَّاك: الذي يأفك الناس عن الحق، أي: يصدهم عنه بالكذب والباطل.

ينظر: العين للخليل (٤١٦/٥)، والمفردات للراغب (ص١٩)"أفك".

(٣) أصل الصَّغَار: الذلة والمهانة. وهو مصدر من قول القائل: صَغُرَ يصْغُر صَغَارًا وصَغَرًا، وهو أشد الذُّل.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٦٠/٨)، والمفردات للراغب (ص٢٨١)"صغر".

(٤) قاله مقاتل بن سليمان. وليس المراد - والله أعلم - أنهم أُجبروا على السجود؛ وإلا لما كانوا محمودين، بل المراد أن الله تعالى ألهمهم ووفقهم للسجود فسجدوا طائعين، وأنهم من سرعة ما سجدوا كأنهم أُلْقُوا. قال ابن الجوزي رحمه الله:"وإنما سجدوا باختيارهم، لأنه لما زالت كل شبهة بما أظهر الله تعالى من أمره اضطرهم عظيم ما عاينوا إلى مبادرة السجود، فصاروا مفعولين في الإلقاء تصحيحًا وتعظيما لشأن ما رأوا من الآيات". زاد المسير (٢٤٢/٣).

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣٣٤/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٧٠/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٨٨/٢)، والتفسير الكبير للرازي (٧٥/٢٢)، ولباب التأويل للخازن (٢٧٢/٢).

(٥) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢٧٠/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٨٨/٢)، والتفسير الكبير

قوله: ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ ﴾ نَقَم: إذا أنكر على إنسان فعْلَه.(١)

قوله:﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ أي: ثبتنا عليه حتى تقبض أرواحنا عليه، فأصبحوا كفارًا سحرة، وأمسوا شهداء بررة. ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ ﴾ أي: قالوا لفرعون: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ ﴾ أي: أتَدَعُ موسى. ﴿ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: لكي يفسدوا عليك خدمك وعبيدك في أرض مصر. ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾ أي: وليذرك.(٢) وكان فرعون صنع لقومه أصنامًا صغارًا، وأمرهم بعبادتها، وقال: أنا ربكم ورب هذه الأصنام، فذلك قوله تعالى:﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات:٢٤].(٣) ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ أي: غالبون.(٤) ﴿ قَالَ ﴾ لهم ﴿مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟

للرازي (١٤/١٦٨).

(١) يقال: نَقَمْتُ الشيء: إذا نكرته إما باللسان وإما بالعقوبة. قال ابن فارس رحمه الله:" النون والقاف والميم: أصل يدل على إنكار شيء وعيبه، ونَقَمْتُ عليه أنقُمُ: أنكرت عليه فعله، والنقمة من العذاب والانتقام، كأنه أنكر عليه فعاقبه". معجم مقاييس اللغة (٥/٤٦٤)"نقم".

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٩/١٦٢)، والمفردات للراغب (ص٥٠٤)"نقم".

(٢) أي: أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض وليذرك وآلهتك؛ كالتوبيخ منهم لفرعون على ترك موسى عليه السلام ليفعل هذين الفعلين. فقوله: ﴿وَيَذَرَكَ ﴾ منصوبٌ على العطف على: ﴿لِيُفْسِدُوا۟ ﴾.

ينظر: جامع البيان للطبري (٩/٢٤)، والكشاف للزمخشري (٢/١٣٤)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/٥٨٩).

(٣) ذكره السمرقندي في تفسيره (١/٥٥٥)، والواحدي في الوجيز (١/٤٠٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/٢٤٤)، والخازن في لباب التأويل (٢/٢٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، والسدي.

(٤) القهر: الغلبة والتذليل معًا، ويستعمل في كل واحد منهما. يقال: قَهَرَه يَقْهَرُه قَهْراً: غلبه. قال ابن عطية رحمه الله:"و﴿قَٰهِرُونَ ﴾ يقتضي تحقير أمرهم، أي: هم أقلّ من أن يهتم بهم". المحرر الوجيز (٢/٤٤١).

ينظر: العين للخليل (٣١/٣٦٦)، والمفردات للراغب (ص٤١٤)، ولسان العرب لابن منظور

﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ يعني: النصر والظفر.[١] ﴿قَالُوٓا۟ أُوذِينَا﴾ أي: بقتل الأبناء، واستخدام النساء، والتسخير.

﴿مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا﴾ أي: بالرسالة ﴿وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ أي: بها. واعلم أن القوم كانوا أصنافًا في أعمال فرعون، فأما ذوو القوة منهم فينحتُون السواري[٢] من الجبال، قد قَرِحَتْ[٣] أعناقُهم وعواتقهم وأيديهم، ودَبِرَتْ ظهورُهم[٤] من قَطْع ذلك ونقله، وطائفةٌ أخرى قد قَرِحُوا من نقل الحجارة والطين يبنون له القصور، وطائفةٌ يلبِنُون اللَّبِن[٥] ويطبخون الآجرَّ،[٦] وطائفة نجَّارون وحدَّادون، والضَّعَفة منهم عليهم الخَراج[٧] ضريبةً،[٨] يؤدونها كل

(١٢٠/١)"قهر".

(١) ينظر: والكشف والبيان للثعلبي (٢٧٢/٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢٠٦/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٨٩/٢) عن وهب بن منبه.

(٢) أي: يقطعون السواري. يقال: نَحَتَ الجبل يَنْحِتُه: إذا قطعه. ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٠٤/٥)، والمفردات للراغب (ص٤٨٤)"نحت".

(٣) قَرِحَتْ: بمعنى تجرَّحت، والقَرِيح: الجريح.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢٥/٤)، ولسان العرب لابن منظور (٥٥٧/٢)"قرح".

(٤) أي تقرَّحَت ظهورهم ، يقال: دَبرَ ظهرُ الدابة: أي قَرِحَ.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٧٨/١٤)، ولسان العرب لابن منظور(٢٧٢/٤)"دبر".

(٥) أي: يضربون اللَّبِن: واللَّبِن: بفتح اللام وكسر الباء: المضروب من الطّين مربَّعا. واحدة اللَّبِن، وهي التي يبنى بها الجدار.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢٦١/١٥)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٣٢/٥)"لبن".

(٦) الآجُرّ: طبيخ الطين. الواحدة: أُجُرَّةٌ وآجُرَّةٌ وآجِرَّة.

ينظر: لسان العرب لابن منظور (١١/٤)، وتاج العروس للزبيدي (٢٩/١٠)"أجر".

(٧) أصل الخراج: ما يُخرج من غلّة الأرض، ثم سمي ما يأخذ السلطان خَراجًا، فيقال: أدّى فلان خراج أرضه، وأدّى أهل الذمة خراج رؤوسهم، يعني: الجزية.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢٥/٧)، ولسان العرب لابن منظور (٢٥١/٢)"خرج".

(٨) الضَّريبة: ما وُضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدى عنها.

يوم، فمَن غربت عليه الشمس قبل أن يؤدي ضريبته غُلَّت يمينه إلى عنقه شهرًا، وأما النساء فيغزلن الكتّان وينْسُـجْنه.[(١)] فقال موسـى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ يعني: فرعون. ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: ويسكنكم أرض مصر ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ فحقق الله تعالى ظنّ موسى، وأغرق فرعون، واستخلفهم في ديارهم وأموالهم. ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ﴾ أي: بالجدوب سنةً بعد سنةً.[(٢)]

﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾ أي: الخصْب والسَّعة ﴿قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ أي: أُعطيناها باستحقاقٍ ونحن أهلها.[(٣)]

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أي: جدبٌ أو ضرٌ ﴿يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ أي: يتطيروا، يعني: يتشاءموا،[(٤)] فقالوا: ما رأينا شرًّا ولا أصابنا بلاء حتى رأيناكم. وذلك أن فرعون كان

ينظر: العين للخليل (٧/٣٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٢/١٧)"ضرب".

(١) ذكره الثعلبي في الكشـف والبيان (٤/٢٧٢)، والبغوي في معالم التنزيل (١/٦٩)، والخازن في لباب التأويل (١/٥٦) عن وهب بن منبه.

(٢) السَّنَة في كلام العرب: القحْط، يقال: مستهم السَّنَة، ومعناه: جَدْب السَّنَة وشدّة السَّنَة.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٦/٨٠)، والمفردات للراغب (ص٢٤٥)"سنة".

(٣) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٩/٢٩)، وتفســير الهداية لمكي بن أبي طالب (٤/٢٥٠٥)، والوجيز للواحدي (١/٤٠٩)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/٢٠٧).

(٤) قاله عامة المفسرين وأهل اللغة.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٣/٦٧)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٤/٢٥٠٥)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٩٠)، والمفردات للراغب (ص٣٠٩)"طير".

ملكهم أربعمائة سنة،[١] وعاش ثلاثمائة وعشرين سنة لم ير مكروهًا.[٢] ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: حظهم من الخصب والضيق.[٣]

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا﴾ يعني: أيّ شيء تأتينا به.[٤]

قوله تعالى: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ أي: المطر الذي يغرق من كثرته، وقد دام الطوفان على قوم فرعون سبعة أيام، حتى امتلأت بيوت القِبْط، ولم يدخل بيوت بني إسرائيل من الماء قطرةٌ.[٥]

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٧٢/١)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١٥٥٥/٥) عن أبي العالية، وذكره الزمخشري في الكشاف (١٣٦/٢).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١٥٣١/٥) عن محمد بن المنكدر، وذكره السمرقندي في تفسيره (١٢٨/٢)، والزمخشري في الكشاف (١٣٦/٢).

(٣) قاله جمهور المفسرين.قال ابن قتيبة رحمه الله:" وإنما قيل للحظ من الخير والشر: طائر؛ لقول العرب: جرى له الطائر بكذا من الخير، وجرى له الطائر بكذا من الشر؛ على طريق الفأل والطِّيَرة، وعلى مذهبهم في تسمية الشيء بما كان له سببًا، فخاطبهم الله بما يستعملون". تفسير غريب القرآن (ص٢٥٢).

ينظر: جامع البيان للطبري (٣٠/٩)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢٥٠٦/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٩٠/٢).

(٤) قوله: ﴿مَهۡمَا﴾ حرفٌ للشرط، وأصله: (ما ما) فـ(ما) الأولى للشرط، والثانية تأكيد، فاستثقل حرفان بلفظ واحد فأبدلوا من ألف (ما) الأولى (هاءً).

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٣٦٩/٢)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (٥٩٠/١)، والدر المصون للسمين الحلبي (٤٢٩/٥).

(٥) ينظر: الوجيز للواحدي (٤٠٩/١)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢٠٧/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٩١/٢).

قوله: ﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾ هو السُّوس الذي يخرج من الحنطة.(١) وذلك أنه لما آمنت السحرة، رجع عدو الله فرعون معلولًا مغلوبًا، ثم أبى هو وقومه إلا الإقامة على الكفر، فتابع الله عليهم بالآيات، وأخذهم ﴿بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾، ثم دعا موسى فقال: يا رب إنَّ عبدك فرعون بغى وعتا وإن قومه قد نقضوا عهدك، فخُذْهُم بعقوبة تجعلها لهم نقمة، ولقومي عظة، ولمن بعدهم من [٥٦/أ] الأمم الباقية آية وعِبرة. فبعث الله عليهم الطوفان، فلما جهدوا ولم يقدروا على الحرث وعمل شيء بسبب دوام الماء، قالوا لموسى ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ يكشف عنّا المطر، فنؤمن لك، ونرسل معك بني إسرائيل، فرفع عنهم الطوفان، ولم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل، وعادوا بشَرّ ما كانوا عليه، فأنبت الله لهم في تلك السنة شيئا لم ينبته لهم قبل ذلك من الكلأ والزرع والثمر، وأعشبَتْ(٢) كلؤهم وأخْصَبتْ،(٣) وقالوا: هذا ما كنا نتمنى، وما كان هذا الماء إلا نعمة علينا وخصبًا، وما يسرّنا أنا لم نمطر، فأقاموا شهرًا في عافية، فبعث الله عليهم الجراد، فأكلت عامة زروعهم وثمارهم، وأوراق الشجر وأنواع الزهر، حتى إن كانت لتأكل الأبواب وسُقوف البيت والخَشب والثياب والأمتعة ومسامير الأبواب من الحديد، حتى تقع دورهم، غير أنه لا يدخل بيوت بني إسرائيل، فعجُّوا وضجُّوا، وقالو: ﴿يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وأعطوا عهد الله وميثاقه، فدعا موسى عليه السلام، فكشف الله عنهم الجراد، وكان قد بقيْت من زروعهم وغلّاتهم بقيّة، فقالوا: قد بقي لنا ما هو كافينا، وما نحن بتاركي ديننا، ولا نرسل معك بني إسرائيل، ولم يَفُوا بما عهدوا، وعادوا إلى أعمالهم السوء، فأقاموا

---

(١) ينظر: العين للخليل (١٧٥/٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٥٢/٩)"قمل".

(٢) أعشبَتْ، أي: أنبتت نباتها. والعُشْب: الكلأ الرَّطْب، يقال: أعشَبَت الأرض: إذا كثر عُشْبها، وأعشب الرجل: أصاب العُشْب.

ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٢٣/٤)، وتاج العروس للزبيدي (٣٧٢/٣) "عشب".

(٣) الخَصْب: نقيض الجَدْب، وهو كثرة العُشْب ورفاهة العيش.

ينظر: العين للخليل (١٨٩/٤)، ولسان العرب لابن منظور (٣٥٥/١)"خصب".

شهرًا في عافية، ثم بعث الله عزو جل عليهم القُمَّل، وأمر موسى عليه السلام أن يمشي إلى كثيب أعفر،[١] بقرية من قرى مصر، تُدعى عين الشمس،[٢] فمشى موسى عليه السلام، إلى ذلك الكثيب،[٣] وكان أهْيَل[٤] عظيمًا، فضربه بعصاه فانثال[٥] عليهم قمَّلا، فتتبع ما بقي من حروثهم وأشجارهم ونباتهم، فأكله ولحس الأرض كلها، وكان يأكل أحدهم الطعام فيمتلئ قمّلًا، حتى إن أحدهم ليبني الاسطوانة[٦] بالجِصِّ،[٧] فيُزلقها، حتى لا يرتقي فوقها شيء، يرفع فوقها الطعام، فإذا صعد إليه ليأكله، وجده ملآن قمّلا، ولم يُصابوا بلاء كان أشد عليهم من القمَّل، وأخذت أشعارهم وأبشارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم، ولَزِم جلودهم كأنه الجُدَري[٨] عليهم، ومنعتهم النوم والقرار، فلم يستطيعوا له حيلة، فصرخوا وصاحوا إلى موسى عليه السلام إنا نتوب ولا نعود، فادع لنا ربك فيكشف

---

(١) العُفْرة: غُبْرَة في حمرة، يقال: عَفِرَ عَفَرًا وهو أَعْفَرُ.

ينظر: العين للخليل (٢/١٢٢)، ولسان العرب لابن منظور (٤/٥٨٣)"عفر".

(٢) عين شمس: من المدن المصرية القديمة، يقال إن بها مساكن لفرعون، وبها آثار عجيبة ، وهي اليوم جزء من القاهرة.

ينظر: معجم ماستعجم للبكري (٣/٩٨٧)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (٤/١٧٨).

(٣) الكثيب: ما اجتمع من الرمل وارتفع، وجمعه: كُثُب.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٠/١٠٥)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/١٦٢) "كثب".

(٤) الهَيْل والهَائل: من الرمل الذي لا يثبت مكانه حتى ينهال فيسقط، ورمل أَهْيَل مُنْهال لا يثبت.

ينظر: العين للخليل (٤/٨٩)، ولسان العرب لابن منظور (١١/٧١٣)"هيل".

(٥) انْثَال عليه الترابُ، أي: انصَبَّ. يقال: ثال يثول ثولًا: إذا صب ما في الإناء.

ينظر: النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (١/٢٣٠)، ولسان العرب لابن منظور (١١/٩٥) "ثول".

(٦) الاسطوانة: السارية.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٢/٢٣٧)، ولسان العرب لابن منظور (١٣/٢٠٨)"سطن".

(٧) الجِصُّ : ما يبنى به، يقال: جصَّص البناء: طلاه بالجِصِّ، ورجل جَصَّاص: صانع للجص.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٠/٢٤١)، وتاج العروس للزبيدي (١٧/٥٠٥)"جص".

(٨) الجُدَرِي: قروح في البدن قروح تَنفِطُ عن الجلد؛ مُمْتَلِئَة ماءً ثمّ تُقيِّحُ. يقال: رجُلٌ مجدُور ومجدَّرٌ.

ينظر: العين للخليل (٦/٧٤)، ولسان العرب لابن منظور (٤/١٢٠)"جدر".

عنا هذا البلاء، فدعا موسى عليه السلام، فرفع الله القمَّل عنهم بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت، فنكثوا وعادوا إلى أخبث أعمالهم، وقالوا: ما كنا قط أحقَّ أن نستيقن أنه ساحر منا اليوم، يجعل الرمل دواب، وعزة فرعون لا نصدِّقه أبدًا ولا نتبعه. فدعا موسى عليه السلام عليهم بعد ما أقاموا شهرًا في عافية، فأرسل الله عليهم الضفادع، فدخلت عليهم دورهم، وامتلأت منها بيوتهم وأطعمتهم وأفنيتهم وآنيتهم، فلا يكشف أحد ثوبًا ولا إناءً ولا طعامًا ولا شرابًا إلا وجد فيه الضفادع، وكان الرجل يجلس إلى ذقنه في الضفادع، ويَهُمّ أن يتكلم فيثب الضفدع في فيه، وكانت تثب في قدورهم فتفسد عليهم طعامهم، وكان أحدهم يضطجع فتركبه الضفادع، فيكون عليه ركامًا حتى ما يستطيع أن ينقلب إلى شقّه الآخر، ويفتح فاه لأكلته فيسبق الضفدع أكلته إلى فيه، ولا يعجن عجينًا إلا تسدَّحَتْ[1] فيه، ولا يطبخ قِدرا إلا امتلأت ضفادع، فلقوا منها أذى شديدًا. فلما نقضوا العهد أرسل الله عليهم الدّم، فسال النيل عليهم دمًا، وصارت مياههم كلها دمًا، فما يستقون من الأنهار والآبار إلا وجدوه دمًا عبيطًا[2] أحمر، فشكوا إلى فرعون، وقالوا: إنا قد ابتلينا بهذا الدم، وليس لنا شراب، فقال: إنه قد سحركم، فقالوا: من أين سحرنا؟ ونحن لا نجد في أوعيتنا شيئًا من الماء إلا دمًا عبيطًا؟ وكان فرعون يجمع بين الرجلين على الإناء الواحد، القبطي والإسرائيلي، فيكون ما يلي الإسرائيلي ماء، وما يلي القبطي دمًا، وكان القبطي والإسرائيلي يستقيان من ماء واحد، فيخرج ماء القبطي دمًا، ويخرج للإسرائيلي ماء عذبا، فيقومان إلى الجَرّ[3] فيه الماء فيخرج للإسرائيلي ماء، ويخرج للقبطي دمًا، حتى إن المرأة من آل فرعون كانت تأتي المرأة من بني

---

(١) انْسدح الرجل: استلقى وفرّج رجليه، والسَّدْح: الصَّرع بطحا على الوجه أو إلقاء على الظهر لا يقع قاعدا ولا متكوِّرا.

ينظر: العين للخليل (٣/١٣١)، ولسان العرب لابن منظور (٢/٤٧٧)"سدح".

(٢) أي: طريًّا.

ينظر: العين للخليل (٢/٢٠)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢/١٠٩)"عبط".

(٣) الجَرُّ: آنية من خزف، الواحدة: جَرَّة، والجميع: جِرَار.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٠/٢٥٤)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/٤١٠)"جر".

إسرائيل، حين جهدهم العطش فتقول: [٥٦/ب] اسقيني من ماءك؟ فتغرف لها من جرّتها، أو تصبّ لها من قربتها، فيعود في الإناء دمًا، حتى إن كانت لتقول لها: اجعليه في فيك ثم مُجِّيه في فيَّ، فتأخذ في فِيْهَا ماء، فإذا مَجَّته في فِيْها صار دمًا، قال والنيل على ذلك يسقي الزروع، فإذا ذهبوا ليستقوا من بئر الزرع عاد الماء دمًا عبيطًا، وإن فرعون اعتراه العطش حتى إنه ليضطر إلى مضغ الأشجار الرطْبة، فإذا مضغها يصير ماؤها في فيه ملحًا أُجاجًا، فمكثوا في ذلك سبعة أيام، لا يأكلون إلا الدم، ولا يشربون إلا الدم، فأتوا موسى عليه السلام وقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الكرب؛ فنؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربه فكشف، فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل، فذلك قوله عز وجل ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ ﴾ الآية.(١)

قوله:﴿مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ أي: يتبع بعضها بعضًا.(٢)

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/٣٤)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٥/١٥٤٥)، وأورده مكي في تفسير الهداية (٤/٢٥١٣)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/١٩٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وسعيد بن جبير، والسدي، وقتادة، وابن إسحاق، دخل حديث بعضهم في بعض. والذي دلّت عليه الآية أن الله تعالى أرسل عليهم الطوفان والجراد والقمّل والضفادع والدم، وأما كيفية الإرسال، ومكث ما أُرسل عليهم من الأزمان والهيئات فمرجعه إلى النّقل عن الأخبار الإسرائيلية؛ إذ لم يثبت من ذلك في الحديث النبوي شيء يعتمد عليه.

ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٢/٤٤٥)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤/٣٧٣).

(٢) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وابن جريج، وابن إسحاق.

ينظر: جامع البيان للطبري (٩/٤٠)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٥/١٥٤٩)، والدر المنثور للسيوطي (٣/٥٢٤).

قوله: ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ ﴾ يعني: نزل عليهم العذاب،[١] وهو العذاب السادس، وهو الطاعون.[٢] وذلك أن موسى عليه السلام أمر قومه من بني إسرائيل بعد ما جاء قوم فرعون بالآيات الخمس فلم يؤمنوا أن يذبح كل رجل منهم كبشا، ثم يُخضِّب[٣] كفّه في دمه، ثم يضرب به على بابه، فقال القِبْط لبني إسرائيل: لم تعالجون هذا الدم على أبوابكم؟ فقالوا: إن الله تعالى يرسل عليكم عذابًا فنسلم وتهلكون، فقال القبط: فما يعرّفكم الله إلا بهذه العلامات، فقالوا: هكذا أمَرَنا نبينا عليه السلام ، فأصبحوا وقد طُعن من قوم فرعون سبعون ألفا، فأمسوا وهم لا يتدافنون، فقال فرعون عند ذلك لموسى عليه السلام: ﴿يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ﴾[٤] أي: بما أوصاك به، وتقدّم إليك أن تدعوه.

---

(١) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٩/٤٠)، وتفسـير القرآن لابن أبي حاتم (٥/١٥٥٠)، والنكت والعيون للماوردي (٢/٢٥٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٩٣).

(٢) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وسعيد بن جبير. ويشهد لذلك ما جاء في الصحيحين عن أسامة ابن زيد رضـي الله عنهما أنه سمع رسـول الله ﷺ يقول: « الطاعون رجز أو عذاب أُرسـل على بني إسـرائيل -أو على من كان قبلكم- فإذا سمعتم به بأرض، فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها، فلا تخرجوا فرارا منه ». (صحيح مسلم (٤/١٧٣٧)، برقم: (٢٢١٨)، كتاب السلام/باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، وأخرجه البخاري في الصـحيح (٦/٢٥٥٧)، برقم: (٦٥٧٣)، كتاب الحيل/ باب ما يكره من الاحتيال في الفرار من الطاعون).

ينظر: جامع البيان للطبري (٩/٤٠)، وتفسـير القرآن لابن أبي حاتم (٥/١٥٥٠)، والنكت والعيون للماوردي (٢/٢٥٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٩٣).

(٣) أصل الـخِضَاب: ما يُـخْضَب به مِن حِنَّاء وكَتَم ونحوه. يقال: اخْتَضَب الرجل واخْتَضَبَت المرأة، وكل ما غُيِّر لونه فهو مَخْضُوب.

ينظر: العين للخليل (٤/١٧٨)، ولسان العرب لابن منظور (١/٣٥٧)"خضب".

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/٤٠)، وابن أبي حاتم في تفسـير القرآن (٥/١٥٥٠)، وأورده مكي بن أبي طالب في تفسير الهداية (٤/٢٥١٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/٥٢٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وسعيد بن جبير.

﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ﴾ وهو: الطاعون ﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾ يعني: الغرق.[١] ﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ أي: العهد.[٢] ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ أي: فانتصرنا.[٣] ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ وهو البحر[٤] ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا﴾ أي: عن النقمة قبل حلولها ﴿غَٰفِلِينَ﴾.[٥]

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾

يعني: مصر والشام[٦] ﴿ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ أي: بالماء والأشجار والثمار.

---

(١) قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

ينظر: تفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٥٥٠/٥)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢٥٢٠/٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢٠٩/٢).

(٢) نَكَثَ العهد ينكُثُه نَكْثًا أي: نقضه بعد إحكامه.

ينظر: العين للخليل (٣٥١/٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٠٤/١٠)"نكث".

(٣) قاله أبو سليمان الدمشقي، والطبري.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤٢/٩)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٥٢/٣).

(٤) ينظر: العين للخليل (٤٣١/٨)، وتهذيب اللغة للأزهري (٤٦٠/١٥)"يم".

(٥) ينظر: جامع البيان للطبري (٤٢/٩)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٩٣/٢).

(٦) قاله الحسن، والبغوي.

ينظر: جامع البيان للطبري (٤٣/٩)، والنكت والعيون للماوردي (٢٥٤/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٩٤/٢).

وإنما ذكره بكلمة الميراث لأنه أورثهم ذلك بعد هلاك أهلها من العمالقة والفراعنة.[١]

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ﴾ أي: تحققت عِدَة الله إياهم بالنصر والتمكين في الأرض.

قوله: ﴿وَدَمَّرْنَا﴾ أي: أهلكنا وتبّرنا.[٢]

﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾ أي: في أرض مصر من العمارات.

﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ أي: من الثمار والأعناب.[٣]

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ أي: عبرنا بهم بعد الآيات التي رأوها، والعبر التي عاينوها، وكان يوم عاشوراء، فصام موسى يومئذ شكرا لله.[٤]

﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ أي: كآلهة جعلوها لهم.[٥]

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٩/٤٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٢٧٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٢٤٣).

(٢) الدَّمَار: الهلاك التام. يقال: دمَّر القوم يدمَّرون دماراً أي: هلكوا.

ينظر: العين للخليل (٨/٣٩)، والمفردات للراغب (ص١٧٢)"دمر".

(٣) قاله الحسن.

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٤/٢٧٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٩٤)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/٤٤٧).

(٤) يشهد لهذا ما ثبت في الصحيحين عن بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما قدم المدينة وجد اليهود يصومون عاشوراء، فسُئِلوا عن ذلك؛ فقالوا: هذا اليوم الذي أظفر الله فيه موسى وبني إسرائيل على فرعون، ونحن نصومه تعظيمًا له، فقال رسول الله ﷺ:« نحن أولى بموسى منكم »، فصامه وأمر بصيامه. (صحيح البخاري (٣/١٤٣٤)، برقم: (٣٧٢٧)، كتاب فضائل الصحابة ﷺ/باب إتيان اليهودُ النبيَّ ﷺ حين قدم المدينة، وصحيح مسلم (٢/٧٩٥)، برقم: (١١٣٠)، كتاب الصيام/ باب صوم يوم عاشوراء).

ينظر: جامع البيان للطبري (٩/٤٥)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٢٧٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٩٤).

(٥) ينظر: التبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/٥٩٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤/٣٧٧).

﴿قَالَ﴾ يعني: موسى ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ أي: عظمة الله ونعمته وحرمته.

﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ﴾ أي: مهلك مفسدٌ[(١)] ﴿مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ﴾ مضمحل زائل[(٢)] ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا﴾ أي: أطلب لكم.

﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أي: على عالمي زمانكم.[(٣)]

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾، وقوله: ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾، تفسير لسوء العذاب.

قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ أي: ذا القعدة، ﴿وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾ أي: من ذي الحجة.[(٤)]

﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾. الفائدة في ذكر ذلك: أن يُعلم أن العشر المضافة إلى الثلاثين عشر ليالٍ أيضًا لا ساعات، وإنما خصّ الليالي بالذكر؛ لأنه أُمر بالوصال في تلك المدة، فوقع الإمساك بالليل مقصودًا فخصّ بالذكر.[(٥)]

---

(١) أصل التتبير: التدمير، وكل شيء كسرته وفتَّته فقد تبَّرته، والمتبور: الهالك.

ينظر: العين للخليل (٨/١١٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٤/١٩٧)"تبر".

(٢) الباطل: نقيض الحق، وهو ما لا ثبات له عند الفحص، يقال: بَطَلَ الشـيء يبطُل بُطْلانًا: إذا ذهب ضياعا وخسرا، والجمع أباطيل.

ينظر:العين للخليل (٧/٤٣٠)، والمفردات للراغب (ص٥٠)"بطل".

(٣) قاله عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٩/٤٦)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٥/١٥٥٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٩٤)، والتفسير الكبير للرازي (١٤/١٨٣).

(٤) قاله أكثر المفسرين.

ينظر: تفسـير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني (٢/٢٣٦)، وجامع البيان للطبري (٩/٤٧)، وأحكام القرآن لابن العربي (٢/٣٢٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٢٤٤).

(٥) ينظر: معاني القرآن للنحاس (٣/٧٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/٢١١)، وزاد المسير

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ﴾ أي: عند انطلاقه.

﴿ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ أي: وأصلحهم بحملك إياهم على طاعة الله وعبادته.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ ولا تسلك طريق العاصين، ولا تكن عونًا للظالمين، وذلك أن موسى عليه السلام وعد بني إسرائيل وهم بمصر إذا هلك الله عدوّهم واستنقذهم من أيديهم أتاهم بكتاب فيه بيان ما يأتون وما يذرون، فلما فعل الله ذلك بهم، سأل موسى عليه السلام ربه الكتاب فأمره / الله أن يصوم ثلاثين يومًا، وهو شهر ذي القعدة، [٥٧/أ] فلما تمت ثلاثون ليلة، أنكر خلوف فمه فتسوك بعود خُرْنُوب،[١] فقالت له الملائكة: كنا نشمّ من فيك رائحة المسك، فأفسدته بالسواك، وكان يأكل من لِحَاء[٢] الشجر، فأمره الله تعالى أن يصوم عشرة أيام من ذي الحجة، وقال له: أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك.[٣]

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ أي: للوقت الذي ضربنا له أن نكلمه فيه.

﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ اشتاق إلى رؤيته ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾.

لابن الجوزي (٢٥٥/٣).

(١) الـخُرْنُوب، والخَرُّوب: شجر بري، دائمة الخضرة يصل ارتفاعها إلى عشرة أمتار ولها ثمرة قرنية كبيرة، وهو مما تتغذاه الماشية.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٥٤/٧)، ولسان العرب لابن منظور (٣٤٧/١)"خرب"، والموسوعة العربية العالمية (٤١/١٠).

(٢) اللِّحَا: ما على العصا من قشرها، يمد ويقصر، ولحاء كل شجرة: قشرها.

ينظر: النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٢٤٣/٤)، ولسان العرب لابن منظور (٢٤١/١٥)"لحا".

(٣) ذكره الزجاج في معاني القرآن (٣٧٢/٢)، والثعلبي في الكشف والبيان (٢٧٤/٤)، والبغوي في معالم التنزيل (١٩٥/٢)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٧٤/٧).

﴿قَالَ﴾ الله تعالى ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ ولم يقل: لا أُرى؛ حتى يكون نفيًا للرؤية مطلقا؛ بل معناه: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ في الدنيا، لأن كلمة ﴿لَن﴾ لا تقتضي التأبيد، كما قال تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾[البقرة:٩٥]، يعني: الموت، والمراد به في الدنيا، مع تأكيده بقوله: ﴿أَبَدًا﴾.[١]

قوله:﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ حَفَّ حول الجبل بالملائكة، وحَفَّ حول الملائكة بنار، وحَفَّتْ حول النار بملائكة، وحَفَّ حول الملائكة بنار، ثم تجلى الرب للجبل.[٢] أي: ظهر نور ربه للجبل.[٣]

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله:"وقد أشكل حرف ﴿لَن﴾ ها هنا على كثير من العلماء؛ لأنها موضوعة لنفي التأبيد، فاستدل به المعتزلة على نفي الرؤية في الدنيا والآخرة وهذا أضعف الأقوال؛ لأنه قد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة". تفسير القرآن العظيم (٢/٢٤٥).
قال ابن تيمية رحمه الله:"..فالصحابة والتابعون وأئمة المسلمين على: أن الله يُرى في الآخرة بالأبصار عيانًا، وأن أحدًا لا يَراه في الدنيا بعينه..". مجموع الفتاوى (٢/٣٣٦).ينظر: جامع البيان للطبري (٩/٤٩)، والتوحيد لابن خزيمة (٢/٥٨٦)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٩٦)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٥/٤٩٠)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص٢٠٣).

(٢) روى ذلك الطبري في جامع البيان (٩/٤٩)، وأورده مكي بن أبي طالب في تفسير الهداية (٤/٢٥٤١) عن السدي. ورواه الحاكم في المستدرك (٢/٦٣٠)، برقم: (٤١٠٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال:" هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

(٣) هذا تأويل من المصنف رحمه الله لصفة التجلي، وظاهر اللفظ أنه هو الذي تجلى سبحانه وظهر، لا نوره؛ وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة.
ينظر: جامع البيان للطبري (٩/٥٢)، وكتاب التوحيد لابن خزيمة (١/٢٥٨)، والفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/٩١)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص٢٠٧).

وهو جبل زَبِير.[١] ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ أي: مدكوكا، أي: مستويًا بالأرض.[٢]

قوله: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ أي: من ذنوبي التي سلفت، لأن عادة العبد أن يُجدّد توبته عند كل هول.[٣]

قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ كانت الألواح من زبرجدة خضراء، وياقوتة حمراء.[٤] أمر الله تعالى جبريل حتى جاء بها من جنة عدنٍ، وكتبها بالقلم الذي كتب الله بها الذكر، واستمدَّ من نهر النور.[٥] ولم يقرأ التوراة كلها إلا أربعة نفر: موسى ويوشع وعُزَير وعيسى عليهم السلام.[٦]

---

(١) زَبِير: بفتح الزاي وكسر الباء، اسم الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام، وهو أعظم جبل بمدين.

ينظر: النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٢/٢٩٤)، ولسان العرب لابن منظور (٤/٣١٨) "زبر".

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٣٧٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (٩/٣٢٣)، والمفردات للراغب (ص١٧١)"دك".

(٣) قال مجاهد رحمه الله: أي: تبت من أن أســـألك الرؤيا. وقال القرطبي رحمه الله:" قاله على جهة الإنابة إلى الله والخشـوع له عند ظهور الآيات، وأجمعت الأمة على أن هذه التوبة ما كانت عن معصية فإن الأنبياء معصومون". الجامع لأحكام القرآن (٧/٢٧٩).

ينظر: جامع البيان للطبري (٩/٥٥)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٢٧٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٢٤٦).

(٤) ذكره الثعلبي في الكشـــف والبيان (٤/٢٨٢)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/١٩٩) عن الكلبي، وأورده ابن الجوزي في زاد المسير (٣/٢٥٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/٢٨٢)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/١٩٩) عن ابن جريج.

قال الرازي رحمه الله:"واعلم أنه ليس في لفظ الآية ما يدل على كيفية تلك الألواح، وعلى كيفية تلك الكتابة، فإن ثبت ذلك التفصـيل بدليل منفصـل قويّ وجب القول به، وإلا وجب السـكوت عنه". التفسير الكبير (١٤/٢٩٣).

(٦) ذكره الثعلبي في الكشـــف والبيان (٤/٢٨٢)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/١٩٩)، والخازن في لباب التأويل (٢/٢٨٧) عن الربيع بن أنس. ومثل هذا يحتاج إلى دليل.

وقوله: ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: تبيانًا لكل شيء من الأمر والنهي، والحلال والحرام، والحدود والأحكام.[١] ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ أي: بجدّ ومواظبة.[٢]

﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ هو بمعنى: الحَسَن.[٣]

﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: ما كانوا يمرون عليه من منازل عاد وثمود والقرون الذين أهلكوا.[٤] ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أراد بالآيات: الشمس والقمر والنجوم والبحور والنبات وغيرها، أي: أصرفهم أن يتفكروا فيها، ويعتبروا بها.[٥]

---

(١) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٥٧/٩)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٨٣/٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢١٤/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٠٠/٢).

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤١٤/١)، وجامع البيان للطبري (٥٨/٩)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٨٣/٤)،

(٣) قال الطبري رحمه الله:" فإن قال قائل: وما معنى قوله:﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾؟أكان من خصالهم ترك بعض ما فيها من الحسن؟ قيل: لا؛ ولكن كان فيها أمر ونهي، فأمرهم الله أن يعملوا بما أمرهم بعمله ويتركوا ما نهاهم عنه، فالعمل بالمأمور به أحسن من العمل بالمنهي عنه". جامع البيان (٥٨/٩).

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٣٧٥/٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٧٧/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٠٠/٣)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٤٥٣/٢).

(٤) قاله مقاتل، وقتادة، والكلبي.

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤١٤/١)، وتفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني (٢٣٦/٢)، وجامع البيان للطبري (٥٨/٩)، والنكت والعيون للماوردي (٢٦١/٢).

(٥) قاله ابن جريج، وابن زيد. وقال سفيان بن عيينة: انزع عنهم فهم القران فاصرفهم عن آياتي. وأكثر المفسرين على أن الآية عامة، وهو الصحيح، فإنه لا مانع من حمل الآية على جميع ذلك.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦٠/٩)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٥٦٧/٥)، ومعالم التنزيل

قوله: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ﴾ بمعنى هؤلاء المتكبرين ﴿سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ﴾ أي: طريق الهدى والسَّداد. ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا﴾ أي: لأنفسهم. ﴿وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ﴾ يعني: الضلال والهلاك ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ أي: من بعد انطلاقه إلى الجبل.

﴿مِنۡ حُلِيِّهِمۡ﴾ أي: من حليّ أهل فرعون التي استعاروها منهم، وكان لبني إسرائيل يوم عيد يتزينون فيه، ويستعيرون من القبط الحليّ، فوافق ذلك عيدهم، فاستعاروا حليّ القِبْط، فلما أخرجهم الله من مصر، وغرق فرعون بقيت تلك الحليّ في أيديهم، فاتخذ السامري منها ﴿عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾.[١] ﴿جَسَدٗا﴾ أي: لا روح فيه.[٢]

﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ هو صوت البقر،[٣] خارتَ خوْرَة واحدة، ثم لم تعد.[٤]

للبغوي (٢/٢٠٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٢٤٨).

(١) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره (٢/٢٣٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٥٦٨)، بنحوه عن قتادة، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/٢٨٥)، والرازي في التفسير الكبير (١٥/٦)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٧/٢٨٤) بلا نسبة.

(٢) الجَسَد: الذي لا يعقل ولا يميّز، ومعنى الجسد معنى الجثّة فقط، وكل خلق لا يأكل ولا يشرب من نحو الملائكة والجن مما يعقل فهو جسد.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٠/٢٩٩)، والمفردات للراغب (ص٩٣)"جسد".

(٣) قال الراغب:" الخُوَار: مختص بالبقر، وقد يستعار للبعير". المفردات (ص١٦١)"خوار".

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٧/٢٢٥)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/٢٢٧) "خور".

(٤) قاله ابن عباس رضـــي الله عنهما، ومقاتل بن ســـليمان. وهذا يحتاج إلى دليل، وظاهر اللفظ أن الخوار مستمر لمزيد من الابتلاء والفتنة لهم، وبه قال الحسن وقتادة والسدي، وهو الأصح.

ينظر: تفســـير مقاتل بن ســـليمان (٢/٣٣٨)، وتفســـير القرآن لابن أبي حاتم (٥/١٥٦٨)، والنكت والعيون للماوردي (٣/٤١٩).

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ يعني: الذين عبدوا العجل ﴿أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾.

﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ أي: معبودًا ﴿وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾ أي: كافرين.[١]

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: سقط الندم في أيديهم.[٢]

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾ الأَسِف: منزلة وراء الغضب أشد من ذلك،[٣] فهو الكثير الغضب.[٤]

﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ﴾ أي: بئس الفعل فعلتم بعد ذهابي خلافةً عني.[٥]

﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ أسَبَقْتم أمر ربكم إلى عبادة العِجْل.[٦]

---

(١) ينظر: الكشـــف والبيان للثعلبي (٤/٢٨٥)، والوجيز للواحدي (١/٤١٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٢٠١).

(٢) تقول العرب لكل نادم على أمرٍ فات منه أو ســلف أو عجز عن شــيء: قد سُـقِطَ في يديه، وأُسقِط.

ينظر: تفســير غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٧٢)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٢٢٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٣٧٨)،

(٣) قاله أبو الدرداء ﷺ، أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٩/٦٩)، وأورده الثعلبي في الكشــف والبيان (٤/٢٨٥)، ومكي بن أبي طالب في تفسير الهداية (٤/٢٥٦٥).

(٤) يقال: أَسِفَ أَسَفاً فهو أَسِفٌ والجمع: أُسَفَاء. والأَسِف: الشديد الغضب.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٣/٦٦)، والمفردات للراغب (ص١٧)"أسف".

(٥) ينظر: جامع البيان للطبري (٩/٦٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٢٠١)، والتفســير الكبير للرازي (١٥/١٠).

(٦) يقال: عَجِلَ فلانٌ هذا الأمر: إذا سبقه، وعَجِلَ فلانٌ فلانًا: إذا سبقه، ولا تعجلني يا فلان، أي: لا تذهب عني وتدعني؛ وأعجلته: استحثثته.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١/٢٣٧)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/٢٣٧) "عجل".

﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ أي: غضبًا على قومه حين عبدُوا العِجْل.(١)

﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ أي: بشعر رأسه. ﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ وكان هارون أكبر من موسى بثلاث سنين، وأحبّ إلى بني إسرائيل من موسى؛ لأنه كان ليّن الغضب فـ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى﴾ يعني: عبَدَة العجل ﴿وَكَادُوا۟﴾ أي: وقاربوا أن ﴿يَقْتُلُونَنِى﴾.(٢) ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: عَبَدَة العجل. فلما تبيَّن له عذره دعا الله له ولأخيه بقوله: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى﴾.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ﴾ أي: إلهًا ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ﴾ هي ذلة قتلهم أنفسهم إذ أُمروا به جزاءً على عبادة العجل.(٣)

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ هي والله [٥٧/ب] جزاء كل مفتر إلى يوم القيامة، أن يذله الله عز وجل.(٤)

---

(١) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٧٤/٩)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢١٧/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٠٢/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٤٩/٢).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٦٨/٩)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٨٦/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٠٢/٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٨٩/٧).

(٣) قاله أبو العالية ، وابن جريج، والزجاج.

ينظر: جامع البيان للطبري (٦٩/٩)، ومعاني القرآن للزجاج (٣٧٩/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٨٦/٤).

(٤) قاله أبوقلابة رحمه الله. رواه عنه عبد الرزاق الصنعاني في تفسير القرآن (٢٣٦/٢)، والطبري في جامع البيان (٧٠/٩)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (١٥٧١/٥).

وقوله: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ ﴾ أي: سكن، وأصله الكفّ عن الشيء، ومنه السكوت عن الكلام.(١) ﴿أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ﴾ لما تكسَّرت وصام أربعين يومًا.(٢)

﴿وَفِي نُسْخَتِهَا ﴾ أي: أعيدت في لوحين لما تكسرت،(٣) فلهذا قال: ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ أي: بيان ما يحتاج إليه في أمر الدِّين، وتبيين الطاعة عن المعصية، وذلك رحمة من الله عز وجل، أي: نعمةٌ، لأنه تعريض للثواب والجنة، وتخليص من العذاب والنار.

﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ أي: لله رهبتهم من العذاب؛ فإنه القادر على ذلك القاهر فوق عباده، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ ﴾ أي: من قومه، سبب هذا الاختيار: أن بني إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام: إن طائفة يزعمون أن الله لا يكلمك، أفلا تسأله أن يحضرك طائفة منا حتى يكلمك، فيسمعوا كلامه فيؤمنوا، فأوحى الله عز وجل إلى موسى أن اختر من خيارهم سبعين رجلًا، ثم ارتق بهم إلى الجبل أنت وهارون، واستخلف على بني إسرائيل يوشع بن نون، ففعل كما أمره الله عز وجل، واختار ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا ﴾.(٤)

---

(١) ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢٢٩/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٩/١٠)، والمفردات للراغب (ص٢٣٦)"سكت".

(٢) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وعمرو بن دينار.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (٨٥/٣)، والكشـــف والبيان للثعلبي (٢٨٧/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٠٣/٢).

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وعمرو بن دينار، وابن كسيان.

ينظر: تفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢٥٧٧/٤)، ولباب التأويل للخازن (٢٩٣/٢).

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢٨٨/٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢٦٨/٣)، وأبو حيان في البحر المحيط (٣٩٨/٤) عن وهب بن منبه. وهذا الخبر من الإسرائيليات التي لا يعتمد عليها.

﴿فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾ كان سبب الرجفة: أنهم لما أتوا ذلك المكان قالوا لموسى عليه السلام: اطلب لنا أن نسمع من كلام ربنا؟ فقال: أَفْعَل، فلما دنا موسى عليه السلام من الجبل، وقع عليه عمود الغمام حتى تغشّى الجبل كله، ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم: ادنوا! وكان موسى إذا كلَّمه ربه وقع على جبهته نور ساطع، لا يستطيع أحد من بني إسرائيل أن ينظر إليه! فضرب دونه بالحجاب، ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام، وقعوا سجودا فسمعوه وهو يكلّم موسى يأمره وينهاه، فلما فرغ، انكشف عن موسى الغمام، وأقبل إليهم فقالوا:﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾[البقرة:١٥٥]، فأخذتهم الرجفة.(١) ولم تكن تلك الرجفة موتًا، ولكن القوم لما رأوا تلك الهيبة أخذتهم الرعدة، وقلقلوا ورجفوا، حتى كادت أن تبين منهم مفاصلهم، وتنقضَّ ظهورهم، فلما رأى ذلك موسى عليه السلام رحمهم، وخاف عليهم الموت، واشتدّ عليه فَقْدَهُم، وكانوا له وزراء على الخير، سامعين مطيعين، فعند ذلك دعا وبكى، وناشد ربه، فكشف الله عنهم تلك الرجفة والرعدة، فسكنوا واطمأنوا.(٢)

قوله: ﴿أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ أي: لا تهلكنا، بمعنى النفي.(٣)

---

(١) قاله السـدي. رواه عنه الطبري في جامع البيان (٧٢/٩)، وأورده الثعلبي في الكشـف والبيان (٢٨٨/٤)، والبغوي في معالم التنزيل (٧٤/١). والخبر من الإسـرائيليات التي لم أجد عليها دليلًا من الكتاب والسنة.

(٢) ذكره الثعلبي في الكشـف والبيان (٢٨٩/٤)، والبغوي في معالم التنزيل (٢٠٣/٢)، والخازن في لباب التأويل (٢٩٤/٢) عن وهب بن منبه. وهو من أخبار أهل الكتاب التي لم أجد عليها دليلًا من الكتاب والسنة.

(٣) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (١٥٤/٢)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (٥٩٧/١).

﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ﴾ أي: اختبارك.[١] قوله: ﴿إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ أي: تُبنا.[٢] ﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي﴾ أي: نعمتي في الدنيا[٣] ﴿وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾.

---

(١) قاله عامة المفسرين.

وحقيقة الفتنة: الابتلاء والاختبار، يقال: فتنتُ الفضة على النار: إذا خلصتها. فابتلاهم الله بهذه الفتنة ليتبيَّن الذي يضــل عن الحق بعبادة العجل، والذي يهتدي بترك عبادته.ينظر: جامع البيان للطبري (٧٦/٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٨٨/٣)، وتفســير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢٥٨١/٤)، والمفردات للراغب (ص٣٧١)"فتن".

(٢) قاله جمهور المفسرين.والهُود: التوبة، وسميت اليهود اشتقاقا من هادوا أي: تابوا.

ينظر: جامع البيان للطبري (٧٧/٩)، وتفســير القرآن لابن أبي حاتم (١٥٧٧/٥)، والنكت والعيون للماوردي (٢٦٦/٢)، والمفردات للراغب (ص٥٤٦)"هود".

(٣) تفسير المؤلف رحمه الله لرحمة الله تعالى لعباده بالنعمة؛ مخالف لمنهج السلف وأئمة أهل السنة، وهو قول المعتزلة والأشاعرة، والصواب ما عليه سلف الأمة وأئمة السنة في هذه الصفة وغيرها من صفات الله، حيث يقفون مع ظاهر النصـــوص، ولا يتعدونها إلى تأويلات لا دليل عليها، وقاعدتهم في ذلك: إثبات ما أثبته الله لنفســه في كتابه، أو أثبته له رسوله ﷺ، من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به ســبحانه وتعالى من غير تمثيل ولا تكييف، ولا تحريف، ولا تعطيل، على حد قوله تعالى:"﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورى:١١]. فالرحمة صفة مدح وكمال وصَفَ الله بها نفســه، فينبغي أن تؤخذ على ظاهرها الذي خاطبنا الله تعالى به، وأن حقيقتها ثابتة لله سبحانه وتعالى على ما يليق بجلاله وعظمته، وأنه لا يلزم من اتصافه بها أيّ نقص أو تشبيه كما زعم ذلك المؤولة.

ينظر: التوحيد لابن مندة (٧٢٥/١)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٢٦٠/٦)، ومدارج الســالكين لابن القيم (٣٣/١)، وتفسـير القرآن العظيم لابن كثير (٢٥١/٢)، وتيسـير العزيز الحميد لسـليمان بن عبد الله (ص١٥).

﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ يعني: في الآخرة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾. وباقي الآية ظاهر.

و﴿الْأُمِّيَّ﴾ الذي لا يقرأ ناظرًا ولا يكتب، كأنه في ذلك على ما ولدته أُمّه، لم يستطع القراءة من الكتاب، ولا الكتابة، وعلى هذا منسوب إلى الأُمّ.(١)

﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ أي: يجدون صفته مبيَّنة في الكتابين. ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: يأمرهم بخلع الأنداد، ومكارم الأخلاق، وصلة الأرحام. ﴿وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ أي: عبادة الأصنام، وقطع الأرحام.

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي: ما يُستطاب من الرزق، مما كان حُرّم عليهم تشديدًا.

﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ أي: كلحم الخنزير والدم والميتة والربا وغيرها من المحرمات.

﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ يعني: التشديد الذي كان عليهم في الدِّين.(٢)

﴿وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: الأثقال التي كانت عليهم، وما أُمروا به من قتل الأنفس في التوبة، وقطع الأعضاء الخاطئة، فشبّه ذلك بالأغلال.(٣)

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ﴾ أي: أعانوه ووقّروه.(٤)

---

(١) على هذا جمهور المفسرين وأهل اللغة.

ينظر: جامع البيان للطبري (١/٣٧٤)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٣٨١)، والكشـف والبيان للثعلبي (٤/٢٩١)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٥/٤٥٦)، والمفردات للراغب (ص٢٣)"أم".

(٢) قاله قتادة.وأصل الإصر: الثقل، وكل ما يثقل على الإنسان من قول أو فعل فهو إصر.

ينظر: جامع البيان للطبري (٩/٨٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٢٠٦)، والمفردات للراغب (ص١٨)، ولسان العرب لابن منظور (٤/٢٢)"أصر".

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٩/٨٤)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٣٨١، والكشـف والبيان للثعلبي (٤/٢٩٣)، والمفردات للراغب (ص٣٦٣)"غل".

(٤) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٤١٨)، وجامع البيان للطبري (٩/٨٥)، وتفسير الهداية لمكي بن

قوله: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: يرشدون إلى الحق.

﴿وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ أي: يُنصفون من أنفسهم ولا يجورون.[١]

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا﴾ تقديره: اثنتي عشرة فرقة أسباطًا.[٢]

الأسباط في بني إسحاق كالقبائل في بني إسماعيل، سُمي هؤلاء بالأسباط، وهؤلاء بالقبائل للفرق بين ولدهما، وذلك أن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا، وكانوا اثني عشر سبطًا، تبرأ سبطٌ منهم مما صنعوا، واعتذروا، وسألوا الله أن يُفرّق بينهم وبينهم، فساروا سَنَةً ونصفًا حتى خرجوا من وراء الصّين، فهُمْ هنالك مسلمون.[٣]

قوله: ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ أي: انفجرت،[٤] كان يظهر على كل موضع من الحَجَر بضربه

أبي طالب (٢٥٩٠/٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٠١/٧).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٨٧/٩)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٩٣/٤)، ولباب التأويل للخازن (٢٩٩/٢).

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٣٨٢/٢)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (٥٩٩/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤٠٥/٤).

(٣) روى ذلك الطبري في جامع البيان (٨٧/٩)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (٢٩٤/٤)، ومكي بن أبي طالب في تفسير الهداية (٢٥٩٣/٤) عن ابن جريج، وذكره ابن عطية في تفسيره وزاد نسبته إلى ابن عباس رضي الله عنهما، والسدي، ثم قال:" وهذا حديث بعيد". المحرر الوجيز (٤٦٥/٢). كما أشار إلى عدم صحة هذا الخبر أبو حيان في البحر المحيط (٤٠٥/٤)، وقال الشوكاني:" ومثل هذا الخبر العجيب والنبأ الغريب محتاج إلى تصحيح النقل". فتح القدير (٢٥٨/٢).

(٤) البَجْس: انشقاق في قربة أو حجر أو أرض ينبع منه الماء، فإن لم ينبع فليس بانجباس. قال الراغب:"يقال: بَجَسَ الماء وانبجس: انفجر، لكن الانبجاس أكثر ما يقال فيما يخرج من شيء ضيّق، والانفجار يستعمل فيه وفيما يخرج من شيء واسع". المفردات (ص٣٧).ينظر: العين للخليل (٥٨/٦)، وتهذيب اللغة للأزهري (٣١٦/١٠)"بجس".

موسى عليه السلام مثل ثدي المرأة، فيعرق أوّلًا [٥٨/أ] ثم يسيل.(١)

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ أي: قد علم كل سبط، فلا يدخل سبطٌ على غيره في شربه. ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾ أي: في التّيه، يَقيهم حرّ الشمس. وباقي الآية ظاهر.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ أي: بقربه وعلى شاطئه. أي: سل اليهود الذين هم جيرانك عن حال هؤلاء في القرية، أي: قرية أَيْلَة،(٢) بين مَدْيَن(٣) والطُّور.(٤)

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/٢٩٥)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١/٤٢١)، وأبو حيان في البحر المحيط (٤/٤٠٦) عن عطاء. والخبر من الإسرائيليات محتاج إلى صحة النقل.

(٢) أَيْلَة: مدينة قديمة على ساحل البحر الأحمر، وقيل هي آخر الحجاز وأول الشام، وكانت مجتمع لحجاج مصر والشام، وتعرف اليوم باسم: العقبة ميناء المملكة الأردنية الهاشمية في خليج العقبة.
ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (١/٣٤٧)، ومعجم ما استعجم للبكري (١/٢١٦)، ومعجم المعالم الجغرافية لعاتق البلادي (ص٣٥).

(٣) مَدْيَن: مدينة قديمة مشهورة، تعرف اليوم باسم (البَدْع) وهي بلدة بين تبوك والساحل، وهي في واد بين الجبال.

ينظر: معجم ما استعجم للبكري (٤/١٢٠١)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (٥/٧٧)، ومعجم المعالم الجغرافية لعاتق البلادي (ص٢٨٤).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/٩٠)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٥/١٥٩٨)، وأورده البغوي في معالم التنزيل (٢/٢٠٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وحسن إسناده عنه الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٣/٦٩).والطُّور: هو طُور سَيناء، وهو جبل معروف في شبه جزيرة سَيناء بمصر، وبه اليوم بلدة عامرة تسمى الطُّور.
ينظر: معجم ما استعجم للبكري (٣/٨٩٧)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (٤/٤٧)، ومعجم

﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ﴾ أي: يتجاوزون أمر الله تعالى فيه.(١)

﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ أي: شوارع ظاهرة على الماء كثيرة.(٢) ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾ أي: لا يعظمون السبت،(٣) وذلك أن رجلًا منهم أخذ حوتًا فربط في ذَنَبه خيطًا، ثم ربطه إلى خشبة في الساحل، ثم تركه في الماء إلى يوم الأحد، فأخذه وشواه، فوجد جارٌ له ريح الحوت. فقال له: يا فلان إنِّي أجد في بيتك ريح نون،(٤) قال: لا، فتطلع في تنّوره، فإذا هو فيه، فقال: إني أرى الله سيعذّبك، فلما لم يَره عُذِّب، ولم يُعجَّل عليه بالعذاب، أخذ في السبت الآخر حوتين، فلما رأوا أن العذاب لا يعاجلهم، أخذوا وأكلوا وملّحوا(٥) وباعوا وأَثْرُوا(٦) وكثر مالهم.(٧)

المعالم الجغرافية لعاتق البلادي (ص١٨٩).

(١) ومنه يقال: عدا فلان أمري واعتدى: إذا تجاوزه.

ينظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٧٤)، والمفردات للراغب (ص٣٢٦)"عدا".

(٢) قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

ينظر: جامع البيان للطبري (٩/٩٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٢٩٥)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٤/٢٦٠٤).

(٣) أي: لا يعظمونه تعظيمهم السبت، وذلك سائر الأيام غير يوم السبت لا تأتيهم الحيتان.

ينظر: جامع البيان للطبري (٩/٩٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٢٩٥)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/٢٢٥).

(٤) النون: هو الحوت، وسمي يونس عليه السلام ذا النون؛ لأن النون كان قد التقمه.

ينظر: العين للخليل (٨/٣٩٦)، والمفردات للراغب (ص٥١٠)"نون".

(٥) أي: سمنوا. يقال: أَمْلَحَ البعير: إذا حمل الشحم، و مُلِح فهو مَمْلوح: إذا سمن.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٥/٦٦)، ولسان العرب لابن منظور (٢/٦٠٤)"ملح".

(٦) ثَرَى القوم وأَثْرُوا ويَثْرون: إذا كثرت أموالهم. وثَرَا المال نفسه، يَثْرو: إذا كثر.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٥/٨٣)، النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (١/٢١٠)"ثرى".

(٧) روى ذلك الطبري في جامع البيان (٩/٩٥)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (٤/٢٩٦)، والزمخشري في الكشاف (٢/١٦٢) عن ابن زيد. والخبر من الإسرائيليات التي تحتاج إلى دليل من

وقوله: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ هؤلاء الفرقة كانوا من الناجية أيضًا؛ لأنها كانت أيضًا من المنكِرة، ولهذا أجابوهم بقولهم: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ولم يقولوا: ولعلكم تتقون.[(١)]

قوله: ﴿قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ أي: وَعْظُنَا لهم معذرة ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: صيد الحيتان. قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ أي: بعذاب قويّ.[(٢)]

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ أي: انتهوا في معصـية الله والجراءة عليه إلى حدٍّ اقتضت الحكمة إهلاكهم. والعتوّ: الاستكبار.[(٣)] ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟﴾ هذا أمر تحويل ومسخ.

الكتاب أوالسنة.

(١) هذا قول أكثر المفسرين. وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعكرمة. قال ابن تيمية رحمه الله: "فأنجى الله الناهين، وأما أولئك الكارهون للذنب الذين قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾ فالأكثرون على أنهم نجوا، لأنهم كانوا كارهين، فأنكروا بحسـب قدرتهم". مجموع الفتاوى (٣٨٢/١٧). وقال ابن كثير رحمه الله: " فنصّ على نجاة الناهين وهلاك الظالمين، وسـكت عن السـاكتين؛ لأن الجزاء من جنس العمـل، فهم لا يسـتحقون مـدحًـا فيُمـدحوا ولا ارتكبوا عظيمًـا فيُـذمُّوا...وقولـه تعـالى: ﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ فيه دلالة بالمفهوم على أن الذين بقوا نجوا". تفسـير القرآن العظيم (٢٥٨/٢-٢٦٠).

ينظر: جامع البيان للطبري (٩٣/٩)، وتفسـير القرآن لابن أبي حاتم (١٦٠٠/٥)، وتفسـير القرآن للسمعاني (٢٢٦/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٠٨/٢).

(٢)قوله: ﴿بَـِٔيسٍۭ﴾ على وزن فَعِيل. يقال: بَئِسَ يَبْؤُسُ بأسًا إذا قوي واشتد.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٣٨٦/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٧٣/١٣)، ولسان العرب لابن منظور (٢٣/٦)"بأس".

(٣) يقال: عَتَا يَعْتُو عُتُوًّا وعِتِيًّا: إذا استكبر، فهو عَاتٍ، والملِك الجبّار: عَاتٍ، وجبابرة: عُتَاة.

ينظر: العين للخليل (٢٢٦/٢)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٢٥/٤)"عتو".

والقِرَدَة: جمع قِرْد.(١) ومعنى:﴿خَٰسِـِٔينَ﴾ أذلاء صاغرين.(٢) ومكث هؤلاء ممسوخون ثلاثة أيام، ينظر إليهم الناس، ثم هلكوا ولم يتوالدوا.(٣)

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ أي: آذن وأعلم.(٤) ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ هم اليهود، بعث الله عليهم محمدًا صلى الله عليه وسلم وأمته، يقاتلونهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية.(٥)

---

(١) ينظر: العين للخليل (١١٤/٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (٤٣/٩)"قرد".

(٢) الخاسئ: المُبعد المطرود ، كما يخسأ الكلب، ومنه يقال: خسَأْتُه أَخسَؤُه خَسْئًا وخُسُوءًا. والمعنى: مُبعدين من الخير أذلاء صاغرين.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢٠٢/٧)، والمفردات للراغب (ص١٤٨)، ولسان العرب لابن منظور (٦٥/١)"خسأ".

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنهما.وذكر مقاتل بأنهم عاشوا سبعة أيام ثم ماتوا يوم الثامن. والتحديد يحتاج إلى دليل ثابت.وروى ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « إن الله ﷻ لم يجعل لمسخٍ نسلًا ولا عَقِبًا، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك ». (أخرجه مسلم (٢٠٥٠/٤)، برقم: (٢٦٦٣) كتاب القدر/ باب بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر).

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤٢١/١)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٩٨/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٧٩/٢)، ولباب التأويل للخازن (١١٣/٢).

(٤) يقال: قد آذنتُه بكذا وكذا: إذا أعلَمْته؛ وقد أذِنَ به يأذَن، إذا علم. وفعلتُ كذا وكذا بإذنه، أي: فعلته بعلمه. ويكون بإذنه، أي: بأمره. والإذن في الشيء: إعلام بإجازته والرخصة فيه.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٥/١٥)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٧٥/١)، والمفردات للراغب (ص١٤)"أذن".

(٥) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، والحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن جريج، والسدي.والجزية: فِعْلَة من جَزَى يَجْزِي: إذا قضى عليه، والجزية: الخراج الذي يؤخذ من أهل الذمة دفعاً عن رقابهم. وتسميتها بذلك للاجتزاء بها في حقن دمائهم.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٠٢/٩)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٦٠٣/٥)، والنكت والعيون

قوله: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ﴾ يعني: من آمن منهم بعيسى ومحمد عليهما السلام.(١) ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾ يعني: الكفار.(٢)

﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ﴾ أي: بالخَصب والعافية والدِّعة والسَّعة. ﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾ يعني: الجدب والشدة والرزايا.

قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ الخَلْف بالسكون هو: الطَّالح.(٣)

قوله: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ هو مُذكَّر الدنيا، أراد: عَرَض هذه الدار الدنيا، والعَرَض: متاع الدنيا.(٤)

قوله: ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ أي: قرؤوا ما فيه.(٥)

للماوردي (٢/٢٧٣)، والمفردات للراغب (ص٩٣)"جزاء"، ولسان العرب لابن منظور (١/٤٥)"جزأ".

(١) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني (٢/٢٢٧)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٢٠٩)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/٢٧٩).

(٢) ينظر: المصدر السابق.

(٣) الخَلَف بالفتح: الولد الصالح يبقى بعد الإنسان، والخَلْف بالسكون والخالِفة: الطالح.
ينظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٧٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (٧/١٦٨)، ولسان العرب لابن منظور (٩/٨٤)"خلف".

(٤) قاله جمهور المفسرين.قال ابن عطية رحمه الله:" وقوله: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ إشارة إلى الرشا والمكاسب الخبيثة، والعَرَض: ما يعرض ويعن ولا يثبت، والأدنى: إشارة إلى عيش الدنيا". المحرر الوجيز (٢/٤٧٢).

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٢٣٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/١٠٠)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/٢٢٨)، والمفردات للراغب (ص٣٣١)"عرض".

(٥) قاله جمهور المفسرين.ودَرْسُ الكتاب: قراءته وتدبره مرة بعد أخرى. قال ابن الجوزي رحمه الله:" فكأنه قال: خالفوا على علم". زاد المسير (٣/٢٨٢).

ينظر: جامع البيان للطبري (٩/١٠٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/١٠٠)، والكشف والبيان للثعلبي

﴿وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ أي: الشرك والحرام ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ﴾ يعني: يعملون بما في كتاب الله.[١]

قوله: ﴿وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ﴾ أي: قلعنا.[٢] ﴿كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ﴾ أي: سقيفة.[٣] ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ﴾ أي: نازل بهم. ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ وهذا كان حين أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة ويعملوا بها، وكان ذلك شريعة ثقيلة، فرفع الله عز وجل جبلًا على رؤوسهم مقدار عسكرهم،[٤] وكان فرسخًا في فرسخ،[٥] وقيل لهم: إن قبلتموها بما فيها، وإلا

(٣٠١/٤)، والمفردات للراغب (ص١٦٧)"درس".

(١) قاله أكثر المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٠٨/٩)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢٦١٩/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢١١/٢)، والتفسير الكبير للرازي (٣٧/١٥).

(٢) أصل النتق: الجذب، يقال: نَتَقَ الشيء: إذا جذبه ونزعه واقتلعه، ومنه استعير امرأة ناتق: إذا كثر ولدها.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٦٦/٩)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٨٧/٥)، والمفردات للراغب (ص٤٨٢)"نتق".

(٣) ذكره البغوي في معالم التنزيل (٢١١/٢) عن عطاء.والسقيفة: كل ما أظلك. ومنه سقيفة بني ساعدة: المكان الذي كانوا يستظلون به. قال الخليل:"والسقيفة: كل بناء سُقِفَتْ به صُفّةٌ أو شبهها مما يكون بارزاً ". العين (٨١/٥) "سقف".

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٣١٤/٨)، ولسان العرب لابن منظور (١٥٥/٩)"سقف".

(٤) أي: مكان اجتماعهم. والعسكر: الجماعات. وأصله: مجتمع الجيش.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٩٤/٣)، ولسان العرب لابن منظور (٥٦٧/٤)"عسكر".

(٥) الفرسخ: ثلاثة أميال. وهو يساوي ثمانية كيلو مترات تقريبا.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢٦٩/٧)، وتاج العروس للزبيدي (٣١٧/٧)"فرسخ"، والموسوعة الفقهية الكويتية (٣٢١/٣٨).

ليقعنّ عليكم.(١) فلما نظروا إلى الجبل خرَّ كل واحدٍ ساجدًا على حاجبه الأيسر، ونظر بعينه اليمنى إلى الجبل فَرَقًا من أن يسقط عليه، فلذلك ليس اليوم يهوديٌّ يسجد إلا على حاجبه الأيسر، يقولون: هذه السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة.(٢)

قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي: أخذ ربك من ظهور بني آدم ذريَّتهم، ولم يذكر ظهر آدم وإنما أخرجوا يوم الميثاق من ظهره، لأن الله عز وجل أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض على نحو ما يتوالد الأبناء من الآباء، فاستغنى عن ذكر ظهر آدم بقوله:﴿مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾.(٣)﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ وقال لهم سؤال تقرير: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾؟ ﴿قَالُوا۟﴾ جميعًا ﴿بَلَىٰ﴾ أنت ربّنا.

﴿شَهِدْنَآ﴾ هذا خبر من الله عز وجل عن نفسه وملائكته أنهم شهدوا على إقرار بني آدم.(٤)

---

(١) قاله ابن جريج رحمه الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (٩/١٠٩)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٤/١١٠٥)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٣٠٢).

(٢) قاله الحسن البصري رحمه الله، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه.

ينظر: جامع البيان للطبري (٩/١٠٩)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٣٠٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٢١١).

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/٣٠٣)، والواحدي في تفسير الوجيز (١/٤٢٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/٢٨٤)، والخازن في لباب التأويل (٢/٣٠٨)، .

(٤) قاله السدي رحمه الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (٩/١١٨)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٣٠٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٢١٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/٢٨٤).

﴿أَن تَقُولُواْ﴾ أي: كراهـة أن [٥٨/ب] تقولوا ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ لم نحفظه ولم نذكره. ونسـيانهم لا يسـقط الاحتجاج بعد أن أخبر الله تعالى عن ذلك على لسان صاحب المعجزة.(١)

﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ أي: فاتبعناهم واقتدينا بهم.

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ أي: لقومك يا محمد.

﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: عن كفرهم. وأخذ الميثاق كان ببطن نَعْمَان وادٍ إلى جنب عرفة.(٢)

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا﴾ هو: بلعم بن باعوراء(٣) من بني إسرائيل، وكان قصته: أن موسى لما قصد حرب الجبّارين، ونزل أرض بني كَنْعَان(٤) من أرض الشام، أتى قوم

---

(١) قاله جمهور العلماء.

ينظر: جامع البيان للطبري (١١٤/٩)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢٣١/٢)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٢٩٦/١٤)، وتفسـير القرآن العظيم لابن كثير (٢٦٥/٢)، وشـرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص٢٧٠).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (١١١/٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهذا يحتاج إلى دليل. ونَعْمَان: بفتح النون وسـكون العين على وزن فَعْلان، وهو نعمان الأراك، أحد أودية الحجاز، وهو بين مكة والطائف بجوار عرفة. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم لابن سـيده (٢٠٠/٢)"ن ع م"، والأماكن ما اتفق لفظه وافترق مسماه للحازمي (ص٨٩٥)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (٢٩٣/٥).

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٢٠/٩)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٦١٧/٥).

(٤) نسبة إلى كنعان بن سام بن نوح ﷺ، إليه ينسب الكنعانيون، وكانوا يتكلمون بلغة تقارب العربية ومنازلهم كانت بالشام.

ينظر: المعارف لابن قتيبة (ص٢٦)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٠٨/١)"كنع"، ومعجم البلدان لياقوت

بلعم إلى بلعم، وكان عنده اسم الله الأعظم، فقالوا: إن موسى رجل حديد،[1] ومعه جنود كثيرة، وإنه قد جاء يخرجنا عن بلادنا ويقتلنا، ويحلّها بني إسرائيل، وإنا قومك وبنو عمك، وليس لنا منزل، وأنت رجلٌ مجاب الدعوة، فاخرج وادع الله أن يردّ عنا موسى وقومه. فقال: ويلكم! نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون، كيف أدعو عليهم؟ وأنا أعلم من الله ما أعلم، وإني إن فعلت هذا ذهبت دنياي وآخرتي. فقالوا: ما لنا من منزل، وراجعوه في ذلك. فقال: حتى أؤامر ربّي،[2] وكان لا يدعو حتى ينظر ما يؤمر به في المنام، فآمر في الدعاء عليهم. فقيل له في المنام: لا تدع عليهم. فقال لقومه: إني قد آمرت ربي في الدعاء عليهم، وإني قد نُهيت. فأهدَوا له هدية فقبلها، ثم راجعوه وقالوا: ادع عليهم، فقال: حتى أؤامر ربّي، فلم يَحُرْ إليه بشيء.[3] فقال: قد آمرت فلم يَحُرْ إليّ بشيء، فقالوا: لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك في المرة الأولى. فلم يزالوا به يرقونه ويتضرّعون إليه حتى فتنوه فافتُتن، فركب أتانًا له متوجها إلى جبل يُطْلِعُه على عسكر بني إسرائيل يقال له: حُسْبان،[4] فلما سار عليها غير كثير ربَضَتْ به،[5] فنزل عليها فضربها حتى قامت فركبها، فلم تسر به كثيرًا حتى ربضت،

الحموي (٤/٤٨٣).

(١) أي: فيه قوة وصلابة. وسمي الحديد حديدا: لامتناعه وصلابته وشدته.

ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/٤)"حد"، ولسان العرب لابن منظور (٣/١٤٢) "حدد".

(٢) أي: أستخير ربي وأستشيره.

ينظر: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (١٠/٢٩٩)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (١/٣٧)"أ م ر".

(٣) أي: لم يرجع إليه شيء. يقال: حَار إليه يحُور حَورًا: إذا رجع إليه.

ينظر: العين للخليل (٣/٢٨٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (٥/١٤٦)"حور".

(٤) لم أجد له إشارة في كتب معاجم البلدان واللغة حسب بحثي واجتهادي.

(٥) أي جلست وقعدت به، والرَّبْض كالبروك للإبل.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٢/٢١)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/٤٧٧)،ولسان العرب لابن منظور (٧/١٤٩)"ربض".

ففعل بها مثل ذلك فقامت، فركبها فلم تسر به كثيرًا حتى ربضت فضربها حتى إذا أذلقها[١] أذن الله لها في الكلام، وكلمته حجة عليه، فقالت: ويحك يا بلعم! أين تذهب؟ ألا ترى الملائكة أمامي تردّني عن وجهتي هذا؟ أتذهب إلى نبيّ الله والمؤمنين تدعو عليهم! فلم ينزع عنها، فخلّى الله سبيلها، فانطلقت به، حتى إذا أشرفت به على جبل حُسْبَان جعل لا يدعو عليهم بشرٍّ إلا صُرِف به لسانه إلى قومه، ولا يدعو لقومه بخير إلا صُرِف لسانه إلى بني إسرائيل. فقال له قومه: أتدري يا بلعم ما تصنع؟ إنما تدعو لهم وتدعو علينا! قال: فهذا ما لا أملكه، هذا شيء قد غلب الله عليه، فلم يبق إلا المكر والحيلة، فسأمكر لكم وأحتال، جمِّلوا النساء وزيّنوهن وأعطوهن السِّلع، ثم أرسلوهن إلى العسكر يبعْنَها فيه، ومُرُوهنَّ فلا تمنع امرأة نفسَها من رجل أرادها، فإنهم إن زنى رجل واحد منهم كُفِيتُمُوهم! ففعلوا. فلما دخل النساءُ العسكر مرَّت امرأة من الكنعانيين اسمها كسَبي ابنة صور، برجل من عظماء بني إسرائيل يقال له: زمري بن شلوم رأس سبط شمعون بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، فقام إليها، فأخذ بيدها حين أعجبه جمالها، ثم أقبل بها حتى وقف على موسى عليه السلام. فقال: إني أظنك ستقول: هذه حرام عليك؟ فقال: أجل، هي حرام عليك لا تقربها! قال: فو الله لا نُطيعك في هذا! ثم دخل بها قُبّته[٢] فوقع عليها. فأرسل الله الطاعون على بني إسرائيل في الوقت، وكان فنحاص بن العيزار بن هارون، صاحبَ أمر موسى رجلًا قد أُعطي بسطة في الخَلْق وقوة في البطش، وكان غائبًا حين صنع ما صنع زمري بن شلوم، فجاء والطاعون في بني إسرائيل، فأُخْبِر الخبر، فأخذ حَرْبته وكانت من حديد كلّها، ثم دخل عليه القُبّة وهما متضاجعان، فانتظمهما بحربته،[٣] ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء، والحربة قد

---

(١) أي: أجهدها، ومعنى الإذْلاق: أن يبلغ منه الجَهْد حتى يقلق ويتضوّر.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٩/٧٣)، ولسان العرب لابن منظور (١٠/١٠٩)"ذلق".

(٢) القُبَّة: من البناء بيت صغير مستدير والجمع قُبَبٌ و قِبابٌ.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٨/٢٣٨)"قب"، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٤/٣)، ولسان العرب لابن منظور (١/٦٥٩)"قب".

(٣) أي: طعنهما بحربته.

أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته،(١) وأسند الحَربة إلى لَحْيَيه،(٢) وجعل يقول: اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك، ورُفع الطاعون. وكان فنحاص بَكْر العيزار،(٣) فمن ذلك تعطي بنو إسرائيل ولد فنحاص [٥٩/أ] من كل ذبيحة ذبحوها: القِبَةَ(٤) والذراع واللَّحْي، لاعتماده بالحربة على خاصرته، وأخذه إياها بذراعه، واستناده إياها إلى لحييه، والبَكْر من كل أموالهم وأنفسهم؛ لأنه كان بكر العيزار بن هارون، ففي بلعم أنزل الله تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا ﴾ الآية.(٥)

﴿ فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا ﴾ أي: خرج منها كما تنسلخ الحيّة من جلدها.(٦)

ينظر: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (٣٢/١٠)، ولسان العرب لابن منظور (٥٧٨/١٢)"نظم".

(١) الخاصِرَة: من الخَصْر وهو وسط الإنسان.

ينظر: العين للخليل (١٨٢/٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (٥٩/٧)"خصر".

(٢) اللِّحيان: العظمان اللذان فيهما منابت الأسنان من كل ذي لَحي.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٥٤/٥)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٣٥٦/١)"لحى".

(٣) البَكْر: أول ولد الرجل غلامًا كان أو جارية. والبَكْر من كل شيء أوله.

ينظر: العين للليل (٣٦٤/٥)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٨٧/١)"بكر".

(٤) القِبَةُ: قِبَة الشــاة، وهي هَنَة متصــلة بالكرش ذات أطباق أسـفل الكرش إلى جنبها لا يخرج منها الفرث أبدًا. والهَنَة: كناية عن كل شيء، وأكثر ما يستعمل كناية عن الفرج والذكر.

ينظر: لســان العرب لابن منظور (٦٣/٥)"قبا"، ومشــارق الأنوار للقاضـي عياض (٢٧١/٢) "هـ ن"، والمعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وجماعة (٧١٣/٢)"القبة".

(٥) ذكر القصــة الطبري في جامع البيان (١٢٤/٩-١٢٦)، وأورده الثعلبي في الكشــف والبيان (٣٠٤/٤) عن ابن عباس رضـي الله عنهما، وابن إســحاق، والسـدي وغيرهم. وسـياق القصـة ابن إسحاق. وهي من رواية أهل الكتاب التي لم يقم عليها دليل ثابت، وأشار إلى عدم صحتها الخازن في لباب التأويل (٣١٣/٢)، وابن عاشــور في التحرير والتنوير (١٧٥/٩). وقال أبو حيان:" وقد طول المفسرون في قصته وذكروا ما الله أعلم به". تفسير البحر المحيط (٤٢١/٤).

(٦) ذكره الثعلبي في الكشــف والبيان (٣٠٨/٤)، والبغوي في معالم التنزيل (٢١٥/٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿ فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ أي: لحقه فأدركه ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾.

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا ﴾ فضّلناه وشرّفناه ورفعنا منزلته بالآيات.

﴿ وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: سكن إلى الأرض، ورضي بالدنيا ولذات الأرض.[١]

﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ يعني: إن حُمِّل هذا الشخص الحكمة لم يحمِلْها، وإن تُرك لم يهتد لخير، كالكلب إن كان رابضًا لهث، وإن طُرد لهث.[٢]

﴿ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ يعني: إن وعظتهم فهم ضالون، وإن تركتهم فهم ضالون كالكلب. ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ ﴾ عنى بهذا بني إسرائيل، قد جئتهم بخبر ما كان يخفون عنك. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ فيعرفون أنه لم يأت بهذا الخبر عما مضى فيهم إلا نبي يأتيه خبر السماء.[٣] ﴿ سَآءَ مَثَلًا ﴾ أي: بئس المثلُ مثلًا مثل القوم.[٤]

---

(١) ينظر: تفســـير غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٧٤)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٣٩١)، والمفردات للراغب (ص١٥٤)"خلد".

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/١٢٩)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن (٥/١٦٢٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وحسن إسناده عنه الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح (٣/٧٦).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/١٣٠) عن أبي النضـــر، وابن أبي حاتم في تفســـير القرآن (٥/١٦٢١) عن ابن إسحاق.

(٤) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/١٦٤)، ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب (١/٣٠٦)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/٦٠٤).

قوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ إنما قال ذلك لنفاد علمه فيهم بأنهم يصيرون إليها بكفرهم بربهم.(١) ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ أي: لا يعلمون بها الخير والهدى. ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ أي: طريق الحق وسبيل الرشاد.

﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أي: مواعظ الله والقرآن، فيعرفون بذلك توحيد ربهم، ويعلمون بها تحقيق نبوّة أنبيائه. ثم ضرب لهم مثلًا في الجهل، والاقتصار على الشرب والأكل، وبعدهم عن مقتضيات العقل فقال عزوجل: ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ لأن الأنعام لا تعصي ربّها، والكافر يعصيه.(٢)

قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ وذلك أن رجلًا دعا الله ودعا الرحمن، فقال رجل من مشركي مكة: أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون ربًّا واحدًا؟ فما بال هذا يدعو ربين اثنين؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾.(٣)

﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ أي: عدلوا بها عما هي عليه،(٤) فسمّوا بها أوثانهم، وزادوا فيها، ونقصوا منها، واشتقوا اللات من الله، والعُزّى من العزيز، ومناة من

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٩/١٣١)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٣١٠)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/٢٩٢).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٩/١٣٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٣١٠)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/٢٣٥).

(٣) ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره (١/٤٢٦)، والسمرقندي في تفسيره (١/٥٨١)، والثعلبي في الكشف والبيان (٤/٣١٠) بلا نسبة.

(٤) أصل الإلحاد في كلام العرب: العدول عن القصد والجور عنه والإعراض، ثم يستعمل في كل معوجّ غير مستقيم، ومنه قيل للَحْدِ القبر لَـحْدٌ لأنه في ناحية منه وليس في وسطه. يقال: ألْـحَدَ فلانٌ يُلْحِدُ إلْحَادًا ولحد يلحد لحدًا ولحُودًا.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٤/٢٤٣)، والمفردات للراغب (ص٤٤٨)"لحد".

المنّان.[١]

قوله: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ ﴾ هي: أمة محمد عليه السلام، بالحق يأخذون ويقضون ويعطون.[٢]

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: سنمكر بهم[٣]﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾. ﴿ وَأُمْلِى لَهُمْ ﴾ أي: أمهلهم، وأطيل لهم.[٤]

---

(١) رواه الطبري في جامع البيان (١٣٣/٩)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (٣١١/٤)، والبغوي في معالم التنزيل (٢١٧/٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد.

(٢) قاله أكثر المفسـرين. وهو مروي عن قتادة، وابن جريج.والظاهر من الآية أنها عامة، ويدخل في ذلك أمة محمد ﷺ دخولا أوّليًا. قال أبو حيان رحمه الله:" الظاهر أن هذه الجملة أخبر فيها أن ممن خلق أمّةً موصوفون بكذا، فلا يدل على تعيينٍ لا في أشخاص ولا في أزمان، وصلحت لكل هاد بالحق من هذه الأمة وغيرهم، وفي زمان الرسول ﷺ وغيره، كما أنّ مقابلَها في قوله:﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ ﴾ [الأعراف:١٧٩] لا يدلّ على تعيين أشـخاصٍ ولا زمانٍ، وإنما هذا تقسـيمٌ للمخلوق للنار والمخلوق للجنة..". تفسير البحر المحيط (٤٢٨/٤).

ينظر: جامع البيان (١٣٥/٩)، وتفسـير القرآن لابن أبي حاتم (١٦٢٣/٥)، والكشـف والبيان للثعلبي (٣١١/٤)، والتفسير الكبير للرازي (٦٠/١٥).

(٣) ذكره الثعلبي في الكشـف والبيـان (٣١٢/٤)، والبغوي في معالم التنزيل (٢١٢/٢).وأصـل الاسـتدراج: اغترار المسـتدرَج بلطفٍ من حيث يرى المسـتدرَج أن المسـتدرِج إليه محسـن حتى يورطه مكروها. أي: سنأخذهم من حيث لا يحتسبون. وذلك أن الله تعالى يفتح عليهم من النعيم ما يغتبطون به فيركنون إليه ويأنسون به، فلا يذكرون الموت؛ فيأخذهم على غرتهم أغفل ما كانوا.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٣٣٩/١٠)، والمفردات للراغب (ص١٦٧)، ولسـان العرب لابن منظور (٢٦٨/٢)"درج".

(٤) الإملاء في اللغة: الإمهال والتأخير، يقال: مُلاوَةً من الدهر، أي: مدة فيها طول، والـمُلاوة: بضم الميم وبفتحها وبكسرها، وهي: البرهة والقطعة من الزمن.

ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيـدة (٢٣٤/١)، ومعـاني القرآن للنحـاس (٣/١-٩)، والمفردات للراغـب (ص٤٧٣)"ملأ".

﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ أي: أخذي قويٌّ شديدٌ.(١)

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قام على الصفا ليلًا، فجعل يدعو قريشًا فخِذًا فخِذًا،(٢) يا بني فلان، يا بني فلان، يُحذّرهم بأس الله ووقائعه، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون، فأنزل الله تعالى الآية.(٣)

والجِنّة: الجنون.(٤)

قوله: ﴿وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ﴾ أي: دنى بعد أجلهم(٥) ﴿قَدِ اقْتَرَبَ﴾.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ أي: بعد القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

---

(١) قاله عامة المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (٩/١٣٥)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٤/٢٦٥٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٢١٨)، والتفسير الكبير للرازي (١٥/٦١).

(٢) الفَخْذ: فرقة من فرق الجماعات والعشـائر. وفَخِذ الرجل: نَفَرُه من حيه الذين هم أقرب عشـيرته إليه، يقال: الشَّعب، ثم القبيلة، ثم الفصيلة، ثم العمارة، ثم البطن، ثم الفخذ.

ينظر: العين للخليل (٤/٢٤٥)، ولسان العرب لابن منظور (٣/٥٠١)"فخذ".

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/١٣٦)، وابن أبي حاتم في تفسـير القرآن (٥/١٦٢٤)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (٤/٣١٢) عن قتادة مرسلًا. وضعفه الدكتور حكمت بشير في تحقيقه على تفسير ابن كثير (٤/١٢٧).

(٤) يقال: به جنُونٌ، وجِنَّة، ومجَنَّة.

ينظر: العين للخليل (٦/٢١)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٠/٢٦٦)"جن".

(٥) ينظر: تفسـير القرآن للسـمعاني (٢/٢٣٧)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٢١٩)، ولباب التأويل للخازن (٢/٣٢١).

قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ وذلك أنّ قريشًـــا قالوا: إن بيننا وبينك قرابة، فأسِـرّ إلينا متى السـاعة؟ فأنزل الله هذه الآية.[١] ومعنى: ﴿أَيَّانَ﴾ متى.[٢] ومعنى: ﴿مُرْسَىٰهَا﴾ منتهاها.[٣]﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ أي: استأثر الله بعلمها. ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ﴾ أي: لا يظهرها[٤] ﴿إِلَّا هُوَ﴾.

﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لخفائها، فلا يعرفون مجيئها ووقتها، ولا يعلم وقتها ملَكٌ مقرّب، ولا نبيٌّ مرسَل. قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا﴾ أي: كأنّك عا لم بها.[٥]

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٣٧/٩)، وأورده النحاس في معاني القرآن (١١١/٣)، والواحدي في أسباب النزول (ص٣٨٧) عن قتادة مرسلًا.

(٢) أيّان: عبارة عن وقت الشيء ويقارب معنى متى، وأصله: أيَّ أوانٍ، فخففوا الياء من أي وتركوا همزة أوان فالتقت ياء ساكنة بعدها واو فأُدغمت الواو في الياء.

ينظر: العين للخليـل (٤٤١/٨)، وتهـذيـب اللغـة للأزهري (٣٩٥/١٥)، والمفردات للراغـب (ص٣٤)"أيان".

(٣) قاله ابن عباس رضـي الله عنهما. ومنتهاها: بلوغها وقتها ومسـتقرّها، كما أنّ مُرسـى السـفينة مستقرّها، حيث تنتهي إليه.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٣٨/٩)، والمفردات للراغب (ص١٩٦)، ولسـان العرب لابن منظور (٣٢١/١٤)"رسا".

(٤) يقال: جلّى لي فلان الخبر: إذا أظهره وأوضـحه. وأمرٌ جليّ: واضـح، وتقول: اجْلُ لي هذا الأمر، أي: أوضحه.

ينظر: معاني القرآن للنحاس (١١٠/٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٢٦/١١)، ولسـان العرب لابن منظور (١٥٠/١٤)"جلا".

(٥) قاله ابن عباس رضـي الله عنهما، ومجاهد، والضـحاك، وابن زيد، ومعْمر. يقال: أحفيت فلانا: إذا ما بالغت في المسـألة عنه حتى علمت، فعلى هذا معنى الآية: كأنك حفيّ عنها، أي: كأنك بالغت في السـؤال عنها حتى علمت. ينظر: جامع البيان للطبري (١٤٠/٩)، وتفسـير القرآن لابن أبي حاتم (١٦٢٨/٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٦٧/٥)، ولسان العرب لابن منظور (١٨٨/١٤)"حفا".

﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ وذلك أن أهل مكة قالوا: يا محمد! ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فنشتريه فنربح فيه؟ وبالأرض التي يريد أن يُجدب فنرتحل منها إلى ما قد أخصبت؟ فأنزل الله هذه الآية.(١)

﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ﴾ أي: من المال، وتهيَّأتُ لسَنَة القحط ما يكفيها. ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾ وما أصابني الضر والفقر.(٢)

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ يعني: آدم. [٥٩/ب]

﴿وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ﴾ أي: ليستأنس بها ويأوي إليها لقضاء حاجته منها.(٣) ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ﴾ أي: استمرت به وقامت وقعدت به، ولم تكترث بحملها.(٤) ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا﴾ أي: بشرًا سويًا مثلنا.(٥) ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشـــف والبيان (٤/٣١٣)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/٢٢٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص٣٨٨) عن الكلبي.

(٢) قاله ابن عباس رضـــي الله عنهما. وقال الحســـن، وابن جريج، ومجاهد: لو كنت أعلم متى أموت لاستكثرت من العمل الصالح. وذهب الجمهور إلى القول بعموم الآية، وهو الصحيح. قال ابن عطية رحمه الله:" وألفاظ الآية تعم هذا وغيره". المحرر الوجيز (٢/٤٨٥).

ينظر: جامع البيان للطبري (٩/١٤٣)، وتفســـير القرآن لابن أبي حاتم (٥/١٦٢٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/١١٢).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٩/١٤٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٣١٤)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٤/٢٦٦٨).

(٤) قاله الحسن، وقتادة، ومجاهد، والنخعي، والسدي، والزجاج.

ينظر: جامع البيان للطبري (٩/١٤٣)، وتفســـير القرآن لابن أبي حاتم (٥/١٦٣٢)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٣٩٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٥/١٤٣)"مر".

(٥) قاله أكثر المفسرين.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ وذلك أن حوّاء كان لا يعيش لها ولد، فقال لها إبليس: سميه عبد الحارث؛ فإنه يعيش، فسموه عبد الحارث.[1] وكان هذا شركًا

ينظر: تفسـير الهداية لمكي بن أبي طالب (٤/٢٦٧٢)، وزاد المسـير لابن الجوزي (٣/٣٠١)، وتفسـير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٢٧٥).

(١) هذا القول مروي عن ابن عباس، وسمرة ابن جندب ﷺ، ومجاهد، وابن جبير، والســـدي.وقد روي معناه مرفوعًا عن سمرة بن جندب ﷺ عن النبي ﷺ قال: « لما حملت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال: سميه عبد الحارث، فســمته عبد الحارث فعاش، وكان ذلك من وحي الشـيطان وأمره». رواه الترمذي في سننه (٥/٢٦٧)، برقم: (٣٠٧٧) كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ/باب ومن سـورة الأعراف. قال الترمذي:"هذا حديث حسن غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه عمر بن إبراهيم شَيخٌ بصْريٌ". ورواه الحاكم وصـــححـه في المســـتـدرك (٢/٥٩٤)، برقم: (٤٠٠٣)،كتـاب تواريخ المتقـدمين من الأنبيـاء والمرسـلين.وذهب الحسـن وقتادة، واختاره ابن كثير، والرازي، وأبو حيان، وابن سـعدي، وغيرهم من المحققين، إلى: أنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء؛ وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته، ولهذا قال الله تعالى:﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. وهذا القول هو الأصـح، فإن آدم عليه السلام أحد الأنبياء الكرام، ومن المستحيل أن يستجيب للشرك بالله تعالى، كيف وقد عصم الله الأنبياء عليهم السلام من الكبائر فضـلًا عن الشـرك. وأما حديث سمرة بن جندب فالصـحيح أنه موقوف، ولا يصـح رفعه إلى النبي ﷺ، وقد ضـعفه غير واحد من أهل العلم. قال الذهبي:" وهو حديث منكر". ميزان الاعتدال (٥/٢١٦). وقد علل الحديث الحافظ ابن كثير من ثلاثة أوجه ثم قال:" ... وعن الحسـن: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ قال: كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم ... وعن قتادة قال: كان الحسن يقول: هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادًا فهوّدوا ونصّروا. وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رضي الله عنه أنه فسر الآية بذلك، وهو من أحسن التفاسير وأولى ماحملت عليه الآية، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظًا عن رسـول الله ﷺ لما عدل عنه هو ولا غيره؛ ولا سيما مع تقواه لله وورعه، فهذا يدلك على أنه موقوف على الصـــحابي، ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم مثل كعب، أو وهب بن منبه وغيرهما". تفسير القرآن العظيم (٢/٢٧٥).

ينظر: جامع البيان للطبري (٩/١٤٥)، وتفســير القرآن لابن أبي حاتم (٥/١٦٣٣)، وأسـباب النزول

في التسمية لا في العبادة.[١] ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ أي: تعالى على إشراك المشركين.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ﴾.

قوله: ﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡ﴾ لأنها غير عاقلة، يعني: الأصنام ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ﴾ أي: مملوكة مسخَّرة مقدَّرة.[٢]

﴿فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ أي: أنها آلهة.

﴿أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآ﴾ تنبيه لعابديهم على ضعفهم؛ أي: أنهم لا يملكون شيئًا، وهي جمادات غير متصفة بالاقتدار، فكيف تتخذونهم معبودين؟

قوله: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ﴾ أي: أصنامكم التي تزعمون أنها شركاء.

﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ أنتم وهم ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾.

﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾ أي: إن الذي يحفظني ويمنعني منكم الله الذي ينزل الكتاب. وفي هذا معجزة عظيمة، فإنه تحدّاهم بأنهم لا يظفروا على أن ينالوه بسوء مع قلة متبعيه وكثرة هؤلاء، وأخبر أنه في حفظ الله، فكان كما أخبر.[٣]

للواحدي (ص٣٨٨)، والتفسير الكبير للرازي (١٥/٧٠)، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان ٤/٤٣٧)، وتيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (ص٣١٢).

(١) قاله جمهور المفسرين، وهو مروي عن قتادة رحمه الله.

ينظر: جامع البيان للطبري (٩/١٤٧)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٣١٦)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/٣٠٢).

(٢) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٤/٣١٧)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٢٢٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/٤٨٨).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٩/١٥٢)، وتفسير الوجيز للواحدي (١/٤٢٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/٢٤١).

قوله تعالى:﴿ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ ﴾ معناه: وترى الأصنام يا محمد تقابلك ولا يبصرونك.(١) ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ ﴾ أي: خذ عفو أخلاق الناس، وهو ما سهل ولم يكن فيه كُلفة، وعَفْوَ أموالهم وهو ما تيسر وسهل ولم يجحف بالمال، ولم يثقل على القلوب إخراجه بخمسة دراهم من مائتي درهم، وسائر الزكوات التي هي قليل من كثير.(٢)

---

(١) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٥٢/٩)، وزاد المســير لابن الجوزي (٣٠٧/٣)، والتفســير الكبير للرازي (٧٧/١٥)، لباب التأويل للخازن (٣٢٧/٢).

(٢) اختلف المفســرون في المراد من هذه الآية على ثلاثة أقوال: **القول الأول**: المراد: خذ واقبل ما عفا وتيسر من أخلاق الناس، وهو حض على مكارم الأخلاق. وهذا قول جمهور المفسرين. **القول الثاني**: أن المراد: خذ الزكاة، أو خذ الفضــل وما يســهل من صــدقات الناس، قال بهذا ابن عباس رضــي الله عنهما، ومجاهد، والسدي، والضحاك. **القول الثالث**: أن المراد العفو عن المشركين وترك الغلظة عليهم، قبل فرض القتال، ثم نســخ هذا بآية الســيف، قال بهذا ابن زيد. والمؤلف رحمه الله جمع بين القولين في قول واحد واختاره. والصحيح القول الأول، لثبوت الحديث الصحيح الصريح في سبب نزول هذه الآية، وإذا ثبت الحديث وكان نصًا في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره. أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن الزبير ﷺ:"﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ قـال: مـا أنزل الله إلا في أخلاق الناس". وقال ﷺ:" أمر الله نبيه ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس". (صــحيح البخاري (١٧٠٢/٤)، برقم: (٤٣٦٧) كتاب التفسير/سورة الأعراف).وعند الطبري في جامع البيان (١٥٤/٩) عن مجاهد قال: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ ﴾ من أخلاق الناس وأعمالهم، من غير تـحسس أو تـجسس، شك أبو عاصـم. صـحح هذا الأثر الدكتور حكمت بشـير في التفسـير الصـحيح (٨٦/٣). قال النحاس رحمه الله:" وهذا أولى ما قيل في الآية، لصـحة إسـناده، وأنه عن صـحابي يخبر بنزول الآية، وإذا جاء الشـيء هذا المجيء لم يسع أحدا مخالفته". الناسخ والمنسوخ (ص٤٤٨).

ينظر: تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني (٢٤٥/٢)، وجامع البيان للطبري (١٥٣/٢)، وتفســير القرآن لابن أبي حاتم (١٦٣٧/٥)، وتفســير الهداية لمكي بن أبي طالب (٢٦٨٨/٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٠٧/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين للحربي (١٩١/١).

﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ أي: كل خصلة جميلة يرتضيها العقول، وتطمئن إليها النفوس.(١)

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ أي: دَعْهم إلى الوقت الذي وعد الله فيه النصر عليهم، ثم نسخ بآية السيف.(٢)

---

(١) قال ابن تيمية رحمه الله:" وهذه الآية فيها جماع الأخلاق الكريمة، فإن الإنسان مع الناس إما أن يفعلوا معه ما يحبّ أو ما يكره، فأُمر أن يأخذ منهم ما يحبّ ما سمحوا به، ولا يطالبهم بزيادة، وإذا فعلوا معه ما يكره أعرض عنهم، وأما هو فيأمرهم بالمعروف، وهذا باب واسع". مجموع الفتاوى (٣٠/٣٧٠).

ينظر: جامع البيان للطبري (٩/١٥٦)، والكشف والبيان للثعلبي (٤/٣١٨)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٢٢٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/٣٤٤).

(٢) قاله ابن زيد، وعطاء، والسدي.

وقال الجمهور: هي محكمة. وهذا هو الصحيح، ودعوى النسخ لا تصح إلا إذا صح التصريح بنسخها أو انتفى حكمها من كل وجه، وحكم الآية باقٍ، بدليل ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:" قال عيينة بن حصن لما دخل على عمر ﷺ: هي يا بن الخطاب فو الله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر حتى همَّ بأن يقع به. فقال له الحر يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ وإن هذا من الجاهلين، فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافا عند كتاب الله ﷻ". (صحيح البخاري (٤/١٧٠٢)، برقم: (٤٣٦٦) كتاب التفسير/ سورة الأعراف). فاستعمال عمر ﷺ لهذه الآية واستدلال الحرّ بها يدل على أنها محكمة لا منسوخة. قال الرازي رحمه الله:" فالمقصود منه أمر الرسول ﷺ بأن يصبر على سوء أخلاقهم، وأن لا يقابل أقوالهم الركيكة ولا أفعالهم الخسيسة بأمثالها، وليس فيه دلالة على امتناعه من القتال، لأنه لا يمتنع أن يؤمر عليه السلام بالإعراض عن الجاهلين مع الأمر بقتال المشركين؛ ... وإذا كان الجمع بين الأمرين ممكنًا فحينئذ لا حاجة إلى التزام النسخ، إلا أن الظاهرية من المفسرين مشغوفون بتكثير الناسخ والمنسوخ من غير ضرورة ولا حاجة". التفسير الكبير (١٥/٧٩).

ينظر: جامع البيان للطبري (٩/١٥٦)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (ص٤٤٩)، وتفسير الهداية لمكي بن أبي طالب (٤/٢٦٩١)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/٢٤٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ ﴾ أي: أن يصيبك من الشيطان وسوسة.(١)

قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ﴾ أي: المؤمنين ﴿إِذَا مَسَّهُمْ ﴾ أي: أصابهم.

﴿طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ أي: اللَّمة والوسوسة والخطْرة.(٢)

﴿تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ معناه: الرجل يغضب الغضبة فيذكر الله فيكظم الغيظ.(٣)

﴿ وَإِخْوَٰنُهُمْ ﴾ أي: شياطين الكفار الذين هم إخوان الكفار.(٤)

(٢/٤٩١)، وفواعد الترجيح عند المفسرين للحربي (٧١/١).

(١) أصل النزغ :الفساد، يقال: نَزَغَ الشيطان بين القوم: إذا أفسد بينهم وحمل بعضهم على بعض، ويقال منه: نَزَغَ يَنْزِغُ ونَغَزَ يَنْغُزُ. والنزغ: أدنى حركة تكون من الآدمي، ومن الشيطان: أدنى وسوسة. قال ابن عطية رحمه الله:"والنزغ: حركة فيها فساد، وقلما تستعمل إلا في فعل الشيطان، لأن حركاته مسرعة مفسدة". المحرر الوجيز (٤٩١/٢). ينظر: معاني القرآن للزجاج (٣٩٦/٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٧٨/٨)، ولسان العرب لابن منظور (٤٥٤/٨)"نزغ".

(٢) قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

وأصل الطَّيْف: الجنون، ثم استعمل في الغضب ومس الشيطان ووسوسته. ويقال له: طائف.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٥٨/٩)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٦٤٠/٥)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٠٩/٣)، والمفردات للراغب (ص٣١١)"طوف"، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (١٥٣/٣)"طيف".

(٣) قاله سعيد بن جبير.

ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٣٢٠/٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٢٥/٢)، والتفسير الكبير للرازي (٨١/١٥)، ولباب التأويل للخازن (٣٢٩/٢).

(٤) قاله جمهور المفسرين.

ينظر: جامع البيان للطبري (١٥٩/٩)، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (١٦٤١/٥)، والكشف والبيان للثعلبي (٣٢٠/٤)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٤٩٢/٢)، والتفسير الكبير للرازي (٨٢/١٥).

﴿ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ﴾ أي: يزيدونهم في الضلالة.(١) ﴿ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ أي: لا يُمسكون ولا ينزعون.(٢) ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ﴾ أي: هلا أنشأتها من قبل نفسك.(٣)

قوله: ﴿ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ أي: حجج وبيان من ربكم.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ الآية، نزلت في تحريم الكلام في الصلاة، أُمروا بالاستماع إلى قراءة القرآن والسكوت.(٤)

---

(١) أصل المدّ: الزيادة. أي: يزودونهم في الغي، وذلك بالتزيين والاستدعاء. يقال: مددتّ له في كذا، أي: زينته له واستدعيته أن يفعله.

ينظر: المفردات للراغب (ص٤٦٥)"مد"، ولسان العرب لابن منظور (٣٩٧/٣)"مدد".

(٢) الإقصار: الكفّ عن الشيء. يقال: أقصر فلان عن الشر يقصر إقصاراً: إذا كف عنه وانتهى.

ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢٨٠/٨)، والمفردات للراغب (ص٤٠٥)، ولسان العرب لابن منظور (٩٧/٥)"قصر".

(٣) قاله عامة المفسرين.يقال في اللغة: اجتبيتَ الشيءَ وارتَجلْتَه واختَرَعْتَه واختَلَقْتَه: إذا جئتَ به من عند نفسك.

ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤٣١/١)، وجامع البيان للطبري (١٦٠/٩)، ومعاني القرآن للنحاس (١٢١/٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣١٢/٣)، ولسان العرب لابن منظور (١٣٠/١٤)"جبي".

(٤) قاله جمهور المفسرين. وهو مروي عن أبي هريرة، وابن مسعود رضي الله عنهما، وعطاء، وسعيد بن المسيب، ومجاهد، وقتادة، والسدي، والضحاك، والنخعي، والشعبي، وغيرهم، وذهب إليه النحاس، والسمعاني، وابن كثير. ويشهد لهذا ما رواه أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ انصرف من صلاة جهر فيها بالقراءة فقال:«هل قرأ معي أحد منكم آنفا»؟ قال رجل: نعم يا رسول الله. قال: « إني أقول: ما لي أنازع القرآن». قال: فانتهى الناس عن القراءة مع رسول الله ﷺ فيما جهر فيه رسول الله ﷺ من القراءة في الصلاة حين سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ. رواه أحمد في مسنده (٣٠١/٢)، برقم: (٧٩٩٤)، والبخاري في القراءة خلف الإمام (ص٥٨)، وأبو داود في سننه (٢١٨/١)، برقم: (٨٢٦) كتاب الصلاة/باب من كره القراءة بفاتحة الكتاب إذا جهر الإمام، والترمذي في سننه (١١٨/٢)، برقم: (٣١٢) كتاب أبواب الصلاة/ باب ما جاء في ترك القراءة خلف الإمام إذا جهر الإمام بالقراءة،

قوله: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ ﴾ أي: سرًّا.

وقوله: ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ﴾ وهو: جمع الغَدَاة.[1]

﴿وَٱلْآصَالِ﴾ أي جمع الأُصُل، وهو: ما بين العصر والمغرب.[2]

قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ أي: الملائكة الذين هم بحضرة عزة ربك.[3]

﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ أي: لا يتعظمون.[4]

وقال: حديث حسن، والنسائي في السنن الكبرى (٣١٩/١)، برقم: (٩٩١)، كتاب افتتاح الصلاة/ باب ترك القراءة خلف الإمام فيما جهر فيه. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٣٢/١).

وروى ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن مسعود ﷺ أنه سلّم على رسول الله ﷺ وهو يصلي، فلم يردّ عليه - وكان الرجل قبل ذلك يتكلم في صـــلاته ويأمر بحاجته - فلما فرغ ردّ عليه وقال: « إن الله يفعل ما يشاء، وإنما نزلت: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ ». تفسير القرآن (١٦٤٦/٥).

ينظر: جامع البيان للطبري (١٦٢/٩)، وأحكام القرآن للجصـــاص (٢١٥/٤)، وأحكام القرآن لابن العربي (٣٦٣/٢)، وبداية المجتهد لابن رشـــد (١١٢/١)، والمغني لابن قدامة (٣٢٩/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٥٣/٧).

(١) الغُدُوّ: أول النهار، والغَدْوة: ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس، ومنه الغَدَاء: الطعام بعينه، سمي بذلك لأنه يؤكل في ذلك الزمان.

ينظر: والمفردات للراغب (ص٣٥٨)، ولسان العرب لابن منظور (١١٦/١٥)"غدا".

(٢) ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢٣٩/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٦٩/١٢)، والمفردات للراغب (ص١٩)"أصل".

(٣) في الآية دليل على إثبات علو الرب ﷻ فوق خلقه، واســتواؤه على عرشــه، فلو لم يكن الله جل وعلا فوق عرشه لما كان لتخصيص بعض الملائكة بالعند معنى.

ينظر: جـامع البيـان للطبري (١٦٨/٩)، ومجموع فتـاوى ابن تيميـة (١٦٥/٥)، والعلو للعلي الغفـار للذهبي (ص١٠٧)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص٣٢٠).

(٤) حقيقة الاستكبار: الامتناع عن قبول الحق معاندة وتعظمًا، واحتقار الناس.

﴿وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾ أي: يذكرونه بالتقديس[1] ﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩﴾.

ينظر: العين للخليل (٥/٣٦١)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٠/١١٩)، والمفردات للراغب (ص٤٢١)"كبر".

(١) أصل التسبيح: التنزيه والتقديس من جميع النقائص والعيوب.

ينظر: العين للخليل (٣/١٥١)، والمفردات للراغب (ص٢٢١)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٢/٢٠٣)"سبح".

الفهارس

فهرس الآيات

الآية	رقمها	الصفحة
سورة النساء		
﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾	٦٩	٦٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾	٤٣	٢٣١
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾	١٠	٢٣٥
﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾	١٨	٤٠٦
﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾	٤	٤٨٦
﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾	١١	٥٠٠
﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ﴾	٧	٥٠٠
سورة المائدة		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	٩٠	٢٣١
﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾	٥	٢٣٧
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾	٤٨	٢٨٤

فهرس الأحاديث والآثار

الآية،على رسول الله ﷺ وهو في بطن نخل...."	
نزلت ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ في ناس من قريش، قدموا على رسول الله ﷺ المدينة، فأسلموا وأقاموا، ثم ندموا على ذلك، وأرادوا الرجعة ......"	٥٣٧
نزلت ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ في قوم كانوا يلقون من المشركين أذى شديدًا وهم بمكة...	٥٢٨
نزلت ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ﴾ الآية، في تحريم الكلام في الصلاة، أُمروا بالاستماع إلى قراءة القرآن والسكوت.	٨٨٠
نزلت ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ الآية، في عبد الله بن سلام ﷺ، قال: يا رسول الله:...	٦٤١
نزلت ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ﴾ في الزنادقة قالوا: إن الله تعالى وإبليس شريكان،	٧٣٨
نزلت في الرجل يتزوج المرأة ولا يُسمى لها صداقا، فيطلقها قبل أن يمسها، ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ﴾	٢٥٧
نزلت في ثوبان ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ مولى رسول الله ﷺ...	٥٢٣
نزلت في رجل من الأنصار، كان له غلام أسود، وكان يكرهه على الإسلام، فنزلت هذه الآية: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾	٢٨١
نزلت في مرثد بن أبي مرثد الغنوي كان شجاعاً قوياً، فبعثه رسول الله ﷺ إلى مكة ...	٢٣٦
نزلت هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ في عثمان بن طلحة الحَجَبيّ من بني عبد الدار، وكان سادن الكعبة ...	٥١٨
نزلت هذه الآية: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ في مقيس بن صُبَابَة الكناني، وذلك أنه وجد أخاه مقتولًا في بني النجار	٥٤٧
نزلت: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾	٥٤٣

المصطلحات العلمية والكلمات الغريبة

فهرس الأعـــــلام

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس القبائل والفرق

فهرس المصادر والمراجع

آثار البلاد وأخبار العباد ، لزكريا بن محمد بن محمود القزويني ، دار صادر - بيروت.
اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ، لابن القيم، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٤ - ١٩٨٤ ، الطبعة : الأولى .
الإجماع ، لمحمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري أبو بكر ، دار الدعوة - الإسكندرية - ١٤٠٢، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : د. فؤاد عبد المنعم أحمد.
أحكام القرآن ، أبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي ، دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا.
أحكام القرآن ، لأحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤٠٥ ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي.
أحكام القرآن ، لمحمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٠ ، تحقيق : عبد الغني عبد الخالق.
أحكام القرآن للكيا هراسي ، أبو الحسن على بن محمد ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٥ ، الطبعة : ، تحقيق : موسى محمد على . عزت عبده عطية
أحكام أهل الذمة ، لابن القيم، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، رمادى للنشر - دار ابن حزم - الدمام - بيروت - ١٤١٨ - ١٩٩٧ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : يوسف أحمد البكري - شاكر توفيق العاروري.
الإحكام في أصول الأحكام ، لعلي بن محمد الآمدي أبو الحسن ، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٤ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. سيد الجميلي.
أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، لمحمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي أبو عبد الله، دار خضر/ بيروت - ١٤١٤، الطبعة: الثانية ، تحقيق: د. عبد الملك عبد الله دهيش.
أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار ، لأبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي ، دار الأندلس للنشر - بيروت - ١٩٩٦م- ١٤١٦هـ، تحقيق : رشدي الصالح ملحس.
اختلاف الأئمة العلماء ، للوزير أبي المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة الشيباني ، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : السيد يوسف أحمد.

الآداب الشرعية والمنح المرعية لأبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي ، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط / عمر القيام.

الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار للإمام النووي ، دار الكتب العربي - بيروت - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

أساس البلاغة ، لأبي القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري ، دار الفكر - ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م

أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، رواية بدر الدين أبي نصر محمد بن عبد الله الأرغياني، تحقيق:د. ماهر ياسين الفحل، دارالميمان.
المملكة العربية السعودية، الرياض، شارع العليا العام، طبعة: ١٤٢٦ هـ

الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار ، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي ، دار الكتب العلمية -- بيروت - ٢٠٠٠م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : سالم محمد عطا- محمد علي معوض.

الاستقامة ، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة - ١٤٠٣ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. محمد رشاد سالم.

الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ليوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ، دار الجيل - بيروت - ١٤١٢ ، الطبعة: الأولى، تحقيق: علي محمد البجاوي.

أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري ، دار إحياء التراث العربي - بيروت / لبنان - ١٤١٧ هـــ - ١٩٩٦ م ، الطبعة : الأولى تحقيق : عادل أحمد الرفاعي.

أسرار التكرار في القرآن ، لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني ، دار الاعتصام - القاهرة - ١٣٩٦ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : عبد القادر احمد عطا.

الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى ، لنور الدين علي بن محمد بن سلطان المشهور بالملا علي القاري ، دار الأمانة / مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٣٩١ هـــ - ١٩٧١م ، تحقيق : محمد الصباغ.

الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢ م.

أسماء المدلســـين ، لعبد الرحمن بن أبو بكر، جلال الدين الســـيوطي ،دار الجيل – بيروت – ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمود محمد حسن نصار.
الأسماء والصفات ، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي ، مكتبة السوادي للتوزيع – القاهرة – ، الطبعة : ، تحقيق : عبدالله بن محمد الحاشدي.
أسنى المطالب في شرح روض الطالب ، لزكريا الأنصاري ، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٠ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د . محمد محمد تامر.
الأشباه والنظائر ، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٣ ، الطبعة : الأولى .
الأشـــربة و ذكر اختلاف الناس فيها ، لأبي محمد عبد الله بن مســـلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى : ٢٧٦هـــــ) ، دار الفكر – دمشق – ١٤٢٠-١٩٩٩ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : ياسين محمد السواس.
الإصابة في تمييز الصحابة ، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، دار الجيل – بيروت – ١٤١٢ – ١٩٩٢ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : علي محمد البجاوي .
أضـواء البيان في إيضـاح القرآن بالقرآن ، لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي. ، دار الفكر للطباعة والنشـر. – بيروت. – ١٤١٥هـــــ – ١٩٩٥م. ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات.
اعتقادات فرق المســلمين والمشـركين ، لمحمد بن عمر بن الحســين الرازي أبو عبد الله ، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٢ ، تحقيق : علي سامي النشار.
إعراب القرآن ، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس ، عالم الكتب – بيروت – ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م ، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : د.زهير غازي زاهد.
إعلام الموقعين عن رب العالمين ، لابن القيم، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن ســعد الزرعي الدمشــقي ، دار النشــر : دار الجيل – بيروت – ١٩٧٣ ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد.
إغاثة اللهفان من مصـائد الشـيطان ، لابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، دار المعرفة – بيروت – ١٣٩٥ – ١٩٧٥ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : محمد حامد الفقي.

اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، مطبعة السنة المحمدية - القاهرة - ١٣٦٩ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : محمد حامد الفقي.

الأم ، لمحمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله ، دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٣ ، الطبعة : الثانية.

الأماكن، ما اتفق لفظه وافترق مسماه ، لأبي بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني ، دار اليمامة - الرياض - ١٤١٨هـ ، تحقيق : حمد الجاسر.

إمتاع الأسماع بما للنبى من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ، لتقى الدين أحمد بن على المقريزى ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢٠-١٩٩٩ ، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمد عبد الحميد النميسى.

الأمثال من الكتاب والسنة ، لأبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي ، دار ابن زيدون / دار أسامة - بيروت - دمشق ، تحقيق : د . السيد الجميلي .

إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات ، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري ، المكتبة العلمية- لاهور - باكستان ، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض.

الإنباه على قبائل الرواة ، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ،دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : إبراهيم الأبياري.

الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات في أصول الفقه ، لشمس الدين محمد بن عثمان بن علي المارديني الشافعي ، مكتبة الرشد - الرياض - ١٩٩٩م ، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : عبد الكريم بن علي محمد بن النملة.

الأنساب ، لأبي سعيد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي السمعاني ، دار الفكر - بيروت - ١٩٩٨م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد الله عمر البارودي.

أنساب الأشراف ، لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (المتوفى : ٢٧٩هـ) ، دار الفكر - بيروت - ١٤١٧-١٩٩٦ ، الطبعة : ، تحقيق : د.سهيل زكار/ د.رياض زركلي.

إيجاز البيان عن معاني القرآن ، لمحمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري، تحقيق: د. علي بن سليمان العبيد، مكتبة التوبة ، الطبعة : الأولى، ١٤١٨ هـ .

إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل ، لمحمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة ، دار السلام للطباعة والنشر – مصر – ١٤١٠هـــ – ١٩٩٠م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : وهبي سليمان غاوجي الألباني .

الإيمان لابن منده ، لمحمد بن إسحاق بن يحيى بن منده ، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٠٦ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي.

البحر الزخار ، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار ، مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم – بيروت ، المدينة – ١٤٠٩ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. محفوظ الرحمن زين الله .

المعجم الكبير ، لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، مكتبة الزهراء – الموصل – ١٤٠٤ – ١٩٨٣، الطبعة: الثانية، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي.

البحر المحيط في أصول الفقه ، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢١هـــ – ٢٠٠٠م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. محمد محمد تامر.

البدء والتاريخ ، ل مطهر بن طاهر المقدسي ، مكتبة الثقافة الدينية – بورسعيد .

بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، لمحمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي أبو الوليد ، دار الفكر – بيروت.

البداية والنهاية: لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء ، دار النشر : مكتبة المعارف – بيروت.

بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، لعلاء الدين الكاساني ، دار الكتاب العربي – بيروت – ١٩٨٢ ، الطبعة : الثانية.

بدائع الفوائد ، لابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة – ١٤١٦ – ١٩٩٦ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : هشام عبد العزيز عطا – عادل عبد الحميد العدوي – أشرف أحمد.

البرهان في أصول الفقه ، لعبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني أبو المعالي ، دار الوفاء – المنصورة – مصر – ١٤١٨ ، الطبعة : الرابعة ، تحقيق : د. عبد العظيم محمود الديب.

البرهان في علوم القرآن ، لمحمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله ، دار المعرفة – بيروت – ١٣٩١ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، المكتبة العصرية – لبنان / صيدا ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم.

البلدان ، لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب المعروف باليعقوبي مطبعة بريل – ليدن – ١٨٦٠ ، الطبعة : الأولى.

بيان تلبيس الجهمية في بدعهم الكلامية، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، أبو العباس، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ١٣٩٢ هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم.

البيضاوي مفسرا، للدكتورعبد العزيز حاجي، دار النوادر، الطبعة الأولى: ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م، سورية، دمشق.

تاج العروس من جواهر القاموس ، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، دار الهداية ، تحقيق : مجموعة من المحققين.

تاريخ أصبهان ، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن مهران المهراني الأصبهاني ، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٠-١٩٩٠، الطبعة : الأولى ، تحقيق : سيد كسروي حسن.

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، دار الكتاب العربي – لبنان/ بيروت – ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. عمر عبد السلام تدمرى.

تاريخ الطبري ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار الكتب العلمية – بيروت .

تاريخ المدينة المنورة ، لأبي زيد عمر بن شبة النميري البصري ، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٧هـ-١٩٩٦م ، تحقيق : علي محمد دندل وياسين سعد الدين بيان.

تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل ، لابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن إبن هبة الله بن عبد الله الشافعي ، دار الفكر – بيروت – ١٩٩٥ ، تحقيق : محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري.

تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة: ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م.

التبصرة ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني - مصر - لبنان - ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د.مصطفى عبد الواحد.

التبصـرة في أصـول الفقه ، لإبراهيم بن علي بن يوسـف الفيروزآبادي الشـيرازي أبو إسـحاق، دار الفكر - دمشق - ١٤٠٣، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمد حسن هيتو

التبيان في إعراب القرآن ، لأبي البقاء عبد الله بن الحسـين بن عبد الله العكبري ، دار عيسـى البابي الحلبي وشركاه ، تحقيق : علي محمد البجاوي.

التبيان في أقسام القرآن ، لابن القيم، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، دار الفكر - بيروت - .

التبيان في تفسير غريب القرآن ، لشهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري ، دار الصحابة للتراث بطنطا - مصر - ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : فتحي أنور الدابلوي .

التحبير شرح التحرير في أصول الفقه ، لعلاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي الحنبلي ، مكتبة الرشد - السعودية / الرياض - ١٤٢١هـــ - ٢٠٠٠م ، الطبعة : الأولى، تحقيق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح .

التحرير والتنوير ، لمحمد الطاهر بن عاشـور ، دار سـحنون للنشـر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧م ، الطبعة : ، تحقيق : محمد الطاهر بن عاشور .

تحفة الفقهاء، لعلاء الدين السمرقندي ، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٤٠٥ هـ/١٩٨٤ م، الطبعة الأولى.

تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري ، لجمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي ، دار ابن خزيمة - الرياض - ١٤١٤هـ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد الله بن عبد الرحمن السعد.

تطور التعليم في ظل الحضارة الإسلامية، للدكتور عمر محمد التومي الشيباني، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلام. طرابلس- ليبيا. الطبعة الأولى: ١٣٩١هـ/١٩٨٢م.

التعريف بالأنساب والتنويه بذوي الأحساب ، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الأشعري القرطبي الحنفي (المتوفى : ٥٥٠هـــ) ، دار المنار - القاهرة - ١٩٨٦ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د.سعد عبد المقصود ظلام.

تعظيم قدر الصلاة ، لمحمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله ، مكتبة الدار – المدينة المنورة – ١٤٠٦ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي
تفسير ابن المنذر ، لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري ، دار المآثر – المدينة المنورة – ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: سعد بن محمد السعد.
تفسير أسماء الله الحسنى ، لإسحاق إبراهيم بن محمد بن سهل الزجاج ، دار الثقافة العربية ، تحقيق : أحمد يوسف الدقاق.
تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢هـــ -٢٠٠١م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشـــيخ علي محمد معوض، شـــارك في التحقيق ١) د.زكريا عبد المجيد النوقي ٢) د.أحمد النجولي الجمل .
تفسير البيضاوي ، البيضاوي ، دار الفكر – بيروت.
تفسير الجلالين، لمحمد بن أحمد عبدالرحمن بن أبي بكر المحلي، والسيوطي ، دار الحديث – القاهرة ، الطبعة : الأولى.
تفســـير الخازن المســـمى لباب التأويل في معاني التنزيل ، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر- بيروت / لبنان – ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م .
تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم ، لنصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي ، دار الفكر – بيروت ، تحقيق : د.محمود مطرجي .
تفسير القرآن ، لابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ، المكتبة العصرية – صيدا ، تحقيق : أسعد محمد الطيب .
تفســـير القرآن ، لعبد الرزاق بن همام الصـــنعاني ، مكتبة الرشـــد – الرياض – ١٤١٠ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. مصطفى مسلم محمد .
تفسير القرآن العزيز ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين ، دار الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة – ١٤٢٣هـــ – ٢٠٠٢م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز.
تفســـير القرآن العظيم ، لإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشـــقي أبو الفداء، دار الفكر – بيروت – ١٤٠١ .

تفسير القرآن العظيم، للإمام ابن كثير، تحقيق: أ.د. حكمت بن بشير بن ياسين، أشرف على طبعه: سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الدمام، الطبعة الأولى: ١٤٣١ هـ.

تفسير القرآن، لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي، دار ابن حزم – بيروت – ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي.

تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات ، لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري الشافعي ، دار الكتب العلمية – بيروت /لبنان – ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد اللطيف حسن عبد الرحمن

التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م ، الطبعة : الأولى .

تفسير المشكل من غريب القرآن العظيم على الإيجاز والاختصار، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: هدى الطويل المرعشلي، دار النور الإسلامي، الطبعة: ١٤٠٨هـ .

تفسير المنار ، لمحمد رشيد بن علي رضا ، دار النشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٩٠ .

تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، دراسة وتحقيق: عبد العزيز بن محمد الخليفة، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

تفسير روح البيان ، لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي ، دار الفكر العربي – – ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد الرحمن علي سليمان.

تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري ، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ زكريا عميران.

تفسير غريب القرآن، لأبي محمد عبد الله مسلم بن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنا، طبعة: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

تفسير مقاتل بن سليمان ، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي ، دار النشر : دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : أحمد فريد.
التفسير ورجاله، لمحمد الفاضل بن عاشور، الطبعة الثانية، دار الكتب الشرقية، تونس.
تقريب التهذيب ، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، دار الرشيد – سوريا – ١٤٠٦ – ١٩٨٦ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد عوامة.
تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير ، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ، دار المحاسن للطباعة – المدينة المنورة – ١٣٨٤ – ١٩٦٤ ، الطبعة : ، تحقيق : السيد عبدالله هاشم اليماني المدني .
تهذيب الأسماء واللغات ، لمحي الدين بن شرف النووي ، دار الفكر – بيروت – ١٩٩٦ الطبعة : الأولى ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات .
تهذيب التهذيب ، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار الفكر – بيروت – ١٤٠٤ – ١٩٨٤ ، الطبعة : الأولى.
تهذيب الكمال ، ليوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي ، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٠٠ – ١٩٨٠ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. بشار عواد معروف.
تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي – بيروت – ٢٠٠١م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد عوض مرعب .
توثيق النصوص وضبطها عند المحدثين، للدكتور: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، منشورات: المكتبة المكية / المكية البغدادية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م.
التوحيد لابن منده ، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه ، دار الهدى النبوي، دار الفضيلة – مصر ،سورية – ١٤١٨-٢٠٠٧ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د.محمد بن عبد اله الوهيبي،د.موسى بن عبد العزيز الغصن.
التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمد عبد الرؤوف المناوي ، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر – بيروت ، دمشق – ١٤١٠ ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمد رضوان الداية.
تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، مكتبة الرياض الحديثة – الرياض .

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م ، تحقيق : ابن عثيمين.

التيسير في قواعد علم التفسير ، لمحمد بن سليمان الكافيجي، تحقيق:ناصر محمد المطرودي، نشر دار القلم بدمشق، ط١ ، ١٤١٠ هـ ،

الثقات ، لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البســتي ، دار الفكر - بيروت - ١٣٩٥ - ١٩٧٥ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لمحمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، أبو جعفر ، دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥ .

جامع الرســائل ، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، دار العطاء - الرياض - ١٤٢٢-٢٠٠١ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد رشاد رفيق سالم.

الجامع الصحيح المختصر ، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧ ، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا .

الجامع الصحيح سنن الترمذي ، لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - - ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون .

جامع العلوم والحكم في شرح خمسـين حديثا من جوامع الكلم ، لزين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، الطبعة : السابعة ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط / إبراهيم باجس .

جامع المسائل لابن تيمية، لتقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع - - ١٤٢٢ هـ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد عزير شمس.

الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الشعب - القاهرة .

الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، لضـياء الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد الأندلسـي المالقي المعروف بابن البيطار ، دار الكتب العلمية - بيروت/لبنان - ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .

الجرح والتعديل ، لعبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٢٧١ - ١٩٥٢ ، الطبعة : الأولى.

جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام ، لابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، أبو عبد الله ، دار العروبة – الكويت – ١٤٠٧ – ١٩٨٧ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : شـعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط.

الجمل في النحو ، للخليل بن أحمد الفراهيدي ، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٦-١٩٩٥ ، الطبعة : الخامسة ، تحقيق : د . فخر الدين قباوة.

جمهرة النسـب لابن الكلبي رواية السُّكَّرِيّ عن ابن حبيب ، لهشام بن محمد بن السـائب الكلبي (المتوفى : ٢٠٤هـ) ، عالم الكتب – النهضة العربية – بيروت – ١٤٠٧-١٩٨٦ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الدكتور ناجي حسن.

جمهرة أنساب العرب ، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان - ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م ، الطبعة : الثالثة .

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، لأحمد عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ، مطبعة المدني – مصر ، تحقيق : علي سيد صبح المدني .

الجواهر الحسـان في تفسير القرآن ، لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسـة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.

حاشـية ابن القيم على سـنن أبي داود ، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، ابن القيم ، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥ – ١٩٩٥ ، الطبعة : الثانية.

حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة ، لابن عابدين، دار الفكر للطباعة والنشر. – بيروت. – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشـافعي وهو شـرح مختصر المزني ، لعلي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري الشـافعي ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ١٤١٩ هـــ -١٩٩٩ م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض – الشيخ عادل أحمد عبد الموجود.

الحاوي في الطب، لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي ، دار النشـر : دار احياء التراث العربي – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق: هيثم خليفة طعيمي.

الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التفسير والحديث والاصول والنحو والاعراب وسائر الفنون، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السـيوطي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م ، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن.

الحبائك في أخبار الملائك ، لجلال الدين عبد الرحمن السـيوطي ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : أبو هاجر محمد سعيد بن بسيوني زغلول.

حجة القراءات ، لعبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبو زرعة ، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٢- ١٩٨٢ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : سعيد الأفغاني.

الحجة في القراءات السبع ، للحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله ، دار الشروق - بيروت - ١٤٠١ ، الطبعة : الرابعة ، تحقيق : د. عبد العال سالم مكرم.

الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة ، لأبي القاسم اسماعيل ابن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني ، دار الراية - السعودية / الرياض - ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي.

الحسـنة والسـيئة ، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، مطبعة المدني - القاهرة ، تحقيق : د. محمد جميل غازي.

الحلل في شـرح أبيات الجمل ، لأبي محمد عبد الله بن محمد ابن السـيد البطليوسـي ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. يحيى مراد .

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥ ، الطبعة : الرابعة.

الخصائص ، لأبي الفتح عثمان ابن جني ، عالم الكتب - بيروت ، تحقيق : محمد علي النجار.

خير الكلام في القراءة خلف الإمام للبخاري ، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى : ٢٥٦هـ) ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ٢٠٠١م.

دائرة المعارف الإسلامية المترجمة ، كتاب الشعب، القاهرة.

الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، لأحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي ، دار القلم - دمشق - ١٤٠٦ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. أحمد محمد الخراط

الدر المنثور ، ل عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ، دار الفكر - بيروت - ١٩٩٣ م

درء تعارض العقل والنقل ، لتقي الدين أحمد بن عبد الســلام بن عبد الحليم بن عبد الســلام بن تيمية ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٧هــــ - ١٩٩٧م. ، تحقيق : عبد اللطيف عبد الرحمن.
درج الدرر في تفسـير الآي والسـور، لعبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تحقيق: وليد بن أحمد بن صالح الحسين، سلسلة إصدارات مجلة الحكمة " ٢٢ " . الطبعة: الأولى ١٤٢٩هـ
الدعاء للطبراني، لسـليمان بن أحمد الطبراني أبو القاسـم ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٣ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا.
دفع إيهام الاضــطراب عن آيات الكتاب ، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، الطبعة : الأولى.
دلائل النبوة ومعرفة أحوال صــاحب الشـريعة ، لأبي بكر أحمد بن الحســين البيهقي ، دار الكتب العلمية - دار الريان للتراث - بيروت - القاهرة - ١٤٠٨ - ١٩٨٨ ، الطبعة: الأولى ، تحقيق : د. عبدالمعطي قلعجي.
ديوان النابغة الشيباني رواية الأصمعي من نسخة الأعلم، للنابغة الشيباني ، دار المعارف - القاهرة -- ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : محمد أبو الفضل .
ديوان لبيد بن ربيعة العامري شرح الطوسي ، لـــ لبيد بن ربيعة العامري ، دار المعرفة - بيروت - ١٤٢٥-٢٠٠٤ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : حمدو طماس.
الذخيرة ، شــهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي ، دار الغرب - بيروت - ١٩٩٤م ، تحقيق : محمد حجي.
الرد على الجهمية ، ابن منده ، المكتبة الأثرية - باكستان ، تحقيق : علي محمد ناصر الفقيهي.
الرد على الجهمية ، لعثمان بن سعيد الدارمي أبو سعيد ، دار ابن الأثير - الكويت - ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : بدر بن عبد الله البدر.
الرد على المنطقيين ، لشـيخ الإسـلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، دار المعرفة - بيروت .
رموز الكنوز في تفسـير الكتاب العزيز، لعز الدين عبد الرزاق بن رزق الله الرسـعني الحنبلي تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة الأسـدي للنشـر والتوزيع، مكة المكرمة، العزيزية، الطبعة الأولى: ١٤٢٩ هـ.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

الروض الانف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، لعبد الرحمن بن عبدالله الخثعمي السهيلي ، دار الفكر – بيروت – ١٩٧١-١٣٩١ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد .

الروض المعطار في خبر الأقطار ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري ، دار الجيل – بيروت / لبنان – ١٤٠٨ هـ . – ١٩٨٨ م ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : . لافي بروفنصال.

روضة الطالبين وعمدة المفتين ، لأبي زكريا يحيى النووي ، المكتب الإسلامي – بيروت – ١٤٠٥ ، الطبعة : الثانية.

روضة الناظر وجنة المناظر ، لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد ، جامعة الإمام محمد بن سعود – الرياض – ١٣٩٩ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : د. عبد العزيز عبد الرحمن السعيد.

رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، دار الفكر – بيروت – ١٤٢١هـ –٢٠٠٠م ، الطبعة : الثالثة .

زاد المسير في علم التفسير ، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، المكتب الإسلامي – بيروت – ١٤٠٤ ، الطبعة : الثالثة .

زاد المعاد في هدي خير العباد ، لابن الثيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، أبو عبد الله ، مؤسسة الرسالة – مكتبة المنار الإسلامية – بيروت – الكويت – ١٤٠٧ – ١٩٨٦م، الطبعة : الرابعة عشر، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط.

الزهد ، لأحمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني ، دار الريان للتراث – القاهرة – ١٤٠٨ الطبعة: الثانية ، تحقيق : عبد العلي عبد الحميد حامد .

الزهد ، لعبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي، أبو عبد الله ، دار الكتب العلمية – بيروت ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي.

الزهد والرقائق لا بن المبارك، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية – بيروت.

الزواجر عن اقتراف الكبائر ، لابن حجر الهيثمي ، المكتبة العصرية – لبنان / صيدا – بيروت – ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م ، الطبعة : الثانية ، تحقيق: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز.

سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي ، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٤هـ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض.

سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطعة الأولى: ١٤١٢ هـ.
السلسلة الصحيحة للألباني محمد ناصر الدين، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)، عام النشر: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
السنة ، لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال ، دار الراية - الرياض - ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د.عطية الزهراني.
السنة ، لعبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني ، دار ابن القيم - الدمام - ١٤٠٦ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. محمد سعيد سالم القحطاني .
سنن ابن ماجه ، لمحمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني ، دار الفكر - بيروت - - ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.
سنن أبي داود ، لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي ، دار الفكر - بيروت - - ، الطبعة : ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد .
سنن البيهقي الكبرى ، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي ، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة - ١٤١٤ - ١٩٩٤ ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا.
سنن الدارقطني ، لعلي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي ، دار المعرفة - بيروت - ١٣٨٦ - ١٩٦٦ ، تحقيق : السيد عبد الله هاشم يماني المدني .
السنن الصغير ، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، الدراسات الإسلامية -كراتشي . باكستان - ١٤١٠-١٩٨٩ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي.
السنن الكبرى ، لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١ - ١٩٩١ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن.
سنن سعيد بن منصور ، لسعيد بن منصور ، دار العصيمي - الرياض - ١٤١٤ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد.
سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله ، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٣ ، الطبعة : التاسعة ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي.

السيرة النبوية لابن كثير ، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - ١٣٩٦-١٩٧١ ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد.

السيرة النبوية لابن هشام ، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد ، دار الجيل - بيروت - ١٤١١ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد.

شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لعبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي ، دار بن كثير - دمشق - ١٤٠٦هـ ، الطبعة : ط١ ، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط

شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ، لهبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، أبو القاسم ، دار طيبة - الرياض - ١٤٠٢ ، تحقيق : د. أحمد سعد حمدان

شرح السنة ، للحسين بن مسعود البغوي ، المكتب الإسلامي - دمشق _ بيروت - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش.

شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي ، دار النشر : المكتب الإسلامي - بيروت - ١٣٩١ ، الطبعة : الرابعة.

شرح العمدة في الفقه ، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، مكتبة العبيكان - الرياض - ١٤١٣ ، الطبعة: الأولى ، تحقيق : د. سعود صالح العطيشان.

شرح مختصر الروضة ، لسليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين ، مؤسسة الرسالة - ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي .

شرح مشكل الآثار ، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي ، مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط.

شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولي النهى لشرح المنتهى ، لمنصور بن يونس بن إدريس البهوتي ، عالم الكتب - بيروت - ١٩٩٦ ، الطبعة : الثانية.

الشريعة ، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري ، دار الوطن - الرياض / السعودية - ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي .

شعب الإيمان ، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٠ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول.

شـفاء العليل في مسـائل القضـاء والقدر والحكمة والتعليل ، لابن القيم، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، دار الفكر - بيروت - ١٣٩٨ ، تحقيق : محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي.

الصارم المسلول على شاتم الرسول ، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، أبو العباس ، دار ابن حزم - بيروت - ١٤١٧ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد عبد الله عمر الحلواني ، محمد كبير أحمد شودري.

صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٤ - ١٩٩٣ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط .

صـحيح الترغيب والترهيب للمنذري، المحقق: محمد ناصـر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى: ١٤٢١ هـ.

صـحيح الجامع الصغير وزيادته، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج بن نوح بن نجاتي بن آدم، الألباني، المكتب الإسلامي.

صحيح مسلم بشرح النووي ، لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٩٢ ، الطبعة : الطبعة الثانية .

صفة جزيرة العرب ، لابن الحائك ، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الشهير بالهمداني ، مكتبة الإرشاد - صنعاء - ١٤١٠-١٩٩٠ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد بن علي الأكوع الحوالي .

الصـواعق المرسـلة على الجهمية والمعطلة ، لابن القيم، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سـعد الزرعي الدمشـقي ، دار العاصـمة - الرياض - ١٤١٨ - ١٩٩٨ ، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : د. علي بن محمد الدخيل الله .

الضـعفاء والمتروكين ، لعبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٦ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد الله القاضي.

ضـعيف سـنن الترمذي للألباني، أشـرف على طباعته والتعليق عليه: زهير الشـاويش، بتكليف: من مكتب التربية العربي لدول الخليج — الرياض .

الطب النبوي ، لابن القيم، محمد بن أبي بن أيوب الدمشقي ، دار الفكر - بيروت ، تحقيق : عبد الغني عبد الخالق.

طبقات الشافعية ، لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة ، عالم الكتب – بيروت – ١٤٠٧ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. الحافظ عبد العليم خان

طبقات الشافعية الكبرى ، لتاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع – ١٤١٣هـ ، الطبعة : ط٢ ، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي د.عبد الفتاح محمد الحلو

الطبقات الكبرى ، لمحمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري ، دار صادر ، بيروت .

طبقات المفسرين ، لأحمد بن محمد الأدنه وي ، مكتبة العلوم والحكم – السعودية – ١٤١٧هـ–١٩٩٧م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي.

طبقات المفسرين ، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، مكتبة وهبة – القاهرة – ١٣٩٦ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : علي محمد عمر .

طريق الهجرتين وباب السعادتين ، لابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، أبو عبد الله ، دار ابن القيم – الدمام – ١٤١٤ – ١٩٩٤ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر.

طلبة الطلبة في الإصـــطلاحات الفقهية ، لنجم الدين أبي حفص عمر بن محمد النســـفي، دار النفائس – عمان – ١٤١٦هـ. ١٩٩٥م. ، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك.

العبر في خبر من غبر ، لشـــمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، مطبعة حكومة الكويت – الكويت – ١٩٨٤ ، الطبعة : ط٢ ، تحقيق : د. صلاح الدين المنجد.

العجاب في بيان الأسباب ، لشهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر، دار ابن الجوزي – السعودية – ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد الحكيم محمد الأنيس.

عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، لابن القين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، أبو عبد الله ، دار الكتب العلمية – بيروت ، تحقيق : زكريا علي يوسف.

العذب المنير من مجالس الشنقيطي في التفسير، للشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الثانية: ١٤٢٦ هـ، تحقيق: خالد عثمان السبت.

العقيدة الواسطية، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، أبو العباس، الرئاسة العامة لإدارة البحوث والإفتاء، الرياض، ١٤١٢ هـ، الطبعة الثانية، تحقيق: محمد بن عبد العزيز بن مانع.

علل النحو ، لأبي الحسن محمد بن عبد الله الوراق ، مكتبة الرشد – الرياض / السعودية – ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمود جاسم محمد الدرويش.

العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها ، للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، مكتبة أضواء السلف – الرياض – ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م ، الطبعة: الأولى ، تحقيق : أبو محمد أشرف بن عبد المقصود.

الغاية القصوى في دراية الفتاوى، للبيضاوي. دراسة وتحقيق: علي محيي الدين قرة داغي، دار النصر للطباعة الإسلامية – مصر.

غوامض الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث المسندة ، لخلف بن عبد الملك بن بشكوال أبو القاسم ، دار عالم الكتب – بيروت – ١٤٠٧ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق: د. عز الدين علي السيد ، محمد كمال الدين عز الدين.

الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، دار المعرفة – بيروت ، تحقيق : قدم له حسنين محمد مخلوف.

فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، دار المعرفة – بيروت ، تحقيق : محب الدين الخطيب .

فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار الفكر – بيروت .

الفتح المبين في طبقات الأصوليين، للشيخ عبد الله مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

الفرائض وشرح آيات الوصية ، لعبد الرحمن بن عبد الله السهيلي أبو القاسم ، المكتبة الفيصلية – مكة المكرمة – ١٤٠٥ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : د. محمد إبراهيم البنا.

الفروسية ، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، ابن القيم، أبو عبد الله ، دار الأندلس – السعودية – حائل – ١٤١٤ – ١٩٩٣ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : مشهور بن حسن بن محمود بن سلمان.

الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد مكتبة الخانجي – القاهرة .

الفصول المفيدة في الواو المزيدة ، لصلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي ، دار البشير – عمان – ١٤١٠هـ ١٩٩٠م ، الطبعة: الأولى، تحقيق: حسن موسى الشاعر.

فضائل الأوقات ، لأحمد بن الحسين البيهقي أبو بكر ، مكتبة المنارة - مكة المكرمة - ١٤١٠ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عدنان عبد الرحمن مجيد القيسي.

فضائل القرآن ، لعماد الدين إسماعيل الشهير بابن كثير ، دار المعرفة - بيروت / لبنان - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، الطبعة: الثانية .

فضائل القرآن للقاسم بن سلام ، لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم الهروي البغدادي ، دار ابن كثير، دمشق، تحقيق : مروان العطية ومحسن خرابة ووفاء تقي الدين.

فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة ، لأبي عبد الله محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس بن يسار الضريس البجلي الرازي ، دار الفكر - دمشق - ١٤٠٨-١٩٨٧ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عروة بدير .

فهرست مصنفات تفسير القرآن الكريم، مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة، ١٤٢٤ هـ.

الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ، المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٧هـ ، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : عبد الرحمن يحيى المعلمي.

قاعدة في المحبة ، لأحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني، أبو العباس ، مكتبة التراث الإسلامي - القاهرة ، تحقيق : د. محمد رشاد سالم.

القاموس المحيط ، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت

قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي ، دار الكتب الإسلامية ودار الكتاب المصري واللبناني - القاهرة - بيروت - ١٤٠٢-١٩٨٢ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : إبراهيم الأبياري .

قواطع الأدلة في الأصول ، لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي .

قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين بن علي بن حسين الحربي، دار القاسم، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٧ هـ/١٩٩٦ م.

الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر العسقلاني، ضبط وتوثيق: أبي عبد الله الداني بن منير آل زهوي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٧ هـ.

الكامل في التاريخ ، لابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ ، الطبعة : ط٢ ، تحقيق : عبد الله القاضي.

الكامل في اللغة و الأدب ، لمحمد بن يزيد المبرد، أبو العباس ، دار الفكر العربي - القاهرة - ١٤١٧-١٩٩٧ ، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم.

الكبائر، لمحمد بن عثمان الذهبي، دار الندوة الجديدة، بيروت.

كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ، لمحمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي ، دار الكتاب العربي - لبنان - ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م ، الطبعة : الرابعة .

كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة مكتبة الرشد - السعودية - الرياض - ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ، الطبعة : الخامسة ، تحقيق : عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان .

كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري ، دار الجيل - بيروت / لبنان - ١٤٠٨ هـ . - ١٩٨٨ م ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : لافي بروفنصال

كتاب السبعة في القراءات ، لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي ، دار المعارف - مصر - ١٤٠٠هـ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : شوقي ضيف.

كتاب السنة، لأبي بكر بن أبي عاصم، أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة، بقلم محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠ م.

كتاب العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدي ، دار ومكتبة الهلال ، تحقيق : د مهدي المخزومي / د إبراهيم السامرائي .

الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، مكتبة الرشد - الرياض - ١٤٠٩ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : كمال يوسف الحوت.

كتاب المغازي ، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد عبد القادر أحمد عطا.

كتاب ذم المسكر ، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي ، دار الراية - الرياض ، تحقيق: د. نجم عبد الرحمن خلف.

كتاب سـيبويه ، لأبي البشـر عمرو بن عثمان بن قنبر سـيبويه ، دار الجيل - بيروت ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون .

كتاب غريب القرآن ، لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني ، دار قتيبة - ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م ، تحقيق : محمد أديب عبد الواحد جمران .

كتاب من عاش بعد الموت ، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي ، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - ١٤١٣-١٩٩٣ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد حسام بيضون.

كتب ورسـائل وفتاوى شيخ الإسـلام ابن تيمية ، لأحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، مكتبة ابن تيمية ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي .

كرامات أولياء الله عز وجل ، لهبة الله بن الحســن الطبري اللالكائي ، دار طيبة - الرياض - ١٤١٢ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. أحمد سعد الحمان.

الكشــاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاســم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي .

كشــف المشــكل من حديث الصــحيحين ، لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ، دار الوطن - الرياض - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م. ، تحقيق : علي حسين البواب .

الكشف والبيان (تفسير الثعلبي) ، لأبي إسـحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسـابوري ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ١٤٢٢هـــ-٢٠٠٢م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي .العظمة ، لعبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني أبو محمد ، دار العاصـمة - الرياض - ١٤٠٨ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري

الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي ، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. ، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري.

لب اللباب في تحرير الأنسـاب ، لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١ - ١٩٩١، الطبعة : ، تحقيق : محمد أحمد عبد العزيز - أشرف أحمد عبد العزيز.

اللباب في تهذيب الأنساب ، لابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري ، دار صادر - بيروت - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
اللباب في علوم الكتاب ، لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشــقي الحنبلي ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض .
لسان العرب ، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر - بيروت ، الطبعة : الأولى
لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشـاد ، لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسـي، الدار السلفية - الكويت - ١٤٠٦ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : بدر بن عبد الله البدر.
المبسوط ، شمس الدين السرخسي ، دار النشر : دار المعرفة — بيروت.
مجاز القرآن ، أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي ، مكتبة الخانجي - القاهرة - ١٩٥٤م الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. محمد فؤاد سزكين .
مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي، مكتبة الخانجي -- القاهرة -- ١٩٥٤م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. محمد فؤاد سزكين .
المجتبى من السـنن ، لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسـائي ، مكتب المطبوعات الإسـلامية - حلب - ١٤٠٦ - ١٩٨٦ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة.
المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر (١٠٠ --١٣٧٠) عبد المتعال الصعيدي، دار الحمامي للطباعة.
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لعلي بن أبي بكر الهيثمي ، دار الريان للتراث/ دار الكتاب العربي - القاهرة ، بيروت - ١٤٠٧
المجموع شرح المهذب، للإمام النووي ، دار الفكر - بيروت - ١٩٩٧م
المحرر الوجيز في تفسـير الكتاب العزيز ، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسـي دار الكتب العلمية - لبنان -- ١٤١٣هـــ- ١٩٩٣م ، الطبعة : الاولى ، تحقيق : عبد السـلام عبد الشافي محمد .
المحصـول في علم الأصـول، لمحمد بن عمر بن الحسـين الرازي، جامعة الإمام محمد بن سـعود الإسلامية - الرياض - ١٤٠٠، الطبعة: الأولى، تحقيق: طه جابر فياض العلواني

المحكم والمحيط الأعظم ، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، دار الكتب العلمية - بيروت - ٢٠٠٠م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي.

المحلى ، لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد ، دار الآفاق الجديدة - بيروت ، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي.

المحيط في اللغة ، لأبي القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني ، عالم الكتب - بيروت / لبنان - ١٤١٤هـ-١٩٩٤م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ محمد حسن آل ياسين .

تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، دار الهداية ، تحقيق : مجموعة من المحققين .

مختار الصحاح ، لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - ١٤١٥ - ١٩٩٥ ، تحقيق : محمود خاطر.

مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية ، لبدر الدين أبو عبد الله محمد بن علي الحنبلي البعلي ، دار ابن القيم - الدمام - السعودية - ١٤٠٦ - ١٩٨٦ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : محمد حامد الفقي.

المختصر في أخبار البشر ، لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي (المتوفى : ٧٣٢هـ) المطبعة الحسينية المصرية - القاهرة - ١٣٢٥ هـ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : أبو إسحاق

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، ابن القيم، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٣٩٣ - ١٩٧٣ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق: محمد حامد الفقي .

مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، لأبي محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي دار الكتاب الإسلامي - القاهرة - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

مروج الذهب ، لأبي الحسن على بن الحسين بن على المسعودي ، دار الفكر - بيروت - ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م ، الطبعة : الخامسة ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد.

المستدرك على الصحيحين ، لمحمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا .

المستصفى في علم الأصول ، لمحمد بن محمد الغزالي أبو حامد ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٣ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد عبد السلام عبد الشافي.

مسند أبي يعلى ، لأحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي ، دار المأمون للتراث - دمشق - ١٤٠٤ - ١٩٨٤ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق: حسين سليم أسد.

مسند الإمام أحمد بن حنبل ، للإمام أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني ، مؤسسة قرطبة - مصر.

المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - ، الطبعة : ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .

المسودة في أصول الفقه ، للمجد عبد السلام ابن تيمية ، دار المدني - القاهرة ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد.

مشارق الأنوار على صحاح الآثار ، للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي ، المكتبة العتيقة، ودار التراث .

مشكل إعراب القرآن ، لمكي بن أبي طالب القيسي أبو محمد، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٥ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : د. حاتم صالح الضامن.

مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه ، لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناني ، دار العربية - بيروت - ١٤٠٣ ، الطبعة: الثانية ، تحقيق : محمد المنتقى الكشناوي.

مصطلحات في كتب العقائد، لمحمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، دار ابن خزيمة، الطبعة الأولى.

المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، دار العاصمة ، دار الغيث - السعودية - ١٤١٩ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : رسالة علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود.

معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، للحافظ بن أحمد حكمي ، دار ابن القيم - الدمام - ١٤١٠ - ١٩٩٠ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر.

المعارف ، لابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم ، دار المعارف - القاهرة ، تحقيق : دكتور ثروت عكاشة.

معالم التنزيل المسمى بتفسير البغوي، للحسين بن مسعود البغوي ، دار المعرفة - بيروت تحقيق : خالد عبد الرحمن العك .

معاني القرآن الكريم ، لأحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي، أبو جعفر النحاس ، جامعة أم القرى - مكة المرمة - ١٤٠٩ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد علي الصابوني

معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السَّري، المعروف بالزجاج، عالم الكتب - بيروت- الطبعة: الأولى، تحقيق: د.عبد الجليل عبده شلبي .

معاني القرآن، لأبي الحسن سعيد بن مسعدة، الأخفش الأوسط، تحقيق: د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة: الأولى ١٤١١ هـ .

معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: د. عماد الدين بن سيد آل الدرويش، عالم الكتب - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٣٢ هـ .

معجم البلدان ، اسم المؤلف: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله ، دار الفكر - بيروت - .

معجم الصحابة لأبي القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرْزُبان بن سابور بن شاهنشاه البغوي ، مكتبة دار البيان - الكويت - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد الأمين بن محمد الجكني.

المعجم الكبير ، لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، مكتبة الزهراء - الموصل - ١٤٠٤ - ١٩٨٣ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي

معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، لعاتق بن غيث البلادي، دار مكة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م.

معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، لعمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان.

المعجم الوسيط (١+٢) ، لإبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، دار الدعوة ، تحقيق : مجمع اللغة العربية.

معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، لعبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي أبو عبيد ، دار النشر : عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٣ ، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : مصطفى السقا.

معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، دار الجيل - بيروت - لبنان - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، الطبعة : الثانية، تحقيق : عبد السلام محمد هارون.

معرفة السـنن والآثار عن الامام أبي عبد الله محمد بن أدريس الشـافعي ، للحافظ الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو أحمد البيهقي الخسروجردي ، دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – بدون، تحقيق: سيد كسروي حسن .
معرفة الصحابة ، لأبي نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن مهران الأصبهاني ، دارالوطن – الرياض – ١٤١٩ – ١٩٨٨ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عادل بن يوسف العزازي.
معرفة المحكم والمتشـابه وأثرهما في تفسـير القرآن، لحامد العلي، رسـالة ماجستير في شـعبة التفسـير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة:١٤٠٩ هـ.
مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، لجمال الدين ابن هشـام الأنصـاري ، دار الفكر – دمشـق – ١٩٨٥، الطبعة: السادسة، تحقيق : د . مازن المبارك / محمد علي حمد الله.
مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ، لمحمد الخطيب الشربيني ، دار الفكر – بيروت.
المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد ، دار الفكر – بيروت – ١٤٠٥ ، الطبعة : الأولى.
مفتاح دار السـعادة ومنشـور ولاية العلم والإرادة ، لابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، دار الكتب العلمية – بيروت .
مفحمات الإقران في مبهمات القرآن ، لجلال الدين السيوطي ، مؤسسة الرسالة – بيروت / لبنان – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : إياد خالد الطباع.
المفردات في غريب القرآن ، للراغب أبي القاسـم الحسـين بن محمد ، دار المعرفة – لبنان ، تحقيق : محمد سيد كيلاني .
المقتضـب ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ، عالم الكتب. – بيروت ، تحقيق : محمد عبد الخالق عظيمة.
مقدمة ابن خلدون ، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار القلم – بيروت – ١٩٨٤ ، الطبعة : الخامسة.
المكي والمدني في القرآن الكريم، دراسة تأصيلية نقدية للسور والآيات من أول القرآن الكريم إلى نهاية سـورة الإسـراء، لعبد الرزاق حسـين أحمد، دار ابن عفان، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٢٠/١٩٩٩ م.
الملل والنحل ، لمحمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني ، دار المعرفة – بيروت – ١٤٠٤ ، تحقيق : محمد سيد كيلاني.

المنار المنيف في الصحيح والضعيف ، لابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنبلي الدمشقي ، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب – ١٤٠٣ هـ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة. .

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، لعبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج ، دار صادر – بيروت – ١٣٥٨ ، الطبعة : الأولى .

منهاج السنة النبوية ، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، مؤسسة قرطبة – ١٤٠٦ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. محمد رشاد سالم .

المهذب في فقه الإمام الشافعي ، لإبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبو إسحاق ، دار النشر : دار الفكر – بيروت.

مواهب الجليل لشرح مختصر خليل ، لمحمد بن عبد الرحمن المغربي، أبو عبد الله ، دار الفكر – بيروت – ١٣٩٨ ، الطبعة : الثانية.

المؤتلف والمختلف (الأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط) ، لمحمد بن طاهر بن علي بن القيسراني ، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١١ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : كمال يوسف الحوت.

الموسوعة العربية، لمجموعة من الباحثين السوريين والعرب، هيئة الموسوعة العربية، سورية، دمشق، البرامكة.

الموسوعة الفقهية الكويتية ، لوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية لدولة الكويت ، الطبعة الثانية ، دارالسلاسل – الكويت.

الموسوعة الفقهية الكويتية ، لوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية لدولة الكويت ، الأجزاء ١ – ٢٣ : الطبعة الثانية ، دارالسلاسل – الكويت الأجزاء ٢٤ – ٣٨ : الطبعة الأولى ، مطابع دار الصفوة – مصر لأجزاء ٣٩ – ٤٥ : الطبعة الثانية ، طبع الوزارة – الكويت ،مصر – من ١٤٠٤ – ١٤٢٧ هـ ، الطبعة : الأجزاء ١ – ٢٣ : الطبعة الثانية، الأجزاء ٢٤ – ٣٨ الطبعة الأولى،الأجزاء ٣٩ – ٤٥ : الطبعة الثانية.

موطأ الإمام مالك ، للإمام مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي ، دار إحياء التراث العربي – مصر – ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.

ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، لشـمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٥ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود.
الناسـخ والمنسـوخ ، لأحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس أبو جعفر ، مكتبة الفلاح - الكويت - ١٤٠٨ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. محمد عبد السلام محمد.
الناسـخ والمنسـوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسـنن ، لأبي عُبيد القاسـم بن سـلاّم البغدادي ، مكتبة الرشد - شركة الرياض - الرياض - ، تحقيق : محمد بن صالح المديفر.
الناسـخ والمنسـوخ في القرآن الكريم ، لعلي بن أحمد بن سـعيد بن حزم الظاهري أبو محمد ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٦ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. عبد الغفار سليمان البنداري.
النبوات ، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، المطبعة السلفية - القاهرة - ١٣٨٦
نزهة الأسماع في مسألة السماع ، لعبد الرحمن بن رجب الحنبلي ، دار طيبة - الرياض - ١٤٠٧- ١٩٨٦ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : وليد عبد الرحمن الفريان.
نسب عدنان وقحطان ، لمحمد بن يزيد المبرد، أبو العباس ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - الهند - ١٣٥٤-١٩٣٦ ، الطبعة : ، تحقيق : عبدالعزيز الميمني الراجكوتي.
نسـب قريش ، لأبي عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري ، دار المعارف - القاهرة ، تحقيق : ليفي بروفسال.
نظم الدرر في تناسـب الآيات والسـور ، لبرهان الدين أبي الحسـن إبراهيم بن عمر البقاعي ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م ، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي .
النكت والعيون (تفسـير الماوردي) ، لأبي الحسـن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصـري دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ، تحقيق : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم .
نهاية الأرب في فنون الأدب ، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : مفيد قمحية وجماعة.
النهاية في الفتن والملاحم ، للإمام أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشـقي ، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، الطبعة : الاولى ، تحقيق : ضبطه وصححه: الأستاذ عبد الشافعي.

النهاية في غريب الحديث والأثر ، لأبي السـعادات المبارك بن محمد الجزري ، المكتبة العلمية – بيروت – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي .

نواسخ القرآن ، لعبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج ، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٥ ، الطبعة : الأولى.

الهداية الى بلوغ النهاية ، لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي ، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة – الشارقة-الإمارات العربية – ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة ، بإشراف أ.د : الشاهد البوشيخي .

الوافي بالوفيات ، لصـلاح الدين خليل بن أيبك الصـفدي ، دار إحياء التراث – بيروت – ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى .

الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لعلي بن أحمد الواحدي أبو الحسن ، دار القلم ، الدار الشامية – دمشق، بيروت – ١٤١٥ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي

الوسيط في المذهب ، لمحمد بن محمد بن محمد الغزالي أبو حامد ، دار السلام – القاهرة – ١٤١٧ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : أحمد محمود إبراهيم ، محمد محمد تامر.

وفيات الأعيان و انباء أبناء الزمان ، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، دار الثقافة – لبنان ، تحقيق : احسان عباس .

فهرس الموضوعات

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(٠٣٢)
كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية
قسم التفسير وعلوم القرآن

الموجز من موجز التفسير

للإمام أحمد بن محمود النعماني رحمه الله (ت ٦٧٥هـ)

من أول الكتاب إلى آخر تفسير سورة الأعراف

- دراسةً وتحقيقًا -

رسالة علمية مقدّمة للحصول على درجة العالمية العالية
(الدكتوراه)

إعداد الطالب:
شفيق الرحمن غلام ياسين

إشراف
الأستاذ الدكتور: عبد العزيز بن صالح العبيد

العام الجامعي ١٤٣٦- ١٤٣٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(٠٣٢)
كليّة القرآن الكريم
والدراسات الإسلامية
قسم التفسير وعلوم القرآن

إفــــادة

☐ ماجستير ☑ دكتوراه

عنوان الرسالة: الموجز من موجز التفسير للإمام أحمد بن محمود النعماني رحمه الله (ت ٦٧٥هـ) من أول الكتاب إلى آخر تفسير سورة الأعراف دراسةً وتحقيقاً.

إعداد الطالب: شفيق الرحمن غلام ياسين آل ياسين **الجنسية:** باكستاني

لقد تمت مناقشة الرسالة بتأريخ:١٦/٣/١٤٣٧هـ، وقد قام الطالب بتعديل ملحوظات لجنة المناقشة.

أعضاء اللجنة

الاسم	الصفة	التوقيع، والتأريخ
أ.د.عبدالعزيز بن صالح العبيد	مقررًا	عصام ٢٠/٢/٣٧
أ.د. يوسف بن عبدالعزيز الشبل	عضوًا	١٦/٢/٣٧
د. جهاد محمد فيصل النصيرات	عضوًا	١٦/٢/٣٧